الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامـــــعة باتنة 1

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية
قسم التاريخ وعلم الآثار

التوجه البحري للمغرب الأوسط

وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10هـ/8-16م)

(2-10هـ/8-16م)

أطروحة لنيل درجة دكتوراه علوم في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب:
علي عشي

تحت إشراف الأستاذ الدكتور
مسعود مزهودي

أعضاء لجنة المناقشة

الرقم	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
01	أ.د . رشيد باقة	أستاذ	باتنة 1	رئيسا
02	أ.د. مسعود مزهودي	أستاذ	باتنة 1	مشرفا ومقررا
03	د. مسعود شباحي	أستاذ محاضر أ	باتنة 1	عضوا مناقشا
04	أ.د. علاوة عمارة	أستاذ	الأمير عبد القادر قسنطينة	عضوا مناقشا
05	أ.د. خلفات مفتاح	أستاذ محاضرأ	محمد بوضياف المسيلة	عضوا مناقشا
06	أ.د.عاشوري قمعون	أستاذ	الشهيد حمه لخضر الوادي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2016-2017.

بسم الله الرحمن الرحيم

ك ِتقدير

مقدمة

إن واجب الاعتراف بالجميل، يملي علي أن أوجه الشكر والامتنان إلى لائحة طويلة من الأشخاص، وعلى رأسهم الأستاذ الدكتور المشرف مسعود مزهودي، الذي ساهم معي في إخراج هذا العمل ليرى النور، خدمة للبحث العلمي ولتاريخ هذا الوطن كما أتقدم ببالغ التقدير وجزيل الشكر للأستاذ الدكتور علاوة عمارة الذي وجهني لتحويل الشرح النظري إلى خرائط جغرافيا وقال لي"رسالتك هي انجاز خرائط تستنطق المصادر، ولو كان فيها إلا هي لكفتها"

كما أشكر الأستاذ صالح بوخالفة أستاذ الجغرافيا بجامعة تيارت عن مساعدته لي في تحويل تلك الخرائط إلى نماذج جاهزة مضبوطة وفق مقياس الرسم ولا أنسى مصحح هاته الرسالة الأستاذ فراح الذي وقف معي في رسالة الماجستير وكذا الدكتوراه من خلال تصحيح الرسالة لغويا، كما أشكر الأستاذ لخضر بولطيف الذي أمدني بالعديد من المراجع والمصادر والتوجيهات؛ ولا أنسى أساتذة من المغرب وعلى رأسهم مصطفى نشاط و الطاهر قدوري، ومن تونس الصالح بعزيق فإلى الجميع أجدد شكري وتقديري وأتمنى أن يكون هذا العمل غنيا بالفائدة وفي مستوى تطلعات الباحثين .

مقدمة

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم؛ والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله بعثه بالحق ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

لقد أدرك سكان المغرب الأوسط قيمة البحرية كسلاح متمم للسلاح البري، ومورد اقتصادي هام يضاف إلى نشاطهم الفلاحي والرعوي، فأخذوا في إنشاء المدن البحرية والموانئ، وربط علاقات اقتصادية مع الضفة الشمالية من البحر المتوسط؛ كما أنشأوا دوراً للصناعة لتزويد أساطيلهم البحرية بالعتاد اللازم لذلك، وهذا كله بفضل الطبيعة التي وهبها الله للمغرب الأوسط، وبفضل الإسلام الذي شجعهم على احتراف ركوب البحر للجهاد والعمل، دون أن ننسى رصيدهم القديم في المجال البحري.

بذلك شكل ساحل المغرب الأوسط مقصداً للتجار والبحارة، ومعبرا للرحالة والحجاج إلى بيت الله الحرام، كما كان مقصدا لكل متصوف وزاهد، فكان المغرب الأوسط دار جهاد وموطن رباط؛ ومركزاً تجارياً، وهذا ما يعبر عنه بالتوجه البحري للمغرب الأوسط.

فكان ذلك التوجه سببا في تنوع الأنشطة البحرية ودافعا لإنشاء المراسي والموانئ؛ وساهم في تغيير الأنماط الاجتماعية والاقتصادية عند سكان المغرب الأوسط، غير أن هذا التوجه مازال يخطو خطواته الأولى في الدراسات التاريخية المغرب أوسطية، ومن ثم تبقى ندرة المادة المصدرية المباشرة أكبر عثرة تواجه صياغة متوازنة لنشاط الإنسان البحري في بلاد المغرب الأوسط في الحقبة مدار البحث.

التعريف بالموضوع:

إن موقع المغرب الأوسط وما حباه الله له من نعم طبيعية كان لهما أثر فعال في توجه سكانه إلى البحر والاهتمام به وممارسة نشاطاتهم مما جعل الطبيعة من موانئ ومراسي وخلجان تنعكس على الجانب الاقتصادي من خلال التجارة والصيد البحري، والجانب الاجتماعي، من خلال الطرق والمواصلات.

لذا جاء اختيارنا لموضوع"**التوجه البحري للمغرب الأوسط وأثره في طرق التجارة والمواصلات(2-10هـ/8-16م)**" أي خلال فترة الدول المستقلة، بدء من الدولة الرستمية إلى غاية أواخر الدولة الزيانية واستنجادها بالعثمانيين، ونقصد بالتوجه البحري كل النشاطات والتفاعلات القائمة عبر الشريط البحري من تجارة ورحلات وثغور ومواصلات وموانئ وسفن وتغذية، مما جعل هذا الفضاء الجغرافي البحري متغيراً ومضطرباً ومتطوراً.

ولضبط هذه الأفكار وعرضها ككل متكامل وفي وحدة زمنية مترابطة لابد من دراسة فترة زمنية طويلة هي فترة الدول المستقلة، وهذا السلم الزمني للتطور البحري للمغرب الأوسط، يقدم لنا حصيلة توفر للقارئ رحلة مفيدة وشيقة عبر ماضي العصور الوسطى، كما أنها تشجع على المزيد من اقتحام مجال تاريخ البحرية في المغرب الأوسط.

ويبدو في هذه الرؤية التنظيرية ضربا من ضروب التجديد في دراسة المغرب الأوسط وحدوده، إذ لا يمكن فهم أهمية ودور المدن البحرية التجارية في المغرب الأوسط والتي شهدت تطورا عمرانيا واقتصاديا ذا شأن خلال مختلف القرون، إلا في إطار نظرة شاملة لتطور الموانئ والمدن، وليس في نطاق نظرة ضيقة أي النظرة إلى المدينة باعتبارها وحدة تابعة لدولة ما ذات توجه سياسي ومذهبي معين.

وهذا ما جعلنا نفكر في معالجة الموضوع على مستوى زمني أوسع(**2-10هـ/8-16م**) في إطار جغرافي ضيق"**المغرب الأوسط**"، اعتقادا منا بضرورة تتبع تسلسل الأحداث خلال الفترة الوسيطة وتطور بحرية المغرب الأوسط خلالها، وإيصال البحرية القديمة بالحديثة، وللحفاظ على وحدة الموضوع واستمراريته من خلال ربط بحرية المغرب الأوسط في العصر القديم بالحديث والتطرق لكل فترات البحرية الوسيطة.

إن النظرة التاريخية الشاملة لبحرية المغرب الأوسط تعطينا الصورة المتكاملة، لمختلف الفترات مفسرة ومحللة أسباب تقدمها أو تراجعها في فترات مختلفة.

أهمية الموضوع وأهدافه:

ساهمت الواجهة البحرية للمغرب الأوسط في تغيير أنماط سكانه الاجتماعية والاقتصادية-حتى وان كان قد مس المناطق الساحلية فقط-؛ وكان للبحر دور مهم في تغيير وكشف علاقة المغرب الأوسط التفاعلية مع الجغرافيا و أنماط السلوك الاجتماعي وتأثيرها على الأحداث السياسية التاريخية.

ومنه لفهم العلاقة التفاعلية بين المغرب الأوسط، وساحله البحري لابد من دراسته ككتلة زمنية واحدة خلال العصر الوسيط لأن التراكم الثقافي البحري من عادات وتقاليد وسلوك لم ينشأ دفعة واحدة أو في فترة واحدة، لذا شكل البعد البحري للمغرب الأوسط نقطة فارقة في تاريخه المتنوع"الجبلي والصحراوي"ومحطة أساسية في تدبير شؤون البحر وتسيير المنطقة من خلال إنشائه لشبكة علاقات دولية مع الضفة الشمالية لهذا البحر.

إن الواجهة البحرية فضاء واسع مفتوح ومدخل البلدان، جعلها محل تنافس وموطن إغراء أو خوف في نفس الوقت من مختلف الدول والقبائل للتحكم في هذه الواجهة واستغلالها بما يخدم مصالحها من أجل التطور والازدهار.

كما أن فعل التوجه نحو البحر مع عدم إغفال البر ينم عن ثقافة متفتحة على الآخر البعيد الذي يقدمه الفضاء المتوسطي، مما يجعل أنماط المعيشة تتأثر وتتغير بما يصلنا من الغرب، وبما نجنيه من التعاملات، وهذا يبين لنا أهمية البحر في ضبط منطلقات التغيير.

مع العلم أن كتابة التاريخ البحري الوسيط للمغرب الأوسط بشكل دقيق ومنظم لم يبدأ لحد الساعة، كما أن الاهتمام التاريخي به قليل مما ترتب عنه ندرة المعلومات التفصيلية والدقيقة.

إضافة إلى أن تلك الكتابات تأثرت في الجملة بالحالة السياسية السائدة في دول المغرب الأوسط المستقلة، حيث شكلت هذه الأمور عقبة أمام الباحثين، لأنها أولت جل اهتمامها إلى الجوانب السياسية والحربية مما جعل رصد المعلومة البحرية واصطيادها عملية تحتاج إلى جهد مضاعف، وصبر متصل.

ونظرا لشح المعلومات وقلتها قمنا بتمديد الإطار الزماني لأطول فترة ممكنة تؤدي إلى حصر جميع المعلومات البحرية والنشاط الملاحي للمغرب الأوسط، مع عدم تطرقنا إلى التجارة وأهم الصادرات والواردات نظرا لأنه موضوع مطروق ومدروس بتوسع.

ولأن غرضي من الموضوع **تحقيق أهداف** هي:

-القيام بدراسة تعنى بالجانب البحري للمغرب الأوسط فقط خلال مختلف دوله في الفترة الوسيطة.

-ربط بحرية المغرب الأوسط خلال التاريخ القديم بالتاريخ الوسيط ثم التاريخ الحديث.

-الرد على معتبري أن بحرية المغرب الأوسط ظهرت إبان الفترة العثمانية.

وتأتي هذه المساهمة في دراسة البنية التحتية البحرية للمغرب الأوسط وربطها بجذورها التاريخية، ومستقبلها خلال الفترة الحديثة والمعاصرة، والتعريف ببعض ملامح المدينة الساحلية، وتقديم صورة واضحة عنها ونزع الضبابية وملامح الضعف في النشاط البحري، و هي تجعلنا نتبنى مقاربة أخرى عن النشاط البحري للمغرب الأوسط، من خلال تحويل النص الأدبي الجغرافي إلى خرائط واضحة مفسرة لحالة المسالك والمواصلات وتأثيرها المباشر و غير المباشر على التجارة.

أسباب اختيار الموضوع:

إن الجغرافيين لم يعطوا المدن البحرية والمراسي حقها من خلال ذكرها متفرقة و باختصار شديد، كما اكتفى المؤرخون القدامى بالإشارات البحرية الحربية، جريا على عاداتهم في الاهتمام بالحروب، وهم لايكادون يتحدثون عن الملاحة أو المناطق الساحلية، المدنية أو المخصصة للتجارة والأسفار، وتلك أحد مآخذنا الكبرى عليهم، وفي نفس الوقت أحد دوافعنا الأساسية لاختيار الموضوع، إضافة إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية.

الأسباب الذاتية:

لقد جذب انتباهي خلال مساري التدرجي البحثي الاهتمام الكبير الذي يولى للبحرية الجزائرية خلال العهد العثماني وبأنه عصرها الذهبي وأنها سيطرت على مياه البحر المتوسط وكانت أغلب القوى العظمى تدفع إتاوات للعبور في مياهه؛ مما أثار في ذهني عدة تساؤلات منها: هل ولدت البحرية الجزائرية قوية في العهد العثماني؟ أو ظهرت كقوة بمحض الصدفة؟ أم أن العثمانيين الأتراك هم من أدخلوا الملاحة والبحرية إلى الجزائر؟.

ولم تكن قناعتي يشوبها شك بأن هناك حلقة مفقودة في تاريخ البحرية الجزائرية وهي البحرية الإسلامية خلال العصر الوسيط.

وهذا ما دفعني للرجوع إلى الوراء للبحث في الجذور التاريخية للبحرية في الجزائر.

الأسباب الموضوعية:

رغم وجود تراث نصي جغرافي وأدبي وتاريخي عن المدن الساحلية ومراسيها وموانئها إلا أنها تبقى مبعثرة بين دفاتها، وغير منظمة في إطارها المنهجي حتى تصبح مادة دسمة كافية لتوضيح رؤى مهمة عن الجانب الملاحي في سواحل المغرب الأوسط، مما جعلنا نهتم بذلك.

ما زالت الدوافع والأسباب الكامنة وراء توقف أغلب موانئ المغرب الأوسط عن النشاط خلال بداية العصر الوسيط رغم نشاطها الكبير في العصور القديمة غامضة وغير مفهومة، ولماذا هذا التحول المفاجئ لمنطقة اشتهرت بساحلها وموانئها سواء خلال العهد النوميدي بل حتى خلال فترة الاحتلال الروماني و الوندالي والبيزنطي، وتحولها من منطقة بحرية بامتياز إلى منطقة داخلية تعتمد بشكل محتشم على الجانب البحري.

مما جعلنا نقتحم وندرس الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، ببعدها القاري والفضاء البحري، من خلال كشف المسالك والطرق البرية، ونسج شبكة العلاقات التجارية والعسكرية، من خلال نظرة ايجابية أو سلبية عن البحر"القرصنة".

إشكالية الموضوع:

لم يوجه الباحثون الجزائريون عنايتهم بما فيه الكفاية للبحر وعلاقته بهم ؛ ربما لأن العائق الأساسي يكمن في ندرة المادة العلمية حول موضوع" البحر والبحرية" في مصادر تاريخ المغرب الأوسط التي" أدارت ظهرها للبحر " على حد تعبير بعضهم.

إن ما يثير الدهشة والتساؤلات للعديد من المؤرخين على مختلف مشاربهم ومدارسهم، ولعل في بعض هذه التساؤلات- إن لم يكن في كلها - ما يبررها؛ كون هذا التحول المفاجئ جاء مع مجيء الإسلام والفتح العربي لشمال إفريقيا ليترسخ مع النزعة النحلية المذهبية الإباضية التي تقوقعت على نفسها داخليا بعيدا عن الساحل خوفا من هجمات محتملة للعباسيين.

كيف استطاع المغرب الأوسط فيما بعد بدءا من عهد الحماديين الثاني–العاصمة بجاية– وصولا إلى العهد الزياني من استرجاع مكانته البحرية لسواحله وموانئه، ليتحول خلال العهد العثماني إلى قوة كبيرة لا تقهر؟.

هل تأثرت النظرة المغربية عامة والمغرب أوسطية خاصة بما يجري في أوربا من نهضة حديثة لامست مختلف جوانب الحياة فيها، والتي جاء من رحمها حركة الكشوف الجغرافية الكبرى، أم تأثرت بالنظرة الجديدة للإسلام الذي يدعو لاستغلال كل الوسائل البرية والبحرية للدفاع عنه ونشره؟ والتي وفر لها الإسلام كل أسباب النجاح، حيث شكل التوجه البحري للمغرب الأوسط في نهايته منعطفًا تاريخياً، انعكست آثاره إيجاباً على مجمل أوضاع الحياة الحيوية للغرب عامة، اقتصاديا واجتماعيا وبالتالي على التجارة والمواصلات.

ومن هنا تنطلق هذه الدراسة من إشكالية هامة وهي:

هل كان توجه المغرب الأوسط نحو البحر مطلباً داخلياً ذا علاقة ارتباطية بحجم المبادلات ورغبة محلية؟ أم أنه خيار فرضته تداعيات البيئة الإقليمية والظروف التاريخية السياسية؟

وهنا لابد من طرح تساؤلات حول ماهية الأسباب والدوافع، التي جعلت المغرب الأوسط يولي وجهه شطر البر؟، في الوقت الذي بدأت البحرية الإسلامية تبرز رغم ما يمتلكه من خلفية تاريخية بحرية خلال العهود القديمة السابقة للإسلام.

لماذا لم يعرف البحر سبيله إلى تاريخنا وتراثنا إلا باحتشام؟ وهل استفاد المغرب الوسيط من التراث البحري للمغرب القديم؟

هل توفرت لديه أرضية ومقومات مناسبة للنشاط البحري بشقيه التجاري والعسكري من خلال امتلاكه للمراسي والموانئ؟

كيف ساهمت النقلة النوعية الكبرى لعاصمة الحماديين من مدينة داخلية قريبة من الصحراء-قلعة بني حماد- إلى مدينة ساحلية بحرية- الناصرية بجاية - في إعادة بعث ثقافة البحر في نفوس سكان المغرب الأوسط وما تبعه من انعكاسات اقتصادية وتاريخية واجتماعية.

لماذا ازدهرت مدن ساحلية على حساب مدن أخرى؟ ولماذا واصلت نشاطها السائد في الفترة القديمة؟ واختفى البعض منها؟ لماذا تغير اسم المدن الساحلية ونشاطها أو ما يعرف بإشكالية التواصل الطبونومي"الموقعي"؟

كيف ساهمت نظرة الجغرافيين في ضبط وتدقيق الخريطة الساحلية للمغرب الأوسط؟

هل انفتح المغرب الأوسط بشكل أكبر على دول حوض البحر المتوسط خلال الفترة الوسيطة؟ وإلى أي حد أسهم في الحلقة المتوسطية؟ وكيف فتح أبوابه للجاليات الأوروبية للاستثمار والتجارة؟

ما هي أهم المؤسسات البحرية التي أقامها المغرب الأوسط لإنجاح سياسة توجهه نحو البحر؟

وتأسيسا على ماسبق فقد **قسمنا الموضوع** إلى هيكل مبني على أساس المنظور الكرونولوجي لتطور نظرة الجغرافيين والرحالة، وربطها بأحداث الفترة الإسلامية، أي أنني ارتأيت تقديم مختلف التفاعلات المحتملة مع الواجهة البحرية، لذلك كان لا بد من البدء **بفصل تمهيدي** تحت عنوان الخلفية التاريخية والجغرافية لبحرية المغرب الأوسط، نوضح فيه نظرة المغاربة إلى البحر وكذا تناول جغرافية الشريط الساحلي للمغرب الأوسط، ومعالجة الخلل الحاصل بين فترة الوندال وقدوم الفتح الإسلامي.

أما **الفصل الأول** الذي وسمته بالمجال الساحلي للمغرب الأوسط، من خلال كتب التاريخ والجغرافيا الإقليمية(ق2-5هـ/8-11م)، فقد قسمته إلى ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول رؤية الاستغرافيا التاريخية الأولى لساحل المغرب الأوسط، والمبحث الثاني شرحت فيه حال الساحل البحري للمغرب الأوسط، ومبحث ثاني شرحت فيه حال الساحل البحري للمغرب الأوسط من خلال الجغرافيين الأوائل(ق3هـ-4هـ/9-10م)، وخصصت المبحث الثالث كله لنظرة البكري باعتباره أكثر من وصف وذكر سواحل المغرب الأوسط وموانئه.

وتناولت في **الفصل الثاني** تطور الأنشطة التجارية وازدهار الواجهة البحرية من خلال نظرة الجغرافيين والرحالة نحو الساحل خلال القرنين(6-7هـ/12-13م)، في أربعة مباحث خصصت الأول للتفاعل الجيوسياسي والمذهبي وأثره على بحرية المغرب الأوسط، من خلال إبراز أثر الصراع السياسي في بحرية البلاد أما المبحث الثاني فعنونته الموانئ والطرق التجارية البحرية عند الزهري والإدريسي، ووسمت المبحث الثالث بالمكانة البحرية لسواحل المغرب الأوسط من خلال نظرة الرحالة والجغرافيين بين(6-7هـ/12-13م)، مع إضافة مبحث رابع تحت عنوان الصيد البحري في المغرب الأوسط من خلال كتب الجغرافيا والرحلات.

وخصصت **الفصل الثالث** للواجهة البحرية للمغرب الأوسط وانعكاسها على الطرق التجارية، من خلال كتب الجغرافيا ورحلات المتأخرين خلال القرون(8-10 هـ/14-16م)، درست فيه ثلاثة مباحث الأول عنونته ساحل المغرب الأوسط حسب نظرة جغرافيي القرن(8-10هـ/14-16م)، ودرست في الثاني حركية ملاحة المغرب الأوسط من خلال كتب الرحلات، بإبراز أهم المدن الساحلية والحرية من خلال هؤلاء الرحالة، وحاولت أن أقف في المبحث الثالث عند الحضور البحري وأهم المسالك في المغرب الأوسط من خلال كتب المناقب والتراجم والأدب.

وأثرت في **الفصل الرابع** نشاط التجارة البحرية من خلال النصوص(الفقهية، والجنيزية، والوثائق اللاتينية)، وكان هدفي هو تسليط الضوء على دور أهل الذمة في تجارة المغرب الأوسط البحرية خلال المبحث الأول، وفي المبحث الثاني سعيت إلى إبراز سيطرة التجار الأوروبيين على تجارة المغرب البحرية، أما المبحث الثالث فناقشت فيه جدلية القرصنة والجهاد البحري بين الممارسة وردود الفعل، أضفت مبحثا رابعا رأيته ضروريا وهو المؤسسات البحرية والتجارية في المغرب الأوسط الوظائف والخدمات.

وذيلت البحث بخاتمة حوت أهم النتائج التي توصلت إليها، وكذا جداول و معاهدات توضيحية كملاحق لهذه الأطروحة.

كما أن هناك توجهاً لتجديد البحث التاريخي من حيث إدخال واستغلال عدة مناهج، أو ما يسمى استحضار المناهج الرئيسية في مختلف فروع البحث العلمي واستخدامها في البحث التاريخي كمناهج مساعدة أو أدوات تساعد الباحث في ضبط موضوعه وتحديده بأكثر احترافية ودقة، وبناءً على ذلك درسنا **الموضوع وفق منهج** شامل فرضه تعدد التساؤلات، مما اقتضى الانفتاح على مقاربات منهجية متعددة، تنهل من المنهج المقارن، والمنهج الوصفي، فضلا عن توظيف مفاهيم المنهج الاستقصائي السردي، إلى جانب اعتماد قواعد تقنية مستعارة من علوم مساعدة كعلم الإحصاء الكمي.

وأول المناهج باعتبارنا باحثين في التاريخ، نرى بأنه **المنهج السردي،** الذي يعتمد على ذكر الأحداث التاريخية وترتيبها وفق منظورها الكرونولوجي، وتفاعلها السياسي الجغرافي، من خلال توظيفنا له في الفصول الأربعة.

و المنهج الوصفي، والذي لامناص من استعماله في هذا النوع من البحوث، قصد جمع المعلومات وعرضها بدقة؛ إذ أنه يهتم بتوضيح الواقع الذي تدور فيه الأحداث و المواقف، ومحاولة وصف ذلك الواقع وفقا لحقائقه الحاضرة بموضوعية، ويمكن الذهاب إلى أبعد من الوصف إلى التفسير والتحليل بقصد التوصل إلى استنتاجات تفيد عملية تصحيح الواقع، أو التوصل إلى معلومات ومعارف جديدة تخدم المجال المعرفي الذي يجري فيه.

ويستهدف الوصف في هذه الدراسة تحقيق عدد من الأهداف، متمثلة في جمع المعلومات والبيانات الدقيقة عن جغرافية الموانئ والمراسي و الجانب الجيولوجي وحتى التكوين الطبقي لمختلف محطات الساحل البحري للمغرب الأوسط.

مع وصف العوامل المؤثرة في تطور أو تراجع النشاط البحري للمغرب الأوسط، وأهم العلاقات والمعاهدات التجارية، وكذا المؤسسات البحرية واكتشاف العلاقة بين هذه المتغيرات.

إضافة إلى **المنهج الإحصائي** الذي أصبح توظيفه في الدراسات التاريخية بمثابة ثورة جديدة في فهم التاريخ، وبالتالي حاولت الاستثمار في الأرقام المتناثرة في المصادر والمراجع لأكوّن صورة واضحة عن الواقع الاقتصادي لفترة مليئة بالإحصائيات، فلا يمكن دراسة الرحلات البحرية وعدد الموانئ والعلاقات التجارية ومختلف التعاملات بعيدا عن استعمال هذا المنهج الذي أصبح من صلب البحث التاريخي.

كما حاولنا اعتماد المقاربة الطوبونيمية في الحقل التاريخي لمساعدتنا على ضبط أسماء الأعلام الجغرافية والقبلية المتصلة بها، وتغير تلك الأسماء وتحورها وذلك انطلاقا من مراجعة ما ورد منها في المادة المصدرية.

الدراسات السابقة:

لقد تطلب هذا العمل الرجوع إلى الدراسات السابقة التي كانت في مجملها تنحى منحى الدراسات التاريخية أو الحضارية، ومنها ما اقتصر على جانب من الجوانب الحياة الاقتصادية للمغرب بصفة عامة دون التخصص في المغرب الأوسط، ومنها ما اقتصر على فترة قصيرة من دول المغرب الأوسط كالدولة الحمادية أو الموحدية، ومنها ما كان عاماً كتاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس لأحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم.

وتكمن ايجابية الرجوع إلى الدراسات السابقة في محاولة الاستفادة من أكبر عدد ممكن من المصادر والمراجع التي تساعد على تكوين فكرة واضحة عن التوجه البحري للمغرب الأوسط.

ومن الكتب والدراسات التي سلطت الضوء على بحرية **المغرب الأوسط** نجد رسالة الماجستير للباحث التونسي الأسعد شوشان المعنونة بـ"الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، دراسة تاريخية أثرية"، وقد أفادتني في أغلب عناصر الموضوع حيث ركز على الجانب الأثري.

وكذا رسالة الماجستير في التاريخ الوسيط عن جامعة الجزائر سنة2000-2001، المعنونة بالجيش في العهد الحمادي للطالب موسى هيصام حيث خصص فصلاً كاملاً للأسطول، لكنه يستشهد بمصادر تتعدى الفترة الحمادية كالحميري مما يجعله مرجعا عاما لا يخص فقط الفترة الحمادية.

إضافة إلى دراسات تخص البحرية في الغرب الإسلامي **بصفة عامة** كدراسة الباحث محمد عناوي المعنوان بـ"النشاط البحري في الأندلس عصر الإمارة الأموية، رسالة دبلوم الدراسات العليا في التاريخ عن جامعة ظهر المهراز فاس،1987، والذي ناقش علاقة البحرية الأموية بالدولة الفاطمية وبلاد المغرب، لكنها لم تفدني إلا بالقليل كذكره لبعض السفن والمراكب التي ترسو في موانئ المغرب الأوسط.

كما درس عدلي محمد علي صالح الهناندة في رسالته للماجستير"أوضاع الأسطول الإسلامي في المغرب خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين" والصادرة عن جامعة اليرموك، 1998؛ وكانت دراسة عامة لأحوال بحرية بلاد المغرب ولم يركز على المغرب الأوسط بل ذكره عابرا فقط؛ إضافة إلى دراسة الطاهر قدوري، المعنونة بـ"النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي"، وهي أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط عن جامعة وجدة، سنة2003-2004، وقد أفادتني في الفكرة العامة للموضوع وهيكلته لكنه أهمل المغرب الأوسط وركز على المغرب الأقصى؛ ودراسة توفيق مزاري المعنونة بالنشاط البحري بالمغرب الإسلامي في عهدي الموحدين والمرابطين، والتي طبعت عام2011م، وهي دراسة تكاد تكون مطابقة لما ذكر سابقا.

أما رسالة خالد السرتي المعنونة بـ"المسلمون والبحر مساهمة في دراسة السياسات والتنظيمات البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط خلال العصور الوسطى" وهي أطروحة دكتوراه عن جامعة الحسن الثاني المحمدية،

بنمسيك الدار البيضاء، سنة 2011-2012، والتي أفادتني في نظرة المسلمين للبحر في بدايتهم وكذا الصراع الإسلامي البيزنطي، ورغم ذلك كانت هذه الرسالة عامة تتناول البحر المتوسط بأكمله شرقه وغربه شماله وجنوبه أما موضوعي فهو محدد بالمغرب الأوسط وفقط.

ودراسة مهمة أيضا للباحث مصطفى نشاط عن"جنوة وبلاد المغرب"، وهي في الأصل رسالة دكتوراه، وقد تناول بالتفصيل علاقة جنوة ببلاد المغرب تجاريا وعسكريا واقتبست منها ماله علاقة بالمغرب الأوسط.

ورسالة رشيد باقة الموسومة بـ"نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي" وهي أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الوسيط عن جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، سنة2007-2008، وقد ركز على نشاط جنوة في كل من سبتة وتونس وبجاية، وأفادتني هذه الأخيرة.
ودراسة أخرى لكريستوف بيكارد Christophe Picard في كتابه المعنون بالبحر والمسلمون

Christophe .Picard; La mer et les musulmans d' Occident au Moyne Age (VIIIe – XIIIe siècle), Paris, P.u.f , 1997.

ونفس الملاحظات تنسحب على أبحاث إبراهيم العدوي، في كتابه الإسلام والبحر المتوسط، والمؤرخ حسين مؤنس من خلال دراسته تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، ووفيق بركات، في كتابه فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، وهي كلها دراسات تناولت النشاط البحري الإسلامي بصفة عامة دون التطرق إلى المغرب الأوسط إلا نادرا.

والدراسات التي سلطت على رسائل جنيزة القاهرة منذ اكتشافها وفي طليعة هؤلاء الباحثين "س.د.جويتين"الذي نشر على مدار ثلاثين عاما العديد من البحوث والدراسات الدورية والمجلات العلمية، وتوج دراساته بأن أصدر في السنوات الأخيرة أربعة مجلدات ضخمة من الدراسات عن هذه الوثائق بعنوان" مجتمع البحر المتوسط- الجماعات اليهودية في العالم العربي، كما تصورها وثائق جنيزة القاهرة"

Goitein. Shelomo .D; Mediterranean Society,The Jewish communities of the Arab world as portrayed in the Documents of the Cairo Geniza, University of California Press, 1967.

وقد أفادتني في دور أهل الذمة في تجارة وبحرية المغرب الأوسط.

ودراسة مهمة عن المبادلات التجارية بين يهود مرسيليا ويهود المغرب الإسلامي خلال القرن7هـ/ 13م والتي نشرها الباحث" بلنكرد"

Blancard .L ; Documents le Commerce au moyen Age, press-marseille, 1884-1885.

وبعض الدراسات الحديثة: خاصة منها الأجنبية حيث أفادني شارل إيمانويل ديفورك كثيرا حول التجارة البحرية الزيانية من خلال كتابه:

Dufourcq. Ch; L'espagne Catalane et le Maghrib, aux XIII et XIV Siecles, Pars, 1966.

حيث جمع عدداً هائلاً من الوثائق والمخطوطات المحفوظة في الأرشيفات الاسبانية في كل من برشلونة ومارورقة وبالما.

أما بخصوص التجارة البحرية في بجاية فقد أفادني فاليرين في كتابه بجاية ميناء مغاربي:

Dominique .Valerian; Bougie port Maghrébin.

والذي ترجمه مؤخرا الدكتور علاوة عمارة

إضافة إل بعض الندوات في الجزائر أو خارجها في دول وبلدان المغرب كندوة البحر في تاريخ المغرب في جامعة الحسن الثاني المحمدية، سنة 1996؛ وندوة الماء في تاريخ المغرب بجامعة الحسن الثاني عين الشق، سنة 1999؛ وملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، بجامعة الجزائر2009؛ وندوة المدن والمراسي في تاريخ المغرب، الدار البيضاء، سنة 2010.

وندوة "المدن الساحلية المغاربية و دورها التاريخي".

Le rôle des villes littorales du Maghreb dans l'histoire, RM2E –Revue de la Méditerranée éditionélectronique.2016.

صعوبات الدراسة:

لقد قابلتني صعوبات بالغة أثناء دراسة هذا الموضوع، لعل أهمها هو قصور المصادر التقليدية وتركيزها على الوقائع التاريخية، وهذا لم يساعدنا على دراسة نشاط المراسي وبحرية المغرب الأوسط بالشكل الكافي، لأن المؤرخين اكتفوا بتقديم لوحة مهمة عن البحرية الحربية، جريا على عادتهم في الاهتمام بالجانب العسكري، وهم لا يكادون يتحدثون عن الملاحة المدنية المخصصة للتجارة والأسفار.

كما أن محاولة كتابة التاريخ البحري للمغرب الأوسط تصطدم بالعديد من العراقيل والصعوبات لعل أبرزها غياب أرشيف بحري وطني يضم الوثائق ذات العلاقة بالنشاط البحري للفترة الوسيطة.

ويمكن تقسيم صعوبات البحث في عدة نقاط منها الصعوبة الأولى في هذه الدراسة في طبيعة موضوعها، والذي يعد موضوعا صعبا وقليل المعلومات، إضافة إلى اتساع الفترة الزمنية للبحث، بسبب ترابط المعلومات.

وتتمثل الصعوبة الثانية، في قلة المصادر التي تتناول موضوع الدراسة بكل أبعادها وأطوارها، وندرة المراجع التي تتناول أسباب التوجه البحري لدولة ما أو تراجعها، باستثناء بعض الإشارات الواردة هنا وهناك، فهي مجرد محاولات استنتاجية اجتهادية من الباحث.

أما الصعوبة الثالثة، فتمثلت في كون أغلب المراجع المستخدمة في الدراسة، كانت باللغات الأجنبية، الأمر الذي استدعى تخصيص وقت كبير لعملية الترجمة، والتي اصطدمت في الكثير من الأحيان بصعوبة إيجاد المصطلحات والألفاظ العلمية المناسبة لتلك التي تظهر في النصوص الأصلية، حيث كانت العملية تستدعي الاستعانة بمتخصصين في الترجمة، وهو ما تعذر وجوده.

أما الصعوبة الرابعة فهي الانتقال من دولة لأخرى يتطلب استحضار مصادرها – باستثناء كتب الجغرافيا والرحلات- ومراجعها والدراسات التي كتبت عنها مما جعل البحث شاقاً ومضنياً.

والصعوبة الخامسة وهي توزع المغرب الأوسط ومدنه الساحلية على عدة دول خلال الحقبة التاريخية الواحدة فتارة نجد بجاية تميل إلى المغرب الأدنى ومعها مجموعة من مدن الشرق، وتارة نجد تلمسان تنحاز إلى دول المغرب الأقصى ومعها مجموعة من مدن الجهة الغربية، مما صعب مهمة البحث.

فالحدود الجغرافية لساحل المغرب الأوسط، تتغير من فترة لأخرى من حيث التبعية السياسية لسلطات مركزة مختلفة"تمدد وانكماش"، مما دفعنا إلى دراسة الموضوع وفق نظرة جغرافية معاصرة من حيث اتخاذ الحدود الحالية للجزائر كمرجعية جغرافية للمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، فلا يحق لنا عدم دراسة بونة أو مرسى الخرز بحجة تبعيتهم للدولة الأغلبية، أو عدم دراسة مراسي الغرب بحجة تبعيتهم للدولة المرابطية، مما يصعب عملية دراسة خصوصيات كل الموانئ والمراسي وتطورها التاريخي بعيدا عن السلطات الحاكمة في تلك الفترة.

الصعوبة السادسة: وهي إشكالية اعتماد آراء وأقوال الجغرافيين، لتشكيل رؤية واضحة وموحدة عن سواحل المغرب الأوسط رغم عدم معايشتهم للمنطقة ولجوئهم في أغلب الأحيان إلى النقل عن المصادر السابقة، مما يصعب علينا أخذ فكرة ملمة عن أوضاعها.

وفي الأخير أذكر مقولة الأصفهاني حين قال معترفا بأنه عمل بشري:" إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه إلا قال في غده لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد لكان يُستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر"[1].

وكما قال ابن عذارى" فإن كنت اقتصرت فيما اختصرت، فعذرا فيما ظهر من تقصير، وباع قصير، فإن الذهن كليل، والقلب شغيل"[2].

هذا هو جهد المقل والذي حرصت مع مشرفي الأستاذ الدكتور مسعود مزهودي، أن يخرج على أكمل صورة وأتمها، ولكن الكمال لله وحده، وطبيعة البشر الزلل والنقصان، فما كان في هذه الدراسة من توفيق فهو من جليل نعم الله علي، والتي أرجو منه العون على شكرها، وما كان فيها من زلل فمن النفس والشيطان، وأرجو من الله العلي القدير أن يتقبل عملي وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

---

1) مرتضى الزبيدي: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1989م، ج1، ص4.

2) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان، و ليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج1، ص5.

دراسة للمصادر والمراجع:

أولا: الآثار

إن البحث الاركيولوجي البحري متقدم في أوروبا منذ سنوات والذي انصب على البحث في هياكل السفن الغارقة ومعرفة تقنياتها وتطورها ونشاطاتها، إضافة إلى دراسة الموانئ والمرافئ. وتعتبر الآثار من أهم المصادر المساعدة لمعرفة التاريخ لأنها تنطق بالحقيقة دون تحريف أو تزييف أو إدخال للذاتية، خاصة آثار الموانئ والأسوار ومختلف الدراسات الأثرية، وبما أني لست مختصا في الآثار إلا أنني استعنت بكتب الآثار كالأطلس الأثري للجزائر و الذي قام بها الباحث ستيفان قزال Stéphan Gsell أيام فترة الاحتلال الفرنسي في الفترة الممتدة ما بين 1908 و1911م ، والذي أفادني في تحديد موضع العديد من المراسي خاصة القديمة والتي تلاشت، رغم الاكتشافات الجديدة سواء بالصدفة أو عن طريق أعمال التنقيب، والتي صححت بعض معلوماته خاصة الموجهة بنزعة استعمارية والتي تهتم بالتراث الروماني والبيزنطي فقط.

إضافة إلى رسائل الماجستير والدكتوراه من المختصين في الآثار ساعدتني كثيرا خاصة ما تعلق منها بالموانئ والأسواق على غرار رسالة" أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني" للطالبة زهية بن كردرة، ورسالة مشروع مخطط وقائي لأبراج المراقبة بساحل تلمسان، لجواد خالدي، عن جامعة أبو بكر بلقايد بتلمسان، 2014-2015 ورسالة فنادق مدينة تلمسان الزيانية لعمر بلوط، والذي طبع كتاب.

ثانيا: الوثائق الأرشيفية

هي من أوثق المصادر التاريخية لأنها تحمل مادة حية نشطة، فكانت الدولة تصدرها أو تتم بين التجار والأشخاص، وكانت تحمل أسماء عدة من عهد لأخر، منها التوقيعات، كتب عهود، مواثيق، مناشير، أوراق الدواوين، سجلات، مراسلات، عقود، أوراق دين.

والوثائق الأرشيفية قليلة بالنسبة للفترة الوسيطة باستثناء مصر"وثائق الجنيزة"، وربما يعود ذلك إلى غياب استمرارية الدولة في المحافظة على الأرشيف.

فبالنسبة لوثائق الجنيزة وهي وثائق ومخطوطات مخبأة عثر عليها في سيناجور"معبد اليهود" بالفسطاط، وفي مقبرة البساتين القريبة من القاهرة، في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وسرعان ما استحوذت عليها المكتبات الأوروبية والأمريكية، وبخاصة جامعة كمبرج في انجلترا، وقد اكتفى معظم هذه المخطوطات في غرفة للتخزين ملحقة

بكيس، كما عثر على القليل منها في مقبرة البساتين القريبة من المدينة القديمة، ويبلغ عدد القطع الكاملة من رسائل الجنيزة المحتفظ بها حوالي عشرة آلاف قطعة، وأما عدد الأوراق فيصل ربع مليون ورقة[1].

إن معظم رسائل الجنيزة مكتوب باللغة العربية بحروف عبرية، ويذهب الباحثون إلى القول بأن الاحتفاظ بها كان لاعتقاد اليهود بأن الكتابات بحروف عبرية، والتي قد تشتمل على ذكر اسم الله عز وجل، يجب أن لا تحرق أو تمزق بل يجب الاحتفاظ بها ثم دفنها، ومن هنا جاءت كلمة جنيزة العبرية المشتقة من الكلمة الفارسية الأصل"جنك"بمعنى خزانة، وفي العصور الوسطى أطلقت كلمة جنيزة على تلك الحجرة التي كان اليهود يخزنون فيها أوراقهم الخاصة[2]، شانها شأن كلمة جنازة بالعربية، بمعنى دفينة[3].

أغلب مادة جنيزة القاهرة ترجع للعهدين الفاطمي والأيوبي، أي الفترة من منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، إلى منتصف القرن السابع عشر، وهي رسائل متبادلة بين التجار اليهود الذين نزحوا عن إفريقية والمغرب الأوسط، وتعد مصدرا رئيسيا للتجارة والصناعة والملاحة ونقل البضائع برا وبحرا، حيث تعنى الوثائق بأخبار أسعار السلع ونوعها وكميتها وبحركة القوافل والمراكب وأسفار التجار، كما تشمل فتاوى وعقود تمليك وكشوف وحسابات.

إضافة إلى وثائق وعقود ومراسلات بقيت سواء احتفظت بها أرشيفات الدول الأوروبية، أم نسخت في كتب الأدب والأخبار والإنشاء على شكل رسائل، ومنها ما نشره ليفي بروفنسال وأحمد عزاوي من وثائق موحدية، أو التي نشرها ماكس ميليانو ألركون إستون Maximiliano Alarcon y Santon ورامون جارسيا دو ليناراسRamon Garcia de Linares وميشال أماري Michelle Amari و دو ماس لا تري Mas latri De المحفوظة بأرشيفات برشلونة وجنوة وبيزة.

---

1) عن جنيزة القاهرة أنظر: مادة Genizaبقلم س، د، جويتين، S.D.Goitein في دائرة المعارف الإسلامية، ط2، باللغة الانجليزية، المجلد الثاني، ليدن، لندن، 1965، ص987-989.

2) حسين محمد ربيع: وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي لموانئ اليمن والحجاز في العصور الوسطى، مصادر تاريخ الجزيرة العربية، الرياض، 1979، ط2، ص132.

3) كتبت بالعربية وبحروف عبرية ربما للحيلولة دون اطلاع الآخرين وبخاصة التجار المسلمين على ما في الرسائل من أخبار السلع و أثمانها، فضلا عن تضليل السلطات وأصحاب الأخبار الذين قد يحسبونها كتابات دينية لا تعنيهم . **أنظر أمين توفيق الطيبي: جوانب من النشاط الاقتصادي في المغرب خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، من خلال رسائل "جنيزة القاهرة" ضمن دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، ج2، دار الكتاب العربي، 1997، ص126–129.**

ولم يعد خافيا أهمية العمل الذي قام به De Mas latri والمتمثل في نشر مجموعة هامة من الوثائق اللاتينية التي تخص العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط[1]،تناول فيه الوثائق الخاصة بعلاقات المسيحيين في جنوب غرب أوروبا بالمسلمين في بلاد المغرب، منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، وضمن معلومات غزيرة عن المبادلات التجارية بين المسيحيين والمسلمين، أنارت الكثير من النقاط المظلمة.

وأيضا عمل شارل ديفوركDufourca. Ch، الذي تخصص في العلاقات الارغونية مع بلاد المغرب، حيث أبرز العلاقات الاقتصادية والسياسية بينها وبين تلمسان في مؤلفه T'Espagne Catalane et le Maghreb aux XIII et XIV Siècles إذ درس الرحلات البحرية وأنواع السفن وحمولاتها وتوقفها في موانئ المغرب الأوسط، وفنادقهم.

ودراسة الأستاذ عطاء الله دهينة Dhina Atallah المعنونة ب Les Etats de l'Occident Musulman aux XIII , XIV Siècles حيث تناول نصوص ومعاهداتٍ التبادل التجاري بين إمارات المغرب الإسلامي والعالم المسيحي في جنوب أوروبا، بما فيهم اليهود.

ثالثا:كتب الملاحة

وهي قليلة جدا منها كتاب أكرية السفن لأبي القاسم خلف بن أبي فراس القروي(ت ق 4هـ/10م)، والذي تكمن أهميته في كونه متخصصا في النشاط البحري وما يرتبط به، وهو من بلاد المغرب، ولا يخفى مدى ما تعانيه الأبحاث في هذا الصدد من شح المعلومات، وهذا الكتاب يغطي القرون الأربعة الهجرية الأولى، حيث بذل صاحبه أبو القاسم القروي مجهودا كبيرا في جمع أقوال الأئمة الكبار والتي تهم نشاط الملاحة البحرية، وإخراجها في قالب سهل ومبوب.

ويزودنا الكتاب بمعلومات عن وصفه للمراكب وطريقة شحنها وهي إشارات قلما نجدها في الكتب الأخرى، بيد أن المؤلف أهمل ذكر أنواع المراكب السائدة وبقي وصفه محصورا بين السفينة والمركب، كما أن كلامه لا يخص المغرب الأوسط بل هو كلام عام.

إضافة إلى"كتاب البحرية "لبيري رايس"و اسمه الأصلي"بيري محيي الدين" بحار وجغرافي وأميرال تركي مسلم(870-962هـ/1465- 1554م)رغم أنه تناول الفترة المتأخرة من العصور الوسطى إلا أنه خصص لسواحل المغرب الأوسط فصولا مهمة من كتابه، كما رسم خرائط في غاية الأهمية لتلك السواحل عام919هـ/1513م وقام برسم خريطة العالم مستفيدًا من رحلاته العديدة في البحار، وقدمها هدية

1) Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au moyen age, Paris, 1866-1875.

للسلطان العثماني"سليم الأول ت927هـ/1520م"، مبينا فيها الجزر والخلجان والحصون والقلاع والأبراج والوديان وآبار المياه.

ورغم كون الكتاب يخص الفترة الحديثة بصفة أدق إلا أنه يرجع إلى الجذور القديمة للمدن والموانئ وخاصة خلال الفترة الوسيطة كما تتجلى أهمية"كتاب البحرية" لبيري رايس"في معاينته بنفسه جميع السواحل التي تحدث عنها ورسم خرائطها، كما اعتمد على مصادر أصحبت اليوم في حكم المفقودة.

رابعا: كتب الجغرافيا

وعموما تطلبت هذه الدراسة الرجوع إلى مصادر ومراجع كثيرة ومتنوعة، ولعل أبرز المصادر التي استندنا إليها وفي مقدمتها كتب الرحلات والجغرافيا، حيث تنوعت وكثرت المصادر الجغرافية التي تحدثت عن سواحل المغرب الأوسط وما حملته من نشاطات بحرية، رغم تفاوتها وتباينها في الزخم المعلوماتي، ومن أهم كتب الجغرافيا التي اعتمدت عليها خلال الفترة القرن2-5هـ/8-11م كابن خرداذبة و اليعقوبي، و ابن رسته، وابن الفقيه الهمذاني، المقدسي و وابن حوقل والبكري.

ويعد هذا الأخير أغنى المصادر الجغرافية وأكثرها مادة غزيرة حول موانئ وساحل المغرب الأوسط رغم أنه لم يزره وكتب كتابه سنة461هـ/1068م.

وجاء بعد البكري عدة جغرافيين منهم الحميري، و الاصطخري، و صاحب الاستبصار، والزهري، وابن سعيد المغربي، لكن كان الإدريسي أغناهم وأغزهم في المعلومات البحرية والمسالك.

إضافة إلى الجغرافيين المشارقة رغم أنهم لم يقدموا الإضافة اللازمة عن بلاد المغرب وعلى رأسهم أبو الفدا، وياقوت الحموي في معجمه وابن فضل الله العمري، حيث كتبوا انطلاقا من المعلومات الشفوية، والمصادر القديمة.

وعن الجغرافيين المتأخرين كالوزان في كتابه وصف افريقية حيث يقدم لنا صورة واضحة وكاملة لمدن المغرب الأوسط الساحلية منها كمدينة جزائر بني مزغنة التي زارها سنة921/ 1515م في رحلة بدأها من فاس إلى افريقية، حيث أبرز تفاصيل عمرانية تهم التجارة والأسواق والموانئ؛ وقد نقل عنه مارمول كاربخال جل معلوماته وأضاف نتفاً قليلة.

وغالبا ما تم استغلال النصوص الجغرافية للتعرف على النشاطات الاقتصادية للواجهة البحرية للمغرب الأوسط من خلال ما تقدمه لنا من مادة خامة دسمة حول مختلف التعاملات السائدة ومظاهر الحركة فيها، لكن يجب التعامل معها بحذر لأنها تنقل عن بعضها البعض مختلف الأوصاف دون مراعاة عامل الزمن من تطور أو زوال أو تغير، وهو ما يحجب عنا معرفة الواقع الحقيقي.

خامسا: نصوص الرحلات

لم نجد رحلات بأتم المعنى في القرون الهجرية الأولى، ولكن بدءا من القرن السادس الهجري، قام العديد من الرحالة بزيارة سواحل المغرب الأوسط ومنهم أبو المطرف أحمد بن عَميرة، والعبدري، وابن الحاج النميري، والبلوي، وابن بطوطة، وابن خلدون في رحلته؛ وعبد الباسط الملطي، والقلصادي، ابن رشيد السبتي في ملء العيبة، حيث أشاروا إلى العديد من مدن المغرب الأوسط المطلة على البحر المتوسط.

ورحلة الفقيه علي بن محمد الجزولي التمقروتي" النفحة المسكية في السفارة التركية" المتأخرة حيث عاش في آخر عهد الدولة الزيانية والدولة السعدية حيث أرسل إلى اسطنبول ومر بالمغرب الأوسط واصفا حال مدنه، خاصة البحرية منها وهران، دلس ،شرشال ،بجاية وبونة.

ولكن أغلب الرحلات لا تمدنا بمعلومات غزيرة لأنها كانت بهدف الحج أو السياحة، أو التنقل مع الجيش، أو كانت أدبية تتحدث عن الخوف من مخاطر البحر، والحالة النفسية لهم والجهود المبذولة لإنقاذ المركب.

سادسا: المصنفات التاريخية

تتضمن المصنفات التاريخية مادة مهمة جدا في تتبع الأحداث المتعلقة بالبحر المتوسط في تسلسلها الزمني من بداية الفتح إلى نهاية الدولة الزيانية مع تتبع السياسة البحرية وأهم المعارك ومشاركات الأسطول والصراع حول السيطرة على المدن الساحلية، ومنها الحولية كابن عذارى:البيان المغرب" وابن الأثير"الكامل في التاريخ"، وابن خلدون"العبر"، و"نهاية الأرب"للنويري والخاصة بالدول ك"المعجب لعبد الواحد المراكشي"، و"الأنيس المطرب لابن أبي زرع"، والفارسية لابن قنفذ، و بغية الرواد ليحي ابن خلدون وغيرها من المصنفات.

سابعا: كتب المناقب والتراجم

حظي رجال التصوف وأرباب الزوايا بشتى أصناف التجلة والتبجيل من قبل الحكام والمحكومين على حد سواء، لأجل ما اضطلعوا به من المهام الحيوية لصالح المجتمع والدولة، فألفت فيهم كتب أسهبت في ذكر مناقبهم وآثارهم وكراماتهم، وهي الكتب التي اصطلح عليها بكتب المناقب، فأي علاقة تجمع هذا النوع الأدبي بالتاريخ، وكيف استفدنا منها في موضوعنا؟

لقد استعنا بنصوص وضعت للمناقب، تتعلق بالمواقع والأماكن التي استقر فيها هؤلاء الرجال وكذا لمختلف رحلاتهم خاصة إلى الموانئ والمدن الساحلية، كما توجد هناك نصوص مناقبية تتحدث عن ممارستهم للصيد والاعتماد على النفس، وكذا إنشائهم للعديد من الرباطات والزوايا في المناطق الساحلية من أجل الخلوة والتعبد، إضافة إلى تنقلات بعضهم من أجل العلم والاستزادة أو الحج وبالتالي معرفة خط السير، مع التركيز على المناطق الساحلية.

من بينها كتاب عنوان الدراية للغبريني، والتشوف لابن الزيات، وكتاب ابن قنفذ أنس الفقير، البادسي في كتابه المقصد الشريف، وابن الأبار في كتابه التكملة، والمعجم في أصحاب القاضي الإمام على الصدفي، والشفشاوني محمد بن عسكر في كتابه دوحة الناشر، وابن الخطيب معيار الاختيار، والمقري التلمساني أزهار الرياض، وغيرها من كتب التراجم والمناقب التي استعنت فيها بتحديد هجرات العلماء وتنقلاتهم وبالتالي أهم المسالك البحرية.

ثامنا: كتب النوازل والحسبة والفقه

كما استفدت من كتب النوازل الفقهية ونصوصها التي تكلمت عن الفترات المدروسة بكثير من التفصيل من حيث نوع السلع وازدهار التجارة ورواجها أو تراجعها، بل حتى تناولت كراء السفن وغرقها أو فساد السلع، وتناولت حتى العهود والمواثيق، وخاصة فتاوى ابن رشد في البيان والتحصيل، وموسوعة المعيار المعرب للونشريسي، وموسوعة جامع الأحكام للبرزلي، وكتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة، أبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني وغيرها، حيث وردت فيهم معلومات قيمة عن السفن والتجارة والقروض والشراكة والنزاعات بين التجار حول ثمن الكراء و الغرق وحمولة السفينة ونقض العهود.

وعلى العموم تشكل هذه المصادر وحدة غير متجانسة لأنها ذات طبيعة مختلفة مما تطلب منا القيام بمقاربة جامعة لها من خلال صهرها في بوتقة واحدة، وفق مقاربة نقدية لتحديد القيمة العلمية لكل منها، مما أوجب علينا واجب التأقلم مع كل مصدر وفقا لطبيعته.

فصل تمهيدي

الخلفية التاريخية والجغرافية لبحرية المغرب الأوسط

1) التوجه البحري لنوميديا خلال العصر القديم.

2) الجغرافية الوسيطية للشريط الساحلي "خصائص ومميزات

3) من التراث البحري القديم إلى التراث الإسلامي"الفتح وعصر الولاة"

فصل تمهيدي: الخلفية التاريخية والجغرافية لبحرية المغرب الأوسط .

يمتد البحر الأبيض المتوسط من المحيط الأطلسي"البحر المحيط"غربا إلى آسيا شرقا"الشام"[1]، وهو يفصل أوروبا عن إفريقيا،كما أنه يتوسط القارات الثلاث :إفريقيا، آسيا و أوروبا و من هنا جاء اسم المتوسط، من كلمتين لاتينيتين هما:"Médius" أي المتوسط و"Terra" أي الأرض[2].

وأدى إلى بروز منطقة البحر الأبيض المتوسط كمنطقة بالغة الأهمية، مما جعلها محط أنظار و أطماع القوى الكبرى في العالم، ومن المسلم به أيضا أن البحر المتوسط لم يكن عبر حقب التاريخ نقطة فصل بقدر ما كان أداة تواصل ولقاء، ويشهد على ذلك ما عرفته ضِفتاه من أطوار متعاقبة من التوتر والسلم، تمخض عنه في الأخير رسم المعالم الأساسية والانعطافات الكبرى لمسارها التاريخي.

كما كان حوض البحر الأبيض المتوسط منذ القديم مهدا لحضارات إنسانية عديدة؛كاليونانية، والفينيقية، والقرطاجية، والنوميدية في الشمال الإفريقي، والرومانية، و الحضارة العربية الإسلامية.

و كان من نتائج التنوع الحضاري أن قامت بين هذه الأمم و الحضارات عبر مختلف المراحل التاريخية علاقات ذات طابع عدائي تنافسي؛ أو ذات طابع اقتصادي وثقافي، وعلاقات سلمية تعاونية.

والحضارة النوميدية هي جزء مهم من عالم البحر المتوسط القديم؛ التي ظهرت فيما يسمى خلال الفترة الوسيطة بالمغرب الأوسط ساهمت من خلاله في بروز موانئ ومدن بحرية هامة نافست روما وأثينا وقرطاجة، إلى أن دخلها الإسلام، مُلَقِحًا ومطوراً لهذه الحضارة، جاعلا لبنة أخرى لبحرية المنطقة ومانحاً جرعة مهمة للملاحة في البحر المتوسط، لمدة أربعة قرون، قبل أن تسترجع أوربا زمام المبادرة.

ومن هنا يمكن أن نتساءل عن نظرة الإنسان المغاربي للبحر؟، وكيف كانت سواحل ونشاطات المنطقة خلال الفترة القديمة؟

ما دور الطبيعة التي منحها الله في دفع وتسريع وتيرة التوجه نحو البحر، خاصة في الفترة الوسيطة؟

وكيف ساهم الفتح الإسلامي في تنشيط أو تثبيط العمل الملاحي في المنطقة خلال مرحلة الفتح وعصر الولاة؟

1) التوجه البحري لنوميديا خلال العصر القديم.

1) ابن خلدون:العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000، ج6، ص129.

يعد البحر المتوسط من أحسن البحار، حيث أنه يتشكل من عدة عناصر حيوية تساعد على الملاحة كانعدام الحواجز وقلة التيارات القوية، مما يساعد على سير السفن[1] التي تبحر قرابة الساحل، فضلا عن تميزه بكثرة الموانئ والجزر، مما يجعلها نقاط استدلال [2].

وعليه، فقد كان البحر المتوسط مدرسة للملاحة[3] البحرية في العصور القديمة؛ بل منذ العصور الحجرية[4]، لذا عرف العديد من الرحلات البحرية والتي تطرقت لها بعض المصادر الإغريقية والرومانية، وكذا ما ورد على يد البحارة الفينيقيين الذين حرصوا على إقامة علاقات وطيدة مع الشعوب التي وصلوها[5].

وإذا أخذنا بعين الاعتبار شح المعلومات المتعلقة بالمغاربة القدامى والبحر في النصوص القديمة، فهل يحق لنا الحكم بأن المغاربة ليسوا بحارة ويخافون من البحر، ويديرون ظهورهم له، وأن النشاط البحري ظل دائما ميداناً للأجانب حسب زعم البعض، وكل هذا يعكس نفور المغاربة من البحر وتفضيل البر عليه؟

كان البحر حاضرا بشكل هام في حياة الإنسان المغربي خلال عصور ما قبل التاريخ، بالنظر إلى عدة مواضع ساحلية ما قبل تاريخية، تم اكتشافها اليوم، ونرى أن إنسانها استهلك الأسماك وثمار البحر واستعمل أصداف البحر ربما للتزيين أو لمآرب أخرى[6].

كما يصف بعض الغربيين طبيعة السواحل المغربية بأنها غير مضيافة، حيث أنها تتميز بالتضرس والصخور، وقلة الخلجان والمراسي الطبيعية وحركة المياه وهذا ما أدى إلى عزوف الإنسان المغربي عن البحر فيعود سبب ذلك في نظرهم إلى جانب طبيعة المجال المغربي البري وتنوع خيراته وخصوبة أراضيه، فلم يهتم بالبحر مثلما اهتمت به شعوب البحر"الإغريق، والفينيقيون و الرومان"[7].

---

1) محمد البركة: المجال وإستراتيجية المشروع المرابطي، تلمسان ونهاية الدولة، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد2، 2001، ص112.

2) خديجة منصوري: الرحلات عبر البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، مجلة دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الثانية – العدد الثاني، 2002 ، ص158-176.

3) **الملاحة** تعني الإبحار، حيث يعتبر الزبيدي الملاح تسمية لأحد أنواع الرياح تجري به السفينة، أي أنها تسمية مشتقة من الرياح التي تساعد على الإبحار، وسمي صاحب السفينة الملاح لملازمته الماء المالح. **ابن منظور: لسان العرب، ج6، مادة ملح، ص76؛ والزبيدي: مختصر العين، عالم الكتب، بيروت، 1996، ج1، مادة ملح، ص302.**

4) حيث قامت على الساحل الغربي حضارة حجرية تعرف بالحضارة الوهرانية، تميز بالنصال الصغيرة ذات القاعدة، يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين 15-12 ألف سنة ق م . **بشرى الجوهري: شمال إفريقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، ط6، 1980، ص79–80.**

5) خديجة منصوري: المرجع نفسه، ص159.

6) مصطفى غطيس: الصيد البحري في المغرب القديم في المغرب والأندلس، نصوص دفينة ودراسات، تطوان، 2008، ص13-22.

7) محمد الطويل: النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، أكدال الرباط، 1996-1997، ص214.

وأوعزوا ابتعاد الإنسان المغربي عن البحر إلى خلو النصوص والمصطلحات سواء في اللغة العربية أو البربرية من الكلمات البحرية، ولكنه في الحقيقة تجني فقط لأن خلو اللغة البربرية من كلمة البحر وبعض المصطلحات البحرية لا يعني عدم الاهتمام بالبحر(1)، لأن اللغة خاضعة للزمن والتقلبات.

وفي العصر الروماني عبد أهالي شمال إفريقيا نبتون، ليس في المناطق الساحلية فحسب، حيث عبدوه كإله البحر، بل حتى داخل البلاد، وبصفة خاصة في العيون التي اعتبر نبتون سيدها(2)، فالبحر حاضر، حضورا قويا في الجانب الميثولوجي من تاريخ المغرب القديم(3)، وتأثير الميثولوجيا الإغريقية والرومانية واضح في بعض آلهة البحر المشتركة وكذا بعض الأساطير البحرية.

والتراث الأمازيغي مازال يشهد على الممارسات البحرية للإنسان النوميدي على غرار أسطورة خاصة بالبحر مازالت لها آثار ميدانية إلى اليوم في مدينة"بونة"عنابة، حيث تحرص بعض العائلات إعطاء أهل العريس للعروس في يوم زفافها طبقا من السمك، ويطلبون منها تنقيته من الزوائد معتقدين أنهم يطردون الأرواح الشريرة ويبعدون عين الحاسدين(4). ونستشف منها أن سكان المغرب الأوسط"نوميديا"قد عرفوا البحر منذ القديم وإن كان ذلك باحتشام وحذر اعتقادا انه يحتوي على أرواح شريرة، على غرار بقية الشعوب القديمة.

وعليه فإن التمدن الحقيقي لبلاد المغرب ظهر مع مجيء الفينيقيين، وبما أن اتصال هؤلاء بالمنطقة تم لأول مرة على الساحل فإن ذلك يسمح لنا بالقول بأن المدن الأولى كانت ساحلية، قبل أن تنتشر في باقي الأرجاء، وقد تطور التمدن مع مجيء القرطاجيين، ثم مع الرومان الذين حافظوا في الغالب على نفس المدن(5).

رغم أن الفينيقيين اعتمدوا كثيرا على كثرة الخلجان المحمية والجزر القريبة من الشاطئ والمنتشرة على كامل سواحل نوميديا، أي أنهم كانوا يستقرون في خلجان طبيعية محمية(6)، ومن مخلفات معالم فترة الاستقرار الفينيقي

1) يستند أصحاب هذه النظرة على غياب مصطلح البحر من اللغة الأمازيغية، والأسماك لا تستهلك حتى في فترات المجاعات، وبعض سكان السواحل يجعلون قبورهم على الشواطئ أو قريبا منها كأنهم يتقون بها الشرور القادمة من البحر، وقالوا ما ينطبق على الأمازيغ ينطبق على العرب لكن القرآن الكريم يذكر الفلك ككلمة عامة لكل ما يمتطيه الإنسان على الماء. **محمد الطويل: المرجع نفسه، ص212**.

2)Gsell Ct; Histoire ancienne de l’Afrique du Nord éd Hachette, Paris 1913-1928 P.152.

3) كان البحارة الإغريق القدامى يقدسون بوصيدون لحماية سفنهم والسماح لهم بالذهاب والعودة بسلام والآلهة إزيس التي تعتبر حامية السفن والملاحين، وتسربت هاته الاعتقادات إلى بلاد المغرب.**مصطفى غطيس: عالم البحر في معتقدات سكان المغرب، ضمن كتاب جماعي المغرب والأندلس دراسات في التاريخ والأركيولوجية، مطبعة الخليج العربي، تطوان، 2006، ص8-9**.

4) عبد الرحمن بوزيدة: قاموس الأساطير الجزائرية، مركز البحث في الانتروبولوجية الاجتماعية والثقافية، السانية وهران، الجزائر، 2005، ص68.

5) عبد العزيز غوردو: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، جدلية التمدين والسلطة، دار ناشري الالكتروني، ط2، 2011، ص18.

6)Vars Charles; Rusicade et Stora, au philippevill dans, l’Antiquité, Constantine, 1896, p.7.

الساحلي، جدار يعتقد أنه لميناء بونة"عنابة"[1]، وبعض معالم الميناء الذي عثر عليه في جزيرة رشقون بالغرب النوميدي[2]، بالإضافة إلى بقايا معالم أسوار ميناء تيبازة الذي تغطيه مياه البحر في وقتنا الحالي[3].

ومثلت الرحلات الأولى للفينيقيين مرحلة الاستكشاف ومنها رحلة حنون Hannon[4] الذي دار حول السواحل الإفريقية ومنها سواحل المغرب القديم بما فيها نوميديا، ورحلة سيلاكسSylax

الإغريقي[5] والذي تنقل بين شواطئ البحر المتوسط حوالي منتصف القرن الرابع ق.م، لذا فقد تضمنت هذه الرحلة قائمة بأسماء العديد من المحطات القديمة بنوميديا"المغرب الأوسط"مع اتخاذ إيكوسيم الجزائر العاصمة حاليا، كنقطة انطلاق نحو الغرب والشرق، ومن هنا ظهرت مراكز فينيقية ساحلية منها:[6].

إيكوسيم Icosium:أو ايكوسيون Ikosion[7]، وايكوسيم Icosium [8] حيث أشارت العديد من المصادر القديمة إليها فضلا عن رحلة سيلاكس[9]، فقد عرفت في العهد الروماني تحت اسم اكوزيوم، وفي العهد الإسلامي بني مزغنة[1].

---

3) محمد الصغير غانم: معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، دار الهدى عين مليلة، الجزائرط1، 2003، ص 140

4) انطلقت من مدينة قرطاجة في حوالي القرن الخامس قبل الميلاد بهدف البحث عن أسواق جديدة، ولقد وصلتنا أخبارها عن طريق ترجمتها الإغريقية، حيث اشترك في تلك الرحلة الليبيون إلى جانب القرطاجيين وقد أورد .س.جزيل .Gsell Ct عدة تفاصيل عن تلك الرحلة المنقوشة بمعبدكرونوس والتي قادها حانون وهو الزعيم القرطاجي الذي سافر على متن ستين سفينة والملاحظ على تلك الرحلة أنه لم يرد ذكر الأماكن التي سلكتها فيما عدا ذكرها لأعمدة هرقل (مضيق جبل طارق الحالي) إذا يرى الباحث محمد الصغير غانم أن تلك الرحلة نظمت بعد معركة هيميرا Himira التي أنهزم فيها القرطاجيون أمام الزحف الإغريقي في صقلية، و يرجح بأن الرحلة سلكت شواطئ المغرب القديم. **محمد حسين فنطر**: **الحرف والصورة في عالم قرطاج، منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999 ص127–130**.

5)سيلاكس :بحار يوناني قام برحلة خلال القرن الرابع قبل الميلاد وصف سواحل افريقية والغرب وسواحل مراكش على المحيط الأطلسي حول الموضوع أنظر :**عثمان الكعاك: البربر، نشر تامغناست، بدون تاريخ، ص16**.

6) محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص104 .

7)يرى البعض أن تلك التسمية كانت على أساس أن هرقل قد مر بالمنطقة التي أسست بها المدينة وترك مجموعة من أصحابه التجار البالغ عددهم عشرين فردا، وهم الذين أسسوا(ايكوسيم)، وحتى لا يستأثر أحدهم بتسميتها دون الآخرين، أطلقوا عليها اسم رقم عددهم الذي هو عشرون ويعني في اللغة اللاتينية ايكوسي(Eikosi) .**محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص200**.

وهذا ما يعني أن تأسيس المدينة كان قد تم على يد قادمين جدد تقودهم شخصية أسطورية"هرقل"الذي يمكن أن يعني الإله بعل ملقارت "الصوري، في حين أن بعض التنقيبات التي جرت أعطتنا فخارا يعود إلى القرن الثالث والثاني قبل الميلاد ونقيشة نيو بونية.

تيبازة Tipasa:هي واحدة من المحطات الفينيقية البونية، يعتقد أن اسمها سامي يعني الممر أو المسلك(2) حيث نزل بها التجار الفنيقيون لأغراض تجارية(3)، وظروفها ملائمة متمثلة أساسا في الرمل والميلان المبسط الذي يسمح بجر السفن إلى اليابسة ليلا(4)، وتحولت في القرن5 ق م إلى مدينة نوميدية ضمن ممتلكات موريتانيا القيصرية، ثم يبرز دورها خلال الفترة الرومانية منذ سنة 46م، وحتى مع الاحتلال الوندالي سنة430م بقيت ذات شأن كبير، ثم استعادها البيزنطيون سنة534م(5).

أيول Iol/Cherchel :"شرشال الحالية"، أخذ اسمها من الآلهة الفينيقية(6)، أو تعني جزيرة(7) كما ذكرت شرشال ضمن قائمة الأماكن التي ذكرها سيلاكس في رحلته(8)، وسميت بعد الاحتلال الروماني بقيصرية في عهد الملك يوبا الثاني، الذي نصبه الإمبراطور أغسطس على الحكم سنة25 ق م، وتقربا منه غير تسمية أيول إلى قيصرية(9)، وذهب ستيفان قزال إلى اعتبار ميناء قيصرية الميناء الثاني للرومان بعد ميناء قرطاج(10).

كارتينا Cartenna/Tenes:(تنس الحالية) اسم فينيقي ليبي الأصل مكون من جزأين الأول كرت "ويعني المدينة والثاني ليبي" تينا "وهو الذي اشتق منه فيما بعد اسم المدينة الحالي تنس(11)، كما وردت إشارات لدى استرابون تتحدث عن مناجم النحاس القريبة من كارتينا(12)، ويرى س .جزيل الذي يقول بأن اسم المدينة ورد في رحلة سيلاكس تحت اسم شلكا chalca(13).

---

1) محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص200.

3) محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص181؛ **وسهام حداد: سلسلة موانئ الشرق الجزائري القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009، ص48-49**.

4) Gsell.Ct; Tipasa ville de la mauritanie césarienne in M.E.F.R.,1894,T.XIV p.293-321.

6) محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص184.

9) شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985، ج1، ص127.

10) Gsell.Ct; Op. Cit, p, p.118.

11) محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص186.

12) Strabon ; Géographie, 4vol, Trad, A. Tardieu éd, Hachette, Paris, 1867, XVII,3,p.11.

13) Gsell. Ct ; H.A.A.N, T.II, p.163.

بورتوس– ماقنوس"أرزيو": ميناء استقر فيه الفينيقيون اعتمادا على النقوش البونية التي تم العثور عليها بالموقع، حيث كان موقعا للاستراحة[1]، وتحول فيما بعد إلى مستعمرة رومانية هامة نظرا لمجاله الواسع[2].

رشقون Rachgoun:تقع جزيرة رشقون في عرض الخليج الذي يصب فيه وادي تافنة، ولا تبعد عن اليابسة إلا بمقدار2 كلم، وهي موقع وميناء هام ذكر في رحلة سيلاكس[3]، ورشقون تعد ميناء هاما شهدت الحضور الفينيقي ثم البوني بها، حيث تشير المؤشرات التاريخية إلى أن الاستقرار بالجزيرة كان في حدود القرن السابع قبل الميلاد[4].

سيقاSiga/TakembRrit: تذكر المصادر القديمة سيقا، حيث يتحدث بلين عنها بأنها تقع على الشاطئ الإفريقي المقابل لمدينة ملقا الإسبانية والآثار القديمة لمدينة سيفاقس التي تقع بقرية تكمبريت Takembrit على الجهة اليسرى لوادي تافنة[5]، وقد اختلف في موقعها الحالي بين منطقة بني صاف وأرشكول[6].

روس غونية Rusguniae/Cap matifou:روس غونية"برج البحري حاليا"أحد المواقع القريبة من ايكوسيم وقد كشفت الحفريات التي جرت في روس غونيه على بقايا أطلال المدينة الرومانية التي يعتقد بأنها بنيت على أنقاض المدينة البونية، فقد عثر على العشرات من النصب البونية الجديدة[7].

روسو كورو Rusucurru/Dellys:يعرف موقع رسوكورو بدلس حاليا، وهي محطة تجارية بونية أنشئت قبل الاحتلال الروماني[8]، رغم أن هناك من يرجع أصلها إلى البناء البربري[9].

صلداي Salda:(بجاية حاليا) تقع بقايا مدينة صلداي القديمة على شاطئ خليج مصب نهر الصومام الذي يصب في البحر المتوسط[1]، كما أشير إلى صلداي في رحلة سيلاكس" Périple de Sclax خلال القرن الرابع

وسهام حداد:المرجع السابق، ص50.

6) محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص189.

8) محمد الصغير غانم: المرجع السابق ص207.

قبل الميلاد تحت اسم سيدا Sida وعليه، فإن صلداي ذات أصول فينيقية[2]، لتدخل صالداي ضمن النفوذ الروماني بعد هزيمة يوغورطة سنة104ق م وضم نوميديا الغربية، وقد اتخذها الوندال عاصمة قبل الوصول إلى قرطاجة، لهذا بنوا سورها، وهو الأثر الوحيد في إفريقيا[3].

ايجيجلي(Igilgili/Djidjelli):(جيجل الحالية) اختلف الباحثون في أصل الاسم فهناك من يراه بربري[4]، ولكن حسب إشارة كل من بلين، ورحلة سيلاكس والنقوش اللاتينية، والعثور على فخاريات شبيهة بتلك التي عثر عليها في قرطاجة، يتبين أنها مدينة بونية[5]، رغم العثور على بنايات رومانية تدل على توسيعها في عهد الإمبراطور أوغسطس بين 30و25 ق م[6].

شولوChullu/Collo:(القل حاليا) يحدها في الجانب الشرقي رأس بوقرعون الذي يحميها من الرياح الشمالية الغربية، حيث اشتهر سكانها باستخراج الصباغ الأرجوانية من أصداف البحر إلى جانب صناعة القوارب والسفن وهو ما يجعلنا نقول بأن اسم هذه المحطة هو فينيقي بوني[7].

روسيكادا(Rusicade/SkikDda)**:**على بعد4كلم إلى الغرب من ميناء سكيكدة ويعتقد بأن اسمه (Stora)وهو سامي الأصل وهو مأخوذ من اسم إلهة، أشير إلى روسيكادا في رحلة سيلاكس تحت اسم ثابسوس Thapsus ويمكن أن يكون هذا الاسم يمثل مرحلة من مراحل المدينة التي عرفت فيما بعد باسم روسيكادا وهو مالا يستعبد أن يكون الاسم فينيقيا لأنه يشتمل في جزئه الأول على اسم رأس Rus، كما ذهب البعض إلى تفسير اسم روسيكادا على أنه الرأس الوقاد أو رأس النور[8]، ووردت عند بطليموس باسم طاكسي، وهي تسمية ذات أصول فينيقية وتعني مدينة بالقرب من النهر[9].

---

1) محمد الصغير غانم: المرجع نفسه، ص207.

2) Gsell .Ct; H.A.A.N, II, p. 157.

3)هايزيس فون مالتسان: بجاية، ترجمة أبو العيد دودو، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد19، مارس، 1974، ص40-41.

5) شارل فيرو: تاريخ جيجل، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، 2010، ص74-75؛ **والأسعد شوشان: الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، شهادة ماجستير، جامعة تونس، السنة الجامعية 2009-2010، ص92**.

9) مارمول: إفريقيا، تحقيق، محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف الجديدة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984،ج3، ص7.

هيبو ريجيوس(Hippo Regius):(عنابة الحالية) عرفت في العهد البوني بهيبونة[1]، يعتقد أن اسم هيبو ذو أصل فينيقي ولقد تحدث عنها سالوست ضمن أسماء المدن الفينيقية القديمة[2]، والدراسات التي أجريت حول هيبون ترجع تاريخ المدينة إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وقد ضمها الاقليد ماسينيسا خلال الحروب البونيقية الثالثة ليضاف إلى اسمها كلمة ريجيوس"وهي الصفة الملكية Regius" وتصبح العاصمة الثانية بعد سيرتا؛ والملاحظ أن ميناء هيبوريجيوس كان قد لعب دورا هاما في التاريخ البوني والنوميدي[3].

وبالتالي نستنتج أن الفينيقيين أنشأوا مستوطنات على طول ساحل البحر المتوسط وتركزوا على الساحل بصفة خاصة دون الغوص في أعماق الداخل[4].

ثم جاء توحيد النوميديتين على يد سيفاكس، وجعل العاصمة سيقا المطلة على البحر المتوسط[5]، بل حتى أنها احتضنت أول مؤتمر عالمي للصلح بين الرومان والقرطاجيين سنة206ق م[6]، ورغم تحول العاصمة لنوميديا الموحدة نحو سيرتا الداخلية بقيادة ماسينيسا سنة202 ق م إلا أن نشاط المدن الساحلية وموانئها بقي مستمرا خاصة تصدير المنتجات الزراعية نحو روما[7].

فلقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن ملوك موريطانيا ونوميديا كانوا يملكون بحرية، غير أنها لم تكن ذات أهمية كبيرة، ولم تكن كما كانت في عهد ماسينيسا[8].

ليأتي يوبا الثاني(25ق م–23م)[1]، الذي رجع واتخذ مدينة شرشال"قيصرية" عاصمة لدولته مبديا تفتحا كبيرا على البحر، وربط علاقاته بالحضارة الرومانية[2]، فارتقت قيصرية Caesarea إلى مرتبة مستعمرة Colonia

1) يحي بوعزيز: عنابة عبر التاريخ، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد34-35، يونيو، 1976، ص18.

2) Salluste ; La Guerre de Jugurtha, Belles Lettres, 2002 , XIX ,I.

3) محمد الصغير غانم: المرجع السابق، ص215.

4) محفوظ قداش: الجزائر في العصور القديمة، وزارة الثقافة، 2007، ص44.

5) محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998، ص47.

8محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، دت، دط ،ص237.

8) Gsell .Ct; Histoire ancienne de l’Afrique du Nord éd Hachette, Paris 1913-1928, II, p. 151-152.

Claudia Caesarea[3]، كما اهتم بسواحل تلمسان وسهولها باعتبارها مصدر رخاء لمملكة موريطانيا القيصرية خاصة في عهد بطليموس[4].

وقد جلبت الموانئ النوميدية التجار الرومان قبل الاحتلال وعلى رأسها ميناء هيبو ريجيوس"عنابة" وروسيكادا"سكيكدة" اللذان كانا يصدران سلع إقليم قيرطا والأوراس، أما ميناء إيجيجلي"جيجل" وصلداي"بجاية" فكانت تصدر عن طريقهما منتجات ما عرف فيما بعد بموريطانيا السطايفية[5]، حيث ذكرت النصوص المصدرية كثافة نشاط الصادرات على مستوى ميناء هيبون من خيول وحبوب وأخشاب وحديد وعاج ورخام[6]، فأصبح الميناء الرئيسي للملكة النوميدية خلال القرن الثالث الميلادي.

وإلى الغرب من بجاية نجد موانئ يول"شرشال" وقونوفو"قوراية" وقرطنة" تنس" وهي كلها موانئ احتفظت بعلاقاتها التقليدية مع إيبيريا، وهو شأن بورتوس– ماقنوس"أرزيو" وبرتوس– دفيني" المرسى الكبير"، وقد ضم هذه الموانئ إلى المملكة النوميدية الإقليد ماسينيسا، مما ساهم في إنعاش الحركة التجارية البحرية لنوميديا[7].

وبعد تغير ميزان القوة لصالح الرومان الذين أصبحوا يطلقون على البحر المتوسط"بحرنا"[8]، قاموا باحتلال بلاد المغرب عام42م وتقسيمه إلى مقاطعات منها مقاطعة موريطانيا القيصرية والتي كانت دائما عاصمتها بحرية وهي قيصرة أو شرشال[9]، كما ضمت مدينة بونة وصلداي وكالاما[10] وسعت من تجارتها البحرية مع شمال البحر

---

1) ولد يوبا الثاني حوالي50ق م وبعد مقتل والده يوبا الأول سنة46 ق م نقل إلى روما، ويعد من ألمع علماء عصره حيث ألف كتبا عديد، ثم أعيد تعينه على رأس نوميديا. **بيومي مهران: المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990، ص294**.

2)Gsell.Ct ; H.A.A.N, p.194-196.

3) إسماعيل سرهنك: حقائق الأخبار عن دول البحار، صححه وفهرسه إسماعيل رأفت، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، 1914، ج1، ص357.

4) محمد البشير شنتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ج1، ص232.

5) محمد الهادي حارش: التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا، 203–46 ق م،دار هومة للنشر، الجزائر، 1996 ص151-152.

.

7) عرفت التجارة لنوميديا مع بلدان حوض البحر المتوسط انتشارا كبيرا، وهو ما تبينه البقايا الأثرية التي عثر عليها في مختلف البلدان كالقطع النقدية التي عثر عليها في يوغسلافيا وبلاد الغال" فرنسا" واسبانيا والإغريق وإيطاليا .**محمد الهادي حارش: المرجع نفسه، ص152**.

8) Salluste ; op.cit , XVII.

9) مجموعة من المؤرخين: الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، طبعة وزارة المجاهدين، 2007، ص56-57.

10) يحي بوعزيز: المرجع السابق، ص18.

المتوسط[1]، كما أنشأت روما أسطولا خاصا بكل مقاطعة منها أسطول ليبيا الجديد المكلف بحراسة الشواطئ الإفريقية[2]، بل كانت تحضر روما عند الضرورة وحدات أخرى لأساطيل خارجية كوحدات تابعة كأسطول سوريا و الإسكندرية التي سجلت حضورها في موانئ إفريقيا كمينائي شرشال وبجاية[3].

كما ضم الأسطول[4] الروماني مجذفين وبحارة مقاتلين من الأهالي الأفارقة من مختلف المقاطعات النوميدية التي احتلها الرومان[5]، حيث حددت مدة الخدمة العسكرية في جيش البحرية بستة وعشرين عاما[6]، وارتفعت في نهاية القرن الثاني الميلادي إلى ثمانية وعشرين عاما[7].

وقد بينت الدراسات أن المدن الساحلية لبلاد المغرب الأوسط"نوميديا"لا يمكن فصلها عن أصولها القرطاجية بعدما تم بناء عدد من المرافئ المعدة للمبادلات التجارية، وكل أسماء المدن حولت إلى اللاتينية بعد بناء المستعمرات الرومانية على أنقاضها[8].

مثل تحويل مدينة سكيكدة"توسيكادا أو روسيكادا"إلى مدينة رومانية، حيث كانت في هذا العهد مستودعا تجاريا لمقاطعة سيرتا[9]، ويعد ميناء سكيكدة من الموانئ المهمة في نقل السلع المختلفة، ولم تكن الأهمية الإستراتيجية لسكيكدة كميناء جيد خفية؛ فهو يحتل–خليج سطورة–موقعا ممتازا على البحر المتوسط ويحتمي من الغرب برؤوس

1) نصحي إبراهيم: تاريخ الرومان، مصر 1978، ج2، ص734.

2) شافية شارن: الاحتلال الاستيطاني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص125.

4)ذكر المسعودي أن الأسطول كلمة رومية سمة للمراكب الحربية المجتمعة. **التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصادق، مكتبة الشرق الإسلامي، القاهرة، 1938، ص122**؛ وبالضبط كلمة أسطول لفظها يوناني Stolos وتعني مجموعة من السفن، ثم عرب فقد أطلق على مجموع السفن أيا كان نوعها(حربي وتجاري وسفن النزهة) وأطلق أحيانا على مركب حربي واحد وأطلق أيضا على مجموعة المراكب الحربية.**عبد الفتاح عباده: سفن الأسطول الإسلامي، القاهرة، 1914، ص10**؛ و **أحمد الشاذلي: الأسطول في اللغة والأدب والتاريخ، مجلة الثريا، العدد 3، سنة 1945، ص45**.

5) محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2008، ص130-131؛ **وشافية شارن: المرجع السابق، ص126**.

8) علاوة عمارة: إشكالية الهوية المغاربية من خلال جغرافية الحسن الوزان، سلسلة دراسات وأبحاث تاريخية تحت عنوان المغرب في عهد الوطاسيين من خلال وصف إفريقيا للحسن الوزان، مجلة المعرفة التاريخية، المغرب، العدد1، 2011، ص79.

أهمها رأس بوقرعون، ومن الشرق رأس الحديد[1]، وتم ترميم المدينة وتوسيعها بدءا من46ق م بعد القضاء على الزعيم البربري يوبا الأول، وأطلقوا على الميناء اسم فنيريا أي المقدسة[2].

وربطت روما روسيكادا بمختلف مدن المقاطعة وخارجها، ومنها ثلاثة طرق، الأول ساحلي غربي يخترق بجاية وجيجل ليصل إلى سكيكدة ثم يمتد إلى غاية هيبون، أما الثاني فداخلي يربط روسيكادا هيبون في حين يمتد الثالث نحو سيرتا[3].

كما ارتقت مدينة روسيكادا مع القل إلى مستعمرة خلال حكم تراجان(98-117م) لتكون مع سيرتا وميلة الكونفدرالية السيرتية[4]، لتعملا معا كوحدة تجارية وعسكرية من خلال نقل السلع من المناطق الداخلية وتصديرها إلى روما عن طريق مينائي القل وروسيكادا.

أما عن ميناء صلداي"بجاية" فقد بنى الرومان في مكانه ميناء أوسع بعد هزيمتهم ليوغورطة وضمهم لنوميديا الغربية سنة104ق م؛ حيث اتخذها أوكتاف"Octave" مقرا لجنود الفرقة السابعة ورفعها إلى مستوى مستعمرة إثر توحيد الموريطانيتين"السطايفية والقيصرية"سنة33ق م،

اسم صلداي خلال العهد الوندالي بدء من عام 430م، وسميت في عهدهم ب غور"Gour"أي الموقع الصخري أو الكهف[7].

كما لعبت جيجل كذلك خلال الفترة الرومانية دورا كبيرا من خلال ربط موانئ روما بخطوط بحرية مباشرة، وهذا تبينه حملة تيودور القائد الروماني الذي انطلق من ميناء الرون سنة373م وأرسى بميناء جيجل للقضاء على ثورة فيرموس[8].

---

1) حمادة صالح: دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، مصر، 1979، ص166.

2) حمادة صالح: المرجع نفسه، ص36.

4) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج1، ص200، 236.

7) صالح بعيزيق:بجاية في العهد الحفصي، دراسة اقتصادية واجتماعية، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس، مطبعة علامات، تونس، 2006، ص34.

8) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج1، ص303.

ودعم هذا الرأي جوليان الذي رأى أن والي موريطانيا القيصرية قد وضعت تحت سلطته مجموعة من السفن لتدعيم حماية الساحل الغربي، وكان مقرها شرشال التي وفرت جبالها القريبة منها الخشب اللازم لصناعة السفن مما جعلها فيما بعد مقراً للقراصنة[1].

وبعد انهيار الحكم الروماني بشمال إفريقيا خلال القرنين4و5م، وبعد تعرضها للغزو الوندالي خلال القرن الخامس ميلادي429م حيث اتخذ هونريك" جونسريق" بونة" هيبون" عاصمة لمملكته[2]، وكان قد سيطر في طريقه من الغرب إلى الشرق على كل المدن الساحلية كعين تيموشنت وتلمسان، لكنها عادت وخرجت عن سيطرته عند تركزهم بالجهة الشرقية[3].

كما أن آخر مرة تذكر فيها جيجل سنة484م بعد حملة الوندال حيث حفظ لنا التاريخ اسم أسقفها الذي حضر المجمع الديني لقرطاج وهو "دوميتيانوسDomitianus"[5].

وخلال الاحتلال البيزنطي واصلت عدة مدن نشاطها منها مدينة ومرسى تنس حيث استخدمت كمستودع تجاري ليقيم بها الرومان مستعمرة وأحد الأسقفيات الهامة خلال الفترة البيزنطية[7]، كما أحيا البيزنطيون العديد من المدن الرومانية الساحلية التي خربها الوندال، لكن لم يكن مجهودهم يضاهي الإضافة الرومانية.

---

1) نفسه، ج1، ص197.

2) محمد البشير شنيتي: المرجع السابق، ج1، ص251؛ **ويحي بوعزيز: عنابة، ص21**.

3) ستي صندوق: تلمسان وأحوازها في العصور القديمة، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد 2، 2001، ص28.

5) شارل فيرو:المرجع السابق، ص79.

من خلال كل ذلك أشار الباحثون الغربيون إلى عدم اهتمام الليبيين القدامى بالملاحة البحرية، حيث لاحظ Berthelot.A برنار أن النصوص القديمة لا تشير لا إلى بحارة ليبيين ولا إلى أسطول ليبي[1]، ووصف المغاربة بأنهم أناس بريين" essentiellement terriens"[2]، وكان هذا الباحث قد كتب سنة1905م ما نصه"كان البربر دائما بحارة غير أكفاء، وكأن البحر غريب عن بيئتهم؛ فهم يخشونه ولا يعرفون في معظمهم كيف يصنعون سفينة تجارية ولا كيف يقودونها، وطرق صيدهم بدائية وبعيدة عن الإتقان"[3].

وذهب جون ديبوا J.Des pois حسب الحسين بولقطب، إلى أن سكان المغرب، رغم أهمية المصطحات المائية المحيطة بهم، لم يساهموا في النشاط البحري إلا بشكل محدود ومحلي أحيانا، وبتحفيز من الأجانب في أحيان كثيرة[4].

ولكن في الحقيقة التاريخ يكتبه المنتصر، وبلاد المغرب لم تعرف السيادة على ساحلها طوال ستة قرون كاملة، وهي خاضعة للمحتل فكيف يستطيع سكانها إنشاء مراسي ومراكب وأساطيل وهي تحت السيطرة الأجنبية، كما أن غياب الكتابات التي تتحدث عن نشاط سكان بلاد المغرب البحري لا يعني أبدا غياب هذا النشاط.

2) الجغرافية الوسيطية للشريط الساحلي "خصائص ومميزات"

تعرف سواحل البحر المتوسط اختلافات كثيرة من حيث خصائصها الجغرافية مما انعكس سلبا أو إيجابا على تركز الأنشطة البحرية في مناطق دون غيرها، وقد طبعت هذه الخصائص أجزاء من هذا البحر وميزتها عن غيرها خلال حقب تاريخية طويلة[5].

لقد ساهمت طبوغرافية الساحل المتوسطي في تنوع الوحدات الطبيعية بالمغرب الأوسط من رؤوس وخلجان ومصبات أنهار[6]، ولعبت دورا في استقرار وجذب السكان إلى المنطقة وممارستهم لمختلف الأنشطة، ونظرا لوقوع

---

2) نقلا عن مصطفى غطيس: المغاربة والبحر خلال العصور القديمة، ضمن أعمال ندوة المغرب والأندلس دراسات وترجمات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط1، 2010، ص25.

4) المغرب والبحر خلال العصر الوسيط، مجلة فكر ونقد، مجلة ثقافية وفكرية، العدد 44.

5) خالد سرتي: المسلمون والبحر مساهمة في دراسة السياسات والتنظيمات البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، خلال العصور الوسطى، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بنمسيك، الدار البيضاء، المغرب، 2011-2012، ص23.

6) ذكر هذا الكلام **محمد مجدوب** في كلامه عن المغرب الأقصى وهو كلام نسحبه لنعممه كذلك على المغرب الأوسط نظرا للتشابه الجغرافي.**البحر في المغرب القديم، ضمن أعمال ملتقى البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2007، ص147-164.**

المغرب الأوسط في شمال القارة ومقابلة ساحله للساحل الأوروبي وتوسطه ساحل المغربين الأقصى والأدنى؛ جعله يكتسي أهمية قصوى بالنظر لما يمثله من إمكانيات واسعة للاتصال الخارجي بعيدا عن ضغوط الحدود القارية والبرية.

وتميزت الطبيعة في المغرب الأوسط بمقومات أساسية أهلته للقيام بدور بحري هام، فامتداد السواحل على شريط مهم، دفع سكان هذه البلاد نحو النشاط البحري والتجاري، كما زخر هذا الشريط الساحلي بعدة رؤوس وخلجان وجزر، إضافة إلى غنى غابات المنطقة بمختلف أنواع الخشب من أجل صناعة المراكب.

والشريط الساحلي هو الإقليم الممتد على مسافة تقدر ب1200كلم تقريبا[1]، من مرسى الخزر إلى مرسى ماسين حسب البكري[2].

وإلى مرسى تابحريت حسب الإدريسي[3]، وزاد في ذلك أحد الباحثين باعتبار مرسى عجرود آخر المراسي الخاصة بالمغرب الأوسط[4] .

ورغم ضيق الشريط الساحلي إلا أنه يحتوي على مظاهر سطحية متباينة ساهمت في توفير جو حسن للملاحة وللأنشطة البحرية، كما كان له دور عائق ومثبط لعمل الإنسان في بعض الحالات.

وعموما يتميز الشريط الساحلي للمغرب الأوسط بتعرجه وذلك نتيجة طبيعته الصخرية الصلبة، إضافة إلى تعدد الخلجان[5]، رغم صغرها باستثناء خليج بونة الذي يعتبر من أكبر خلجان المغرب الأوسط[1]، التي تنتهي

---

1) مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ج1، ص48.

هذا التقدير قدمه الاستعمار الفرنسي خلال القرن العشرين، لكن تم إعادة حساب طول هذا الشريط الساحلي في 2012م حيث تفاجأ الجميع بأن طول الشريط الساحلي للجزائر هو 1600كلم بحساب تعاريجه، وفي انتظار اعتماده من السلطات المعنية نتبع الرقم القديم وهو 1200كلم.

2) البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت، ص80.

3) الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1989، ج2، ص534.

مرسى تابحريت : يوجد إلى الجانب الشرقي لمصب وادي كيس بنحو 3 كلم أي في مدينة مرسى بلمهيدي الجزائرية حاليا وبالضبط شاطئ أولاد بن عايد لم يبق من آثار هذا الميناء شيء سوى بئر محفورة في الصخور تعرف ببئر مالح. **مشاهدة ميدانية.**

4) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص160.

هناك قصبة ومدينة عجرود التابعة لمنطقة السعيدية بالمغرب الأقصى، إلا أن مرسى عجرود أسبق من مرسى بن مهيدي"تبحريت"جهة الشرق وبالتالي نستبعد اعتباره آخر ميناء للمغرب الأوسط، وهذا التقسم اتبع حسب المعاهدة الحدودية بين فرنسا والمغرب سنة 1844م بعد معركة إيسلي التي تلتها معاهدة اللامغنية في مارس1845م، حيث نصت المعاهدة في بندها الثالث أن الحدود تبدأ من نقطة التقاء واد عجرود مع البحر الأبيض المتوسط عند مرسى عجرود. **عمر بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر1832-1845م، منشورات عكاظ، 1988، ص171-172.**

5) **الخليج** هو تعرج كبير في خط الساحل وهو جزء من البحر أو البحيرة أو المحيط تحيط به الأرض من جميع الجهات ما عدا جهة واحدة، وتتكون الخلجان إما بانكسار في جزء من قشرة الأرض أو بطغيان البحر على أرض هابطة. **الهادي مصطفى أبو لقمة، و محمد علي الأعور: الجغرافيا البحرية، الدار الجماهرية للنشر والإعلان، ليبيا، ط2، 1999، ص76.**

ومن هاته الخلجان خليج وهران وأرزيو وخليج الجزائر وبجاية وخليج أستورة وخليج بونة.**مبارك الميلي: المرجع السابق، ج1، ص48.**

جوانبها برؤوس داخلة في البحر[2]، إضافة إلى طغيان الطابع الجبلي على كامل ساحل هذا الإقليم الذي اتخذ فيه السكان ملاجئ طبيعية خلال مختلف الفترات الوسيطة.

هذه المشاهد الطبيعية لاحظتها كتب الجغرافيا والرحلات الوسيطية وأشارت إليها خلال وصفها وركزت في بعض الأحيان على وصف شكلها العام الملفت للانتباه[3]، رغم التغير الطفيف عند مقارنة الفترة الوسيطة بالعصر الحالي، حيث نجد اختفاء بعض الجزر كالجزر التي سميت عليها مدينة الجزائر[4]، والجزيرة المقابلة لميناء تنس التي ذكرها مارمول[5]، وهي الآن مقام عليها كاسرة للأمواج تحمي الميناء، وذلك بسبب طغيان المياه أو بعض الظواهر الطبيعية كالزلازل والعواصف[6]، أو اختفاء جزيرة مرسى البطال"تيبازة حاليا"[7].

ويؤكد ذلك صاحب الاستبصار عند حديثه عن الساحل الغربي للمغرب الأوسط وبالضبط عن مدينة ومرسى ترنانا بقوله"وكانت في سالف الأزمان آهلة، كثيرة الخصب، مثل مدينة تاجريت"تابحريت"، وهي على الساحل"[8].

كما أنه تشكلت أمام سواحل المغرب الأوسط عدة جزر نظرا لطابعه الصخري؛ وقد لفت ذلك انتباه الجغرافيين والرحالة خلال العصر الوسيط، الذين أشاروا إلى عدد منها مثل جزيرة المزمة[9]، وجزائر العافية[1]، وجزائر وجزائر بني مزغنا[2]، وجزائر الحمام[3]،

---

1) علي عبد القادر حليمي: جغرافية الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1968، ص41.

2) يذكر الميلي رأس فلكون ورأس إيفي ورأس كاكسين ورأس مطيفو ورأس كربون ورأس بوقرعون ورأس الحديد ورأس القارد.**مبارك الميلي: المرجع السابق، ج1، ص48.**

3) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص38.

4) وهي جزيرة بينيون والجزيرة الكبيرة والصغيرة، والجزيرة الشمالية .**علي عبد القادر حلمي: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص44.**

5) إفريقيا، ج2، ص354.

6) حيث ضربت عواصف شديدة ساحل منطقة وهران في 5 فيفري 1738 أدت إلى إتلاف الميناء وكواسر الرياح التي بناها الاحتلال الاسباني في المنطقة سنة 1736م، وتكرر هذا الأمر خلال سنوات 1869، 1876، 1900م ، مما أدى إلى تغير وجه الميناء وتلف الميناء الوسيط.

7) الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1863، ص101؛ **والهادي روجي إدريس: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، من القرن10 إلى القرن12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1992، ج2، هامش 201، ص114–115.**

8) مجهول: الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص135.

9) قرب نكور . **ابن حوقل: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992، ص79.**

وجزيرة أرشقول "أرجكوك"[4]، وجزيرة تنس، و جزيرة عمر و جزيرة جوبة و جزيرة جنابية و جزيرة وقور، و جزيرة سطفلة[5]، وجزيرة القشقار التي تبعد عن الوردانية بثمانية أميال[6].

وتجدر الإشارة إلى أن تلك الجزر لعبت دور المرشد والمنارة و الموجه ومكان الاستراحة إلى جانب الحصون التي تقام بها ورباطات المراقبة، ومنها ما تحول إلى موانئ أو كواسر طبيعية للأمواج والرياح التي تصيب سواحل المغرب الأوسط.

و"مما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر، أن تكون في جبل، أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدد، تكون صريخاً للمدينة متى طرقها طارق من العدو؛ والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر، ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصبيات، ولا موضعها متوعر من الجبل، كانت في غرة للبيات، وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها وتحيفه لها.وهذه كالإسكندرية من المشرق، وطرابلس من المغرب، وبونة وسلا" [7].

وقد أفرد البكري عنوانا خاصا للحصون وذكر لنا العديد منها وأغلبها كان على الشريط الساحلي، ومنها حصن تانكرمت، وآسلن، وفكان، وحصن مرنيسة، وحصن بني زيني، وحصن الفلوس، وحصن الوردانية، وحصن هنين، وحصن تاونت، وحصن أبي جنون، وحصن كاربيوا[8].

---

1) البكري: المغرب، ص82، 83.

2) الاصطخري: مسالك الممالك، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1870، ص46.

ويقول **ابن حوقل** عن جزائر بني مزغنة:"ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها تحاذيها فإذا نزل بهم عدو لجأوا إليها ليكونوا في منعة وأمن ممن يحذرونه ويخافونه". **المصدر السابق، ص78**.

3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص271-275.

4) **أرجكوك**:"مدينة لطيفة، لها مرسى وبادية وسعة في الماشية والأموال، ومرساها في جزيرة لها فيها مياه"، وهي جزيرة متكونة من صخور بركانية مسطحة مستطيلة الشكل تمتد على عدة هكتارات وتبعد عن البر حوالي1700م أمام مصب وادي التافنة مباشرة. **البكري: المغرب، ص78**.

5) البكري: المغرب، ص81.82، 83.

6) شكيب أرسلان: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مكتبة الحياة بيروت،1936 ، ج1، ص69.

7) ابن خلدون:المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005، ج2، ص185.

8) المغرب، ص79-80؛ **ومجهول: الاستبصار، ص135**.

وتعتبر ظاهرة الرؤوس[3] من أكثر المشاهد المميزة لساحل المغرب الأوسط، وتتميز بضخامتها ووعرتها وتقدمها في البحر مما ساهم في شدة تعرج خط الساحل[4]، ومنها من الشرق إلى الغرب رأس الحديد، ورأس بوقرعون"تريتون"[5]، إضافة إلى رأس كاربون[6]، وطرف بني جناد[7]،وكانت تسمى هاته الرؤوس بسيف البحر[8].

وقد أكدت المصادر حدوث تقدم بحري على حساب اليابسة خلال الفترة الوسيطية على غرار مرسى البطال الذي احتل تيبازة القديمة والذي غمرته المياه خلال القرون الخمسة الأولى للهجرة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى مرسى شرشال ومدينة تنس التي خربها الماء في حدود نيف وعشرين وستمائة[9].

ويبدو أن الطبيعة الجبلية هي السمة الغالبة على التضاريس الساحلية للبحر المتوسط، مما تسبب في تقطع الشواطئ أو تحولها من شواطئ رملية إلى شواطئ صخرية[10]، رغم ما تقدمه للسفن من خدمات كالتقليل من سرعة الرياح وجعل مراسيها مراس آمنة وهادئة، وقد تتحول للجانب السلبي في حالة كونها صخرية ضيقة وقد ذكرت المصادر الوسيطية العديد منها كشاهد عيان على ذلك منها جبال وهران[11]، والتي تستمر متجهة نحو الشرق إلى نهر الشلف، حيث تبدأ بمرتفعات متواضعة لتظهر في شكل مرتفعات بارزة عند منطقة تبحريت[12]، وتظهر أيضا عند مدينة تنس التي تقع في"منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر"[13] ومنها أيضا إلى جبل مغراوة الذي "يمتد

---

2) البكري: المغرب، ص82؛ **والإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص273**.

3) **الرأس Cap** أطلق عليه الإغريق اسم Akra أما الإدريسي فيطلق عليه طرف، ويعرف بأنه جزء من البحر يمتد ويتقدم داخل اليابس .**علي عبد القادر حليمي: جغرافية الجزائر، ص43**.

4)الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص39.

5) محمد الصغير غانم: المملكة النوميدية، ص59.

6) روبار برنشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، من القرن 13 إلى نهاية القرن 15 م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج1، ص412.

7)ابن حوقل: المرجع السابق، ص77؛ **و الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص259؛ 273**.

8) ابن حوقل: المصدر نفسه، ص78؛ **وابن خلدون: العبر، ج7، ص105**.

9) ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977، ج2، ص49.

10) خالد سرتي: المرجع السابق، ص23.

11) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

12) حسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983، ج2، ص14.

13) نفسه، ج2، ص35.

على طول نحو أربعين ميلا محاذيا شاطئ البحر المتوسط قريبا من مستغانم"[1]، ثم تختفي هذه الجبال لتعود إلى الظهور من مدينة برشك إلى شرشال وهي"جبال منيعة يسكنها قبائل البربر"[2]، بالإضافة إلى جبل ميسون العالي المطل على بجاية[3]، ثم جبال جيجل[4]، وجبال الرحمن (ما بين المنصورة والقل)[5]، وجبال إيدوغ التي تحمي مرسى بونة.

إن تواجد الجبال في الساحل جعل السهول تكون متقطعة وساحلية؛ ورغم كونها ضيقة إلا أنها ساهمت في تنشيط التجارة والتبادل البحري خاصة بمادتي الحبوب والفواكه وقد روت لنا المصادر عن هذه السهول منها سهل متيجة، وفحص القل، وسهل بونة، وسهل تنس[6].

كما تحوي بعض السهول سباخ كبيرة تزود المنطقة ككل بمادة الملح أو يستخرج ويوجه للتصدير نحو الضفة الثانية للبحر المتوسط على غرار سباخ وهران[7].

وتوجد بساحل المغرب الأوسط شبكة مائية متنوعة، الأمر الذي لفت المصادر القديمة والوسيطة، منها واد سيبوس[8]، والواد الكبير[9]، وواد الشلف بن واطيل[10]، إضافة إلى عدة بحيرات هامة كبحيرة بونة[11] ومرسى الخرز ووهران[12].

وقد كان للسفن في الفترة الوسيطة دور في استغلال هذه الأودية وإن كانت على جانب قليل نظرا لقلة منسوب المياه صيفا أو جفافها أحيانا إضافة إلى ضيقها وقلة عمقها أو تعرجها، ويعطينا البكري نموذجا عن ذلك

---

1)الوزان: المصدر السابق، ج2، ص43.

2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص258.

3) مجهول: الاستبصار، ص130.

4) نفسه، ص64.

5) البكري: المغرب، ص83.

6) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

7) إسماعيل سرهنك: المصدر السابق، ص356.

8) البكري: المغرب، ص54-55.

9) مجهول: الاستبصار، ص129-130.

10) البكري: المغرب، ص69؛ **وابن خلدون: العبر، ج6، ص134**.

11) مجهول: الاستبصار، ص127.

12) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص50.

واد قسنطينة"الواد الكبير"[1]، وواد الشلف ووادي سيبوس[2]، وواد تافنة"حيث تدخله السفن اللطاف من البحر إلى المدينة[3]، وواد بجاية "الذي يجاز عند فم البحر بالمراكب وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا"[4].

وعموما نجد خلال الفترة الوسيطة عدم ثبات أسماء المدن والموانئ واختلافها من فترة لأخرى، ومن مؤلف لآخر وهذا يعود ربما لاختلاف النطق من جغرافي لآخر أو بسبب اختلاف نطقها بين البربرية والعربية، وهو ما جعل في بعض الحالات مدينة كسكيكدة مثلا ذكرها اليعقوبي باسم أسكيدة[5]، في حين استعمل البكري صيغتين مختلفتين في كتاب واحد سقدة[6] و تَاسِقْدَة [7]، وأطلق عليها الحموي"سَكْدَةُ" بفتح أوله وسكون ثانيه[8]، وظهرت الصيغة الحالية للمدينة مع نهاية الفترة الوسيطة مع الوزان ومارمول وبيري رايس[9].

3) من التراث البحري القديم إلى التراث الإسلامي"الفتح وعصر الولاة"

تعد علاقة الإسلام بالبحر من بين المواضيع التي ما زالت مطروحة بين مؤكد لمعرفة العرب للبحر وتمرسهم فيه، وبين مفند لذلك باعتبارها أمة برية أكثر منها بحرية[10].

1) البكري: المغرب، ص63.

2) مبارك الميلي: المرجع السابق، ج1، ص50.

3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص26.

4) البكري: المغرب، ص77.

5) البلدان، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ص140.

6) البكري: المغرب، ص63؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص245**.

7) البكري: المغرب، ص83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

8) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص230.

9) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص54-55.

.

10)لقد خصص الطاهر قدوري مدخلا مطولا لتاريخ العرب القدامى والبحر، وعالج فيها القضية وتوصل في الأخير إلى ضعف العرب في هذا الميدان مقارنتهم بالأمم البحرية الأخرى ويعود سبب عدم اهتمام المسلمون بالبحر في صدر الإسلام لعدة أسباب منها افتقارهم إلى خبرة بناء السفن، وخبرة فن الملاحة من جهة أخرى، ثم اهتمامهم بحماية أطراف الرقعة المحررة والتوسع برا .**النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الأول، كلية الآداب وجدة، 2002-2003، ص17-25.**

و نجد في بداية العصر الإسلامي الخوف من البحر، حيث يذكر اليوسي أن" لا أمان له". **اليوسي: المحاضرات في الأدب واللغة، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج1، بيروت 1982 ، ص209 -210**

ثلاثة ليس لها أمان البحر والسلطان والزمان

وقد بدأ الاهتمام بالأسطول العربي الإسلامي في عهد الخليفة الراشدي عثمان بن عفان"ض"[1]، كما أن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان"ض"أمر بإنشاء دار لصناعة السفن في سنة49هـ/669م بمدينة عكا في فلسطين وبقيت هناك حتى وُلي بنو مروان فنقلوها إلى صور[2]، وعمل الخليفة معاوية على تقوية الأسطول الإسلامي حتى بلغ عدد سفنه 1700 سفينة[3]، مما سمح له بفتح بعض من جزر في البحر المتوسط[4].

انقسمت البحرية الإسلامية في العصر الأموي إلى ثلاثة أساطيل مستقلة عمل كل منها في منطقة معينة وهي: أسطول مصر، أسطول سوريا، وأسطول شمال إفريقيا"بلاد المغرب"، ويطلق على كل قائد للأسطول لقب صاحب البحر أو أمير البحر[5].

و يشبه ابن قتيبة البحر"خلق عظيم، يركبه خلق ضعيف، دود على عود بين غرق وبرق". **ابن قتيبة: عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996، ج1، ص137؛ وعلي خلاصي:البحرية الجزائرية عبر التاريخ، المتحف المركزي للجيش، وزارة الدفاع الوطني، 2007، ص4**، وجاء على لسان **ابن المقفع** "ولقد كنت أسمع أن فيلسوفا كتب إلى تلميذه يقول :إن مجاورة رجال السوء، والمصاحبة لهم كراكب البحر، إن هو سلم من الغرق لم يسلم من المخاوف"**.انظر كليلة ودمنة، المكتبة العصرية، صيدا، 2005، ص13** ، وقد قيل إن خصالا ثلاثا لن يستطيعها أحد إلا بمعونة من علو همة وعظيم خطر، منها :صحبة السلطان، وتجارة البحر، ومناجزة العدو. **ابن المقفع: المصدر نفسه، ص65**.

وفي هذا الصدد أنشد الشاعر الصقلي مصعب أبو العرب(القرن5هـ/11م)

البحر للروم لا تجري السفين به إلا على غرر والبر للعرب

تقي الدين عارف الدوري: صقلية، علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية، من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بغداد، 1980م، ص168.

1) كان عثمان بن العاص الثقفي والي البحرين أول من قام بغارة بحرية على ساحل الهند،كما قام خلفه العلاء بن الحضرمي سنة17هـ/638م بالعبور بحرا إلى بلاد فارس ومعه اثنا عشر ألفا من المسلمين وعاد بغنائم كبيرة، وقد أغضب عمله الخليفة عمر بن الخطاب، فعزله لأنه لم يستأذنه. **رحيم كاظم محمد الهاشمي، و عواطف محمد العربي شنقارو: الحضارة العربية الإسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2002، ص91**.

وأول معركة بحرية انتصر فيها المسلمون انتصارا باهرا هي ذات الصواري سنة 31 هـ/651م.**الطبري: تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1970، ج4، ص288**؛ و قيل في سنة 34 هـ/654م.**الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ص25**.وقد انتصر العرب المسلمون فيها على الروم البيزنطيين إذ استعمل العرب أسطولهم المكون من مائتي سفينة. **ياسين أحمد صالح الديلمي: دور البحرية العربية الإسلامية في فتح الأندلس، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، العراق، العدد6، 1431، ص61**.

2) البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، و عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف بيروت، 1987، ص161.

3) عمر فاروق وآخرون: النظم الإسلامية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1987، ص185.

4) ياسين أحمد صالح الديلمي: المرجع السابق، ص58.

5) ويعرف رئيس الملاحين بالربان الذي يجب أن يكون له معرفة شاملة في تسيير السفن وعلوم البحر والأنواء والقياسات ومطالع النجوم، ويلي الربان في الوظيفة الديدبان وهو الرقيب الذي يقف في مقدمة السفينة ليتطلع أحوال البحر في حالة السلم وأخبار العدو في حالة الحرب، وهناك المنادي ومهمته

ويمكن اعتبار ولاية حسان بن النعمان في المغرب بداية تأسيس البحرية المغربية، بعدما لاحظ أن الروم يجدون في مراكبهم النجاة إلى صقلية والأندلس إذا اشتد عليهم القتال في بر إفريقية[1]، لهذا بادر حسان بن النعمان عند فتحه لبلاد المغرب على مهاجمة قرطاجة العاصمة البحرية للبيزنطيين، وتم الاستيلاء عليها سنة76هـ/695م[2]، ليتم إنشاء قاعدة بحرية إسلامية قريبة منها بتونس"ترشيش"[3]، وصنع بها مائة مركب سنة84هـ/703م[4]، وزودت هذه الدار بما يلزمها من المواد والصناع[5].

وأسس العرب عاصمتهم التي تبعد عن البحر مسافة خمسين كلم، وهو ما يحيلنا إلى تغيير أساسي مقارنة بالنظام الروماني البيزنطي، الذي ارتكز على الساحل، كما كانت قبلة ووجهة بلاد المغرب نحو الشرق"المشرق الإسلامي" وليس نحو الشمال"أوروبا"[6].

وازداد نمو الجهاد البحري المغربي في عهد موسى بن نصير الذي يعتبر المؤسس الحقيقي للبحرية الإسلامية في غرب البحر المتوسط[7]، وإذا تتبعنا سير الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب، فإننا نجدها متوجهة من الشرق نحو

تبليغ أوامر الربان إلى الملاحين، والدليل الذي يرشد السفن عند دخولها أو المرور على السواحل الوعرة والمضايق. **رحيم كاظم محمد الهاشمي، و عواطف محمد العربي شنقارو: المرجع السابق، ص93–94.**

1) توفيق مزاري:النشاط البحري بالغرب الإسلامي، في عهد الموحدين والمرابطين، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2011، ص22.

2) أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت، ص100.

3) دار الصناعة هي عبارة عن ترسانة بحرية تأوي السفن إليها وتكون مصنعا لبناء السفن، وتجهيزها بالعتاد والسلاح، وأمر موسى بن نصير بأن يجر ماء البحر إليها بأن يحفر قناة واسعة توصل مياه البحر إليها إلى الداخل، وذلك من أجل حمايتها والزيادة في أمن السفن عند هبوب عواصف البحر وأنوائها. **يحي شامي: موسى بن نصير الفاتح الذي لم تهزم له راية، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص36**؛ وقال البعض أن حسان بن النعمان سبق موسى بن نصير في إقامة هذه الدار في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وأن موسى بن نصير أنه قام بتوسيعها فقط. **عبد الواحد ذنون طه: موسى بن نصير، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004، ص65**، وهناك من يرجعها إلى الوالي عبيد الله بن الحبحاب الذي بناها سنة 116 هـ. **البكري: المغرب، ص37**؛ **الرقيق القيرواني: قطعة من تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، وعزالدين عمرو موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص71.** ومن المرشح أن يكون حسان بن النعمان هو من أنشأها، ثم وسعها موسى بن نصير وابن الحبحاب.

4) اليعقوبي: البلدان، مطبعة بريل، مدينة ليدن، ص138؛ **و علي خلاصي: المرجع السابق، ص4.**

5) محمد ضيف الله بطاينة: دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999، ص315.

6) دومنيك فاليرين: بجاية ميناء مغاربي، 1067–1510م، ترجمة علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014، ج1، ص11.

7) توفيق مزاري:المرجع السابق، ص22.

الغرب سالكة طريق البر "الهضاب"في البداية، ثم ظهر اتجاه آخر حصّن المناطق الشمالية الساحلية وجزر البحر المتوسط[1].

وهذا ما قد يفسر سبب عدم الإقبال على البحر من قبل المسلمين في البداية، وأضاف محمد المهناوي أن نظرة البربر تشبه نظرة العرب بقوله:"إن البحر ظل هامشيا ضمن اهتمامات المجتمع المغربي، وكانت علاقة المغاربة بالبحر محدودة حتى في زمن توفر السلطة المركزية على أسطول بحري"[2].

أما المؤرخ البلجيكي هنري بيران Henri Pirenne فيشير في كتابه الشهير تحت عنوان محمد وشارلمان[3]، أن الفتوحات الإسلامية في العهد الأموي أدت إلى النتائج التالية:

حطمت وحدة البحر المتوسط وغيرت ميزان القوى فيه[4] وقضت على الحركة التجارية الأوربية في البحر المتوسط، وعملت على قطع العلاقات التجارية بين الشرق و الغرب[5].

تحول البحر المتوسط من بحيرة رومانية إلى بحيرة عربية إسلامية، وبذلك تحول الاقتصاد الأوربي إلى اقتصاد مغلق، يعتمد على الاكتفاء الذاتي، لذلك انهار العالم القديم و بدأت العصور الوسطى، وأن التجار المسلمين لم يمارسوا نشاطهم خارج حدود العالم الإسلامي[6].

وقد لقيت فعلا هذه الأطروحة ردود أفعال كثيرة من طرف أقطاب الاستشراق:

كألبي أشتور"Eliyahu Ashtour ، والذي حمّل فيه الفتوحات الإسلامية مسؤولية تفكك الوحدة السياسية والاقتصادية للعالم المتوسطي، وهذا ما أدى إلى انحطاط شامل لمدن المنطقة في مقال له صدر في المجلة السويسرية للتاريخ سنة 1970، والذي ناقش فيها أطروحة هنري بيران من خلال توضيح دور اليهود الردانيين في التجارة المتوسطية خلال الفترة الإسلامية الأولى[7].

---

1) موسى لقبال: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص126؛ **و محمد الأمين بلغيث: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1986–1987، ص100.**

2) المغاربة والبحر، خلال القرن السادس عشر، ضمن ندوة البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 24–26 أكتوبر 1996، ص19–20.

3) Henri Pirenne; Mahomet et Charlemagne, nouvelles société d édition, Paris,1937, p.45-60.

4) Allaoua Amara; Bûna et la littoralisation du pays kutāma, Le rôle des villes littorales du Maghreb dans l’histoire, RM2E - Revue de la Méditerranée édition électronique, Tome III. 1, 2016, p. 141.

5) محمد حناوي:جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قبيل القرن العاشر للميلاد، ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، خلال القرون الوسطى، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 1995، ص153.

6) Henri Pirenne; op, cit, pp.45-60, 111.

7) E.Ashtor; nouvelles réflexions sur la thèse de Pirenne, Apropos d’une rémpression de Mahomet et Charlemagne, dans Studies on the Levantine Trade in the Middle Ages.

بقيت هذه النظرة إلى غاية ثمانينات القرن الماضي عندما أثبت كل من الأثريين ريتشارد هودغس Richard Hodges ودافيد ويتهوسDavid Whitehouse"في كتابهما الموسوم ب" محمد، شارلمان، وأصول أوروبا"بأن انحطاط حضارة المتوسط الغربي قد بدأت في القرن الثالث الميلادي زمن الإمبراطورية الرومانية، وهذا اعتمادا على نتائج الحفريات التي أجريت في بريطانيا وتونس[1].

بل يذهب أندري جوليان للحديث عن ردة تراجعية عرفتها المدن البيزنطية السابقة بشمال إفريقيا قبل فترة قليلة من مجيء المسلمين[5]، إلا أن المدن السابقة استمرت إلى غاية الاحتكاك مع أول جيش إسلامي بالمنطقة.

وتقول الرواية العربية، وهي تكاد تتفق على الخبر بأن إفريقية كانت قبل مجيء الإسلام "من طرابلس إلى طنجة ظلا واحدا وقرى متصلة ومدائن منتظمة"[6]، "حتى لم يكن في أقاليم الدنيا أكثر خيرات، ولا أوصل بركات، ولا أكثر مدائن وحصونا من إقليم إفريقية والمغرب، مسيرة ألفي ميل في مثل"[7]، وبغض النظر عن إلصاق التهمة

---

1) علاوة عمارة: النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر(ق3-6 هـ/ 8-12م)، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة، العدد 9، ديسمبر 2008، ص61.

4) محمد حناوي: المرجع السابق، ص153.

5) المرجع السابق، ج2، ص9؛ **وعبد العزيز غوردو: المرجع السابق، ص15**.

6) الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص31.

7) ابن عذارى: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان، وإليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، ط2، 1980، ج1، ص36.

بالكاهنة بأنها هي من خربتها، إلا أن هذه الأخيرة كان مجالها محدودا، فما مصير المدن الساحلية الغربية، أم أن هناك كاهنة أخرى؟

كما يذكر حسن الوزان (ت957 هـ/1550م) أن بلاد المغرب في بداية الفتح الإسلامي كانت تحوي مدن وكتابات إفريقية باللغة المحلية، قام المسلمون بإحراقها في الفترة العباسية بداعي أن" الإبقاء عليها من شأنه أن يترك الأفارقة على نخوتهم القديمة ويدعوهم إلى الثورة والارتداد عن الإسلام"[1] ، ولكن هذا فيه الكثير من التجني دون دليل خاصة للبعد الزمني للوزان عن الفترة المدروسة ولغياب النصوص التي تثبت ذلك[2].

لكن يعود الوزان لينصف المسلمين من خلال تأكيده استمرار الكثير من المدن، التي كانت قبل الإسلام بعد الفتح، وتتوزع المدن التي ذكرها الوزان من حيث التأسيس إلى ثلاثة أصول أساسية تراوحت بين الموروث الإفريقي القديم أي النوميدي والموروث الروماني ثم الموروث البيزنطي، وأخيرا يشير إلى المساهمة المدنية في ظل الإسلام[3].

ولاحظ دو ماس لاتري أن العلاقات لم تنقطع بين حوضي البحر المتوسط، وأن رحلات الروم والبيزنطيين استمرت نحو العالم الإسلامي ولم تنقطع مع الفتح الإسلامي[4].

كما يرد علاوة عمارة على طرح هنري بيران، بإرجاع أوضاع بلاد المغرب المهلهلة إلى:

1-حالة القحط الذي ضرب المغرب الأوسط وتزامنه مع قدوم موسى بن نصير لاستكمال الفتح، مما أدى إلى انكماش التجارة سواء الداخلية أو الخارجية.

2-الوضع القانوني للأرض في بلاد المغرب تحت السيطرة البيزنطية والتي لم تسمح بازدهار التجارة والزراعة[5].

1) حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص69-70.

2) يستطيع التمييز بين أربع حالات: - المدينة القديمة تتحول إلى مدينة إسلامية مثل ما هو عليه الحال لقالمة وقسنطينة وسطيف وميلة، - بناء مدينة حديثة إسلامية بجانب المدينة القديمة لتصبح مكملة لبعضها كما هو الحال لتنس وتيهرت وبونة- هجرة المدينة القديمة وبناء مدينة حديثة على أنقاضها، كما هو الحال بالنسبة للمسيلة والمدية ومليانة- بناء مدينة حديثة إسلامية خالصة مثل ما هو عليه الحال بالقيروان وفاس وقلعة بني حماد.**علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص63**.

3) علاوة عمارة: إشكالية الهوية، ص76.

4) De Mas Latrie ; Relations et commerce de l'Afrique septentrionale ou Maghreb avec les nations chrétiennes au Moyen Age, Paris, Librairie de Firmin- Didot, 1886, p.17.

5) Allaoua Amara ; L'Animation de la Maritime du Maghreb central, revue des lettres et sciences humaine, Ne6, Ramadhan1426/Octobre2005.Université Emir, A.E.K, constantine, p.8-9.

ومن المعروف أن العرب في المغرب والأندلس أبقوا التعامل بالنقود البيزنطية اللاتينية لانشغالهم بعمليات الفتح وتركيز أركان الدولة، ويبدو أن هذه العملية دامت سبعين سنة، لأننا نملك نقودا لموسى بن نصير(84-96هـ/703-715م) حافظ فيها على كل خصائص الدنانير الهرقلية[1]، والنقود التي كانت سائدة في العصر البيزنطي"الدنانير الذهبية والفلوس النحاسية"[2]، مما يؤكد استمرار النشاط التجاري البحري مع ضفتي البحر المتوسط ولم تكن هناك قطيعة مع قدوم العرب الفاتحين.

وعن حال البحرية الإسلامية وسواحل المغرب الأوسط فالواقع مخالف لذلك، حيث أن الفاتحين المسلمين في شمال إفريقيا، واجهوا صعوبات مصدرها نشاط البحرية البيزنطية، و قد اضطرهم ذلك إلى القيام بنشاط بحري مماثل، شارك الأسطول العربي الإسلامي بمراكبه التي كانت صناعتها في مصر في العمليات ضد البيزنطيين في ولاية حسان بن النعمان الغساني سنة78هـ/697م[3]، والتي على إثرها كلفه الخليفة عبد الملك بن مروان بإنشاء دار الصناعة في تونس في سنة79هـ/698م، كأول دار لصناعة السفن في بلاد المغرب[4].

و تشير المصادر العربية إلى التحصينات البيزنطية التي التجأت إليها فلول البربر ببونة و مرسى الخرز بعد انهزامهم أمام جيوش حسان بن النعمان والذي تخلى عن اللحاق بهم[5]، وهذا دليل أن البنى التحتية البحرية قد استغلت مع بداية الفتح من قبل السكان المحليين.

كما نجد موسى بن نصير عندما أراد القيام بغزوة الأشراف-وهي أول غزوة في البحر الإفريقي الشمالي سنة85هـ/704م، أمر الناس بالتأهب لركوب البحر، وكان أعلمهم أنه راكب البحر بنفسه، مرغبا إياهم على اقتحام أهوال البحار، فتسارعت الناس من كل فج وصوب، ولم يبق شريف من أهل القيروان وتونس وما جاورهما، إلا وقد ركب"[6]، ونستنتج من هذه الرواية الواردة في كتاب الإمامة والسياسة المنسوب لابن قتيبة أن سكان شمال إفريقيا"بلاد المغرب" كانوا متوجسين خيفة من ركوب البحر إلى أن طمأنهم وأخبرهم أنه—أي موسى بن نصير- أول الراكبين، وهو أمر غريب عن سكان اعتادوا على ركوب البحر، كما نستنتج من ذلك أن أغلب سكان بلاد المغرب بما فيه المغرب الأوسط شاركت في هذه الحملة.

1) الدنانير الهرقلية: نسبة إلى الإمبراطور هرقل الذي نقشت صورته عليها.**محمد الشابي: مقدمة لدراسة نقود إفريقية العربية، مجلة إفريقية، العدد1، تونس، 1966، ص189**.

2) صالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، موفم للنشر، الجزائر، 2001 ، ص73.

3) ياسين أحمد صالح الديلمي: المرجع السابق، ص58.

4) ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة تونس، 1967، ص15.

5) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص35.

6) ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، اعتنى بطبعه و بتصحيحه محمد محمود الرافعي، مطبعة النيل، مصر، 1904، ج2، ص111-112.

وقد أدرك المسلمون الفاتحون تمام الإدراك تخلفهم في الثقافة البحرية[1]، ليس بالنسبة لأعدائهم البيزنطيين فحسب، بل بالنسبة لسكان البلاد المفتوحة كسكان المغرب الأوسط الذين كانوا بحكم تطلعهم إلى البحر قد تمرسوا في خوض مياهه[2].

وتشير المصادر الكارولنجية أن أوائل الملاحين المسلمين في السواحل الشرقية للجزائر كانوا من بربر مقاطعة موريطانيا، وعرفوا باسم موري Mauri وقد اشتهروا بغزواتهم ضد معاقل النصرانية انطلاقا من شواطئ المغرب الأوسط والأندلس[3].

لهذا ركزت الحملات العسكرية الإسلامية على مدن الداخل البعيدة عن الساحل حيث الافتقار لثقافة بحرية تمكن من مواجهة السفن البيزنطية وفي نفس الوقت التوجه نحو المناطق المفتوحة طبوغرافيا، ما يسهل من مهمة الجيوش في التوغل بعيدا عن كمائن الجبال[4].

ولا يمكن إنكار وجود بُنى تحتية تعود إلى الفترة القديمة ببلاد المغرب، باعتبار صناعة السفن من الصناعات القديمة بشمال إفريقيا وعراقة أساطيلها البحرية[5].

ورغم قيام موسى بن نصير بعدة حملات بحرية فتح فيها كل من جزيرة قوصرة والتي تعرف اليوم بنطلارية، بين المهدية وصقلية، سنة78هـ/697م[6]، ثم سرقوسة، سنة86هـ/705م، ثم سردينية سنة89هـ/707م[7]، إلا أننا لا نجد للمغرب الأوسط أثراً أو مساهمة أو محاولة إنشاء موانئ أو مدن ساحلية أو دور صناعة به رغم ما يتمتع به من موقع استراتيجي وأهمية لخلجانه لرسو السفن وخبرة أهله السابقة في البحرية وهو ما يدعو للتساؤل والحيرة؟.

---

1) لا شك أن سبب إحساس العرب بالتخلف في المجال البحري يرجع إلى تعرض القسم الجنوبي من بلادهم وأعني به اليمن وحضرموت وعمان زمنا طويلا لسيطرة الأحباش الذين استأثروا بالطريق التجاري عبر البحر الأحمر، ثم لسيطرة الفرس الذين قضوا على تجارة العرب في بحري عمان وفاس واحتكروا لأنفسهم تجارة الهند إضافة إلى السيطرة البيزنطية التامة على البحر المتوسط، إضافة إلى طبيعة بلادهم الصحراوية، حيث يندر وجود الأشجار التي تصلح لصناعة السفن، وخلوها من معدن الحديد.

2) أحمد مختار العبادي، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، دار النهضة العربية، بيروت، 1972، ص14.

3) Christophe Picard; La Mer et les Musulmans d’ Occident au Moyne Age (VIIIe – XIIIe siècle), Paris, P.u.f , 1997, p.12.

4) علاوة عمارة و زينب موساوي: مدينة الجزائر في العصر الوسيط، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 44-45، سبتمبر 2009، ص28.

5) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج1، ص111-112؛ و **عبد الكريم الشبلي: ديوان الجند بإفريقية إلى حد العهد الزيري، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2003، ص402.**

6) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص413.

7) ابن قتيبة: المصدر السابق، ج2، ص112-113.

باستثناء إشارة تاريخية قد تكون مجرد أسطورة، تفيد أن موسى بن نصير وضع حراسة قوية على سواحل بلاد المغرب، وكلف طارقاً بن زياد بهذه المهمة، بحيث توجه طارق إلى تلمسان وابتدأ برصد السفن البيزنطية، في محاولة للاستيلاء عليها، وأخذ من عليها من الرجال للاستفادة منهم في الحصول على معلومات يمكن أن تستخدم في مهاجمة الأندلس، أو غيرها من مناطق البحر المتوسط[1].

فإن صحت هذه الرواية المفردة، فيعني ذلك اهتمام موسى بن نصير بسواحل المغرب الأوسط كمدينة تلمسان"ربما ميناء هنين"، وبخبرة سكان المغرب الأوسط من البربر في البحر المتوسط لفتح الأندلس.

كما أن بعض المؤرخين يرجعون أصل طارق بن زياد إلى بربر زناتة المستقرة بضواحي تلمسان[2]، كما أن أغلب جيوش الفتح الإسلامي للأندلس من مديونة الضاربة على ساحل البحر من نواحي المغرب الأوسط إلى أحواز سبتة[3]،وطارق بن زياد فاتح الأندلس، كانت أغلب جيوشه من البربر، فيمكن أن يكونوا من قبيلته وبالتالي من المغرب الأوسط، وهذا يوحي باهتمام سكان المغرب الأوسط بالبحر والبحرية حتى مع الفتح الإسلامي.

لكن استخدام طارق بن زياد لسفن يوليان[4] أثناء الفتح يطرح إشكالية ضعف بحرية المسلمين الفاتحين، رغم أن أرشيبالد يرجع عدم استخدام أسطول إفريقية لنقل الجيوش إلى الأندلس لحماية الظهر وخطوط المواصلات من الأسطول البيزنطي[5].

وقد كان لغياب ثقافة بحرية تجارية للقبائل العربية الوافدة و للكنفدراليات القبلية البربرية دور كبير في تهميش مدن ساحل المغرب الأوسط على وجه الخصوص، والتي استمرت في تراجعها العمراني وفقدانها لدورها العسكري والاقتصادي لفائدة مدن الداخل المرتبطة خصوصا بالإنتاج الفلاحي وبتجارة الذهب والرقيق[6]، هذه الوضعية لا

---

1) عبد الملك بن حبيب: كتاب التاريخ، اعتنى به عبد الغني مستو، المكتبة العصرية بيوت، ط1، 2008، ص143؛ **و عبد الواحد ذنون طه**: **المرجع السابق، ص65**.

2) هو طارق بن زياد بن عبد الله بن رفهُو بن ورفجوم بن بنزغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، فهو بربرى من نفزة، وهو مولى لموسى بن نصير من سبي البربر، وبالتالي يشار إليه بأنه طارق بن زياد النفزاوى البربري من إفريقية.**ابن عذارى**: **المصدر السابق ج2، ص5**.

3) عبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة، ط2، 1999، ص39-40. **مديونة**:وهم من إخوة مَغِيلة ومطماطة من ولد فاس كما قلناه، وكانت مواطن جمهورهم بنواحي تلمسان ما بين جبل بني راشد لهذا العهد إلى الجبل المعروف بهم قبلة وجدة، يتقلبون بظواعنهم في ضواحيه وجهاته. وكان بنو يلومي وبنو يفرن من قبلهم يجاورونهم من ناحية المشرق، ومكناسة من ناحية المغرب، وكومية وولهاصة من جهة الساحل. **ابن خلدون**: **العبر، ج6، ص165**.

4) ابن قتيبة: المصدر السابق، ج2، ص60.

5) أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص104.

6) علاوة عمارة و زينب موساوي: المرجع السابق، ص28-29.

نجد لها معطيات خبرية وافية لتصوير حجم التدهور الذي أصاب هذه المدن في القرنين 1و2هـ/7و8م بعد انعدام الحضور العسكري لسلطة الخلافة في المناطق الساحلية للمغرب الأوسط[1].

ويقر الباحث علاوة عمارة بتراجع دور المدن الساحلية والموانئ للمغرب الأوسط بعد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، لصالح المدن الداخلية[2] كتيهرت وأشير، لعدة عوامل منها الابتعاد عن خطر البحر الرومي وغياب تقاليد بحرية لدى القبائل العربية المستوطنة في بلاد المغرب، وهناك عامل رئيسي وحاسم يتمثل في استمرار العرب في تطبيق التقسيم الإداري البيزنطي المرتكز على مجموعة من المدن الداخلية، واستمر الوضع على حاله بعد الفتح إلى غاية القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي أين تمكنت مجموعة من البحارة والتجار الأندلسيين من ربط علاقات بين المغرب الأوسط والموانئ الأندلسية[3]، ولكن قد يكون هذا الكلام صحيحا على بجاية التي ضعف دورها خلال التواجد البيزنطي؛ ولكن كانت قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب الأوسط عدة مدن ساحلية بيزنطية مزدهرة كتنس وجيجل وبونة، وكذا بعد الفتح مباشرة بقيت بعض المدن مزدهرة كمرسى الخرز وتنس والتي تعتبر منفذ لتيهرت البرية.

أما التبرير الحقيقي لغياب المدن الساحلية مباشرة بعد الفتح هو ما قدمه نفس الباحث بقوله"إن الكتابة التاريخية العربية أحدثت قطيعة ابستمولوجية مع الماضي القديم وهو ما نلمسه في النصوص الأدبية التي وصلتنا سواء كانت إخبارية أم وصفية"[4]، أي أن هذا التراجع كان في عدم الكتابة عنها فقط من قبل الكتاب العرب المسلمين الأوائل.

ولكن هناك نص تراثي متأخر نوعا ما عن مرحلة الفتح، وهو نص فقهي وصف فيه النتائج السوسيو اقتصادية للفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وصاحبه هو الفقيه، وقاضي بجاية الحفصية عبد الرحمن الوغليسي(ت786هـ/1384م)الذي وردت نازلته في مجموع"الدرر المكنونة في نوازل مازونة" لأبي زكريا يحي بن موسى المغيلي المازوني(ت883هـ/1478م) في هذا النص تحدث الوغليسي عن وضعية الأرض في بلاد المغرب مركزا على دور الفتوحات الإسلامية في إعادة الخريطة الزراعية، ولكن ما يلفت الانتباه هو تحميل الفاتحين مسؤولية

---

1) ليوبولد تورس بالباس: المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة إليو دورو دي لابنيا، الرياض، منشورات مركز الملك للبحوث والدراسات الإسلامية، 2003، ص21-37.

2)Allaoua Amara; Bûna, p.145.

3) علاوة عمارة:التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط، مجلة المجلة للدراسات الإسلامية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد26، سبتمبر2008، ص227.

4) علاوة عمارة:التطور العمراني، ص228.

الأزمة الاقتصادية التي حدثت بفعل لجوء سكان الأراضي الواقعة قرب المدن الساحلية إلى الجبال هروبا من الجند المسلمين، هل هذا كان كافيا لإحداث أزمة اقتصادية مصحوبة بانحطاط شامل؟ نص النازلة لا يسمح باستخلاص ذلك[1].

كما أن الاضطرابات التي شهدتها بلاد المغرب في عهد الولاة –ثورات البربر والخوارج–سمحت بعودة سيطرة البيزنطيين على مدن من غرب البحر المتوسط،مما أدى إلى سوء الأحوال الاقتصادية[2]، وهذا يعني أن الحركة التجارية لبلاد المغرب قد ضعفت واتجهت بعيدا عن الساحل.

ويذكر المؤرخ فتحي عثمان أنه في بداية العصر العباسي توقف النشاط البحري للمسلمين في مصر والشام وبلاد المغرب، ما يقارب من خمسين سنة، بسبب سياسة الدولة العباسية التي انتهجت منذ قيامها سياسة مشرقية وتطلعت بوجهها– نحو خرسان– بعيدة عن شؤون البحر، ونفضت يدها من محاربة البيزنطيين في البحر المتوسط[3]، مما أدى إلى انفصال المغرب الإسلامي والأندلس عن المشرق[4]. فكيف ساهمت الفتوحات الإسلامية في تفكك وحدة العالم المتوسطي، وبالتالي تحميل العرب مسؤولية تحطيم حضارة المغرب الموروثة في أغلبها عن الحضارة الرومانوبيزنطية[5].

يبدو أن غالبية المدن المغربية القديمة كانت ساحلية أو قريبة من الساحل، وتقل كلما توجهنا نحو الداخل، وخاصة وراء المرتفعات الجبلية، وذلك ما نلمسه من النصوص القديمة عند هيرودوت، أو نص بلين(Suétone Paulin القنصل الروماني) حول الجنوب القسنطيني[6]، وهذا كله يرمز ويبن التوجه البحري الساحلي لسكان بلاد المغرب قبل مجيء المسلمين.

1) المازوني: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط، المكتبة الوطنية تونس، رقم 3502، نقلا عن علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص62.

2) أرشيبالد: المرجع السابق، ص193.

3) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة، 1966، ج1، ص382، ج2، ص347.

4) أحمد مختار العبادي، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص38.

5) علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص61.

6) عبد العزيز غوردو: المرجع السابق، ص16.

يجعلنا أمام فكرة إقامة مدن إسلامية على أنقاض القديمة، وبواسطة المادة الأولية القديمة مما ساهم باختفاء الآثار القديمة، ورغم ذلك يبقى الأصل المحلي للمدن المغربية المستحدثة في الفترة الإسلامية في طليعة إشارات الوزان، وهنا يظهر الدور البناء للعنصر العربي والبربري في عملية التعمير، مما يوضح جليا أن عددا معتبرا من المدن المغربية قد تم تشييدها في الفترة الإسلامية أو أنها واصلت مشوارها في الفترة الإسلامية وحافظت على قاعدتها السابقة، واستعمل الوزان مصطلحات تبين استمرارية المدن التي كانت قبل الإسلام وبعده في بلاد المغرب كقوله"بناها الأفارقة في عصر قريب"[2]، أو"مدينة أسسها في عصرنا ملوك"[3]، أو "مدينة بناها الأفارقة"[4]، في إشارة إلى المجتمعات القبلية المحلية سواء قبل الإسلام أو بعده، ومن المدن الساحلية التي ذكرها هنين وأرشكول .

كما يلاحظ أن التطور العمراني للعالم الإسلامي، يعتمد أساسا على الازدهار الاقتصادي الذي يكاد ينحصر في تلك الفترة على النشاط التجاري، وهو النشاط الذي يكمن وراء تطور المدن وانتشار شبكة المسالك التجارية البرية والبحرية معا[5]، وهو ما توقف أو قل خلال هذه الفترة.

والمتتبع لانتقال النسيج العمراني القديم إلى نمطه الإسلامي[6]، في المغرب الإسلامي، يلاحظ بالنسبة للمدن الساحلية القديمة، بناء مدينة حديثة إسلامية بجانبها لتصبح مكملة لبعضها كما هو الحال لتنس وبونة، والناصرية"بجاية" وتلمسان، وهو ما يبين عدم وجود قطيعة عنيفة مع الموروث القديم السابق للفتح الإسلامي، وهو ما ينطبق كذلك على الأنشطة الملاحية لمدن الساحل، حيث لم تتوقف نهائيا بسبب عمليات الفتح[7].

كما عثر على نصب جنائزي بتلمسان يعود إلى عام 31هـ/651م، أي فترة الفتح الإسلامي، مما يدعو إلى الاعتقاد أن المدينة كانت عامرة عند دخول الفاتحين[8]، ولم يعمل المسلمون على تهديمها.

---

2) حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص27.

3) نفسه، ج2، ص31.

4) نفسه، ج2، ص32.

5) الحبيب الجنحاني:المغرب الإسلامي،الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين (3و4هـ_9_10م)، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1978، ص14.

6) حسن الوزان: المصدر السابق، ج1، ص69-70.

8) ستي صندوق: تلمسان وأحوازها في العصور القديمة، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد 2، 2001، ص27.

بل العكس فقد عرفت الواجهة الساحلية للمغرب الأوسط بداية من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي نشاطاً تجارياً هاماً بفضل قيام الملاحين الأندلسيين بتأسيس عدة مدن وموانئ على الساحل المغربي، إنه جيل جديد من الملاحين الأندلسيين الذين خلفوا العنصر البربري الجهادي، وقد تخصص هذا الجيل في شراء منتوجات المغرب وبيعها في الأندلس بعدما تمكن من بناء مدينة تنس، ووهران، ومرسى الدجاج[1].

ويعود الفضل في هذا النشاط التجاري بالبحر المتوسط إلى سياسة خلافة قرطبة التي اهتمت بربط الأندلس ببقية العالم الإسلامي تجاريا[2].

وحتى في بداية الدولة الأغلبية ورغم انتصاراتها الهامة إلا أنها بقيت عاجزة عن السيطرة الكاملة على البلاد الساحلية، وهو ما يفسر إنشاء الحصون وبناء الرباطات الكثيرة على طول الساحل الإفريقي، وهذا دليل على تفوق البحرية البيزنطية على المسلمين في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط[3].

كما يذكر البكري اسم"سطورة"، واحتمال انه اسم ميناء سطورة الحالي التابع لسكيكدة كما يذكره كذلك الإدريسي بنفس الاسم سطورة وهو الاسم الذي وجدناه في الفترة الرومانية، وهنا نتساءل هل اسم سطورة هو نفسه الاسم الذي استخدمه اللاتينيون في كتاباتهم باسم روسيكادا؟، لأنه يعود ويظهر اسم جديد لسكيكدة في القرن الخامس هجري وهو أسقدة أو تاسقدة.

وعموما كانت المدن الساحلية للمغرب الأوسط مع الفتح الإسلامي مدناً صغيرةً بسبب ضعف البزنطيين المسيطرين عليها وعدم اهتمامهم بها؛كما أن المدن الساحلية في البداية لم تكن ضمن خطوط الفتح الإسلامي في المراحل الأولى للفتح، حيث اتبع الطرق الداخلية والصحراوية، بينما أهمل الساحلية حيث يتركز البيزنطيون، إضافة إلى التهديد البيزنطي البحري المستمر لأي استقرار عربي في الساحل خاصة أن الفاتحين لم يؤسسوا بعد لقواعد بحرية لأسطولهم.

ويقول عمر فروخ أن المسلمين هم الذين وحدوا حوضي البحر الأبيض المتوسط مدة طويلة من الزمن، منذ فتح الشام والعراق ومصر، وأضافوا إليه بلاد المغرب والأندلس، فوحدوه في بداية الأمر في الإدارة، حيث كان جميع الولاة يعينون من الخلافة الأموية ثم العباسية حتى ظهور دعوة عبد الرحمن الداخل[4]، ويؤيده جورج سارطون لما رأى

1) علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص63.

3) أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص159.

4) عمر فروخ: العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص11.

البحر الأبيض المتوسط منطقة جغرافية تامة الوحدة تنقسم فقط إلى وحدات صغيرة، ورأى فيه تشابها كبيرا واختلافا طفيفا[1].

خاتمة الفصل التمهيدي: في ختام هذا الفصل نستطيع استخلاص جملة من النتائج منها:

✓إننا نقر ونوافق ما ذهبت إلية الباحثة حليمة فرحات حين أكدت بأن ما نجهله عن علاقة المغاربة بالبحر يفوق بكثير ما نعرفه عنها[2]، وهذا لا يجعلنا نوافق أن المغاربة علاقتهم علاقة نفور وتباعد عن البحر.

✓وقد أثر امتداد ساحل المغرب الأوسط في طبيعة السكان، فكانوا يتميزون بنشاطهم البحري، وأصبح جزء لا يتجزأ من حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، ولم يظهر هذا النشاط في صورته الحقيقية إبان تبعية بلاد المغرب للخلافة الأموية ثم العباسية"عصر الولاة"[3]، ولكنه اتضح بعد أن تطلع المغاربة إلى الانفصال وتشكيل دول

3) فتحي عثمان: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، القاهرة، 1967، ج2، ص189، ص347.

مستقلة، فمارسوا نشاطهم البحري الذي بلغ ذروته في القرنين الرابع والخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين.

✓إن سواحل المغرب الأوسط تنوعت بفضل ما وهبها الله من طبيعة ساحلية ممزوجة بجبال مطلة على البحر وبمجموعة من الجزر والخلجان والأودية التي تصب فيه، وهذه الميزة جعلت منه منطقة كثيرة المراسي والموانئ الصالحة لرسو السفن، وممارسة الصيد البحري بل حتى الملاحة النهرية.

✓إن إجراء مقاربات تاريخية لما كان يجري في الفضاء المتوسطي، يتيح لنا المقارنة بين الجو السائد في الفترة القديمة وما حدث في الفترة الوسيطة، وهو رد وطرح لنظرية التفكيك الإسلامي للوحدة المتوسطية، والفتح الإسلامي لبلاد المغرب لم تنجز عنه حدوث قطيعة في مجال الأنشطة البحرية، ولا يمكن الحديث كذلك عن انحطاط اقتصادي للمنطقة، وإنما يتعلق الأمر بحدوث أزمة نتيجة سيادة الفوضى بسبب الحروب، وكذلك طول المدة التي استغرقها العرب في تنظيم الحياة السياسية والاقتصادية لبلاد المغرب(1).

لكن مع عودة الأمن عرفت مراسي بلاد المغرب الأوسط والمغرب عموما حركة تجارية، انتعشت تدريجيا بفعل المجموعات الاجتماعية"القبائل"وتنشيطها بمساهمة أنظمة حكم مركزية"دول".

✓إن مسألة بقاء المدن القديمة في المغرب الأوسط لا تحتاج إلى دليل، نظرا لاستمرارها في عديد من المناطق، بل إن حضور المدن القديمة الساحلية ممتد إلى اليوم، ويمكن أن نسلم بتراجع دور بعضها لحساب البعض لكن دون قطيعة نهائية أو انهيار كما ذكر المؤرخون الغرب.

الفصل الأول

المجال الساحلي للمغرب الأوسط، من خلال كتب التاريخ والجغرافيا الإقليمية(ق 2-5هـ/8-11م).

1) علاوة ع

1) رؤية الاسطوغرافيا التاريخية لساحل المغرب الأوسط..

2) الساحل البحري للمغرب الأوسط من خلال الجغرافيين الأوائل(ق 3هـ-4هـ/9-10م):

3) المجال البحري للمغرب الأوسط وفق نظرة البكري

الفصل الأول: المجال الساحلي للمغرب الأوسط، من خلال كتب التاريخ والجغرافيا الإقليمية(ق 2-5هـ/8-11م).

الرحلات التي قام بها العلماء من العرب المسلمين إذ كرسوا حياتهم لتقصي الحقائق والمعلومات عن سائر البلدان حيث دونوا مشاهداتهم ونظموها تنظيماً علمياً.

وبالتالي شهد الفكر الجغرافي العربي تطوراً واضحاً في مجال البحرية، ولعل ابن حوقل في كتابه صورة الأرض، والمقدسي في كتابه أحسن التقاسيم، والبكري في كتابه المغرب، والإدريسي في كتابه نزهة المشتاق، يمثلون نموذجاً لهذا التطور، حيث استفدنا من ملاحظاتهم ومشاهداتهم الحية عن البحر المتوسط عموما والمغرب الأوسط خصوصا في جميع المجالات وخاصة في المجال البحري.مما شجعنا على الخوض في الإضافات الجغرافية العربية البحرية عن المغرب الأوسط الساحلي ودوره التجاري والملاحي بين مختلف التيارات الحضارية في البحر المتوسط.

وعموما تمتعت الموانئ والمراسي والمدن البحرية بتدابير خاصة نظرا لموقعها الجغرافي الذي يفرض عليها ذلك باعتبارها في مواجهة الغزوات البحرية في ثغورها[1]، وممارسة نشاطها التجاري والصيد البحري، وكلها تتطلب بنية تحتية تساعدها على هذا النشاط.وانطلاقا من هذه الحقيقة ينبغي أن ندرس تراث المغرب الأوسط البحري بموانئه ومراسيه ومرافئه، وسواحله الممتدة على شريط ساحلي طويل، وأن نحدد معالمه وملامحه الطبيعية والاقتصادية، والتاريخية وبالتالي السياحية، أي يجب الانطلاق من كتب التاريخ وكذا الجغرافيا للوصول إلى صورة حقيقية عنها، ومن هنا تتبادر إلى ذهننا العديد من التساؤلات منها:ماذا دونت الاستغرافيا التاريخية عن مدن المغرب الأوسط الساحلية، خلال القرون الأولى؟ وكيف نظر الجغرافيون الأوائل للساحل البحري للمغرب الأوسط؟

1) رؤية الاسطوغرافيا[2] التاريخية لساحل المغرب الأوسط.

لقد تميز البحر المتوسط عبر تاريخه بالتنوع والتعدد في أعراقه وشعوبه ولغاته وهذا ما جعل فرنناند بروديل ينعته بالعالم المتوسطي"Monde Méditerranéen"[1]، والمغرب الأوسط جزء من هذا العالم المتوسطي، بمساهماته

1) **الثغر** هو المنفذ، ويقصد به في كتب الفقه والتاريخ الحد الفاصل بين دار السلام ودار الحرب، كما اعتبرت المناطق الحدودية ثغوراً، والرباطات والحصون ثغوراً.**ابن منظور: لسان العرب، ج4، ص103؛ وأبو زيد القيرواني: النوادر والزيادات على ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1999، ج3، ص3-14**.

والثغر كل موضع قريب من أرض العدو ويسمى ثغرا والثغرة هي الفرجة في الحائط أو كل فرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوك، والثغر ما يلي دار الحرب وهو موضع المخالفة، طالما يستعمل المصطلح على المدينة القائمة على شاطئ البحر.**حميدي مليكة: الرباطات البحرية ودورها في الدفاع عن سواحل المغرب الإسلامي، مابين القرنين1-4هـ/7-10م، ضمن أعمال الملتقى الدولي النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني، يومي26 و 27 نوفمبر 2014، مجلة دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 2، العدد05 ، ج2، عدد خاص، ص77-78**.

2) **الاسطوغرافيا** ما يسميه العروي بالتاريخيات هو مقابل كلمة اسطوغرافيا التي تعني بالمعنى الضيق، مجموع النتائج التي توصل إليها الدارسون للكتابات التقليدية كالحوليات والمذكرات والطبقات والسير .**عبد الله العروي: مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005، ص97.**

الفعالة بمختلف الأنشطة التي تتم على سواحله وموانئه، بل كان له دوراً فعالاً في المنظومة البحرية من خلال بروز عدة موانئ وظهور عدة مسالك وطرق بحرية نشطة تربط بينه وبين مختلف الدول المطلة على البحر المتوسط.

وبالرغم مما يقال عن دور البِحار في عزلة أو اتصال الشعوب ببعضها إلا أن إنسان المغرب الأوسط حاول جعلها أداة وصل لا فصل، وحولها من حواجز إلى طرق ومسالك صالحة للتنقل والنشاط، وهو ما تبرزه لنا مختلف الكتب الجغرافية والتاريخية من خلال مختلف المعارك البحرية أو الأحداث المنحصرة في المدن الساحلية أو النشاطات الاقتصادية المتركزة في أغلب الشريط الساحلي.

ولا يمكن تعميم هذا الحكم في كل الفترات التاريخية التي مر بها المغرب الأوسط، حيث ولت مدن المغرب الأوسط الساحلية وجهها شطر البر الداخلي عكس البحر الأبيض المتوسط، خاصة بعد الفتح وخلال عصر الولاة إلى غاية فترة نهاية الدولة الرستمية حيث كان العدو البيزنطي يسيطر على البحر، مع ضعف واضح للبحرية المحلية، مما جعلها تدير ظهرها له لعلها تكون في مأمن منه، مع ترك منفذ بحري يوصلها بالعالم الخارجي خاصة الأندلس.

فأصبحت المرافئ[2] التجارية تتحكم في منافذ المسالك البرية، وكان عدد هذه المراسي والموانئ قليلا، مما جعل الكتاب الجغرافيين الأوائل وحتى المؤرخين لا يركزون عليها، ويذكرون أغلب المسالك البرية ومدنها الكبرى، دون الإشارة إلى المدن الساحلية.

---

1) Braudel Fernand ; La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe 02, ed5, V01 Colin, Paris, 1966.

2) **المرافئ والمراسي** في العصر الوسيط غير مفهومها الحالي فهي لا تعدو كونها مسطحا مائيا قليل الأمواج والعمق يمكن للمراكب أن ترسوا فيه بعيدة عن الشاطئ، وتقوم القوارب والفلك بالربط ما بينها وبين الشاطئ ورغم ذلك كان عددها قليلا، ثم أُدخلت عليها تقنيات بناء الحواجز للحد من الأمواج ودخول المراكب إلى أحواض الميناء من فتحة خاصة. **محمد الطويل: المرجع السابق، ص220**، ومن خلال تتبعنا للمصادر تبين أن المراسي والموانئ تصنف من حيث حجمها إلى كبيرة وصغيرة، ومن حيث موقعها إلى بحرية ونهرية ومراسي مصبات الأنهار التي لها نظام خاص إذ أن = الدخول والخروج منها لا يتم إلا بواسطة المد البحري، وتقسم من حيث تجهيزاتها إلى موانئ طبيعية وأخرى اصطناعية، كما يقسم المراسي إلى نوعين، صيفي وشتوي حسب فترة النشاط فيه، وقد يضاف مرسى ثالث يصلح لجميع الفصول، أما من حيث الأدوار فهناك الميناء التجاري والعسكري وقد يستغل للعملين معا. **الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص239؛ البضاوية بلكامل: أصناف الموانئ وأدوارها بالمغرب القديم من خلال المصادر الأدبية والأثرية، ضمن أعمال ملتقى المدن المراسي في تاريخ المغرب، أيام27–29 أكتوبر2010، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطابع الرباط نت، ط1، 2013، ص47.**

والمرسى Rade-Mouillage من فعل رسا ومنه رست السفينة إذا ثبتت. **الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، ج1، فصل نون، ص8186**، وهذا يعني أن مصطلح المرسى عام وشامل لكل مكان صالح للرسو طبيعيا"جغرافيا وطوبغرافيا"من خلال توفر الحماية من الأمواج والرياح ووجود الرؤوس أو الخلجان

لقد حقق المغرب الأوسط بحكم موقعه بين المغربين الأدنى والأقصى وبحكم علاقات الجوار الحسنة مع ملوك غانة والأندلس؛ مركزًا تجارياً ممتازاً في الشمال الإفريقي[1]، وبرزت بعض المدن والموانئ الساحلية بمثابة فرضة لمدينة تاهرت، ووسيلة لتصريف منتجاتها وصادراتها، وجلب الواردات إليها.

ونجد أن الفينيقيين والرومان والبيزنطيين عمدوا إلى جعل قواعدهم الرئيسية على ساحل بلاد المغرب، وحمايتها بسلسلة من الحصون الداخلية[2]، وتبعهم العرب الفاتحون حيث عمدوا إلى إصلاح هذه القواعد الساحلية القديمة وتهيئتها وفق نشاطهم العسكري والاقتصادي والديني[3]، مما جعل بلاد المغرب عموما والأوسط خصوصا تشتهر بالمدن القريبة من الساحل والتي كانت تصدر منتجاتها عن طريق البحر إلى روما[4] وإلى قرطاجة والإسكندرية وبلاد الشام.

للإشارة فإن حيوية الثغور والمراسي في المغرب الأوسط كانت مصدر علاقات متوترة أحيانا وفاترة أحيانا أخرى، بين مختلف المدن الساحلية في إطار المنافسة التجارية، أو فيما بين مختلف الدول المتعاقبة على المغربين

كما تعددت أسماؤها منها الجون، والفرضة والميناء والمرسى، حيث اختلفت المراجع في أصل كل تسمية، فمنها من يجعلها مترادفات، ومنها من يميز بينها مثل القول بأن المرسى طبيعي والميناء اصطناعي.**محمد الطويل**: **المرجع السابق، ص221–222**، كما سمي المرسى بالحفرة في بلاد المغرب إذ يشير إلى ذلك الونشريسي في إحدى النوازل رجوع المراكب إلى المرسى"الحفرة" الذي انطلقوا منه. **الونشريسي**: **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف المغربية، ودار الغرب الإسلامي، 1981، ج8، ص297–298**، ونجد مصطلح مرفأ قد تكرر ذكره بالموازاة مع المرسى مما يبين وجود اختلاف بينهما، وحتى في اللغة: أرفأت السفينة اقتربت من الشاطئ وأرفأت لجأت. **الفيروز أبادي**: **القاموس المحيط، مؤسسة النوري للطباعة والنشر، دمشق، 1987، مادة رفأ، ج1، ص16**، كما تعني أدنى أي اقترب. **جودت علي**: **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ط1، 1971، ج7، 254–255**، ومنه المرسى يعني سكون حركة السفينة، والمرفأ اقترابها من الشاطئ، أي أن المرسى يكون مهيأ تماما لاستقبال السفن وبقائها فيه أما المرفأ فهو مكان يسمح لها بالاقتراب من الشاطئ دون توقفها التام؛ فربما المرفأ يقود إلى المرسى، وأما الميناء يكون اصطناعي بنيت فيه عدة مرافق لتسهيل عملية رسو السفن وتفريغ شحنتها وهو يخالف المرسى الذي يكون مكان طبيعي لرسو السفن.**الطاهر قدوري**: **الدولة الموحدية وتهيئة المراسي ودور الصناعة، ضمن أعمال ملتقى المدن والمراسي في تاريخ المغرب، أيام 27–29 أكتوبر 2010، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطابع الرباط، ط1، 2013، ص265–266.**

1) محمد البشير شنتي: المرجع السابق، ج1، ص45-48.

2) إبراهيم احمد ألعدوي: المجتمع المغربي مقوماته الإسلامية والعربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1970، ص87.

3) عبد الكريم الشبلي: ديوان الجند بإفريقية إلى العهد الزيري، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2003، ص377.

4) عمار المحجوبي: ولاية إفريقية من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري146 ق م-235م، مركز النشر الجامعي، تونس، ص72.

الأقصى والأدنى، وهذا ما جعل بعض هذه المراسي والموانئ تضطلع بأدوار ملاحية مرتبطة بالوضع الجغرافي من خلال قربها أو بعدها من بعض المراكز الحضارية، أو النشاط الاقتصادي والمذهبي.

وعليه سنحاول تقديم نظرة عن بعض مرافئ أو موانئ شمال المغرب الأوسط وتطورها خلال الفترة الوسيطة، لنبرز قدم المرافئ والموانئ واستمرارها خلال الفترة محل الدراسة وهو دليل على انفتاح المنطقة على عالم البحر المتوسط، من خلال جملة من المصادر التاريخية.

وأول ما نلاحظه من خلال كتاب ابن عبد الحكم أن عهد الولاة امتاز بعدم الاستقرار مما جعل الولاة غير قادرين على إنشاء مشاريع معمارية كبرى على الساحل نظرا للظرفية الداخلية التي تميزت بانتفاضات المغاربة وشغب الجند(1)، ولم تسع بعد القوى السياسية والقبلية للتحكم في الواجهة البحرية نظرا لخوفهم من التحرشات البيزنطية.

ومن أهم المدن التي على الشريط الساحلي وذكرها ابن عبد الحكم مدينة تلمسان الكبرى الممتدة إلى الساحل، حيث ذكرها باسم تلمسين حينما تكلم عن طارق بن زياد(2)، أنه توجه من تلمسان إلى مدينة سبتة وهو ما يبين أن هناك خطا بحريا ولو عسكريا، بين تلمسان وسبتة.

لكن ما يميز كل ما أورده ابن عبد الحكم في فتوح افريقية"بلاد المغرب"هو عدم الإشارة إلى كيفية فتح المدن الساحلية–باستثناء تلمسان وأحوازها البحرية–مما يدفعنا لطرح عدة أسئلة هل كان العرب الفاتحون في البداية يتفادون فتح المدن الساحلية خوفا من هجمات البيزنطيين؟ أم أنها كانت مدناً مهجورة غير ذات أهمية؟ وهو ما تنفيه المصادر الأخرى، أم أن ابن عبد الحكم هو الذي تفادى ذكرها نظرا لطبيعة أسلوبه التأريخي العمومي، حيث لا يخوض في التفاصيل الدقيقة؟ أم أن طبيعة العرب الذين كانوا يحبذون في البداية المدن البرية والشبيهة ببيئتهم؟

أما عن الطريق الساحلي الذي ذكره ابن عبد الحكم عندما حاول تبرير طول مدة الفتح بقوله أن بلاد المغرب تأخر فتحها نظرا"لطول الساحل المغربي" فهو يسميه باسم الطريق الأعظم(3).

كما سار البلاذري في نهج ابن عبد الحكم عند الحديث عن فتح بلاد المغرب عموما والأوسط خصوصا حيث لم يشر إلى أي مدينة ساحلية في بلاد المغرب الأوسط، وكل ما ذكره كان عن الكاهنة ومقتلها، لينتقل

1) رياض المرابط: الرباط ومجتمع المرابطين، بحث لنيل شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، ص20.

2) فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964، ص72.

3) ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص14-15.

مباشرة إلى فتح طنجة[1] والأندلس[2]، ربما يعود ذلك لجهله للمنطقة وبعده عنها وعدم زيارته لها؟ أو بسبب شح المعلومات عن الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

وقد أشارت مصادر أخرى متأخرة عن فترة الفتح إلى تحصن البربر بمدينة بونة خلال حملة حسان بن النعمان على قرطاجة لفتحها سنة 74هـ/693م[3]، ووجود حصن دليل على حصانتها ومناعتها الدفاعية، واستمرارها خلال الفترة البيزنطية وبداية الفتح الإسلامي، كما يدل على حجمها المعماري.

ولئن لم تظهر المدن الساحلية في القرون الأولى على الساحة التجارية البحرية؛ إلا أنها برزت على مستوى الأحداث التاريخية منذ القرون الأولى للفتح الإسلامي، حيث مثلت إمارة نكور التي أسسها صالح بن منصور الحميدي، امتدادا لمجالها الجغرافي لتشمل كلا من هنين وتلمسان و وهران والمراسي الغربية منها، كحصن وميناء أرشقول[4].

إن الخوارج قد لعبوا أدوارا تفوقوا بها على الكيانات السياسية الأخرى، حيث ساهموا في تنشيط الحركة التجارية بين بلاد السودان والمغرب الأوسط وكذا بين المغرب الأوسط والمشرق[5]، سواء برا أو عن طريق موانئ البحر المتوسط، وكذا بين المغرب الأوسط والأندلس.

كما يعتبر كثير من الدارسين أن دولة بني رستم دولة داخلية ذات طابع بري، لكن الأبحاث أثبتت عكس ما ذهب إليه هؤلاء[6]، إذ كشفت النصوص التاريخية والجغرافية سيطرة هؤلاء على ساحل يمتد من تلمسان غربا إلى

---

1) **طنجة** بالفتح ثم السكون والجيم وهاء مدينة في الإقليم الرابع طولها من جهة المغرب ثمانون درجة وعرضها خمس وثلاثون درجة ونصف من جهة الجنوب وهي بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم والمدينة العامرة الآن على ميل من البحر وليس لها سور وهي على ظهر جبل، وبين طنجة وسبتة مسيرة يوم واحد وقيل إن عمل طنجة مسيرة شهر في مثله وهي آخر حدود إفريقية. **ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج4، ص43**.

2) فتوح البلدان، ص317-322.

3) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج24، ص19؛ **وابن عذارى**: **المصدر السابق، ج1، ص35؛ وابن خلدون: العبر، ج4، ص239**.

4) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص81، 131، 166.

Abderrahman. Khalifa ; L'Urbanisme des Traras au moyen-âge : Le cas de hunayn, Castrum 7, Zones côtière littorales dans le monde Méditerranéen au moyen-âge : Défense, Peuplement, Mise en valeur, édites par Jean Martin, Actes de colloque de Rome 23 – 26 Octobre 1996, C. E. F. R., Rome – Madrid, 2001, p.324.

5) ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر و إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص36-37.

6) أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص250.

طرابلس وبرقة شرقا؛ باستثناء الساحل الذي تراقبه الدولة الأغلبية الذي يمتد من بجاية غربا إلى بنزرت وخليج قابس شرقا، وبهذا يكون بنو رستم يملكون مدنا ساحلية أكثر مما هي عند الأغالبة أو الأدارسة(1).

ويظهر أن حكام الأندلس أدركوا هذه الميزة فعملوا على إنشاء بعض المراكز التجارية والاستقرار فيها، ويبدو أن تاهرت قد رحبت بهذا نظرا لما تدر عليها هذه المراكز"المدن"من أرباح، والملاحظ على أغلبية المراكز التجارية الأندلسية التي أنشئت على هذه الشواطئ ابتداء من تلمسان حتى بجاية وبونة لاتخلو مدينة ساحلية من الأندلسيين، بل نفذوا حتى إلى الداخل لربط تيهرت بالساحل عن طريق مرسى فروخ(2) ومرسى تنس(3) فيما بعد.

وقد استقبل الأمير الأموي عبد الرحمن الأوسط أبناء عبد الوهاب، وأكرمهم سنة207هـ/822م، وعند عودتهم غرقت السفينة بابنيه دحيون وبهرام(4)، مما قد يكون أثّر في نفسية وتفكير أئمة الدولة اتجاه البحر وخطورته.

لقد قام إدريس الثاني(177-213هـ/712-828م).بحملة ضد فتنة نفزاوة التي ثارت ضد السلطان عام199هـ/814م، لأن مشايخ القبيلة رأوه صغيرا على الخلافة، فثارت القبائل الأخرى، واستولت على كل

---

1) محمد عناوي: المدن الساحلية في منطقة المغرب العربي الوسيط إلى حدود القرن الرابع الهجري، ضمن أشغال ندوة المدينة في تاريخ المغرب العربي أيام 24-26نوفمبر1988، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية2 ابن مسيك، الدار البيضاء، المغرب، ص89.

2) اليعقوبي:البلدان، ص143

3) **تنس:** أحد ثغور المغرب الأوسط تقع غربي مدينة الجزائر يربط المدينة بخط بحري مع أغلب مدن البحر المتوسط وجزره. **رشيد بورويبة وآخرون: كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3، ص180**. تقع مدينة تنس شمال غرب الجزائر وهي تابعة حاليا لولاية الشلف وتبعد عن مقر الولاية بمسافة 50كلم شمالا، تبعد عن مدينة الجزائر بـ 204كلم وعن مدينة مستغانم بـ 116كلم، يحدها من الجهة الشمالية البحر الأبيض المتوسط. ومدينة تنس في الفترة الإسلامية كانت مدينتان واحدة قديمة قرب البحر، وأخرى حديثة على بعد حوالي كيلومترين من البحر تأسست سنة 262هـ/875-876م، وهي التي تدعى اليوم بالمدينة القديمة أو العتيقةLe vieux tenes. **إسماعيل بن نعمان: جوانب من الحياة الاقتصادية، لمدينة تنس الإسلامية، مجلة عصور، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، دار الأديب للنشر، الأعداد 12-13، 2008-2009، ص201**.

4) ابن سعيد المغربي: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، 1964، ج1، ص48.

الساحل الممتد من الناظور حتى أرشقول[1]، لكنه استطاع إخمادها واسترجاع المناطق الساحلية فدخلت تلمسان وأرشقول وهنين[2] وندرومة تحت السيطرة الإدريسية.

كما أصبحت تنس تابعة للأدارسة[3]، وازدهرت فيما بعد من حيث التجارة البحرية مما أدى إلى تطور المدينة في كل المجالات[4].

بذلك لعب الخوارج دورا مهما في النشاط التجاري بين بلاد السودان ومدن واحات الصحراء وبلاد المغرب الإسلامي، حيث ربطوا مراسي وموانئ المغرب الأوسط شرقا وغربا بالأندلس وصقلية، خاصة فيما تعلق بتجارتي الذهب والعبيد[5].

وبعد قيام دولة الأغالبة(184-296هـ/800-900م) نشطت حركة الرباط الساحلي والجهاد البحري وتم إحياء وازدهار المدن المطلة على البحر خاصة المدن الشرقية من المغرب الأوسط كبونة ومرسى الخرز وشرشال وجيجل[6]، وحقق أسطول الأغالبة بقيادة أسد بن الفرات أهم انجاز بحري في الحوض الغربي للمتوسط بفتحهم

---

1) محمد إسماعيل: الأدارسة حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991، ص78-79.

Abd rrahmane Khalifa; Honaine ancien port du royaume de Tlemcen, Dalimen édition, Alger 2008, P. 71.

2) لقد ذكر أول مرة ميناء هنين في عهد الأدارسة لأول مرة في المصادر العربية إثر حادثة متنبئ تلمسان سنة223هـ/851م الذي لم يذكر لنا التاريخ اسمه، ولما شعر بعزم السلطة القبض عليه ذهب إلى مرسى هنين وركب السفينة إلى الأندلس وقبض عليه واستتاب ولم يتب فقتل.**عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للنشر والطباعة، الجزائر، 2011، ج1، ص249**.

3) هو إبراهيم بن محمد بن سليمان بن إدريس ولاه أبوه محمد بن إدريس (213-221هـ/828-836م) تنس بعد أن قسم كل من تلمسان وأرشكول بين أبنائه فكانت ولاية تلمسان وأمصارها في عقبه، واقتسموا ولاية ثغورها الساحلية فكانت تلمسان لولد إدريس بن محمد بن سليمان، وأرشكول لولد عيسى بن محمد، وتنس لولد إبراهيم بن محمد بن محمد، وسائر الضواحي من أعمال تلمسان لنبي يفرن ومغراوة.**ابن خلدون: العبر، ج7، ص34-35**.

5) أرشيبالد لويس:المرجع السابق، ص255.

6) انظر أحمد الباهي: سوسة والساحل في العد المتوسطي، محاولة في الجغرافية التاريخية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004، ص584.

تذبذبت مدينة شرشال بين التبعية للاغالبة أو للرستميين فيعتبر **محمد الصالح مرمول** أنها كانت ضمن أملاك الدولة الرستمية. **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص178-179**.

جزيرة صقلية في ربيع الأول عام 212هـ/827م[1]، والأكيد كانت لسكان المغرب الأوسط مساهمة في هذا الانجاز باعتبار جهة الشرق جزءاً من الدولة الأغلبية، رغم عدم تفصيل المصادر في انتماءات البحارة الفاتحين.

ومن المدن الساحلية الشرقية جيجل التي كانت أهم معقل للقبائل البربرية القديمة"ممثلة في قبيلة كتامة ودنهاجة"، التي لم تكن تدفع المغارم ولا ينالهم تعسف الحكام-الأغالبة- لاعتزازهم بكثرة جموعهم، مما يبين لنا تمتع المنطقة باستقلال نسبي في تسيير أمورها[2]، لتصبح تابعا للفاطميين فيما بعد، وأكد القاضي النعمان هذا الكلام الذي يبرز مكانة جيجل خلال الدعوة الشيعية الفاطمية، من خلال شعر ابن عَقِب:

في الست والتسعين يأتيك العجب   بعد كمال المائتين من رجب

من جيجل ينقض جيش ذو لجب   أمضى من الجمر إذا الجمر التهب[3].

وأثناء الدولة الفاطمية وفي عهد الخليفة القائم بن عبيد الله الفاطمي الذي سيطر على الساحل الكتامي من سكيكدة إلى بجاية، خرب كل من هنين وأرشقول، سنة324هـ/935م، ليعاد بناؤها من جديد على نسق معماري إسلامي بربري على يد شيخ مكناسة[4].

كما تشير النصوص التاريخية إلى تكليف الإمام سحنون(ت240هـ/855م) سليمان بن عمران شيخ الحنفية بالقيروان للقضاء في بجاية[5]، مما يدل على استمرار تواجد بجاية بعد الفتح الإسلامي، كمدينة فيها سكان يحتاجون إلى قضاء وتسيير، رغم دعوة البعض بعدم الأخذ بهذه الرواية[6].

1) أبو العرب القيرواني: طبقات علماء إفريقية وتنوس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباني، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ص165؛ **وعدلي محمد علي صالح الهناندة: أوضاع الأسطول الإسلامي في المغرب خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة، صادرة عن جامعة اليرموك، 1998، ص8.**

2) ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص196.

3) افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986، ص68.

4) ابن خلدون:العبر، ج6، ص191.

5) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، مكتبة الحياة، بيروت، 1967، ج1، ص598.

6) علاوة عمارة:التطور العمراني، ص231.

ويشير القاضي النعمان في إحدى حملات الداعي لتأديب قبائل أوربة التي قتلت مقدمها الشيعي سنة286هـ/899م؛ حيث أتوا بونة، فنزلوا على مجاز المراكب وقسموا العسكر على ثلاثة أثلاث، فأخذ الثلث على ساحل البحر، وشنوا الغارات على أوربة(1)، وهي من أقدم الإشارات إلى ميناء وساحل بونة خلال الفترة الأغلبية، مما يبين استمرار المدن الساحلية التي سبقت الفتح في نشاطها البحري، رغم فترة الفراغ المؤقتة في البداية خوفا من حملات البيزنطيين للانتقام من المسلمين.

كما يصف الداعي إدريس مرسى ومدينة تنس وصفا يبين أن الفاطميين قد أولوا هذه المدينة أهمية بالغة منذ بداية الدعوة الشيعية بقوله:"ثم قصد مدينة تنس سنة297هـ/909م وقد اجتمع إليها قبائل كثيرة وأزمعوا على أخذ تنس، فزحف إليها أبو عبد الله في جيوش كثيرة فقتلهم أجمعين وغنم أموالهم ووصل إلى أمير المؤمنين كتابه بذلك وقصد وادي مدغر والخضراء"(2)، وأشار ابن أبي زرع إلى أهمية مرسى ومدينة تنس الساحلية من خلال محاولة كل خارج عن القانون السيطرة عليها نظرا لموقعها الممتاز وكذا لما لها من مكانة تجارية مهمة، وكذا قوة شكيمة القبائل المغراوية المستقرة بها(3).

وفي العهد الفاطمي(296–361هـ/908–971م)استمر الجهاد البحري لفرض سيادتهم في البحر الأبيض المتوسط، حيث أصبحت قوة إقليمية كبيرة تنافس القوة البحرية البيزنطية والأموية في الأندلس، وواصلت استيلاءها على الجزر كصقلية وسردينيا، حتى" لم يكن لأوروبا في هذه الفترة سلطان على البحر المتوسط، فقد كان بحرا عربيا وكان لابد لمن يريد أن يقضي لنفسه فيه أمرا أن يخطب ود العرب"(4).

ونقل ابن خلدون كلامه حول وهران عن البكري(5)، وابن عذارى وبنائها من قبل البحريين الأندلسيين سنة290هـ/903م بقيادة كل من"محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون"وكانوا أصحاب القرشي وهم من رجال

---

1) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص215؛ **ومحمد الطالبي**: **الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي184–296هـ/800–909م، تعريب المنجي الصيادي، مراجعة وتدقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1995، ص758**.

Allaoua Amara ; Bûna , p.146.

2) تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985، ص180.

3) الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1972، ص110.

4) آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، أو عصر النهضة في الإسلام، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط3، 1957، ج2، ص425؛ **وتوفيق مزاري**: **المرجع السابق، ص26**.

5) البكري: المصدر السابق، ص70.

وهران :اختلف في سبب تسميتها وهران، فقيل أن مؤسسها خزر المغراوي لقبه وهران، وقيل أن الرجل الذي يبني فيها اسمه وهران، وقيل مركبة من كلمتين"وه"ومعناها الضعف وران بمعنى نحنو وبجمعها نحن في ضعف عندما كانوا في حرب مع بني يفرن، وقيل أن اسم الثعلب بالزناتية وهران. **محمد**

الدولة الأموية، أي بأمر من سابع الخلفاء الأمويين"عبد الله بن محمد(275-299هـ/889-912م)[1] مستغلين في ذلك الخلاف القائم بين أبي عبيد الله الشيعي ومحمد بن خزر بن صولان الزناتي[2] الذي امتدت سلطته إلى غاية تيهرت، حيث استمال الأمويون القبائل البربرية التي غيرت ولاءها من الأدارسة إلى ممثل الدولة الأموية لتستمر سيطرتهم لمدة سبع سنوات[3]، لتصبح مدينة وهران مدينة متكاملة عامرة، فيها كل المرافق الضرورية ذات مرسى مزدهر[4].

لكن بحلول سنة297هـ/910م دخل وهران الصراع الفاطمي الأموي[5] الذي استمر إلى غاية رحيل الفاطميين إلى مصر، حيث خربت وطردت الجالية الأندلسية منها، وتدخل تحت نفوذ الفواطم الذين أعادوا بناءها وترميمها في السنة الموالية[6].

ورغم الصراع الفاطمي الأموي لم تنقطع العلاقات التجارية بين ضفتي البحر المتوسط، وبقيت وهران في نمو وازدهار إلى أن قام الأمير المغراوي يعلى بن محمد بن صالح اليفريني، الذي تولى قيادة مغراوة والموالي للأمويين سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة[7]...فدخل يعلى مدينة وهران وملكها ثم نقل أهلها إلى مدينة إيفكان، وخرب مدينة وهران ثانية وأحرقها[8]، مما جعل وهران تدخل فترة ركود نتيجة الخراب الذي لحقها، وبقيت كذلك سنين، ثم بدأ الناس يرجعون إليها وبنيت من جديد[9].

بن يوسف الزياني:دليل الحيران وأنس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978، ص32-33.

كما قيل أن اسم وهران بربري يتكون من مقطعين الأول"وهر"وهو الأسد والثاني"أن" وتعني المكان أو بالعربية تعني اثنين أي أسدين، وبجمعهما نجد وهران تعني مكان الأسدان.**نشير مقيبس: مدينة وهران، دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص80-81.**

1) البيان، ج1، ص152.

2) هو ثالث الأمراء أو المشايخ المغراويين الزناتيين وهي أسرة امتد سلطانها على الشمال الغربي لبلاد المغرب الأوسط .**ابن خلدون: العبر، ج6، ص160.**

3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص178.

4) مجهول: الاستبصار، ص133.

5) ابن خلدون: العبر، ج6، ص191.

6) ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص152.

7) ابن خلدون: العبر، ج6، ص191.

8) نفسه، ج6، ص192.

9) الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، ط2، بيروت، لبنان، 1984، ص612.

كما وصل إلى الإسكندرية أسطول بحري يتكون من ثمانين مركبا نجدة للأسطول القائم الفاطمي سنة306هـ/920م بقيادة سليمان الخادم ويعقوب الكتامي، مما يبين مشاركة الكتاميين البحرية لفتح مصر، نظرا لخبرتهم وتمرسهم في شؤون البحر[1].

أما عن أحوال المدن الساحلية فقد تهدمت أغلبها أثناء مقاومة الفاطميين الشيعة على غرار شرشال التي خربها أبو القاسم الفاطمي(322-334هـ/934-946م)، حيث يؤكد ذلك مرمول كربخال بقوله"...ولكن الخليفة الشيعي الذي قام بالقيروان دمرها-أي شرشال- ولم يبق منها إلا الأطلال"[2].

كما تحدثت المصادر الإسلامية عن أرشقول كميناء ومدينة قديمة في التراث البحري الإسلامي للمغرب الأوسط، باعتبار ما تحمله من موروث تاريخي قديم خولها لأن تكون إحدى المناطق البحرية المقصودة خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى، حيث برزت كإحدى العمالات الهامة لدولة الأدارسة منذ نشأتها لتتحول إلى إمارة علوية صغيرة ترأسها عيسى بن سليمان؛ وبعد مدة دخلت تحت السيطرة الفاطمية سنة323 هـ/934م[3].

ويذكر لنا البكري تحول مدينة أرشكول"أرشقول"كساحة صراع بين الأمويين والفاطميين بدء من سنة325هـ/936م حيث انتصر موسى بن أبي العافية عامل الخليفة الأموي الناصر بفضل تأييد أسطول قرطبة تحت قيادة أبي محمد عبد الملك بن أبي حمامة عند موسى بن محمد بن جُدير الذي أرسى بنكور ليفتح جبهتي صراع مع العبيديين و الأدارسة[4]؛ حيث وصل عامل الناصر أسطول مكون من خمسة عشر مركبا حربيا من أهل بجانة مجهز بالرجال والسلاح للإحاطة بجزيرة أرشقول التي تحصن بها الحسن بن عيسى بن أبي العيش صاحب جراوة، ورغم ذلك فشل الأسطول ورجع إلى ألمرية في عشرين وثلاثمائة؛ ثم ظفر البوري بن موسى بن أبي العافية بالحسن بن عيسى الذي لجأ إلى أرشقول وبعث به إلى عبد الرحمن بن محمد سنة338هـ/949م[5].

---

1) مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية، ص220.

2) إفريقيا، ج2، ص356.

3) البكري: المصدر السابق، ص78؛ وابن خلدون: **العبر، ج6، ص178**.

4) المغرب، ص78؛ **وعدلي محمد علي صالح الهناندة: المرجع السابق، ص15**.

5) البكري: المصدر السابق، ص78؛ **وابن عذارى: البيان، ج1، ص205؛ وعبد العزيز فيلالي: العلاقات السياسية، ص152-154**.

بذلك كانت سواحل المغرب الأوسط مسرحا للصراع الأموي الفاطمي، فمنذ إعلان الخلافة بقرطبة سنة316هـ/928م، أصبح العمل الأموي مُركزا بشكل مباشر على الأسطول الذي سيطر على المراكز الساحلية ما بين طنجة ووهران سنة319-320هـ/931-932م، بما فيها أرشقول، واستمال إليه مغراوة المغرب الأوسط بزعامة محمد بن خزر(1).

وخلال القرون الأربعة الأولى بعد الفتح برزت موانئ ومدن هامة في المغرب الأوسط كمركز لهذا الصراع ففي إشارة للداعي إدريس خلال حديثه عن الأسطول(2) الذي أرسله الخليفة الأموي عبد الرحمن بن محمد الناصر(300-350هـ/912-961م) لمخلد بن كيداد اليفريني"صاحب الحمار"سنة334هـ/954م، حيث انطلق من ألمرية وتقدم بسفنه ودخل إلى حائط بونة، وبلغته أخبار هزيمة صاحب الحمار فتراجع إلى تنس حيث اعترضته عواصف وغرقت أكثر مراكبه(3).

وتفيدنا هذه الإشارة اللطيفة إلى حائط بونة وهو دليل على وجود مرسى(4) وميناء لرسو السفن وهو مهيء أو اصطناعي لأنه لو كان جبلاً أو صخوراً لبين الداعي إدريس ذلك بل سماه حائطاً، كما تشير هذه الرواية إلى وجود خط بحري بين ألمرية وبونة، وخط آخر بين بونة تنس، ثم تنس وألمرية.

ويبدو أن بونة لعبت دورا هاما في عملية الغزو البحري الفاطمي لمدينة جنوة عام322هـ/933م،

وأحرقوا مراكب لسردينيا(1)، كما قام الفاطميون بغزوة بحرية سنة343هـ/954م، ضد معاقل الأمويين انطلاقا من المهدية وصقلية مارة أساطيلهم بدور الصناعة الموجودة في كل من بونة ومرسى الخرز لتنضم إليها سفن ومراكب

---

1) ابن حيان القرطبي: المقتبس من تاريخ الأندلس، تحقيق بيدرو شالميتا وآخرون، ط مدريد، 1979، ج5، ص304.

2) **الأسطول** لفظة أعجمية أو يونانية مشتق من الكلمة Stolos والتي تطلق على المراكب الحربية المجتمعة. **عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، 1986، ص75-76**.ولم تظهر في أشعار العصر الأول، وإنما وقع التعرض لها في أشعار من بعدهم، وهو طائفة من السفن معدة للقتال في البحر ودك المعاقل والحصون، والأسطول لا يطلق إلا على السفن الحربية.**محمد الشاذلي النيفر: الأسطول في اللغة والأدب والتاريخ، جمع وتحقيق الطاهر بن محمد الشاذلي النيفر وأمال بن حمزة، بيت الحكمة، تونس، 2008، ص30.**

3) الداعي إدريس عماد الدين: المصدر السابق، ص385-386.

4) غالبا ما يتبادر إلى الذهن عند سماع كلمة مرسى توفرها على أرصفة تستعمل للحط والإقلاع وتقوم بدور الحامي من هيجان البحر لكن وكما هو الشأن في كل حوض البحر المتوسط في هذه المرحلة فإن المراسي الأكثر شيوعا في هذه المنطقة لم تكن سوى أحواض طبيعية تنعدم فيها الأرصفة وبعيدة عن صفة الموانئ المعروفة في العصر الحالي. **خالد مراحة: الملاحة البحرية في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، دراسة في كتاب أكرية السفن لمؤلفه أبو القاسم القروي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد89، مارس2015، ص132.**

أخرى كمدد لتصل إلى ميناء ألمرية وتستولي عليه وتخربه[2]، وهو ما يبين انعكاس الاختلاف المذهبي والنظرة السياسية على الصراع البحري الإسلامي في الضفة الغربية للبحر الأبيض المتوسط، وهو ما ستستغله الدول الأوروبية في إعادة تنظيم نفسها بحريا.

ويقدم لنا محمد الصنهاجي عند حديثه عن الحملة التي قادها أبو يعقوب بن خليل لإمداد المنصور بالله الخليفة الفاطمي في حصاره لأبي زيد وذلك سنة336هـ/947م معلومات هامة عن مرسى الدجاج واستقباله للسفن والمراكب خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى"وكتب إسماعيل إلى أبي يعقوب بن خليل فأتاه بخمس وعشرين مركبا وصل بها إلى مرسى الدجاج"[3]؛ لهذا يعتبره الحميري مرسى لمدينة أشير يساهم في تصريف منتجاتها[4].

كما استمال الأمويون ابن أبي العافية المكناسي الذي ضم مدينة تلمسان ونكور وفاس، وبايع عبد الرحمن الناصر[5]، وهو ما يعكس أثر الصراع المذهبي السياسي على الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، وانعكاس ذلك على التجارة الخارجية بل حتى تجارة القوافل خاصة تجارة الذهب[6]، حيث أدى الصراع الأموي الفاطمي إلى تدمير خط تيهرت تلمسان سجلماسة، والذي كان ينقل السلع وخاصة الذهب إلى الأندلس، وهذا أدى إلى ازدهار خط المغرب الأقصى.

كما يبين لنا هذا الصراع بطريقة غير مباشرة التوجهات السياسية لهذه الدول من خلال كيفية الترويج لحواضرها وتأمين الطرق ومصاحبة القوافل لتسهيل التبادل التجاري، وينتج عن كل هذا بث عقائدها ومذاهبها بالإضافة إلى الاستفادة من الوافدين إلى الأمصار[7].

---

1) ابن خلدون: العبر، ج4، ص265؛ **وعدلي محمد علي صالح الهناندة: المرجع السابق، ص16.**

2) القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، لبنان، 1996، ص164-165؛ **والداعي إدريس: المصدر السابق، ص582؛ والأسعد شوشان: المرجع السابق، ص419.**

3) ابن حماد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق عبد الحليم عويس و التهامي نقرة، دار الصحوة للنشر، القاهرة، د ت، ص75.

4) الروض المعطار، ص539.

5) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص85؛ **وعبد الله العروي: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ج2، ص72-73.**

6) أحمد عزاوي: العلاقات المغربية الأندلسية في القرن الرابع"الصراع العبيدي الأموي حول المغرب"قراءة وثائقية، مطبعة الرباط نت، المغرب، ط1، 2011، ص10، هامش3.

7) سمير مزرعي: الطرق التجارية في المغرب الأوسط ودورها في تنشيط الحركة التجارية، دورية كان التاريخية، مجلة الكترونية، العدد28، يونيو2015، ص118.

وكرد فعل من بني أمية قاموا سنة345هـ/956م بقيادة قائدهم غالب الناصري فجهزوا حملة فيها تسعون مركبا[1] أحرقوا في حملتهم ميناء القل وأفسدوا بونة وطبرقة، ومرسى الخرز وأصيبت قاعدة أرشقول الفاطمية بالشلل[2].

وبذلك يتضح الدور المهم لموانئ ومدن الساحل في المغرب الأوسط ودورها في الصراع المذهبي السياسي، باعتبار أهمية موقعها الاستراتيجي والجيوسياسي، حيث حدث تحول عميق في الفضاء المغاربي بانتقال مركز الثقل تدريجيا نحو البحر، وشهد الساحل نشاطا جديدا تحت تأثير الأغالبة ثم الفاطميين والأندلسيين، بظهور مدن ساحلية هامة كوهران وتنس وجزائر بني مزغنة فيما بعد[3].

ويذكر عبد العزيز فيلالي أن لتأسيس وهران من قبل الأندلسيين دوافع مذهبية وأخرى جيوسياسية من خلال ضرب طموحات الأغالبة في منافسة تيهرت في نشاطها البحري[4]، من خلال مرسى فروخ الذي لم يعد يستجيب لمتطلبات عاصمة الرستميين النشيطة بغلاتها الصحراوية من عبيد وذهب[5]، ويرى أحد الباحثين أن بناء الأندلسيين لوهران كان بهدف الحد من منافسة تلمسان البحرية والتي كانت تحت نفوذ الأدارسة، وما توسعهم إلا تدعيم لذلك[6]، ولا يمكن تحليله بتهديد الخطر الأغلبي كما ذكرنا سابقا.

وبذلك تميزت هذه الفترة بسيطرة الأمويين على سواحل بلاد المغرب الأوسط والأقصى ونستدل على ذلك بالرسالة التي وصلت الخليفة الفاطمي بمصر"العزيز بالله"سنة371هـ/981م والتي تخبره"بتغلب بني أمية أمراء الأندلس على بلاد الغرب وأن الدعاء لهم فيه على المنابر"[7]، دليل السيطرة.

1) مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، عني بتحقيقه ووضع فهارسه عمر السعيدي، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1973، ج4، ص208؛ **والطاهر طويل:المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2011، ص318.**

2) ابن عذاري :المصدر السابق ، ج2، ص332؛ **وابن خلدون: العبر، ج4، ص59.**

3) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ص13.

4) العلاقات السياسية، ص95.

5) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير(العصر الإسلامي)، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ج2، ص569.

6) محمد عناوي: المدن الساحلية، ص91.

7) ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص238.

ويشير نص بيوغرافي مشرقي إلى لجوء عالم القراءات أبي محمد القضاعي المعروف بمقرون المقرئ(ت378هـ/988م) إلى بجاية قبل انتقاله إلى وهران ثم إلى قرطبة قبل منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي(1)، وهذا النص يحيلنا إلى وجود بجاية قبل القرن الخامس الهجري، مع غموض عند ذكرها أكانت مدينة أم قرية(2)، وكيف يمكن اعتبار الناصر بن علناس هو بانيها أم محييها؟

ويدعم هذا القول نفى أمير دانية مجاهد العامري الفقيه المالكي أبي عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعيطي إلى بجاية عام405هـ/1014م، حيث أصبح معلما للصبيان البربر إلى غاية وفاته عام432هـ/1040م(3)، مما يؤكد وجود بجاية قبل الإعلان عن تأسيسها فعلا.

وعموما يمكن تفسير ذلك بتعرض العديد من المدن الساحلية لأعمال تخريب متتالية بدء من الفتح الإسلامي مرورا بالصراعات بين مختلف الدويلات القائمة بالمغرب الأوسط، ومثال ذلك مدينة أرشقول التي تعرضت إلى عدة عمليات تخريبية وبقيت خالية ومهجورة زهاء مائة وعشرين عاما، ليعيد بناءها قوم جاؤوا من مملكة الأندلس مع جيش المنصور بن أبي عامر حاجب ملك قرطبة؛ ثم أعاد ترميمها وبناءها المنصور بن أبي عامر؛ إلا أن قبائل صنهاجة ومغراوة بعد أن مات المنصور وابنه المظفر طردوا جميع جنود الأندلس أو قتلوهم ثم خربت المدينة مرات أخرى سنة410هـ/1019م(4).

وبعد أن ضعفت شوكة الأمويين والفاطميين ظهرت قوة جديدة هم المرابطون الذين استولوا على مدينة أرشقول وضموها إلى ممتلكاتهم؛ إلا أنها لم تعرف تحسنا كبيرا إلا في عهد الموحدين، الذين رمموا ما خرب ابن غانية وعلى رأسهم أرشقول(5).

---

1) الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1969، ص273.

2) علاوة عمارة: التطور العمراني، ص231-232.

3) القاضي عياض:ترتيب المدارك، ج2، ص345-346؛ و **ابن الخطيب:أعمال الأعلام، تحقيق بروفنسال، بيروت، دار المشرق، 1956، ص220**.

4) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص16؛ **ومارمول: المصدر السابق، ج2، ص297-298**.

5) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص298.

وخلال الفترة الحمادية أصبحت المدن البحرية في المغرب الأوسط تتميز بنوع من التسيير الذاتي بعيدا عن بحرية افريقية"الزيريين"، إضافة إلى خضوع الجهة الغربية لساحل المغرب الأوسط تحت سلطة المرابطين والمغراويين، مما أدى إلى تراجع البحرية الإسلامية في الجهة الغربية من البحر المتوسط، مقابل بروز القوى الايطالية ممثلة في بيزة وجنوة[1]، حيث نسجل إغارة لسفن بيزة على مدينة بونة كرد فعل منهم على قراصنتها البحريين سنة425-426هـ/1034م، وهو ما تؤكده نقيشة غير مؤرخة في كاتدرائية بيزة تخلد ذكرى هذا العمل الذي ساهمت فيه بعض السفن القادمة من البروفانس[2].

كما أن اضطراب الطرق التجارية البرية بين المغرب والمشرق نتيجة قدوم الهلاليين ثم صعود قوة المرابطين الصحراويين، أدى إلى التوجه نحو الساحل والبحر، خاصة في التبادل التجاري بين الصحراء وأوروبا وبالتالي تطور المدن الساحلية في المغرب الأوسط الحمادي[3].

على أن هذا لا يدفعنا إلى الاعتقاد أن السلطة كانت متحمسة لتركيز جهودها نحو منطقة البحر؛ إذ كانت جهود المغاربة في هذا الجانب تتمثل في قيامهم بجهد غير منظم ولا متصل لأن الدول الرسمية لم تعتن به، ولم تنتبه

1) تقع **بيزة Pisa** بمقاطعة توسكانيا Toscane على ضفة نهر أورنو Orno وعلى بعد80 كلم إلى الغرب من مدينة فلورنسا وتبعد عن البحر بأحد عشر كلم، وقد تبعت الدولة البزنطية منذ عام476هـ/1081مفي عهد الإمبراطور هنري الرابع ، فتحولت إلى كمونيا مستقلة حل فيها القناصلة محل الإقطاعيين.**لطيفة بشاري:العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين/13-16م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط1، 2011، ص134**.

تقع **جنوة** Genuaأو جينوفا بالايطاليةGenova عند نقطة التقاء القسم الشمالي للبر الايطالي مع القسم الجنوبي منه عند رأس خليج ساحل"ليجورياLiguria" المطل على البحر التيراني، تقع فوق سفح ربوة صغيرة تطل على خليج يتميز بمياه مرتفعة تساعد على الرسو والإبحار وربما يكون اسم جنوة نفسه قد اشتق من طبيعة المكان والذي يعني الممر أو المصب. **رشيد باقة:نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2007-2008، ص43**.

2) De Mas Latrie ; Traité de paix et de commerce et Documents divers concernant les relations des chrétiens avec les arabes de L'Afrique septentrionale au moyen Age recueillis par ordre de Lémpereur et publiés avec une introduction historique, Paris ; Henri Plone, 1866 , P.8.
ورسائل موحدية "مجموعة جديدة" تحقيق العزاوي، مطبعة النجاح، ط1، الدار البيضاء، 1995 ج2، ص93؛ **وعزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، خلال القرن السادس هجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص286؛ وإسماعيل العربي: دولة بني حماد، ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص252؛ والأسعد شوشان: المرجع السابق، ص422**.

3) لطفي بن ميلاد: تطور موانئ الجزائر أواخر العصر الوسيط من منظور الرحالة والجغرافيين المسلمين، القرن6-9هـ/12-15م، ضمن أعمال الملتقى الدولي الجزائر في الكتابات المتوسطية، يومي7و8جوان2010، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، قسنطينة، يناير، 2011، ص129-130.

إلى ما يعود عليها من الخير من وراء السيطرة على البحر، ويعود ذلك إلى المغامرين وذوي البأس والمتحمسين من أهل شواطئ بلاد المغرب الأوسط، وهؤلاء من الممكن أن يكونوا خالصي النية في الجهاد أو مجرد طامعين في الغنم والسلب[1].

ويذكر إسماعيل العربي أن مملكة بني حماد في أقصى اتساع لها على الشريط الساحلي ضمت نيف وست وعشرين مرسى ومعظم هذه المراسي تقابلها مراسي على ساحل الأندلس أو في جزر البليار، مما جعل الملاحة بين الضفتين تتم بخط مستقيم، كما أن كثرة المراسي وتقارب المسافة بينها في المملكة الحمادية يدل على قوة تيار التبادل التجاري بين أجزائها وبين الأندلس، ومع الجمهوريات الايطالية[2].

كما برزت بدء من العهد الحمادي العديد من المدن الساحلية وعلى رأسها مدينة جزائر بني مزغنة؛ حيث كانت محل صراع دائم للسيطرة عليها إذ وسع يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين حتى مدينة الجزائرسنة474هـ/1082م، وأنشأ فيها مسجدا[3]، ثم دخلت تحت السيطرة الموحدية وحل بها صراع مرير مع بني غانية[4].

كما يعلمنا صاحب العبر باستحواذ أمير الأثبج أبو مسعود"على مدينة بونة التي استسلمت إليه صلحا خلال سنة446 هـ/1054م[5]، كما يشير إلى صمود أسوارها سبعة أشهر قبل أن يسترجعها" المنصور بن الناصر الحمادي(481-498هـ/1088-1105م) من يد أبي الفتوح بن تميم بن المعز الزيري وذلك سنة487هـ/1094م[6].

1) حسين مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993، ص67؛ **والطاهر طويل: المرجع السابق، ص313.**

2) دولة بني حماد، ص243.

3) **الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص61؛ وشارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج2، ص85، 88.**

4) إسماعيل سرهنك: المصدر السابق، ص355.

5) العبر، ج6، ص22.

6) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، 326؛ **وشارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج2، ص138.**

واستطاع الحماديون في عهد يحي بن عبد العزيز نقل ميدان الحرب نحو البلاد المسيحية من خلال القيام بغارات على مدينتي بيزة وجنوة سنة480هـ/1087م، وهذا ردا على هجوم تعرضت له بجاية من طرفهم سنة428هـ/1036م[1].

وخلاصة ذلك أن المصادر التاريخية لم تتحدث بإسهاب عن المناطق الساحلية خلال القرون الأولى ربما لابتعاد الموانئ والمدن عن الأحداث التاريخية، أو لسكوت هذه المصادر عن التحدث عن المدن الساحلية، لقلة أهميتها مقارنة بالمدن الداخلية التجارية.

أثرت الصراعات السياسية والمذهبية على ازدهار أو تخريب العديد من المدن الساحلية التي حاولت القوى المتنافسة السيطرة عليها وخاصة بعد قيام الدولة الأموية بمحاولتها توسيع نفوذها المذهبي والتجاري إلى سواحل المغرب الأوسط.

إن سكان المغرب الأوسط والأندلس، كانوا يتعاملون تجاريا وبحريا وعلى نطاق واسع جدا وبدون قيود، والظاهر أن التوترات السياسية، والاختلافات المذهبية التي كانت سائدة آنذاك في الغرب الإسلامي وشرقه، نتيجة الصراعات المذهبية، لم تكن لها تأثيرات كبيرة على حركة التجارة بل الثابت أن تجار المغرب الأوسط، كانوا يجوبون بقوافلهم بحرية تامة من المغرب إلى المشرق و بلاد الأندلس.

1) نصر الدين سعيدوني:ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص188-189.

لم تتعرض وثائق جنوة لأسباب العدوان على بجاية، وكل ما ذكرته قيام قوة من اثنتي عشر سفينة في هذه السنة من جنوة فغزت بجاية وسفينة كبيرة وأسرت عدد كبير من العرب وقد نالت كل سفينة من السفن المشتركة في الحملة أرباحا طائلة من حصيلة بيع السفينة البجائية.**إسماعيل العربي**:**دولة بني حماد**، ص**252-253**.

2)الساحل البحري للمغرب الأوسط من خلال الجغرافيين الأوائل(ق 3هـ-4هـ/9-10م):

يقول بروديل"...لا يمكن معرفة تاريخ العالم والبحار الداخلية، دون معرفة تاريخ البحر المتوسط..."[1] ونحن نذكر أنه لا يمكن معرفة أحوال سواحل بلدان المغرب الإسلامي دون معرفة والتطرق لسواحل وموانئ المغرب الأوسط.

فقد حملت الواجهة البحرية للمغرب الأوسط عدة مدن وموانئ ورباطات ورؤوس وخلجان كل واحدة لها مميزاتها الطبيعية والاقتصادية، تخضع لسيطرة سياسية أو قبلية، لها عاداتها البحرية، ولها نظرتها المختلفة اتجاه البحر والساحل، وكيفية الجمع بينها وبين الداخل، مما جعل الشريط الساحلي متنفسا للبعض ومصدرا للقلق للبعض الآخر.

لقد تمكن سكان المغرب الأوسط خلال مختلف الحقب التاريخية بفضل تواجدهم والتفافهم حول سواحل البحر المتوسط ومدنه من اكتشاف الدور الكبير لهذا البحر كونه طريقا للاتصال بين الأمم والحضارات، وليس هذا فحسب بل للتجارة وتبادل المنافع والتصدي لمختلف الأخطار، ومثل البحر المتوسط أهم بحار العالم كونه مركزا للالتقاء ومفترقا للطرق.

وما تجدر الإشارة إليه هو أن الكثير من المدن الساحلية ببلاد المغرب الأوسط كان منشؤها الأول لا يعدو أن يكون مجرد مرسى للتجار، ثم تطورت هذه المراسي وأصبحت تتمتع بمقومات المدن الكبيرة والمهمة والتي شهدت تطورا خلال القرون التالية[2].

والمؤلفات الجغرافية في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الهجري من ضمن المؤلفات ذات أهمية أساسية في هذه المرحلة، ومع ذلك فإن المعلومات التي تشتمل عليها لا تعدو كونها روايات سماعية أو منقولة عن كتب الإغريق، ونحن سنذكر في هذه المرحلة العديد من أولئك المؤلفين الذين يجمعون بين شغف البحث وروح المغامرة؛ تلك الروح التي أضفت فيما بعد إلى علم الجغرافيا أسفارا زاخرة بالملاحظات الشخصية القيمة.

1)Braudel Fernand; op.cit , Tom2 , p.24,60.

و مريم رزاق بعرة: أهمية حوض المتوسط في العلاقات المتوسطية وانبعاث النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، العدد3، نوفمبر 2015، ص154.

2) الطاهر طويل: المرجع السابق، ص315.

اهتم أغلب الرحالة بالحديث عن المدن والمناطق الإسلامية التي قصدوها عن العجائب والغرائب والأساطير، أو ما يعرف بعلم القوزموغرافي[1] في الجغرافية الوصفية بدافع الخيال والتشويق والمبالغة في الروايات، أمثال المسعودي، واليعقوبي، والزهري الأندلسي، وغيرهم ولم يولوا اهتماما للمناطق الساحلية والأنشطة التجارية، لأنها كانت معتادة ومعروفة.

وتبين الاسطوغرافيا التقليدية، ممثلة في الاصطخري(ت346 هـ/957م)[2]، وابن حوقل(367هـ/977م)[3]، والمقدسي(ت380هـ/993م)[4]، غياب مصطلح المغرب الأوسط في قاموسهم اللغوي الجغرافي، مع محاولات منهم لتحديد المفاهيم والتقسيمات السائدة آنذاك في بلاد المغرب.

إذن كيف يمكن التوفيق بين تاريخ التصورات للمؤرخين الجغرافيين حول المغرب الأوسط، خلال مختلف الحقب وبين أرضية واقعية تتسم أحيانا بالهشاشة والتمدد والتقلص؟ إلى أي حد ينبغي تصديق لغة النصوص الجغرافية، تجنبا لمفارقة الزمنية والخلط بين العصور؟ .

لقد ترك لنا الجغرافيون العرب وصفاً مفصلاً لجميع البلدان التي عرفوها، من إسبانياً غرباً إلى السند شرقاً، مع وصف مهم لبعض المناطق، خاصة المغرب الأوسط، وظهرت كتب كثيرة تصف هذه البلاد، ربما كان أقدمها كتاب"المسالك والممالك"الذي كتبه ابن **خرداذبة(ت280هـ/893م)**[5].

---

1) علم حديث يدرس الأساطير المنتشرة في مختلف المناطق الجغرافية ويقارن بينها.

2) حيث يذكر الاصطخري أن المغرب يمتد على طول بحر الروم، ويقسمه إلى قسمين: شرقي وغرب، فالجزء الشرقي يضم برقة إفريقية وتيهرت، وطنجة والسوس وزويلة، أما الجزء الغربي فيشمل الأندلس. **مسالك الممالك، ص36**.

3) وقد عاصر ابن حوقل الدولة الفاطمية فيقسم المغرب إلى قسمين شرقي وغربي، فالشرقي يمتد من حدود مصر الى برقة الى افريقية، والغربي من إفريقية إلى بلاد السوس الأقصى. **صورة الأرض، ص64–65، 93**.

4) يقسم بلاد المغرب إلى عدة مناطق هي: برقة إفريقية، تيهرت، سجلماسة، السوس الأقصى، صقلية، ثم الأندلس. **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، ودار صادر، مكتبة مدبولي القاهرة، ط3، 1991 ، ص215**.

5)هو أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة الفارسي الأصل وكان جده مجوسيا، وحتى اسمه يعني خلقه أفضل، وكان والده حاكما على إقليم طبرستان جنوب بحر قزوين، أما هو فأصبح مقرب من الخليفة العباسي المعتمد(256-279هـ)، وقد ولد حوالي 205هـ/820م. **كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، 1957، ج1، ص155–156**.

إلا أنه لم يشر إلى المناطق الساحلية في المغرب الأوسط، رغم انه زار جل بلدان المغرب الإسلامي سنة208هـ/823م بل تحدث عن مناطق داخلية كمدينة **الزاب**[1] **وتهودة**، والتي حدد المسافة بينها وبين إفريقية بمرحلتين[2]، ربما بسبب تراجع دور المدن الساحلية عما كانت عليه قبل مجيء المسلمين.

وقد ذكر ابن خرداذبة الذي أنهى كتابه حوالي سنة232هـ/876-877م مرسيين فقط هما **مرسى تنس**[3] الذي كان"عدوة الأندلسيين"كما قال عنه شأن مرسى تونس، وكذا **مرسى جزيرة بني مزغنة** التي وصفها بأنها مدينة عامرة وعلى غاية من الخصب والسعة[4]، ولكن ذكره لهذين المرسيين يبينان الكثير من الأشياء وأهمها على الإطلاق هو المكانة التجارية والسياحية التي مثلها ميناء تنس حيث كان الواجهة البحرية للمغرب الأوسط ورئتها التي تتنفس بها مع الأندلس، بل تتنفس بها كذلك حتى المدن الداخلية والصحراوية كتيهرت وسجلماسة[5].

أي أن ميناء تنس مثل منفذا بحريا لتصدير البضائع القادمة من داخل البلاد والعكس كذلك، مما يعني وجود نظام متكامل للعبور نحو فضاء البحر الأبيض المتوسط[7]، وقد حظيت مدينة تنس بهذه المكانة بفعل وقوعها على

---

1) **الزاب الكبير** منه بسكرة وتوزر وقسنطينة وطولقة وقفصة ونفزاوة ونفطة وبادس، والزاب كذلك كورة صغيرة يقال لها ريغ وهي كلمة بربرية معناها السبخة، والزاب كذلك كورة عظيمة ونهر جرار بأرض المغرب على البر الأعظم عليه بلاد واسعة وقرى متواطئة بين تلمسان وسجلماسة والنهر متسلط عليها. **ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج3، ص124**.

2) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، مطبعة بريل، ليدن، 1889، ص87.

3) أصل مدينة تنس مستودع تجاري قرطاجي قديم، أقام الرومان مكانه مدينة كارطيناس-كارط تنس-ومنها جاء الاسم المتداول حتى اليوم تنس.**أحمد توفيق المدني**: **كتاب الجزائر، المطبعة العربية، د ت، ص205**. ويتميز شريطها الساحلي الفاصل بين تنس وبين شرشال بكثرة تداخله وهيمنة رأس ضخم متقدم في البحر تتعدد فيه الرؤوس الصغيرة الحادة؛ تشكل تجاويفها الصخرية أحواض وخلجان صغيرة، وشواطئ رملية ضيقة جدا.

4) رفيق خليفي: الأندلسيون وتنشيط حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور، سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يومي7-8ديسمبر2009، ص135.

5) **سجلماسة**: بكسر أوله وثانيه وسكون اللام وبعد الألف سين مهملة وهي مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب وهي في منقطع جبل درن وهي في وسط رمال كرمال زرود يمر بها نهر عظيم غرسوا عليه بساتين النخل على مد البصر، وأهل المدينة من أغنى الناس وأكثرهم مالا لأنها على طريق من يريد غانة التي هي معدن الذهب.**ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج3، ص192**.

7) بروديل فرناند :البحر المتوسط المجال والتاريخ، ترجمة عمر بن سالم، منشورات وزارة الثقافة تونس، 1990، ص57.

محور الطرق الكبرى، سواء منها الداخلية أو الساحلية[1]، وبسبب احتضانها لميناء مثّل أهم مراكز التصدير إلى الأندلس في الفترة الرستمية، إضافة إلى توفرها على الأسواق[2].

ورغم ذلك نتساءل عن قلة الموانئ والمراسي ذات العلاقات الخارجية خلال القرون الأولى من الفتح الإسلامي؟ وبمعنى آخر ما تفسير تمسك المغاربة بالبعد القاري البري وإعراضهم بصفة عامة عن العمل الملاحي؟.

ربما بسبب ضعف وسائل الدفاع بعد الفتح الإسلامي"سقوط الحصون الدفاعية" مما جعل المناطق الساحلية سهلة للهجوم من جهة البحر، فتفادى السكان المحليون البناء والاستقرار في الساحل خوفا من هجمات البيزنطيين وغيرهم، أو ربما لقلة مجهود ابن خرداذبة الذي لم يحاول زيارة المناطق الساحلية والكتابة عنها.

---

1) أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص260؛ وإبراهيم العدوي: **بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970، ص220، 221.**

2) إسماعيل بن نعمان:جوانب من الحياة الاقتصادية، ص205.

سليم دريسي: العمارة الدفاعية والسياسية العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010، ص30.

4) العبر، ج6، ص203.

وكون مدينة جزائر بني مزغنة مدينة ساحلية تحتاج إلى قوة بحرية لحمايتها من الخطر الروماني، بقيت مهجورة مدة قرنين ونصف حتى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي حين لجأت إليها قبيلة بني مزغنة التي تسكن في الجوار وهي بطن من بطون صنهاجة(1).

ولا شك أنها تأثرت خلال القرون الهجرية الأولى لكنها بقيت تصدر وتتلقى السلع والمنتجات من والى الأندلس كما كانت همزة وصل بين شرق المغرب الأوسط وما حواه من مدن ساحلية-رغم أنه لم يذكرها ابن خرداذبة إلا أنها أكيد كانت موجودة- رفقة مدن غرب المغرب الأوسط، وعلى رأسها تنس ثم وهران.

ثم بدأت مدينة الجزائر تقوم بدور مهم بدء من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي؛ بحيث أصبحت نقطة اتصال بين المسالك البرية والبحرية، لتواصل الربط بين المدن الساحلية الشرقية والمدن الساحلية الغربية، مع المدن الداخلية القريبة منها(2)، وبفضل كذلك مينائها السهل الذي أصبحت ترسو فيه المراكب، الأمر الذي سيدفع بلكين بن زيري بإعادة اختطاطها وتكون منفذا بحريا لمدينة أشير، وموردا للدولة الفاطمية وفي هذا يقول ابن خلدون"ثم اختطّ ابنه بلكيّن بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من شلف ومدينة لمدونة، وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن لهذا العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط"(3).

ويعود اختيارها من قبل بلكين ربما لوجود مواد البناء لأنه موقع أثري تتوفر فيه مقالع الحجارة، ووجود نواة من السكان الذين هم قبيلة بني مزغنة؛ دون أن ننسى موقعها الاستراتيجي.

إن هذا الظهور الأول لمدينة الجزائر باسم جزائر بني مزغنة جاء في مرحلة تاريخية مهمة تميزت بكثافة النشاط الملاحي والتجاري لمدن الساحل الأندلسي، خصوصا بعد نجاح السياسة الأموية في الأندلس في خلق فضاء تجاري في الحوض الغربي للبحر المتوسط بداية من نهاية القرن2 هـ/8 م(4).

---

1)ابن خلدون: العبر، ج6، ص203، ومن بطون صناهجة "بطون كثيرة من صنهاجة ...منها متنان وأنوغة وبنوعثمان وبنو مزغنة وبنو جعد وملكانة وبطوية وبنو يفرن وبنو خليل"**نفس المصدر والصفحة**.

2) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص294.

3) العبر، ج6، ص204.

4)Allaoua, Amara ; L’animation de la façade maritime du Maghreb central (VIII-XIIe siècle), Revue des Lettres et sciences humaines, 6, 2005, p. 10-11.

إذ يذكر ابن الخطيب سنة327هـ/938م، فقال"قدمت رسل العدوة الغربية من زناتة والأدارسة والقيروان وجزائر بني مزغنا وملك القسطنطينية العظمى"[1] إلى الناصر الأموي الأندلسي، ونلاحظ ذكر مدينة جزائر بني مزغنا، مما يوحي استرجاع مكانتها التاريخية والجيوسياسية.

لينتقل ابن خرداذبة في الحديث إلى **مدينة تاهرت** ليوضح أنها في يد بني رستم بقيادة ميمون بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، وحدد المسافة بين تاهرت وإفريقية مسيرة شهر على الإبل[2]، وقد يفسر هذا الشح في المعلومات إلى ضياع أغلب مادة"المسالك والممالك"وأن الذي بين أيدينا هو مختصر فقط، ولكن على العموم تبرز لنا صورة المشهد الساحلي والنشاط التجاري حيث يتركز في مدينتين داخليتين هما تيهرت وكذا القيروان[3] وهما يوصلان الطرق سواء بالساحل أي بالموانئ المذكورة سابقا أو المدن الصحراوية الأخرى.

ليعود في حديثه إلى الدولة الإدريسية ويذكر في سياقها مدينة **تلمسين**، حيث كانت تحت سلطتهم، ويبين أن المسافة بينها وبين تيهرت مسيرة خمسة وعشرين يوما كلها عمران[4]، والكلمة الأخيرة التي قالها كلها عمران أي بين تلمسان وتيهرت كلها معمورة، ينفي خراب المدن وهجرتها بعد الفتح الإسلامي، وهذا ما ينفي قول الكثير من المؤرخين بأن الفتح الإسلامي أحدث قطيعة ابستمولوجية مع المرحلة التاريخية القديمة في بلاد المغرب، لأنه لم تظهر الكتابات الأدبية الوصفية للمدن الساحلية والمراسي إلا في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي[5].

وما يجذب انتباهنا غياب المعلومات الجغرافية عن جهة شرق المغرب الأوسط من جغرافية ابن خرداذبة ولا نعرف لماذا؟ ربما بسبب إدماجه مع إقليم افريقية والتركيز على هذه الأخيرة دون بقية المناطق.

---

1) أعمال الأعلام، ص37.

2) ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص87-88.

3) **القيروان** كلمة معربة أصلها فارسي كاروان وقد تكلمت به العرب قديما، وهي مدينة عظيمة بإفريقية مدينة جليلة وهي أول المدن التي تم بناؤها في بلاد المغرب على يد عقبة بن نافع الفهري. **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص420-421**.

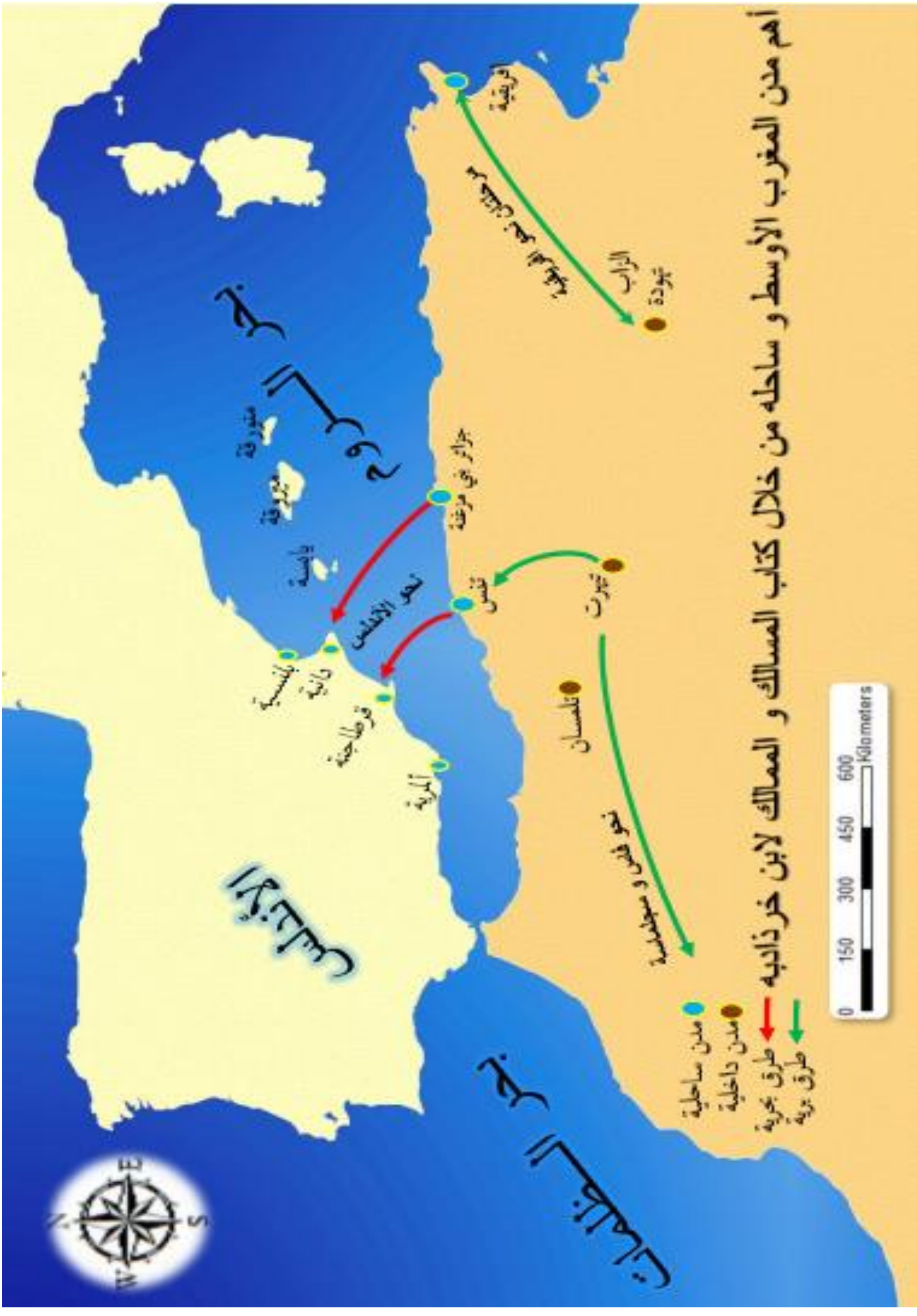
4) ابن خرداذبة: المصدر السابق، ص88.

اليوم هنا وحدة قياس وقد يقصد به نهار وليل معا أو النهار فقط، كقول البكري"ومرسى بُلس الأندلسي يقطع في يوم وليلة. **المغرب، ص99**، ويساوي اليوم عند الزهري عشر فراسخ فقط. **كتاب الجغرافية، وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ت، د ط، ص136**.

5) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية من خلال مشروع أطلس موانئ ومسالك العالم الإسلامي الوسيط، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 07-08 ديسمبر 2009، ص123.

بهذا يعد كتاب ابن خرداذبة كثير الإيجاز، ولكنه مع ذلك يشتمل على معلومات غزيرة عن الأقاليم الإسلامية الأخرى، وهو يتعرض لوصف الطرق التجارية، كما يحدد المسافات التي تفصل بين المواقع التي يتحدث عنها، ويحتوي كتاب"المسالك والممالك"على تفاصيل مهمة لموارد البلاد التي يصفها ولألوان النشاط التي تسودها.

كل ذلك كان يتم بأسلوب علمي سلس ولكنه أميل إلى الجفاف، والمؤلف على الرغم من روحه العلمية يدخل في بعض الأحيان في تفاصيل ثانوية تختلط فيها الأساطير بالحقائق في ذهنه.


أهم مدن المغرب الأوسط و ساحله من خلال كتاب المسالك و الممالك لابن خرداذبة
افريقية
تيهرت
تنس
تلمسان
نحو الاندلس
نحو فاس و سجلماسة
بلنسية
دانية
قرطاجنة
المرية
ميورقة
منورقة
يابسة
مدن ساحلية
مدن داخلية
طرق بحرية
طرق برية
0 150 300 450 600 Kilometers

وفي نهاية القرن الثالث الهجري كان هناك أكثر من جغرافي مهم ساهم في تقديم وتوضيح الجغرافيا الوصفية الخاصة بالمغرب الأوسط وسواحله ومنهم **اليعقوبي(ت284 هـ/897 م)**[1]، حيث يعتبر اليعقوبي من أهم الجغرافيين والمؤرخين الذين دونوا معلومات في غاية الأهمية والغزارة خلال القرن الثالث الهجري عن المراسي والمدن القريبة من البحر، مما يفند النظرية التي كانت قد طرحت، و الخاصة بالقطيعة التي أحدثها قدوم المسلمين مع الساحل ومع البحر، لأن اليعقوبي وابن خردادبة، وحتى البلاذري متعاصرون فكيف لكاتب يكتب عنها وآخر يتجاهلها؟ مما يبين أن الذين لم يكتبوا عن الساحل ليس لعدم وجودها بل لجهلهم لها؟.

فاليعقوبي زار جل بلدان المغرب الإسلامي سنة208هـ/823م، وتحدث عن بحرية المسلمين حيث قال أنه بعد فتحهم للمغرب الأوسط وضمهم إلى أملاك الدولة الأموية، عزّزت الدولة الإسلامية قوتها العسكرية بإنشاء سلاح البحرية، وأقامت دارًا لصناعة السفن في تونس[2]، وهذا يبين حكمة وذكاء المسلمين في استغلال القاعدة التي ارتكزت عليها البحرية البيزنطية سابقا ومكان تواجدها للانطلاق في إنشاء قوة بحرية للجهة الغربية للبلاد الإسلامية للتكامل مع الجهة الشرقية التي بدأت في طور تنشئة قوة بحرية.

وعند حديث اليعقوبي عن مدن المغرب الأوسط والتفصيل فيها عن جغرافيتها وعاداتها ومشاهدته فيها بدأ بمدينة **ميلة** التي اعتبرها كبيرة وعامرة بالسكان ومحصنة، تابعة لبني الأغلب، وسواحل البحر قريبة منها بفضل **مرسى جيجل**، ومرسى **قلعة خطاب**، ومرسى يقال له **أسكيدة"سكيكدة"**، ومرسى يقال له **ملر**"أو ماير"، ومرسى يقال له **دنهاجة**[3].

إن أول ملاحظة نستشفها من كلام اليعقوبي هو الأسماء القديمة لعدة مراسي سنجدها تختفي فيما بعد على غرار مرسى **ملر** وقلعة خطاب و **دنهاجة**[4]، وبخصوص هذا الميناء الأخير سيذكره البكري باسم ميناء سبيبة[5]،

---

1) هو أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح الإخباري العباسي، ولد اليعقوبي في بغداد ونشأ وترعرع فيها ثم سافر إلى أنحاء مختلفة من العالم الإسلامي حيث جاب أقصى الشرق وأقصى الغرب عن العالم الإسلامي، إلا أن أهم ما أنجزه من كتب هو كتاب البلدان الذي اكتمل عام 278 هـ/891 هـ. **كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ج1، ص158.**

2) اليعقوبي: المصدر السابق، ص138؛ **وعلي خلاصي: المرجع السابق، ص4.**

3) اليعقوبي:المصدر نفسه، ص140.

4) **دنهاجة** هي بطن من قبيلة كتامة؛ حيث يقول ابن خلدون:" وكانت بطونهم كثيرة يجمعها كلها غرسن ويسّودة إبنا كتم بن برنس فمن يسودة فلاسة ودنهاجة ومتوسة ووريسن كلهم بنو يسود ة بن كتمٍ". **العبر، ج6، ص195-169.**

5) البكري: المصدر السابق، 82-83 ؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268.**

كما يبين لنا اليعقوبي ما يسمى المدينة المُحَوِلة التي تَعبر عليها مختلف السلع والبضائع وتستفيد من تجارتها وضرائبها، وهذه المدينة هي مدينة **ميلة** التي تعتبر منطقة داخلية ولكن بفضل قربها إلى خمسة مراسي وموانئ جعلها مدينة مفتوحة، وممررة للسلع مما أكسبها شهرة كبيرة خلال الفترة الوسيطة جعلت اليعقوبي يعتبرها من أهم مدن المغرب الأوسط.

إن تحليلنا لفقرة بسيطة لليعقوبي من خمسة أسطر تبين لنا أن مدينة ميلة تربطها خمسة طرق برية بالساحل، هي طريق ميلة جيجل، وطريق ميلة قلعة خطاب، وطريق ميلة أسكيدة، وطريق ميلة ملر وطريق ميلة دنهاجة.

ويعتبر اليعقوبي أول جغرافي يشير إلى **مرسى أسكيدة** ضمن المصادر الوسيطية ولا ندري سبب غيابها عن الذكر خلال القرنين الأولين للهجرة رغم وزنها السابق خلال العهد الفينيقي والروماني، وربما بسبب ما لحق الميناء والمدينة من خراب من قبل الوندال[4] أو لارتباطها بالتركيبة القبلية للمنطقة، حيث لم تبرز القبائل المستقرة بها، أو مالت نحو الداخل؟.

1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص272.

3) علاوة عمارة و زينب موساوي: المرجع السابق، ص27.

4) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص54؛ **ومارمول**: **المصدر السابق، ج3، ص7**.

ولا نعرف أيضا كيف تحول اسم المدينة القديم من روس ايكادا إلى سكيدة؛ أم هو مجرد تحوير وتحريف للاسم من اللفظة الفينيقية إلى العربية بعد الفتح الإسلامي؛ ويبين ذلك البحث في سيرورة تطور أسماء الأماكن عبر الزمن وما يعتريها من تغييرات وتشوهات أثناء نقلها من نسقها اللغوي الأصلي إلى أنساق لغوية أخرى.

كما أن اليعقوبي لم يتعد الاسم في شرحه لهذا المرسى مما يبين لنا حاله بأنه كان مرسى ثانوياً، لكنه مهم من حيث أن اليعقوبي ذكر عدداً قليلاً من المراسي التي كان لها قيمة ومن ضمنها مرسى أسكيدة، وبالتالي كان إحدى المحطات البحرية الرئيسية للطريق الساحلي[1] لكنه لم يتعد إلى التبادل التجاري.

كما أن مرور اليعقوبي على جيجل مر الكرام وذكره بأنها مجرد مرسى فقط يبين أنها لم تكتسب الشهرة التي نالتها فيما بعد، وأنها فقدت حتى بريقها الذي ساد خلال الفترة القرطاجية والرومانية، وليس اليعقوبي فقط من يقتصر على هذا الذكر المقتضب لمدينة ومرسى جيجل بل كل المصادر الوسيطة خلال القرون الخمسة الأولى، وهو ما يشير إلى تواصل المدينة خلال الفتح والقرون التي تليه ولكن بوجه مقتضب وعدم اهتمام بها رغم كونها قريبة إلى قسنطينة وكذلك مدينة ميلة.

بل حتى الطريق الروماني الساحلي الرابط بين بونة وجيجل[2] لم يذكر ضمن الطرق الموجودة في هذه الفترة مما يبين حجم الدمار الذي لحق المدينة بعد الاحتلال الوندالي والبيزنطي.

وما ينطبق على جيجل ينطبق على القل وبونة[3] حيث لم يشر إليهما اليعقوبي بتاتا، ربما لقربهم من إفريقية حيث أعطاها تفصيلا مهما، واعتبرهما تابعتان لها وبالتالي اكتفى بما قدمه عنها.

كما أن اليعقوبي لم يذكر الموانئ السابقة مرتبة من الشرق إلى الغرب أو العكس، بل قدمها متفرقة ومبعثرة ربما لأنه لم يزرها وإنما سمع عنها فقط ولم يستطع تحديد موقعها بالضبط وترتيبها الجغرافي، أم أنها منهجيته في الطرح؟.

1) الأسعد شوشان:المرجع السابق، ص181.

2) شارل فيرو: المرجع السابق، ص75.

3) **بونة** بالضم ثم السكون مدينة كثيرة الفواكه بين مرسى الخرز وبني مزغناي ينسب إليها جماعة من العلماء منهم أبو عبد الملك مروان بن محمد الأسدي.**ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج1، ص512**.

ثم ينتقل اليعقوبي ليصف مجموعة من المدن الداخلية ليصل إلى مدينة **متيجة**[1] وبينها وبين حصن[2] مصادف بن جرتيل مسيرة ثلاثة أيام مما يلي البحر[3]، أي أن مدينة مصادف بن جرتيل إما ساحلية، أو أنها قريبة من البحر ويعتبر اليعقوبي أول من ذكرها ضمن المدن القريبة للساحل؛ وهو ما يبرز أيضا مكانة مدينة متيجة كمدينة قديمة وعتيقة ولها مكانة خلال القرن الثالث هجري، وهي مدينة ومنفذ الساحل للقادم من المدن الداخلية كأشير[4]، وسطيف[5] وحتى قسنطينة، وما وجود الحصن إلا دليل على أنها ثغر يجب تحصينه ضد الأعداء الخارجيين.

كما نستنتج من كلام اليعقوبي استمرار الطريق البري القريب إلى الساحل والذي يربط مدن الداخل بالموانئ، وهو طريق قديم أسسه الرومان لاستغلال خيرات البلاد يبدأ من تبسة ومادوروش مرورا بقسنطينة صاعدا في كل مرة إلى الساحل في روافد فرعية كبونة[6].

لكن اليعقوبي لم يشر إلى جزائر بني مزغنة كمدينة قائمة بذاتها أو مرسى يقوم بالعمليات البحرية مما يثير التساؤل خاصة أن اليعقوبي معاصر لابن خرداذبة الذي ذكرها ووصفها بأنها مدينة ساحلية.

حيث أخذت مدينة الجزائر تسترجع مكانتها وتفرض دورها العمراني في عهد الدولة الصنهاجية، إذ

أعيد تجديد بنائها على يد بلكين بن زيري بن مناد سنة339هـ/960م[7] واستعادت مكانتها أكثر خلال الدولة الحمادية والمرابطية بسبب وجود أسطول بحري للدولة[1]، حيث أُنشئ خلال القرن 5هـ/11م جامعها الكبير من قبل يوسف بن تشفين المرابطي[2].

---

1) **متيجة** بفتح أوله، وكسر ثانية وتشديده ثم ياء مثناة من تحت ثم جيم، بلد في أواخر إفريقية من أعمال بني حماد.ينسب إليها أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن عيسى المتيجي. **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص53**

2) الحصن جمعه حصون وهو ضرب من العمارة الحربية مبنية عادة من الحجارة الكبيرة وتتكون من عدة أدوار وذات بروج صغيرة في أعلاها، مربعة الشكل ومستطيلة، ولا تكاد تخلو مدينة ساحلية من هذه العمارة.**محمد الأمين بلغيث: الربط، ص116**.

3) هم قوم يقال لهم بنو دمر من زناتة في بلاد واسعة وهم شراة كلهم عليهم رئيس منهم يقال له مصادف بن جرتيل.**البلدان، ص144**.

4) **أشير**: بكسر ثانية وياء ساكنة وراء مدينة في جبال البربر بالمغرب في طرف إفريقية الغربي. **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص203**.

5) **سطيف** بفتح أوله وكسر ثانيه ثم ياء مثناة من تحت وآخره فاء مدينة حط فيها أبو عبد الله الشيعي داعية عبيد الله المهدي. **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص220**.

6) حسن محمد: الجغرافيا التاريخية لإفريقية من القرن الأول إلى القرن التاسع هـ/7-15م فصول في تاريخ المواقع والمسالك والمجالات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004، ص224.

7) ابن خلدون: العبر، ج6، ص204.

وإذا سرنا على نفس الاتجاه نصل إلى مدينة تقرب من ساحل البحر تسمى **سوق إبراهيم**(3)، ثم منها إلى مدينة **تاهرت**(4)، وهنا كذلك يعطينا اليعقوبي معلومة جديدة من خلال اعتباره أول من يذكر مدينة سوق إبراهيم وبأنها قريبة جدا من البحر، وتعتبر منفذاً آخر لمدينة تيهرت نحو البحر.

لكن يضيف لتاهرت مرسى آخر مهم جدا ترسو به مراكبهم هو **مرسى فروخ**"منطقة بطوية"(5)، دون أن يقدم شرحا مفصلا عن المرسى وأهميته أو حتى عن اسمه، الذي سيذكر فيما بعد بفروج، وعين فروج، وعموما يبدو الاسم محليا بربريا من خلال اسم فروج وفروخ وهو نوع من الطيور، غير أن ابن الدلائي العذري(6) يذكر أسرة أندلسية تحمل نفس الاسم"بني فروخ"ربما هي التي استقرت في المنطقة وبنت فيها على غرار تنس ووهران(7).

لينتقل إلى ذكر مدينة قريبة من تيهرت وهي **مدينة يلل**، تقرب من البحر المالح"المتوسط"مسيرة نصف يوم(9)، ويربطها كذلك بمدينة **تيهرت** باعتبارها تصرف المنتجات التي ترد إلى تيهرت من الجنوب وحتى من أقصى المناطق الصحراوية، وكل هذه الموانئ ينفرد اليعقوبي بذكرها كأول جغرافي يشير إلى هذه المدن الساحلية.

ابن خلدون يتحدث على أساس اختطاط مدينة بكاملها من جديد على يد بلكين بن زيري، وهذا مستبعد نظرا لوجودها قبل ذلك في هذا الموضع مما يجعلنا نقول بأنه أعاد بنائها وترميمها، لهذا نجد الوزان يذكر بأنها مبنية بالحجر الضخم وهو نفسه الحجارة الرومانية. **الوزان: المصدر السابق، ج2، ص38؛ وشارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج2، 45، 88.**

1) علي عبد القادر حليمي:مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل1830م، المطبعة العربية، دار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972، ص202.

2) السيد عبد العزيز سالم: المغرب الكبير، ج2، ص749.

3) حاليا هي بلدية العطاف ولاية عين الدفلة وتبعد عن العاصمة ب 170 كلم.

4) البلدان، ص142-143.

5) نفسه، ص143. في حين ورد عند الإدريسي باسم مرسى"حوض فروج أو فروح".**المغرب، ص100، ونزهة المشتاق، ص172.**

6) حيث ذكر أن الأمير محمد قد استقبل وجوه أعيان اليمنية والمضرية بلورقة في شرق الأندلس زمنهم بنو شاهد وبنو فروخ وبنو طريف. **ابن الدلائي العذري: نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الإخبار، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، دت، ص02.**

7) سحر السيد عبد العزيز سالم: أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006، ص151.

9) اليعقوبي:البلدان، ص149.

إن موقع تاهرت الداخلي لم يحل دون اشتغالها بالتجارة البحرية، فقد وجد من التاهرتيين من امتلك المراكب، وإن ذكر مراكب تاهرت من قبل اليعقوبي لدليل على ضخامة عددها، حتى بات مرسى فروخ وكأنه خاص بمراكب تاهرت[1]، وبالتالي هو دليل على نشاط وحيوية الحركة التجارية البحرية لتاهرت، ومن الطبيعي مادام الأمر كذلك أن تكون هذه المراكب قد خدمت تجارة تاهرت وجابت موانئ مختلفة[2].

ويعتبر اليعقوبي تاهرت من أكبر مدن بلاد المغرب، الآهلة بالسكان بين جبال وأودية ليس لها فضاء؛ بينها وبين البحر المالح"المتوسط"مسيرة ثلاث رحلات في مستوى من الأرض[3]، عبر **مرسى تنس،** ويبدو أن هذه الموانئ كانت قليلة الشهرة لأن اليعقوبي يذكر تنس كأول معبر إلى الأندلس، بين تنس وتاهرت مسيرة أربعة أيام، فيقطع من تنس إلى الأندلس المضيق في يوم وليلة[4]، ورغم هذه الأهمية لميناء تنس إلا أن اليعقوبي لم يوله الاهتمام الذي يليق به كميناء للدولة الرستمية ثم للدولة الإدريسية و كميناء مستقبل للرحلات الذاهبة والقادمة من الأندلس للتجار والحجاج على حد سواء.

كما أهمل اليعقوبي مرسى وهران لأنها لم تبن بعد من قبل البحريين الأندلسيين، لكن هذا لا ينفي وجود المرسى الطبيعي باعتبار وهران مدينة فينيقية ثم رومانية قديمة؛ ولا يمكن أن يختفي هذا الميناء الطبيعي فجأة بعد الفتح الإسلامي.

وهذا يبين تأسيس مجموعة من المدن والمراسي من طرف البحارة الأندلسيين، كتشييدهم لمدن تنس الحديثة ووهران[5]، وهذا الكلام يعني أنّ المجتمعات المحلية في بلاد المغرب كانت بعيدة عن مدينة وثقافة البحر أم أنّ الأمر يتعلق بدور الكتابة التاريخية العربية التي تكون قد قزمت من دور البربر في مختلف الأنشطة الاقتصادية والملاحية[6]، ومن الصعب الفصل في هذه القضية بالرغم من أن كريستوف بيكار (Christophe Picard) الذي يعتبر أحد أكبر المختصين الحاليين في الملاحة الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قد أشار إلى استمرار الأنشطة البحرية المحلية في سواحل بلاد المغرب الأوسط بعد السيطرة العربية[7].

---

1) اليعقوبي:البلدان، ص143.

2) يوسف جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص155.

3) البلدان، ص149.

4) اليعقوبي:المصدر نفسه، ص143.

6) علاوة عمارة و زينب موساوي: المرجع السابق، ص28-29.

7) Christophe Picard; op.cit.p.16.

وعند حديثه عن مدينة تلمسان قال بأنها"المدينة المشهورة بالغرب وعليها سور حجارة وخلفه سور آخر حجارة وبها خلق عظيم وقصور ومنازل مشيدة[1]، لكنه لم يفصل فيها واكتفى بهذا القول.

ثم تحدث عن مدينة "**فلوسن** وهي مدينة عظيمة أهلها بطون من البربر من مطماطة وترجه وجزولة وصنهاجة"[2]

أما فيما يخص **الطرق والمسالك**، فنذكر ما أورده اليعقوبي من أن المسافر من إفريقية إلى جزيرة الأندلس، كان يركب البحر مسحلا غير موغل إلى **تنس**، ليوافي الأندلس ببلد تدمير[3] في يوم وليلة[4].

وقد كان لهذا الطريق البحري حسنات منها، أنه يقصر المسافة والزمن بين تاهرت والأندلس، فقد سبقت الإشارة إلى أن المراكب تقطع المسافة بين تنس وتدمير في يوم وليلة

ونعود للحديث بالتفصيل عن تيهرت وأهم طرق تجارتها باعتبار اليعقوبي قد ركز عليها بتفصيل كبير مما يوضح مكانة عاصمة بني رستم في تلك الفترة، واعتمادا على اليعقوبي فإن هناك طريقاً كزز ىة يتجه نحو مدينة تلمسان، عبر ابن مسالة الهواري، ومنها إلى مدينة يقال لها يلل–تقرب من البحر المالح مسيرة نصف يوم–ومنها إلى مدكرة ثم إلى إيزرج ومنها إلى مدينة تلمسان[7]**.**

وإذا حللنا أهم الطرق الرئيسية التي ذكرها اليعقوبي وتربط مدينة تيهرت، نذكر الطريق الذي كان يربط القيروان بجزيرة الأندلس ومدنها حيث قال:"ومن أراد جزيرة الأندلس نفذ من القيروان إلى تونس—على ما ذكرنا وهي

---

1)البلدان، ص149.

2) مدينة فلوسن من خلال كلام اليعقوبي يتّضح لنا أنها مدينة **ندرومة** ويظهر أنّ المدينة كانت تحت حكم إمارة بني مُحمد بن سليمان، الموالي للأدارسة. **نفسه، ص147**.

3) **تُدمير**: بالضم ثم السكون وكسر الميم وياء ساكنة وراء، كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان وهي شرقي قرطبة ولها معادن كثيرة ومعاقل ومدن ورساتيق وبينهها وبين قرطبة سبعة أيام للراكب القاصد، وتسير العساكر أربعة عشر يوما وتجاور تدمير الجزيرتان وجزيرة يابسة. **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص19**.

4) البلدان، ص143.

5) نفسه، ص143.

7) نفسه، ص149.

على ساحل البحر المالح– فركب البحر المالح، يسير فيه مسيرة عشرة أيام مُسحّلاً غير موغل، حتى يحاذي جزيرة الأندلس من موضع يقال له تنس، بينه وبين تاهرت مسيرة أربعة أيام، أو صار إلى تاهرت يوافي الجزيرة، جزيرة الأندلس، فيقطع اللجّ في يوم وليلة، حتى يصير إلى بلد تدمير، وهو بلد واسع عامر، فيه مدينتان يقال لإحداهما العسكر، وللأخرى لورقة..."[1].

ومنه فهو يبين أن الوصول إلى الأندلس انطلاقا من القيروان، يكون عبر طريقين كلاهما يعتمد على مدينة تنس هما:

الطريق الأول: مقسم إلى ثلاثة أقسام، الأول بري داخلي من القيروان إلى تونس، والثاني بري ساحلي من القيروان إلى تنس عبر باغاي وطبنة[2]–وقدره بعشر مراحل[3]– مرورا بسطيف نحو متيجة ومنها إلى تنس، والثالث بحري من تنس إلى الأندلس.

الطريق الثاني: مقسم إلى ثلاثة أقسام هو كذلك، الأول بري داخلي من القيروان إلى تاهرت والثاني بري داخلي كذلك من تاهرت إلى تنس، والثالث بحري من تنس إلى الأندلس[4].

وعند ذكره لهذا الطريق بين المدة الزمنية لقطع بعض أقسامها، حيث حددها بأربعة أيام بالنسبة للطريق من تنس إلى تاهرت، ويوم وليلة للطريق الرابط بين تنس ومدينة تدمير الأندلسية.

وهذا يبين أن مراكب الأغالبة جابت شرقا وغربا ووصلت إلى الأندلس و إلى تنس ومنها إلى تيهرت، في ظل الدولة الرستمية، حيث تتكفل هذه الأخيرة بربطها ببلاد السودان[5].

والاستنتاج الأساسي هنا–حسب ما ذكره اليعقوبي– أن تنس كانت من المدن القليلة التي يُعبر منها إلى الأندلس، وهو ما يبين أهميتها بالنسبة للدول التي كانت قائمة آنذاك، كالدولة الإدريسية والدولة الرستمية.

---

1) اليعقوبي:البلدان، ص143.

2) **طبنة**: بضم أوله ثم السكون ونون مفتوحة وهي فيما أحسب عجمية ومثلها في العربية الطبنة لعبة للأعراب وهي خطة يخيطونها مستديرة وجمعها طبن، والطبنة صوت الطنبور، وهي مدينة ي فتحها موسى بن نصير فبلغ سبيها عشرين ألف وهرب ملكهم كسيلة استجدها عمر بن حفص هزارمرد المهلبي في حدود سنة 404 هـ ينسب إليها علي بن منصور الطبني.**ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج4، ص21**..

3) اليعقوبي: المصدر نفسه، ص140.

4) إسماعيل بن نعمان: جوانب من الحياة الاقتصادية، ص206.

5) اليعقوبي: المصدر نفسه، ص143.

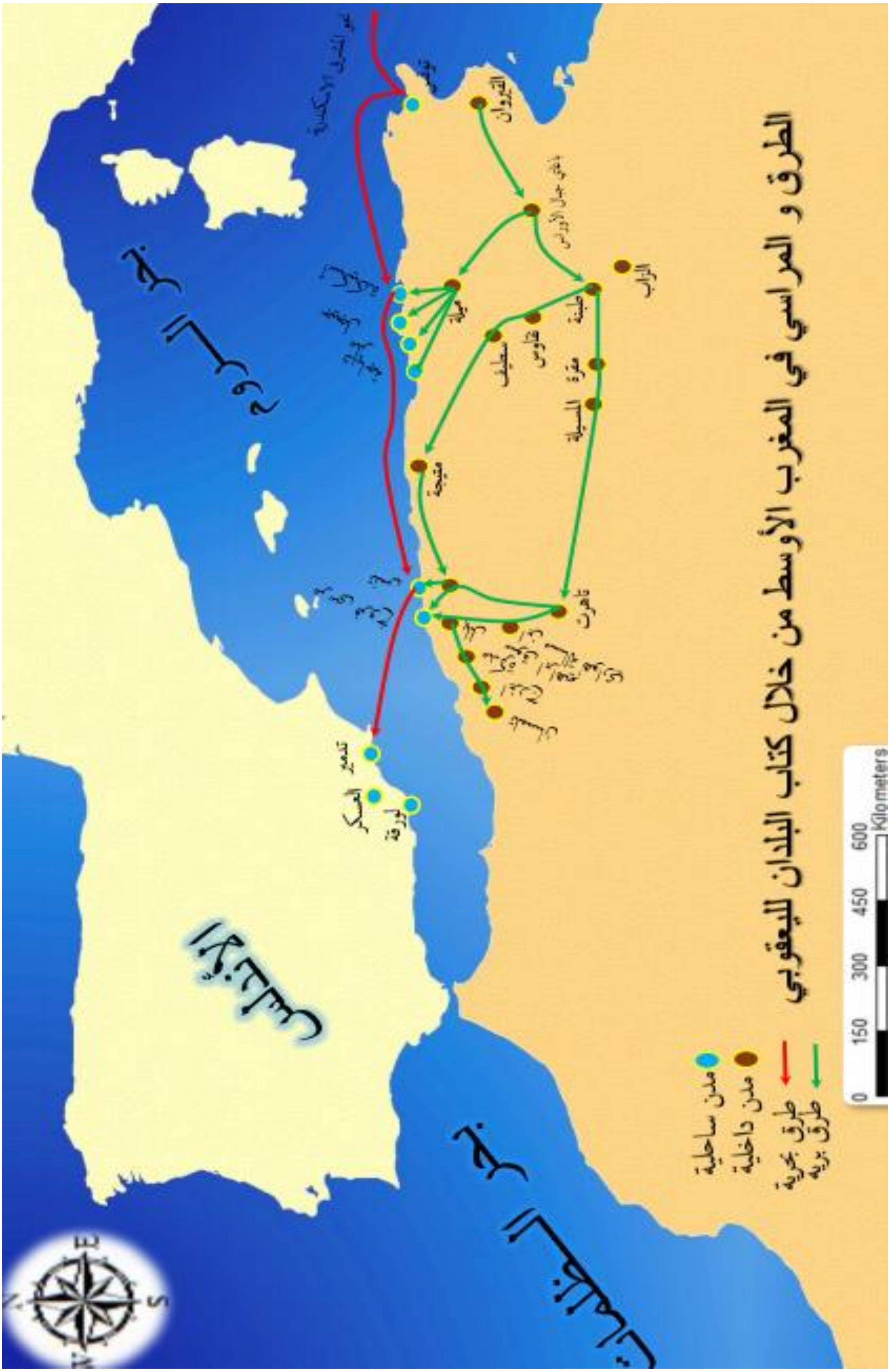
وكانت تخرج من ميناء تنس البضائع القادمة من مدينة تاهرت وتدخل إليه البضائع القادمة من مدن الأندلس، بحيث كان التاجر يسير منها باتجاه مدينة تنس في ظرف أربعة أيام ومنها في يوم وليلة يصل إلى مدينة تدمير الأندلسية[1]،كما كان هذا الميناء أحد الموانئ المغربية التي استخدمت في التبادلات التجارية مع الإسكندرية والشام[2].

كما مثلت سواحل المغرب الأوسط منطقة عبور والتقاء بين التجارة المشرقية والأندلسية، لتمثل موانئ المغرب الأوسط كذلك همزة وصل بين المناطق المهمة الداخلية والمناطق الخارجية الدولية في أوروبا والأندلس والمشرق، ما ساهم في بروز مدن ساحلية مهمة على طول الشريط الساحلي للمغرب الأوسط كمرسى تنس ومرسى فروخ ويلل وأسكيدة ومرسلى دنهاجة وملر.

---

1) جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص359.

2) اليعقوبي: البلدان، ص143.


الطرق و المراسي في المغرب الأوسط من خلال كتاب البلدان لليعقوبي
مدن ساحلية
مدن داخلية
طرق بحرية
طرق برية
0 150 300 450 600 Kilometers
القيروان
تونس
تاهرت
متيجة
مسيلة
طبنة
الزاب
المسيلة
العسكر
تدمير

وفي هذا العصر أيضا عاش عالم فارسي آخر هو **ابن رسته** (**ت289هـ/901م**)[1]، الذي قام بتأليف كتاب في الجغرافيا بعنوان"الأعلاق النفيسة"وهذا الكتاب يشتمل على وصف تفصيلي للمدن والبلدان، قد ضاع مع الأسف ولم يصلنا منه إلا عدد قليل من الأبواب فقط.

لهذا ربما نجده قد مر مرور الكرام على كامل بلاد الغرب الإسلامي، ولم يذكر منها سوى تاهرت والأندلس في موضع واحد فقط، وذكر أن أهلها بربر، وهي بلاد إدريس بن إدريس[2]، مما يبين قلة معلوماته الجغرافية عن المنطقة وأن مجرد ما كتبه عنها سمعه من التجار أو بعض الحجاج، أو بسبب ضياع الجزء المهم الخاص ببلاد المغرب عموما والمغرب الأوسط خصوصا.

وسار على نهجه **ابن الفقيه الهمداني**(**ت290هـ/902م**)[3]، إذ رغم تفصيله البسيط إلا أنه يبقى بعيد المنال وبعيدا عن ما قدمه اليعقوبي المعاصر لهما، وقد قام ابن الفقيه بإعادة تأليف كتاب المسالك في معرفة الممالك، وخلع عليه عنوانا جديدا وهو كتاب البلدان، وكتاب ابن الفقيه الذي نجد ياقوت الحموي يكثر الإشارة إليه ولم يبلغنا منه إلا موجز قام بتلخيصه رجل اسمه علي بن الحسن الشيزري في حوالي سنة413هـ/1022م[4].

حيث ذكر مدينة تيهرت ثم مدينة تلمسين؛ وأن هناك طريقين للربط بين الأندلس والمغرب الأوسط بعاصمته في تلك الفترة وهي مدينة تيهرت، والزمن اللازم لقطع الطريق الأول"ومن تاهرت إلى تلمسين مسيرة خمس وعشرين يوما، عمران كله"[5]، وطنجة خلف تاهرت بأربع وعشرين ليلة[6].

أما الطريق الثاني، فهو يخترق منطقة الهضاب العليا إلى الزاب، ثم إلى القيروان عبر جبال الأوراس، فكان الخارج من تاهرت يسير إلى مدينة سطيف وبينهما عشرون مرحلة[1] ثم إلى القيروان وبينهما ستة عشر مرحلة، وتستغرق هذه الرحلة مسير شهر على الإبل[2].

---

1) هو أبو علي بن رسته الفارسي من أصفهان، وهناك اختلاف بين المؤرخين من هو أسبق للآخر ابن رسته أو ابن الفقيه. **كراتشكوفسكي**: **المرجع السابق، ج1، ص164-165**.

2)ابن رسته: الأعلاق النفيسة، مطبعة برايا، ليدن، 1892، ص129-130.

3) اسمه أحمد، وأغلب الضن أنه من مدينة همدان بإيران، أما تاريخ تأليفه للكتاب سنة 290 هـ/903م **كراتشكوفسكي**: **المرجع السابق، ج1، ص162-164**؛ وهو أمر مستبعد لأنه لا يمكن أن يؤلفه في نفس سنة وفاته، إلا إذا كانت تاريخ وفاته هي (340هـ/951م) كما يحدده البعض.

4) مقدمة محقق كتاب الجغرافيا، إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970ص35.

5) الهمداني(ابن الفقيه ت نحو 340 هـ /951 م): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ، ص80-81.

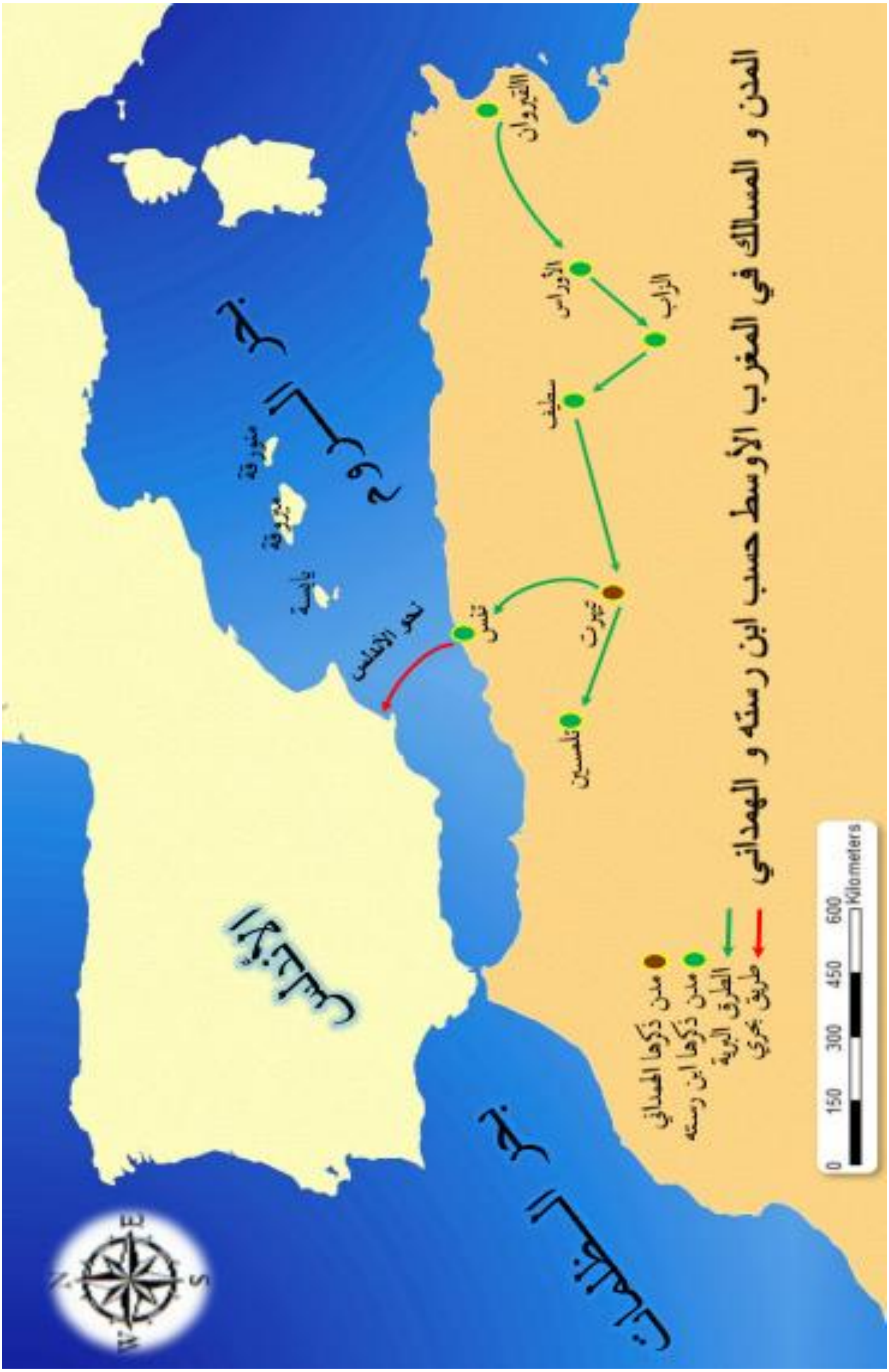
6) الهمداني: المصدر نفسه، ص81.

ورغم أن الهمداني يقدم مختصراً لكتاب اليعقوبي البلدان إلا أننا نعتبره مختصراً مخلاً، حيث ذكر بعض المدن الكبرى فقط في الحين أهمل تماما المدن الساحلية والمراسي، ورغم أنه لم يذكر ميناء ومرسى تنس إلا أنه أشار أن الطريق من تاهرت إلى الأندلس كان ناشطا وأكيد سيمر عبر تنس رغم أنه لم يذكرها.

---

1) **المرحلة**: تعادل مسيرية يوم وليلة، والفرسخ 6كلم. **محمد نزار الدباغ: إقليم الجزيرة والموصل من خلال كتاب تقويم البلدان لأبي الفدا، دراسة نصية، مجلة إضاءات موصلية، العدد 51، شوال 1422هـ/2011م، ص13**، ويرى **عبد العزيز بنعبد الله** أنها تتراوح بين أربعين وخمسين كلم. **الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1977، ص331**.أما **محمد الطويل** فيفرق بين ثلاثة أنواع من المراحل، مرحلة كبرى وتصل المسافة التي يمكن قطعها إلى ستين كلم، والمرحلة العادية، وغالبا ما كانت تعادل مسافة البريد التي تصل أربعين كلم، والمرحلة اللطيفة أو الخفيفة التي تصل إلى ثلاثين كلم. **النقل والتنقل، ص160**. ويرى **أمين توفيق الطيبي** أن المرحلة في المسافات البرية تقابل المجرى في المسافات البحرية. **المصطلحات البحرية والمعلومات الملاحية في رحلة ابن جبير، مجلة البحوث التاريخية، ليبيا، السنة4، ع2، يوليو1982، ص331**.

2) الهمداني:مختصر كتاب البلدان، ص79.


المدن و المسالك في المغرب الأوسط حسب ابن رستة و الهمداني
القيروان
الأوراس
الزاب
سطيف
تاهرت
تنس
تلمسان
نحو الاندلس
يابسة
ميورقة
منورقة
الأندلس
مدن ذكرها الهمداني
مدن ذكرها ابن رسته
الطرق البرية
طريق بحري
0 150 300 450 600 Kilometers

وفي أواخر النصف الأول من القرن الرابع الهجري كان كاتب فارسي يدعى **أبو إسحاق الاصطخري**(ت**346 هـ/957م**) يتجول في مختلف الولايات الإسلامية، من الخليج العربي حتى المحيط الأطلسي، وبحر قزوين، حيث يذكر الاصطخري أن هناك خطوط بحرية بين بلاد إفريقية والأندلس كانت السفن"تقلع من موانئ تونس وطبرقة **وبونة وتنس** اتجاه موانئ الأندلس"[1]، كما تتجه نحو مصر وبلاد السودان والمغرب الأقصى، حيث يذكر الاصطخري أن المسافة من مصر إلى أقصى المغرب في شرق بحر الروم نحو أربعة أشهر"[2].

ونستنتج من كلامه أن **ميناء بونة** يحتل موقعا طبيعيا مهما استراتيجيا، حيث يقع بين سلسلتين جبليتين هما جبال إيدوغ ورأس الحارس، اللتين تحميانه من الرياح الغربية والشمالية الغربية[3]، وتكمن أهمية هذا الميناء البحري في كونه يقع بالقرب من موانئ نشيطة إفريقيا كميناء تونس وطبرقة، ومغاربيا بين موانئ المغرب الأوسط، كتنس، وعالميا لقربه إلى صقلية[4] وسردينيا، والأندلس.

وظهورها باسم مدينة بونة في العهد الإسلامي بعد فتحها من قبل حسان بن النعمان بين سنتي65-86هـ/684-705م[8]، ومن خلال هذه السيرورة للاسم يتبين أنه تحريف فقط بسبب تغير الألسن، لكن ما السبب الذي جعل بونة تختفي خلال القرون الأولى؟

1)الاصطخري: مسالك الممالك، ص37.

2) نفسه، ص46.

3) شافية شارن: عنابة الميناء والمدينة"هيبون"، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، بين 7-8 ديسمبر2009، ص310.

4) **صقلية**: بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشددة وبعض يقول بالسين ، وأكثر أهل صقلية يفتحون الصاد واللام من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية وهي مثلثة الشكل بين كل زاوية وأخرى مسيرة سبعة أيام وقيل دورها مسيرة خمسة عشر يوما ، وإفريقية منها بين المغرب والقبلة وبينها وبين ريو، وهي مدينة في البر الشمالي الشرقي الذي عليه مدينة قسطنطينية، مجاز يسمى الفارو .**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص416**.

6) ليلى الصباغ:عنابة بين اسمها وموقعها وعلاقاتها مع العالم المتوسطي، مجلة الأصالة، العدد34-35، 1976، ص129-130..

8) نصرالدين سعيدوني: ورقات جزائرية، ص499؛ و **ليلى الصباغ:المرجع السابق، ص130**.

Allaoua Amara; Bûna, p.145.

كما يذكر الطريق من **تاهرت** إلى فاس(1) فيقدره بخمسين مرحلة(2)، ومن تنس إلى **جزيرة بني مزغنا** خمسة أيام، ومن **تاهرت إلى نكور** عشرين مرحلة، ومن تاهرت إلى **سجلماسة** نحو خمسين مرحلة(3).

بالتالي نجد أن التجار يسلكون أربعة طرق مختلفة منها الطريق الأول هو الطريق البحري، فكانت القوافل تنقل السلع من **تاهرت إلى تنس** والمسافة بينهما مسيرة أربعة أيام ومن هناك إلى ميناء طبرقة، وبينهما ست عشرة مرحلة، ومنها إلى ميناء تونس وبينهما عشر مراحل، ثم تقوم القوافل البرية بنقلها إلى داخل إفريقية، **كالقيروان** وبينهما ثلاث مراحل(4)، وهذا الطريق هو طريق ساحلي ويبدو أنه المفضل من قبل التجار والحجاج نظرا، لسرعة الوصول واختصار المسافة.

كما أن هناك طريقا ثانيا وهو طريق بري ينطلق من القيروان عبر سطيف على مسافة تقدر بواحد وعشرين مرحلة وصولا إلى تيهرت(5)، حيث تقدر المسافة بين تاهرت وسطيف عشرون مرحلة(6)، ويبدو أن تجار تاهرت كانوا يستعملون كذلك ميناء نكور، حيث أن الطريق بين تاهرت ونكور عشرون مرحلة(7).

وهذا يبين استمرار الموانئ المعروفة في العهد الرستمي بالنشاط كما ازدهرت المدن الساحلية وعلى رأسها **ميناء تنس**(8)، ومدينته المرفئية حيث عاشت المدينة فترة صراع تعاقب خلالها على حكمها الرستميون والأدارسة والفاطميون وأمويو الأندلس، بمساعدة من عائلة آل خزر المغراوية التي تُعتبر المدينة من أهم مناطق نفوذها(9)، حيث

---

1) **فاس**: بالسين المهملة، بلفظ فاس النجار: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي أجل مدنه قبل أن تختط مراكش، وفاس مختطة بين ثنيتين عظيمتين وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواها من رأسه وقد تفجرت كلها عيونا تسيل، إلى قرارة واديها، وليس بالمغرب مدينة يتخللها الماء غيرها إلا غرناطة بالأندلس، ومدينة فاس مدينتان مفترقتان مسورتان وهي عدوة القرويين وعدوة الأندلسيين، حيث أسست عدوة الأندلس سنة 192 هـ وعدوة القرويين سنة 193هـ في عد ولاية إدريس بن إدريس. **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، 230**.

2) الاصطخري: مسالك الممالك، ص39؛ **والاصطخري: كتاب الأقاليم، مخطوط إلكتروني، ورقة 24**.

3) الاصطخري: مسالك الممالك، ص46.

4) المصدر نفسه، ص39-40.

5) نفسه، ص39، 46.

6) نفسه، ص46.

7) نفسه، ص37، 46.

8) رشيد بورويبة وآخرون: كتاب الجزائر في التاريخ، ج3، ص180.

9) إسماعيل بن نعمان: جوانب من الحياة الاقتصادية، ص202.

يُعبَر منها إلى الأندلس، إذ قال عنها الاصطخري:"...وأما تنس فهي مدينة كبيرة، وهي عدوة إلى الأندلس أيضا..."[1].

ومن خلال ما سبق ذكره يتضح أن موقع تنس المدينة كان على سفح جبل بعيد نوعا ما عن البحر بمسافة كافية لحماية المدينة من مباغتة الأساطيل البحرية ويحيط بها واد من ثلاث جهات يحميها ويوفر لها الماء، وبُني عليها سور منيع أحاط بها[2].

كما ظهرت **مدينة الجزائر**"مرسى الجزائر"أو جزيرة مزغنا كطريق ثالث وهي مدينة عامرة يحف بها طوائف من البربر وهي من الخصب والسعة على غاية ما تكون المدن"[3]، وهنا نستنتج أن جزائر بني مزغنا خلال فترة الاصطخري كانت مزدهرة وعامرة، ولها أهمية بحرية، بل كانت تنافس تنس ونكور كميناء تصريف وتصدير البضائع نحو مدينة تيهرت، من خلال قول الاصطخري مرة أخرى"وأما نكور وجزيرة بني مزغنا في مدن وقرى كثيرة، فقريبة من تاهرت الأعلى"[4].

ولا ننسى الطريق الصحراوي–الطريق الرابع– البري حيث ينطلق من تيهرت نحو فاس وصولا إلى سجلماسة ومنها إلى إفريقيا جنوب الصحراء أو السودان الغربي، حيث قدر الاصطخري المسافة بين تاهرت وسجلماسة بنحو خمسين مرحلة، وإذا جمعنا المسافة انطلاقا من القيروان مرورا بسطيف ثم تيهرت ثم فاس وصولا إلى سجلماسة فتصل المسافة إلى مائة وعشرين مرحلة أما من القيروان إلى سجلماسة مباشرة عبر البرية، فتصل إلى ثمانين مرحلة[5].

وأهمل الاصطخري على غرار المصادر الأولى وجود مرسى وهران، وفي نفس الوقت لم ينف وجوده باعتبار المرسى قديم يسبق الوجود الإسلامي؛ ولكنه لم يبلغ المرتبة المهمة التي سيبلغها فيما بعد إثر استقرار الأندلسيين به؛ مما يوحي لنا أن مرسى وهران خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى لم يبلغ الأهمية الكبيرة التي تستقطب السلع التجارية وبالتالي تشكل شبكة من المسالك البحرية الكبرى.

---

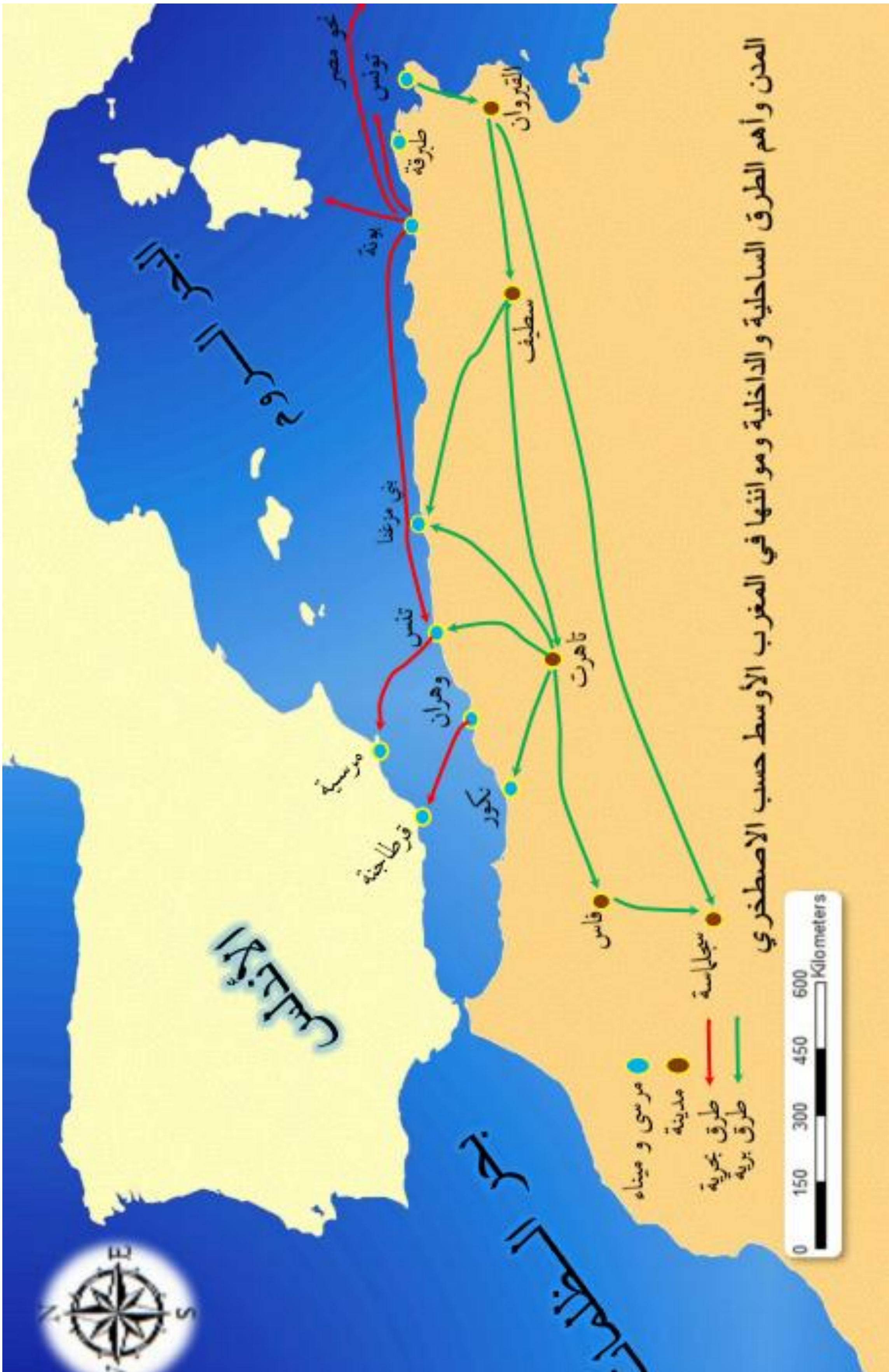
1) الاصطخري: مسالك الممالك، ص38.

2) إسماعيل بن نعمان: التحصينات الدفاعية، ص426.

3) الاصطخري: مسالك الممالك، ص38.

4) المصدر نفسه، ص39.

5) نفسه، ص46.



المدن وأهم الطرق الساحلية و الداخلية وموانئها في المغرب الأوسط حسب الاصطخري
البحر المتوسط
الأندلس
بحر الظلمات
نحو مصر
تونس
القيروان
طبرقة
بونة
سطيف
بني مزغنا
تنس
تاهرت
وهران
مرسية
قرطاجنة
نكور
فاس
سجلماسة
مرسى و ميناء
مدينة
طرق بحرية
طرق برية
0
150
300
450
600
Kilometers

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري الموافق للقرن العاشر الميلادي ظهرت ما يمكن تسميته بالجغرافية الوصفية من خلال ما ورد في صورة الأرض لابن **حوقل النصيبي**(ت**367 هـ/977 م**)[1]، حيث أعطى لنا معلومات هامة عن نشاط الواجهة البحرية لبلاد المغرب الأوسط، وكيف ارتبطت بالفضاء المغاربي الأندلسي[2].

لقد التقى ابن حوقل بالاصطخري عندما بلغ في تجواله إلى الهند؛ فأهداه كتابه المسالك، باعتباره كان قد جمع أثناء تنقلاته معلومات أدق وأحدث مما يشتمل عليه كتاب الاصطخري، وعلى الرغم من محافظة ابن حوقل على الشكل والتبويب الأصلي للكتاب، فقد أدخل عليه تحسينات مهمة، وكان تعديل ابن حوقل يتناول على الخصوص الفصول التي كرسها الاصطخري لمصر وبلاد المغرب والأندلس، وقد أتم ابن حوقل كتابه سنة367هـ/977م[3].

حيث يقسم بلاد المغرب إلى قسم غربي يتمثل في مصر وبرقة وناحية تنس إلى مدينة سبتة وطنجة، وأما الشرقي فهو بلاد الروم من حدود الثغور الشامية إلى القسطنطينية[4].

ولم ينكر ابن حوقل الإشارة إلى تأثير الوضع السياسي على الفعاليات التجارية في المغرب، إذ أن خضوع هذه البلاد لسلطة سياسية موحدة، قد وفر لها الأمن والاستقرار الضروريين للنشاط التجاري في القرن4هـ/10م، إذ يقول

---

1) اختلف الكتاب العرب الوسيطيون الذين أخذوا عنه في نسبته، فأسماه بعضهم "النصيبي ".**الصاحب عز الدين أبو عبد الله بن على بن شداد: الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، نشرة دومنبك صوديل، دمشق، 1953، ج1، ص139**. وآخرون سموه "الموصلي" .**زكريا بن محمد بن محمود القزويني**: آثار البلاد وأخبار العباد، **بيروت، دار صادر، 1960، ص458،419**. وآخرون "الحوقلي البغدادي" **أبو القاسم بن حوقل: صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1979، ص7**. ولكن الشيء المؤكد عن حياة ابن حوقل علاقته الوثيقة بمدينة بغداد – مكان نشأته ولتكوينه الفكري ومنطلق رحلته العلمية – التجارية الشهيرة التي استغرقت أكثر من ثلاثين عاما إلى أقاليم الدولة العربية الإسلامية. **عبد الواحد ذي النون طه: الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل، مجلة المؤرخ العربي، العدد 3، سنة1983، ص 30.**

2) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية، ص123.

بدأ ابن حوقل رحلته، كما يقول ذلك نفسه، من بغداد"في يوم الخميس لسبع خلون من شهر رمضان سنة أحد وثلاثين وثلاثمائة/15 أيار، ماي سنة943 م، وزار خلالها مصر والمغرب والأندلس وصقلية والجزيرة والعراق والأحواز وجرجان وغيرها. والذي يهمنا في أسفاره رحلته إلى المغرب التي وصلها عام336هـ/947م وقضى فيها أربع سنوات، رحل بعد ذلك إلى الأندلس في عام340هـ/951م، وفي طريق عودته من الأندلس مر على المغرب ثانية حيث نجده في هذا الإقليم عام350هـ/961م. **صباح إبراهيم الشيخلي: النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ دراسة من خلال كتاب، صورة الأرض، لابن حوقل، مجلة التاريخ العربي، العدد6، ربيع 1998، ص23–24.**

3) مقدمة محقق كتاب الجغرافيا لابن سعيد، إسماعيل العربي، ص39.

4) ابن حوقل: صورة الأرض، ص64.

في ذلك:"كانت المغرب من برقة إلى المحيط الأطلسي إلى صاحب المغرب وتحت حوزته وقبضته أو في يد خليفته"[1]، ويقصد ابن حوقل بذلك السلطة الفاطمية أو نوابها في المغرب من آل زيري.

وبالرغم من أن ابن حوقل لم يشر صراحة إلى نشاط المدن الساحلية في التجارة البحرية والداخلية، إلا أن واقع الحال يشير إلى قيام أغلب هذه المدن بممارسة مثل هذا النشاط لارتباطها بالبحر، على أن أهم الفعاليات البحرية في التجارة الداخلية التي مارستها موانئ المغرب في القرن4هـ/10م كانت مع الأندلس، والتي عُدت جزءا من إقليم[2] المغرب أيام ابن حوقل.

ويذكر ابن حوقل في كتابه صورة الأرض أسباب الانتعاش التجاري في المغرب الأوسط لأنه يعتمد بصورة أساسية على ما تنتجه الزراعة من حاصلات وما تنتجه الصناعة من سلع فضلا عن الثروة الطبيعية والحيوانية، وهذا ما حاول ابن حوقل توضيحه، مهتما بربط ذلك بالواقع الجغرافي والسياسي للمغرب في القرن4هـ/10م، حيث يقول"وجمعت تاهرت بين توفر المحاصيل الزراعية والأشجار والبساتين وبين التجارة الواسعة"[3].

ولما كانت تاهرت تشتهر بزراعتها، فقد صدّرت بعض منتجاتها الزراعية كالسمسم والزعفران والكتان والفواكه المجففة والحبوب والعسل، كما صدّرت الحيوانات كالأغنام من ميناء تنس[4].

ويبدو أن تجار تاهرت كانوا يستعملون كذلك ميناء نكور، حيث أن الطريق بين تاهرت ونكور عشرون مرحلة[5].

أما فيما يخص الموانئ والمناطق الساحلية فيذكر **الموانئ** الواقعة بين تونس ووهران وهي:طبرقة، مرسى الخرز"والقالة"وبونة، ومرسى الدجاج وجزائر بني مزغناي، وتامدفوس، واشرشال، وبرشك، وتنس ووهران وواسن وأرجكوك[6]، ويرجع هذا النشاط التجاري إلى نشاط طريق بحري يربط بين موانئ بلاد المغرب الأوسط وإفريقية

---

1) صورة الأرض، ص83.

ونكور هي مدينة مقتصدة –أي صغيرة في وقت ابن حوقل-وكانت في القديم عظيمة، ولها مرسى مهم ترسى فيه المراكب في بطن جزيرة تعرف بالمزمة.**صورة الأرض، ص79**.

2) ذكر ياقوت الحموي أن **الإقليم** هو الصقع الكبير المشتمل على العديد من المدن والقرى. **معجم البلدان، ج1، ص16**.

3) صورة الأرض، ص86.

4) الحبيب الجنحاني: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، العدد40-43، تونس، 1975، ص35-40.

5) ابن حوقل: المصدر نفسه، ص79؛ **والاصطخري: المسالك والممالك، ص37**.

6) ابن حوقل: المصدر السابق، ص76-77، 79.

والذي ارتكز أساسا على مرسى الخرز وبونة، وجزائر بني مزغناي، وتنس، أي مرسيان في جهة الشرق ومرسى في الوسط ومرسى في غرب المغرب الأوسط.

ومما يلاحظ عودة اسم بجاية[1] للظهور بعد اختفائه خلال القرون الثلاثة الأولى بعد الفتح الإسلامي؛ كما يلاحظ عدم بروز ميناء جيجل وبجاية كميناءين كبيرين في فترة ابن حوقل، رغم حضورهما السابق، وقد يُفسر ذلك بتراجع نشاط سكانهم البحري، أو بسبب بداية تراجع وانسحاب الفاطميين إلى مصر مما أثر على نشاط هذين الميناءين، لأنه لم يذكرهما ضمن الموانئ الكبرى، ويشير إليهما فيما بعد كمراسي صغيرة بين بونة ومرسى الجزائر.

فيبدأ ابن حوقل شرقا بميناء ومرسى **الخرز**[2]، الذي اشتهر باستخراج المرجان[3]،

---

1) **بجاية** بالكسر وتخفيف الجيم وألف وباء وهاء مدينة اختطها الناصر بن علناس بسبب خلاف بين تميم بن المعز بن باديس صاحب إفريقية وابن عمه الناصر بن علناس، بعد إشارة من الوزير ابن البعبع. **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص339.**

أول اسم أطلق عليها كما عرفنا في الفصل التمهيدي هو صلداي الفينيقية، ثم اسم غور خلال العد الوندالي ليعود اسم صالداي في العهد البيزنطي، لكن لا نعلم متى ظهر اسم بجاية خلال الإسلامي، حيث عادت إلى الظهور خلال عهد ابن حوقل.

ويرجع ابن خلدون أصل كلمة بجاية لأسم إحدى قبائل البربر التي استقرت بالمكان وتدعى"بجاية" وهي إحدى القبائل الصنهاجية المنتمية إلى قبائل زواوة، وفي سنة ستين وأربعمائة افتتح جبل بجاية، وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم، إلا أن الكاف فيهم بلغتهم ليست كافاً بل هي بين الجيم والكاف، وهذا القبيل من صنهاجة باقون لهذا العهد أوزاعاً في البربر، فلما افتتح هذا الجبل اختط به المدينة وسمّاها الناصرية، وتسمى عند الناس باسم القبيلة وهي بجاية. **ابن خلدون: العبر، ج6، ص231-232.**

أما ابن حوقل فيعتبره نبات ينبت كالشجر في الماء ثم يستخرج بين صخرتين، ونفس الشيء الإدريسي اعتبره نبات بحري متحجر بين الصخور البحرية وهو من المعادن الثمينة. **صورة الأرض، ص77؛ و نزهة المشتاق، ج1، ص290-291؛ ومجهول: الاستبصار، ص126؛ والحموي: المصدر السابق، ج5، ص106.**

حيث وردت أول إشارة لمرسى الخرز خلال النصف الأول من القرن الرابع هجري مع ابن حوقل بقوله:"وهو قرية غير أنها نبيلة لمكان المرجان وحضور من يحضرها من التجار، ولا أعرف في شيء من البحار له نظير في الجودة، ولا يوجد المرجان في مكان غير هذه القرية المدعوة مرسى الخرز ومدينة تنس ومدينة سبتة المحاذية من الأندلس لمدينة جبل طارق"(3)، وهي المعروفة بالجزيرة الخضراء، والذي بها من المرجان قليل الجوهر حقير المقدار.

ونستشف من كلام ابن حوقل أن مرسى الخرز"القالة"كان قرية صغيرة وميناء صغيراً إلا أنه غني بثروة المرجان مما جعله مقصد التجار والصناع، ودفع السلطة المركزية في تلك الفترة"وهي الدولة الفاطمية"على جعل عليه عمال وجباية وضرائب على التجار من خلال قوله:"ولسلطان المغرب بها-أي على مرسى الخرز-أمناء على ما يخرج منه، وناظر يلي صلاتها ومعاونها، وما يلزم ما يخرج من هذا النبات، وللتجار بها أموال كثيرة من أقطار النواحي عند سماسرة وقوف لبيع المرجان وشرائه"(4).

وكان لكل وال من ولاة الفاطميين مداخيل يضمن بها تسيير شؤون ولايته أو مملكته، وكلما كان الاقتصاد نشيطا زادت هذه المداخيل، ففي عصر ابن حوقل أشار إلى كثرتها وأنواعها في مدينة تنس، وعددها بقوله:"...ولسلطانها وجوه من الأموال كثيرة، كالخراج والجوالي والصدقات والأعشار ومراصد على المتاجر الداخلة إليها والخارجة والصادرة والواردة ..."(5).

---

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص71.

3) صورة الأرض، ص76.

جبل طارق: يسمى جبل الفتح لأن المسلمين التجأوا إليه لما عبروا إلى الأندلس؛ وهو جبل بجزيرة الأندلس في جانبها الجنوبي ومنه فتحوا الأندلس وهذا الجبل يظهر في البحر من سبتة وتقع الجزيرة الخضراء بالقرب من هذا الجبل وهي قبالة سبتة جبل الشاراة.**أبو الفدا: تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه رينود، والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840، ص66.**

4)صورة الأرض، ص76.

5) ابن حوقل: صورة الأرض، ص78.

ولم يكتف الفاطميون بهذه الضرائب بل فرضوا الخمس ومال اللطف[1]، ومال البحر[2]، ولعل الرحالة ابن حوقل هو المصدر الجغرافي الوحيد الذي رسم للقارئ صورة واضحة عن كيفية جباية الفاطميين للضرائب بجزيرة صقلية[3].

ويساعدنا في توضيح هذه الضرائب المفروضة من قبل الدولة الفاطمية على المعادن الثمينة كالمرجان المستخرج من البحر والعنبر القاضي النعمان، وهو مصدر تاريخي حيث يذكر لنا أنه تم فرض ضريبة الخمس لصالح أهل البيت[4].

وقد أشار ابن خلدون ضمنيا إلى أهمية مرسى الخرز بالنسبة للفاطميين عندما تغير الدولة الأموية في الأندلس في عهد الخليفة الناصر الهجوم على هذا المرسى سنة345هـ/956م باعتباره من أهم مراسي الدولة الفاطمية وأكثرها تمويلا لها بفضل المرجان، ويقول ابن خلدون" فأخرج الناصر صاحب الأندلس أسطوله إلى سواحل إفريقية، مع غالب مولاه فمنعتهم العساكر، وأقلعوا، وأعاوا سنة خمس وأربعين في سبعين مركباً فأحرقوا مرسى الخرز"[5].

لذلك فإن مرسى الخرز يعد من أهم مراسي المغرب الأوسط من الناحية الاقتصادية والعسكرية وقد جمع بين أدوار المدينة البرية والبحرية، كما ساهم قُربه من جزيرة سردينيا في ربط العلاقات التجارية والتخوف من الحملات الأجنبية في نفس الوقت.

ومدينة **بونة** التي يقول عنها ابن حوقل"مدينة مقتدرة ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة، ومقدارها في رقعتها كالاربس وهي على نحر البحر ولها أسواق حسنة وتجارة مقصودة"[6]، كما يوجد في بونة معدن الحديد بكثرة حيث

---

1) **مال اللطف** أي مال البركة والتكرمة، والبر والتَّحفِّي. **ابن منظور**: **لسان العرب، ج5، ص369**.

2) مال البحر: ضريبة على السفن الراسية بالموانئ خاصة الصقلية. **أنظر إحسان عباس**: **العرب في صقلية، دراسة في التاريخ والأدب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1975، ص69،68..**

3) صورة الأرض، ص124.

4) دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليهم أفضل السلام، تحقيق آصف بن علي أصفر فيضي، دار المعارف، 1963، ص297-298.

5) العبر، ج4، ص59.

قام الخليفة الناصر كرد فعل على إغارة أسطول صقلية الفاطمي"بقيادة عامله الحسين بن علي" سنة344هـ في عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمي والهجوم على سواحل ألمرية بالأندلس. **ابن خلدون**: **العبر، ج4، ص55**.

6) ابن حوقل: المصدر نفسه، ص77.

يحمل إلى أقطار كثيرة...ولها عامل قائم بنفسه ومعه من البربر عسكر...ومن تجارتها الغنم والصوف والماشية"[1]، ويقول عنها ابن حوقل بها سمك كثير وبأيسر سعر[2].

ومدينة **جزائر بني مزغناي** مدينة عليها سور على سيف البحر أيضا، وفيها أسواق كثيرة، ولها عيون على البحر، ولها بادية كبيرة وجبال فيها البربر كثرة، وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم سائمة في الجبال...ولها جزيرة في البحر على رمية سهم منها تحاذيها فإذا نزل بهم عدو لجأوا إليها ليكونوا في منعة وأمن ممن يحذرونه ويخافونه"[3].

وعند تحليلنا لكلام ابن حوقل يتضح أن ميناء جزائر بني مزغناي بقي ميناء بسيطا للعبور فقط بدليل أن نشاط السكان الرئيسي يعتمد على البر والجبال وسكانها رعاة، كما يبين أن استخدامهم للبحر كان محدودا في صيد بسيط أو للاحتماء من غارات البحر في الجزيرة المقابلة.

كما أن مدينة جزائر بني مزغنا تحتمي بواسطة سور يحيط بها من الواجهة البحرية منذ القرن الرابع هجري/العاشر الميلادي من خلال قوله:"مدينة عليها سور على سيف البحر"[4]، وهذا يبين مكانة وأهمية المدينة مذ القديم باعتبار بعض المؤرخين يرونه سورا قديما يعود للفترة الرومانية، وأن بلكين بن زيري قام فقط بإعادة الترميم والإحياء لهذه المدينة بما فيها سورها الذي يحميها من الغزاة البحريين.

ثم ينتقل ابن حوقل لمواصلة سرد أهم الموانئ من خلال ذكره لميناء"**تامدفوس**"الذي خُرب، وبقي فيها أقلية من السكان، وهو أول من يذكر هذا الميناء وسينقل عنه الإدريسي والحموي معلوماته فيما بعد، لكن ما يلاحظ على ابن حوقل وضعه لميناء تامدفوس[5] خطأ في الجهة الغربية من جزائر بني مزغنة.

---

1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

2) نفسه، ص76.

3) نفسه، ص78.

يبدو هذا غريبا خصوصا إذا تذكرنا أن معظم الغزاة والفاتحين لبلاد البربر جاءوا إليها عن طريق البحر، وقد كان من المتوقع أن يتخذ هذا الشعب عدته بتحصين الشواطئ وبناء السفن واكتساب المهارة في فن الملاحة البحرية التي تمكنه من حماية هذه الشواطئ، ولكنه بدلا من ذلك فقد اختار البربر أسهل الأمور وفضلوا الابتعاد عن الشاطئ وتركها للغزاة ليعتصموا هم بالجبال حيث يبنون قرى على قممها لا سبيل للغزاة إليها ولا فائدة من إخضاعها.**إسماعيل العربي**: **دولة بني حماد، ص249**.

4) ابن حوقل: المصدر نفسه، ص78، ويدعم وجود السور صاحب الاستبصار "البحر يضرب سورها". **مجهول**: **المصدر السابق، ص132**.

5) خريطة ابن حوقل، ص65-66.

تطورت في العهد الروماني وسيؤكد ذلك الإدريسي فيما بعد[3]، فتعرضت المدينة للتخريب بدخول الوندال كغيرها من مدن شمال إفريقيا، غير أن البيزنطيين أعادوا بناءها[4]، إلا أنه لم ترد معلومات عن ازدهارها أو تدهورها مع الفتح الإسلامي.

كما نلاحظ القطيعة الطبونيمية بين الاسم القديم والوسيط، ومن الملاحظ أن تامدفوس هي كلمة بربرية أطلقها السكان المحليون القاطنون بها كما يؤكد ذلك مارمول"يسمي الأفارقة هذه المدينة تمانتفوست"[5]،

وكما احتوت مدينة وميناء تامدفوس على سور لحمايتها من الهجمات البحرية ربما كان قديما من الفترة الرومانية وأعيد ترميمه، ولكنه خُرب وبقيت حجارته متناثرة ليتم استغلالها في إعادة بناء أسوار مدينة جزائر بني مزغنة[7].

وعلى العموم كوّن ميناء تامدفوس وميناء جزائر بني مزغنة منظومة بحرية متكاملة حيث يكمل أحدهما الأخر، فالأول يوفر الحماية من الرياح الشرقية في حين يوفر الثاني الحماية من الرياح الغربية واستراحة هامة للسفن[8].

ثم يلي ميناء تامدفوس ميناء **أشرشال**"[9] وهو مدينة قديمة أزلية قد خربت وفيها مرسى وبها آثار قديمة وأصنام من حجارة ومبان عظيمة"[1]، وهنا يبين لنا ابن حوقل استمرار ميناء شرشال في نشاطه رغم ضعفه وتراجع

---

1) مارمول:المصدر السابق، ج2، ص371.

وشارل أندري جوليان: **تاريخ إفريقيا، ج1، ص109**، أما عن معنى الاسم ف روس تعني قمة أو رأس وقونيا تعني الأدغال، وفسر على أنها كلمة أمازيغية تعني ينام والمعنى الأقرب إلى الصواب هو الرأس الممتد.**فضيلة حمزاوي و صالح خالد ساري**: **أهمية برج تامنفوست في تحصينات مدينة الجزائر إبان الحكم العثماني، مجلة أدوماتو، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد16، يوليو2007، ص42**.

3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص258؛ **والمغرب، ص89**.

4) فضيلة حمزاوي و صالح خالد ساري:المرجع السابق، ص42.

5) مارمول:المصدر السابق، ج2، ص371.

7) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78؛ **الحموي**: **المصدر السابق، ج2، ص7**.

8) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص203، 208.

9)أصلها مدينة فينيقية كانت تسمى أيول، ثم استقر الملك المغربي يوبا الثاني فوسعها وزخرفها ودعاها القيصرية، وقد خربها الوندال ثم أحياها العرب المسلمون، خاصة المهاجرون الأندلسيون.**أنظر أحمد توفيق المدني**: **كتاب الجزائر، ص22**.

دوره، إلا أنه قاوم عوامل الزمن؛ ولا ندري كيف تحول اسم أيول"قيصرية"إلى شرشال أو أرشرشال؛ لأن آخر اسم ذكرت به خلال العهد البيزنطي هو قيصرية(2)، كما أن إشارة ابن حوقل على اقتضابها فقد ركزت على المرسى أو الميناء مما يحيلنا إلى أن مكوناته المينائية القديمة حافظت على شكلها خلال الفترة الوسيطة.

ومن أشرشال إلى **برشك** التي عليها سور قديم متهدم(3)، ولها مياه جارية وآبار وبها فاكهة وأغلب أهلها من البربر...وأكثر أموالهم الماشية"(4)، أي أن هذا الميناء والمدينة يغلب عليها الطابع البري البدوي أكثر من البحري، ربما لخوف سكانها من الخطر القادم من البحر خلال القرون الثلاثة الأولى.

---

1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

شرشال خربها أبو القاسم الفاطمي(322-334هـ/934-946م)، حيث يكد ذلك مرمول كربخال بقوله:"...ولكن الخليفة الشيعي الذي قام بالقيروان دمرها-أي شرشال- ولم يبق منها إلا الأطلال".**إفريقيا، ج2، ص356**.

2) حسب الروايات الشفوية فان انتقال الاسم من قيصرية إلى شرشال مرتبك بالفتح الإسلامي حيث أطلق العرب كلمة الشر زال أي الاحتلال زال فسميت بشرشال، وهناك من يرى أنها مرتبطة باسم أفعى كبيرة تسكن بعين الماء تسمى أشرشار، والرأي الأخير وهو الأقرب للصواب أن أشرشار تعني الشلال بالامازيغية والمنطقة فعلا غنية به.**بوطبة محفوظ**: **دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، مذكرة ماجستير آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص42**.

3) أثبتت الحفريات أنها مدينة قديمة فينيقية تعود إلى القرن الثالث قبل الميلاد، ليستقر فيها الرومان فيما بعد باسم جونوجو Gunugus أما بطليموس فيسميها Kanoukkis ويذكر أنها مستعمرة أسسها الإمبراطور أغسطس بين 33 و 25 ق م .**الوزان**: **المصدر السابق، ج2، ص33**؛

4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

6) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص355.

2.

من الميناء وهو ما لم تشر إليه المصادر السابقة، وقد اعتبر دومنيك فاليرين أن برشك هي مدينة قوراية[2]، ربما نقلا عن مارسي[3] دون أن يقدم الدليل أو الشرح الكاف لذلك.

ويقدم لنا ابن حوقل وصفاً هاماً لمدينة تنس تزامنا مع مرور مائة سنة على تأسيسها خلال عام262هـ/875م، فبين ميزة موقعها الذي يجمع بين السهل والجبل وتحصينها بسور فتحت فيه مجموعة من الأبواب[4].

ونفس الأهمية والوظيفة يوضحها ابن حوقل لمدينة **تنس** بقوله:"... وهي من أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم، ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها..."[5]، وهذا يبين أنه رغم الصراع القائم بين الدولة الفاطمية ونظيرتها الأموية فإن ذلك لم يمنع تواصل العلاقات التجارية واستمرار المسالك البحرية، بل ظلت تنس تقوم بدورها الريادي كما كانت خلال الدولة الرستمية من حيث استقبال التجار والحجاج الأندلسيين.

كما يرى ابن حوقل أنه ليس من المراسي القريبة منها ما هو في حجمها الكبير، وهي من أكبر المدن التي يحضر إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم، وينهضون منها إلى ما سواها[6].

ليعود ابن حوقل مرة أخرى إلى **ميناء تنس** بقوله:"ومدينة تنس عليها سور ولها أبواب عدة، وبعضها على جبل قد أحاط به السور، وبعضها في سهل وهي من البحر على نحو ميلين[7] على واد كثير الماء وشربهم منه، وهي

وتسمى هذه الجزيرة اليوم بجزيرة العشاق.**الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص220-221.**

2) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص77.

3) Marçais.G;Les Villes, p.139.

4) إسماعيل بن نعمان: التحصينات الدفاعية في مدن المغرب الأوسط، مدينة تنس نموذجا، ضمن أعمال ملتقى النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني يومي 26 و 27 نوفمبر2014، مجلة دراسات تراثية، العدد 05، 2014، مخبر التراث الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، ص424.

5) صورة الأرض، ص78.

6) نفس المصدر والصفحة.

7) **الميل**:ثلاث آلاف ذراع بذراع الملك، والذراع ثلاث أشبار والشبر ست وثلاثون إصبعا والإصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض والميل جزء من ثلاثة أجزاء من الفرسخ، وقيل الميل ألفا خطوة وثلاث مائة وثلاث وثلاثون خطوة، وأما أهل اللغة فالميل عندهم مدى البصر ومنتهاه. **ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج1، ص36**؛ والبكري اعتبر أن 30ميلا في البر يقابلها نصف مجرى في البحر.**المغرب، ص105**، ودرجت المصادر على قياس المسافات الطويلة بالفرسخ والقصيرة بالميل.

مدينة فوق الصغيرة وليس على البحر فيما قاربها على شكلها بنواحيها في الكبر وبها فواكه حسنة وهي من الخصب في جميع الوجوه...وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم، وينهضون منها إلى ما سواها"[1].

ونستشف من قوله أن ميناء تنس كان من أكبر الموانئ في المنطقة، كما كان مقصد التجار الأندلسيين وكذا المسافرين، سواء نحو الشرق أو المغرب الأقصى أو نحو موانئ أخرى من المغرب الأوسط، مما جعل حكامها- وهم من بني زيري خلفاء الفاطميين- يفرضون ضرائب على السلع الواردة والصادرة منها بقول ابن حوقل:"ولسلطانها بها وجوه من الأموال كثيرة"[2].

كما أن مدينة تنس كان عليها سور كبير يحميها و هذا دليل على حصانتها وأهميتها الساحلية باعتبارها بوابة الأندلسيين إلى بلاد المغرب خاصة وإفريقيا جنوب الصحراء عامة، وبدون شك احتوى هذا الحصن على منارات لإرشاد السفن نحو الميناء وكذا نقاط حراسة.

ثم **قصر الفلوس**، وهي مدينة محدثة لها سور[5]، رغم أن ابن حوقل لم يوضح هل هي مرسى أم لا ولكنه ذكرها في سياق المراسي المحصورة بين تنس ووهران، وسينقل عنه فيما بعد صاحب الاستبصار.

---

1) صورة الأرض، ص78.

2) نفس المصدر والصفحة.

3) نفسه.

5) نفسه، ص78.

أما عن أصل التسمية فتبدو أنها عربية ظهرت مع الفتح الإسلامي من خلال ذكر ابن حوقل أنها مدينة محدثة، لأن كلمة قصر تبين مكاناً أو بيتاً مهماً، أما الفَلّوُس فقد ترمز إلى فرخ الدجاج، ومن هنا يقصد به بيت كبير لتربية الدجاج، أو أن الفُلوس إحدى وحدات العملة النقدية؟، وهو مستبعد نوعا ما.

ولمدينة **وهـران** مرسى في غاية السلامة والصون من كل ريح، وليس له مثيل في ذلك سوى مرسى موسى(2)، فقد كنفته الجبال وله مدخل آمن، وعليها سور...وهي فرضة(3)، من الأندلس، إليها ترد السلع ومنها يحملون الغلال، وهي تحت أملاك صاحب المغرب من بني زيري خلفاء الفاطميين(4).

ويمكن تحليل معطيات ابن حوقل هذه أن ميناء وهران كذلك كان من أحسن الموانئ أمنا وليس كبرا، وكان مقصدا مهما للأندلسيين أو للتوجه من وهران إلى الأندلس، مما جعله يصفها بأنها قطعة منه، بسبب قرب المسافة وكثرة الجالية الأندلسية وسهولة الرسو فيه بأمان، ولا يشبهها سوى مرسى موسى الذي كان يقع على مقربة من جبل طارق وهو من بين المراسي المندثرة في المغرب الأقصى.

وابن حوقل يشير إلى أنه من المراسي المحمية من كل ريح ونحن نعلم أنه مفتوح على الرياح الشمالية، مما يحيلنا بأنه أخلط بين مرسى وهران و**المرسى الكبير** المحاذي له(5) والذي لم يذكره، حيث تربط بينهما حافة صخرية

---

2) **مرسى موسى** ميناء مطل على بحر الزقاق كانت تعيش في قربه قردة. **البكري: المسالك، ج2، ص782-783**. وهو ميناء على السواحل المتوسطية للمغرب الأقصى. **مصطفى نشاط: جنوة وبلاد المغرب من609-759هـ/1212-1358م، مطبعة الرباط نت، 2014، ص265**؛ **وعبد السلام الجعماطي: دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012، ص19-20**.

3) **الفرضة**: هي ما انحدر من الشيء من وسطه أو من جانبه، كما يقصد بها المرفأ الصغير. **المعجم الوسيط**.

4) صورة الأرض، ص78.

متعرجة وله نفس الخصائص الطبيعية لمرسى وهران، وهذا التشابه يفسره القرب الشديد[1]، لهذا نجد أن المصادر الأولى التي ذكرت وهران أشارت إلى المرسى الكبير عرضا أو أنها وصفته على أنه ميناء وهران[2]

لقد برز مرسى وهران مع الدولة الرستمية التي ربطت علاقات تجارية مع الأندلس وتواصل هذا الدور مع الأدارسة ليمثل أحد ثغورها الهامة ومنفذ تلمسان البحري الرئيسي حيث كانت التجارة الأندلسية مزدهرة؛ مما حفز أطماع الأمويين الذين كانت رغبتهم في تدعيم نفوذهم خارج مجالهم بالبحث عن موانئ مهمة وقريبة من العدوة الأندلسية، واعتمدت سياستهم على تقريب واستمالة القبائل المستوطنة عن طريق تجارهم الذين نجحوا منذ290هـ/903م في ضم وهران وضواحيها إلى المجال الأموي.

ومن مرسى وهران يأتي مرسى **مدينة واسلن** التي لها سور عظيم، كثيرة الأهل، والبساتين، وأكثر أموالهم الماشية[4]، وهذا الميناء أيضا من الموانئ المندثرة التي انقطعت أخبارها الآن.

وما يلفت الانتباه هو سور المدينة الذي وُصف بالعظيم مما يدل على أهميتها وحصانتها ضد الهجمات البحرية.

ويتوافق هذا المرسى حسب الآثار مع موقع سيدي جلول حاليا، وهي مدينة في شرق أرجكوك وبمقربة من وهران التي تحدها من الناحية الشمالية الشرقية، حيث كانت هناك مدينة قديمة رومانية تدعى Camarata [1]،

وقد ذكر المرسى الكبير بعض الكتاب القدماء مثل بلين الكبير الذي عرفه بالمرسى الإلهي أو المقدس"بورتوس ديفيني Portus divinus". **ناصر الدين سعيدوني: حصن المرسى الكبير، من رباط إسلامي إلى حصن اسباني إلى محطة عثمانية، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، نوفمبر1997، ج1، ص268**.

1) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص147.

إن امتداد النتوء الطبيعي للمرسى الكبير في البحر يجعل منه حاجزا طبيعيا في اتجاه الشرق تنكسر على حافته الشمالية الصخرية أمواج البحر التي تتسبب فيها الرياح الشمالية الغربية بينما يؤلف شاطئه الجنوبي جونا صالحا للملاحة وملائما لإرساء السفن عكس جون وهران الذي تسود به الرياح الغربية ويتأثر بالأمواج التي تنشط خاصة أثناء النهار، ويعود ذلك إلى تيار مضيق جبل طارق القريب من الشواطئ الوهرانية ويتولد منه تيار معاكس بفعل تحطمه على نتوءات عين الترك وفالكون والمرسى الكبير، ليتحول اتجاهه عند رأس فيرات نحو الغرب مما يسمح له بأن يؤثر في مياه مرسى وهران، هذا في الوقت الذي يبقى فيه المرسى الكبير في معزل عن هذا التيار المعاكس. **ناصر الدين سعيدوني: حصن المرسى الكبير، ص267**.

2) الأخضر عبدلي: مملكة تلمسان في عهد بني زيان، رسالة لنيل شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1986-1987، ص127-128.

4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

رغم أن بعض المراجع تحاول وضعها بموقع بني صاف الحالية، التي أثبتت الأبحاث غياب أي معطى أثري يؤكد ذلك[2].

أما عن طبونوميا هذا الموقع فتبين القطيعة بين الاسم القديم والوسيط، ولم نجد سندا لاسم واسلن أو آسلن، فربما تعود إلى الأمير المكناسي"حميد بن يسلن، أو يزل، أو يصلاتن"[3] حيث حرف اسمه وأصبح آسلن، وهناك من يعتبرها اسماً بربرياً[4]، باعتبارها منطقة لقبيلة مغيلة دون أن يقدم معنى له.

ومن آسلن إلى **أرجكوك** وهي أيضا"مدينة لطيفة، لها مرسى وبادية وسعة في الماشية والأموال، ومرساها في جزيرة لها فيها مياه، ومواجن كثيرة للمراكب...وهي جزيرة معمورة بالناس، وأرجكوك على واد يعرف بتافنا وبينها وبين البحر نحو ميلين"[5]، ويستشف من ذلك أن أرجكوك أو **أرشكول**[6] هي مدينة ساحلية لها مرسى مهم وجزيرة مقابلة لها تقصدها المراكب والسفن.

أي أن أرشكول كانت مدينة مهمة خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، في حين لم تكن وهران قد رأت النور بعد، وهي تقع في أحد منعرجات وادي التافنة قريبة إلى مدينة سيقا الأمازيغية عاصمة سيفاكس خلال تلك الفترة، وأرجكوك نموذج لميناء نهري تستعمله السفن.

---

1)Mac Carthy .O; Recherches sur l’occupation et la colonisation de l’Algérie par les romains, Revue Africaine, n°1, 1856, p. 171.

3) يذكر ابن خلدون أن منطقة آسلن وقعت ضمن الصراع الفاطمي الأموي، حيث انتقل حكم المدينة من الأدارسة برئاسة"إدريس بن إبراهيم صاحب أرشكوا" الذي أبدى ولاءه للدولة الأموية ليصبح أحد عمال موسى بن أبي العافية بأمر من الخليفة الفاطمي الناصر ، ومدينة آسلن كانت تحت سلطة الأمير المكناس "حميد بن يزل" وهو القائد الشيعي وعامل تيهرت الذي حارب موسى بن أبي العافية مولى صاحب قرطبة سنة331هـ/933م. **العبر، ج6، ص177**.

4) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص227.

5) ابن حوقل:المصدر السابق، ص79.

يبدو أن اسم أرشقول أو أرشكوك أمازيغي ولم نجد له صلة بالاسم الفنيقي سيكا أو الروماني سيقا كولونيا، في البداية ثم مينيكييبوم **Muller; Op. Cit, t. III, p. 97**

ولكن لم نجد المعنى الخاص به وعلى العموم أشار مارمول بأن المدينة قديمة بناها الأفارقة ويقصد بهم البربر الأمازيغ. **إفريقيا، ج2، ص297**. خاصة أنها كانت مجال لقبيلة كومية البربرية. **ابن خلدون: العبر، ج6، 166**.

6) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص8؛ و **شكيب أرسلان:الحلل السندسية، ج1، ص69–70**.

وابن حوقل تحدث عن ميناءين واحد خارجي على الجزيرة القريبة من البر بقدر صوت رجل جهور والثاني على مصب نهر التافنة مما يجعله ميناءاً داخلياً نهرياً، ويذهب أحد الباحثين إلى الافتراض بأن الآثار الواقعة مباشرة على البحر ليست سوى بقايا رصيف الميناء القديم ومخازن أيضا[1]، حيث يدعم هذا الكلام ما قاله ابن حوقل عن وجود"مواجن كثيرة للمراكب"[2] أي أحواض معدة لاستقبال السفن.

وقد تواصل الدور المهم لميناء أرجكوك خلال الفترة الوسيطة إذ مثلت أحد أهم ثغور المغرب الأوسط[3] ويشير ابن حوقل من حين لآخر، إلى تأثير الوضع السياسي على شبكة الطرق والسير الحسن للتجار والرحالة والحجاج، في منطقة ما أو مدينة على ازدهار أو تدهور فعالياتها.

والطريق الرابط بين **بونة** إلى مدينة"**جزائر بني مزغناي**[4]، وفيها مراسي كثيرة فمنها **جيجل وبجاية** ومنه إلى **مرسى بني جناد**[5]، الذي يعتبر ابن حوقل أول من أشار إليه، ولم يحدد أصل التسمية أو معناها، لكن الباحث الهادي روجي إدريس، يرجع اسمها إلى إحدى القبائل البربرية التي استوطنت بالمكان وهي قبيلة"بني جناد"أحد فروع قبيلة زواوة[6]،

كما أن إشارة ابن حوقل عن بجاية تقدم لنا رواية مناقضة عن تأسيس بجاية في القرن الخامس من قبل الناصر بن علناس فهي كانت موجودة خلال القرن الرابع، لكنها قد تكون أقل أهمية وقيمة وغير مأهولة بصفة كبيرة[8]، مما يبين لنا قدم المدينة وأن الناصر فيما بعد سيقوم فقط بتطويرها وترحيل السكان إليها، واتخاذها عاصمة.

1) Christophe Picard; L'Océan , p. 49 – 50.

2) صورة الأرض، ص88.

3) ابن خلدون: العبر، ج4، ص23.

4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص86؛ **والبكري: المغرب، ص33.**

5) في الفترة الحالية هناك ميناء ومرسى في نفس المكان الذي تحدث عنه ابن حوقل وهو رأس أوكاب جناد، أي أنه تقريبا مازال محافظا على نفس الاسم.

6) الدولة الصنهاجية، ج2، ص113.

8) علاوة عمارة: التطور العمراني، ص232.

ومن مرسى بني جناد إلى **مرسى الدجاج** وهي مدينة عليها سور منيع على نحر البحر وفي شفيره، وليس لها مرسى مأمون"[1]، ويتميز موقعها بانبساطه باعتباره امتداد طبيعي لفحص متيجة[2]، ومنفذاً بحرياً لمدينة أشير التاريخية[3].

بذلك نستشف منه أن مرسى الدجاج كان مرسى مهماً جدا اقتصاديا خلال القرن الرابع الهجري، بدليل تركيزه عليه دون مرسى جيجل وبجاية، كما أن وجود السور حول المدينة يبين احتياط سكانها من الغارات الخارجية كما يبين اتساع المدينة وحرصهم على تحصينها(**لاحظ الملحق رقم01**)

ووصف ابن حوقل ميناء مرسى الدجاج بالمرسى غير المأمون يثير التساؤل باعتبار المدينة والميناء قديماً منذ العهد الفنيقي حيث كانت تسمى Rus ubbicari Matidiae وتم استغلاله من قبل الرومان ، ليتم إحياؤه خلال القرن الرابع الهجري ولكن باسم مختلف هو مرسى الدجاج ربما بسبب توفرها على طائر السماني الكثير في البحر[5]، والذي يشبه في شكله ولونه الدجاج[6].

ويذكر ابن حوقل الطرق بشكل آخر، إذ يشير إلى طريق بري ينطلق من تلمسان إلى تاتانلوت ومنها إلى وادي الصفاصف ثم أفكان ومنها إلى تاهرت ويقدر بثلاث مراحل[7].

وطريق آخر يبدأ من اليمين إلى اليسار هو طريق تنس وهران واسلن، أرجكوك، مليلة[8] ونكور[9]، ثم يعود مرة أخرى ابن حوقل ليذكر طريق فاس تنس أي من اليسار إلى اليمين برا على المدن التالية منها تلمسان، ترفانة،

1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77. ومرسى الدجاج في مقاربة تطابقية بين الخرائط المتاحة الآن يحتمل أن يكون مرسى زموري البحري بالعاصمة.

2)الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص199.

3) الحميري: المصدر السابق،ص539.

5)مجهول: الاستبصار، ص131.

6)الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص200.

7) صورة الأرض، ص88.

8) **مليلة**: بالفتح ثم الكسر، وياء ولام أخرى، مدينة بالمغرب قريبة من سبتة على ساحل البحر.**ياقوت الحموي**: **المصدر السابق**، **ج5**، **ص197**.

9) ابن حوقل: المصدر نفسه، ص68.

ونكور هي مدينة مقتصدة –أي صغيرة في وقت ابن حوقل-وكانت في القديم عظيمة، ولها مرسى مهم ترسى فيه المراكب في بطن جزيرة تعرف بالمزمة.**نفسه**، **ص79**.

أفكان، ثم يلل، ثم شلف، ثم غزه، تاجنا، وأسفل تنس على طرف الصورة الخضراء، وهي على نهر يأتي من الأسفل وعند مبتدأ هذا النهر تاهرت[1].

كما يذكر ابن حوقل أن الطريق المار على قبائل كتامة غني بالحديد[2]، وهو المستغل في صناعة السفن والأساطيل الفاطمية، وهو الآتي من بونة إلى مدينة"جزائر بني مزغناي.

كما تحدث ابن حوقل عن بعض المدن الداخلية البرية ولكنها مربوطة بشبكة مهمة من الطرق التي توصلها بالمراسي وعلى رأسها المدن التالية:الأوراس، المسيلة[3]، سطيف، وتاهرت، وتلمسان التي ذكرها باسم تنمسان وبأنها مدينة أزلية ولها سور من آجر حصين[4].

حيث جعل ابن حوقل المدن الداخلية محطات تجارية مهمة لكونها تشكل حلقة وصل للطرق التجارية المغربية وبعدة اتجاهات، كسطيف وتاهرت والزاب، ومنها على سبيل المثال مدينة المسيلة، التي جعلها حلقة وصل بين المدن الصحراوية والمناطق الساحلية، كما جعلها محطة ابتداء وانتهاء الطرق التجارية بين إفريقية والمغرب الأقصى، والساحل[5].

ويفضل هذا الطريق عامة الناس وهو طريق الهضاب العليا، فهو في مأمن من الغارات البيزنطية، وعامر بالقبائل، مما يسهل عليهم مهمة التزود بالمؤن والقيام بعمليات المبادلات التجارية، إلا أنه يكلف التجار ضرائب باهضة، ويعرضهم لأخطار قطاع الطرق، وهو طريق بطئ[6].

إضافة إلى فرع آخر يتجه من سطيف نحو الزاب ومنها إلى القيروان عبر بلاد الجريد[7]، أما الطريق الآخر فيخرج من تاهرت إلى ورقلة عبر جبال عمور، وهو الطريق الذي سلكه الإمام يعقوب عند مغادرته تاهرت نحو القيروان، وهذا الطريق صحراوي حافل بالمتاعب والمشاق، ومع هذا كان عامرا بالحركة، لأنه طريق سريع لقلة التوقف

---

1) ابن حوقل: المصدر السابق، ص68.

2) نفسه، ص86؛ و **البكري: المغرب، ص33**.

3) **المسيلة** بالفتح ثم الكسر والياء ساكنة ولام مدينة بالمغرب تسمى المحمدية اختطها أبو القاسم محمد ابن المهدي . **الحموي: المصدر السابق، ج5، ص130**.

4)صورة الأرض، ص93.

5) نفسه، ص85، 90.

6) يوسف جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص117.

7) وهو الطريق الذي سلكه المهدي إلى سجلماسة. **أنظر القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص100-102**.عن هذه الطرق جميعا أنظر **ابن حوقل: المصدر نفسه، ص51-53**.

فيه، وبعيد عن إمارات المغرب ودوله، التي ترهق القوافل بالضرائب، كما يمتاز بالجفاف في فصل الشتاء مما يسمح بقيام رحلات تجارية على مدار السنة(1).

ولم يقتصر التبادل التجاري على هذه السلع بل تعداها إلى سلع أخرى، فقد كان يرد إلى مصر من بلاد المغرب الحديد والزعفران الذي كان يحمل من بونة والأربس(بالقرب من كتامة) إلى مصر(2)، ويحمل إلى القيروان من جزائر بني مزغناي على ساحل البحر مرورا بطبرقة وتونس والمهدية(3)، العسل والتين والسمن(4).

وعلى لسان من عاش في الفترة الفاطمية وهو ابن حوقل فقد عرفت مدن المغرب الأوسط مثل بونة بإنتاجها الوافر للحنطة والشعير(5)، ومدينة أربس بإنتاجها الواسع للزعفران(6)، وان كنا لا نملك إشارة صريحة إلى تصديره إلى المغرب الأقصى أو الأدنى باعتبارهما وحدة سياسية خلال العهد الفاطمي، ولكننا نقول أن الفائض منه لا بد من تصديره إلى أقاليم الدولة الفاطمية الأخرى، عبر الطرق البرية المذكورة أو عن طريق المراسي والموانئ التي فصلنا فيها سابقا، خاصة أن الدولة الفاطمية لم تكن تفتقر إلى المواد الخام الضرورية لصناعة الأساطيل، فقد كانت تعتمد على بلاد المغرب خاصة الأوسط وصقلية، حيث كان يجلب الخشب من جبال وأودية ببجاية(7)، بينما كان يستخرج الحديد من بونة، وبلاد كتامة(8).

ونلاحظ أن ابن حوقل عند حديثه عن منطقة القبائل الساحلية لم يذكر دلس رغم وقوعها مع مراسي بني جناد ومرسى الدجاج وتامدفوست، وهذا يمكن تفسيره أن دلس لم تكن معروفة في القرون الأولى للفتح الإسلامي للمغرب، رغم قيمتها وأهميتها خلال العهد الروماني(9)، مما يطرح فرضيات عديدة أهمها الإهمال العربي لها أو هجرة

---

1) حسين مؤنس: فزان ودورها في انتشار الإسلام في أفريقيا، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية، العدد الثالث، بنغازي، 1969، ص76-80.

2) ابن حوقل: المصدر السابق، ص74، 75، 76؛ **والإدريسي:المغرب، ص177**.

3) المهدية بالفتح ثم السكون موضع في إفريقية، وهي منسوبة إلى المهدي الفاطمي، وبينها وبين القيروان مرحلتان، والقيروان في جنوبها وهي على ساحل بحر الروم داخلة فيه ككف على زند عليها سور عال محكم، بنيت حوالي بين سنة**300-305هـ** .**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص229-231**.

4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

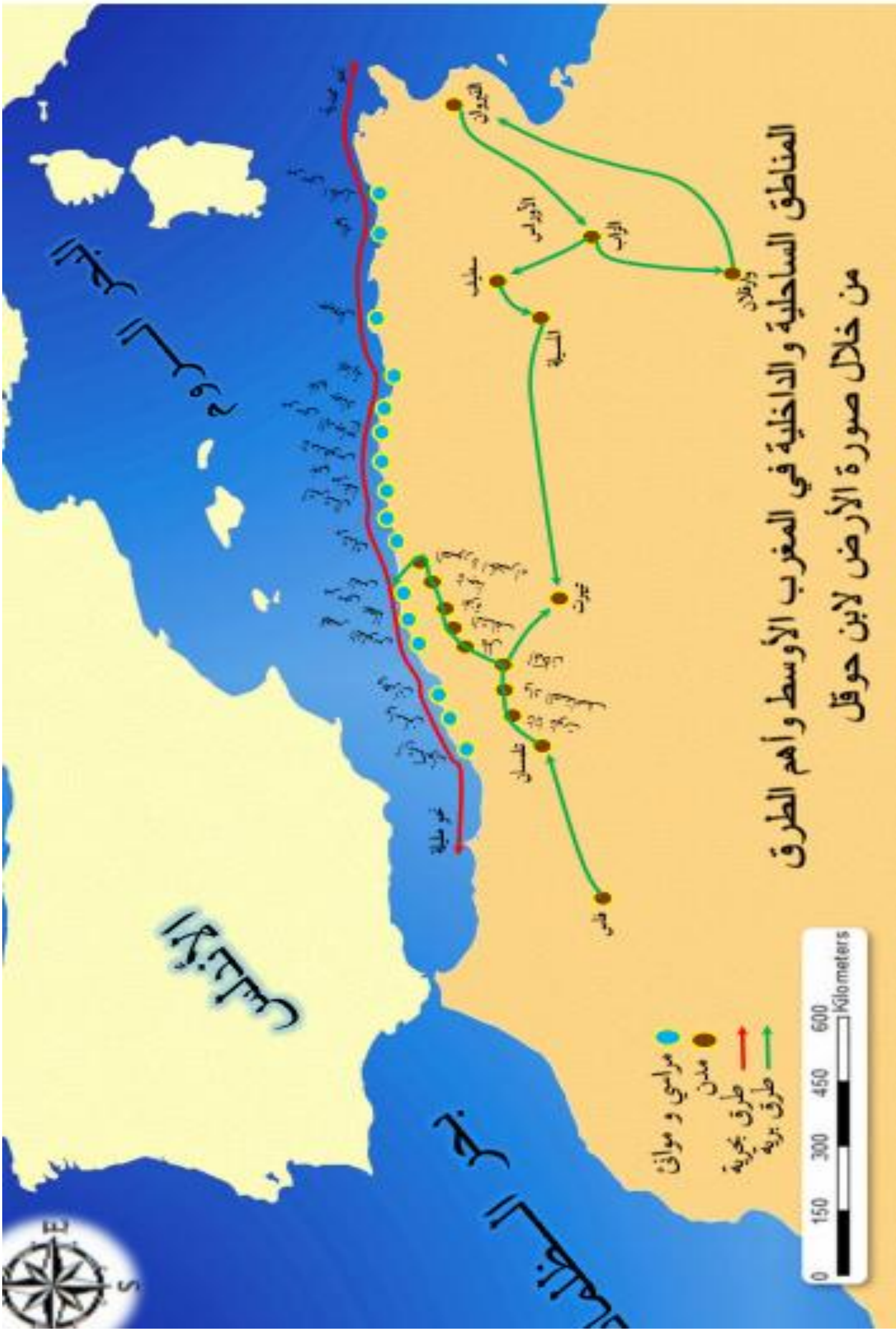
5) صورة الأرض، ص76-79.

6) نفسه، ص86-87.

7) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص259-260.

8) ابن حوقل: المصدر نفسه، ص86.

9)Bougherira, Quenza; Stratification morphologique et valeur historique de la ville de Dellys, Le rôle des villes littorales du Maghreb dans l'histoire, RM2E - Revue de la Méditerranée edition électronique, Tome III. 1, 2016, p.203.


المناطق الساحلية والداخلية في المغرب الأوسط وأهم الطرق
من خلال صورة الأرض لابن حوقل
مراسي و موانئ
مدن
طرق بحرية
طرق برية
0 150 300 450 600
Kilometers

وبانتهاء القرن الرابع الهجري يظهر كتاب مهم جدا في تاريخ الجغرافيا حتى ذلك الوقت وهو كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لصاحبه **المقدسي(ت380هـ/990م)**[1]، باعتباره من أهم الجغرافيين الوصفيين للإقليم إذ اعتمد في أغلب عمله هذا على العمل الميداني، والتنقل لرؤية المشاهد والأماكن حتى يطمئن من عمله وكتاباته[2]، حيث لاقى من ورائها الأهوال والشدائد وتحمل الأخطار[3].

ويتناول كتاب المقدسي بالوصف المملكة الإسلامية التي قسمها إلى أربعة عشر إقليما، والإقليم معناه عند المقدسي البلد، ويبدو أن المقدسي قد كتب هذا المؤلف للأدباء والكتاب والطبقة المثقفة.

ويفتتح حديثه عن بلاد المغرب بقوله:"بلاد المغرب متصلة بالبحر، وخير جاره، وخير قوم لكل سائر ومار، قد غاب في الزيتون مدنه وبالتين والكرمات أرضه"[4]، ونستشف من كلامه أن سكان بلاد المغرب بحارة ويتعاملون معه معاملة محترفة بوصفه خير جاره، وأن أغلب مدنه تشتهر بالزيتون والكروم والتين وهي مزروعات ساحلية تحبذ مناخ البحر الأبيض المتوسط.

أما عن المغرب الأوسط، فقد جعل المقدسي تاهرت كورة[5]، من كور بلاد المغرب إلى جانب افريقية وسجلماسة وفاس[6]، وقدر المسافة بينها وبين القيروان بعشرين مرحلة في رمال وقرى، وبين طبرقة وتنس تسع مراحل ثم إلى جزيرة بني مزغناي خمس مراحل، ومن القيروان إلى مرسى الخرز ثلاث مراحل، ومن تاهرت إلى أفكان ثلاثة أيام ثم إلى تلمسان مرحلتين[7]، ووهران يقلعون منها إلى الأندلس في يوم وليلة[8].

---

1) هو محمد بن أحمد ابن أبي بكر البناء المقدسي المعروف بالبشاري شمس الدين أبو عبد الله. **البغدادي: هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1955، ج2، ص62-63**؛ و **فلاح شاكر أسود: منهج البحث الجغرافي عند المقدسي، مجلة المورد، السنه1، 1407/1987، ص59**؛ ولد بالمقدس حوالي سنة 335هـ/947م وأمه فارسية من إقليم الديلم، وقد توفي وهو في قمة عطائه العلمي سنة 380هـ، أو 390 هـ **إبراهيم أحمد سعيد: إسهامات المقدسي في الجغرافية والدراسات الإقليمية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد الزدوج117-118، جانفي2012، ص145.**

2) فلاح شاكر أسود: المرجع السابق، ص62-63.

3) المقدسي البشاري: المصدر السابق، ص88.

4) نفسه، ص215.

5) إن منهج المقدسي في دراسة الأقاليم منفردا حيث اعتمد تقسم عمودي يتكون من الإقليم، ثم كورة، ثم قصبة، ثم مدينة، ثم قرية. **إبراهيم أحمد سعيد:المرجع السابق، ص149.**

6) المقدسي البشاري:المصدر نفسه، ص216.

7) نفسه، ص246، 247.

8) نفسه، ص229.

أما الطريق من القيروان إلى تاهرت فلابد من المرور على قفصة خلال سبع مراحل، ثم منها إلى قسطيلية[1] بثلاث مراحل، ثم المرور بتبسة، ومنها الى دوفانة وطبنة، ثم مقرة والمسيلة، ومنها إلى تاهرت وقدرها كلها بخمسة عشر يوما، ومنها إلى فاس[2]. ويقترح المقدسي طريقاً آخر من القيروان إلى سطيف على عشر مراحل، مارا بتبسة وبغاي[3] ثم نقاوس[4]، ومنها إلى تاهرت عشرون مرحلة ومنها إلى فاس خمسون مرحلة[5]، وهذا طريق الهضاب العليا فيه الكثير من المدن والحواضر الكبرى خاصة في منطقة جبل الأوراس.

أما الطريق الساحلي الذي اقترحه المقدسي فينطلق من القيروان إلى تونس وقدرها بثلاث مراحل، ومنها إلى طبرقة عشر مراحل، ثم إلى تنس مارا بجزائر بني زغناية[6]، وهو طريق لا يبتعد عن الساحل حتى يسترشد البحارة بالمنارات والرباطات، ويتزودون من المدن الساحلية بالماء خلال نقاط استراحتهم، كما يلجأون إلى الموانئ بسهولة في حالة تعرضهم لهجوم أو لرياح شديدة.

وبتحليلنا لأهم الطرق نجد طريقين داخليين وطريقاً ساحلياً مما يبين أن النقل البري كان أكثر شيوعا واستعمالا وتفضيلا من قبل السكان وكذا التجار، خاصة أن الفترة التي عاش فيها المقدسي فترة سلم وأمان ولم تصل بعد القبائل الهلالية التي استولت على المعابر وأهم المدن، بل كانت تفرض ضرائب على القبائل للعبور أو تعرضها للنهب.

أما المدن الساحلية وموانئ المغرب الأوسط التي ذكرها هذا الجغرافي المتميز مرسى **الخرز وبونة، وميلى، وجيجل، وجزيرة بني زغناية، وتنس، الغُزة، ومرسى الدجاج**[7]، وجعلها تابعة لكورة إفريقية، ومما نلاحظه عدم

---

1) **قسطيلية**: بالفتح ثم السكون وكسر الطاء وياء ساكنة ولام مكسورة وياء خفيفة وهاء، مدينة كبيرة في بلاد الجريد من أرض الزاب الكبير، عليها سور حصين وبها تمر قسيب يجلب إلى إفريقية، وأهلها شراة وهبية إباضية ، ومن مدنها توزر والحمة ونفطة . **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص348**.

2) المقدسي البشاري: المصدر نفسه، ص246.

3) **باغاية**: الغين معجمة وألف وباء مدينة مهم في جنوب شرق افريقية وينسب إليها عدة علماء منها أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن عبد الله الربعي البغايي المقري يكنى أبا العباس دخل الأندلس سنة376هـ وقدم للإقراء بالمسجد الجامع بقرطبة.**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص325**.

4) المقدسي البشاري: المصدر نفسه، ص247.

5) نفسه، ص246.

6) نفس المصدر والصفحة.

7) نفسه، ص216، 217، 218.

ذكر مرسى بجاية، وغيابه تماما عن جغرافية المقدسي، رغم أنه ذكره في السابق ابن حوقل ومر عليه مرور الكرام، وهذا يفسر لنا قلة أهميته الساحلية والاقتصادية، بل وربما كان مجرد مرفأ بسيط.

ثم انتقل للحديث عن كورة **تاهرت** ومن أهم مدنها"وهران وشلف، وسوق إبراهيم، والبطحة، والزيتونة، **وتنس**، و**الغُزة**، **وقصر الفلوس وأفكان، ويلل**"[1]،كما ذكر مجموعة من المدن الداخلية للمغرب الأوسط ذات الأهمية العمرانية والاقتصادية في تلك الفترة ولكنه جعلها من كور إفريقية والتي قصبتها القيروان، منها بغاي، وسوق ابن أبي خلف ودوفانة وطبنة وسطيف، والمسيلة، وأشير، ومتيجة[2]، وغيرها.

وعندما يأتي للتفصيل في أهم المراسي يبدأ **بمرسى الخرز** بقوله:"مدينة في جزيرة على البحر يُدخل إليها من موضع واحد ومنها يرتفع المرجان لا معدن له غيرها ولا يخرج إلا من بحرها"، ويضيف في موضع آخر"مرسى الخرز يدخل إليها في طريق دقيق، كالمهدية من بحرها يرتفع القرن"[3]، وهو ما يبين لنا تطور مرسى الخرز مقارنة بما ذكره من سبقه ابن حوقل بأنها قرية نبيلة[4]، فقد ذكرها المقدسي أنها مدينة في جزيرة؛ ويعود سبب هذا التطور والازدهار إلى اهتمام الخلفاء الفاطميين والزيريين من بعدهم بأهمية مرسى الخرز الاقتصادية والتجارية.

ثم ينتقل إلى الحديث عن **بونة**، بقوله:"بونة بحرية مسورة بها معدن حديد"[5]، وبالتالي لم تكن الدولة الفاطمية تفتقر إلى المواد الخام الضرورية لصناعة الأساطيل"كالحديد والخشب"، فقد كانت تعتمد على بلاد المغرب خاصة الأوسط وصقلية، حيث كان يجلب الخشب من جبال وأودية ببجاية.

كما أن كلام المقدسي بكون بونة مدينة بحرية مسورة يشير إلى مدينة أخرى غير بونة القديمة، وهو ما يبين توسع المجال السكني لساكنة بونة، تزامنا مع تلك الانتعاشة الاقتصادية خلال الفترة الفاطمية والزيرية.

و يعتبر المقدسي أول جغرافي يشير إلى سور بونة، والذي يعود حتما إلى الفترة الأغلبية، إذ يذكر القاضي النعمان أحد أبوابه وهو باب زانة سنة286هـ/908م، عند حديثه عن حملة المقدم الشيعب أبي عبد الله منصور بن خليل الأوربي[1]..

1) المقدسي البشاري: المصدر السابق، ص218، 219.

2) نفسه، ص217.

3) نفسه، ص239.

4) صورة الأرض، ص76.

5) المقدسي البشاري: المصدر نفسه، ص226.

ويبين المقدسي بعض صفات مدينة"**سوق حمزة**"[2]، وهي مدينة في البحر بناؤها من الطوب، ثم **جزيرة بني زغناية** على ساحل البحر مسورة يُعبر منها إلى الأندلس ولهم عيون"[3]، وهو ما يبين أن مدينة جزائر بني مزغنة"أو زغناية كما يسميها" قد استرجعت مكانتها البحرية والساحلية من خلال الانتقال من مينائها نحو الأندلس، كما أنها مدينة مسورة وهذا يدل على احتياطهم لكل اعتداء مما جعلها آمنة مزدهرة، كما يدل على ارتفاع عدد سكانها.

ونستنتج من كلامه كله أنه ظهرت خلال أواخر العهد الفاطمي وفترة حكم بني زيري، عدة موانئ مهمة على ساحل المغرب الأوسط تصل بالأندلس؛ مثل ميناء جزيرة بني زغناية، وهو طريق بحري مهم نحو العدوة الأخرى، إضافة إلى طريق ثانٍ يمثله ميناء تنس، ووهران، حيث كانتا مسورتين يقلعون منهما أيضا إلى الأندلس، في يوم وليلة[4].

لقد اكتسبت مدينة بني زغناية مكانة مهمة على الساحة المغربية بسبب استقرار الأوضاع الأمنية بها ووقوعها على محورين تجاريين هامين هما الطريق البحري الرابط بين ألمرية والإسكندرية والطريق البري الساحلي الرابط بين بلاد المغرب الأقصى والمشرق[5].

والمقدسي باعتباره أول من ذكر العديد من المراسي الطبيعية لم يقدم ولو شرحا بسيطا عنها ليمكننا من تحديد موقعها، منها مرسى الغزة، الذي يقع عند مصب واد شلف بين تنس ومستغانم.

---

1) المجالس والمسايرات، ص215.

2) سوق حمزة هي مدينة البويرة حاليا، وهي مدينة كبيرة وهي برية وليست بحرية كما وصفها المقدسي وهنا نتساءل هل كانت مدينة سوق حمزة في تلك الفترة كبيرة المساحة ضاربة إلى البحر أم أن المقدسي هو الذي أخطأ واعتبرها مدينة ساحلية.

3) المقدسي البشاري: المصدر السابق، ص227-228.

4) نفسه، ص229.

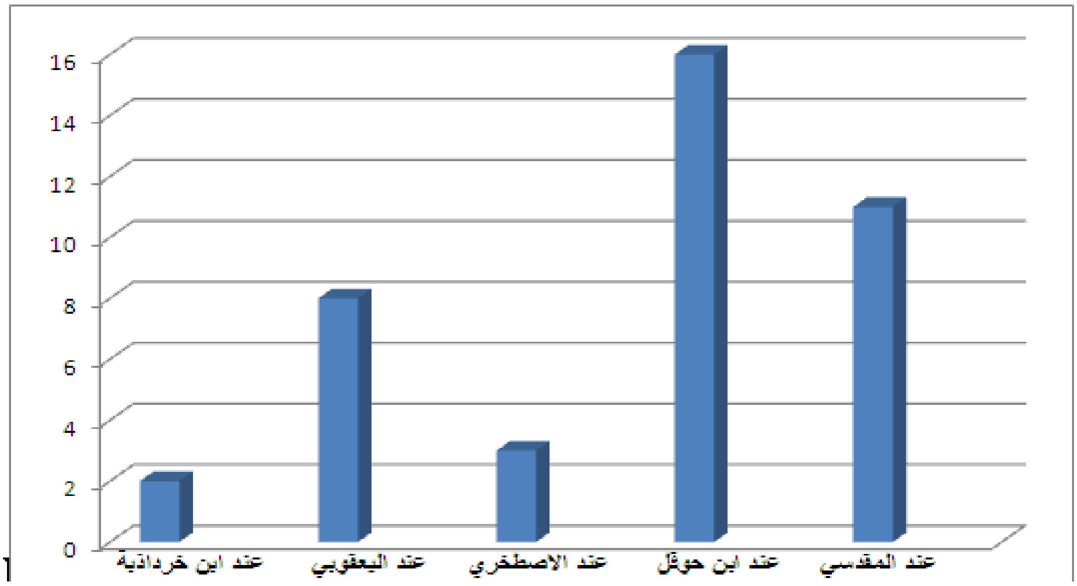
5) علاوة عمارة و زينب موساوي: المرجع السابق، ص34-35.


الأندلس
بحر الروم
بحر الظلمات
القيروان
تلمسان
فاس
تاهرت
المسيلة
سطيف
بسكرة
مدن ساحلية
مدن داخلية
طرق بحرية
طرق برية
0 150 300 450 600 Kilometers
أهم الطرق و المسالك في المغرب الأوسط حسب المقدسي

جدول يوضح الموانئ والمراسي في المغرب الأوسط بين القرن 1-4هـ/7-10م

الرقم	اسم المرسى أو الميناء	ابن خرداذبة	اليعقوبي	الاصطخري	ابن حوقل	المقدسي
01	مرسى الخرز				×	×
02	بونة			×	×	×
03	أسكيدة		×			
04	جيجل		×		×	×
05	مرسى قلعة خطاب		×			
06	مرسى ملر		×			
07	دنهاجة/سبيبة/المنصورة		×			
08	بجاية				×	
09	مرسى بني جناد				×	
10	مرسى الدجاج				×	×
11	تامدفوس				×	
12	جزائر بني مزغنة	×		×	×	×
13	شرشال				×	
14	برشك				×	
15	تنس	×	×	×	×	×
16	الغزة/مرسى عطا				×	×

17	مرسى الفلوس				×	
18	مرسى فروخ		×			
19	وهران				×	×
20	أفكان					×
21	آسلن				×	
22	أرشقول				×	×
المجموع		02	07	03	16	10



الموانئ والمراسي في المغرب الأوسط بين القرن 1-4هـ/7-10م

تميز ساحل المغرب الأوسط بانفتاحه على الفضاء المتوسطي منذ عصور ما قبل التاريخ، ليزدهر في الفترة القديمة، ويحافظ على ذلك خلال العصر الوسيط؛ ويرتبط بالحضارة المتوسطية، وأصبح جزأ لايتجزأ منها، و إن أول ملاحظة عند تحليلنا للرسومات البيانية السابقة مايلي:

يعتبر ابن خرداذبة أول من أسس لذكر بعض موانئ المغرب الأوسط رغم قلتها إلا أنها تجربة جديدة على الجغرافيين العرب.

ويعتبر اليعقوبي القاعدة الأولى التي بنيت عليها بقية الدراسات الجغرافية للموانئ والمراسي والتي اعتمد عليها جميع الجغرافيين الذين جاؤوا من بعده، من خلال ذكره لسبعة موانئ كاملة، ولكن ما جذب انتباهنا، هو عدم ذكره لمدينة جزائر بني مزغنة وإهماله لها، رغم أن من سبقه ومن جاء بعده قد ذكرها، كما أنه ذكر مراسي تذكر لأول مرة في كتب الجغرافية كمرسى قلعة خطاب و مرسى ملر ودنهاجة.

وتعتبر مدينة وميناء تنس المدينة الوحيدة التي ذكرها كل الجغرافيين على أساس أنها ميناء ومدينة هامة،

كما أن الاصطخري أول من ذكر مدينة بونة.

إن قلة المدن الساحلية عند هؤلاء الجغرافيين الأوائل يدل على تركيز العرب الفاتحين على المناطق الداخلية أكثر من الساحلية، وأن الطريق الداخلي"النجود أو الهضاب"كان أهم من الطريق الساحلي ربما بسبب الخوف من الاعتداءات البيزنطية، أو بسبب التخريب الذي طال المدن الساحلية في العهد الوندالي واستمر للعهد البيزنطي، أو نظرا لسياسة البيزنطيين التي طبقوها في بلاد المغرب والتي تعتمد على استغلال الأراضي، إضافة إلى طبيعة العرب المائلة إلى البر على حساب البحر.

أما ابن حوقل فهو الموسوعة الجغرافية الحقة من خلال ذكره لأغلب موانئ ومراسي المغرب الأوسط، والتي بلغت عنده ستة عشر ميناء ومرسى؛ ولا يضاهيه في ذلك إلا البكري فيما بعد والإدريسي، حيث يعتبر ابن حوقل من خلال كتابه صورة الأرض صورة حقيقية لموانئ المغرب الأوسط.

لقد ذكر ابن حوقل عدة موانئ جديدة ولأول مرة، منها مرسى الخرز مرسى بني جناد وبجاية برشك وشرشال وتمدفوس ومرسى الفلوس والغزة آسلن وأرشقول، ويعود ذلك إلى تحسن أوضاع الساحل في المغرب الأوسط، و هجرة العديد من الجاليات الأندلسية إلى سواحل المغرب الأوسط ومساهمتها في ظهور عدة مدن ساحلية على غرار وهران وتنس...إضافة إلى طبيعة عمل ابن حوقل"التجسس"التي تتطلب عدم إهمال أي منطقة وخاصة الثغرية منها.

أما المقدسي فقد تميز عن ابن حوقل والآخرين بذكره مدينة أفكان التي أغفلوها.

وعلى العموم نُقص عدد الموانئ والمدن الساحلية التي ذكرها الجغرافيون الأوائل يفسر بضعف التوجه البحري للمغرب الأوسط شطر اليم والبحر بسبب استمرار الخطر.

إضافة إلى ازدهار الساحل الجنوبي"تجارة القوافل"وإدرارها لعائدات هامة تغنيهم عن المغامرة في البحر، وتوفر الأمن والاستقرار في المسالك البرية–قبل مجيء بني هلال–شجع على عدم ركوب أهوال المغامرة.

3) المجال البحري للمغرب الأوسط وفق نظرة البكري

في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، كان يعيش جغرافي أندلسي ساهم مساهمة كبيرة في تنمية الثقافة الجغرافية، وهو عبد الله بن عبد العزيز بن يعقوب بن عمر أبو عبيد الله **البكري(487هـ/1094م)**[1]، حيث يُعد كتابه"المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب" من أهم الكتب التي دونت في هذا الباب،حيث أتمه سنة460هـ/1068م[2]، ولقد عُدّ هذا الكتاب مصدراً مهماً من المصادر التي أخذ عنها الكثير من المؤلفين الذين جاءوا بعده، فنحن لا نكاد نرى كتاباً من تلك المعاجم التي تتحدث عن وصف المدن، إلا ونجد اسم البكري مدونا في عدد من صفحات تلك الكتب.

كما يُعتبر البكري أول من استعمل مصطلح المغرب الأوسط، بعد ذكره لحدود المغرب بأقسامه الثلاثة، وهي: إفريقية وقاعدتها القيروان، والمغرب الأوسط، وقاعدته تلمسان، والمغرب الأقصى الذي يمتد من غرب تلمسان إلى البحر المحيط[3].

لم يكتب البكري كتابه هذا وصفاً لرحلة قام بها، أو مشاهدات اطلع عليها، فهو لم يزر المغرب أبداً، بل اعتمد غالبا على المعلومات التي وصلت إليه والبيانات التي حصل عليها في الأندلس، ويبدو من القراءة المتمعنة لكتاب البكري انه درس مجموعة كبيرة من المادة العلمية التي تتعلق بموضوعه قبل تصنيف كتابه[4].

وإن الذي جعل معلومات البكري عن الطرق والمسالك تتصف بهذه الدقة، كونها مستقاة من الأوراق الرسمية الموجودة في الدواوين، وهذا يعني أن البكري كان في موقف يسمح له بالاطلاع على وثائق وسجلات ديوان قرطبة[1]، كما انه أخذ عن الجغرافيين السابقين والرحالة والحجاج معلومات مفصلة قد لا تتوافر عند غيره أحيانا[2].

---

1) هو أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو البكري ولقبه البكري نسبة إلى قبيلة بكر بن وائل بن قاسط وهي من قبائل ربيعة التي دخلت الأندلس فترة الفتح العربي الإسلامي المبكر، واستقرت بها، ولم تسعفنا المصادر في تعيين مكان وتاريخ ولادة أبي عبيد البكري.**ابن بشكوال: كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، 1966، ج1، ص287**؛ و **أحمد بن محمد المقري التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1968، ج1، ص292 وشكيب أرسلان: الحلل السندسية، ج1، ص294.**

2)عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص25؛ **وعبد الواحد ذنون طه: دراسة في موارد أبي عبيد البكري عن تاريخ افريقية والمغرب، مجلة دراسات أندلسية، تونس، العدد3، 1989، ص25.**

3) المغرب، ص76؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269.**

4) وميض محمد شاكر إبراهيم: أبو عبيد البكري ومنهجه التاريخي في كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، 2003، ص48.

إن أي عمل لا بد أن ينطلق من المعطيات النصية، وإن كان من الصعب معرفة وتحديد المراسي نظرا لعددها الكبير، ولزوال وتغير عدد من الطبونيميات[3] كما هو حال مرسى الدجاج ومرسى الروم ومرسى الشجرة، مثلا بالرغم من استعمال عدد من الخرائط القديمة وحتى التي تعود إلى بداية الفترة الاستعمارية الحديثة، فإنه من الصعب معرفة هذه المراسي الخالية في معظمها في زمن البكري من السكان[4].

وما يؤكد اهتمام البكري بالناحية التجارية البحرية هو قيامه بإفراد فصل كامل بالمراسي والموانئ البحرية التي تقع على سواحل المغرب، والتي تعتبر من أهم النقاط التجارية في عملية التبادل التجاري التي كانت تتم بين دول المغرب ودول العالم الأخرى[5].

لهذا فكتاب البكري مهم جدا، لأنه يضم مزايا متعددة إذ ذكر مراسي لم يرد ذكرها في المصادر التي جاءت من بعده وهي إجمالا كالتالي: مرسى الخرز، وبونة، والخروبة، ومرسى ابن الألبيري، ورأس الحمراء، وتكوش، وجزيرة عمر، ومرسى الروم، ومرسى أستورة، والقل، ومرسى الشجرة، ومرسى الخراطين، ومرسى الزيتونة، وجيجل، وسبيبة، وبجاية، وجزيرة جوبة، ومرسى الدجاج، ومرسى بني جناد، وجزائر بني مزغنا، وجزيرة جنابية، ومرسى الذبان، وهور، ومرسى البطال"جبل شنوة"، وشرشال، وجزيرة وقور، وتنس، وقصر الفلوس، ومغيلة بني هاشم، وعين فروخ، ومرسى بني جليداسن، ومرسى الغزة"ساحل تيهرت"، ومستغانم، وأرزيو، ووهران، ومرسى الماء المدفون، ومرسى أسلن، وأرشقول، وهنين، ومرسى ماسين"ساحل ندرومة" ومرسى ترناتة، ومرسى تابحريت[6].

---

1) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979، ج1، ص52.

قرطبة: بضم أوله وسكون ثانية وضم الطاء المهملة أيضا والباء الموحدة كلمة فيما أحسب عجمية رومية ولها في العربية مجال يجوز أن يكون من القرطبة وهو العدو والجري الشديد، وقيل القرطبا السيف كأنه قرطبه أي قطعه، وهي مدينة عظيمة بالأندلس وسط بلادها وكانت سريا لملكها وقصبتها وبها كانت ملوك بني أمية ومعدن الفضلاء وبينها وبين البحر خمسة أيام .**ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج4، ص324**.

2) عبد العال عبد المنعم الشامي: جغرافية المدن عند العرب، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج9، ع1،سنة 1978، ص25 .

3) **علم الطوبونيميا**: علم أسماء الأماكن الجغرافية والأعلام أو الطبونيميا.(La toponymie)والكلمة يونانية الأصل مشكلة من لفظين tóposويعني المكان، و ónoma ويعني اسم. والطوبونيميا هو علم يهتم أساسا بدراسة الأصل اللغوي الانتروبولوجي لأسماء ألاماكن والمناطق الجغرافية في كل منطقة من مناطق العالم. وذلك من منطلق أن كل منطقة جغرافية في العالم لها أسم خاص ترتبط بها بشكل وثيق وخاصة بالمجتمع و الإنسان المحلي الذي يسكن تلك المنطقة، وبالتالي بباقي عناصر حضارته من لغة ودين وغيرها.

Atoui Brahim; toponymie et espace en Algériè, institut national de catagraphie, Alger, 2005, p.7-8.

4) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية، ص124.

5) المغرب ، ص81-88 ، **والبكري: المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003، ص266-271**.

6) البكري: المغرب، ص80-83؛ **و البكري: المسالك، ج2، ص266-271**.

يظهر من وصف البكري بروز مجموعة من **المدن الساحلية** انطلاقا من مرسى الخرز وبونة مرورا بمرسى جيجل وبجاية ومرسى الدجاج والجزائر وتنس وصولا إلى وهران وهنين وأخيرا تابحريت، رغم أفضلية بعض الموانئ من حيث الأهمية على أخرى حيث كانت تنس مرسى مهم جدا عكس ميناء هنين(1)، الذي لم يكن قد اكتسب أهمية كبيرة بعد.

ويبدأ البكري من الشرق إلى الغرب بعدة مدن وأولها في المغرب الأوسط **مرسى الخرز** وهو مرسى ومدينة، والذي يقع شرق بونة"فيه المرجان، وهي مدينة قد أحاط بها البحر إلا مسلك لطيف ربما قطعه البحر في الشتاء، عليها سور وبها أسواق عامرة، وقد صنع بها مرفأ للسفن منذ مدة قريبة، وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية التي تغزى بها إلى بلاد الروم وإلى هذه المدينة يقصد الغزاة...لأن مقطعها يقرب من جزيرة سيردينية بينهما نحو مجريين...وجباية هذه المدينة عشرة آلاف دينار"(2).

وعند تحليلنا لكلام البكري يتضح أن مرسى الخرز خطير في الشتاء حيث تغمره المياه؛ ليكون بذلك مرسى صيفياً(3) هاماً ولكنه صعب في فصل الشتاء، مما يقلل من أهميته في هذه الفترة، كما أن إشارة البكري إلى بناء مرفأ للسفن في عهد قريب يبين تجديد مرسى الخرز بعد التهديم الفاطمي الذي أشار إليه ابن خلدون

---

1) تقع هنين على الساحل الغربي الوهراني بين بني صاف والغزوات على بعد 40 كلم من الحدود المغربية و 60 كلم شمال غرب تلمسان و 21 كلم على الغزوات

Abderrahman .Khelif; Honnaine ancine port de royaume de Tlemcen, edition dalma ,p.23.

وقد كتبت هنين بتسميات متقاربة منها هنين، حنين، و هونين، وهذا الاختلاف مرده طريقة النطق العربي للاسم الأمازيغي، وعموما هنين تعني الشرفة باللهجة الزناتية.

Abderrahman. Khalifa; L'Urbanisme, op, cit, p.331.

2) البكري: المغرب، ص55؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص234**.

3) هي المراسي التي تستقبل السفن والقوارب وترسوا بها في فصل الصيف فقط، أي في الفترة التي تكون فيها الملاحة متيسرة بين موانئ البحر المتوسط والبحر المحيط، في حين كانت تتعطل حركة الرسوب ها في باقي فصول السنة بسبب انكشافها أمام أمواج البحر العاتية.**عبد السلام الجعماطي:دراسات في تاريخ الملاحة، ص44**.

سنة345هـ/956م[1]، وكذلك لمواجهة أمواج ورياح البحر المهددة للسفن في هذا الفصل ربما بإضافة كاسرة الرياح وتوسيع المرفأ، لأننا لم نجد إشارة في المصادر التي تأتي بعد البكري تعتبر مرسى الخرز مرسى غير مأمون، ويمكننا اعتبار إنشاء ميناء ومرفأ جديد يعود إلى عهد الأمير الزيري"المعز لدين الله الفاطمي(406-456هـ/1015-1063م) باعتباره الذي قام بعدة إصلاحات وتشييدات مهمة بعد انتهاء الصراع مع عمه حماد بن بلكين.

كما يبين لنا كلام البكري غنى مرسى الخرز بالمرجان، وأن هذه المدينة بها أسواق عامرة، مما يبين لنا حجم التجارة التي يسببها صيد وصناعة المرجان لأن مرسى الخرز في أصله قرية صغيرة فكيف تكون بها أسواق عامرة كما لا ننسى موقعها الممتاز المتوسط بين بونة وتونس، كما يعطينا البكري معلومة مهمة جدا عن دار لصناعة السفن أنشئت حديثا"أي في عهد البكري خلال"القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي" في مرسى الخرز، وهذا للتصدي لسفن الروم، بل وللإغارة كذلك عليها، مما يوحي لنا إلى بداية القرصنة بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط الشمالي والجنوبي، من خلال محاولة السيطرة على المضيق بين سردينية[2] ومرسى الخرز، وإذا نظرنا إلى جباية هذا المرسى الصغير وهي عشرة آلاف، يتبين أنها كبيرة مقارنة بمساحته مما يوحي بالنشاط التجاري الكبير.

ويعتبر البكري أول من أطلق عليه مصطلح المرسى بعد أن ذكره ابن حوقل بالقرية[3] والمقدسي بالمدينة[4] يذكره البكري بالمدينة المرسى، ولعل هذا التحول السريع يعود إلى الأموال الضخمة التي يجنيها هذا الميناء من الضرائب وبيع المرجان واستخراجه.

كما يعتبر البكري أول من يشير إلى وجود سور حول مرسى ومدينة الخرز[5]؛ ربما تم إنشاؤه بعد عملية تهيئة المدينة إثر الحملة الأموية عليها سنة345هـ/957م[6]، من قبل الفاطميين أو خلفائهم الزيريين، كما يمثل حصناً ودعامةً بحريةً للدفاع عن منشآته سواء المدنية أو التجارية.

---

1) العبر، ج4، ص59.

2) **سردانية** : بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم دال مهملة وبعد الألف نون مكسورة، وياء آخر الحرف مفتوحة، جزيرة في بحر المغرب كبيرة ليس هناك بعد الأندلس وصقلية وأقريطش أكبر منه وقد غزاها المسلمون وملكوها في سنة 92هـ في عسكر موسى بن نصير، وهي الآن بيد الإفرنج ووجدت لبعضهم أن سردانية مدينة بصقلية والله أعلم .**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج3، ص209**.

3) صورة الأرض، ص76.

4) أحسن التقاسيم، ص239.

5) البكري: المغرب، ص55؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص234**.

6) العبر، ج4، ص59.

كما كانت جبال الرحمن المطلة على البحر[1] قبالة سردينية مليئة بالأشجار المثمرة، وكانت بها عدة أسواق وموانئ، مثل مرسى الشجرة ومرسى الخراطين[2]، وفي الطرف الآخر الغربي من هذه الجبال يوجد **مرسى الزيتونة** الواقع على بعد مرحلة من ميلة، ويذكر البكري أن مرسى الزيتونة هو جبل جيجل[3].

إن المتمعن لجغرافية البكري يجد أن عدد الموانئ والمراسي يتضاعف عما ذكره من قبله كاليعقوبي والاصطخري وحتى ابن حوقل، مما يفسر بداية انتقال مركز الحياة المغربية من المناطق الداخلية إلى الواجهة الساحلية، بعد المجاعات الناتجة عن الجفاف وتشكل مستوطنات بني هلال في مناطق تركزهم خصوصا في بلاد الزاب وورجلان[4] وصولا إلى متيجة وجبال الونشريس[5].

إن ميزة البكري أنه يختار **بعض المدن** ليفصل في تاريخها حيث تحدث عن **تلمسان** على أنها: قاعدة المغرب الأوسط، لها أسواق ومساجد، وهي مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز ولها خمسة أبواب[6]، و**أرشقول** ساحل تلمسان، وبينهما فحص زبدور طوله خمسة وعشرون ميلا، ومدينة أرشقول على نهر تدخل فيه السفن اللطاف من البحر إلى المدينة وبينهما ميلان وهي مسورة[7]، ويقابلها جزيرة في البحر تسمى جزيرة أرشقول بينها وبين البر قدر صوت رجل جهير في سكون البحر وهي مستطيلة من القبلة إلى الجنوب عالية منيعة"[8].

وكلامه هنا جميل يلفت الانتباه إلى أن هناك نقلا مائيا نهريا يجري في وادي التافنة، تسير فيه السفن، رغم أن استخدام الطرق النهرية في بلاد المغرب كان قليلا في التجارة الداخلية مقارنة مع النشاط البحري، ولعل السبب في ذلك يعود إلى أن أغلب الوديان كانت غير صالحة للملاحة، لأنها غير عميقة، ومتذبذبة المنسوب لتعلقها بالأمطار.

---

1) جبال الرحمن مابين مرسى الزيتونة شرق مرسى جيجل ومرسى القل.**مبارك الميلي**: **المرجع السابق، ج1، ص49**.

2) البكري: المغرب، ص83؛ و **البكري**: **المسالك، ج2، ص269**.

3) البكري: المغرب، ص64؛ و **البكري**: **المسالك، ج2، ص244**.

4) **ورجلان** بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح الجيم وآخره نون كورة بين إفريقية وبلاد الجريد ضاربة في البر .**ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج5، ص371**

5) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية، ص124.

6) البكري: المغرب، ص76 ؛ **والبكري**: **المسالك، ج2، ص259**.

7) البكري: المغرب، ص77؛ **والبكري**: **المسالك، ج2، ص260**.

8) البكري: المغرب، ص78؛ **والبكري**: **المسالك، ج2، ص261**.

وبالتالي يشكل ميناء أرشقول نموذج المراسي النهرية الداخلية الخارجية التي تنافس الموانئ البحرية الساحلية، وهو فريد من نوعه في شمال المغرب الأوسط باعتباره مرتبطاً بخصوصية جريان واد التافنة وصلاحيته للملاحة، وأعطت له هذه الخاصية إمكانية استغلال النهر في التواصل و الربط بين مختلف المناطق الغربية للمغرب الأوسط، على غرار وادي الشلف.

كما أن وجود سور حول أرشقوال دليل على تحصينها وخوف سكانها من الحملات الخارجية عن طريق البحر، ويعود تاريخ إنشائه إلى عهد الأدارسة أي خلال القرن الثاني والثالث الهجريين/الثامن والتاسع الميلاديين(1)، كما يشير ابن عذارى إلى صمود تحصينات أرشقول أمام الحصار الذي ضربته الأساطيل الأموية عندما لجأ إليها الحسن بن عيسى بن أبي العيش(2).

ويوضح لنا كلام البكري وكل ما قاله سابقا ابن حوقل احتواء أرشقول على ميناء مُكون من حوضين" ميناءين صغيرين"الأول داخلي نهري والآخر خارجي مقابل لمصب وادي التافنة،

لقد ساعدت بعض العوامل على ازدهار التجارة البحرية الخارجية لبلاد المغرب الأوسط خاصة الجهة الغربية منه بفضل نمو وازدهار التجارة المرابطية في عهد يوسف بن تشفين، وسيطرتها على موانئ شرق الأندلس وجزر البليار، وبالتالي إحكام القبضة على الحوض الغربي للبحر المتوسط ولو لفترة وجيزة، مما هيأ لهم حماية الطرق البحرية(4).

ويقابل مرسى أرشقول من بر الأندلس **قابطة بني أسود**، بينهما مجريان ويليه إلى الشرق **مرسى آسلن**(5)، إذ يقول:"توجد شرق أرشقول مدينة **آسلن** وهي مدينة قديمة حصينة عليها سور صخر، ولها نهر يصب في البحر من

1) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص350.

2) البيان المغرب، ج1، ص195.

4) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957، ص401؛ و **عبد الواحد ذنون طه:التبادل التجاري، ص406–407.**

5) البكري: المغرب، ص79؛ و **البكري: المسالك، ج2، ص262.**

شرقها يسقى منه البساتين"[1]،

وقد أوفد المنصور بن أبي عامر متولي أمور الخلافة الأموية في الأندلس في القرن الرابع إلى آسلن حميد بن يزيد "فبناها وجددها"[3]، ويبدو أنه اختار هذا الموقع الساحلي الهام القريب من الأندلس فأعاد ترميمها نتيجة الصراع الفاطمي الأموي، وبنى جامعها وسوقها ورمم سورها[4]، مما يجعلنا نقول أنه كان ميناء وليس مرسى طبيعياً، إلا أن الظروف الطبيعية جعلته يندثر بمرور الوقت، أما عن مرسى وميناء مدينة آسلن فقدّم أحد الباحثين لمحة استنتاجية عنه بأنه يقع في الناحية الشمالية أمام المدينة مباشرة على مستوى ساحل يتميز بكثرة تعرجاته و انحداره نحو الجنوب ابتداء من مرسى المدفون، حيث ينحدر من رأس فوغلو بالشمال الشرقي إلى غاية رأس ولهاصة في الجنوب الغربي، ويشكل حوضاً صغيراً[5].

لقد خصص البكري عنوانا خاصا للحصون التي بساحل تلمسان، دون غيرها وهذا يبرز المكانة التي بلغتها اقتصاديا وبحريا، ويذكر منها حصون ومراسي هامة **كمرسى تابحريت ومرسى ترنانة وماسين**.

ثم يقف البكري عند **مدينة وهران** ويذكر بأنها حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ماء ...وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مسغن ...سنة تسعين ومائتين عام290هـ/873م فاستوطنوها وبين **مدينة أرزوا** ومدينة وهران أربعون ميلا "[6].

---

1)نفس المصدر والصفحة.

3)البكري: المغرب، ص79؛**والبكري: المسالك، ج2، ص262**.

4)سنجد فيما بعد صاحب الاستبصار يذكر ذلك، وينقل عنه الحميري. **مجهول: المصدر السابق، ص134؛ والروض المعطار، ص58**.

5)الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص228.

6) البكري: المصدر السابق، ص70؛ **و البكري: المسالك، ج2، ص 252؛ وإسماعيل العربي: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص140**.

ثم ينتقل إلى **مدينة تنس** ومرساها المهم، حيث يقول عنها:أن بعد مدينة قارية تأتي مدينة تنس"بينها وبين البحر ميلان وهي مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى وبها مسجد جامع وأسواق كثيرة...وهي على نهر يسمى تناتين، يصب في البحر...وتنس هذه هي التي تسمى تنس الحديثة وعلى البحر حصن يذكر أهل تنس أنه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة"[1]، ونستنتج من كلامه أن تنس تطورت وتوسعت خارج الأسوار وأصبحت هناك مدينتان تنس القديمة وتنس الحديثة.

ويضيف"وتنس الحديثة أسسها وبناها البحريون من أهل الأندلس، منهم الكركري، وأبو عائشة والصفر وصهيب وغيرهم، وذلك سنة اثنتين وستين ومائتين، ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل ألبيرة[2] وأهل تدمر"[3]، ويذكر أحد الباحثين أن تنس عمرت في نهاية عام 262هـ/875م بجاليتين أندلسيتين، إحداهما من ألبيرة" والأخرى من مرسية" "[4].

ثم يتحدث عن البحريين الذين يسكنون تنس"وكان هؤلاء البحريون من أهل الأندلس يشتون هناك إذا سافروا من الأندلس في مرسى على ساحل البحر فيجتمع إليهم بربر ذلك القطر ورغبوا في الانتقال إلى قلعة تنس وسألوهم أن يتخذوها سوقا ويجعلوها سكنى ووعدوهم بالعَون والرفق الحسن...وإذا دخل عليهم الربيع اعتلوا واستوبؤا الموضع بركب البحريين من أهل الأندلس مراكبهم ونزلوا مرية بجانة أما الباقون في تنس لم يزالوا في تزايد ثروة

---

1) البكري: المغرب، ص61؛ و **البكري**: **المسالك والممالك**، **ج2**، **ص241-242**.

2) **إلبيرة**: الألف فيه ألف قطع وبعضهم يقول يلبيرة وربما قالوا لبيرة وهي كورة كبيرة من الأندلس ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة بين القبلة والشرق من قرطبة بينها وبين قرطبة تسعون ميلا وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار، وفيها عدة مدن، منها قسطيلية وغرناطة وغيرهما. **ياقوت الحموي**: **المصدر السابق**، **ج1**، **ص244**.

3) البكري: المغرب، ص61؛ و **البكري**: **المسالك والممالك**، **ج2**، **ص242**.من تنس التي بني القسم الحديث منها جماعة من البحريين الأندلسيين من أهل إلبيرة، وأهل تدمير في سنة 262هـ/875م. البكري: المغرب، ص70؛ **عبد القادر بوباية**: **علاقات الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس**، **مجلة التراث العربي**، **العدد99-100**، **ص389**.

4) محمد بن عميرة: الصيد البحري بالسواحل المغربية في العصر الوسيط، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يومي7-8 ديسمبر2009، ص378.

ومرسية: بضم أوله والسكون، وكسر السين المهملة وياء مفتوحة خفيفة وهاء وهو من الذين قبله: مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وسماها تدمير على اسم تدمير ببلاد الشام لكن الناس استمروا على اسمها الأول، صارت فيما بعد قاعدة الأندلس وإليها ينسب أبو غالب تمام بن غالب اللغوي المرسي يعرف بابن البناء. **ياقوت الحموي**: **المصدر السابق**، **ج5**، **ص107**.

وعدد، ورحل إليهم أهل سوق إبراهيم، وكانوا في أربع مائة بيت فتوسع لهم أهل تنس في منازلهم وشاركوهم في أموالهم وتعاونوا على البنيان، واتخذوا الحصن الذي بها اليوم ولها بابان إلى القبلة وباب البحر..."[1].

وهي رواية يريد بها أن يوضح كيف تشكلت تنس الجديدة بسبب بقاء الأندلسيين في مرسى صغير خلال الشتاء وعودتهم في الربيع إلى بجانة بالأندلس فطلب منهم السكان المحليون البقاء بل اندمجوا معهم فتشكلت تنس الحديثة، وعندما حل الوباء بها رحل البعض منهم ورجع للأندلس مما شجع بعض الأندلسيين على الهجرة إليها مرة أخرى.

وقبل تأسيس المدينة الحديثة لتنس كانت المدينة القديمة تقع قرب الميناء، وكانت بمثابة سوق يحدث فيه تبادل السلع القادمة من مدن المغرب الأوسط والمدن الأندلسية عن طريق البحر، ثم مع تأسيس المدينة الحديثة أصبح لها أسواق كثيرة وعامرة بالسلع، وقد أشار إليها البكري[2].

بالعودة إلى تاريخ المدينة قبل تأسيس تنس الحديثة وبعدها، يمكن الاستنتاج أن مرساها كان مشهورا ومقصودا منذ زمن بعيد يمتد إلى العهود القديمة، فقد كانت الدول الناشئة في بلاد المغرب تتخذ من هذا المرسى منفذا أساسيا لسلعها المتجهة نحو بلاد الأندلس حتى قبل تأسيس مدينتها الحديثة، وأصبحت مركزا تجاريا كبيرا تتجمع فيه مختلف البضائع قبل وصولها إلى الميناء[3].

كما استقر في مدينة تنس ممثل الدولة الإدريسية إبراهيم بن محمد بن سليمان، وأنشأ إمارة استمرت لسنوات طويلة على يد أفراد عائلته، محمد ويحي وعلي الذين توارثوا حكمها، وفي خلال فترة الصراع تأسست المدينة الحديثة، على يد جماعة من التجار الأندلسيين وبمساعدة سكانها المحليين[4].

كما كان هذا الميناء أحد الموانئ المغربية التي استخدمت في التبادلات التجارية مع الإسكندرية والشام[5]، كما كانت تنطلق منه المراكب باتجاه قرطاجنة[1] في الساحل الأندلسي[2].

---

1) البكري: المغرب، ص61-62؛ **والبكري: المسالك والممالك، ج2، ص242**.

2) نفس المصدر والصفحة.

3) إسماعيل بن نعمان: جوانب من الحياة الاقتصادية، ص210.

4) البكري: المغرب، ص70؛ **و البكري: المسالك والممالك، ج2، ص242**.

5) اليعقوبي: البلدان، ص143.

وحسب البكري دائما فإنه يحدد لسور تنس عدة أبواب، منها بابها في الركن الشمالي الغربي المطل على البحر ويدعى باب بن ناصح، أو البرج البحري، كما أن بعض الروايات تمنحه اسما آخر هو باب الرمان وآثاره مازالت موجودة إلى يومنا هذا[3]، ويعتبر هذا الباب الممر الوحيد للقادمين من البحر، وهو الواجهة التي تصد منها تنس كل مغير من البحر.

إن اهتمام الأندلسيين بالمدن البحرية لسواحل المغرب الأوسط كان يهدف إلى تعزيز التجارة المغربية الأندلسية من قبل السلطة الرسمية خصوصا وأن هذه المدن تحتاج ما تنتجه المدن الأخرى.

ثم يعود البكري للحديث عن مدينة **شلف** ويقول: بأنها على"نهر بها سوق عامرة تعرف بشلف بني واطيل لزواغة، ومنها إلى بني واريفن **لمطغرة** على نهر شلف بها حوانيت إلى مدينة **مليانة،** وهي مدينة أولية شريفة جددها زيري بن مناد وأسكنها ولده بلكين...ومنها إلى **مدينة أشير**"[4].

ويحرص البكري للتوسع في حديثه عن **مدينة تيهرت** التي تظهر وكأنها مدينة ساحلية بفضل تجارتها المزدهرة، وبالتالي هي في منطقة التقاء وعبور لمختلف السلع الرابطة بين الصحراء والبحر عبر ميناء تنس ونكور[5].

كان نظام بناء تاهرت يختلف تماما عن بناء القيروان، كما أنها كانت تخالفها في أوزانها ومكاييلها فقد ذكر البكري بخصوص التاهرتيين أن"مدهم الذي يكتالون به خمسة أقفزة ونصف قرطبية"[6]، وهو تأثر واضح بأمويي الأندلس، خاصة في الفترة المتأخرة حيث كثر فائض الإنتاج الذي بدأ تسويقه للخارج فكثرت الثروة في أيديهم وظهرت طبقة ثرية ابتنت القصور، ولم يبق على بساطة عبد الرحمن بن رستم، بظهور مظاهر الترف وبناء القصور وهو تأثير واضح من التوجه البحري نحو قرطبة.

---

1) **قرطاجنة** بالفتح ثم السكون وطاء مهملة وجيم ونون مشددة وقيلان اسم هذه المدينة قرطا وأضيف إليها جنة لطيبها ونزهتها وحسنها، وهي غير قرطاجة الموجودة في إفريقية، وهذه في الأندلس لهذا تعرف بقرطاجة الحلفاء قريبة من ألش من أعمال تدمير، وقد خربت كذلك لأن ماء البحر استولى على أكثرها فبقي بها طائفة. **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص323.**

2) البكري: المغرب، ص70؛ و **البكري: المسالك والممالك، ج2، ص242-243.**

3) إسماعيل بن نعمان: التحصينات الدفاعية، ص434.

4) البكري: المغرب، ص69؛ و **البكري: المسالك والممالك، ج2، ص240-241.**

5) البكري: المغرب، ص66؛ و **البكري: المسالك والممالك، ج2، ص251.**

6) البكري: المغرب، ص69؛ و **البكري: المسالك والممالك، ج2، ص250.**

ونقل الرستميون تجارتهم إلى بلاد الأندلس حيث اتصلوا بموانئها المهمة مثل شاطبة وتدمير ومرسى أفلة[1]، كما استقبلوا التجار الأندلسيين في بلادهم، كما خرجت قوافل الرستميين إلى بلاد الأندلس، حاملة القمح والعاج، والجلود المصنعة التي كانت تحصل عليها خاما من السودان وغانة[2].

ويستمر البكري في ذكر المدن منها **مدينة بني مزغنة**"جزاير بني مزغنى"التي قال عنها"مدينة جليلة قديمة البنيان بها آثار للأول وأزاج محكمة تدل على أنها كانت دار مملكة لسالف الأمم"[3]، وبقوله هذا يقطع البكري الشك باليقين من خلال تأكيد استمرار المدن الساحلية بعد الفتح الإسلامي، حتى لو نقص شأنها ونزلت في الرتبة الحضارية إلا أنها استمرت رغم تغير الاسم من إيكوزيوم وإيكوسيم إلى بني مزغني.

ويؤكد بصفة قطعية على استمرار الحياة البشرية بمدينة إكوسيوم التي نسبها كسابقه ابن حوقل لجماعات بني مزغنة التي استقرت وسط البقايا الأثرية الرومانية خصوصا الكنيسة والمسرح، إن الجديد في نص البكري هو التأكيد على"أزلية"المدينة وحضور البناء القديم بالرغم من اختفاء الاسم اللاتيني وتعويضه بالقبلي[4].

كما ذكر مرافقها الداخلية" بمدينة بني مزغني كنيسة عظيمة بقي منها جدار مدير من الشرق إلى الغرب...ومرساها مأمون له عين عذبة يقصد إليه أهل السفن من إفريقية والأندلس وغيرهما"[5]، ونلاحظ هنا أنه يشير إلى مرساها المأمون من الرياح ويساعد في رسو السفن، التي تأتيه من كل الجهات الشرقية من افريقية والشمالية من الأندلس وحتى الغربية من وهران وطنجة، وهذا دليل على الازدهار التجاري للميناء والحركية البحرية التي عرفها خلال الفترة الفاطمية ومن بعدها الزيرية والحمادية.

---

1) البكري: المغرب، ص68؛ و **البكري**: **المسالك والممالك، ج2، ص250**.

2) عبد محمد سوادي: الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بلاد المغرب الإسلامي، من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن السابع الهجري، مجلة التربية، جامعة البصرة، العراق، مجلد21، ص330.

غانة بعد الألف نون، كلمة عجمية وهي مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب متصلة ببلاد السودان يجتمع إليها التجار ومنها يدخل في المفازات إلى بلاد التبر ولولاها لتعذر الدخول إليهم ، لأنها في موضع منقطع عن الغرب عند بلاد السودان فمنها يتزودون إليها. **ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج4، ص184**.

3) البكري: المغرب، ص66؛ و **البكري**: **المسالك والممالك، ج2، ص247**.

4) علاوة عمارة و زينب موساوي: المرجع السابق، ص31-32.

5) البكري: المغرب، ص66؛ و **البكري**: **المسالك والممالك، ج2، ص247**.

وتأكيد البكري على مرسى بني مزغني أنه مأمون وهو شتوي يحيلنا إلى أنه كان مرسى مهيأ بحواجز وكاسرات الرياح لأنه خليج مفتوح على الرياح الشمالية الخطيرة، وهذا يؤكد الأعمال التي قام بها بلكين بن زيري[1]

إن البكري في وصفه للمغرب ينتقل من مرحلة إلى مرحلة ولا يكاد يغادر مدينة أو قرية أو محرساً أو حصناً أو رباطاً أو جبلاً أو نهراً إلا ذكره بتفصيل يدل على بذل جهد كبير في البحث والاستقصاء[3].

ثم ينتقل إلى مدينة أخرى هي مدينة **بونة** ويقول عنها:"ومدينة بونة أولية وهي مدينة أقشتين–أغسطين–العالم بدين النصرانية، وهي على ساحل البحر في نشز من الأرض منيع مطل على مدينة سبوس، وتسمى اليوم مدينة زاوي–عهد البكري–وبينها وبين المدينة الحديثة نحو ثلاثة أميال...وقد سورت بونة الحديثة بعد الخمسين وأربعمائة"[4]، أي أن بونة استرجعت مكانتها خلال فترة البكري، أي تحت السيطرة الزيرية.

وهنا نجد إشكالية كبيرة في ظل عدم إشارة المصادر خلال القرون الأربعة الأولى الهجرية إلى وجود مدينة واحدة فقط؛ بينما يؤكد البكري على وجود ثلاث تجمعات سكنية بهذه المنطقة، إذ ذكر في البداية أنها مدينة أولية[5]؛ ثم مدينة أقشتين وهي على ساحل البحر[6]، ومدينة زاوي أو سيبوس[1]، وهو ما يبين تواصل العمران

---

1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص204.

3) حسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1967، ص143 .

4) البكري: المغرب، ص54-55؛ و **البكري**: **المسالك والممالك**، **ج2**، **ص233**.

Allaoua Amara; Bûna, p.148.

5) أي أنه يشير إلى التجمعات الأولى للفينيقيين وجعلها مركزا تجاريا كما ذكرنا في الفصل التمهيدي هيبوريجيوسHippo Regius .

6) وهي إشارة منه أن مدينة بونة كانت مركز كبير للمسيحية بل أنها ضمت مركزا كنسيا بفضل نشاط القديس أوغسطين

ولد القديس **سان أوغوسطين**(ومعنى اسمه ملك صغير): في مدينة تاجست، في مقاطعة نوميديا، المعروفة الآن بسوق أهراس في 23 من شهر نوفمبر سنة 354م والده يدعى باترسيوس وهو رجل من قبائل البربر، لكنه تمتع بالجنسية الرومانية، ووثني الديانة، متوسط الحال، وعضوا في مجلس المدينة، هذا الرجل تزوج من مونيكا وهي فتاة من عائلة مسيحية، قبلت التعاليم المسيحية من والدتها، ومربيتها، التحق أوغسطينوس بالمدرسة الابتدائية في مدينته "تاجست" وتعلم فيها، ثم أرسله أبواه إلى معهد شهير في مدينة مادورا ليدرس القواعد والبيان، وبمجرد الانتهاء من المرحلة الأولى من التعليم أرسل إلى معهد الآباء الشهير في مدينة مادورا، ثم سافر سنة 370م إلى قرطاجة، ليتلقى علومه ودراسته العليا، وجمع الدراسة والتعليم في مجال العلم والثقافة، ثم سافر إلى روما سنة383 م و تقابل مع الأسقف أمبرسيوس Ambroiseusأسقف ميلان و سرعان ما ذاع صيت أوغسطينوس، وتقواه، وعلمِه، حتى أن الأسقف "فاليروس" أسقف مدينة هيبو، طلب إليه أن ينضم إلى الخدمة الكهنوتية، فقَبِل أوغسطينوس هذه الدرجة الكهنوتية ليصبح كاهناً في عام391م، ثم أوكل إليه إعداد المجمع الأفريقي الذي عُقِد في393م وظل أسقفاً في هيبو لمدة 38 عاماً، حتى توفي في 28 أغسطس عام 430

وتوسع المدينة مقارنتها بالفترة الفينيقية الرومانية، أو الفترات الأولى للفتح الإسلامي، حيث شيدت بونة الحديثة أواخر القرن الرابع بداية القرن الخامس الهجري أي في فترة حكم المعز بن باديس(406-454هـ/1016-1063م)[2]، رغم تدهور وضعيتها العمرانية بعد حملة بني هلال على المنطقة[3].

كما أن كلام البكري يبين لنا بأن مدينة بونة على نحر من البحر وهو ما يتنافى مع الواقع الحالي التي تبعد عن البحر، مما يؤكد التراجع البحري، وانحساره عن اليابسة لمسافة تقارب كيلومتر تقريبا، أو ربما تكون هيبون القديمة تهدمت في ظروف غامضة، قد تكون بسبب فيضانات وادي سيبوس الذي أخذ يغير مجراه تدريجيا مجتاحا المدينة[4].

ويضيف عن بونة قائلا:"وهي مدينة برية بحرية كثيرة اللحم واللبن والحوت والعسل...وأكثر تجارها أندلسيون، ومستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار"[5]، ويقودنا هذا الكلام للقول بأن أكل السمك واصطياده كان مزدهرا في بونة وهذا رد على من يدعي جهل سكان بلاد المغرب لصيد السمك، ويبين لنا كلام البكري أن تجارة بونة ازدهرت خلال هذه الفترة بفضل الأندلسيين، وربما هذا راجع إلى الأوضاع السيئة في الأندلس في أواخر الدولة الأموية وبداية عهد الطوائف الأول، كما يشير البكري إلى الضريبة التي كان التجار والسكان يدفعونها وتقدر بعشرين ألف دينار مما يبين حجم المبادلات والسلع التي تصرف فيها.

ويذكر البكري أن غرب مدينة بونة بركة بينها وبونة مسيرة يوم طولها ثلاثة أميال في مثلها وبها سمك جليل"[6]، وهو رد واضح على أن الإنسان المغربي كان يهتم بتربية الأسماك واصطيادها وبالتالي له ثقافة بحرية مهمة.

ميلادية، خلال الحصار الوندالي للمدينة، ليكون قد عاش، نحو 76 عاماً.**حسن حنفي حسنين: نماذج من الفلسفة المسيحية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، 1978، ص9-10**.

1) سميت بمدينة زاوي نسبة إلى زاوي بن مناد أحد أعمام باديس بن منصور(386-406هـ/996-1016م) حيث تولى ولاية بونة بعد رحيل عاملها تمصولت بن بكار سنة 367هـ/977م، وأقام عليها عشرين سنة إلى غاية رحيله إلى الأندلس سنة 387هـ/997م. **ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987هـ، ط1، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق،ج7، ص413**؛ **وابن خلدون: العبر، ج7، ص55**.

وسميت مدينة سيبوس نسبة إلى واد سيبوس الذي يمر بها قادما من الجنوب.

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص78.

3) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص101.

4) محمد البشير شنيتي: هيبون القديمة، مجلة الأصالة، العدد34-35، 1976، ص37.

5) البكري: المغرب، ص55؛ **و البكري: المسالك والممالك، ج2، ص224**.

6) المغرب، ص58؛ **و البكري: المسالك والممالك، ج2، ص238**.

شكل الأندلسيون جماعات هامة من سكان موانئ المغرب الإسلامي بصفة عامة، والمغرب الأوسط بصفة خاصة، فقد كان أكثر تجار مدينة بونة"عنابة"من الأندلسيين(1)، فقد جمعت بونة بين خصائص المدينة الساحلية التجارية والمدينة الداخلية الفلاحية، بهذا يصفها أحد المتأخرين في القرن11هـ/17م"هي مدينة جمعت البر والبحر"(2)، بذلك أصبحت هذه المدن مركزا من مراكز التجارة العالمية المتوسطية.

ونالت بعض المدن اهتمام البكري أكثر من غيرها لشهرتها السياسية أو التاريخية أو التجارية فوصفها بصورة تفصيلية مؤكدا على موقعها، وحجمها، وطراز البناء فيها، وما تحتويه المدينة من المباني، أما البعض فيمر عليها مر الكرام، منها مدينة سيرات التي في ساحل فحصها تقع مدينة أرزاو"أرزيو" وهي مدينة رومية خالية فيها آثار عظيمة للأول باقية...وبقرب مدينة أرزاو جبل كبير به معدن الحديد"(3).

ولم يكن لها شأن قبل القرن الخامس

الهجري ولا ندرى أسباب إهمالها من قبل السكان المحليين باعتباره ميناء ذا موقع استراتيجي، سوى كون السلطات المركزية قبل هذه الفترة تركز على الناحية البرية أكثر من الناحية البحرية، أو تركيزها على موانئ دون الأخرى على غرار ميناء تنس، وربما يعود حسب تفسير أحد الباحثين الذي أرجعه إلى سطوة القبائل البربرية القاطنة بالمنطقة عليها على حساب السلطة المركزية، وهذه القبيلة لم تساهم في شهرة وتطور هذا الميناء من قبل(5).

ومدينة أرزاو القديمة كانت تمتد على مجالٍ واسع يضم أرزيو ومدينة بطيوة الحالية ، والتي تقدر بحوالي10كلم تقريبا وهو مجال قبيلة بطيوة النفزاوية والتي أكدها ابن خلدون"وأما بقايا بطون نفزاوة فمنهم زاتيمة

---

1) البكري: المغرب، ص55؛ وكذلك

لم يرد اسم عنابة في المصادر قبل القرن التاسع الهجري/14م وسميت بذلك نسبة إلى شجر العناب الذي يكثر بها ويقال له بالفرنسية Jujub وأشجار العناب أشجار شوكية ومنهالا ما يقارب 40 نوع.**ليلى الصباغ**: **المرجع السابق، ص124، هامش 14، وص125-126**.

2) أحمد بن قاسم البوني: التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2001، ص96.

لم يرد اسم عنابة في المصادر قبل القرن التاسع الهجري/14م وسميت بذلك نسبة إلى شجر العناب الذي يكثر بها.**ليلى الصباغ**: **المرجع السابق، ص125-126**.

3) البكري: المغرب، ص70؛ و **البكري**: **المسالك والممالك، ج2، ص252**.

5) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص130.

وبقية منهم لهذا العهد بساحل برشك، ومنهم غساسة، وبقية منهم لهذا العهد بساحل بوطة"بطوية"حيث القرية التي هناك حاضرة البحر ومرسى الأساطيل المغرب وهي مشهورة باسمهم"[1].

إضافة إلى مدينة **مرسى الدجاج** التي قال عنها البكري"قد أحاط بها البحر من ثلاث نواحي وقد ضرب بسور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، ومن هناك يدخل إليها، وأسواقها داخل السور له باب واحد ولها مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره، وبها عيون طيبة يسكنها الأندلسيون وقبائل كتامة"[3].

وما يجذب اهتمامنا هو وصف البكري لمرسى الدجاج بالمرفأ فقط، فهل تراجع دوره بعد أن ذكره ابن حوقل والمقدسي بالمرسى، أم أنه مجرد وصف فقط لا يقصد به التقليل من قيمة وأهمية مرسى الدجاج، رغم أنه يؤكد مرة أخرى أنه مرسى صيفي غير مأمون ولكنه يقدم السبب بكونه ضيقاً وقعره قريباً مما يشكل خطرا على السفن[4]، وربما هذا السبب هو الذي جعل الدول المتعاقبة على المنطقة إلى غاية القرن الخامس الهجري تهمشه ليصبح مرفأً طبيعياً فقط.

لكن وصف البكري لمدينة مرسى الدجاج يبين أن المدينة تطورت مقارنة بوصف ابن حوقل حيث تحدث عن وجود أسواق وجامع وهذا بفضل الحضور الأندلسي المحترف خاصة في الجانب البحري.

أما المدن الداخلية القديمة فقد حافظت أغلبها على مكانتها في عهد البكري **كورجلان والمسيلة وأدنة وطبنة و بغاي وقسنطينة**[5].

---

1) العبر، ج6، ص152.

3) البكري: المغرب، ص65؛ و **البكري: المسالك والممالك، ج2، ص246**.

4) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص130.

5)البكري: المغرب، ص143، 146.

وقد حافظت منطقة القبائل الصغرى في بلاد كتامة–الذين حققوا النصر للفاطميين–على أكبر عدد ممكن من المراسي والموانئ التي ذكرها البكري[1]، وهذا منطقي لاهتمام السلطة المركزية بالمنطقة، كما استمرت هذه المنطقة كمركز حكم وحاضرة للدولة الجديدة وهي الدولة الحمادية.

ونظرا لامتداد سواحل الدولة الفاطمية، التي ورثتها الزيرية والحمادية وشمولها للمغرب الأدنى والأوسط وربطهما بالمغرب الأقصى، بالإضافة إلى كثرة الخلجان التي تتعمق في الداخل، كان لها أثر كبير في تعدد **المراسي** التي تصلح لاتخاذها قواعد بحرية هامة، حيث كان لمدينة بونة مرسى حسن تخرج منه الشواني غازية بلاد الروم وسردينية وقرشقه وما ولاها[2]، كما يبين هذا الكلام استمرار الجهاد البحري بين المسلمين والروم، أو ما يطلق عليه القرصنة من جانب الغرب.

وأما اتصال المراسي من مرسى تبحريت إلى مرسى الخرز جهة الشرق، أي من غرب المغرب الأوسط إلى شرقه، فبادئ المراسي إليه **مرسى تبحريت** الذي جدد من قبل الحاج بن مرامر بعد العشرين والأربعمائة[3]، وتابحريت ساحل مدينة وجدة، بينهما أربعون ميلا[4]، وقول البكري بأنها جددت دليل على قدم المدينة رغم أن الجغرافيين الأوائل لم يشيروا إليها، ويبدو أن تجديد مدينة تابحريت جاء خلال الفترة المرابطية بعد أن كانت تحت سيطرة المغراويين.

واسم المدينة يبين أنها تسمية بربرية ومن خلال ابتدائها بحرف"التاء" وهو الحرف الأول الذي تبدأ به أغلب الأسماء الأمازيغية والهدف منه هو التعريف على غرار"أل"التعريف في اللغة العربية، كما أن المقطع الثاني بحريت يبين حالة المدينة المطلة على البحر.

ومرسى تابحريت يوجد إلى الجانب الشرقي لمصب وادي كيس بنحو3كلم أي في مدينة مرسى بلمهيدي الجزائرية حاليا وبالضبط شاطئ أولاد بن عايد لم يبق من آثار هذا الميناء شيء سوى بئر محفورة في الصخور تعرف ببئر مالح[5]، وهو يبعد عن مرسى تافركنيت المغربي بثمانية أميال[6].

---

1) البكري: المغرب، ص83؛ و **البكري: المسالك والممالك، ج2، ص268–269**.

2) نفس المصدر والصفحة.

3) لم نجد ترجمة له في مختلف المصادر والمراجع.

4) البكري: المغرب، ص87؛ و **البكري: المسالك، ج2، ص263–264**.

5) مشاهدة ميدانية عينية.

6) شكيب أرسلان: المرجع السابق، ج1، ص69.

كما أن إشارة البكري بأنها مدينة مسورة على ساحل البحر يبين لنا مدى الأهمية التي أوليت لهذه المدينة من خلال تحصينها بسور لمواجهة الاعتداءات الخارجية عن طريق البحر، حيث بنيت أسوارها خلال عهد الأدارسة.

ثم يلي مرسى تابحريت **مرسى عجرود**، وهو غير قصبة عجرود التابعة للسعيدية بالمغرب الأقصى، ومرسى عجرود مرسى صيفي[1]، يقع بين مرسى ترنانة شرقا وتبحريت غربا عند الناحية الشرقية لمرسى بن مهيدي حاليا، وأول من ذكره كان البكري، بقوله:"وفيه آبار وهو مسكون، ويوازيه من بر الأندلس مرسى دلاية بينهما مجريان"[2] مما يوحي إلينا بأنه كان مرسى طبيعياً للاستراحة والتزود بالماء من آباره والتجارة مع سكانه خاصة من قبل التجار الأندلسيين من مدينة دلاية.

ثم مدينة **ترنانة أو ترنانا**"وهي مدينة مسورة على ساحل البحر لها مسجد جامع متقن البناء مشرب على البحر ولها أسواق جامعة وهي محط للسفن ومقصد لقوافل سجلماسة وغيرها ويسكنها من البربر مطغرة"[3]، وإشارة البكري مهمة جدا باعتبار ترنانة محطا للسفن من كل الجهات باعتبار موقعها الاستراتيجي القريبة جدا من المغرب الأقصى والأندلس والمغرب الأوسط مما جعلها تنشئ شبكة بحرية مهمة خلال القرن الرابع الهجري؛ بل وتكون مدينة محولة لسلع الجنوب القادمة من سجلماسة.

لكن موقعها الصخري الصعب يجعلنا لا نتوقع ازدهاراً كبيراً للمدينة، لأن ميناءها صعب، وحوضها ضيق مع العلم أن سفن الفترة الوسيطة كبيرة.

---

1) البكري: المغرب، ص89.

2) نفس المصدر والصفحة.

3) نفسه، ص87؛ و **البكري: المسالك، ج2، ص262**.

رجح الأثري بال بونشيه فرضية أن يكون ميناء ماسين هو ميناء سيدي يوشع لأن اسم الجبل المحاذي له هو جبل ماسين على عهد المرابطين .**جواد خالدي: مشروع مخطط وقائي لأبراج المراقبة بساحل تلمسان، مذكرة ماجستير، تخصص علم الآثار الوقائي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2014-2015، ص29**.

5) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص231.

ونلاحظ أن المرسى والمدينة لهما تسميتان مختلفتان عكس المعتاد فالمدينة ندرومة والمرسى ماسين، وهو نسبة للواد الذي يصب وسطه على مستوى الساحل، ويبدو أن الميناء كان غرضه عسكرياً، لأننا لم نجد خطاً بحريتً تجارياً ينطلق من هذا الميناء، إضافة إلى وجود الحصنين والرباط يدعم هذه الفرضية.

وبين مرسى **ماسين وترنانا** عشرة أميال ومدينة **ترنانة أو ترنانا**[2]، لها ساحل جميل، وعلى ساحل ترنانا **حصن تاونت**[3] وهو حصن منيع في جبل منيف[4] قد أحاط به البحر من ثلاث جهات، وتاونت كلمة بربرية قديمة تعني الرؤية، حيث جاء البربر وقطنوا تلك المنطقة أي تاونت المسماة حاليا لالة غزوانة[5]، وعلى هذا الساحل أيضا **حصن أبي جنون وحصن كاربيوا**[6]، ومن تلمسان إلى مدينة وجدة ثلاث مراحل[7].

ومن هذا المرسى إلى مرسى **الماء المدبون"المدفون"**، وهو بعد مرسى آسلن، والسكان منه على مقربة وله عيون ماء تسيل في البحر وبينهما ثلاثة عشر ميلا ويقابله من بر الأندلس مرسى الراهب، بينهما مجريان وثلث[8]،

وسنجد فيما بعد أن الوزان حدد المسافة بينها وبين البحر باثني عشر ميلا .**وصف إفريقيا، ج2، ص13**؛ أما مارمول فحددها بأربعة فراسخ من البحر. **إفريقيا، ج2، ص295**.

1) البكري: المغرب، ص80؛ **البكري: المسالك، ج2، ص264**.

2) ذكرها البكري باسم **ترنانة وترنانا** في موضعين مختلفين، ويبدو أنه اسم أمازيغي بربري نظرا لعدم وجود آثار بها تدل على توطينها منذ القديم، بل أنشأت في القرن الرابع الهجري باعتبار أن البكري ذكر أشهر قاطنيها وحكامها وهو عبد الله الترناني بن إدريس بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم" وهم فرع من بني مرين فخذ بني دمر يسمون بني يلول.**المغرب، ص80**؛ **ومجهول: الاستبصار، ص135**.

3) **تاونت** اسم حصن بقمة الجبل المطل على مرسى الغزوات، وهنين يقع في الشرق منه. **ابن أبي زرع: المصدر السابق، الهامش200، ص410**،

4) اسم هذا الجبل الآن لالة غزوانة.**جواد خالدي: المرجع السابق، ص19**، ويبدو أنه حصن قديم يعود للفترة المرابطية من خلال ذكره من قبل البكري، **أما ابن خلدون** فيقول بأن هذا الحصن بناه شيخ مدغرة وهو "ولد خليفة" أيام الموحدين. **العبر، ج6، ص157**. وربما يقصد أنه أعاد ترميمه.

5) أحمد طهير: التعابير الشفهية الخاصة بالبحارة الصيادين، ماجستير ثقافة شعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2001، ص13.

6) البكري: المغرب، ص80؛ **البكري: المسالك، ج2، ص264**.

7) البكري: المغرب، ص87.

8) البكري: المغرب، ص81؛ **و البكري: المسالك والممالك، ج2، ص267**.

ويحدده ستيفن قزال بين المرسى الكبير شرقا وحوض الأندلسيين غربا وهو مرسى طبيعي غير مهيئ[1]، ويحدده أحد الباحثين بقرية "مداخ الساحلية على مستوى مرسى علي بولنوار حاليا"[2].

ومنه إلى **مرسى فكان** وهي مدينة وسوق قديم من أسواق زناتة، على ساحل البحر متصلة بجبل ونشريس، من أحواز تلمسان على مرحلتين من آسلن، كانت قد خربت فجدد بناءها المنصور بن أبي عامر على يد يعلى بن محمد اليفريني سنة338هـ/949م"فعمرت وتمدنت وعظمت"[4].

ويليه **مرسى جبل وهران**، وهو"مرسى **كبير**"محم من كل ريح بينهما ستة أميال ويقابله من بر الأندلس مرسى أشكوبرش المرسى القديم"[5]، ونلاحظ حرص البكري على ذكر الموانئ في بلاد المغرب الأوسط وما يقابلها من جهة الأندلس، لكونه أندلسياً، وكتابه هذا موجه للجميع خاصة من التجار الأندلسيين والمغاربة.

ويلي المرسى السابق إلى الشرق أيضا **مرسى أرزاو** ثم **مرسى عين فروخ** وهو مرسى شتوي[6]، مأمون، وبينه وبين وهران في البر أربعون ميلا يقابله من بر الأندلس مرسى آفلة وهو مرسى مدينة لُورَقةُ[7] وبينهما ثلاثة مجار [8]،

---

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص274، 275.

4) البكري: المغرب، ص81. و **البكري: المسالك والممالك، ج2، ص262–263**.

5) نفس المصدر والصفحة.

6) أطلق جغرافيو الغرب الإسلامي لفظ المرسى الشتوي أو المشتى على المراسي التي توفرت على إمكانية استقبال للسفن طيلة فصل الشتاء، كما دعيت بنفس الاسم تلك المراسي التي تقضي فيها المراكب فصل الشتاء بمنأى عن المخاطر الطبيعية، فيقال في هذه الحالة أنها تشتي فيها السفن.**عبد السلام الجعماطي: دراسات في تاريخ الملاحة، ص44**.

7) لورقة بالضم ثم السكون والراء مفتوحة والقاف ويقال لُرْقَة بسكون الراء بغير واو وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم وأرضها جُرُز لا يرويها إلا ما ركد عليها من الماء كأرض مصر.**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص25**.

8) البكري: المغرب، ص81؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص267**.

المجاري جمع مجرى وهو وحدة قياس الأبعاد التي تقطعها السفينة الشراعية خلال يوم واحد أي أنها تعادل يوم، والمجرى مئة ميل.**ابن جبير: الرحلة، ص8**. والمجرى ما يقطعه المركب في يوم وليلة بالريح الطيبة. **أبو الفدا: المصدر السابق، ص19**. كما أن إشارة ابن جبير بالميل غامضة فهل يتعلق

ويليه إلى الشرق مرسى **قصر الفلوس**، وهي مدينة على البحر غير مسكونة وفيها ماء مجلوب ومرساها غير مأمون ويوازيه من بر الأندلس مرسى قرطاجنة"[2]، كما نلمس من كلام البكري أنه كان يعرف هل الميناء صالح للرسو شتاء أم صيفا أو غير صالح تماما، وهو بذلك بمثابة دليل سياحي وموجه للتجار من الجانبين حتى يعرف أوقات الملاحة الجيدة وكذا المكان المقصود وطبيعته ومناخه.

وميزة البكري هنا أنه ينقل عن كتاب مهم جدا يعد الآن في حكم المفقود للوراق من القرن الرابع في مسالك إفريقية[3]، مما يجعلنا نتساءل كيف أصبحت قصر الفلوس غير مسكونة، رغم حداثة إنشائها حسب تعبير ابن حوقل[4] هل خربت بسبب عدوان أم بسبب كارثة طبيعية"طغيان الماء مثلا" أو عدم صلاحيتها تماما للاستقرار؟ وعموما يبين لنا قول البكري التراجع الكبير لمرسى قصر الفلوس خلال القرن الخامس الهجري.

ويلي مرسى قصر الفلوس **مرسى مغيلة** بني هاشم وهو مرسى صيفي لا يكون في حالة الريح وله رباط على ضفة البحر مسكون وماؤه كثير وبينه وبين قصر الفلوس خمسة وثلاثون ميلا ويقابل من بر الأندلس قبطيل تُدمير[5]، ومرسى مغيلة ومدينته مستحدثان في الفترة الوسيطة حيث لم تؤكد الأبحاث وجود أي موقع أثري قديم، مما يؤكد أن الاسم عربي نسبة إلى قبيلة مغيلة[6]، أما بنو هاشم فتعود إلى الأدارسة الذين حكموا المنطقة وهم من بني هاشم.

بالميل العربي الذي يعادل 1941متر .**أمين توفيق الطيبي**: **المصطلحات، ص331**؛ وعند ياقوت **الحموي** فإن الميل يساوي أربعة آلاف وقيل 1333خطوة. **معجم البلدان، ج1، ص25، 36**.

2) البكري: المغرب، ص81؛ والبكري: **المسالك، ج2، ص267**.

3) عبد الله يوسف الغنيم: مصادر البكري ومنهجه الجغرافي، مطبعة ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1996، ص139-166.

4) صورة الأرض، ص78.

5) البكري: المغرب، ص81؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص267**.

6) **مغيلة** هي قبيلة بربرية وهي من البربر البتر من ولد فاتن بن تمصيت بن ضريس بن زحيك بن مادغيس الأبتر. **ابن خلدون**: **العبر**، **ج6، ص140، 155**؛ **والحموي**: **المصدر السابق، ج5، ص163**.

وما يؤكد استقرار قبيلة مغيلة على الساحل بنواحي مصب نهر الشلف قول ابن خلدون"مغيلة وهم إخوة مطامطة ولماية كما قلناه، وإخوتهم ملزوزة معدودون منهم، وكذلك دونة وكشاتة ولهم افتراق في الوطن، وكان منهم جمهوران: أحدهما بالمغرب الأوسط عند مصب شلف في البحر من ضواحي مازونة، المصر لهذا العهد، ومن ساحلهم أجاز عبد الرحمن الداخل إلى الأندلس"[1].

وكلام البكري يبين وجود رباط على مقربة من المرسى لحمايته ومراقبة تحركات الأعداء إضافة إلى إرشاد السفن، مما يبين لنا أنه اكتسب مكانة مهمة خاصة بفضل التجارة الأندلسية مع مرسى قبطيل تدمير من بلاد الأندلس.

ويلي **مرسى مغيلة** بني هاشم مرسى **مدينة تنس** وهو صيفي، ومرسى تنس من بر الأندلس شنت بول، ويلي مرسى تنس إلى الشرق مرسى **جزيرة وقور** بينهما أزيد من عشرين ميلا، والجزيرة قريبة من البر ويقابل من بر الأندلس مرسى لقنت ويقطع البحر بينهما في خمسة مجار[2]،

ويبدو أن **مرسى وقور** كان مرسى طبيعيا غير مهيئ، بدأ يظهر خلال القرن الرابع هجري أي عصر البكري، وساهم في ظهوره قربه من مرسى لقنت مما جعل السفن تستعمل هذا المسلك المستغرق في خمسة مجار.

ثم **مرسى شرشال**"وعليه مدينة عظيمة للأول غير مسكونة، وله أحساء ماء[6] يكن بشرقيه وغربيه ويقابله من بر الأندلس مرسى مدية بينهما خمسة مجار ونصف، وكانت لمدينة شرشال ميناء أُرتدم وفيها رباطات، ويليه

---

1) العبر، ج6، ص164.

2) البكري: المغرب، ص81؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص267**.

4) البكري: المغرب، ص81؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص267**.

5) Berbrugger .A ; Itinéraire d'Antonin, Revue Africaine, n° 2, 1857 - 58, p. 268.

6) الإحساء جمع حسي وهي البئر أو الموضع الذي فيه ماء قليل. **الفراهدي: كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1988، ج3، ص271.**

جبل شنوة وله مرسى يسمى **البطال** وهو غير مسكون، ويقابله من عدوة الأندلس جبل قرون، بينهما خمسة مجار ونصف"[1]، وهو وصف يدل على وجود أودية تصب في وسط جون شرشال مما أدى إلى تشبيهه بالإحساء.

كما يذكر البكري أن لمدينة شرشال ميناء أُرتدم وفيها رباطات، يدل على وجود قوة دفاعية بالمدينة ترابط من أجل صد غارات الأعداء، كونها مدينة مهمة ومستهدفة.

أما عن مرسى البطال فيحاول الباحث الهادي روجي إدريس أن يجد مكانه مستفسرا إن كان يتوافق مع موضع تيبازة المدينة الفينيقية والنوميدية ثم الرومانية[3]، لأنه يقع على مستوى جبل شنوة الذي يتقدم في البحر مشكلا رأسا بالنسبة للسفن القادمة من الأندلس باتجاه الشرق، بين مرسى هور شرقا ومدينة شرشال غربا، وهذا يتطابق مع رأس شنوة الحالي.

إلا أن الحفريات في المنطقة أثبتت أن جانبا كبيرا من مدينة تيبازة القديمة قد طُمر تحت مياه البحر بعد القرن السادس ميلادي[5]، أي تزامنا مع الفتح الإسلامي، لكن ما الذي ساهم في تغيير الاسم من تيبازة إلى مرسى البطال؟ وما العلاقة بينهما؟ يبدو أن اسم مرسى البطال عربي، وهو صفة لشخص.

---

1) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**.

3) الدولة الصنهاجية، ج2، ص115.

5) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص214.

ويركز البكري على ذكر المراسى والمدن الساحلية وما يقابلها من مثيلتها في العدوة الأندلسية والمسافات التي بينهما، ولذلك دلالة واضحة على متانة العلاقات بين العدوتين في الفضاء المتوسطي، سواء تعلق الأمر بتنقلات الأشخاص أو البضائع والسلع أو بالأفكار والتأثيرات الحضارية[1].

ويليه **مرسى"هور**[2]، الذي يصعب تحديد موقعه بدقة تامة إلا بالاستعانة بكلام الإدريسي فيما سيأتي"هو قرية صغيرة في وسط الخليج وعلى بعد من البحر، وبها قوم صيادون للحوت، ومكانها أقصار، أي خطير، لا يسقط فيه أحد ويخلص منه البتة"[3]،

أما عن التسمية فيذكر الحموي أنها غير عربية وهي"هور" ثم عربت إلى"خور"[7]حيث أن الهور"هو بحيرة يغيض فيها ماء غياض وآجام فتتسع ويكثر ماؤها"[8]، وهي الصفات التي تنطبق على بحيرة هلولة، ورغم أن البكري لم يشر إلى أي شكل من أشكال التعمير القديم بها، إلا أن الأبحاث الأثرية أثبتت وجود آثار رومانية بها[9]، مما يؤكد لنا أهمية المنطقة بحريا

ومن مرسى هور إلى **أنف القناطر** وهناك آثار قناطر قائمة[10]،

---

1) رفيق خليفي: المرجع السابق، ص145.
2) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**.
3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص273.

5) الأسعد شوشان: المرجع نفسه، ص254.

وإسماعيل العربي: دولة بني حماد، ص260.

7) معجم البلدان: المصدر السابق، ج2، ص400.
8) نفسه، ج5، ص420.
9) مارمول: إفريقيا، ج2، ص362.
10) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**.

ثم إلى **مرسى الذبان**[1]، الذي مثل مرسى طبيعياً متقدماً لمدينة جزائر بني مزغني خاصة خلال فترة البكري القرن الرابع هجري، يستغل من قبل السفن للاستراحة ريثما تهدأ الحركة البحرية به لتفرغ حمولتها، وقد فقد هذا المرسى أهميته بعد القرن الخامس الهجري ولم تشر المصادر إليه باستثناء مارمول الذي ذكره باسم دوبن[2]، ودمجته أغلب المصادر ضمن ميناء وأراضي مدينة جزائر بني مزغني.

وبذلك يحتل مرسى الذبان جون صغيرا ذا شكل نصف دائري وطرفين متقدمين في البحر على هيئة مكاسر طبيعية تحميان الحوض من الرياح الشمالية، ولكنه يمتاز بقلة عمقه وجوانبه الصخرية وشاطئه الرملي الضيق[3].

ويلي مرسى الذبان مرسى **جنابية**"أو جنادية"[4] وله جزيرة، وفيه مدينة للأول غير مسكونة، لها نهر يصب في البحر، ويقابل من بر الأندلس مرسى دانية[5]، وبينهما ستة مجار[6]، وقد وضع روجي إدريس مرسى جنابية في موضع شبه جزيرة سيدي فرج[7]، وهو مخطئ في ذلك لأن البكري ذكر المراسي مرتبة من الغرب إلى الشرق من مرسى البطال، إلى جزائر بني مزغني، ويذكر الأسعد شوشان أن اسم المرسى قد يعود إلى إحدى القبائل البربرية المستوطنة في المنطقة[8].

---

1) هو منطقة الريس حميدو حيث مازل بها مرسى يسمى إلى الآن مرسى الذبان، ربما بسبب كثرة هذه الحشرة في المنطقة، ويذكره إسماعيل العربي باسم La Poinre Pescade .**دولة بني حماد، ص260**.

2) المصدر السابق، ج2، ص362.

3) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص248.

4) يسميه المؤلف المجهول بمرسى الغانية . **الاستبصار، ص126–135**.

5) **دانية**: بعد الألف نون مكسورة بعدها ياء مثناة من تحت مفتوحة مدينة بالأندلس من أعمال بلنسية على ضفة البحر شرقا مرساها عجيب يسمى السمان، ولها رساتيق واسعة كثيرة التين والعنب واللوز، وكانت قاعدة ملك أبي الجيش مجاهد العامري، وأهلها أقرأ أهل الأندلس .**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص434**.

6) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**.

7) الدولة الصنهاجية، ج2، ص114.

8) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص251.

وعند تحليلنا أيضا لكلام البكري عند ذكره خلال القرن الرابع هجري بأن مدينة جنابية غير مسكونة، رغم أنها كانت مدينة رومانية بها حمامات ومرافق مما يعكس حجم المدينة، فنتساءل كيف خربت هذه المدينة خلال القرون الأولى للفتح الإسلامي؟ وهل كان ذلك لفائدة مدينة جزائر بني مزغني التي طغى اسمها ومكانتها على المنطقة خلال هذه الفترة؟، وبما أن أغلب المدن الساحلية البحرية تم إحياؤها من قبل الأندلسيين خلال القرنين الثالث والرابع الهجري فنرجح أن نفس الشيء حدث لمرسى ومدينة جنابية.

ويلي مرسى جنابية **مرسى الجزائر**، وتعرف بجزائر بني مزغنى، وهو مرسى مأمون مشتى بين جزيرة سطفلة من الشرق إلى الغرب وبين البر والمرسى عين عذبة، ويقابل من بر الأندلس مرسى بنشكلة، بينهما ستة مجار"[1]، وهنا يجب أن نلمّح بأن أغلب هذه المراسي تلاشت أو اختفى اسمها، أو تغير ولم نجد لها استمراراً في الاستخدام للمصطلح، وهو ما يعرف بطوبونميا أسماء الموانئ.

ومنها كذلك **مرسى الدجاج** الذي يلي مرسى جزائر بني مزغنة، وهو صيفي غير مأمون، ويقابله من جزيرة الأندلس جزيرة ميورقة[2]، ثم تلي جزيرة جوبة[3]، ونفس الشيء ينطبق على مرسى الدجاج ورغم أن مرفأه خطير وغير مأمون، إلا أن به تجارا أندلسيين من كل الجهات مما يبين أنه قد هُيئ بكاسرات الرياح ومصدات للأمواج، وهذا لأهمية موقعه الاستراتجي ضمن حظيرة الموانئ الخاصة بالتبادل مع الأندلسيين.

إضافة إلى مرسى **مدينة بني جناد**[4]، وهو أصغر من مرسى الدجاج ولكنه مستغل بوجه مهم، ومدينة بني جناد مدينة صغيرة على جبل بينها وبين البحر نحو ميل[5].

أما مرسى **مدينة بجاية،** وهي أزلية آهلة عامرة بأهل الأندلس بشرقها نهر كبير تدخله السفن محملة، وهو مرسى مأمون مشتى، قد خرج عن محاذاة جزيرة الأندلس، ومرسى بجاية هو ساحل قلعة أبي الطويل–قلعة بني حماد–

1) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268.**

2) **ميورقة**:بالفتح ثم الضم وسكون الواو والراء يلتقي فيه ساكنان ، وقاف، جزيرة في شرق الأندلس بالقرب منها جزيرة يقال لها منورقة، بالنون كانت قاعدة ملك مجاهد العامري.**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص246.**

3) البكري: المصدر المغرب، ص65؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268.**

4) **بنو جناد** إحدى بطون قبيلة زواوة البربرية، استوطنوا سواحل جرجرة وأهمل ابن خلدون ذكرهم، أسسوا مدينة ومرسى باسمهم وتسمى الآن جنات تبعد حوالي 20 كلم عن دلس وحوالي 25 كلم عن مقر الولاية بومرداس الحالية.**رفيق خليفي: المرجع السابق، ص156. الهامش 57.**

5) البكري: المغرب، ص65؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص246.**

[1]، أي أن مرسى بجاية قبل تمصيره وتحوله إلى ميناء ومدينة ضخمة، قام بدور الواجهة البحرية والمرسى الذي تتم فيه مختلف الصفقات والتبادل التجاري، لتصريف منتوجات قلعة بني حماد وما يُجلب إليها من مختلف الأقاليم كالزاب وبلاد كتامة وزواوة[2]، ونلاحظ أن البكري لم يفرد لميناء بجاية فقرات طويلة لأنه مازال لم يصل بعد مرتبة كبيرة من الازدهار والتوسع في المعاملات التجارية، رغم بداية بروزه كقوة مستقبلية، وبذلك حافظ ميناء بجاية على دوره كإحدى المحطات البحرية بالنسبة للطريق الرابط بين حوضي البحر الأبيض المتوسط.

كما أن كلام البكري يؤكد لنا وجود ميناء نهري ببجاية على مستوى نهر الصومام الحالي الذي يبعد عنها بميل جهة الغرب من جبل جرجرة، حيث سيؤكد لنا ذلك فيما بعد كل من الإدريسي[3]، والحميري[4]، ورغم أن المراجع اعتبرته مرسى طبيعياً ، غير أن وصف البكري ومن جاء بعده من المصادر لا يدع مجالا للشك في كونه مهيئ وأُعيد إحياؤه وتنشيطه من قبل أهل الأندلس خلال القرن الثالث والرابع الهجريين[6].

ويذكر البكري أنه مرسى مأمون شتوي بفضل الحماية الطبيعية من الجبال التي تتصدى للرياح، مع العلم أن الموانئ النهرية قليلة المياه وعمقها متوسط، وذكر البكري"والسفن تدخله محملة"[7] ويقصد هنا السفن التجارية، مما يؤكد لنا أنه ميناء نهري مهيأ يحتوي على رصيف لإنزال البضائع وموسع جهة دخول السفن.

ويوضح دومنيك فاليرين: أن ميناء بجاية محم بثلاثة رؤوس تغلق هذا الجون وتسهل عملية الرسو وهي"رأس كربون، والرأس الأسود، ورأس بواق"[8].

ثم يلي مرسى بجاية **مرسى سبيبة** وهو بعد جبال كتامة، ومن هذا المرسى تدخل السفن إلى جزائر العافية"منار العافية"وحصن المنصورة على البحر ومرساه سبيبة[1].

---

1) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**.

القلعة: هي قاعدة ملك بني حماد الصنهاجي وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة وأول من أحدثها هو حماد بن يوسف الملقب بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة 370هوهي قرب أشير من أرض المغرب الأدنى . **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص389–390**.

2) رفيق خليفي: المرجع السابق، ص139.

3) نزهة المشاق، ج1، ص260.

4) الروض المعطار، ص80.

6) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص104.

7) البكري: المصدر السابق، 82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**.

8) بجاية ميناء مغاربي، ج1، ص139.

أما عن مرسى **جزائر العافية**، والذي ذكر البكري أن فيه مناراً وهو لتوجيه السفن نحو المرسى مما يؤكد أنه مرسى مهـم تم تجهيزه لاستقبال السفن،

ثم **مرسى جيجل**، وفيه آثار للأول[3] وهو معمور اليوم، وعلى هذه المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس ومنها يحمل إلى إفريقية"[4]، ومرسى جيجل مهم حيث يختص في إنتاج موارد البحر الكثيرة، وكان يستخرج من جباله"جبال كتامة"الحديد والنحاس والمعادن وتصدر إلى افريقية والمناطق الأخرى[5].

ونستشف من كلام البكري عن مرسى جيجل بقوله:"وهو معمور اليوم"أن ميناء جيجل قد تطور بعد أن مر عليه اليعقوبي وابن حوقل مرور الكرام، وأصبح خلال القرن الخامس الهجري ميناء معموراً يستخدم كمحطة رئيسية للسفن دون تفاصيل أخرى عن هذا النشاط، أي بدأ يزدهر خلال الفترة الفاطمية ويتطور خلال العهد الحمادي

ويمكن القول على ضوء النصوص القليلة المتوفرة لدينا، بوجود بعض الصناعات المتقدمة في المنطقة التي بسطت دولة الأغالبة ثم الفاطميين ثم الزيريين سيطرتها عليها، منها صناعة السفن، حيث تطورت في عهد الأغالبة"دار الصناعة في تونس"[7]، التي أنشأها الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، لغرض تكوين أسطول بحري دفاعي لمواجهة أخطار الدولة البيزنطية، ونقل الأخشاب من بجاية وجيجل.

---

1) البكري: المصدر السابق، 82-83 ؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**. الذي لم يذكر المنصورة؛ **أما الإدريسي: المغرب، ص98**، فلم يذكر مرسى سبيبة وذكر المحقق دي سلان أن كتابة هذا الاسم مشكوك قي صحتها وربما يتعلق الأمر بقرية المنصورة.

3) لقد وجدت بقايا رصيف على الجزء الشرقي من المرسى الحالي وقناة مائية كانت تحاذي تقريبا اتجاه القناة الجديدة للمياه وآثار محفوظة لحمامات ومنازل خاصة وفسيفساء.**شارل فيرو: المرجع السابق، ص75**.

4) البكري: المغرب، ص82-83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**.

5) البكري: المصدر السابق، ص33، 83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269؛ و الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص104**.

7) البكري: المغرب، ص38-39، 99؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص213**.

ومن مرسى جيجل إلى **مرسى الزيتونة**، وهذا المرسى أول حد الجبال التي تعرف بجبال الرحمن وهو جبل عظيم خارج في البحر يقابل جزيرة سردانية[1]، غرب رأس بوقرعون، ويُعتبر البكري أول من يشير إلى هذا المرسى ويتبعه بقية المصادر اللاحقة.

ثم تلي مراس كثيرة منها **مرسى الخراطين**، على أحد سفوح جبال الرحمن[5]، ولكن يصعب تحديد مكانه وموقعه بالضبط، أما عن اسمه فهو عربي نسبة إلى نوع النبات السائد في المنطقة وهو شجر الخرط.

ويُرجح أحد الباحثين أن يكون مرسى الخراطين هو حوض تامنريت الحالي لأنه الوحيد في المنطقة المقصودة الذي تصلح شواطئه الرملية للإرساء، خلال فترة الصيف مما يجعل منه مرسى ثانوياً متقدماً يساعد مرسى القل[6].

ومن مرسى الخراطين يلي **مرسى الشجرة**[7]، يقع بين مرسى القل شرقا ومرسى الخراطين غربا، أسفل جبال الرحمن كذلك، ويوجد حوضان يمكن أن يكون أحدهما هو مرسى الشجرة، والآخر هو"بحر النساء"و"حوض بني سعيد"[8]، وعلى العموم يبدو من اسمه تركزه في الغابات المطلة على سواحل القل الحالية، والمشكّلة لأحواض ومراس طبيعية، كما مثّل ميناءاً متقدماً لصالح ميناء القل أو اسكيدة، لرسو السفن الأندلسية خلال القرن الرابع والخامس الهجريين.

---

1) البكري: المغرب، ص83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

4) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص264.

5) البكري: نفسه، ص83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

6) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص244.

7) البكري: المغرب، ص83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

8) الأسعد شوشان: المرجع نفسه، ص243.

وفي آخره **مرسى القل**"[1] شولو في العصور القديمة، وهي مدينة بونيقية وأخطأ صاحب الاستبصار في نسبة آثار مدينة القل للروم"فيها آثار للأول من الروم"[3] لتتعرب التسمية خلال الفترة الوسيطة وتصبح القل.

ونستنتج من كلام البكري أن الخليج(الممتد من رأس الحديد إلى جبال الرحمن) الذي يحتوي على ثلاث مراسٍ بدأ يظهر للواجهة ويكتسب أهمية، خاصة مرسى القل الذي يتكامل مع المراسي الصغيرة الأخرى وهي مرسى الشجرة ومرسى الخراطين.

كما كان مرسى القل يؤمّن المواصلات مع قسنطينة، ومنه تسير إلى **مرسى أستورة**[4] وهو مرسى مدينة **تَاسِقْدَة–سكيكدة**– وهي مدينة أولية قديمة فيها آثار الأول، ومرسى أستورة الذي كان يمثل ميناء مدينة روسيكاد في العصور القديمة"[5]، وبين مرسى **سقدة** وقسنطينة مسيرة يوم[6]، ونلاحظ استخدام البكري اسم مرسى سكيكدة بصيغتين مختلفتين"تاسقدة وسقدة"فهل كان ذلك عمدا لاعتقاده أنهما منطقتان مختلفتان أم لإظهار اختلاف ألسنة الناس؟ أم كان ذلك سهوا؟

كما أن إشارة البكري بأن ميناء سكيكدة هو ميناء ستورة يطرح أكثر من تساؤل، فإما أن البكري يعتقد أن ميناء سكيكدة هو نفسه فعلا ميناء ستورة، أو أن ميناء سكيكدة تلاشى خلال هذه الفترة مما سمح لميناء ستورة أن يأخذ مكانه كميناء للمدينة؟

أما عن المسافة بين مرسى سقدة وقسنطينة فهي صغيرة جدا مما يمكّن السكان المحليين في قسنطينة من التزود بالمؤن والتجارة مع الضفة الأخرى للبحر المتوسط، ويبدو أن ميناء أو مرسى سقدة لم يرتق إلى مرتبة كبيرة باعتبار البكري مر عليه مرور الكرام بل فضّل عليه مرسى الزيتونة الذي ربطه بالطريق الرئيسي والمسلك المتبع بين القيروان ومرسى الزيتونة، وهنا نتساءل كيف تحول ميناء رسيكادا الروماني إلى مرسى ثانوي ليس له أهمية كبيرة؟

---

1) البكري: المغرب، ص83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

3) مجهول، المصدر السابق، ص127.

4) يرى قزال أن أصل اسم ستورة أو شتورة فينيقي، الذي يعتبر تحريف لاسم الآلهة أشتار أو عشتار

5) البكري: المغرب، ص83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

6) البكري: المغرب، ص63؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص245**.

ويقع ميناء أستورة على مستوى الضلع الغربي لخليج ستورة الحالي شرقي المدينة الرومانية، يتوسط جون صغير يمتد بين رأسين قليلين البروز في البحر الشمالي، منها ينتهي بجزيرة صغيرة وهي حجرة ستورة، ويتميز هذا الجون بضيق شواطئه لأنه يمثل أحد سفوح جبال الرحمن"البلوط حاليا"، الأمر الذي لم يترك المجال للتركز السكاني في المنطقة[2].

ثم يأتي **مرسى الروم**، وهو مشتى مأمون، ومرسى الروم الواقع على بعد ثمانية عشر ميلا من الجهة الشرقية، خلف جزيرة غمر، وهو ميناء صالح لإرساء السفن في فصل الشتاء

ويصعب تحديد موقعه بالضبط إلا من خلال ما ذكره الإدريسي فيما بعد بأنه ثلاثون ميلا على امتداد الساحل بين رأس ستورة ورأس الروم[5]،

ومرسى الروم حسب البكري ميناء مأمون شتاء بسبب الحماية التي وفرها له رأس الحديد شرقا ورأس بوقرعون غربا من الرياح الشمالية والشرقية، وتبقى الرياح الغربية التي تشتد في فصل الشتاء؛ مما يجعلنا نتساءل هل وفروا كاسرة للأمواج أو الرياح؟ حتى ذكره البكري بأنه مأمون شتاء، أم في تلك الفترة كانت هناك جزيرة أو رأس متقدم في الأمام جعله محمياً من الرياح الغربية؟.

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص184.

3) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص102.

5) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص102.

وعلى العموم نقول أن مرسى الروم الذي يعود إلى الفترة الرومانية ارتبط إلى حد كبير بطريق المساحلة ومثّل ملجأ للسفن المبحرة على طول الساحل خلال فصل الشتاء، فترسو تلك السفن في ميناء الروم قصد الاحتماء به خلال فصل الشتاء، مما يرفع من أهميته خلال هذا الفصل، أما في الفصول الأخرى فتقل أهميته[1] كونه غير كبير وغير مهيئ بطريقة جيدة، إضافة إلى قربه من مراس أخرى ذات أهمية كبيرة كميناء بونة وجيجل.

ومن مرسى الروم إلى **جزيرة غمر**[2]**"أو عمر"** إلى **مرسى تكوش** وهو مرسى مأمون[4]، ولم يفصل البكري أكثر من ذلك في مرسى تكوش[5]،

، ويحدده علاوة عمارة

بالجهة الغربية بشاطئ شطابي في عنابة حاليا[7]، لأنه يقع على مستوى الجون الصغير الذي يتقدمها والذي يتميز بكثرة الجروف الصخرية والشواطئ الرملية الضيقة، الأمر الذي يجعل عملية الرسو به صعبة، خاصة إذا ما علمنا أن شواطئه الرملية مرتفعة وقليلة العمق إلى جانب الجروف الصخرية الحادة، **ومرسى تكوش** الواقع على بعد ثمانية عشر ميلا شرقي رأس الحمراء"قرب بلدة تاكاتوا العتيقة"وهو ميناء محمي على أحسن وجه[8].

ومن مرسى تكوش يصل البكري إلى **رأس الحمراء، ثم إلى مرسى ابن الألبيري، ثم إلى مرسى الخروبة**[9].

أما عن **مرسى ابن الألبيري** فيلي مرسى الخروبة من الناحية الشمالية الذي يبعد عنه كيلومتر تقريبا ويحده رأس الحمراء من الناحية الغربية[1]، أما عن اسمه فيعود إلى شخصية قادمة من منطقة ألبيرة بالأندلس، قد يكون عالما

1) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص177.

2) البكري: المغرب، ص83؛ **والهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص102**.

4) البكري: المغرب، ص83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

5) يحدده الإدريسي كما سنرى في الفصل الثاني بأنه بين رأس الحمراء شرقا ومرسى الروم غربا إذ يبعد عن كليهما بمسافة18ميلا. **نزهة المشتاق، ج1، 275**؛ ويبعد عن رأس الحديد الواقع بالجهة الغربية ب30ميلا.

7) Allaoua Amara ; L'Animation de la Maritime ,op. cit, p.12.

8) البكري: المصدر السابق، ص83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

9) نفس المصدر والصفحة.

عالما أو متصوفا استقر في هذا المرسى للتعبد والزهد[2]،

ويعتبر الجون الممتد بين رأس الحمراء إلى الجبال المرتفعة غربا ملجأً مأمونا للسفن نظرا لهيئته المقعرة، وعمق المياه الكبير بالإضافة إلى شاطئه الآمن[4]،

والبكري أول من ذكر مرسى **الخروبة**، وهو مرسى طبيعي يقع بين بونة ورأس الحمراء[6]، تحت جبل ايدوغ الذي يحده غربا في نفس الموضع المسمى بجون الخروب[7]، وهي تسمية وسيطية حسب نوع النبات الذي ينمو في المنطقة، وهو من المراسي الجيدة التي استفادت من قربها لمدينة بونة خاصة بين القرن الرابع والخامس الهجريين، حيث كان مرسى فرعيا تلجأ إليه السفن خلال فترة الذروة بمرسى بونة، أي دور المرسى المتقدم[8].

ثم إلى مرسى منيع هو **مرسى بونة**، وبقربه بئر النثرة وهي بئر منقورة في صخرة من عمل الأول على ضفة البحر إذا ارتج البحر وصل إليها، ومن مرسى بونة تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم وجزيرة سردانية وكرسفة"كورسيكا"وما والاها ثم مدينة **مرسى الخرز**"[9].

1) إدريس الهادي روجي: المرجع السابق، ج2، ص102.

2) يعتقد أحد الباحثين أنه ربما سمي بذلك لكثرة تجار ألبيرة الأندلسية في هذا المرسى، حيث يترددون عليه لفترة طويلة، أو أنهم أول من اكتشف صلاحيته للملاحة والتجارة وشهروا به فسمي باسمهم.**رفيق خليفي: المرجع السابق، ص139**

4) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص242.

6) البكري: المغرب، ص83. **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

7) Gsell .Ct: Op. Cit ,F[lle] n°09, BÔNE, Cartes.

8) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص173.

9) البكري: المغرب، ص83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

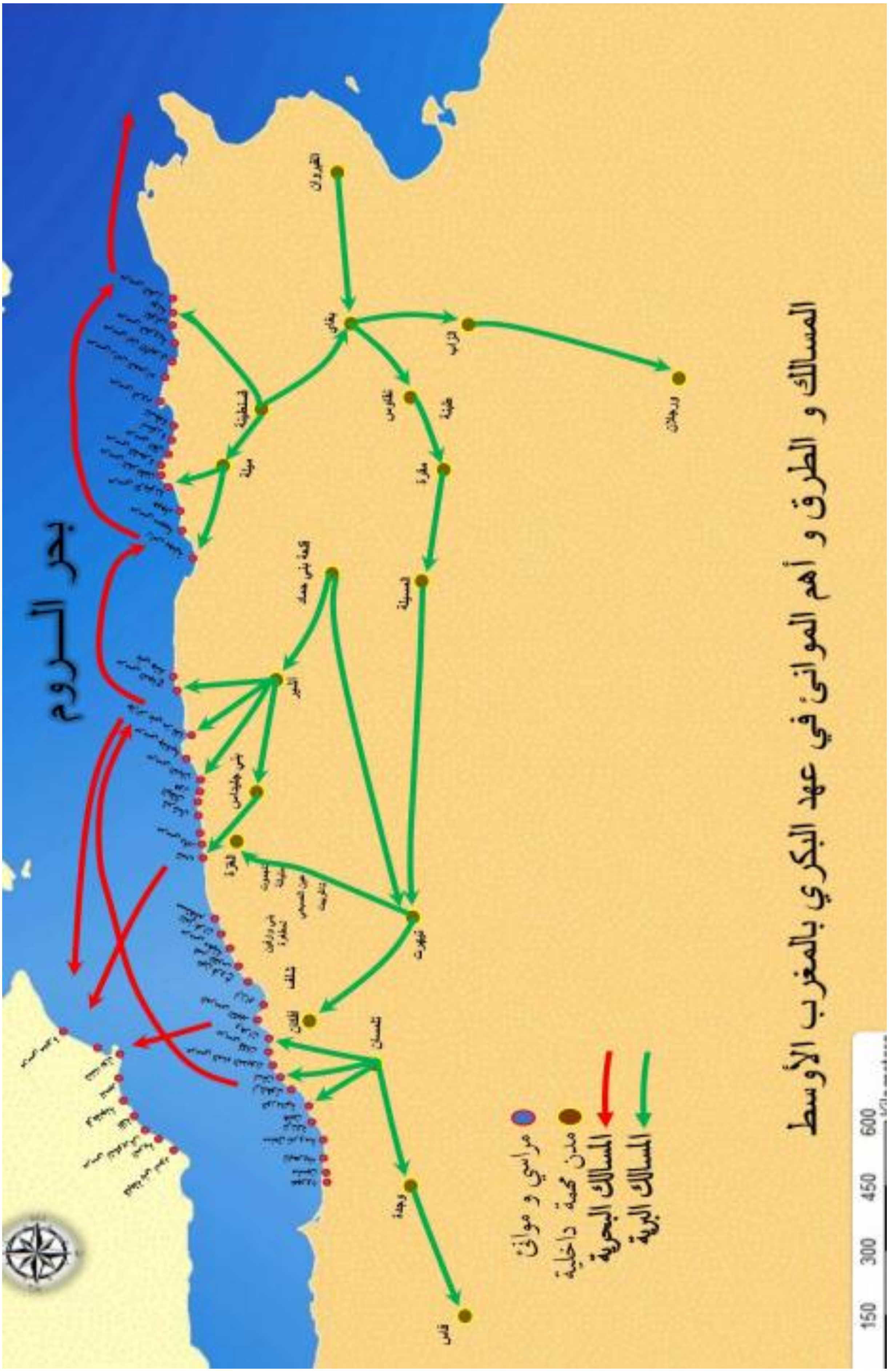
كما تحدث البكري عن **شبكة الطرق الرابطة** بين سواحل المغرب الأوسط ومدنه خاصة الداخلية والقريبة منها باعتبارها همزة وصل بينها وبين الموانئ، ومن أهم المسالك التي أشار إليها:

الطريق الساحلي البري الذي يبدأ من تنس إلى أشير زيري، فمن تنس إلى **بني جليداسن** مدينة لطيفة لمطغرة يسكنه الأندلسيون والقرويون...وهي بلدة طيبة بها عيون عذبة وهي مطلة على فحص شلف"[1].

والطريق البحري يستعمل في فصول معينة من السنة، خاصة فصل الصيف، لأن في الشتاء تشكل الأمواج عائقا للمسافرين لهذا يقضي البحارة الأندلسيون من أهل ألبيرة وتدمير فصل الشتاء في تنس، إذا سافروا إليها من الأندلس[2].

1) البكري: المغرب، ص69؛ أو جليداش في **المسالك.البكري، ج2، ص251**.

2) البكري: المغرب، ص61؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص242**.


المسالك و الطرق و أهم الموانئ في عهد البكري بالمغرب الأوسط
بحر الروم
مراسي و موانئ
مدن محية داخلية
المسالك البحرية
المسالك البرية
150
300
450
600

أما الطريق من **تنس إلى تيهرت** فهو خمس مراحل[1]، حيث كانت تخرج من ميناء تنس البضائع القادمة من مدينة تاهرت وتدخل إليه البضائع القادمة من مدن الأندلس، أي كان التاجر يسير منها باتجاه مدينة تنس في ظرف أربعة أيام ومنها في يوم وليلة يصل إلى مدينة تدمير الأندلسية[2]،

وإذا فصّلنا هذا الطريق، فمن تنس إلى **الغُزة**، إلى **تاجموت**، إلى **عين الصُبحي**، إلى **تاغريبت** إلى مدينة **تيهرت**[3].

لكن الطريق من تاهرت إلى البحر يجبرك أن تمر على قبائل البربر حتى تأتي شلف بني واطيل ومن هناك إلى الغُزة يومان[4] **والغُزة** ساحل تاهرت[5]، وتتوافق الغزة مع مدينة ومرسى"سيدي بالعطار حاليا"غرب تنس[6]، وتحدها من الناحية الغربية مستغانم التي تبعد عنها ب27كلم[7]، ويعتبر أول من ذكر الغزة المقدسي[8] لكن دون شرح فيها، لأنه مثل مرسى صغير للاستراحة السفن الأندلسية القادمة خاصة من دانية على تعبير ابن سعيد[9].

وبالقرب من هذا الموضع على البحر قلعة مغيلة دلول[10]، وهي في أعلى جبل منيف هناك شديدة الحصانة بينها وبين البحر خمسة فراسخ...وبين قلعة دلول هذه ومدينة **مستغانم** مسيرة يومين وهي على مقربة من البحر"[1]،

---

1) البكري: المغرب، ص63؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص244**.

2) جودت عبد الكريم: المرجع السابق، ص359.

3) البكري: المغرب، ص75؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص258**.

4) البكري: المغرب، ص69؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص251**.

5) تقدر المسافة حاليا ب3.5كلم من الغزة إلى مصب وادي الشلف بني واطيل وهي مسافة لا تتوافق مع ما قدره البكري بيومين المبالغ فيها.

6) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص260.

7)Gsell .Ct: Op. Cit., F^{lle} n°11 Bosquet, Notices, p. 1

8) أحسن التقاسيم: المصدر السابق، ص218.

9) كتاب الجغرافيا، ص140؛ **وبسط الأرض، ص74**.

10) يبدو أن مغيلة دلول فرع من مغيلة بني هاشم المستقرة في نواحي وادي الشلف ومستغانم.

البحر"[1]، ورغم اقتضاب وصف البكري لقلعة مغيلة دلول إلا أنه يمكن القول أنها مثلت تحصينا متقدما لمراقبة مدينتي الغزة و مستغانم، والدفاع عنهما بريا و بحريا.

ويعتبر البكري أول من ذكر **مدينة مستغانم،** ومستغانم الوسيطية تتموضع شرق حوض أرزاو على مستوى هضبة خصبة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء[2]، حيث لا يبعد عنها مصب وادي الشلف سوى15كلم شرقا[3].

وتذكر بعض الروايات أن الفنيقيين قد وصلوا إلى السواحل الغربية واستقروا بمستغانم، ويؤكد ذلك وجود مواقع أثرية عُثر فيها على صخور كتب عليها بالخط الفينيقي في دوار الحرارثة من"كيزا"وأخرى بسيدي أمحمد بن علي معروضة بمتحف وهران[4].

---

1) البكري: المغرب، ص69؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص251**.

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص266.

3) يبدو أن مصب نهر الشلف سابقا يقع غرب المصب الحالي، حيث نجد فيما بعد مارمول يقول" وفي شرقيها نهر الشليف الذي يوجد على ضفتيه عدد من الأرحاء وحدائق بها أشجار التين والكروم".**إفريقيا، ج3، ص350**.

4) بلجوزي بوعبد الله: ميناء مستغانم ودوره في تطور المدينة خلال الفترة الإسلامية، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط جامعة الجزائر 2، يومي7-8 ديسمبر2009، ص545-455.

ولكن لم نجد المصادر الوسيطة تشير إلى وجود آثار للأول بها وأول ظهور لهذه المدينة قبل القرن الرابع ثم الخامس هجري، عندما ذكرت بأنها تابعة للادارسة تحت حكم أحفاد سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن أخي إدريس الأكبر، إلى أن تغلب عليها زيري بن مناد الصنهاجي سنة342هـ/953م بدعم الفاطميين(2)، وقد كانت مستغانم في العهد الفاطمي تحت حكم والي تيهرت(3).

مما يجعلنا نتساءل لماذا كان مرسى مستغانم مرسى بحرياً بسيطاً ومجرد محطة بحرية طبيعية"مرسى طبيعي" لم تظهر أهميته ولم يكسب شهرة بعد؟ ربما بسبب وقوعه بين مرسيين هامين هما تنس ووهران، أو لكون المنطقة ميدان حرب وصراع ولا استقرار"بين المرابطين والمغراويين والموحدين ثم الزيانيين"(4)

وعلى العموم ظهور هذا المرسى في عصر البكري تزامن مع ازدهار الملاحة البحرية الأندلسية سواءً التجارية أو التنقلية، مما يبين لنا العلاقة الوطيدة بين مرسى مستغانم وبقية مراسي الأندلس خاصة مرسى دانية.

وقد تحدث البكري عن أسوار المدينة"مدينة مسورة ذات عيون"(6) أي أن مدينة مستغانم خلال القرن الخامس الهجري كانت مسورة وهذا دليل على أهميتها وحصانتها أو كونها محط أنظار مختلف الاعتداءات، وأكد جورج مارسي إعادة بناء سور مستغانم إلى475هـ/1082م من قبل يوسف بن تاشفين(7)، بهدف تأمين تجارة مستغانم البحرية.

---

2) عبد الرحمن الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص183.

3) رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط3، 2000، ص129.

4) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص76**.

6) البكري: المغرب، ص69؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص251**.

7) Marçais .G ; Mustaghanim, Encyclopédie de l'Islam, t. VII, p. 722.

وتذهب جل الكتابات إلى أن تأسيس مستغانم كان على يد هذا القائد المرابطي في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، حيث بنى بها مركزا حربيا يدعى"حصن محال"، استقرت به حامية مرابطية للدفاع عن المدينة ضد الهجمات القادمة من البحر لكن الغريب في الأمر أن البكري لم يتطرق إلى مؤسسها رغم أنه معاصر له، ربما لاعتبارات مذهبية أو سياسية، أو أن مستغانم لم ترق بعد إلى مصاف المدن الهامة التي تستحق التفصيل.

وبغرب مستغانم على نحو ثلاثة أميال منها مدينة **تامزغران** وهي مدينة مسورة لها مسجد جامع وعلى مقربة منها قلعة هوارة(2)، ومن المحتمل أن مسجد تامزغران استغلت صومعته في إرشاد السفن وهدايتها نحو الساحل(3).

وأما الطريق من أرشقول إلى القيروان فمنها إلى **مدينة آسلن** ومن آسلن إلى قصر ابن سنان، ثم الطريق من آسلن إلى تاهرت أربع مراحل، ومن تاهرت إلى القيروان تسع عشرة مرحلة ومنها إلى حصن تانكرمت وهو أيضا على الساحل ستة أميال(6).

على أن البكري قد أكد أن قلعة بني حماد أصبحت بعد خراب القيروان نقطة التقاء القوافل القادمة من المشرق، وبقية بلاد المغرب(7).

ثم الطريق من **وهران إلى تانسالمت**-قرية لازداجة-بها سوق وعين عذبة(8)، وشاطئ بني **واطيل وقصر الفلوس** وهو على قمة جبل على ضفة البحر إلى **الوردانية**، التي تقع على مستوى منحدر صخري يتوافق مع

---

2) البكري: المغرب، ص69؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص252**.
3) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص347.

ومصطفى نشاط: المرجع السابق، ص136.
6) البكري: المغرب، ص79؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص262**.
7) البكري: المغرب، ص49؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص226**.
8) البكري: المغرب، ص71؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص252؛ وعبد محمد سوادي: المرجع السابق، ص329**.

موضع"خليج سيدي أحمد بالورداني"بشاطئ ولهاصة[1]، وقد ظهر هذا الاسم خلال القرن الخامس الهجري، ويبدو أنه عربي بسبب أن الحموي ذكر عدة مواضع في المشرق تحمل نفس الاسم[2]، رغم عدم توضيح معناه، وهو أمر في غاية يصعب تقبله بسبب أن الموضع كانت تستوطن فيه قبائل أمازيغية من كومية.

ومن الوردانية إلى حصن **هُنين** أربعة أميال[3] وقد ورد بعدة تسميات منها أَهْنَايْ وهُنْ، وهَنَي وهُنَين[4] وهو على مرسى جيد مقصود وأكثر الحصون المتقدمة الذكر بساتين[5]؛ وحصن هُنين يعود إلى مابين القرنين الثاني والثالث هجري/الثامن والتاسع ميلادي، ولم يتعد مرسى طبيعي صغير[6].

وبين تابحريت إلى هنين11ميلا على البحر ومن تلمسان إلى هنين40ميلا على البر[7]، ولم تشتهر

هنين كسيقا وأرشقول اللتان تردد عليهما القرطاجيون والرومان باستمرار بفعل عامل التجارة[8]، ورغم الحفريات في المنطقة التي سمحت بالعثور على مناجم نحاس قديمة بها أشار إليها بطليمس"بسيدي أوشنة حاليا"التي تبعد8كلم

---

1) Macais G ;Honain, t. I, p. 161.

يعد شاطئ أو خليج الوردانية من الشواهد الحضارية لمدينة عين تيموشنت، ويوجد هذا الشاطئ على الطريق الرابط بين بلدية بني خلاد وولهاصة على الطريق البلدي (107) الرابط بين هنين وبني صاف وتعد هذه المنطقة الحدودية بين ولايتي تلمسان وعين تيموشنت(وادي غار). **جواد خالدي:المرجع السابق، ص40؛ والمشاهدة الميدانية.**

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص229.

3) قدرها شكيب أرسلان بستة أميال. **الحلل السندسية، ج1، ص69.**

4) محمد بن زغادي: قراءة في تاريخ مدينة هنين، دورية كان التاريخية، مجلة ربع سنوية الكترونية، العدد28، يوليو2015، ص83.

5) البكري: المغرب، ص79؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص263.**

6) Abderrahman. Khalifa; L'Urbanisme, op, cit, p.330-331.

موضع هنين مكان فينيقي يدعى جيبسلريا Gypsaria portus حوالي القرن12 ق م، وتعني موطن الجبس بسبب طبيعة جباله الكلسية، ليتحول في العهد الروماني إلى اسم أرتي سيغا Arti Siga portus أي الطريق المؤدية إلى سيقا، حيث قام الرومان بتوسيع الميناء ليصبح حوضه يقدر ب80/50م ذلك لأجل إيصال القناة بالميناء، ولكنه هدم خلال العهد الوندالي .

Abderrahman. Khalifa ; Honaine, p.103-111.

7) شكيب أرسلان: المرجع السابق، ج1، ص69.

8) عبد العزيز محمد لعرج: مدينة هنين، تاريخها وآثارها، الملتقى الدولي الخامس حول التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها، جمع وتقديم الجمعية الموحدية، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر، ص131.

أما المسافة بين مدينة **وهران وتلمسان** فمرحلتان[5]، ومن وهران إلى القيروان على **قسطيلية** ثلاث وأربعون مرحلة[6]، ومن تاهرت إلى مرسى آسلن أربع مراحل، ومن تاهرت إلى القيروان تسع عشرة مرحلة[7]، ويعتبر البكري أول من يذكر **مدينة ندرومة**[8]، بهذا الاسم بعد أن ذكرها اليعقوبي باسم فلوسن[9]، هي في طرف جبل تاجرا، وبينها وبين البحر عشرة أميال وساحلها وادي ماسين، وهو نهر كثير الثمار وله مرسى مأمون وعليه حصنان ورباط حسن[10]، ومدينة ندرومة مدينة كبيرة عامرة بأهلها عليها سور متقن وأسواق وبساتين ولها واد يجري بشرقها[11].

---

3) محمد بن زغادي: المرجع السابق، ص83.

4)Macais G ; Honin, recherche d'archéologie musulman, revue africaine, 4emt trimestre, Alger, 1928, p.334..

5) البكري: المغرب، ص76؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص259**.

6) البكري: المغرب، ص75؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص258**.

7) البكري: المغرب، ص89-90. لم أجدها في المسالك للبكري.

8) تقع مدينة ندرومة في منطقة جبليّة على بُعد 6كلم إلى الشمال الغربي من تلمسان، غير بعيدة عن الحدود المغربيّة، أسّست في جنوب سفح جبل فلاوسن، تُقابل المدينة البحر الأبيض المتوسط، وتبعد عنه على خط مستقيم بستّة كيلومترات ومتّصلة بالبحر عن طريق شاطئ سيدي يوشع وميناء الغزوات. **أنيسة بركات :مُحاضرات ودراسات تاريخية وأدبية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995 ، ص303.**

ذهب البعض الآخر إلى أنّ اسم مدينة ندرومة مشتق من عبارة نظروا إلى الماء أو انظروا إلى الماء، بصيغة الأمر وهي العبارة الّتي نطق بها الفرسان العرب عند رؤيتهم للماء تعجبًا من كثرته وغزارته. **الطاهر زرهوني :ندرومة بين الماضي والحاضر، مجلة الثقافة، العدد 99، الجزائر، 1987، ص142.**

9) البلدان، ص147.

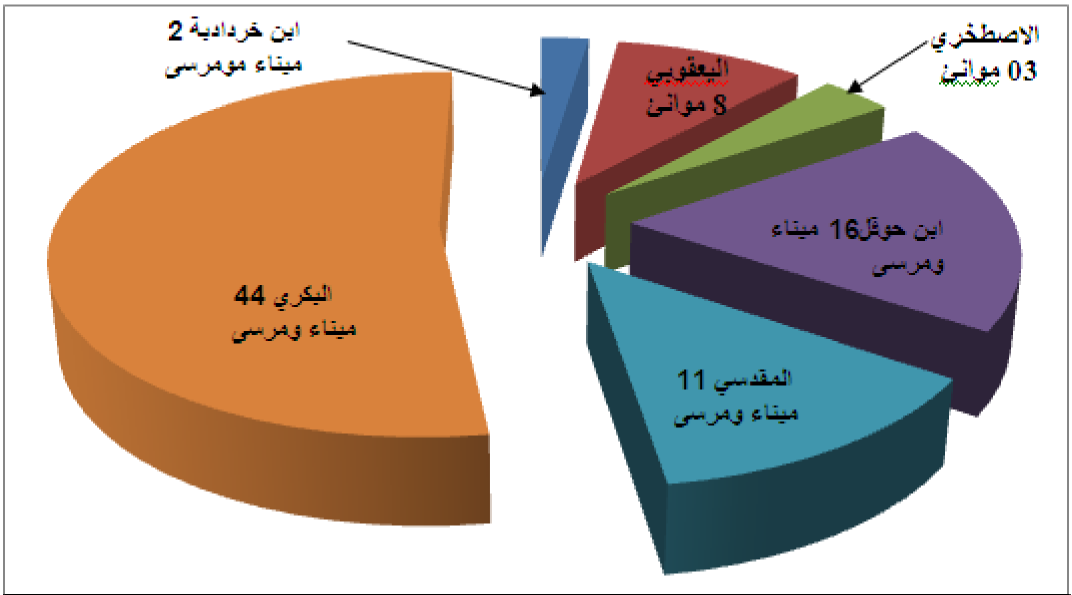
10) البكري: المغرب، ص80؛ **البكري: المسالك، ج2، ص264.**

11) شكيب أرسلان:الحلل السندسية، ج1، ص69.

جدول يوضح الموانئ والمراسي في المغرب الأوسط من خلال البكري

الرقم	الميناء أو المرسى	الرقم	الميناء أو المرسى	الرقم	الميناء أو المرسى
01	مرسى الخرز	17	مرسى بني جناد	33	أرزاو
02	بونة	18	مرسى الدجاج	34	وهران
03	مرسى الخروبة	19	جزائر بني منزغنة	35	المرسى الكبير
04	مرسى ابن الألبيري	20	مرسى الذبان	36	مرسى المدفون
05	مرسى تكوش	21	مرسى جنابية	37	آسلن
06	مرسى الروم	22	مرسى هور	38	أرشقول
07	سكيكدة	23	مرسى البطال	39	الوردانية
08	مرسى أستورة	24	شرشال	40	ترنانة
09	مرسى القل	25	مرسى وقور	41	هنين
10	مرسى الشجرة	26	تنس	42	ندرومة
11	مرسى الخراطين	27	الغزة/مرسى عطا	43	مرسى تابحريت
12	مرسى الزيتونة	28	مغيلة بني هاشم	44	مرسى عجرود

13	جيجل	29	مستغانم		
14	مرسى سبيبة/المنصورة	30	تامزغران		
15	جزائر العافية	31	مرسى الفلوس		
16	بجاية	32	مرسى فروخ		

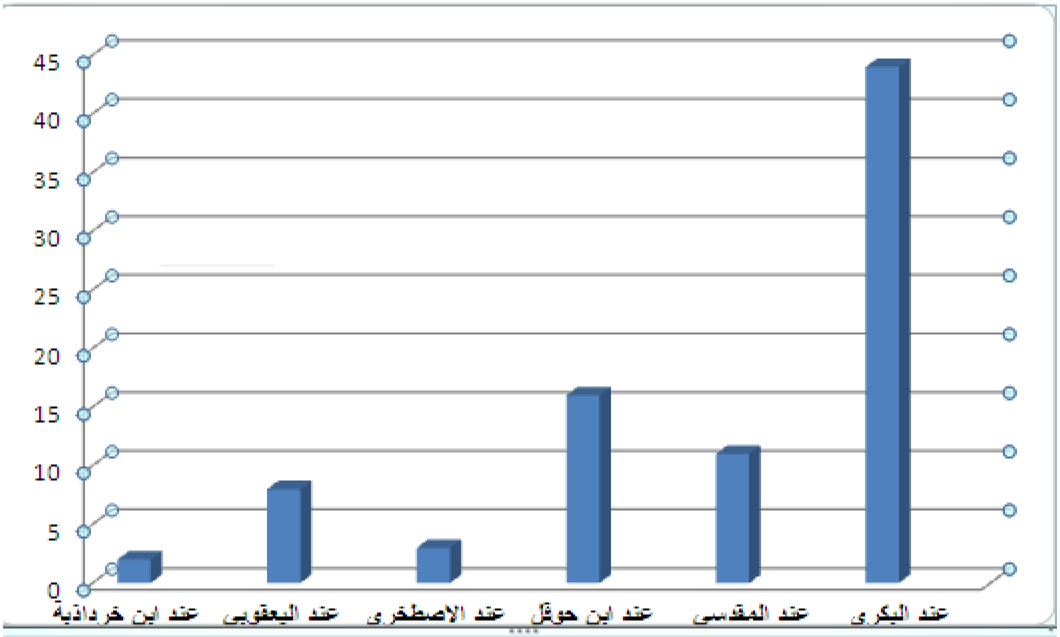


المراسي والمدن والموانئ في المغرب الأوسط من خلال الجغرافيين الاوائل2-5هـ

عند تحليلنا لهذه الرسومات البيانية يتضح لنا ما يلي:

يعتبر البكري أول جغرافي ذكر أربعة وأربعين من موانئ المغرب الأوسط منها26ميناء ومدينة ساحلية تُذكر لأول مرة، وهو أسبق من غيره من الجغرافيين الآخرين الذين سيعتمدون عليه من خلال إعادة ما كتبه البكري باستثناء الإدريسي الذي سيضيف البعض، وأهم الموانئ التي اختص بذكرها هي:

مرسى الخروبة، ومرسى ابن الألبيري، ومرسى تكوش، ومرسى الروم، ومرسى أستورة، ومرسى القل، ومرسى الشجرة، ومرسى الخراطين، ومرسى الزيتونة، وجزائر العافية، ومرسى الذبان ، ومرسى جنابية، ومرسى هور، ومرسى البطال، ومرسى وقور، ومرسى مغيلة بني هاشم، ومرسى مستغانم، ومرسى تامزغران، ومرسى أرزاو، ومرسى الماء المدفون، ومرسى الوردانية، ومرسى ترنانة، ومرسى هنين، وندرومة، ومرسى تابحريت ومرسى عجرود.



الموانئ والمراسي في المغرب الأوسط بين القرن 2-5هـ/8-11م

كما نلاحظ من خلال ما قدمه البكري، إهماله لذكر عدة مراس وموانئ تم ذكرها، ولم يشر إليها كمرسى تامدفوس وبرشك، اللذين أشار إليهما ابن حوقل، إضافة إلى مراسي قلعة بني خطاب ومرسى ملر اللذين ذكرهما اليعقوبي.

ويمكن تفسير ذلك إما بتهدمها خلال هذه الفترة بسبب نزاعات وصدامات عسكرية أو ربما لهجرة سكانها منها، أو لتراجع دورها مقارنة بالمدن المحيطة بها.

كما تعتبر مدينة تنس المدينة الوحيدة التي ذكرها جميع الجغرافيين الأوائل واتفقوا على أنها مدينة مهمة لها مكانتها البحرية والتجارية.

ونسجل تدريجيا بداية من نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي لجوء سكان المناطق القريبة من الساحل إلى البحر وتنشيطه تجاريا ومعاشيا من خلال الصيد البحري، وهذا بفعل عوامل كثيرة أهمها ازدهار التجارة البحرية مع الأندلس، وحلول الجفاف في المناطق الداخلية[1] مما قلل من المنتوج الفلاحي.

1)Allaoua Amara; Bûna, p.147.

خاتمة الفصل الأول:

✓قام الأمراء الأمويون بمحاولة السيطرة على المعاقل التجارية القديمة الرابطة بين شبه الجزيرة الابيرية وبلاد المغرب الأوسط كتنس ووهران وأرشقول ومرسى الدجاج، وهذا منذ الفترة الرستمية وازدهار العلاقات التجارية والبحرية بين الطرفين(1)، مما شجع الجاليات الأندلسية على التوجه نحو ساحل المغرب الأوسط لتنشيط الساحل البحري.

✓رغم الصراع الفاطمي الأموي المذهبي والعسكري إلا أنه لم يؤثر على النشاط التجاري والعلاقات البحرية ، حيث تواصلت ولم تنقطع ولكن بحدة أقل من السابق.

✓كانت السواحل في المغرب الأوسط مهملة نسبيا خلال القرنين الأول والثاني الهجريين/ الثامن والتاسع الميلاديين، ولا تُستخدم إلا بصورة عرضية حتى أواخر القرن الثالث الهجري، بسبب تمسك السكان باليابسة والبر ولا يتحولون إلى البحر إلا عند الضرورة القصوى، إضافة إلى سياسة العرب الفاتحين المبتعدين عن البحر خوفا من هجمات البيزنطيين.

✓لقد أسدى اليعقوبي لجغرافية العالم عموما والمغرب الأوسط خصوصا خدمة جليلة من خلال توضيحه لطرق المواصلات سواء كانت برية أم بحرية فطرق المواصلات تعتبر من مقومات الجغرافية الاقتصادية وإحدى وسائل ثقافة الاتصال بين الشعوب.

✓نلاحظ من خلال وصف الجغرافيين الأوائل كثرة المدن الداخلية القريبة من الساحل أكثر من المدن الساحلية بل مثلت هذه المدن الداخلية ممرا للساحل ورابطا بالمدن الصحراوية، كما يدل على إستراتيجية جديدة للعمران في المغرب الأوسط بعد الفتح الإسلامي تنم عن الرغبة في الانتقال إلى المدن الساحلية.

✓بدأ الساحل في المغرب الأوسط يزدهر بدءً من القرن الثالث الهجري من خلال كتاب ابن حوقل صورة الأرض الذي نجد فيه وصفا تفصيليا لمراسي بلاد المغرب، إلى جانب إشارات متفرقة عن جهود سكان هذه المراسي في تذليل الصعاب والمعوقات التي تجابه المراكب التي ترسو في موانئهم، كما ساهمت الهجرات الأندلسية في إقامة العديد من المدن الساحلية والموانئ البحرية.

---

1) إبراهيم أحمد العدوي: المجتمع المغربي، مقوماته الإسلامية والعربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1970، ص200-201.

✓هناك عدد من المدن المغربية اختفت لعدة قرون بعد السيطرة الإسلامية على المنطقة لتعود بعد ذلك في ظروف غامضة لتلعب دورا ثانويا في الحياة السياسية والاقتصادية لتصل إلى مرحلة الحاضرة المركزية في مراحل تاريخية لاحقة، كما هو حال مدينة جزائر بني مزغنا[1].

✓ومن خلال ما تطرقنا إليه في هذا الفصل عن أهم الموانئ والمراسي والمدن الساحلية للمغرب الأوسط، يتبين أن عدداً كبيراً منها كان موجودا في الفترة القديمة وتم إحياؤه في الفترة الإسلامية، وهناك بعض الموانئ التي استحدثها المسلمون على شكل محطات تجارية لتتحول إلى مراكز حضارية.

✓نشاطر فكرة أحد الباحثين ونجعلها ضمن خلاصتنا وهي أن المرسى يكون في البداية للسفن، ثم يتطور إلى أن يصبح مدينة كما حدث لميناء تنس ووهران وبونة؛ وقد يكون المرسى عبارة عن رباط يجتمع فيه الصالحون للعبادة والجهاد، وسرعان ما يألف السكان هذا الموقع فيتطور تدريجيا فيصبح مرسى ثم يتحول إلى مدينة كألميرية بالأندلس وشرشال ومغيلة وماسين بالمغرب الأوسط[2].

✓نشأت في سواحل المغرب الأوسط مراس صغيرة طبيعية صالحة فقط لرسو السفن ولكن مع تطورها وازدياد حاجة السكان والتجار والملاحين تطورت هذه المراسي إلى موانئ تشكلت حولها مدن ساحلية هامة، وتنوعت مراس وموانئ المغرب الأوسط بين ما يكون صالحا للرسو في فصل الصيف أو في فصل الشتاء.

✓يعتبر المرسى والمرفأ والميناء خلال الفترة الوسيطة شيئا واحدا وهو المكان الخاص برسو المراكب وكذلك المكان الخاص بالصيد البحري، وهو الذي تستطيع المراكب البحرية والتجارية اللجوء إليه لتحتمي من الرياح وتتزود بالماء والطعام، وهو المكان المناسب لعقد الاتفاقيات وممارسة التجارة.

✓نلاحظ عند تحليلنا للخرائط خاصة خريطة البكري تعدد المراكز الساحلية الصغرى المتسلسلة من الشرق إلى الغرب على طول الامتداد الكبير لساحل المغرب الأوسط، ولم يكن هذا التعدد لضرورة بحرية بقدر ماكان لضرورة قارية، كنوع من المحطات الساحلية الرابطة بين الفراغات الفاصلة بينها، على غرار محطات الطرق البرية، دون أن يكون لها أي تأثير لتتحول إلى مدن كبرى، خاصة خلال القرون الخمسة الهجرية الأولى؛ وحتى اجتذاب الأنشطة

---

1) علاوة عمارة و زينب موساوي: المرجع السابق، ص26.

2) محمد عناوي: النشاط البحري في الأندلس، عصر الإمارة الإسلامية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، 1986-1987، ج2، ص452-453.

البحرية لجزء من سكان المغرب الأوسط وبداية تركزه في المرافئ والمدن للتجارة والصيد لم يبرز كنشاط ملاحي دائم ومنظم إلا كنوع من الظهور التاريخي المؤقت استجابة لبعض الظروف الطبيعية السياسية.

الفصل الثاني

تطور الأنشطة التجارية وازدهار الواجهة البحرية من خلال نظرة الجغرافيين والرحالة خلال القرنين(6-7هـ/12-13م)

الفصل الثاني: تطور الأنشطة التجارية وازدهار الواجهة البحرية من خلال نظرة الجغرافيين والرحالة خلال القرنين(6-7هـ/12-13م)

_واصل جغرافيو ما بعد القرن الخامس الهجري نشاطهم وحيويتهم في رصد ورسم معالم جغرافية المغرب الأوسط وسواحله، من خلال المشاهدات الميدانية، أو عن طريق السماع الموثوق من الحجاج والتجار والرحالة؛ مما سمح لهم بترك تراث جغرافي هام جدا، وعلى رأس هؤلاء الإدريسي وابن سعيد وغيرهما.

كما قرّبت كتب الرحلات إلينا صورة التطور الحضاري الذي حدث في عدد كبير من سواحل المغرب الأوسط في النواحي الطبيعية وكذا في جوانب الحياة، وحسب أسلوب ومنهج تدوين الرحالة واهتمامه وولعه وخبرته واتصاله وظروفه وشجاعته وبراعته في نقل أدق التفاصيل وأبرزها عن المنطقة التي زارها، لهذا نرى اختلافاً واضحاً في الكتب بين الرحالة حسب الجانب الذي ركز عليه وحسب تكوينه أيضا والأمانة التي دوّن بها رحلته.

ولم يقتصر اهتمام كتب المسالك والممالك والبلدان والرحلات على وصف السواحل بل تعدى ذلك إلى دراسة أخبار المكان والعادات والتقاليد، بل اهتمت بدراسة الكيانات السياسية وعجائب وغرائب البلدان وكل ماله علاقة بتاريخ المكان، ولهذا نجد أن المؤلفات الجغرافية وكتب الرحلات قد اهتمت بعنصرين أساسيين هما التعريف بالمكان وذكر الحدث الذي وقع على هذا المكان.

وبالتالي أسهم المسلمون في علم الجغرافيا الوصفية والتاريخية بعدة مؤلفات ضخمة، تم من خلالها التعريف والتقديم بكل مناطق العالم بصفة عامة ومناطقهم بصفة خاصة، واستفاد المغرب الأوسط كبقية الأقاليم من هذه الكتب الجغرافية التي حاولت التعريف به وبمدنه، بكل إنصاف من البعض أو إجحاف من البعض الأخر.

ومن هنا تتبادر إلى ذهننا عدة تساؤلات نحاول الإجابة عنها من خلال هذا الفصل منها:

كيف أثر التفاعل الجيوسياسي والمذهبي على بحرية ومدن الساحل بالمغرب الأوسط؟

ما المكانة البحرية لسواحل المغرب الأوسط من خلال نظرة الرحالة خلال هذه الفترة؟

ما الإضافة التي قدمها جغرافيو القرن السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، عن موانئ ومدن المغرب الأوسط الساحلية؟

ما مدى مساهمة سكان المغرب الأوسط في الصيد البحري من خلال كتب الجغرافيا والرحلات؟

1) التفاعل الجيوسياسي وأثره على بحرية المغرب الأوسط:

لقد ركب المسلمون البحر المتوسط مع بداية فتح الشام ومصر وشمال إفريقيا وتصدى بنو الأغلب، مع بداية القرن التاسع الميلادي لغطرسة الروم وتمكنوا من الانتصار عليهم، وقد وصف أرشيبالد انتصار المسلمين:"ونبذ الشرق الحضارة الغربية التي فرضت عليه قسرا وأشاح بوجهه عنها وبدأ عصر الإسلام في دنيا البحر المتوسط"[1].

ويضيف فرناند بروديل قائلا:"إن المتحكم في البحر دوما هو المتحكم في الثروة"[2]، وهذه المقولة تعكس لنا تأثر الحركة التجارية في البحر المتوسط بما يحدث سياسيا وعسكريا في حوض البحر المتوسط من حيث انتقال الحكم من دولة لأخرى ومحاولة كل واحدة إنشاء صلات مختلفة حسب نظمها وطريقة تسييرها، وتفتحها على الدول الأخرى من عدمه.

كما تعتبر المدن الساحلية الكبرى في المغرب الأوسط من أهم المناطق الثغرية[3]، مما جعلها تحظى باهتمام كبير من قبل السلطات المركزية المتعاقبة على المغرب الأوسط أو من القبائل البربرية المسيطرة على هذه المدن؛ كما كانت محل أطماع العديد من المتمردين والطامحين، وهو ما سنذكره من خلال هذا المبحث عن كل المحاولات العسكرية للسيطرة على هذه المدن، خاصة بجاية ووهران وبونة وجزائر بني مزغنة...

وبالتالي اكتسب البعد الجغرافي للموانئ والمراسي أهمية كبيرة بالنسبة للتحصينات ووسائل الدفاع وقربها من مناطق التموين والتخزين وكذلك لتصريف السلع القادمة إليها، وتؤكد المصادر أن السكان المستقرين في السواحل هم في خطر دائم، لهذا ذكر ابن خلدون [4] شروط التركز الساحلي وتعمير المناطق المطلة على البحر.

وبامتلاك الحماديين لأسطول بحري بعد اتخاذ بجاية عاصمة جديدة لهم ودارا لصناعة السفن، شاركوا في عدة معارك خارجية بحرية[5]، إذ باشر العزيز بن المنصور(498-515هـ/1099-1121م) في فرض حصار بحري على جزيرة جربة التي تمرد أهلها على طاعته سنة510هـ/1117م، فحاصرها سنة514هـ/1120م[6]، مما اضطرهم إلى الخضوع مجددا لحكمه[7].

---

1) القوى البحرية، ص78.

2) البحر المتوسط، ص125.

3) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص73.

4) ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص185.

5) موسى هيصام: الجيش في العهد الحمادي(405-547هـ/1014-1152م) رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2000-2001، ص79.

6) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص310-312؛ **و الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص358؛ وعدلي محمد علي: المرجع السابق، ص56.**

7) ابن عذارى: البيان المغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج4، ص62؛ **وابن خلدون: العبر، ج6، ص234.**

وهو نفس ما انتهجه خليفته وآخر ملوك الحماديين"يحي بن العزيز(515-547هـ/1121-1152م) بحصاره للمهدية سنة530هـ/1135-1136م، حيث استخدم الأسطول البحري والجيش البري تحت قيادة موحدة بزعامة مطرف بن علي بن حمدون ودام الحصار سبعين يوما[1]، لولا تدخل النورمان والعرب الهلاليين[2].

و ازدهرت العديد من المدن الساحلية خلال العهد الحمادي منها مدينة وميناء بجاية، بفضل موقعها الإستراتيجي في الفضاء المغاربي، بذلك استفادت من الانفتاح البحري، وانتقال مرحلة الحكم في المغرب الأوسط نحو البحر[3].

ورغم ما وفرته طبوغرافية بجاية والظروف الطبيعية لاستقطاب نشاط بحري هام منذ الفترات القديمة إلا أن ظهورها في المصادر الاستغرافية الإسلامية الأولى تأخر إلى غاية الفترة الحمادية.

إضافة إلى جيجل حيث تطور ميناؤها وبنيت بها القصور والمنتزهات، إذ قام يحي بن العزيز بن حماد(515-547هـ/1121-1152م)بإنشاء قصر بها أطلق عليه قصر النزهة، خربه النورمان[4] خلال حملتهم البحرية على بجاية ثم جيجل سنة537هـ/1143م[5].

لقد استغلت المدن الايطالية الفترة الانتقالية من بحرية المرابطين والحمادين نحو بحرية الموحدين ليغيروا على عدة مدن ساحلية هامة على سواحل المغرب الأوسط ومنها مدينة بونة التي تعرضت لحملة من أسطول بيزة مدعمة من قبل سفن جنوة والبروفانس سنة528هـ-529هـ/1134م، ومراسي الشريط الساحلي حتى شواطئ قرطاج بما فيهم مرسى الخرز[6].

كما توالت غارات النورمان على سواحل بلاد المغرب الأوسط حيث تعرضت جيجل إلى حملة بقيادة جورج الأنطاكي سنة537هـ/1142م، فهدم سورها، إذ تذكر المصادر"ورجع الفرنج إلى صقلية فجهزوا أسلحتهم وتجهزوا إلى المغرب فوصلوا إلى جيجل فلما رآهم أهل البلد هربوا إلى البراري والجبال فدخلها الفرنج وسبَوا من أدركوا فيها وهدموها وأحرقوها"[7].

---

1) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص312.

2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص215؛ **والتجاني: الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981، ص340؛ وموسى هيصام: المرجع السابق، ص79.**

3) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص60، 61.

4) **النورمان**: أقوام نزحوا من بلاد اسكندناوة في أقصى الشمال الأوروبي، وتوجهوا نحو جنوب أوروبا وجزر البحر المتوسط، والنورمان لفظ يتون من كلمتين NORD وتعني الشمال و MANNI وتعني رجال و بجمعها نجد أن النورمان تعني رجال الشمال نسبة إلى موطنهم الأصلي. **رشيد تومي: العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية، مابين 1017 و 1154م، رسالة ماجستير في تاريخ العصور الوسطى، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987-1988، ص2.**

5) ابن خلدون: المصدر نفسه، ج5، ص232.

6) De Mas Latrie ; Traité, op.cit. p.8.

7) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص326؛ **و ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص93.**

ثم توجهوا نحو بجاية"وهرب أهلها إلى الجبل ودخلوها وخربوا القصر الذي بناه بها يحي بن العزيز بن حماد ورجعوا"[1]، وكذلك شرشال وبرشك التي احتلها الملك روجار الثاني سنة539هـ/1143م[2]، ثم خربوا تنس[3] ثم احتلوا بونة سنة548هـ/1153م وانتزعوها من أيدي الموحدين[4].

وقد ساعد العرب الهلاليون قائد الأسطول النورماندي ومكنوه من دخول بونة سنة548هـ/1153-1154م[5]، فعين الملك النورماندي"روجار الثاني عاملا من آل حماد وهو الحارث بن منصور أخ يحي الملك الحمادي الذي طلب مساعدة النورمانديين إثر سيطرة الموحدين على مملكته سنة547هـ/1152م[6]، إلى أن استرجعها الموحدون منهم إثر ثورة قابس سنة 553هـ/1158م[7].

حيث في أواخر عهد الدولة الحمادية نهض عبد المؤمن سنة537هـ/1142م، لفتح بلاد المغرب فدانت له غمارة والريف ثم بطوية"أرزيو"ثم بنو يزناسن وكومية وولهاصة، فاشتد عضده وتمكن سلطانه بين الموحدين[8]، كما وفرت عدداً من السفن للجيوش البحرية الموحدية خلال حملته على إفريقية، حيث برز عدد من القادة البحريين البطويين منهم"محمد البطوي"، وأركبهم أساطيله من سواحل وهران[9].

---

1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص257-258؛ **وابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص312**.

2) ابن الأثير: المصدر نفسه، ج9، ص334

3) وردت عند ابن الأثير أن في سنة548هـ/1153م وصلت مراكب من صقلية فيها جمع من الفرنج فنهبوا مدينة تنيس بالديار المصرية، لكن آماري يعتقد أن المدينة المقصودة هي تنس والتي تقع غرب مدينة الجزائر العاصمة وبالتالي وقع خلط بين الاسمين من قبل النساخ، واعتمد على استبعاد أن يفتح روجر جبهة أخرى على نفسه في الشرق مع الفاطميين، فضلا على أنه تربطه علاقات ودية معهم. **رشيد تومي: الحوض الغربي للبحر المتوسط في عهد روجر الثاني1101-1154م بين أطماع النورمان وضعف القوى الإسلامية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، العدد14، 2012، ص86**.

4) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص358.

أرسل الملك روجر الثاني أسطولا بقيادة فيليب المهدوي وبعد حصار شديد استولى على مدينة بونة في رجب/22 سبتمبر إلى 21أكتوبر من نفس العام548هـ/1153م فسبى أهلها، حيث أراد تحويل بونة قاعدة أمامية للتصدي للموحدين، وثبت عليها عامل من بني حماد وهو الحارث بن العزيز أخو يحي الحمادي.**رشيد تومي: الحوض الغربي، ص84-86**.

5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص291؛ **و ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص313**.

6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص215.

7) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، 447.

8) ابن خلدون: العبر، ج6، ص167-168.

9) نفسه، ج6، ص498.

إن الموقع الاستراتيجي لمدينة وميناء برشك وغناها بالخيرات جعلها محط أطماع القوى الداخلية والخارجية، حيث قام روجر الثاني[1] ملك صقلية باحتلالها سنة540هـ/1145م بواسطة الأسطول، وارتكب مجازر في أهلها وسبَوا نساءها وباعوهم في صقلية[2].

فقام عبد المؤمن بن علي بالنهوض ضد النورمان والمرابطين واحتل تلمسان، ثم ضم وهران، أين اصطدم بقوات تاشفين بن علي سنة539هـ/ 1144م[3] لكنه تغلب عليه وفتحها بعد حصار قصير[4] وحولها إلى قاعدة بحرية لأسطوله[5]، ثم قصد بجاية، مارا بمدينة الجزائر فدخلها صلحا وأمّن أهلها، ولم يشعر ابن حماد صاحب بجاية بقدوم عبد المؤمن إليه حتى وصله عامله على الجزائر، ففتحها وفر عنها يحي بن العزيز ابن حماد في البحر إلى مدينة بونة[6]، ومنها إلى قسنطينة وذلك في شهر ذي القعدة من سنة547هـ/1152م[7]، وهذا يبين وجود أسطول بحري لصاحب بجاية الحمادية" لم يستعمله ضد الموحدين نظرا لعامل المباغتة،كما يبين وجود خط بحري رابط بين بجاية وبونة.

لكن في عام548هـ/ 1153م انتزع رُجار حاكم صقلية بونة من الموحدين، ثم خرجت عن حكمه بعد وفاته، وتولى ابنه غليام من بعده، وفي سنة551هـ/1156م قبض الموحدون على عاملها الحارث وقتلوه لأنه استنجد بالنورمانديين[8].

وقام عبد المؤمن بن علي بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل بلاده، وعزم على غزو بلاد الروم في البر والبحر، حيث أنشأ في إفريقية ووهران وهنين مئة قطعة[9].

---

1) توفي روجر الأول وترك ولدين سيمون وروجر الثاني، لكن سيمون توفي عام 499هـ/1105م وغدا روجر الثاني الوريث الشرعي الوحيد للعرش، وتوليت أمه إدليد الوصاية عليه إلى سنة506هـ/1112م وعمره سبع عشر سنة، وبعد وفاة دوق أبوليا وقلورية وليم بن روجر بورصا عام521هـ/1127م دون وريث ضم روجر الثاني أملاكه إلى حوزته وتوج في يوم25ديسمبر1130م/ 525هـ ملكا على النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية .**ميكيلي أماري: المكتبة العربية الصقلية، ليبسك،1857، ص15، 27.**

2) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص334.

3) ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص21؛ **ومجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1979، ص132.**

4) عبد الواحد المراكشي:المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م، ص143؛ **وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص187.**

5) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1974م، ج1، ص454؛ **ويحي بوعزيز: وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985، ص38.**

6) روبار برونشفيك: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، نقله إلى العربية حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1988، ج1، هامش، ص33.

7) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص193، 264.

8) مجهول: الحلل الموشية، ص154؛ **والتجاني: المصدر السابق، ص348–349.**

9) ابن أبي زرع: المصدر نفسه، ص201.

وقد احتار العديد من المؤرخين في كيفية تمكن القبائل البربرية الجبلية من المصامدة البعيدة عن البحر أن تؤسس دولة قوية بحريا في فترة قياسية؟ ربما لاحتكاكهم بالأندلس البحري، أو يعود ذلك لخبرة عبد المؤمن بن علي البحرية باعتباره من الشمال"ندرومة"، ويقول أحد الباحثين أن اعتمادهم على مصامدة السهل وخبرة العناصر البرغواطية البحرية والتقاليد البحرية التي اكتسبها هؤلاء تمكن الموحدون من بناء قوتهم البحرية[1].

كما ورث الموحدون بعد سيطرتهم على الغرب الإسلامي تركة بحرية مهمة، تتمثل في وجود أسطول حربي أولي مرابطي[2]، وبنيته التحتية مهمة، والأسطول المرابطي يقدر بمائة وعشرين قطعة، فضلا عما استولى عليه عبد المؤمن من السفن الحمادية عند دخوله بجاية، وقد قدرت المصادر عدد السفن التي استعملها في حصار المهدية بسبعين سفينة"شينيا"[3].

وقد عمل الخلفاء الأربعة الأوائل على توسعة هذا الأسطول وتطويره من خلال إنشاء مراكز جديدة لبنائه والزيادة من قطعه، فقد قال ابن خلدون"لما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين أقاموا خطة هذا الأسطول على أتم ما عرف وأعظم ما عهد"[4].

وقد ذكر ابن أبي زرع كومية قبيلة عبد المؤمن المستقرة في موضع يعرف بتاجرة على ثلاثة أميال من مرسى هنين[5]، وهي إشارة إلى أن مرسى هنين كان قائما ونشطا ومقصدا من قبل قبيلة كومية سواء لاستخدامه للسفر أو للتجارة خلال الفترة الموحدية.

أما عن بجاية فقد ضمها الموحدون سنة547هـ/1152م[6] بدون أن توفر لهم ما كانت هذه الحملة تصبو إليه من استقرار وهدوء فأعاد الموحدون حملة أخرى سنة554هـ-555هـ/1159-1160م وأفضت إلى ضم كل أملاك الحماديين إليهم بل وحتى حدود إفريقية[7].

وما يبرز التوجه البحري خلال العهد الموحدي هي المواجهة المسلحة بين قطعة بحرية-سفينة-من بونة بتعاونها مع قطعة أخرى من بجاية ضد قطعتين نصرانيتين من طرطوشة وبرشلونة قرب مدينة تنس، فتمكنتا من إحراز النصر بعد قتال طويل من سنة567هـ/1171م[8].

---

1) محمد الطويل: المرجع السابق، ص232.

2) مجموع رسائل موحدية، تحقيق بروفنسال، الرسالة 5؛ **ورسائل موحدية"مجموعة جديدة" تحقيق أحمد عزاوي، ج1، الرسالة 10، 46، 50، 53؛ وعلي خلاصي: المرجع السابق، ص6.**

3) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص428.

4) المقدمة، ج2، ص31.

5) الأنيس المطرب، ص183.

6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص308؛ **وروبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص32.**

7) روبار برنشفيك: المرجع نفسه، ج1، ص32.

8)رسائل موحدية" مجموعة جديدة"، ج1، ص83.

وبقيت بجاية تحت إمرة الموحدين إلى غاية استيلاء بني غانية عليها[1] في6شعبان580هـ/12نوفمبر 1184م[2]، حيث أجبر قائدهم علي بن إسحاق أهلها على مبايعته[3] وهكذا أصبح ابن غانية يشرف على ثغرين بحريين هامين هما بجاية والجزائر وذلك لضمان خطوط مواصلات مع ميورقة وطريق الرجعة[4].

إلا أن الموحدين استرجعوها في السنة الموالية عام 581هـ/1185م[5]، حيث جهز الخليفة أبو يوسف قواته البرية والبحرية وجعل قيادة الأسطول لأبي محمد عبد الله بن إسحاق بن جامع[6]، ووضع قادة الجيش والأسطول خطة عسكرية موحدة لمحاربة بني غانية، وتنص على أن يجتمع الأسطول والجيش في تلمسان لوضع الخطة النهائية، وسار جيش الموحدين من تلمسان شرقا بمحاذاة الشاطئ والأسطول يحاذيه في البحر، وسبقت الأساطيل إلى الجزائر[7].

كما ثار أهل الجزائر على بني غانية وقبضوا على رئيسهم يحي بن طلحة وفتحوا المدينة فاستولى عليها الموحدون[8]، واجتمع بها شيوخ الجزائر وقدموا لهم الأسرى ثم تقدم الأسطول البحري إلى بجاية، مما أدى إلى ثورة سكانها كذلك على ابن غانية، فاستغل الأسطول الموحدي الفرصة واقتحم الميناء وفر يحي بن غانية وأخوه عبد الله إلى قسنطينة، وأُسر قائد الأسطول الرومي وبحارته[9].

---

1) عصام سالم سيسالم: عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص354؛ **وواعظ نورة: أثر ثورة بني غانية على دولة الموحدين، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007–2008، ص5–6.**

2) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص189؛ **وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص95؛ أما ابن خلدون** فقد حدد تاريخ ذلك ب19 صفر581 هـ/21 ماي 1185م .**العبر، ج6، ص254؛ وابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص176؛ وروبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص32.**

3) ابن أبي زرع: المصدر نفسه، ص95؛ **وابن خلدون:المصدر نفسه، ج6، ص326.**

4) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص66؛ **وعياد المبروك عمار: البحرية في عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الفاتح، كلية التربية، الجماهيرية الليبية، 1991، ص43.**

5) عبد الواحد المراكشي: المصدر نفسه، ص193؛ **وابن عذارى: المصدر نفسه (قسم الموحدين)، ص179؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص255–256.**

6) ابن عذارى: البيان(قسم الموحدين)، ص177؛ **والناصري السلاوي: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954، ج2، ص155.**

7) ابن عذارى: نفسه، ص177–178.

8) رسائل موحدية، الرسالة 29، ص176؛ **وابن عذارى: نفسه، ص177–178.**

9) رسائل موحدية، الرسالة 29، ص 178؛ **وعياد المبروك عمار: المرجع السابق، ص80.**

وتمكن ابن غانية مرة أخرى من احتلال عدة مدن، من المغرب الأوسط[1] منها مدينة بونة سنة598هـ/1202م[2] إلا أن الموحدين استرجعوها فيما بعد، وهذا يدل على المكانة التي حضت بها مدينة بونة في العهد الموحدي.

ويسمي عبد الواحد المراكشي(ت647هـ/1249م) مدينة بونة بالمدينة الصغيرة، ويشير إلى أن اسمها مشتق من اللفظة الإفرنجية"جيد"وبينها ومدينة تونس ست مراحل[3]،وذكر أنها كانت موجودة رغم أنها لم تنل حضوه كبيرة نظرا لتبعيتها لبجاية[4].

وفي سنة599هـ/1202م أعاد بنو غانية الإغارة على بجاية بقيادة يحي بن غانية، حيث بسط نفوذه عليها سنتين من الزمن إلى أن استردها الناصر الموحدي سنة601هـ/1024م ونصب عليها عبد الواحد بن حفص جد الحفصيين[5].

ومن المؤسف قلة المعلومات عن التجارة والصناعة في مدينة بجاية، ولكن من الممكن أن نفترض أن مراكز النشاط البشري والحركة، كانت موجودة في القسم المنخفض من المدينة، قرب الميناء إلا أن أحد النصوص قد أكد لنا ذلك بصريح العبارة، إذ أظهر لنا السكان وهم مزدحمون في سوق باب البحر، إلى درجة أنه يمكن بسهولة سرقة صرة الغسيل التي تحملها الغاسلة فوق رأسها، ولم تذكر لنا المصادر سوى سوقين هما سوق الصوف والقيسرية[6].

وعن وهران فقد بقيت مضطربة ولم تعرف الاستقرار إلا مع بداية القرن الخامس على إثر سيطرة المرابطين عليها الذين وسعوها؛ واتخذها تاشفين بن علي ملجأ له خلال صراعه مع الموحدين[7]، ثم سيطر عليها الموحدون

---

1) الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م، ص75-76؛ **وابن جبير: الرحلة، دار صادر، بيروت، د ت، ص277**.

2) ابن عذارى: المصدر السابق(قسم الموحدين)، ص187، ص238 ؛ **والزركشي: تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس،د ت، ص17.وابن خلدون:العبر، ج6، ص333.**

3) المعجب، ص 252.

4) نفسه، ص 144.

5) ابن الشماع: الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص49 .

6) الغبريني: المصدر نفسه، ص75-76.

7) فسمع بذلك تاشفين فسار إليها فخرج منها عمر ونزل تاشفين بظاهر وهران على البحر ف شهر رمضان سنة تسع وثلاثين فجاءت ليلة سبع وعشرين منه وهي ليلة يعظمها أهل المغرب وبظاهر وهران ربوة مطلة على البحر وبأعلاها ثنية يجتمع فيها المتعبدون وهو موضع معظم عندهم فسار إليه تاشفين في نفر يسير من أصحابه متخفيا لم يعلم به إلا النفر الذين معه وقصد التبرك بحضور ذلك الموضع مع أولئك الجماعة الصالحين فبلغ الخبر إلى عمر بن يحيى الهنتاتي فسار لوقته بجميع عسكره إلى ذلك المتعبد وأحاطوا به وملكوا الربوة فلما خاف تاشفين على نفسه أن يأخذوه ركب فرسه وحمل عليه إلى جهة البحر فسقط من جرف عال على الحجارة ورفعت جثته على خشبة وقتل كل من كان معه. **ابن الأثير :المصدر السابق، ج9، ص202.**

بعد سنة539هـ/1140م[1]، لتدخل في فترة ازدهار بحري كبير، خاصة في العهد الزياني و المريني، بفضل مساهمة الجاليات الأندلسية والأجنبية القادمة من الأندلس وأوروبا، مما جعلها محل أطماع الإسبان والبرتغال فيما بعد[2].

إن هذا التركيز الكبير للأحداث على مدينة وهران يبرز المكانة التاريخية لها في الفترة الوسيطة وأهميتها التي استقتها من موقعها البحري الاستراتيجي الرابط بين المغرب الأقصى والأوسط والأندلس؛ مما جعلها تشكل منظومة بحرية لمجموعة مسالك نشيطة لعبت دورا مركزيا في تاريخ المنطقة.

كما جعل عبد المؤمن بن علي من هنين أيام فتحه لتلمسان ووهران وأحوازها قاعدة خلفية تعطيه السند، فأسس حصنا والذي مازال منتصبا إلى اليوم كشاهد من الشواهد الحضارية بالمدينة، كما جدد ميناءها فأصبحت بذلك هنين موقعا استراتيجيا عسكريا حافظ على التجارة مع المراكز التجارية الكبرى في المغرب الإسلامي[3].

وأكد صاحب العبر ازدهار النشاط التجاري البحري في العديد من المدن الساحلية والموانئ حيث يشير إلى وجود كُتاب وشهود بمرسى القل في إطار ترجمته لمحمد بن أحمد بن علي الذي أُستعمل شاهدا بمرسى القل أيام رئاسة الحاجب ابن أبي غمر وذلك أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[4].

ويذكر ابن خلدون جهازاً إدارياً بمدينة القل يسميه"ديوان القل"حيث كانت المدينة تابعة لعمالة قسنطينة وعاملها هو ابن أوقيان من مشيخة الموحدين لعهد الأمير أبي زكريا الأوسط، فولى أبا بكر بن غمر السلمي على الديوان بالقل واستخلصه لنفسه[5]،

كما ازدهرت تدلس في العهد الموحدي بدءً من عام 546هـ/1151-1152م لكنها تعرضت للتخريب من قبل يحي بن إسحاق ابن غانية[7]، ثم دخلت في أحد محاور الصراع المريني الحفصي الزياني، لتنضم في الأخير لعمالة بجاية تحت الراية الحفصية سنة776هـ/جانفي1375م[8].

وتطرق صاحب كتاب مفاخر البربر إلى بناء مدينة الجزائر بدون نسبة الطبونيم إلى القبيلة من طرف ملوك صنهاجة"فمن مشاهير ملوك صنهاجة زيري بن مناد، مَلَك هو وبنوه مائتي سنة متصلة وهم الذين بنوا بجاية والجزائر

1) النويري: المصدر السابق، ج24، ص161.

2) إسماعيل سرهنك: المصدر السابق، ص356؛ و **عبد الحكيم العفيفي**: **موسوعة 1000مدينة إسلامية، أوراق شرقية، بيروت، لبنان، 2000، ص516**.

3) جواد خالدي:المرجع السابق، ص20.

4) ابن خلدون: العبر، ج7، ص347.

5) نفسه، ج6، ص464.

7) ابن خلدون: العبر، ج6، ص380.

8) روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص223.

ومليانة والقلعة المنسوبة إليهم"[1]و ذكر ابن الخطيب الغرناطي(ت 776هـ/1375م) مدينة الجزائر في معرض حديثه عن ابن صمادح و ابن عباد أنه أوصى ولده معز الدولة أن يتمسك بقصبة ألمرية أو يعبر إلى جزائر بني مزغنة[2] مما يؤكد وجود خط بحري بين الجهتين.

ونفس الشيء نجده عند عبد الرحمن بن خلدون عندما كتب يقول:"ثم اختط ابنه بلكين بأمره وعلى عهده مدينة الجزائر المنسوبة لبني مزغنة بساحل البحر ومدينة مليانة بالعدوة الشرقية من شلف ومدينة لمدية وهم بطن من بطون صنهاجة وهذه المدن لهذا العهد من أعظم مدن المغرب الأوسط"[3].

ويذكر ابن أبي زرع أن الخليفة الموحدي الناصر أراد القضاء على خطر بني غانية نهائيا فتحرك من مدينة فاس قاصدا افريقية؛ فوصل إلى جزائر بني مزغنة وأخذ في تجهيز الأساطيل و العسكر لقتال مدينة ميورقة حتى فتحها وانتزعها من أيدي المرابطين[4]. وتؤكد لنا هذه الرواية وجود أرضية بحرية في جزائر بني مزغنة من مراس وخشب وإمكانيات تساعد في تجهيز الأساطيل، بل حتى دار للصناعة رغم عدم ذكرها من قبل المصادر، كما تبين لنا وجود خط بحري بين جزائر بني مزغنة وميورقة.

ومع ظهور الدعوة العبد الوادية تحدث ابن خلدون عن فتح ايغمراسن لعدة مدن ساحلية منها تلمسان وعدة حصون ومدن أخرى بقوله:"فأخذ مازونة في جمادى الآخرة من سنة تسع وتسعين وستمائة وتنس في شعبان بعده، وتالموت والقصبات وتامزردكت"[5].

كما ازدهرت أرشقول مع الزيانيين الذين أعادوا تهيئتها وجعلوها إحدى حواضرهم الهامة قبل أن يأتي المرينيون وخربوها كما هي عليه الآن–فترة مارمول–وسمحت لتلمسان بالازدهار على حسابها[6].

ثم تواصل التعمير بهنين بدء من القرن الخامس الهجري رغم الصراعات السياسية التي مثلت إحدى مناطقه كونها منطقة حدودية بين عدة قوى متصارعة كالزيانيين والمرينيين، ففي سنة697هـ/1298م قام السلطان"يعقوب

1) مجهول: مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، المغرب، ط1، 2005، ص144.

2) كتاب تاريخ اسبانيا الإسلامية أو إعمال الأعلام فيمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام، تحقيق بروفنسال، دار المكشوف بيروت، 1956، ص191.

3) العبر، ج6، ص204.

4) الأنيس، ص232.

5) العبر، ج7، ص292، ويبدو أن القصبات مدينة داخلية بين مازونة وتنس.

6) نفسه، ج7، ص156.

1348م)[1]، لكن هذا الأمر لم يؤثر على تعمير مدينة هنين التي تواصل التعمير بها بتشييد جامعها[2]،

لقد قامت الدولة المرينية بحصار تلمسان لمدة ثماني سنوات من698-706هـ/1298-1306م، واحتلوا خلالها شرشال وهنين ووهران، بحلول سنة702هـ/1302م[4]، وقد أثر هذا الحصار على النشاط التجاري، لكنه لم ينقطع نهائيا إذ استمرت سواحل المغرب الأوسط تجذب التجار القطلانيين، خاصة من ميورقة التي كانت البواخر تغادرها بانتظام سنة703هـ/1304م إلى الموانئ الشرقية للدولة العبد الوادية، مثل تنس وشرشال والجزائر

بذلك استطاع المرينيون ضم العديد من المدن الساحلية وعلى رأسها وهران وميناء المرسى الكبير سنة699هـ/1299م[7]، وحاولوا من خلالها صناعة السفن والاتجار مع المدن الايطالية، و يورد ابن خلدون نصا بذلك فيقول:"كان بها القائد عبد الله بن سعيد بن جانا من صنائع بني مرين، وقد ضبطها وثقفها وملأها أقواتا ورجالا وسلاحا، ومرساها أساطيل"[8]، واستمرت وهران قاعدة للمرينيين في عهد أبي عنان، حيث استخدمها كقاعدة بحرية لحملاته صوب المغرب الأوسط والأدنى، وذلك لقربها من هذه الأماكن[9].

وبعد فك الحصار المريني الطويل هاجم بنو عبد الواد المناطق الساحلية الحفصية الواقعة في شرق مملكتهم بالمغرب الأوسط، حيث احتلوا تدلس والجزائر سنة712هـ/1312م[10]، وحاصروا بجاية سنة714هـ/1313م لكن الحصار فشل بسبب استنجاد الحفصيين بالأراغونيين[11].

---

1) البكري: المصدر السابق، ص78.

2) محمد ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص403.

4) محمد بن عبد الله التنسي: تاريخ بني زيان ملوك بني تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود آغا بوعياد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص130.

7) ابن أبي زرع:المصدر السابق، ص386، 410.

8) العبر، ج7، ص156.

9) سالم أبو القاسم محمد غومة: تاريخ المغرب وحضارته، دراسة للجيش والأسطول والمنشآت في الدولة المرينية 668-869هـ/1269-1465م، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2014، ص160-161.

10) الزركشي: المصدر السابق، ص61-62.

11) للمزيد عن الدعم الاراغوني والميورقي ضد حصار الزيانيين لبجاية الحفصية لاحظ رسالة الاستنجاد عند **أحمد عزاوي: الغرب الإسلامي، خلال القرنين7-8هـ، دراسة تحليلية لرسائله، الرباط نت، ج2، 2007، ص284.**

وكذلك قام الزيانيون سنة730ه/1330م، مرة أخرى بمحاولة احتلال بجاية الحفصية وتونس، بمساعدة من الاراغونيين أنفسهم(1).

ثم سقطت تلمسان مرة ثانية في يد السلطان المريني أبو الحسن، لكن هزيمته في سنة749هـ/1348م قرب وادي يسر ساهم في استرجاع الزيانيين لمدنهم كوهران وتنس وتلمسان بين سنتي750-751هـ/1349-1350م(2).

وعادت تلمسان لتسقط في أيدي الجيش المريني بعد الانهزام في آسلن في11جمادى الأولى عام 753هـ/يونيو سنة 1352م، على يد السلطان أبي عنان، حيث احتل أغلب المدن الساحلية للمغرب الأوسط كبجاية وتنس، لتبقى في يده لمدة سبع سنين أخرى إلى غاية انتزاعها عام760ه/1359م(3).

و استطاع أبو حمو موسى الثاني سنة760هـ/1359م استرجاع تلمسان ووهران والجزائر وتدلس(4)، وأنهى هذا الصراع مع المرينيين من خلال سيطرته على المغرب الأوسط(5).

و يذكرها ابن خلدون بقوله" قرر السلطان المريني أبو الحسن بعد هزيمة القيروان الرحلة إلى المغرب وركب السفن من تونس أيام الفطر من سنة750ه/1350م فعصفت به الريح وأدركه الغرق؛ فغرق أسطوله على سواحل بجاية؛ ونجا بدمائه إلى بعض الجزر هنالك، حتى لحقه أسطول من أساطيله، فنجا فيه إلى الجزائر وبها حمو بن يحيى بن العسري قائده"(6)، وهذه الواقعة تبين لنا وجود خط بحري رابط بين مدن بلاد المغرب منطلقا من تونس نحو بجاية ومنها نحو الجزائر ومنه إلى سبتة، كما تبين لنا توفر الجزر في خليج بجاية الذي كان مهيئا لاستقبال السفن.

وقد أشارت المصادر إلى حصن زفون"أصفون" خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ونسب صاحب العبر تشييده إلى بني عبد الواد، وذلك في إطار الحملة التي قادها أبو حمو موسى بن عثمان بن يغمراسن على بجاية للاستيلاء عليها(7)، لكنه لا يحدد تاريخ إنشائه بل وثقه برنشفيك بسنة729-730ه/1329م(8).

ثم اصطدمت مدينة الجزائر بالمشروع التوسعي الحفصي الهادف إلى المحافظة على الفضاء السياسي الموحدي المنهار، حيث أرسل المستنصر بالله الحفصي(647-675هـ/1249-1277م) حملة سنة669هـ/1271م

1) أنظر أحمد عزاوي: الغرب الإسلامي، ج2، ص345، الرسالة 244.

2) محمد بن عبد الله التنسي: المصدر السابق، ص149-151، 153.

3) مؤلف مجهول: زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق بوزيان الدراجي، مؤسسة بوزيان للنشر والتوزيع، ج2، ص19؛ **و يحي بن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، مطبعة الأخوين الشرفاء، 2010، ج2، ص161.**

4) ابن الأحمر: تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، ط1، 2001، ص34.

5) يحي بن خلدون: المصدر نفسه، ج2، ص61.

6) ابن خلدون: العبر، ج7، ص158.**أحمد عزاوي: مقالات تاريخية عن الغرب الإسلامي، وثائق وعلاقات، منشورات الرباط نت، ط1، 2015، ص172.**

7) ابن خلدون: العبر، ج7، ص138.

8) إفريقيا في العهد الحفصي، ج1، ص316.

انطلاقا من مدينة تونس إلا أنها باءت بالفشل، ثم أرسل حملة ثانية انطلقت من مدينة بجاية سنة671هـ/1272م لكنها فشلت كذلك، فوجه حملة ثالثة سنة674هـ/1275م تمكنت من اقتحام المدينة واحتلالها[1].

و قام السلطان المريني"أبو الحسن علي بن عثمان(731-749هـ/1331-1351م) بالإغارة على بجاية، حيث انطلق من ميناء تونس في طريق عودته للمغرب الأقصى سنة749هـ/1349م ودخل مرسى بجاية، بحثا عن الماء له ولسفنه لكنه منع من النزول مع هبوب رياح عاصفة أدت إلى خراب أسطوله وانهزامه[2].

ثم استطاع ابن علان[3]، أحد أعيان مدينة الجزائر من تولي أمرها لمدة أربع عشرة سنة قبل أن يزاح من طرف الأمير الزياني أبي حمو الثاني في إطار توسيع ممتلكاته الشرقية.

وكانت أهم محاولة للاستقرار الزياني بمدينة الجزائر تلك التي قادها الأمير الزياني المتمرد أبو زيان محمد الذي أعلن استقلاله بها عام841هـ/1438م لتصبح عاصمة فضاء يضم سهول متيجة والمدية ومليانة وتنس، لكن هذه المحاولة فشلت بعد ثورة أعيان المدينة عليه وقتله[4].

وتزودنا المصادر التاريخية عن محاولة السيطرة على ميناء برشك، فقد كان المنفذ البحري الذي التجأ إليه الأمير المغراوي"ثابت بن منديل"المستقر في مدينة تنس سنة683هـ/1284م إذ قام عثمان بن يغمراسن(681-703هـ/1282-1303م) السلطان الزياني بمحاصرته بها سنة 684هـ/1285م ثم أعاد المحاولة سنة693هـ/1293م حيث نجح بعد حصار دام أربعين يوما، وانتهى الأمر بفرار ثابت بن منديل إلى يوسف بن يعقوب سلطان المغرب الأقصى عن طريق البحر من ميناء برشك[5].

وعند قيام السلطان المريني أبي الحسن بغزوه تلمسان استولى على المدن الساحلية التابعة لها كوهران والمرسى الكبير وهنين سنة736هـ/1355م، ويورد لنا ابن مرزوق نصا يتكلم فيه عن أهمية مدينة هنين وأهم المرافق التي بناها السلطان بها بعد ضمها إليه ومنها الجامع[6].

وأشار ابن أبي زرع لحصار تلمسان الزيانية وضم أحوازها من قبل يوسف بن يعقوب المريني سنة 698هـ/1298م ومن بين الحصون والمدن والمراسي التي احتلها هنين وندرومة ووهران وتاونت[1] ومزغران ومستغانم

---

1)ابن خلدون: العبر، ج6، ص431؛ **وروبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص99**.

2) ابن خلدون: العبر، ج7، ص376-377.

3) وكان الأمير أبو زكريا قد انتقض عليه أهل الجزائر بعد مهلك عامله عليها من الموحدين من بني الكمازير، وانبر بها بعده محمد بن علاّن من مشيختها. **ابن خلدون:العبر، ج6، ص458**.

4) ابن خلدون: العبر ، ج6، ص477.

5) نفسه، ج7، ص89-91؛ **ويحي ابن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص119**.

6) محمد بن مرزوق التلمساني: المسند، ص404.

وتنس وشرشال وبرشك والبطحاء ومازونة وونشريس ومليانة والقصبات والمدية وتازجدت[2]، وهو بذلك يخبرنا عن المراكز الساحلية الغربية ذات الأهمية الإستراتيجية، كما يقدم لنا معلومات عن بعض المدن الحديثة في تلك الفترة كالقصبات وتازجدت.

وتفرد ابن خلدون بذكر مرسى يقع قبالة بطوية"أرزيو" أطلق عليه"مرسى غساسة"[3]

إن الجيش البحري الحفصي قام بدور كبير في السياسة المغربية وفي الأحداث التي شهدها البحر الأبيض المتوسط، ذلك أن شكل سواحل شمال إفريقية وموقعها الجغرافي؛ قد كانا ملائمين مبدئيا لظهور واستعمال أسطول حربي بحري، وقد كانت أهم الموانئ مثل تونس وبالخصوص بجاية- القريبة من غابات منطقة القبائل- مجهزة بترسانات لصنع السفن وبدور صناعة، وكان" قائد البحر" أو "قائد الأسطول" أو صاحب البحر" يعتبر شخصا ذا أهمية[5].

أما مراكز الأسطول الحفصي في المغرب الأوسط، فكانت عديدة وذات أهمية كبيرة منها: عنابة"بونة" وبجاية، وله عدة قطع تختلف أسماؤها باختلاف أشكالها و أحجامها، من هذه القطع قطع تسمى بالحراريق يركبها الشجعان من الرماة والرؤساء المهرة[6].

ويبدو أن لموقع بلاد المغرب الأوسط على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط وباعتبارها أقرب المناطق إلى المدن المتوسطية التجارية، الدور الكبير في توثيق العلاقات التجارية بينها وبين الجمهوريات الايطالية فضلا عن وجودها في طريق الذهب من إفريقيا، فبادروا بعقد معاهدات تجارية مع حكام بلاد المغرب[7].

---

1) **تاونت** اسم حصن بقمة الجبل المطل على مرسى الغزوات، وهنين يقع في الشرق منه. **ابن أبي زرع**: **المصدر السابق، الهامش200، ص410** (**لاحظ الشرح في الفصل الأول**)

2) الأنيس، ص386.

3) العبر، ج6، ص152.

وغساسة هي قبيلة بربرية وهي إحدى بطون نفزاوة .**ابن خلدون**: **العبر، ج6، ص150**.

5) روبار بونشفيك: المرجع السابق،ج2، ص94.

6) صالح محمد فياض أبو دياك: المرجع السابق، ص245.

7) إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المسيحية بالمغرب أيام الموحدين، مجلة الاجتهاد، العدد 28، السنة السابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة، بيروت، 1995، ص80.

ولما كانت دولة بني حفص تضم أهم المراكز التجارية في شمال إفريقيا فقد تسابقت الجمهوريات الايطالية لتجديد الاتفاقيات التجارية السابقة مع السلطان الحفصي أبي زكريا، الذي بادر من جهته بتوسيع الضمانات الممنوحة للتجار وسعى لتنمية العلاقات التجارية مع تلك القوى البحرية، ورأى أن ذلك عامل قوة ومصلحة لدولته[1].

ففي العهد الحفصي شهدت التجارة الخارجية لشرق المغرب الأوسط تطورا ملحوظا، فازدهرت التجارة الأوروبية معها وأصبحت الدول النصرانية تخاطب في مراسلاتها ولاة تونس وطرابلس وبجاية بشكل مباشر بعد أن كان ذلك يتم عن طريق مراكش عاصمة الموحدين.

لم يقل اهتمام الدولة الحفصية عن اهتمام الدولة الموحدية بالأسطول، حيث استخدم الأمراء الحفصيون فرقا بحرية خاصة في أسطولهم الحربي تستدعى حين اللزوم، وكان للأسطول عدة مراكز في المغرب الأدنى والمغرب الأوسط، منها: مركز عنابة، وبجاية، وغيرهما من المراكز[2].

كما قاموا بتخصيص وزارة خاصة به سميت"ديوان البحر" امتازت بكثرة ريعها، فعينوا لها وزيرا خاصا بها سمي بوزير البحر، ومن هؤلاء الوزراء ابن تافراجين، الذي جمع مالا وفيرا من جباية السفن[3].

أما الأسطول التجاري فلم يقل أهمية عن الأسطول الحربي بسبب موانئه المفتوحة مع أوروبا مثل بجاية وعنابة، وغيرها من الموانئ الأخرى التي كان لها الأثر الكبير في ازدهار الاقتصاد في الدولة[4].

كما يتميز ميناء بجاية بحصانته الطبيعية وقدرته على استقبال عدد كبير من السفن على اختلاف أحجامها، بالإضافة إلى وجود الوادي الكبير[5]، على مقربة من المدينة مما ساهم في حماية السفن[6].

ونظرا لوقوع بجاية على مقربة من جنوب أوروبا فقد اشتهرت بحركة تجارية واسعة، سواء الداخلية أو الخارجية بالمدن المحيطة بها، نظرا لموقعها المتوسط للحوض الغربي للبحر المتوسط ولذلك مهما كان الاتجاه داخل الحوض الغربي للبحر المتوسط، فإن الرحلات من ميناء بجاية لم تكن طويلة بحكم موقعها المتوسط فقد كانت الرحلتان بين

---

1) سالفاتوري بونو: المرجع السابق، ص321.

2) صالح بعيزيق: بجاية في العهد الحفصي، دراسة اجتماعية واقتصادية، تونس منشورات كلية الآداب، جامعة تونس، 2006، ص283.

3) الزركشي: المصدر السابق، ص93.

4) دائرة المعارف الإسلامية مادة ديوان.

5) يسميه صاحب تاج المفرق في تحلية علماء المشرق بالبحر العباب. **البلوي: تحقيق الحسن السائح، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس، 1970، ص159.**

6) مارمول: إفريقيا، ترجمة محمد حجي وآخروين، دار نشر المعرفة، والمعارف الجديدة، الرباط، 1989، ج2، ص376-377؛ **وعاشور أبو شامة: علاقة الدولة الحفصية مع بلاد المغرب والأندلس، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، 1991، ص322.**

بجاية والأندلس وبين بجاية وصقلية متساويتين، إذ قال ابن سعيد عن المسافة بين بجاية والأندلس"وعرض البحر عند بجاية إلى جهة طرطوشة من الأندلس ثلاثة مجاز"(1).

ويبدو أن تلك العوامل مهدت لظهور واستعمال أسطول بحري في أهم الموانئ الحفصية خاصة بجاية، لأنها قريبة من منطقة القبائل والتي جهزت بترسانة لصنع السفن وبدور صناعة واستطاعت إنتاج السفن منذ عصر بني حماد(2).

وقد أشار ابن خلدون إلى الأسطول البجائي قائلا:"يصنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال الرجال، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزائرهم على حين غفلة"(3).

بذلك اشتهرت قيمة ميناء بجاية التجارية خاصة في العهد الحفصي لأنها كانت ثاني أكبر مدينة حفصية بعد تونس(4)، كما وجدت ببجاية عدة أسواق ارتبطت بالميناء الذي شكّل حركة تجارية نشطة، منها سوق قيسارية الذي احتوى تجارة القماش والبضائع الثمينة مثل الحرير(5)، وسوق الصوافين(6)، وسوق الأسرى بحومة المذبح وخاصة أسرى القرصنة(7).

وفي ذات السياق يشير ابن خلدون إلى دعم التجار الأغنياء في بجاية لابن سيد الناس الحاجب فيقول:"واستقرض من تجار بجاية مالا أنفقه في إقامة أبهة الملك له وجمع الرجال واصطنع الأولياء"(8). وذلك تمهيدا لانفصال المدينة عن تونس الحفصية، وكل ذلك يدل على ثراء وغنى تجار بجاية نتيجة مختلف المعاملات التجارية خاصة البحرية منها.

ومن نتائج الصراع المريني الحفصي الزياني إضعاف هذه الكيانات وتخريب العديد من المدن الساحلية؛ مع العلم أنه كان صراعاً سياسياً تجارياً فقط ولم يكن صراعاً مذهبياً، وكان يهدف بنو مرين في الكثير من المرات عند محاصرتهم لتلمسان ضرب المناطق الحيوية ومنافذ التجارة الخارجية مع أوروبا من أجل إضعاف الاقتصاد، واستعمل

---

1) كتاب بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط، معهد مولاي الحسن، الرباط، 1958، ص76.

2) برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص94.

3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص578.

4) مريم محمد عبد الله جبودة: التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدى والحفصى(555 هـ/1160– 1572 م)، 2008، ص92.

5) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص140.

6) برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص416.

7) صالح بعيزيق: المرجع نفسه، ص140

8) العبر، ج6، ص449.

وقد بلغت أعمال التوسيع والتهيئة بمدينة الجزائر من الأهمية بحيث أطلق عليها يحي بن خلدون بلد الجزائر(2)، وهذا ما جعلها محط الأطماع حيث استغل المرينيون ضعف الزيانيين والصراع القائم بين الأسرة الحاكمة فتدخلوا في تلمسان وحاولوا احتلالها عدة مرات، حيث حاصروها سنوات عديدة في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي وأوائل القرن الرابع عشر الميلادي، ولكنهم لم يتمكنوا من السيطرة عليها، وتدخلوا فيها من جديد سنة738هـ/1337 م واستولوا عليها وظلوا مسيطرين عليها مدة إحدى عشرة سنة حتى عام749هـ/1348م.

ثم غزوها سنة773هـ/1352م إلى أن تمكن الأمير الزياني أبو حمو الثاني من استعادتها سنة761هـ/1359م، وفي عهده استولى المرينيون على تلمسان مجددا سنة762هـ/1360م، ثم غادروها ليعيدوا غزوها سنة774هـ/1372م، حيث بقيت تلمسان تابعة لهم حتى سنة776هـ/1374م، لكن نفوذهم فيها لم ينته إلا سنة835هـ/1431م، وبعدها دخلت الدولة الزيانية مرحلة الانحطاط حتى أصبحت لقمة سائغة في يد الإسبان والبرتغاليين(3).

وفي النصف الأول من القرن الرابع عشر؛ في عهد أبي بكر الحفصي توجهت عمارة بحرية متكونة من ست عشرة سفينة وفرتها أهم موانئ إفريقية، تحت إشراف قائد البحر ببجاية، لمساعدة المرينيين في كفاحهم ضد النصارى الاسبانيين(4).

وخلال سنة800هـ/1398م كانت مدينة تدلس تابعة للدولة الزيانية، ولا نعلم متى سيطروا عليها بالضبط، كما تعرضت تدلس في نفس هذه السنة إلى هجوم صليبي في12 ذي الحجة800هـ/27أوت1398م، شاركت فيه سبعون سفينة بقيادة بلنسية الاسبانية، مما أدى إلى احتلالها وتخريبها، وقتل ما يقارب الثلاثمائة فرد أثناء الدخول إليها، وخمسين فردا أثناء الانسحاب(5).

---

2) يحي ابن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص161.

3) محمد دادة: تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن16م، مجلة عصور الجديدة، العدد2، 2011، ص193-194.

4) روبار بونشفيك: المرجع السابق،ج2، ص95.

5) نفسه، ج1، ص252.

ويبدو أن هذه الأحداث قد أثرت على النشاط البحري التجاري للمدينة التي لم تستعد نشاطها إلا مع نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي وهو ما تبينه الوثائق التجارية بين الكتالونيين وعمال مدينة تدلس، بالإضافة إلى اتساع المدينة والميناء واحتوائه على عدة مرافق ومؤسسات ضمن المنظومة البحرية للمدينة وعلى رأسها فندق للكتالونيين تم تشييده في نفس القرن(1).

ويذكر ابن خلدون المعاصر للأحداث ما يشير إلى استقلال أحد حوضي البحر المتوسط عن الآخر، أي الشرقي عن الغربي فقال:"وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه، من سواحل الفرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية، لا يعدونها، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا، واختلفت في طرقه سلما وحربا، فلم تسبح للنصرانية فيه ألواح"(2).

أما سكان هنين قبل نزوحهم عن المدينة إثر احتلال الإسبان لمدينة وهران فكانوا"يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات"(3)، ويذكر الوزان دائما عن ميناء هنين"تأتي إلى هذا الميناء ينويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا طائلة مع تجار تلمسان...ولما احتل المسيحيون وهران سنة915هـ/1509م لم يعد البنادقة يقصدونها فطلب منهم أهل تلمسان أن يأتوا إلى هنين..."(4).

كما تبين لنا كل هذه الأحداث الانقسام الحاصل في بلاد المغرب ما بعد الموحدين والتناحر والاستعانة بالأجنبي والمسيحي ضد أخيه المسلم مما ساهم في ضعف هذه الدول وأصبحت مدنها الساحلية لقمة سائغة في أيدي النصارى والاوروبيين بل حتى فيما بين الإخوة الأعداء(**أنظر الملحق رقم 02**)

---

1) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص312.

2) المقدمة، ج2، ص30؛ و **عمر فروخ:العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1981، ص8-9**.

3) ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص15.

4) وصف افريقيا، ج2، ص15-16.

2)الموانئ والطرق التجارية والبحرية عند الزهري والإدريسي:

كرّس اغلب الرحالة الاهتمام بالمسالك والمسافات بين المدن والطرق المؤدية إلى طريق الحج، وذكر الأقاليم ووصف المدن أمثال الزُهري والشريف الإدريسي، وصاحب الاستبصار، وبذلك ساهموا في تقديم تعاريف عن الطرق ومقدار المسافات، والمناطق الخطيرة والجذابة وكذا مناطق تركز قطاع الطرق وغيرها.

والمدن الساحلية بما تضمه من مراس وموانئ ونشاطات كان لها نصيب من الذكر والإشادة من أغلب الرحالة والجغرافيين، باعتبار المغرب الأوسط يحتل موقعا ممتازا ضمن جغرافية بلاد المغرب ويتوسطها، بل حتى يتداخل معها في الحدود غير الموجودة في تلك الفترة؛ مما جعله محط ذكر لكل الرحالة والجغرافيين، مبرزين ظهور وبروز المدن الساحلية واختفاء البعض منها ونشاط البعض وازدهارها أو خراب بعضها، كما تبرز تغير اسمها وتطورها وأهم الأحداث التاريخية التي جرت فيها.

ومن هؤلاء الجغرافيين نجد **الزهري**(**كان حيا سنة541هـ/1154م**)[1]، بكتابه الجغرافية والذي يحمل الكثير من المعلومات الشعبية التي لا تستند إلى أساس علمي، بل اهتمت بما يبحث عنه أهل الأسواق من زروع وحاصلات وسلع تجارية كل ذلك ممزوج مع شيء من العجائب؛ إلا أنه يجب أن نذكر المدن الساحلية الخاصة بالمغرب الأوسط التي أشار إليها، مع محاولته لتقسيم البحار وامتداداتها؛ خاصة ما تعلق بالبحر الأبيض المتوسط"البحر الشامي".

واعتبر الزهري شرق المغرب الأوسط كله تابعا لصقع إفريقية، الممتد حسب كلامه من جبال برقة إلى جبال الونشريس، وفيه من المدائن والمراسي على ساحل البحر بدء من ساحل لبدة وصولا إلى **بونة وبجاية وجزائر بني مزغنة**، أما على البر فقد ذكر مدينة مليانة وزواوة التي اعتبرها مدينة كذلك وقسنطينة وقلعة بني حماد ومدينة برشك[2]، وآخر عمل القيروان وفي الجنوب مدينة وارقلان[3].

---

1) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري الغرناطي جغرافي مسلم عاش في القرن العاشر الموافق لنصف الأول من القرن السادس الهجري وكان معاصرًا للإدريسي، وسمي بالزهري نسبة إلى قبيلة بني زُهرة بن كلاب التي كانت تخيم حول مكة المكرمة ، وهو من فرعها الأندلسي اشتهر بكتابه كتاب الجغرافية، كان الزهري يستعين بمخطوطات جغرافيي الخليفة المأمون في بغداد توفي الزهري ما بين549-557هـ/1154 و 1161. **كراتشكوفسكي:المرجع السابق، ص279؛ ومقدمة المحقق، ص و.**

2) الزُهري: المصدر السابق، ص107؛ **وعصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص354.**

3) الزُهري: المصدر نفسه، ص112.

1م)



خريطة المدن في المغرب الأوسط حسب الزهري و كتابه الجغرافية

ونؤكد هنا استمرار المدن الداخلية"مدن الهضاب"في أداء الدور المنوط بها خلال القرن الخامس والسادس الهجريين، لتمثل محور ربط ومفاصل هامة بين مدن الساحل ومدن الصحراء، الأمر الذي انعكس سلبا على الطرق الساحلية حيث لم تسمح لها بالازدهار المطرد في المراحل الأولى[1].

ويتضح جليا أنه لم يزر بلاد المغرب بل بقي متنقلا في الأندلس، حيث نجد أغلب مقولاته مثل: شاهدتُ، رأيتُ، زرتُ، وجدتُ، سألتُ، كلها متعلقة بالمدن الأندلسية التي خصها بالتفصيل، مقابل شح رهيب اتجاه المدن المغربية، لهذا جاءت معلوماته عامة ومبهمة، عن ساحل المغرب الأوسط ومدنه.

وعموما نستشف من كلامه السابق أن المدن الساحلية المشهورة في جهة الشرق هي ثلاث بونة وبجاية وجزائر بني مزغنة، مما يؤكد استمرار شأنها في العلو خلال الفترة الموحدية، وما نستغرب له أنه لم يخصص ولا فقرة لمدينة بجاية رغم أنها كانت في هذه الفترة ولاية موحدية كبيرة، وكانت كذلك في العهد الحمادي، وهو عاش في ظل الدولة الموحدية.

وعن مدينة جزائر بني مزغنة في أواخر الدولة الموحدية أي بعد زوال نفوذ بني غانية[2] على المغرب الأوسط– حيث ساهم في تخريبها سنة580هـ/1184م، وولى عليها ابن أخيه طلحة بني غانية[3]–أخذت مدينة الجزائر تنحدر نحو التقهقر إذ زارها في هذه الفترة عبد الواحد المراكشي، الذي ذكر عنها بعض السطور في كتابه المعجب بقوله:"من مدينة بجاية إلى مدينة صغيرة، تدعى الجزائر، وتنسب إلى قوم يقال لهم بنو مزغنة"[4]، أما عن الصقع الثاني عند الزهري وهو المغرب الأقصى فاعتبر أول مدنه **مدينة تنس،** ثم مدينة **وهران، وتلمسان،** ومدينة **هنين،** ليصل إلى مدينة مليلية وغيرها، أما عن مدنه البرية المهمة مدينة تاهرت[5]، وهنا أيضا يتضح جليا استمرار المدن

---

1) الناصر سعيدوني: المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ودورها الحضاري أثناء الفترة الإسلامي، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية" دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي، تونس، 1987، ص261.

2) ينتسب بنو غانية إلى أمهم غانية، وكان المرابطون ينسبون أبنائهم إلى أمهاتهم بسبب تعدد الزوجات تميزا لهم داخل البيت الواحد، وهناك من يرى أنه متى كانت الأم ذات خصال شريفة ومكانة سامية بين القوم نسب الأولاد لها تشريفا لهم، وهذا كله يدل على المكانة التي تحتلها المرأة في المجتمع التارقي، ويرى بعض المؤرخين أن أصل أمهم يعود إلى مملكة غانة لذا عرفوا بهذا الاسم، ويحتمل أن يكون اسما بربريا، وبنو غانية ينتمون إلى قبيلة مسوفة البربرية، وكانت مضاربها تمتد في الصحراء بين سجلماسة في الشمال وأودغشت في الجنوب أي ما يعرف الآن بالصحراء الغربية وموريطانيا، وكانوا معدودين بطن من بطون صنهاجة.**مراجع عقيلة الغناي:سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس، بن غازي، ليبيا، 1988، ص167–183؛ وواعظ نورة: أثر ثورة بني غانية على دولة الموحدين، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007–2008، ص5–6.**

3)ابن عذارى: المصدر السابق (قسم الموحدين)، ص176؛ **وابن خلدون:العبر، ج6، ص326.**

4) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص203.

5) الزُهري: المصدر السابق، ص113.

التي بناها الأندلسيون وهي تنس ووهران، وبداية بروز ميناء هنين في هذه الفترة، أي أن هنين غابت طيلة القرون الأربعة الأولى للفتح الإسلامي(1).

والمدينة الوحيدة التي خصص لها الزهري بضع أسطر للحديث عنها وكان كله عن المزروعات والحرف والمأكولات، هي مدينة تلمسان، حيث قال عنها"...وهي مدينة عظيمة، فيها عيون كثيرة ومياه غزيرة وهي كثيرة الزروع والضروع، ولها أعمال كثيرة، وهي دار مملكة يُعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف والسفاسير و الحنابل المكلكلة وغيرها..."(2)، وما نلاحظه عدم إشارته لا من قريب ولا من بعيد للأنشطة البحرية كالصيد أو التجارة أو حتى القرصنة.

ثم ينتقل صاحب كتاب الجغرافية إلى ذكر البحار وتشعباتها(3)، حيث ذكر البحر الثاني من البحار الأربعة وهو المعترض بين بلاد الأندلس وبلاد البربر المسمى بالبحر الرومي"الشامي"وما فيه من جزر.

فيقول عنه:"اعلم أن هذا البحر مخرجه من ناحية المغرب ويأخذ إلى ناحية المشرق حتى ينتهي إلى بلاد الشام بموضع يسمى بالسويرة بمقربة من جزيرة حلب بعشرين فرسخا(4) فينقطع هناك وطول هذا البحر من مخرجه إلى هذا الموضع ألف فرسخ، وليس في معمور الأرض أكثر عمارة من هذا البحر"(5).

ثم ينتقل للحديث عن أبعاده الأخرى حيث يذكر أن عرضه ما بين وهران وألمرية خمسون فرسخا، وعرضه ما بين دانية وبجاية مائة فرسخ، وعرضه بين المجرا وبرشك مائة وخمسون فرسخا(6)، أما المسافة من ساحل البحر إلى وارقلان فهي خمسة وثلاثون يوما أي ثلاثمائة وخمسون فرسخا(7).

---

1) Christophe Picard ; L'Océan, op, cit, p. 161.

2) الزُهري: المصدر نفسه، ص113.

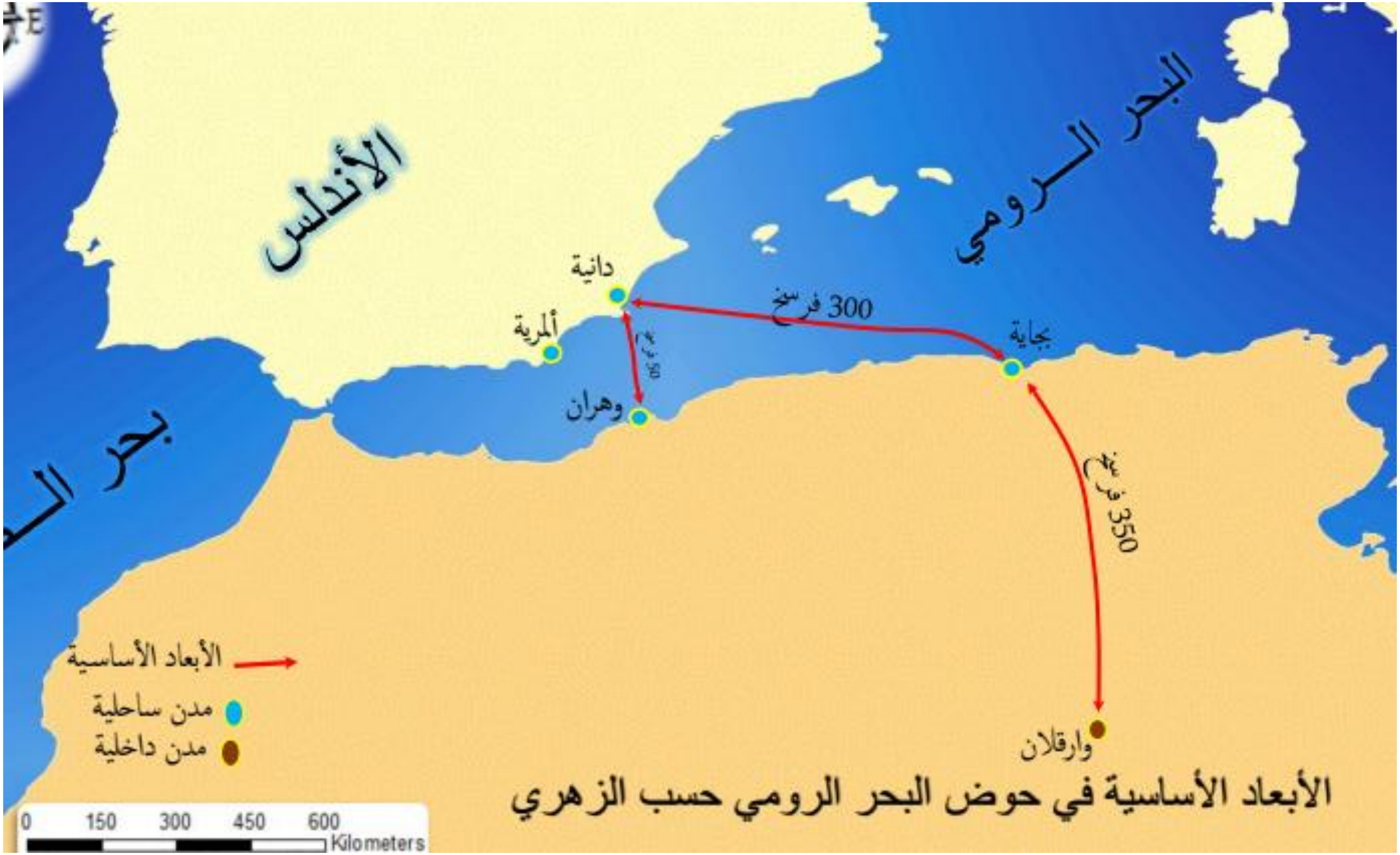
3) يقسم البحار إلى أربعة بحار متشعبة هي بحر جزائر الصين، ثم البحر الشامي الرومي، والثالث هو بحر القطب الشمالي، والرابع هو بحر الديلم جهة الصقالبة. **الزُهري: المصدر نفسه، ص3، 4، 127**.

4) **الفرسخ**: اختلف فيه فقال قوم هو مصطلح فارسي معرب وأصله فرسنك وقال اللغويون الفرسخ عربي محض وتعني طويلا، أو يراد به سير ساعة أو ساعات والفرسخ يساوي ثلاث أميال والميل أربعة آلاف ذراع وبالتالي الفرسخ اثنا عشر ألف ذراع .**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص36**.

5) الزُهري: المصدر نفسه، ص127-128.

6) نفسه، ص128.

7) نفسه، ص137.


الأندلس
البحر الـــرومي
بحر الـــ
دانية
ألمرية
وهران
بجاية
وارقلان
300 فرسخ
50 فرسخ
350 فرسخ
الأبعاد الأساسية
مدن ساحلية
مدن داخلية
0 150 300 450 600 Kilometers
الأبعاد الأساسية في حوض البحر الرومي حسب الزهري

وفي القرن السادس الهجري كذلك، شاهد الناس بفضل مؤلفات **الشريف الإدريسي(493-560هـ/1100-1165م)**[1] امتدادا كبيرا لحدود العالم، كما كان العرب يتصورونها في ذلك الحين.

ويذكر كراتشكوفسكي في كتابه تاريخ الأدب الجغرافي العربي**"**في حديثه عن كتاب الإدريسي، "نزهة المشتاق" أنه أفضل رسالة في الجغرافيا وصلتنا عن العصور الوسطى سواء من الشرق أو الغرب، وعلى هذا الحكم يقف الآن إجماع آراء المستعربين ومؤرخي الجغرافيا على السواء[2].

والإدريسي اهتم بكتابات الجغرافيين الأوائل على اعتبار أن المعرفة تراكمية، فقد استفاد من اليونانيين والرومان والعرب، ومن بعض المسلمين ممن سبقه في هذا المجال، وقد كان الإدريسي واضحاً وصادقاً في نقله؛ ففي مقدمة كتابه"نزهة المشتاق"ذكر المصادر التي نقل عنها ما بين عرب وغير عرب، وهي كتاب"العجائب"للمسعودي، وكتاب أبي نصر سعيد الجيهاني، وكتاب ابن خرداذبة، وكتاب أبي القاسم محمد بن حوقل، وكتاب أحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبي، وكتاب قدامة البصري وكتاب بطليموس الأقلودي، وكتاب أرسيوس الأنطاكي، وغيرها ذكرها الإدريسي على سبيل المثال لا الحصر في مقدمة كتابه[3].

زار الإدريسي الأندلس وشمال إفريقيا ومصر وبلاد الشام بالاضافة إلى آسيا الصغرى والشرق، وأجزاء من أوربا الغربية وبخاصة سواحل إنجلترا وفرنسا وإيطاليا وصقلية[4]، وهذا ما يعزز آراءه من خلال العديد من المشاهدات.

---

1) هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن عبد الله بن الحسن بن علي – رضي الله عنه – الشريف الإدريسي، ولد في سبتة ونشأ وتعلم في قرطبة، ورحل رحلة طويلة انتهت به في صقلية، فنزل على صاحبها روجر الثاني، وألف له كتاب سماه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، أكمله سنة 548هـ.**الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط15، 2006، ج7، ص24.**

2)الأدب الجغرافي، ص294.

لأن منهج الإدريسي نقلة نوعية ومرحلة انتقالية من المنهج النظري في الجغرافيا إلى المنهج العملي وهذا تجلى بعدم اعتماد الإدريسي على المنقول وعمد إلى الرحلة الميدانية وإرسال الكشوف للتأكد من المعلومات، وأيضاً استخدامه للبوصلة والخرائط البحرية الملاحية وذلك لتحديد امتدادات البحار والخلجان. **أحمد بن محمد الشبعان: منهج الإدريسي في كتابة"نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، مجلة التاريخ العربي، العدد45، صيف 2008.**

3) محمد عبد الغني:الشريف الإدريسي أشهر جغرافي العرب والإسلام، سلسلة أعلام العرب، رقم97، الهيئة العليا للتأليف والنشر، دط، 1971، ص12.

4) محمد مرسي الحريري: الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1985، ص44.

فهو يعتبر معاصراً للفترة الحمادية والموحدية، مما جعله شاهد عيان، وسمح لنا باكتشاف أهم الموانئ والسواحل التي كانت نشطة خلال هذه الفترة كبجاية و بونة وبني مزغنة و تنس، وهي المراسي التي سمحت بتصدير خشب جبال الرحمن(ما بين المنصورة والقل) والنحاس إلى مدن إفريقية[1].

والإدريسي ترك لنا كتابا مهما جدا مادته غزيرة أيضا، فقد ذكر مرسى الخرز، وبونة ومرسى رأس الحمراء، وتكوش، ومرسى الروم، ومرسى أسطورة، ومرسى القل، ومرسى الزيتونة، وجيجل"مرسى الشعراء"، ومزغيطن، وفج الزرزور، المنصورية، متوسة، بجاية، جرية"أو جوبة أو جوية"، الدهس الصغير، الدهس الكبير، زفون، بني عبد الله، تدلس، بني جناد، مرسى الدجاج، تادمفوس، جزائر بني مزغنا، هور، البطال، شرشال، برشك، وقور، أمتكو، تنس، قلوع، الفراتين، جزائر الحمام، جوج، مستغانم، أرزاو، المرسى الكبير، وهران، أسلن، أرشقول، جزيرة مرسى الوردانية، هنين، فكان[2].

ونظرا لأهمية الخرائط التي رسمها الإدريسي، فقد اهتم بها الباحثون حديثًا ومنهم الباحث والكاتب ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة الذي قال عنها"وكانت هذه الخرائط أعظم ما أنتجه علم رسم الخرائط في العصور الوسطى، ولم ترسم خرائط قبلها أتم منها، أو أدق، أو أوسع وأعظم تفصيلا"[3].

وجسد على هذه الخرائط أهم المراسي رغم اختفائها وبقاء الخريطة العامة فقط، ولم يذكر الإدريسي جميع المراسي التي ذكرها سلفه البكري، فهذا يدل على أن السلطة الحمادية، ثم الموحدية كانت تسيطر على حركية السفن من والى أراضيها، عن طريق"مركزية التجارة في بعض المراسي المعنية"[4]، دون المساس بروح حركتها، أي كانت توجه السفن لمراسي محددة دون الأخرى.

هذه الوضعية واكبها تطور عمراني **للمدن الساحلية**، خصوصا على ساحل بلاد كتامة وبلاد زواوة، ويرجع الفضل في هذا التطور إلى الدور الذي لعبته بجاية، مع استمرار للدور التقليدي للمدن العتيقة كبني مزغنة، وبونة، وتلمسان.

فيذكر الإدريسي بدءاً من الغرب **مدينة ندرومة** بأنها مدينة كبيرة عامرة آهلة ذات سور وسوق موضعها في سند ولها مزارع كثيرة ولها واد يجري في شرقيها وعليه بساتين وجنات وعمارة وسقي كثير[5]، أي أن مدينة ندرومة تطورت أو تم إعادة إحيائها؛ بعد أن كان اسم مينائها"ماسين"غالبا على اسم المدينة أصبح في عهد الإدريسي

1) المسالك والممالك، القسم الخاص بالمغرب، دوسلان، ط2، فرانكفورت، 1993، ص117.

2) نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1989، ج1، ص271-275، ج2،ص535-536. لقد اعتمدنا على كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، وكتابه الأخر المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، مطبعة بريل مدينة ليدن 1863، رغم أنه جزء من الكتاب السابق إلا أنه احتوى على معلومات لم ترد في الكتاب الأول.

3) ترجمة محمد بدران ، دار الجبل، بيروت، 1988، مج4، ج2، ص358.

4) أوليفيا ريمي كونستابل: التجارة والتجار في الأندلس، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002، ص74.

5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص534.

العكس، أين اختفى هذا الاسم، بسبب موقع مدينة ندرومة الاستراتيجي إذ مثلت سابقا إحدى مدن إمارة نكور، مما جعلها تظهر خلال القرن السادس الهجري، بمظهر المدينة الكبيرة العامرة على حسب تعبير الإدريسي.

أي أن ندرومة عرفت نقلة نوعية خلال القرن السادس الهجري، في عهد عبد المؤمن بن علي بتشييده للسور الذي ذكره الإدريسي سنة555هـ/1160م، لتصبح ضمن أملاك الدولة المرينية، ثم الدولة الزيانية لتدخل مرة أخرى مرحلة الصراع الحضاري(1).

ويواصل وصف المدن منها **تلمسان** يذكرها بأنها"مدينة أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور(2)، وإحدى المدينتين بناها المرابطون، وهي تاقرارت، ثم وصفها بالخصب ورخص المعيشة وكثرة الخيرات، وقال عنها لم يكن في عصره بعد مدينة أغمات(3) وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرق منهم حالا(4)، وهي قفل بلاد المغرب كما قال عنها الإدريسي(5)، ومدينة تلمسان رغم أنها داخلية إلا أنها تشرف وتطل على الساحل بفضل موانئها المهمة وعلى رأسها هنين وفي هذا يقول صاحب التذكرة"تلمسان جبرها الله وهي إذاك قاعدة الملك وواسطة السلك والجامعة بين الحادي والفلك"(6)، والفلك هنا يقصد به البحر أي أنها تجمع البر بالماء، مما جعل الموحدين يختارونها كعاصمة للولاية الثانية.

وبالتالي لم يكن الازدهار الاقتصادي مقتصرا على بجاية كما ذكرنا، بل امتد إلى مدينة تلمسان، فهي وفيرة الغلال ورخيصة الأسعار، ولذلك قصدها التجار من سائر الأقطار، مما أدى إلى ثراء أهلها.

ثم تكلم الإدريسي عن **وهران** فذكر بأن مرساها صغير، لا يستر شيئا، رغم أنه وصفها من الداخل بأن أسواقها مقدرة، وصنائع كثيرة وتجارة نافعة، وعليها سور تراب متقن، وهي تقابل مدينة المرية(7) من ساحل بر الأندلس(1)، وكان من أهم أسواقها سوق إبراهيم(2)، وسوق ابن جبلة، وسوق دار ملول، وسوق أفكان(3).

---

1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص157؛ **ويحي بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص140**.

2) نزهة المشتاق، ج1، ص248؛ و المغرب، ص80.

3) **أغمات**: ناحية في بلاد البربر من أرض المغرب قرب مراكش وهي مدينتان متقابلتان كثيرة الخير ومن ورائها الى جهة البحر المحيط السوس الأقصى بأربع مراحل ومن سجلماسة ثمانية مراحل نحو المغرب، وليس بالمغرب فيما زعموا بلد أجمع لأصناف من الخيرات و لا أكثر منها.**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص225**.

4) نفس المصدر والصفحة.

5) نزهة المشتاق، ج1، ص250.

6) ابن أبي العيش: التذكرة في قبول المعذرة، وفيما جاء في العفو عند المقدرة، تحقيق عبد الرحمن بن محمد الهيباوي، الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، ط1، 2008، ص60.

7) **المرية**: بالفتح ثم الكسر، وتشديد الياء بنقطتين من تحتها، يجوز أن يكون من مرى الدم يمري إذا جرى، وهي مدينة كبيرة من كورة إلبيرة من أعمال الأندلس، وكانت هي وبجانة بابي الشرق منها يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب، يضرب ماء البحر سورها، ويعمل بها الوشي و الديباج فيجاد عمله، ودخلها الفرنج من البر والبحر سنة542هـ ثم استرجعها المسلمون سنة 552هـ، وفيها يكون ترتيب الأسطول الذي للمسلمين ومنها يخرج إلى غزو الإفرنج . **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص119**.

كما جذب انتباهنا في كلام الإدريسي وجود سور من تراب وهذا يدل على أنه من انجاز السكان أو المرابطين باعتبارهم من كان يزهد في البناء والتفنن والزخرفة.

مما يثير فينا التساؤل عن مكانة ميناء ومدينة وهران حيث أشار قبل البكري وابن حوقل بأن ميناءها في غاية السلامة والصون من كل ريح، وليس له مثيل في ذلك سوى مرسى موسى، فقد كنفته الجبال وله مدخل آمن، وعليها سور...وهي فرضة من الأندلس، إليها ترد السلع ومنها يحملون الغلال(4)،كما أن معطيات الحوض المينائي لمدينة وهران تجعل منه ذا أهمية كبيرة من خلال عمق مياهه الكبير والذي ساعدته على استقبال السفن التجارية الثقيلة خاصة منها تلك التي تنقل الملح المستخرج من سباخ وهران إلى جانب الحبوب والحلفاء والصوف والجلود والمواد الأولية على غرار الحديد(5).

فما الذي دفع بهذا المرسى للتراجع من حيث المكانة والأهمية بين القرنين الرابع والسادس الهجريين؟ أي تزامنا مع فترة الصراع الأموي الفاطمي ثم المرابطي الموحدي في البداية، لأنها مثلت مسرحا لهذا الصراع والتجاذب للسيطرة على المواقع الإستراتيجية؛ فلم تسمح هذه الظروف المتوترة من تطور الميناء ومحافظته على علاقاته التجارية ومسالكه البحرية.

ويذكر ابن أبي زرع أن زيري بن عطية الزناتي المغراوي الخزري، خلع دعوة العبيديين ومال إلى دعوة المروانيين"المنصور بن أبي عامر" سنة377هـ/987م، وغلب على مدينة تلمسان وتنس ومدينة وهران وشلف وشرشال وجبال ونشريس والمدية وكثير من بلاد الزاب(6)، كانوا يخضعون للفاطميين وأحيانا للأمويين بالأندلس، حتى سنة473هـ/1081م احتلها المرابطون، واتخذوها قاعدة بحرية لأسطولهم الحربي والتجاري(7)، وهو ما يؤكد الكلام الذي أشرنا إليه سابقا.

أو أن الجغرافيين الأوائل قبل الإدريسي يخلطون بين ميناء وهران والمرسى الكبير، حيث يجعلون الميناءين ميناء واحد يسمى ميناء وهران.

---

1) أنظر: نزهة المشتاق، ج1، ص252؛ **والمغرب، ص83**.

2) سوق إبراهيم: وهو عبارة عن مدينة على نهر شلف، يبعد عن مدينة تاجرة "تلمسان"بمقدار مرحلة، **الإدريسي**: **المصدر نفسه، ج1، ص251**.

3 **أفكان**: كانت فكان سوقا قديمة من أسواق قبيلة زناتة وهي تقع عند ملتقى وادي همام بوادي فكان في جنوب شرق معسكر، وواديها يمضي فيصب في مدينة تاهرت. **الإدريسي**: **المصدر نفسه، ج1، ص250–251**.

4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

5) إسماعيل سرهنك: المصدر السابق، ص356.

6) الأنيس المطرب، ص103.

7) يحي بوعزيز: وهران، ص38.

أما **مدينة تنس**؛ فرغم قدم المدينة تاريخيا وسياسيا ورغم تراجعها مقارنة بالفترة الرستمية والحمادية؛ إلا أنها استمرت في عملها البحري التجاري حيث يذكر الإدريسي ارتباط المدينة بالمدن الأندلسية بطرق بحرية بقوله:"...وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب..."[1].

ونجد مختلف الدول المتعاقبة على غرب المغرب الأوسط تسعى للسيطرة على مدينة تنس، مما يبين لنا مكانتها ويؤكد لنا ابن أبي زرع ذلك سنة474هـ/1081م فتح يوسف بن تشفين وجدة وامتد إلى تنس ووهران وونشريس وأعمال شلف إلى الجزائر[2].

و أصبحت مدينة تنس في العهد الموحدي محطة هامة في الطريق الساحلي الرابط بين طرابلس وباقي مدن المغرب الإسلامي الغربية الموالية لمدينة تنس[3]، رغم تهديمهم لها عند توليهم زمام بلاد المغرب رفقة مدينتي وهران تلمسان سنة640هـ/1242م، إلا أنه عاد ورممها[4].

وهكذا تشكل الطريق الساحلي الموحدي الذي يمتد من نول في البلاد المغربية عبر سبتة وباديس ووهران وتنس إلى طرابلس، فكثر استعماله إلى جانب الطريق الجبلي بين فاس وتلمسان..."[5].

ومما يلاحظ أن المدينة كانت مرتبطة بطرق كثيرة مع غيرها من المدن الساحلية أو البرية أو المقابلة في ما وراء البحر، لكن هذه الطرق لم تكن ثابتة في جميع العصور، بل كانت تتغير مساراتها وفقا للظروف السياسية السائدة أثناء كل عصر وكذا حسب الظروف الأمنية، فكلما كانت الظروف الأمنية غير مستقرة قل استعمال الطرق البرية الداخلية إلى درجة الحاجة فقط، وزاد استعمال الطرق البرية الساحلية نظرا لما تتمتع به من أمن، ولم تفقد المدينة مكانتها كمحطة هامة للكثير من الطرق طيلة قرون طويلة.

ويبدو على **شرشال** أنها استعادت شيئا من ازدهارها كذلك، فأصبحت آهلة بالسكان[6].

إن استقراءنا للمصادر التاريخية والجغرافية يتبين جليا بأن البحر أصبح مصدرا أساسيا للربح لقسم واسع من السكان بعد استقرار الكثير منهم بالمدن الساحلية، فكان من نتائج الهجرة الهلالية هو ازدهار التجارة البحرية بعد انتشار الفوضى بالطرق البرية، وحتى بالأرياف، التي كانت تعتبر المحرك الأساسي لحضارة المغرب الأوسط[7].

---

1) نزهة المشتاق، ج1، ص252؛ و **المغرب، ص83**.

2) الأنيس المطرب، ص143، 168.

3) عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص310-311.

4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص104.

5) عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص312.

6) عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص312.

Beghdadi - Rebahi, Ymouna ; Le rôle de Cherchel dans la course en Méditerranée (début XVIe-milieu XVIIe siècle) , Le rôle desvilles littorales du Maghreb dans l'histoire, RM2E - Revue de la Méditerranée édition électronique, Tome III. 1, 2016, p.82.

7) علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص64-65.

وكانت لعلاقة المدن الساحلية في المغرب الأوسط بالمدن في الضفة الشمالية للبحر المتوسط ونقص الخشب الموجه للبحرية، قد كان له بالغ الأثر في ضعف أسطول بني حماد وبني زيري، ذلك أن الفوضى الهلالية لم تكن لتسمح بجلبه من منطقة القبائل[1]، ويمكن التأكيد أن البحرية الصنهاجية قد تقلص ظلها شيئا فشيئا لعجزها عن صنع قطع جديدة، كما بذل النورمان كل ما بوسعهم لمنع وصول الخشب إلى المهدية، عكس الوضع الملائم نوعا ما في بجاية؛ بفضل الغابات القريبة منها وتوفر الزفت والقطران والحديد[2].

وثاني المدن التي فصل فيها الإدريسي بتوسع هي **مدينة جزائر بني مزغنة** التي طورها بلكين بن زيري، قد أصبحت تقوم بدور مماثل للدور الذي قامت به مدينة شرشال في العصر الروماني، ومدينة تنس في عهد الرستميين والفاطميين، ذلك أن مدينة الجزائر قد صارت تمثل"نقطة الاتصال بين المسالك البحرية في أعالي البحار وبين المسالك البحرية الساحلية"[3].

فقد أخذت مدينة جزائر بني مزغنة تسترجع مكانتها وتفرض دورها العمراني في عهد الدولة الصنهاجية، حيث أعيد تجديد بنائها على يد بلكين بن زيري بن مناد سنة339هـ/960م[4] واستعادت مكانتها أكثر خلال الدولة الحمادية والمرابطية بسبب وجود أسطول بحري للدولة[5]، وتؤيد المصادر وجودها وان كانت لم ترق إلى مصاف الحواضر الكبرى، حيث زارها محمد بن تومرت سنة513هـ/1119م وهو عائد إلى المغرب قبل بدأ دعوته وقبيلة الثعالبة التي كانت تستوطن المنطقة، وساعدت الثعالبة الموحدين في تأسيس دولتهم، لذلك حماهم عبد المؤمن وأبناؤه، وجعلوا منهم السادة على مدينة الجزائر وضواحيها سنة548هـ/1153م[6].

وتأثرت مدينة الجزائر بالصراعات الموحدية–الغانية إلى غاية عام600هـ/1204م حيث قضت الجيوش الموحدية انطلاقا من هذه المدينة على حركات المعارضة المسلحة في المغرب الأوسط وإفريقية[7].

فبدأت تزدهر مدينة الجزائر أكثر خلال العهد الموحدي ويؤكد ذلك صاحب نزهة المشتاق بقوله عنها:"مدينة الجزائر على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار، وهي عامرة آهلة، وتجارتها مربحة،

---

1) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص146.

2) الإدريسي: المغرب، ص90-91.

3) الهادي روجي إدريس: المرجع نفسه، ج2، ص294.

4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص204.

5) علي عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر، ص202.

6) ابن خلدون: العبر، ج 6، ص 203؛ **وعلي عبد القادر حليمي: مدينة الجزائر، ص160**.

7) الأنيس المطرب، ص232.

وأسوارها قائمة، وصناعتها نافقة"[1] ومن حديث الإدريسي يظهر أن المدينة بلغت ازدهارا معتبرا، إذ توسعت ضواحيها وزادت مبانيها، وكثر عمرانها، وراجت تجارتها.

وتبين لنا رواية الإدريسي أن المدينة لها واجهتها البحرية من خلال علاقاتها المختلفة مع موانئ الأندلس ولها شبكتها البرية لوقوعها خصوصا على الطريق الساحلي الذي يربطها بغرب وشرق المغرب خصوصا المدن البحرية والمرافئ[2].

ثم ينتقل الإدريسي إلى مرسى **مدينة بجاية** التي بدأت تتحول منذ عام 461هـ/1069م من قرية ساحلية صغيرة إلى عاصمة للدولة الحمادية ومركز ثقل المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد[3]، لقد لعبت بجاية دورا هاما في ازدهار الناحية الساحلية، فقد كانت تستورد جبس متوسة، كما ربطت علاقات بميناء تدلس بعد استقرار بني صمادح به[4].

فقد سيطرت بجاية على جزء مهم من الساحل الشرقي للمغرب الأوسط أي كل الواجهة البحرية لبلاد القبائل(من دلس والجزائر إلى جيجل والقل وبونة)، حيث أصبح التحكم الفعلي في موانئ الشرق أولوية النشاط البحري لبجاية ولإشعاعها التجاري[5].

ويتمتع موقع ميناء بجاية بمزية هامة حيث يوفر أماكن اقتراب للسفن من الرصيف فيقسم الساحل إلى ثلاثة خلجان صغيرة، أمكن استعمالها كموانئ في مختلف العصور، ويعتبر الجون الشمالي هو الأكبر وبعمق سبعة إلى ثمانية أمتار ملائم لرسو السفن وشكل نقطة للتموين بالماء[6]، كما كان باستطاعة السفن الصغيرة خلال القرن

---

1) نزهة المشتاق، ج1، ص258؛ و **المغرب، ص89**.

2) علاوة عمارة و زينب موساوي: المرجع السابق، ص37.

3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص259.

4) ينتسبون إلى تجيب إحدى بطون كندة الحميرية دخلوا الأندلس فأصبحوا أمراء ألمرية سنة 432هـ، لكنها سقطت في أيدي المرابطين سنة 484هـ، فهاجروا منها نحو الدولة الحمادية في نفس السنة فأقطعهم الأمير الحمادي المنصور بن الناصر بن علناس(481هـ-498هـ) منطقة دلس.وللمزيد أنظر **رفيق خليفي: البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9 هـ مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 1429/2008، ص65-102**.

5) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص170-171.

6) صالح بعيزيق:المرجع السابق، ص209؛ **ودومنيك فاليرين: المرجع نفسه، ج1، ص314**.

Baizig, Salah; La ville maritime et son arrière pays au Maghreb àl'époque médiévale , l'exemple de Bijā ya , Le rôle des villes littorales du Maghreb dans l'histoire, RM2E –Revue de la Méditerranée édition électronique, Tome III. 1, 2016, p.50.

العاشر الهجري/ الخامس عشر الميلادي الدخول في مصب نهر الصومام قرب المدينة كما أشار إلى ذلك بيري رايس(1).

ويتميز ميناء بجاية بقلة عدد الأيام التي تتخللها الرياح القوية والتي تقدر ب38يوما فقط من مجموع102يوم،

وربطت بجاية كذلك علاقات بمختلف موانئ الساحل الشرقي للمغرب الأوسط وإفريقية وصقلية والإسكندرية والأندلس(3)، والمدن الإيطالية(4)، كما كانت معبرا للرحالة والحجاج والعلماء للتوجه نحو الشرق أو الأندلس والعودة منها(5).

كان لمدينة بجاية دور مهم ورابط بين المسالك التجارية البرية والبحرية، إضافة إلى ارتباطها بالتجارة الصحراوية عن طريق ورجلان وسجلماسة منذ أن كانت ميناء صغيرا(6).

لهذا خصص لها الإدريسي جزءاً كبيرا من التفصيل بقوله"بجاية مدينة على البحر، لكنها على جرف حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى مسيون وهو جبل سامي العلو...وهي في وقتنا هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد، والسفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة ...وأهلها مياسر تجار وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد"(7).

ويضيف الإدريسي حول المدينة"وأما مدينة بجاية في ذاتها فإنها عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلقين وهي التي تنسب دولة بني حماد إليها والقلعة كانت في وقتها وقبل عمارة بجاية دار الملك لبني حماد"(8)، حيث أطلق

1) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص315.

3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص249-275.

4) علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص66.

5) ابن جبير: المصدر السابق، ص277.

6) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص171.

Baizig, Salah; La ville maritime, p.51.

7) نزهة المشتاق، ج1، ص259-260؛ **والمغرب، ص90**.

8) نزهة المشتاق، ج1، ص261؛ **والمغرب، ص91**.

عليها مؤسسها وبانيها الناصر بن علناس(454-481هـ/1062-1088م) الناصرية[1]، فعوضت بجاية"الناصرية"القلعة كعاصمة لمملكة بني حماد"سنة483هـ/1090م، بل وجدت نقودا سكها يحي بن العزيز(515-547هـ/1121-1152م) سنة 543هـ/1148م نقش فيها اسم الناصرية في دائرة الوجه الخلفي للدينار[2]، وقد تزامن الاسمان في العهد الحمادي: بجاية عند الناس والناصرية عند مؤسسها لكن الاسم الذي استمر بعدهم إلى اليوم هو اسم بجاية[3]، وقد كان هذا التوجه نحو الساحل نتيجة من نتائج الزوبعة الهلالية، ومكن بني حماد من البقاء حتى الغزوة الموحدية سنة547هـ/1152م[4].

لكننا نعتبر القول بأن الناصر بن علناس هو الذي بنى الناصرية وعمرها، فيه نوع من المبالغة لأن بجاية كما عرفنا مرسى قديم، بل تركزت فيه نواة أندلسية وأنشأت فيه مستوطنات منذ القرن الرابع الهجري، ولا نستطيع تصور تجهيز مدينة أميرية بكامل مرافقها وموانئها، ملأت أوصافها كل النصوص المصدرية وأشادت بتنوع وفخامة معالمها في ظرف قصير حيث استولى عليها الناصر سنة 460هـ/1067-1068م، واستقر بها سنة461هـ/1068م[5].

كما أصبحت بجاية قاعدة بحرية موحدية ودارا لصناعة السفن وتنطلق منها عمليات الإغارة على المدن الايطالية ورد العدوان والتصدي للهجمات الصليبية، إذ يبين الإدريسي ذلك بقوله"...وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير وموجود"[6]، كما تشير إحدى الرسائل

---

1) كانت الناصرية في القديم ميناء فينيقي ثم نوميدي، ثم روماني، فلما وصل الناصر بن علناس الحمادي بعد هزيمة سبيبة أمام العرب، فأعجب بالمكان الذي أشار عليه وزيره محمد بن البعبع فأمر ببناء المدينة والميناء ونقل إليها كل معداته من القلعة. **ابن الأثير:المصدر السابق، ج8، ص374؛ وابن خلدون : العبر، ج6، ص27؛ وعبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991، ص129.**

2) يقول ابن خلدون: هلك العزيز سنة خمس عشرة وأربعمائة فولي من بعده إبنه يحيى، وطالت أيامه مستضعفاً مغلباً للنساء مولعاً بالصيد، على حين انقراض الدولة وذهاب الأيام بقبائل صنهاجة، واستحدث السكة ولم يحدثها أحد من قومه أدباً مع خلفائهم العبيديين ونقل ابن حماد أن سكته في الدينار كانت ثلاثة سطور ودائرة في كل وجه، فدائرة الوجه الواحد: "واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون"والسطور"لا إله إلا الله محمد رسول الله، يعتصم بحبل الله يحيى بن العزيز بالله الأمير المنصور. ودائرة الوجه الآخر" بسم الله الرحمن الرحيم ضرب هذا الدينار بالناصريّة سنة ثلاث وأربعين وستمائة وخمسمائة." وفي سطوره: الإمام أبو عبد الله المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين العباسي.**العبر، ج6، ص235؛ وصالح بن قربة: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، موفم للنشر، الجزائر، 2011، ص511.**

3) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص55.

وقد أطلق الفرنسيون على إحدى المنتجات التي اشتهرت بها بجاية وهي الشمع باسم Bougie **.إسماعيل سرهنك: المرجع السابق، ج1، ص357.**

4) روبار بونشفيك: المرجع السابق،ج1، ص410.

5) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص315، 318، وج2، ص107؛ **و صالح بعيزيق: المرجع نفسه، ص359.**

6) نزهة المشتاق، ج1، ص259-260؛ **و المغرب، ص90.**

الموحدية إلى عمل جهادي بحري كبير قامت به بجاية ضد قطعة بحرية من طرطوشة[1]، وبرشلونة قرب مدينة تنس، بعد قتالٍ استمر من الفجر إلى الزوال من يوم الجمعة7رجب سنة567هـ/1171م[2].

ويتفق الجغرافيون والمؤرخون على أن الحماديين نشطوا في مجال التجارة الخارجية، فالإدريسي يقول عن بجاية:"...والسفن إليها مقلعة، و بها القوافل منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة، والبضائع بها نافقة...يجالسون تجار المغرب الأقصى، وتجار الصحراء، وتجار المشرق، وبها تحل الشدود، وتباع البضائع بالأموال المقنطرة"[3]،"وبجاية قطب لكثير من البلاد"[4].

وكانت ورشة صناعة السفن خلال العهد الحمادي تسمى دار الصناعة أو دار الصنع[5]،

ومن الناحية الجنوبية لمدينة بجاية يوجد في وسط الواجهة البحرية وفي مصرف الجسر، باب البحر ذو الأقواس القوطية الذي كان يسمح للسفن بالدخول إلى مدرج داخلي مماثل لمدرج المهدية، وفي الناحية الشرقية يوجد على الأرجح باب المرسى، إضافة إلى العديد من الأحياء والأسواق المرتبطة بالبحر على غرار حومة باب البحر، وسوق باب البحر، وحومة اللؤلؤة، والمذبح وسوق المرجان وسوق قيسرية[8].

1) **طرطوشة**: بالفتح ثم السكون ثم طاء أخرى مضمونة و واو ساكنة وشين معجمة، مدينة بالأندلس تتصل بكورة بلنسية وهي شرقي بلنسية وقرطبة قريبة من البحر متقنة العمارة مبنية على نهر ابراه ولها ولاية واسعة وبلاد كثيرة تعد في جملتها، تحلها التجار وتسافر منها إلى سائر الأقطار واستولى الإفرنج عليها سنة543هـ/1148م وكذلك جميع حصونها وهي الآن تحت أيديهم.**ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج4، ص30**.

2) رسائل موحدية" مجموعة جديدة"، ج1، ص83.

3) نزهة المشتاق، ج1، ص260؛ **والمغرب، ص90**.

4) نفس المصدر والصفحة.

5) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص146.

7) الهادي روجي إدريس: المرجع نفسه، ج2، ص110؛ **وصالح بعيزيق**: **المرجع السابق، ص171**.

8) الغبريني: المصدر السابق، ص59، 76، 82، 135.

القيسريات: هي دكاكين تقوم السلطة ببنائها على نفقتها وقد اقتبسه المسلمون من قياصرة القسطنطينية.**عبد الوهاب حسن حسني**: **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، منشورات مكتبة المنار، تونس، ج2، ط2، 1981**.(**وسنفصل فيها في الفصل الرابع**)

وقد أصاب الإدريسي عندما أكد أن بجاية ازدهرت بخراب القلعة؛ ذلك أن بني هلال لم يقطعوا مواصلاتها مع المغرب الأوسط بل العكس من ذلك اضطروا إلى تسهيلها، ونحن نتصور كيف كانوا ينظمون القوافل أو يحمونها بمقتضى اتفاقات مربحة سواء على المستوى المحلي أو على نطاق واسع(1).

كانت توجد في بجاية"دار صناعة لإنشاء الأساطيل للقتال ولإنشاء السفن الحمالة والمراكب النقالة، لأن الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود، ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران، وبها معادن الحديد الطيب"(2)، لذلك اتسع نطاق الغزو في البحر الذي يمثل مورد رزق سواء بالنسبة إلى الخواص أو بالنسبة إلى الأمراء.

أما عن ميناء بجاية في عهد الإدريسي فيتبين أنه تأثر بشكل كبير بالطمي الذي يرسبه فيه نهر الصومام، إذ أظهر لنا ذلك بقوله"وعلى بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب من نحو جبل جرجرة وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالمراكب وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا ويجوز من شاء في كل موضع منه"(3)، أي أن السفن التي ذكرها قبله البكري تدخل في هذا النهر لترسو أصبح ماؤه لا يتحملها والتقدم في داخل الواد ليقل عمقه كلما بعد عن البحر لذلك تتم الاستعانة بالمراكب الصغيرة لنقل البضائع إلى الرصيف، بالإضافة إلى ضيق فتحة المصب حتى أصبحت على شكل مضيق حسب تعبير صاحب الاستبصار(4).

لهذا أنشأ ميناء بجاية المستحدث خلال أواخر القرن الخامس وأوائل القرن السادس الهجريين، وربما كان مع الاتساع العمراني للمدينة خلال عهد المنصور بن الناصر(481-498هـ/1088-1104م) الذي ذكره ابن خلدون بأنه"تأنق في اختطاط المباني"(5)، فأصبح ميناء بجاية يمتد على مساحة هامة بانفتاحه على كامل الخليج:"ومدينة بجاية في جون ينظر إلى الشرق"(6).

---

1) المغرب، ص91؛ **والهادي روجي إدريس: المرجع نفسه، ج2، ص108**.

2) نزهة المشتاق، ج1، ص259-260؛ **و المغرب، ص90**.

3) نفسه، ج1، ص260.

4) مجهول: المصدر السابق، ص129؛ **والحميري: المصدر السابق، ص80**.

5) كان المنصور هذا جماعة مولعاً بالبناء، وهو الذي حضر ملك بني حماد، وتأنق في اختطاط المباني وتشييد المصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين. فبنى في القلعة قصر الملك والمنار والكوكب وقصر السلام وفي بجاية قصر اللؤلؤة وقصر أميميون. **ابن خلدون: العبر، ج6، ص232**.

6) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص274.

ومرسى بجاية المختفي وراء الجبل الممتد من رأس كربون إلى رأس بواك، محمي على أحسن وجه من الرياح الغربية والشمالية، مما سهل عملية رسو السفن[1]، وسمح بتشكل ميناء شاسع يمتد على طول الساحل الممتد من مصب وادي الصومام بالجنوب الشرقي إلى رأس المثقوب شمالا، على شكل حوض، به عدة رؤوس مما يسهل مهمة مراقبة البحر ووضع المنارات وتسهيل عملية الولوج إليه، كما يمثل مخبأ محمياً من الضباب والرياح الشمالية الغربية، لهذا

أما عن **القل** فيقول الإدريسي"والقل قرية عامرة وكانت في سالف الدهر مدينة صغيرة عامرة، والآن هي مرسى وعليه عمارات"[3]، ومنه نستنتج أن القل بلغت مكانة هامة خلال الفترة الوسيطة وهو ما سنثبته فيما بعد باحتوائها على ميناء ذي حوضين ومرسيين طبيعيين، رغم عدم احتوائها على تحصينات كغيرها من المدن الكبرى المحصنة، ويمكن تفسير ذلك بالمناعة التي توفرها المعطيات الطبيعية حول المدينة والميناء[4]، ويقول الإدريسي:"وهم الآن في أيام سفر الأسطول يرحلون إلى الجبال ولا يبقون شيئا من آثارهم وإنما يبقى بالقل في زمن الصيف الرجال فقط"[5].

وبونة وهي مدينة قديمة من بناء الأول، وفيها آثار كثيرة مبنية على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها، وهي ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة[6].

كما كانت مدينة بونة الزيرية وهي نظيرة بجاية الحمادية، غنية حسب ما ورد عند الإدريسي بالخشب الجيد[7]، مما يؤكد استمرارية المدن الساحلية تحت أي لون سياسي في نشاطها البحري والتجاري، واستمرار موانئها في الحركة البحرية، بل بالعكس نشطت المدن الشرقية لساحل كتامة الممتد من بجاية إلى مرسى الخرز واستعادت عافيتها القديمة منذ الفترة الرومانية والفينيقية[8].

---

1) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص412.

2) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص210.

3) نزهة المشتاق، ج1، ص269؛ **والمغرب، ص90**.

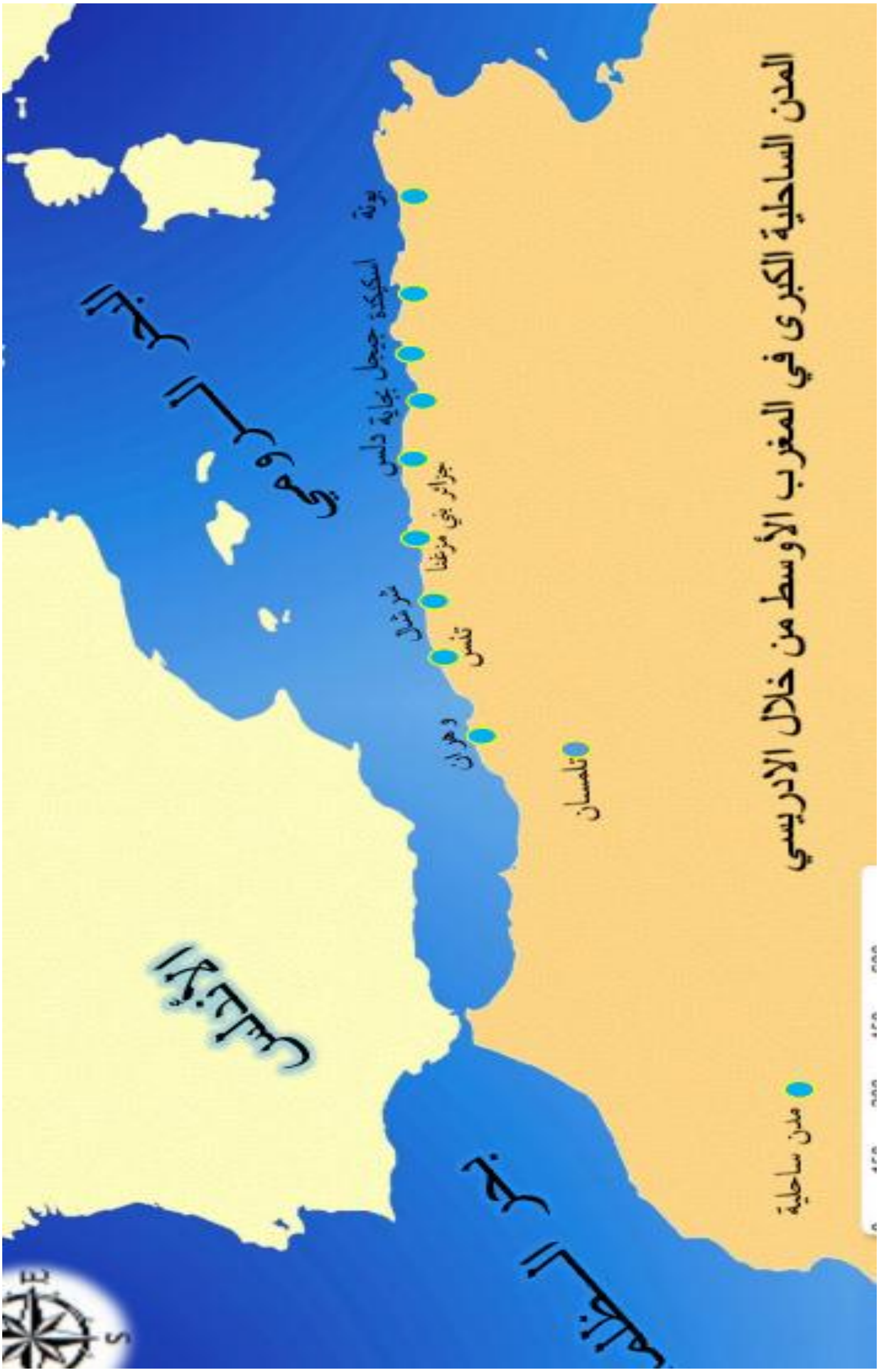
4) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص321.

5) نزهة المشتاق، ج1، ص274.

6) نفسه، ج1، ص291؛ **والمغرب، ص114**.

7) نفس المصدر والصفحة.

8)Allaoua Amara; Bûna, p.148-149.


المدن الساحلية الكبرى في المغرب الأوسط من خلال الادريسي
بونة
اسكيكدة
جيجل
بجاية
دلس
جزائر بني مزغنا
شرشال
تنس
وهران
تلمسان
الأندلس
مدن ساحلية

لقد أشار الشريف الإدريسي إلى مواصلة الموانئ الساحلية التي ظهرت خلال الفترة الحمادية في نشاطها خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق بل زادت تطورا بفضل اهتمام الموحدين والوحدة السياسية التي حدثت بين أقطار المغرب بل حتى مع الأندلس مما سمح بالأمن والتبادل التجاري.

ومما حافظ على ازدهارها، أن الزحف الهلالي لم يصل إلى الشاطئ، بل توقف الزحف أمام حاجز جبال القبائل الكبرى، واندماج الشعبين الكبيرين لم يحصل إلا بعد زمن طويل، من دون اصطدام[1].

فقد ذكر الموانئ الآتية:مرسى عين فروج"فروح أو فروخ"، مرسى قصر فلوسي، مرسى مغيلة، مرسى جزيرة العطور، مرسى شرشال، مرسى هور، مرسى الدبان، مرسى جنابية، مرسى جزيرة سطوفة، مرسى بجاية، مرسى الزيتونة، مرسى الخراطين، مرسى الشجرة، مرسى القل، مرسى سطورة، مرسى الروم، مرسى تكوش، مرسى الخروبة، مرسى المنية[2].

وإذا جئنا إلى تقسيم الشريط الساحلي وذكر موانئه جعلنا جزائر بني مزغنا وسطه وبالتالي نجد مراسي شرقها ومراسي غربها.

الشريط الساحلي من الغرب إلى جزائر بني مزغنا:

يبتدئ الإدريسي سلسلة موانئه ومراسيه من مرسى تافركنيت في المغرب الأقصى إلى حصن **تابحريت** بينهما ثمانية أميال وهو حصن حصين حسن عامر آهل وله مرسى مقصود[3]، وما يهمنا هنا هو مرسى تابحريت حيث يؤكد أنه مقصود سواء من التجار أو الرحالة من الأندلس أو المغرب الأقصى، مما جعله عامراً بالسكان، الذين يقومون بممارسة النشاطات البحرية وعلى رأسها الصيد البحري.

كما أن المعطيات الطبيعية لا تسمح بالإرساء الجيد في ساحل تابحريت لأنه صخري ومرتفع ولا يساعد السفن في الاقتراب من هذا المرسى في حين تذكر المصادر أنه"حصن حصين، حسن عامر آهل وله مرسى مقصود"، مما يجعلنا نعتقد أن هذا المرسى الطبيعي الصعب قد هُيئ بواسطة كاسرة للأمواج إضافة إلى توسعته حتى أصبح ميناء حسنا[4].

---

1) وزارة الإعلام والثقافة: بجاية، ص82.

2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص249-275.

3) نفسه، ج2، ص534.

4) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص321.

ومن تابحريت إلى **هنين** على البحر أحد عشر ميلا ومنها إلى **تلمسان** في البر أربعون ميلا وفيما بينهما، وعن **مرسى هنين** يقول:"مدينة حسنة صغيرة في نحو البحر وهي عامرة عليها سور متقن وأسواق وبيع وشراء وخارجها زراعات كثيرة وعمارات متصلة وكذلك من هنين إلى تلمسان في البر أيضا أربعون ميلاً"[1].

وهنا يتبين لنا بداية تطور ميناء هنين الذي سيصبح فيما بعد خلال عهد الدولة الزيانية في شأن عظيم، أي أن ميناء هنين بدأ يظهر على مسرح الأحداث مع القرن الخامس هجري، ويصبح أحد أهم مدن المغرب الأوسط التي تقطنها إحدى القبائل البربرية الهامة التي تسمى كومية[2]، كما يؤكد ذلك الوزان "وكان سكان هنين في القديم نبلاء شرفاء"[3].

ويبدو أن تهيئة الحوض الداخلي لميناء هنين توافق مع إنشاء دار الصناعة بأمر من عبد المؤمن بن علي، والتي تقع على مقربة من القصبة كما يشير لذلك البلوي الذي زارها سنة736هـ/1335م بقوله"يخفضها ارتفاع قلعة دار صنعة"[7]، ويعود تاريخ إنشائها إلى قبيل سنة557هـ/1162م[8]،

وباب البحر الخاص بمدينة هنين تصل فتحته إلى8.50م يعلوه قوس يسهل للسفن الدخول إليه وهو يشبه إلى حد كبير باب البحر ببجاية[10]، ويفترض كريستوف بيكار"وجود قناة تتقدم باب البحر تدخل عبرها السفن من الحوض الخارجي إلى الحوض الداخلي"[1].

---

1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص534.

2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص183.

3) وصف إفريقيا، ج2، ص16.

5) لطيفة بشاري: النقل البحري في إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يومي7-8ديسمبر2009، ص431.

7) تاج المفرق،ج1، ص148.

8) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص201.

10) ولطيفة بشاري: النقل البحري، ص432.

وقد ذكر الإدريسي أن سور هنين متقن[2] وهذا دليل على الاهتمام الكبير لهذه المدينة والميناء خلال الفترة الموحدية، وهذا لتأمين الحماية من الهجمات البحرية خاصة احتوائها على دار الصناعة.

ويعود سبب ازدهار ميناء هنين إلى أنها أصبحت المحور الرئيسي للتجارة الصحراوية؛ حيث ربطت بعدة مسالك برية داخلية، ومسالك بحرية نحو الضفة الأخرى من البحر، وهذا ما سيجعلها المنفذ الرئيسي لتلمسان والدولة الزيانية، أي أنها لعبت دور الوسيط التجاري للقوافل الصحراوية وتوجيهها للتصدير.

نستنتج من ذلك أن ميناء هنين عرف نقلة نوعية خلال عهد الموحدين أي خلال القرن السادس هجري، باعتبار أن عبد المؤمن بن علي اتخذه قاعدة بحرية عسكرية رئيسية إلى جانب وهران وبجاية؛ وهذا ليس بمحض الصدفة، بل يعود إلى موقعها الاستراتيجي، والرغبة في فتح جبهة جهادية ضد الصليبيين في الأندلس، وكذا الموروث البحري السابق للمدينة[3]، كما لا ننسى قربها من العاصمة تلمسان بمقدار"60كلم فقط"مشكلة الرئة الاقتصادية للدولة الزيانية في القرن7و8 الهجريين/13 و14م[4].

ومن هنين على الساحل إلى **مرسى الوردانية** ستة أميال ومنها إلى جزيرة القشقار ثمانية أميال[5]، وقد سبق البكري الإدريسي في ذكر هذا المرسى

ومن الوردانية إلى **جزيرة أرشقول** "ارجكون"وكانت فيما سلف حصنا عامرا له مرسى وبادية وسعة في الماشية والأموال السائمة ومرساها في جزيرة فيها مياه ومواجل كثيرة للمراكب وهي جزيرة مسكونة ويصب محاذيا لها نهر ملوية[7]، أي أن الإدريسي يقر بتراجع أرشقول في القرن السادس الهجري عما كانت عليه أهمية هذا الميناء في السابق، حيث كانت كثيرة المراكب للصيد أو السفر أو التجارة.

---

2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص534.
3) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص168-169.
4) محمد بن زغادي: المرجع السابق، ص84.
5) نزهة المشتاق، ج2، ص534.

7) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص534.

والإدريسي لم يشر إلى المرسى الداخلي النهري الخاص بأرشقول عند مصب نهر التافنة؛ وركز فقط على المرسى الخارجي عند الجزيرة؛ رغم استمراره في تلك الفترة؛ ولا نشك في أن الميناء النهري قد احتوى على أرصفة للتفريغ وتحميل البضائع، حيث تم العثور إثر فيضان الوادي سنة1956م على بقايا للرصيف الذي يحتل نفس الموضع ، إلى جانب وجود عدد من مخازن البضائع التي يتم تجميعها من ضواحي أرشقول، بالإضافة إلى عمليات تجهيز وتهيئة جوانب الوادي ومصبه الذي يتعرض موسميا إلى عمليات الطمي، مما يجعل عمقه صغيراً يسمح فقط للمراكب اللطاف بالمرور(2).

ومن مصب الوادي إلى **حصن اسلان** ستة أميال على البحر ومنه إلى طرف خارج في البحر عشرون ميلا، ويقابل الطرف في البحر **جزيرة الغنم** وبين جزائر الغنم واسلان اثنا عشر ميلا ومن جزائر الغنم إلى **بني وزار** سبعة عشر ميلا وبنو وزار حصن منيع حسن في جبل على البحر ومنه إلى **الدفالى** وهو طرف خارج في البحر اثنا عشر ميلا، ومن طرف الدفالى إلى **طرف الحرشا** اثنا عشر ميلا ومنه إلى وهران اثنا عشر ميلا(3)، ونلاحظ كثرة الحصون والأطراف"لسان في البحر"في الجهة الغربية، وكلها كانت مستغلة من قبل السكان سواء للصيد أو الإقامة بها.

ومرسى وهران، وهو على ضفة البحر المالح، ثم منه إلى **مرسى أرزاو،** ثمانية عشر ميلا وهي قرية كبيرة تجلب إليها الحنطة فيسير إليها التجار ويحمل إلى الكثير من البلدان(4)، ونلاحظ أن الإدريسي يذكر بأن أرزاو قرية كبيرة بدأت تتحول تدريجيا لتصبح أحد أقطاب الملاحة البحرية في المغرب الأوسط بل وحتى في بلاد الغرب الإسلامي بدء من القرن السادس هجري.

ومنه إلى **مستغانم** على الجون(5)، وهي مدينة صغيرة لها أسواق وحمامات وجنات وبساتين(6)، ونسجل هنا تطور مدينة مستغانم بعد أن ذكرها لأول مرة البكري بأنها مدينة على البحر(7) دون زيادة على هذا الوصف، يذكرها الإدريسي بأن بها أسواقاً وحمامات وجنات وبساتين، مما يبين تطورها خلال القرن السادس رغم الوتيرة

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص156.

3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص535.

4) نفسه، ج1، ص271.

5) **جون**: Baie خليج على شكله الدائري ومساحته تفوق 200كلم². **مؤلف جماعي تحت إشراف لبيب علي**: **قاموس الجغرافيا، دار شمال جنوب تونس، 2002، ص108.**

6) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص272.

7) البكري: المغرب، ص69؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص251.**

البطيئة في النمو، كونها مثلت أحد الثغور الهامة لجميع الدول المتعاقبة على المنطقة، كان من المفروض أن تساهم في تحصينها وتهيئة مينائها.

ورغم محاولة البعض اعتبار مستغانم مدينة من تأسيس الموحدين(1) إلا أن البكري يفند كل ذلك ويعتبرها أقدم منهم(2)،

وفي العهد الموحدي سنة558هـ/1162م عندما أمر عبد المؤمن بإنشاء مائة مركب في موانئ"وهران والمرسى الكبير وأرزاو وهنين وتنس، لم تذكر المصادر ميناء مستغانم(4)، وهذا يبين استمراره في كونه ميناء هامشي غير مستغل بالشكل المطلوب ربما لاحتوائه على صخور جعلته غير صالح لرسو السفن، إضافة إلى كونه غير محمي من الرياح الغربية.

ومن مستغانم إلى حوض **فروح"فروخ"**، وهو مرسى حسن وعليه قرية عامرة، ويليه على البر من الشرق مدينة مازونة، وهي على ستة أميال من البحر(5)، وحوض فروخ يمتد على جوين صغيرين متوسط التغلغل في البحر يحده من الشرق والغرب مرتفعان صغيران، لا يستطيعان حمايته من الرياح الشمالية(6)، عكس الرياح الشرقية والغربية مما يجعله مأموناً شتاء، لهذا قال عنه الإدريسي مرسى حسن.

ويبدو أن مرسى فروح أصبح قرية عامرة في عهد الإدريسي، بفضل عمق مياهه وسعة حوضه سمحت له باستقطاب السفن و المراكب التجارية القادمة من الأندلس و من التجار الايطاليين الكتالونيين خاصة أواخر الفترة الوسيطة

ومن حوض فروح إلى **طرف جوج**، وهو أنف خارج في البحر، ومنه إلى **جزائر الحمام**، ومنه إلى **مصب نهر الشلف** اثنان وعشرون ميلا، ومنه إلى **قلوع الفراتين** في وسط الجون، ومن القلوع **إلى تنس** اثنا عشر ميلا(8).

ومن الطرف إلى **مرسى أمتكوا** عشرة أميال(1)، ويعتبر الإدريسي أول جغرافي وأول مصدر يذكر هذا المرسى، مما صعب علينا تحديد موقعه بالضبط، سوى أنه يقع بين ميناء تنس غربا، ومرسى وقور شرقا، وأن الأبحاث الأثرية

---

2) البكري: المغرب، ص69؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص251**.

.

4) بلجوزي بوعبد الله: المرجع السابق، ص458.

5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص272.

6) Gsell .Ct; Op. Cit, Flle n °21, MOSTAGANEM, Cartes.

8) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص272.

لم تسجل أي ميناء يعود إلى الفترة الوسيطة يكون مهيئاً[2]،

ومن أمتكوا طالعا في الجون إلى **مرسى وقور** أربعون ميلا وهو مرسى ضيق يستر من الريح الشرقية ولا يستر من غيرها، ونلاحظ اختفاء جزيرة وقور على تعبير البكري[3]، وذكر الإدريسي للمرسى دون جزيرة مما يجعلنا نعتقد أنها ضمت والتصقت بالمرسى ربما بكاسرة رياح أو قد طغى عليها الماء وغمرها، وهو الأرجح باعتبار الإدريسي يذكر المرسى بأنه ضيق، أي أنه قد تراجع دوره خلال القرن الخامس والسادس الهجريين.

ومن وقور إلى مدينة **وميناء برشك** عشرون ميلا[4]، والإدريسي أكد لنا أن **برشك"** جونوجو في العصور القديمة"مرسى صغير على تل، وعليها سور تراب، وهي على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون، وماؤها عذب وبها فواكه وحنطة كثيرة"[5].

وذكر الإدريسي بأن على مدينة برشك سور من تراب يدل على أنه أنشئ في فترة متأخرة عن فترة ابن حوقل"القرن الرابع الهجري"الذي ذكر بأن سورها تهدم[6]، كما نجد الغارة التي قادها النورمان على مدينة وميناء برشك سنة538هـ/1144م حيث خرج أسطول الفرنج من صقلية إلى ساحل إفريقية والغرب، ففتحوا مدينة برشك وقتلوا أهلها وسبوا حريمها"[7] وهذا دليل على أنه لم يكن لها سور كبير أو حصين لحمايتها، وبعد ذلك يبدو أن سكانها تطوعوا وبنوا لها سوراً بإمكاناتهم الخاصة فجعلوه من التراب فقط.

لكن تحصن ثابت بن منديل المغراوي(683-693هـ/1284-1293م) داخل مدينة برشك ولمدة أربعين يوما وتمكنه من الصمود أما جيش عثمان بن يغمراسن الزياني[8]، يبين لنا أنها كانت محصنة بإحكام بسور بُني خلال القرن السابع الهجري.

ومن برشك إلى مرسى شرشال عشرون ميلا على البحر، ومن شرشال إلى **مرسى البطال** الواقع بالقرب من رأس يقال له طرف البطال، وقبالته جزيرة صغيرة، وهو خالٍ من السكان[9].

---

1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص272.

3) البكري: المغرب، ص81؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص267**.

4) نزهة المشتاق، ج1، ص272.

5) نفسه، ج1، ص257؛ **والمغرب، ص88**.

6) ابن حوقل: المصدر السابق، ص78.

7) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص334.

8) يحي ابن خلدون: بغية، ص119.

9) الإدريسي: المغرب، ص101؛ و**الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، هامش 201، ص114-115**.

وما يجذب الانتباه اختفاء هذه الجزيرة الصغيرة حاليا، كما نشك في وصف الإدريسي بقوله أنه خال من السكان، لأنه وصف البكري خلال القرن الرابع الهجري فكيف بقي على حاله خالياً من السكان لمدة طويلة تزيد عن القرنين؟ وموقعه ممتاز حيث كان خلال الفترة القديمة محطة رئيسية للسفن المبحرة من قرطاج باتجاه مضيق جبل طارق.

كما نتساءل عن غيابه في المصادر اللاحقة بعد الإدريسي تماما أي بعد القرن السادس الهجري، فلا نجد ذكرا له، حتى الفترة الحديثة أين تم إحياؤه في العهد العثماني باستقرار وتمركز سكاني بدأ يتوسع مع نهاية الفترة العثمانية، لتعيد فرنسا تنظيمها تحت الاسم القديم تيبازة تخليدا لموروث أجدادهم الرومان.

ومن مرسى البطال، نصل إلى **جون هور**(1)، وهو قرية صغيرة في وسط الخليج وعلى بعد من البحر، وبها قوم صيادون للحوت، ومكانها أقصار، أي خطير، لا يسقط فيه أحد ويخلص منه البتة(2)،

ويعتبر الإدريسي أول من أشار بأن بها قرية ولو صغيرة مما يبين عودة التعمير بها بعد فترة الفتح التي خربت قبلها المدينة الرومانية، إلا أننا نجدها تختفي فيما بعد من الذكر والإشارة في جميع مصادر الفترة الوسيطة سواء كانت جغرافية أو رحلات، لتعود في القرن العاشر على يد مارمول(4) الذي ذكرها باسمين هما"يهور والأخصاص".

ورغم غياب المعطيات الأثرية عن هذا الجون، إلا أننا نستطيع القول أنه مثل ملجأ للسفن المبحرة على طول الساحل باعتبار ما يمتاز به موضعه من خصائص تجعله ملجأ طبيعياً محمياً من الرياح الشرقية والشمالية التي تصطدم بشبه جزيرة سيدي فرج التي شكلت مكسرا طبيعيا(5).

ومرسى الذبّان"الذباب"الواقع بالقرب من أنف القناطر، وبه بقايا جسور قديمة"(6)، **ومرسى جنابية**(7)، وهي شبه جزيرة بها مدينة قديمة خالية بالقرب من نهر، ومنها إلى جزائر بني مزغنا(8).

---

1)مرسى هور بين أنف القناطر ومرسى البطال في جبال شنوة. **الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص273؛ والمغرب، ص101**.

2) الإدريسي: نفسه، ج1، ص273.

4) مارمول: إفريقيا، ج2، ص362.

5) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص254.

6) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص114.

7) يمكن أن تكون الجزيرة مطابقة لرأس سيدي فرج، حيث يوجد في جنوبه نهران صغيران. **الهادي روجي إدريس: نفسه، ج2، هامش 201، ص114**، وهذا الكلام قد فندناه في الفصل الأول.

8) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص273.

ونجد أن الإدريسي يشير إلى جنابية مما يبين لنا استمرارها في النشاط البحري كمرسى خلال القرن الخامس هجري رغم أنها خالية من السكان، أي أنها مثلت مرسى متقدما لتفريغ أو تزويد السفن بالمؤونة وهي السفن المتجهة إلى مدينة جزائر بني مزغنة، خاصة من مدينة دانية الأندلسية.

وهذه بعض المراسي في غرب جزائر بني مزغنا وما يقابلها في جهة الأندلس: مرسى قصر الفلوس–تدمير، تنس– شنت بول Cap de Sante pola، مرسى جزيرة العطور– ألقنت Alicante، شرشال– مرسى موورورة Cap Moraira، مرسى جنابية– دانية Denia، جزائر بني مزغنة– بنشكالة Peniscola، مرسى الدجاج– ميروقة Majorque[1].

وإذا تفحصنا جيدا مصادر العصر الوسيط عموما، وبحثنا عن هذه الأسماء في الطوبونيميا المعاصرة[2]، فإننا سنقع في إشكالية تغير الأسماء وانتقالها لأسباب عديدة، وإطلاق نفس اللفظ على أماكن متعددة، أو زوال الاسم نهائيا وظهور اسم بدلا منه كالخرز مثلا وتحوله إلى القالة، أو زوال المكان والمرفأ في حد ذاته لأسباب طبيعية"طغيان المياه، أو بعض الزلازل" أو لأسباب بشرية كمزج بعض الجزر وتكوين موانئ جديدة كما حدث مع الجزر المقابلة لجزائر بني مزغنة والتي تحولت إلى ميناء واحد.

أما المراسي الشرقية من جزائر بني مزغنا إلى مرسى الخرز فهي:

مرسى مدينة"**جزيرة مزغنا**"[3]، وهي إحدى المدن الثلاث التي أعاد بناءها بلكين، وقد كانت عامرة آهلة وتجارتها رابحة وصناعتها نافقة، وميناؤها محمي جدا ومزود بالماء من عيون عذبة على البحر ومن آبار، وقد كان يتردد عليه البحارة القادمون من إفريقية والأندلس ومن الأقطار الأخرى"فيتجهزون بها إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم"[4].

إن إشارة الإدريسي بأن ميناءها محمي جدا رغم أنه مفتوح على الرياح يدل على أن السلطة المركزية المسؤولة على النشاط البحري للميناء قامت بتهيئته والتصدي لتلك الرياح بكاسراتها، خاصة أنه مثل محطة للاستراحة والتزود بالماء من خلال عيونه وآباره العذبة، فأصبحت مدينة جزيرة بني مزغنا عدوة لأهل الأندلس، وممراً لإفريقية أو إلى

---

1) علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص64-65.

2) الطوبونيميا هي دراسة أسماء الأماكن أو الأعلام، وتطورها، وهذه الدراسة تنصب على الصورة والصوت والدلالة، كما تبحث في الاشتقاق والتطور، وهذا يفضي بنا الى القول أن دراسة أسماء الأماكن هي قبل كل شيء مجال فقه اللغة والصوتيات واللسانيات التاريخية.**أحمد التوفيق: حول الطوبونيميا والتاريخ في المغرب الشرقي، ضمن ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر، الوسط الطبيعي التاريخ الثقافة، أيام 13–15 مارس 1986، بوجدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة، ص411.**

3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص258؛ **والمغرب، ص89.**

4) نفسه، ج1، ص273.

المغرب الأقصى، وهو ما جعلها محطة رئيسية للمسالك البرية والبحرية حيث توقف بها كل من ابن سعيد والعبدري وابن بطوطة[1].

كما اتسع عمران المدينة وتجهيزاتها لاستقبال العدد الكبير من روادها، خاصة بعد التهيئة التي قام بها بلكين بن زيري في إطار إنهاء سيطرة الأمويين على سواحل المغرب الأوسط[2].

وبعدها نجد **مدينة تامدفوس**"وهي مرسى حسن، عليه مدينة حصينة صغيرة خراب، وبها بقايا بناء قديم وهياكل وأصنام وحجارة"[3]، بينها وبين جزائر بني مزغنا ثمانية عشر ميلا، ومنه إلى مرسى الدجاج عشرون ميلا[4].

ولكن ما يجلب الانتباه، والصعوبة في نفس الوقت هو موقع ميناء تامدفوس حيث ذكره ابن حوقل سابقا في غرب جزائر بني مزغنا مباشرة، عكس ما ذكر الإدريسي بأنه شرق جزائر بني مزغنا مباشرة، كان ذكره مرتبا ومتتاليا من اليمين إلى اليسار، بالشكل التالي: مرسى الخرز، بونة، مرسى الدجاج، جزائر بني مزغناي، تامدفوس، أشرشال، برشك[5]، مما يصعب علينا وضع خريطة صحيحة ودقيقة فكيف لجغرافيين أن يختلفا في موقع مدينة؟ وأيهم أصح؟ وإذا ركزنا على الوصف الذي قدمته المصادر فإنها تضع المدينة على رأس ممتد في البحر وهو رأس ماتيفو، في شكل شبه جزيرة ويحدها واد الحميز من الجهة الجنوبية الغربية في امتداد سهلي متمم لسهل متيجة"ومزارع متصلة"[6] وتتميز سواحلها بطابعها الصخري[7].

ومن هذا الوصف يتضح أن الإدريسي هو الصائب، لأنه لازالت توجد لحد الآن بلدية اسمها قريب جدا لتامدفوس وهي ميدينة تمنفوست التابعة لبلدية المرسى في شرق العاصمة الجزائر مباشرة، كما أن الإدريسي، صحح معلومة ابن حوقل ولم يشأ الوقوع في نفس الخطأ.

---

1) الجغرافيا، ص142؛ **والرحلة المغربية، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط2، 2005، ص82؛ وابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعة الأكاديمية المغربية، 1997، ج1، ص161.**

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص212.

3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص258؛ **والمغرب، ص89.**

4) نفسه، ج1، ص259.

5) ابن حوقل: المصدر السابق، ص67.

6) الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص258، 273.

7) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص42.

ثم يلي تامندفوس ميناء **مرسى الدجاج** وفي عهد الإدريسي كان يسكن هذا المرسى[2]، عدد قليل من الأندلسيين والكتاميين الذين كانوا ينسحبون في الصيف إلى المناطق الداخلية خوفا من نزول الأعداء بالميناء[3]، وتجدر بنا الإشارة إلى أن هذا الميناء يغلب عليه الطابع التجاري، إذ تقابله من الضفة الأخرى جزيرة ميورقة وهذا ما سمح لها أن تبرز على الواجهة البحرية.

وعن مدينة مرسى الدجاج يذكر الإدريسي أنها مدينة كبيرة القطر على حصن دائر بها في شرق المغرب الأوسط، ولها مرسى مأمون وأرض ممتدة وزراعات متصلة، وإصابة أهلها من زروعهم واسعة وحنطتهم مباركة وسائر الفواكه واللحوم بها كثيرة وتباع بالثمن اليسير، والتين خاصة يحمل منها شرائح طوبا ومنشورا إلى سائر الأقطار وأقاصي المدائن والأمصار وهي بذلك مشهورة[4].

وما يجلب انتباهنا هو وصف ابن حوقل للميناء بغير المأمون[5] أما الإدريسي فوصفه بالمأمون، وهنا نتساءل هل تم في عهد الإدريسي بناء كاسرة للرياح تصد من الجهة الشمالية الغربية، وتوسيع المرسى وتنظيفه من الطمي لتعميق قعره لتسهيل رسو السفن.

ومن مرسى الدجاج إلى **طرف بني جناد** وهو أنف يدخل البحر اثنا عشر ميلا، ومن طرف بني جناد إلى مدينة تدلس اثنا عشر ميلا[6].

ويبدو أن المرسى الموجود في طرف بني جناد لم يتطور وبقي يشكل محطة ثانوية فقط إذ منذ ذكره ابن حوقل بقي بنفس الصفة إلى عهد الإدريسي، ثم سيعود للاختفاء مرة أخرى منذ القرن السابع الهجري ماعدا ما أشار اليه الحموي الذي استند في وصفه إلى ما ما بينه البكري، مما يحيلنا إلى أن الطبيعة الجغرافية له لم تسمح بتطوره أو نظرا لوقوعه بين مينائين هامين هما مرسى الدجاج ومرسى تدلس"أو دلس".

---

2 هي مدينة بالمغرب الأوسط وهي كبيرة حصينة تبعد عن مدينة تادلس بـ24 ميلا ولها الكثير من الزراعات وخاصة الحنطة. **الإدريسي:نزهة المشتاق، ج1، ص259**؛ و **المغرب، ص89**

3) نفسه، ج1، ص259؛ **والمغرب، ص89-90**.

4) نزهة المشتاق، ج1، ص259؛ **والمغرب، ص89**.

5) صورة الأرض، ص77.

6) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص259؛ 273.

إن أول مدينة على ساحل البحر غربي بجاية هي **تدلس**[1]، وهي على شرف متحصنة لها سور حصين، وديار ومنتزهات، وبها من رخص الفواكه والأسعار ما لا يوجد بغيرها مثله[2]، ولم تكن تدلس من المراسي أو المدن المشهورة قبل القرن السادس الهجري، إذ لا نجد لها ذكرا في مصنفات الأدب الجغرافي العائد إلى الفترة السابقة له، وأول من ذكرها هو الإدريسي، ومن المرجح أنها كانت تابعة لمدينة بني جناد، على مقربة من مدينة ومرسى الدجاج، التي تبعد عنها "بأربعة وعشرين ميلا"[3].

كما نلاحظ اختفاء ذكر المدينة في المصادر الأولى قبل الإدريسي، وظهورها مرة أخرى باسم جديد هو"تدلس"ويذكر احد الباحثين أنها بربرية باعتبار أن الحرف الأول من الكلمة"ت" يتكرر على مستوى طبونوميا المنطقة القبائلية[6]، دون أن يقدم معنى للاسم.

وهي فعلا بربرية أصلها"ثادلست أو ثادليست"وهي بقايا النبات بعد حصده ، كما تعني الكوخ، وقد عربت إلى تدلس أو تادلست[8]

1) نفسه، ج1، ص273؛ **والمغرب، ص89-90**.

سنجد فيما بعد أن الوزان يذكر بأن تدلس بنيت في موضع مدينة عتيقة بناها الأفارقة .**وصف إفريقيا، ج2، ص42**؛ أما مارمول فيذكر بأنها مدينة بناها السكان الأصليون. **إفريقيا، ج2، ص372**.**(لاحظ الملحق رقم 03)**

2) الإدريسي: المغرب، ص89-90.

3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص259، وتبعد عنها جزائر بني مزغنة خمسون ميلا. **ابن سعيد: الجغرافيا، ص142**، وعشرة فراسخ لدى **مارمول: إفريقيا، ج2، ص373**،

6) على غرار اسم تاكسبت وتيغزرت وغيرها...**الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص193**.

8) إسماعيل بن نعمان: مدينة دلس(تدلس)، ص22.

أما التسمية الحالية دلس فأقدم ظهور لها في المصادر يعود إلى الفترة العثمانية عند التمجروتي الذي عاش في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي[1].

كما أن ذكر الإدريسي لتدلس بأن لها سوراً حصيناً، يؤكد أهميتها الدفاعية باعتبار الحصن وسيلة وأداة في نفس الوقت للدفاع عن المدينة وصيانتها من التحرشات خاصة عن طريق البحر، رغم أنه يعتقد أنه سور قديم من الفترة الرومانية وأعيد ترميمه فقط خلال القرن السادس الهجري أي خلال العهدين الحمادي والموحدي

حيث تمكن حماد بن بلكين من السيطرة على مدينة تدلس وبجاية والجزائر[3]،

وخلال الفترة الحمادية شهدت تدلس استقرار معز الدولة بن صمادح الأندلسي"من ألمرية" بها سنة484هـ/1091-1092م، وأدى ذلك إلى ازدهارها[5]، وما يلفت الانتباه في وصف الإدريسي لتدلس هو عدم ذكره لمرساها رغم إشارته إلى التبادل التجاري بينها وبين غيرها من المدن، رغم أنه كان مستغلا من قبل الدولة الحمادية[6].

ومن مدينة تدلس إلى **طرف بني عبد الله** إلى جون-خليج-**زفون**، عشرون ميلا، ومن **زفون** إلى **الدهس الكبير** ثلاثون ميلا، ومنه إلى **الدهس الصغير**، ثمانية أميال ومن الدهس إلى **طرف جرية"أوجربة"**[7]، خمسة أميال[8]، ومن طرف جربة إلى مدينة **وميناء بجاية** في البحر اثنا عشر ميلا[9].

---

1) إسماعيل بن نعمان:المرجع السابق، ص24.

3) أبو راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق محمد غالم، مركز البحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005، ج1، ص156.

5) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص97؛ **والهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص328.**

6) رشيد بورويبة: الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص144-145.

7) ذكرها الإدريسي جربة وجرية كذلك وأعتقد أنه خطأ للناسخ فقط .**الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص273، 274**، وهي غير جزيرة جربة التونسية.

8) الإدريسي: نفسه، ج1، ص272.

9) نفسه، ج1، ص274.

ولم يشرح لنا الإدريسي المقصود بمصطلحاته خاصة الدهس، ولكن يبدو من خلالها أنها كلمة عربية يراد بها مكان"سَهْلاً لَيِّناً لَيْسَ بِرَمْلٍ وَلا تُرابٍ"[1]، حيث كانت على شكل جون محمي من الرياح تشكلت على شاطئه رمال مخلوطة بالتربة.

فبمجرد تجاوز جون زفون باتجاه الشرق نحو بجاية يمتد خط ساحلي مستقيم نسبيا تتخلله بعض الرؤوس المتقدمة في البحر، حيث يعتبر الإدريسي أول من أشار إليهم ولم يشر لهم حتى البكري منها طرف بني عبد الله، وطرف جربة والدهس الصغير والدهس الكبير، وجون زفون.

وجون زفون يتطابق مع موضع قرية أزفون الحالية، على مستوى منطقة جبلية من جبال جرجرة إذ تبعد بثمانية كيلمترات غرب مصب وادي الحمام[2]، وتسمية زفون بربرية نسبة إلى القبيلة التي سكنت المنطقة أصفون[3]، فحولت الصاد إلى زاي أو نسبة إلى قبيلة زقفاوا Zakhfaoua[4]،

يعتبر **ميناء بجاية** الأوفر حظا باعتباره مركز الدولة وواجهتها ورابطها بالفضاء المتوسطي، وعموما شهدت الواجهة البحرية للمغرب الأوسط في ظل الدولة الحمادية انتعاشا للتجارة، بفضل نشاط التجار والبحارة الأندلسيين المستقرين في مختلف المدن البحرية، وهذا ما أدى في النهاية إلى ظهور مجتمعات"بحرية"لارتباط أصحابها بالبحر وصيد السمك والمرجان[6]، وممارسة التجارة[7].

1) **الدَّهْسُ**: المكَانُ السَّهْلُ اللَّيِّنُ ليس بِرَمْلٍ ولا تُرَابٍ ولا طِينٍ يُنْبِتُ شَجَراً وتَغِيبُ فيه القَوَائمُ، وقيلَ الدَّهْسُ الأَرْضُ التي يَثْقُلُ فيها المَشْيُ وقيل هي التي لا يَغْلِبُ عليها لَوْنُ الأَرْضِ ولا لَوْنُ النَّبَاتِ وذلِك فِي أَوَّلِ النَّبَاتِ.**لاحظ تاج العروس مادة دهس**.

2) Thomas; Ruines Romaines de Zeffoun, Revue Africaine, n°2, 1857 - 1858, p. 441 – 444.

3) قال ابن خلدون:"ونالت منهم الحامية في المدافعة بالقتل والجراحة أعظم السيل، وقفلوا راجعين فشيدوا حصناً بأصفون وشحنوه بالأقوات" **ابن خلدون**: **العبر**، **ج6**، **ص478**؛ كما ذكره بأصفوان بقوله" وأقام مسعود بن برهوم محاصرا لبجاية، وبنى حصناً بأصفوان لمقامته" **العبر**، **ج7**، **ص138**.

4) Thomas;Op. Cit, p. 441 – 444.

6) هو شجر في البحر متحجر، يخرج أبيض اللون لينا ويعرض للهواء حتى يشتد صلابة ويحمر لونه، ثم ينقل إلى سوق لتفصيله، وصنعه حرزا وثقبه وتنظيمة. **الإدريسي**: **المغرب**، **ص168**.

7) علاوة عمارة: الحكم والاقتصاد، ص274.

وفي تتبعنا لوصف الإدريسي للدور الذي لعبته **بجاية** الحمادية في تنشيط الحركة التجارية واكب هذه الوضعية تطور عمراني للمدن الساحلية" المراسي"، خصوصا على ساحل بلاد كتامة وبلاد زواوة[1].

وكان لانتشار الغابات في سواحل المغرب الأوسط دور في إنتاج الأخشاب، لذلك انتشرت في منطقة بجاية صناعة السفن، وقد ذكر الإدريسي قائلا:"وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن الحربية، لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير موجودة، ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران، وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة" أي أن كل المواد الأولية لقيام وصناعة السفن والمراكب موجودة[2].

ويصف جورج مارسيه عاصمة بني حماد بقوله"من أهم عواصم القرصنة مدينة بجاية"[3]، ولم تلبث بجاية أن أصبحت بمثابة المهدية، بالنسبة للمغرب الأوسط، إن صح التعبير، وأن تتفوق على مدينة الجزائر الساحلية التي أشار الإدريسي مع ذلك إلى ازدهارها في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي[4].

كما أشار الإدريسي إلى **متوسة** التي تبعد عن بجاية اثني عشر ميلا وتقع على الساحل أو بالقرب منه" وهي قرية عامرة وبها معادن الجص ومنها يحمل إلى بجاية"[5].

ومن مرسى متوسة يأتي مرفأ **المنصورية** المحمي بجزيرة صغيرة[6]، وهو الذي ذكرناه سابقا باسم ميناء دنهاجة وسبيبة، ونلاحظ أن الإدريسي يسميه مرفأ فقط، أي أنه لم يرتق لدرجة المرسى أو الميناء، رغم أن أحد الباحثين يعتبره مرسى نهرياً لواد المنصورية ، وقد وفرت جبال المنصورية الأخشاب لدار الصناعة في بجاية خلال الفترة الموحدية، وهو ما تحدث عنه بيري رايس فيما بعد ما سيجعل هذا المرفأ يتطور إلى ميناء ولكنه داخلي أي لنقل الأخشاب فقط إلى بجاية ولا يقوم بنشاط تجاري أو بحري، وهذا راجع إلى قلة الاستقرار السكاني في المنطقة.

ويلي مرفأ المنصورية **فج الزرزور**، على بعد اثني عشر ميلا[9]، وقد سماه قبل هذا البكري بجزائر العافية، حيث تتكون من سبع جزر أكبرها هي العافية[1]، و سماها فيما بعد بيري رايس"جزيرة الحصان" وما زالت إلى اليوم بهذا

---

1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص259-262؛ **والمغرب، ص90-93**.

2) نزهة المشتاق، ج1، ص260؛ **والمغرب، ص90**.

3) بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرق، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، منشآت المعارف الإسكندرية، 1991، ص261.

4) المغرب، ص89-90، وص102-103.

5) أشار إليها البكري في كتابه ونقلها عنه الإدريسي.**البكري:المغرب، ص82-83**؛ و **الإدريسي**: **المغرب، ص98**.

6) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص272.

9) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص272.

ورغم أن الإدريسي لم يذكر بأن فيه مرسى بل سماه فج والفج بين جبلين يفصل بينهما الماء على شكل حوض، بالسفح الشمالي لجبال الرحمن، وساحل يتميز بعدة رؤوس متقدمة في البحر، منها صخرة الزرزور، وربما سميت نسبة إلى طائر الزرزور.

وما يجذب انتباهنا ذكر هذا المرسى أو الفج من قبل البكري ثم الإدريسي أي خلال القرنين الرابع إلى السادس الهجري ثم اختفاؤه مرة أخرى ليعود إلى الظهور في عهد بيرير رايس أي القرن العاشر الهجري باسم جزيرة الحصان، مما يفسر عودة نشاط المدن الايطالية تجاريا مع بلاد المغرب واستغلاله لهذا المرسى.

ورغم أن المعطيات الطبيعية تقر بصعوبة شاطئ وساحل الزرزور وهذا باعتراف أحد الجغرافيين و هو ابن سعيد"سواحل جبل الرحمة تقاسي المراكب في بحرها هولا شديدا وسكانها من عصاة البربر"[3]، مما يجعلنا نقر أن جزر العافية"أو الزرزور"لعبت دورا في كسر الأمواج والرياح وجعل هذا المرسى صالحاً لرسو السفن.

ومن فج الزرزور إلى **مزغيطن،** وهو طرف خارج في البحر أحد عشر ميلا، ومن هذا الطرف إلى بجاية خمسة وأربعون ميلا[4].

ومن مزغيطن إلى مرسى جيجل خمسة أميال، ثم **مرسى جيجل** وهو أول ميناء ساحلي مهم يأتي بعد بجاية، في الجهة الشرقية، ومن جيجل إلى مصب **وادي القصب** عشرون ميلا، ومنه إلى **مرسى الزيتونة،** ومنها إلى القل عبر جبال الرحمن المطلة على البحر[5].

وبذلك يسجل الإدريسي خلال القرن السادس الهجري نقلة نوعية لمرسى جيجل بعد ما كان مهملا، إذ يذكر أنه أول ميناء ساحلي مهم، كما يشير إلى"ربض المدينة الواقعة على البحر وإلى تأسيس مدينة أخرى في الجبل على بعد ميل منها"[6]، ويبدو أن هذا التوسع تم بعد الانضمام إلى عمالة بني حماد.

ويذكر الإدريسي لمدينة جيجل مرسيان واحد في جهة الجنوب وهو مرسى يصعب الدخول إليه إلا بدليل حاذق وأما مرساها من جهة الشمال فيسمى بمرسى الشعراء وهو ساكن الحركة كالحوض حسن الإرساء به لكنه لا

3) الجغرافيا، ص142.

4) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص272.

5) نفسه، ج1، ص268، 274؛ **والمغرب، ص98.**

6) نفسه، ج1، ص268.

وبالتالي يعتبر مرسى جيجل مختلفا عن المراسي السابقة التي تحوي على حوضين خارجي وداخلي ويفضي بعضهم لبعض؛ ولكن مرسى جيجل مرسيان في جهتين مختلفتين تفصل بينهما شبه جزيرة أحدهما مأمون والآخر خطير.

ولكن تعرضت مدينة جيجل لزلزال عنيف خلال العصر الحديث عام 1856م أدى إلى زوال معالم هذين المرسيين(3).

ويذكر الإدريسي عن **ميناء القل** أنه أصبح مجرد ميناء بسيط لقرية صغيرة تشمل عددا قليلا من المساكن، كان أصحابها يهجرونها في الصيف، وهو فصل القرصنة البحرية، ويلتجئون إلى الجبال، فلا يبقى في الساحل إلا الرجال، كما تغلب عليه الأعراب فيما بعد(8)، وهذا يبين تأثير الحملة الهلالية على بعض المناطق الساحلية، ومنها القل التي هجرها السكان.

كما تبعد **شطورة"أستورة"**عن القل بحوالي56ميلا، ومن القل إلى جيجل70ميلا، ومن جيجل إلى بجاية50ميلا ومن بونة إلى بجاية200ميلا بحريا على الساحل(9)، ولم يشر الإدريسي إلى خصائص ميناء أستورة أو

1) الادريسي: المصدر السابق، ج1، ص268-269.

3) منصوري خديجة: جيجل في الفترة القديمة، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 12، 2002، ص120.

4) **أرجونة**: بالفتح ثم السكون وجيم مضمومة وواو ساكنة ونون بلد من ناحية جيان بالأندلس .**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص144**..

5) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص317-318.

6) نفسه، ج1، ص318.

8) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص269، 274؛ **والمغرب، ص98**.

9) الإدريسي: نفسه، ج1، ص274-275.

إلى تعمير المدينة، ولم تشر كذلك حتى المصادر السابقة له كالبكري، مما يوحي أنه كان ميناء للعبور والتزود فقط دون أن يتحول إلى مركز تجاري ثم حضري.

ومن أستورة إلى **مرسى الروم** ثلاثون ميلا[1]، وهنا يعود مرسى الروم للظهور ولكن باحتشام من قبل الإدريسي، لأنه سيعود للاختفاء فيما بعد، مما يحيلنا أنه كان مرسى ثانويا قديما كموروث من الرومان ليتم إحياؤه خلال فترة البكري خاصة أنه مرسى شتوي مأمون، لتقل أهميته في عهد الإدريسي، الذي مر عليه مر الكرام، ثم

ومنه إلى **تكوش** ثمانية عشر ميلا، وهي رابطة وبها قوم ساكنون[3]، ولم يشر البكري قبل هذا إلى وجود رابطة أو رباط بمنطقة ومرسى تكوش[4]، مما يحيلنا إلى تطور أهمية هذا الميناء تجاريا وبحريا بين القرنين الرابع والسادس هجريين؛ مما جعل سكان المنطقة أو السلطة المركزية تؤسس رباط للدفاع عنها وتوفير الأمن اللازم للقيام بالنشاطات التجارية؛ خاصة أن المنطقة قريبة إلى ميناء بونة والخرز، وسهولها خصبة.

ومن مرسى تكوش إلى **رأس الحمراء** ثمانية عشر ميلا، ومن رأس الحمراء إلى **بونة** في قاع الجون ستة أميال[6].

ثم إلى **مرسى الخرز** الذي أصبح، مجهزا بدار صناعة، ويتعامل تجاريا مع مدينة وميناء بونة، وبينهما مرحلة خفيفة في البحر وهي أربعة وعشرون ميلا[7].

---

1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص275

3) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص274-275.

4) البكري: المغرب، ص83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**.

6) الإدريسي: نفسه، ج1، ص291.

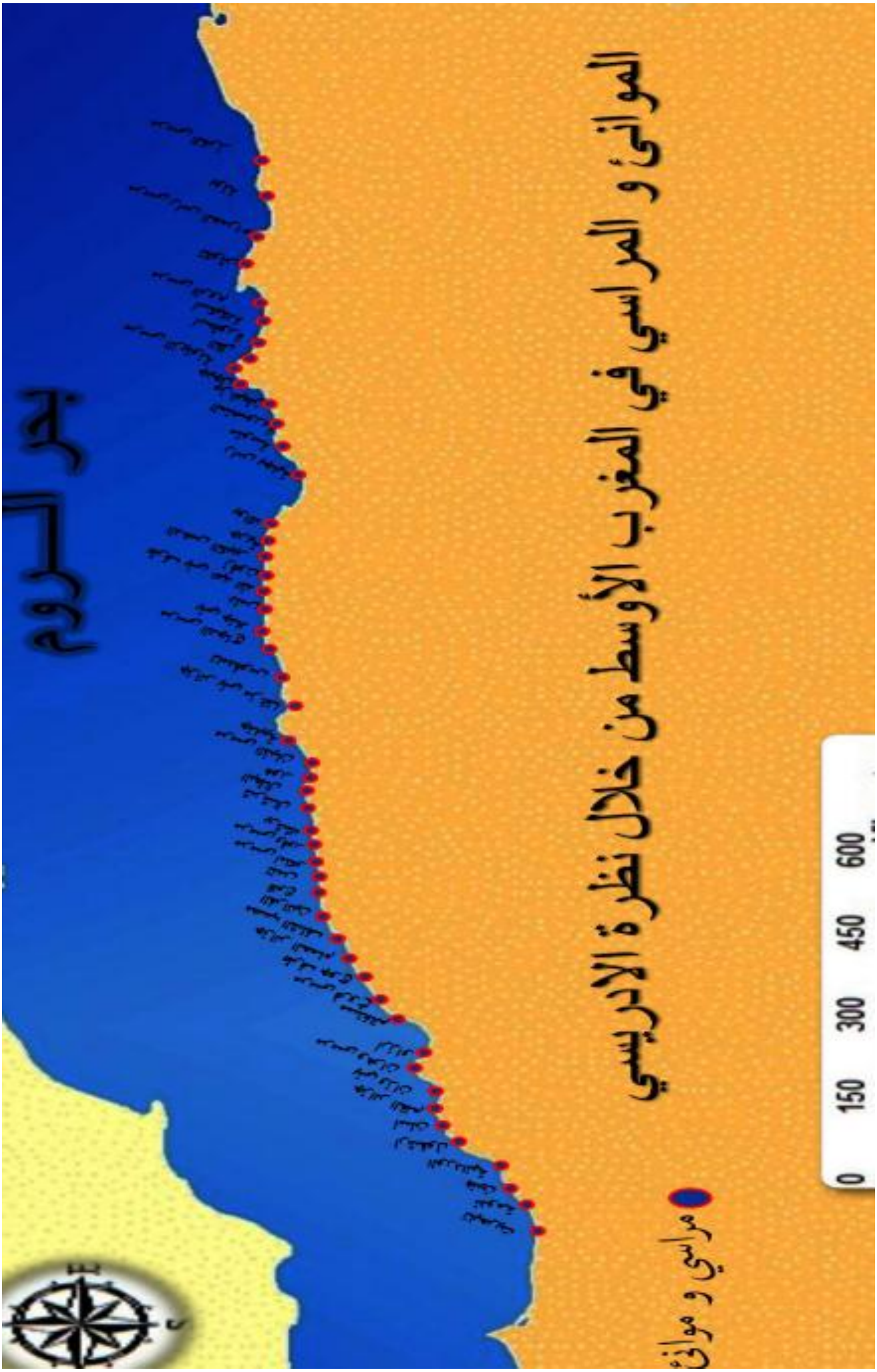
7) نفسه، ج1، ص291؛ **والهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص294**.

8) حول صادرات المغرب الأوسط إلى الأندلس أنظر:

أوليفيا ريمي كونستابل: التجارة والتجار في الأندلس، مكتبة العبيكان، الرياض، 2002 .

هذا ما نلمسه من خلال تتبعنا لوصف مختلف مناطق المغرب في جغرافية الإدريسي؛ حيث ركز صاحب نزهة المشتاق، على الدور الذي لعبته بجاية الحمادية في تنشيط الحركة التجارية على اعتبارها"عين بني حماد" وقاعدة المغرب الأوسط فقد تمت الإشارة إلى مراس جديدة على علاقة ببجاية القطب منها: مستغانم، ومرسى أمتكور، ومرسى تدلس"دلس"، ومرسى أزفون، ومرسى متوسة، ومرسى المنصورة[3].

3) نزهة المشتاق، ج1، ص249-275.


الموانئ و المراسي في المغرب الأوسط من خلال نظرة الادريسي
بحر الروم
مراسي و
0 150 300 450 600

تشير المصادر كلها وعلى رأسها كتاب نزهة المشتاق إلى **المسالك** و**الطرق البحرية** التي تربط مراسي المغرب الأوسط بساحل الأندلس أو بإفريقيا جنوب الصحراء بل حتى بالمشرق العربي.

لقد بدأ الإدريسي بأول طريق من ميناء ومدينة **ترنانة إلى تلمسان**، وقدرها بمرحلة لطيفة[1]، أي مسافة صغيرة لا ترهق المسافر، خاصة في تلك الفترة التي غابت عنها الحدود الفعلية بين بلدان المغرب الإسلامي.

وأما من أراد الطريق إلى **تلمسان من سجلماسة** فالقوافل تسير من تلمسان إلى فاس ومن فاس إلى صفروي، إلى تادلة إلى أغمات إلى بني درعة إلى سجلماسة[2]، وهذا يؤدي بنا إلى اعتبار المدن الداخلية كفاس وأغمات وتلمسان هي بوابة الساحل أو ما يعرف بمدن العبور" الترانزيت"حيث تستفيد في بعض الأحيان تجارتها وتزدهر مدينتها أكثر حتى من المدن الساحلية نفسها.

أما الطريق الرابط **بين تلمسان ومدينة المسيلة** مرورا بتاهرت فهو أربع مراحل، حيث تخرج من تلمسان إلى تادرة وهي قرية في حضيض جبل فيها عين ماء خرارة مرحلة ومنها إلى قرية نداى مرحلة، وهي قرية صغيرة في فحص أفيح بها بئران ماؤها معين ومنها إلى مدينة تاهرت مرحلتان، وبالتالي بين تاهرت والبحر أربع مراحل"[3]، وهذا ما يبين لنا أنه لولا المدن الساحلية التي اعتبرت منفذا للمدن الصحراوية لركدت التجارة أو لتوقفت نهائيا، أما المدن الداخلية كتاهرت والمسيلة فكانت همزة وصل بين المنطقتين الساحلية والصحراوية.

إضافة إلى الطريق الساحلي الغربي للمغرب الأوسط والذي تحدث عنه الإدريسي وهو الطريق من **تلمسان إلى تنس**:حيث قدره بسبع مراحل، إذ تخرج من تلمسان نحو قرية العلويين[4]، ومنها نحو قرية بابلوت[5]، ومنها إلى قرية سنى، ومنها إلى رحل الصفاصف، ومنه إلى أفكان[6]، ومن هذه المدينة إلى المعسكر[7]، ثم إلى مدينة يلل، ثم **مدينة غزة**[8]، ومنها إلى سوق إبراهيم، ومنها إلى باجة[1]، ومنها إلى تنس[2].

---

1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص248؛ **والمغرب، ص80**.

2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص250-251؛ **والمغرب، ص82-83**.

3) نفسه، ج1، ص255؛ **والمغرب، ص86-87**.

4) هي قرية كبيرة عامرة على ضفة نهر ولهم بها جنات ومياه جارية من عيون. **الإدريسي: المغرب، ص82**.

5) قرية جليلة كثيرة الأهل والعمارة على نهر ليس به أرحاء وتسقى منه مزارع. **الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص250**.

6) أفكان مدينة كانت لها أرحاء وحمامات وقصور وفواكه كبيرة وكان عليها سور تراب لكنه الآن تهدم وبقي أثره ووادها يشقها نصفين ويمضي منها إلى تاهرت.**الإدريسي:المغرب، ص83**.

7) المعسكر قرية عظيمة لها أنهار وثمار. **الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص251؛ والمغرب، ص83**.

8) غزة مدينة صغيرة القدر فيها سوق مشهورة مشهودة، لها يوم معلوم وبها حمام وديار حسنة ولها مزارع .**نفسه، ج1، ص251؛ والمغرب، ص83**. وقد سماها البكري الغزة. **البكري: المغرب، ص69؛ والبكري: المسالك، ج2، ص251**.

ويبدو أن العديد من المراسي والمدن الساحلية قد قل شأنها مما كانت عليه في السابق منها مدينة **غزة"الغزة"**التي كانت إحدى المحطات الهامة في الطريق من تيهرت إلى البحر(3)، إلا أن الإدريسي ذكرها بالمدينة الصغيرة القدر.

ويستمر الطريق الساحلي لربط **تلمسان بوهران،** حيث قدره الإدريسي بمرحلتين كبيرتين وقيل بل هي ثلاث مراحل، وذلك" أنك تخرج من تلمسان إلى وادي وارو فتنزل به وبينهما مرحلة ومنها إلى قرية تانيت، فتنزل بها وهي مرحلة ومن هذه القرية نحو مدينة وهران"(4).

ويبدو أن الطريق الساحلي قد عادت إليه الحياة، واستتب فيه الأمن مع استقرار الحكم الموحدي، وخضوع المنطقة تحت نفوذ سلطة مركزية واحدة بعد أن خربت واضطربت منذ زحف بني هلال وبني سليم، وبالتالي نجح الموحدون في النصف الثاني من القرن السادس الهجري في ضبط الساحل وانتعاشه اقتصاديا، مع كثرة استعمال طريق الساحل من تنس إلى طرابلس وازدهرت مدنه تجاريا خاصة بجاية وتونس رغم بعض التوترات الداخلية(5).

وهذا الطريق الساحلي هو الذي سلكه الأسطول الموحدي الذي غادر مدينة سبتة في اتجاه سواحل المغرب الأوسط وإفريقية في إطار الحملة الكبرى(6).

والطريق من **تنس إلى مليانة ومنها إلى تاهرت:**"...ومن مدينة تنس إلى مدينة مليانة في البر مرحلتان وبين مليانة وتاهرت ثلاث مراحل..."(7)، ومن تنس إلى برشك على الساحل ستة وستون ميلا، ومن برشك إلى شرشال عشرون ميلا، من شرشال إلى الجزائر لبني مزغنا سبعون ميلا"(8).

الطريق من مدينة **تنس إلى المسيلة:**"من بلاد بني حماد بالمغرب الأوسط تخرج من مدينة تنس إلى بني وازلفن مرحلة لطيفة من جبل وعر وشواهق متصلة...ومن تنس إلى شلف مرحلتان، ومن بني وازلفن إلى الخضراء مرحلة...ومن الخضراء إلى مليانة مرحلة...ومن مدينة مليانة إلى كزنانة مرحلة...ومنها إلى قرية ريغة مرحلة...ومنها إلى المسيلة"(9).

---

1) مدينة حسنة صغيرة لها إقليم به شجر التين الكثير جدا ويعمل بها من التين شرائح على مثال الطوب وبذلك تحمل منها إلى الكثير من الأقطار.**الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص251؛ والمغرب، ص83.**

2) نفسه، ج1، ص248؛ **والمغرب، ص80.**

3) البكري: المغرب، ص69؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص251.**

4) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص248؛ **والمغرب، ص80.**

5) مريم محمد عبد الله جبوده: التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، مصر، 2008، ص172.

6) التجاني: المصدر السابق، ص347-349.

7) الإدريسي: نفسه، ج1، ص253-255.

8) نزهة المشتاق، ج1، ص257-258؛ **والمغرب، ص88-89.**

9) نفسه، ج1، ص252-254؛ **والمغرب، ص84-85..**

أما الطريق من **تنس إلى بجاية** مرورا بجزائر بني مزغنا فهو"...من مدينة تنس إلى برشك على الساحل ستون ميلا...ومنها إلى شرشال عشرون ميلا... ومن شرشال إلى الجزائر لبني مزغنة سبعون ميلا...ومن الجزائر إلى تامدفوس شرقا ثمانية عشر ميلا...ومن تامدفوس إلى مرسى الدجاج عشرون ميلا...ومن مدينة مرسى الدجاج إلى مدينة تدلس أربعة وعشرون ميلا...ومن تدلس إلى مدينة بجاية في البر سبعون ميلا وفي البحر تسعون ميلا..."[1]، وكل هذه الطرق الرابطة بين تنس والمدن الأخرى وكذا تلمسان الرابطة بين المناطق الساحلية والداخلية، وكذا وهران كنقطة التقاء وربط بين المغرب والأندلس، يجعلنا نقر بوزن هذه المدن الثلاث في الجهة الغربية للمغرب الأوسط.

ونفس الشيء لعبه شرق المغرب الأوسط ولكن تقريبا كانت أغلب الطرق تتمركز في العاصمة السياسية لذلك الإقليم وهي بجاية، حتى أنها ورثت الطرق التقليدية التي كانت تربط القلعة بالمدن الأخرى وزادت ربطهم بالضفة الأخرى للبحر المتوسط، خاصة أن الطريق من القلعة إلى بجاية كان أهله من الأعراب وفي مهادنة[2]، رغم أنه يعود فيما بعد ويقول"وهذه الأرض كلها تجولها العرب وتضر بأهلها"[3].

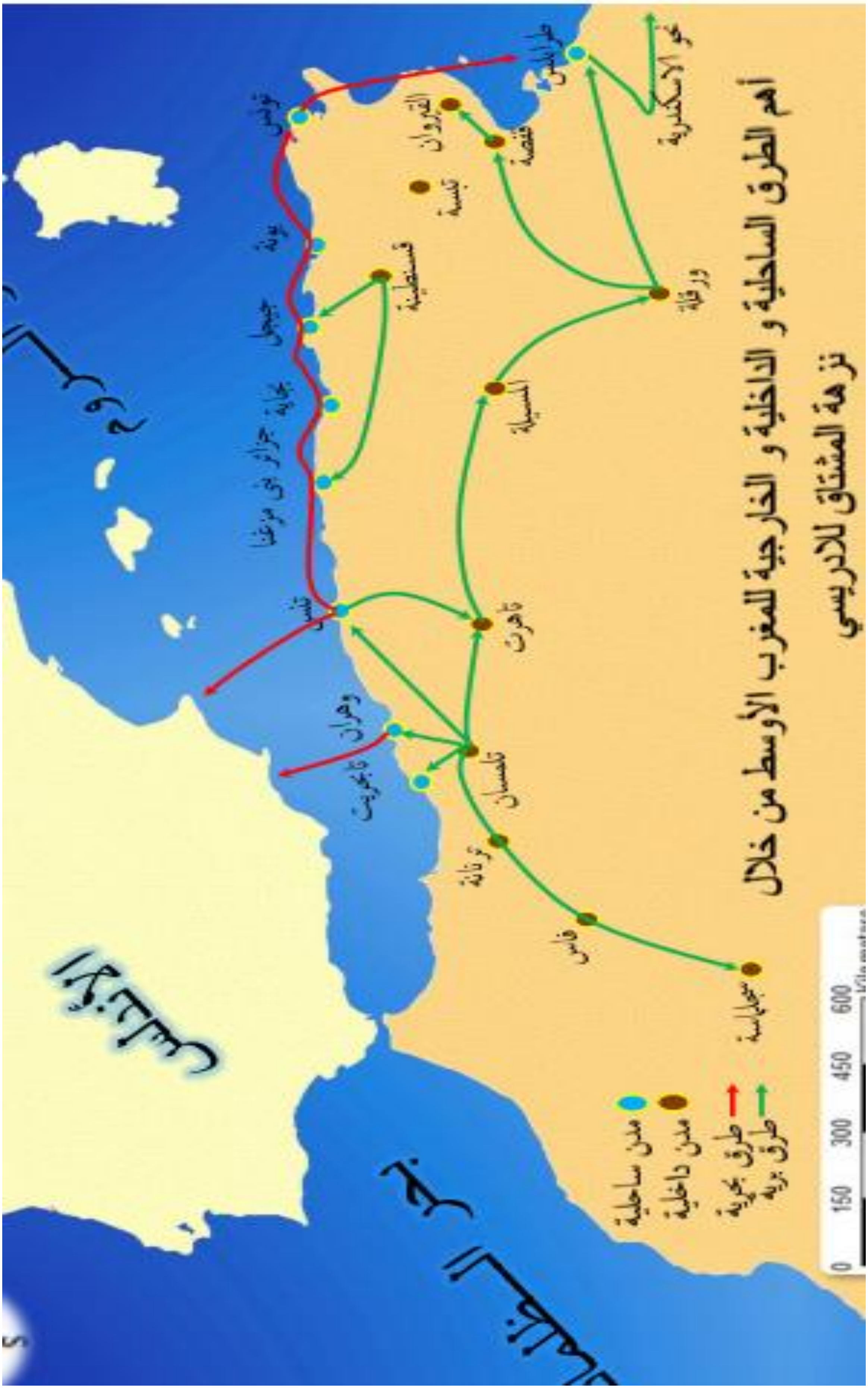
أما الطرق البحرية الأخرى الرابطة بين بلاد إفريقية وبقية بلاد المغرب الأوسط"أي موانئ الشريط الساحلي الشرقي"فيبدو أنها كانت في كثير من الأحيان امتدادا للطريق البحري نحو المشرق، حيث رسم الإدريسي جزءا ينطلق من **الإسكندرية** إلى **طرابلس،** ثم إلى **تونس،** وصولا عند **بجاية** ثم إلى مرسى الدجاج، مرورا بدلس قبيل الجزائر[4].

1) الإدريسي: المصدر السابق، ج1، ص258-259، 273؛ **والمغرب89-90**.

2) نفسه، ج1، ص292-293؛ **والمغرب92-93**.

3) المغرب، ص93.

4) نزهة المشتاق، ج1، 252؛ **والمغرب، ص83-84**.



أهم الطرق الساحلية و الداخلية و الخارجية للمغرب الأوسط من خلال
نزهة المشتاق للادريسي
مدن ساحلية
مدن داخلية
طرق بحرية
طرق برية
طرابلس
نحو الاسكندرية
القيروان
قفصة
تبسة
تونس
بونة
قسنطينة
ورقلة
جيجل
بجاية
جزائر بني مزغنا
المسيلة
تنس
تاهرت
وهران
تلمسان
فاس
سجلماسة
0 150 300 450 600

إن الاطلاع على هذا الكتاب يسمح لنا بملاحظة الدور الذي بدأ ميناء بجاية في اكتسابه بسبب وقوعه على الطريق الأندلسي الرابط بين قلعة بني حماد من جهة وبينه وبين ألمرية من جهة ثانية، كما تسمح لنا نفس القراءة بملاحظة النهوض التجاري للواجهة الساحلية للبلاد، وانعكاس ذلك على المدن الداخلية كقسنطينة والقلعة والمسيلة وتاهرت، خاصة أن قسنطينة ستصبح تابعة لبجاية والمسافة بينهما قريبة حيث قدرها الإدريسي"ستة أيام"[1]، في حين يحددها عبد الواحد المراكشي(ت647هـ/1249م) بخمس مراحل على الرفق[2]، ومن بجاية إلى مرسى القل يومان[3]، ومن مرسى القل إلى قسنطينة جنوبا مرحلتان[4]، ومن جيجل إلى بجاية الناصرية خمسون ميلا[5]، ومن جيجل إلى مرسى القل سبعون ميلا[6].

وكانت تمثل طريقا هاما من طرق المواصلات وتمتاز بمرفأ محمي على أحسن وجه، وقد لفت انتباه الناصر بن حماد الراغب في الاقتراب من ساحل البحر، على غرار أبناء عمومته بالمهدية، ولنفس الأسباب، إضافة إلى هزيمة سبيبة التي عرضت أمن القلعة للخطر[7].

وقد اتسع إلى أبعد حد نطاق المواصلات البحرية والبرية والنشاط التجاري والصناعي في الناصرية؛ التي سرعان ما استعادت اسمها القديم"بجاية"وقد أثرى تجار المدينة التي أصبحت مستودعا كبيرا للبضائع، وصاروا على اتصال بتجار المغرب الأقصى والصحراء والمشرق[8].

كما مارس التجار الحماديون التجارة ونقلوها حتى بلاد الأندلس في كل من قرطبة و ألمرية وغيرها، بل أقاموا فنادق خاصة بهم في القرن5هـ/11م، وسميت بفنادق المغاربة[9].

وقد ساهم في تطور البحرية الحمادية والموحدية وفرة الأخشاب وخامات الحديد لصناعة السفن، خاصة ما كان يرد إليها من غابات الجبال الداخلية[1]، وهو ما يشير إلى التكامل الحاصل بين الواجهة الساحلية البحرية والمساحة الداخلية سواء للصناعة أو للتصدير والاستيراد.

---

1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص266-267؛ **والمغرب، ص96**.

2) المعجب، ص253.

3) نفس المصدر والصفحة.

4) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص268؛ **والمغرب98**.

5) نفس المصدر والصفحة.

6) نفسه.

7) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص107.

8) الإدريسي: المغرب، ص90-91.

9)كمال السيد: كمال السيد أبومصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، دون تاريخ، ص307؛ **وعبد العزيز سالم: تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1984، ص159**.

إن تأسيس مملكة بني حماد لم يقطع الطريق الرابط بين ورقلة وقفصة الذي ظل تحت سيطرة الاباضيين المستقلين عمليا بالحكم، إلا أن غزوة بني هلال عرقلت لا محالة نشاط القوافل، مدة من الزمن على الأقل(2)، وكان التجار في ورقلة"وارجلان" يتحولون إلى بلاد السودان لبيع تمور الزاب"وكانت ورقلة مرتبطة بالمغرب الأوسط عن طريق المسيلة التي تبعد عنها12مرحلة، وبشرق إفريقية عن طريق قفصة التي تبعد عنها13مرحلة(3).

وكانت كل من الإسكندرية وتونس وبجاية مراكز مهمة ارتكزت عليها التجارة العربية الشرقية والغربية، فكانت همزة وصل بين شرق المتوسط وغربه(4)، حيث يؤكد الإدريسي ذلك منذ القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي، فضرب مثالا عن سكان بجاية بقوله أنهم كانوا يجالسون تجار الشرق(5).

---

1) سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب، ج1، ص199.

2) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص291-292.

3) الإدريسي: المغرب، ص120-121.

4) ابتسام مرعي خلف الله: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف،1985، ص267.

5) نزهة المشتاق، ج1، ص260.

3) المكانـة البحريـة لسواحل المغرب الأوسط من خـلال نظـرة الرحالـة والجغرافيين بين(6-7هـ/12-13م)

اختص عدد من الرحالة في زيارة الأماكن الدينية المقدسة في مكة والمدينة والقدس الشريف، وقدموا لنا وصفا علمياً لكل المناطق التي مروا بها، وهو ما جعلهم ينقلون لنا معلومات في غاية الأهمية عن المناطق الساحلية باعتبار الطريق الساحلي كان أفضل وأسرع طريق للوصول إلى الحجاز وكونه كذلك يوفر الأمان من قطاع الطرق والمعتدين، رغم ما يحمله كذلك من أهوال البحر وبعض الضرائب والقبالات التي كانت تدفع في الموانئ للمرور، ومن هؤلاء الرحالة الأندلسيين والمغاربة: ابن عربي وابن جبير البلنسي وابن بطوطة الطنجي، وغيرهم.

ومن أوائل الرحلات خلال القرن السادس الهجري رحلة **ابن عربي(ت543هـ/1148م)** التي كان لها الأثر في بلورة فن الرحلة المغاربي الذي ارتبط بالسفر إلى المشرق لقضاء فريضة الحج أو طلب العلم، أو حتى ممارسة التجارة لهذا فإن كثيرا من الرحلات، تهتم بصورة مباشرة بمشروع الموانئ نظرا لوصفها للمدن الساحلية، وتسجيل الملاحظات الشخصية لصاحب الرحلة مما يمكننا من تتبع شبكات إنتاج وانتقال المعارف بين مختلف المناطق الساحلية.

وفي هذا الإطار، تمكنت المدن الساحلية الأندلسية من نسج عدد من الشبكات مع موانئ المغرب الأوسط، خصوصا بعد استقرار القطب الصوفي أبي مدين شعيب ببجاية[1].

إنَّ ما يجعلنا نهتمّ برحلة أبي بكر بن العربي المعافري إلى الحجاز(سنة489هـ/1095م)، أنّها كانت أسبق الرّحلات الحجازيَّة الأندلسيَّة، فهي من حيث التَّاريخ، أسبق بنصف قرن على الأقلّ عن رحلة ابن جُبير البلنسي(ت614هـ/1217م).

ويذكر ابن عربي في رحلته بعض المدن الساحلية بالمغرب الأوسط حيث ركب من ألمرية الأندلسية متوجها نحوها ومنها مدينتا بجاية وبونة، حيث يقول:"وركبت البحر محفوزا، فأرفأنا إلى بجاية، فرأيت فيها جماعة من أهل المسائل"[2].

ونستشف من كلامه أن هناك خطاً بحرياً مستمراً للنقل بين مدينة ألمرية وبجاية، رغم أن هذه الفترة كانت فترة استيلاء المرابطين على الأندلس، مما يعني أن المرابطين ساهموا في استتباب الأمن والهدوء مما شجع الرحلة والتنقل للحج أو العلم.

كما نتبين من كلامه أن بجاية كانت مرفأ مهما ومقصدا للتجار والرحالة خلال الفترة الحمادية.

---

1) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية، ص124.

2) ابن العربي: مختصر ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، ضمن كتاب مع القاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987، ص194؛ و **ابن العربي: قانون التأويل، دراسة وتحقيق محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة و مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1986، ص424.**

ليضيف ابن عربي:"ثم خرجنا عنها متساحلين، نقطع البحر قطع القفز وحالة مصحرين، نطوي السباسب، بسعد طي التجار السبائب، فلقيت ببونة فقيهها المسمى"[1].

ولا يهمنا من هو الفقيه سعد[2]، بقدر ما يهمنا طريقة الانتقال من ميناء ومرفأ بجاية إلى ميناء ومرفأ بونة، حيث يشير إلى أنهم أبحروا متساحلين أي بمحاذاة الساحل وبالتالي استخدموا بعض السفن التي تسير على الساحل والتي تنقل الحجاج والتجار والمسافرين.

كما تبين إشارة ابن عربي أن الطريق البحري الساحلي من بجاية إلى بونة لم يكن مستمرا بل كان فيه نقاط توقف في موانئ ومرافئ أخرى نظرا لطول المسافة من خلال قوله:"نقطع البحر قطع القفز" أي كأنهم يقفزون من ميناء لآخر، ولكن نتأسف أن ابن عربي لم يشر إلى تلك الموانئ.

ثم يذكر ابن عربي أنه توجه من بونة إلى مدينة تونس[3]، مما يبين أن هناك طريقا ساحليا بين بونة وتونس، وبالتالي المشرق الإسلامي.

ومن الصعوبة تحديد طريق العوْدة إلى الأندلس، أكانت بحرًا أم برًّا، نظرا لضياع الجزء الخاص من الرحلة بطريق العودة، ولكن نجد نتفاً متناثرة منها في بعض مؤلفاته يخبرنا ببعض المدن التي مر منها، حيث أنَّه نزل تونس سنة494هـ/1100م، ثم توجه نحو تلمسان، وفاس سنة495هـ/1101م[4]، وأملى بهما مجالس علم، ولا ندري هل مر على بونة وبجاية أم لا، ثمَّ دخل ابن عربي مراكش عاصمة المغرب وقابل ابن تاشفين، ثم رجع إلى اشبيلية.

إن قراءة الرحلات العلمية يجعلنا نرسم خريطة روحية من خلال وصف أنشطة المساجد الجامعة وخصوصا أضرحة أولياء المدن الساحلية، مما يعطي لنا معيارا آخر لحركة التنقل المرتبطة بعقيدة الولاية[5].

---

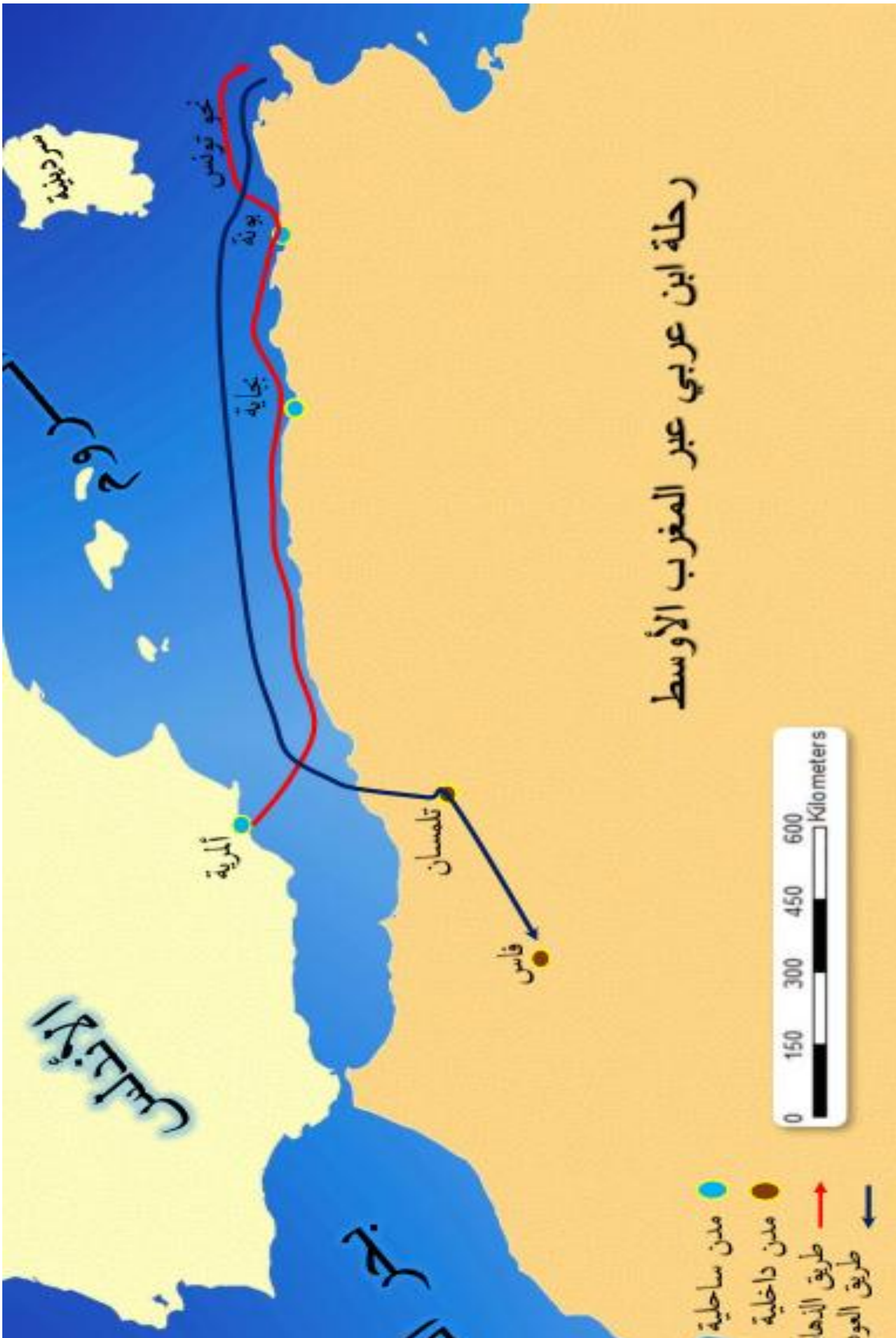
1) ابن العربي: مختصر ترتيب الرحلة، ص196؛ و **ابن العربي: قانون التأويل، ص426**.

2) لم نقف على ترجمته في كل كتب التراجم.

3) ابن العربي: مختصر ترتيب الرحلة، ص197.

4) ابن العربي: قانون التأويل، ص88.

5) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية، ص125.


رحلة ابن عربي عبر المغرب الأوسط
سردينية
تونس
بونة
بجاية
المرية
تلمسان
فاس
الأندلس
مدن ساحلية
مدن داخلية
طريق الذهاب
طريق العودة
0 150 300 450 600 Kilometers

ويعد كتاب **الاستبصار** لمؤلف مجهول(**كان حيا سنة587هـ/1191م**) [1]، من الآثار التاريخية الجغرافية التي ظهرت في العصر الموحدي الثاني، وهو مؤلف متميز، جمع بين نوعي كتب المسالك والممالك وكتب الرحلات، لأن ترتيبه وكيفية عرضه لمسائله يشبهان كتب الجغرافية، ثم إن مؤلفه زار جل البقاع التي يتحدث عنها، فيصفها غالبا عن مشاهدة كأصحاب الرحلات، فنراه يقول مثلا عن قسنطينة وهذه المدينة من إحدى أعاجيب العالم، قد دخلتها مرارا وتأملت آثارها ودخلت مواضع كثيرة فيها آثار للأول فتأملتها[2].

ولكنه من جهة أخرى لا يتبع طريقة أصحاب الرحلات في التحدث عن حوادثهم الخاصة، فإنه لا يذكر تاريخ دخوله المدن التي يزورها، ولا تاريخ خروجه منها، ولا يذكر من تعرف بهم مدة سياحته، إلى نحو هذا مما تشتمل عليه الرحلات، وأما أسلوبه فهو أسلوب أديب، مما يجعله أقرب إلى مؤلفي الرحلات منه إلى الجغرافيين كالإدريسي وغيره.

ويؤكد ذلك صاحب كتاب الاستبصار المعاصر للموحدين، أهمية مدن المغرب الأوسط الساحلية بقوله:"وللمغرب الأوسط مدن كثيرة، قد ذكرنا أكثرها في البلاد الساحلية، وهي كثيرة الخصب والزرع، كثيرة الغنم والماشية، طيبة المراعي، ومنها تجلب الأغنام إلى بلاد المغرب، وبلاد الأندلس، لرخصها وطيب لحمها"[3]، وهذه شهادة حية لمعاصر المدن الساحلية للمغرب الأوسط التي ازدهرت خلال العهد الموحدي وكانت تصدر الثروة الحيوانية إلى الأندلس وإلى أقطار المغرب الأدنى والأقصى، وساعد في ذلك اختفاء الحدود والحواجز المذهبية في ظل الوحدة الموحدية.

إن تطور المراسي والمدن من حيث الظهور والتجارة البحرية والنشاط الساحلي في المغرب الأوسط الحمادي جاء نتيجة غير مباشرة للغزو الهلالي[4]، لما سببته الغزوة من تخريب للمدن والحواضر[5]، ويؤكد صاحب الاستبصار

---

1) إننا لا نعرف مؤلف كتاب الاستبصار، إلا أننا نرجح أنه كان من أهل مراكش من بيت يمت إلى الدولة الموحدية بسبب، إذ يظهر لي من خلال كتابه أنه كان من جملة ركاب الخلفاء الموحدين، لا ندري بأية صفة، ولكنا كثيرا ما نراه يصف معسكراتهم وتنقلاتهم وصف مشاهد. **محمد الفاسي: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، مجلة دعوة الحق، العدد 13، 1985، وزارة عموم الأوقاف، الرباط المغرب.**

في الكتاب فقرات تبيّن أن المؤلف عاش على عهد يعقوب المنصور الموحدي، وأنه كان ينظر بعين الولاء لأحد كبار رجال الدولة حينئذ وهو الشيخ أبو عمران بن أبي يحيى بن وقتين الذي يهدي إليه الكتاب ويطلب منه حسن الرعاية (ص 1، 2) . ويظهر أنه كان يصنف الكتاب في سنة587 هـ/1191 م وهنا يمكننا أن نذهب إلى أبعد من ذلك فنظن أنه ربما كان صاحب الرسالة الرسمية نفسه أي ابن محشرة، يؤيد ذلك ما يظهره المؤلف من آيات الولاء والخضوع للخليفة وسلفيه، ذلك الولاء الذي لا يصدر إلا من خادم مخلص للموحدين. **مقدمة المحقق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ص ب، ت، ث.**

2) الاستبصار، ص166.

3) نفسه، ص179.

4) جورج مارسيه: بلاد المغرب، ص328.

5) نفسه، ص245، 328.

إذ يقول:"إن على الطريق من القيروان إلى قلعة أبي الطويل ...مدنا كثيرة خربتها العرب عند دخولهم بلاد إفريقية"[1].

كما أن تعدد المراسي لم يجعلها على نسق واحد من حيث الأهمية والمزايا؛ بل تتفاوت في ذلك لظروف متعددة، ونتيجة لذلك اختلف اهتمام التجار بها، ومن الملاحظ أن ارتباط حيوية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط بالنشاط الأندلسي أخذت تزداد منذ النصف الأول من القرن الثالث، وبلغت الذروة في القرن السادس بعد أن أصبحت العدوتين كيانا موحدا تحت سلطة الموحدين، وقبل أن يظهر منافس آخر من خارج المنظومة البحرية الإسلامية؛ وهم تجار الجمهوريات الايطالية، خاصة تجار جنوة[2].

فيذكر صاحب الاستبصار عدة مراس مهمة في المغرب الأوسط نجملها في: مرسى الخرز، ومرسى بونة، والقل، وجيجل، وبجاية، ومرسى الدجاج، وجزائر بني مزغنة، ولغانية"جنابية عند البكري"، وشرشال، وتنس، وقصر الفلوس، ووهران، ومرسى حصن زيان، والوردانية، وندرومة[3].

بالقرب من مدينة طبرقة التونسية يوجد ميناء نعتبره كبوابة لساحل المغرب الأوسط ومدخل للمنتجات الشرقية، بدأ به صاحب الاستبصار عند حديثه عن موانئ ومراسي المغرب الأوسط ألا وهو **مرسى الخرز**، الذي قال عنه"مدينة قديمة أحاط بها البحر من كل جهة إلا مسلك لطيف، وربما قطعه البحر في زمن الشتاء، وعليه سور قديم"[4]، أي أنه في فصل الشتاء يتحول إلى جزيرة معزولة، وهذا ما يُهيئ الجو لتكاثر الثروة السمكية والمرجان، كما تتطلب قسوة طبيعته بحارة أشداء وسكاناً متمرسين.

ويضيف هذا المؤلف المجهول:"وبها كانت تنشأ المراكب لغزو بلاد الروم، وفيها يُخرج المرجان[5]، ومنها يحمل إلى بلاد الدنيا، وهناك قوم لهم مراكب وزوارق ليس لهم حرفة إلا إخراج المرجان من قعر البحر"[6].

ونعتقد أنه اقتبس هذه الجملة من عند البكري أو الإدريسي على ما ذكرناه سابقا، وعموما نستشف منها أن ميناء الخرز كانت به دار لصناعة السفن والمراكب خلال الفترة الحمادية وكذا الموحدية، ساهمت في تزويد أسطول هذه الدول بالمراكب المطلوبة لغزو صقلية والتصدي لهجمات النورمان، كما نستنتج من قوله هذا وفرة نبات المرجان

---

1) مجهول: الاستبصار، ص161.

2) رفيق خليفي: المرجع السابق، ص138.

3) مجهول: الاستبصار، ص126-135.

4) نفسه، ص126.

5) وهو نبات مشجر له أغصان، ويستخرج من البحر بواسطة خشب قد صلب بعضها على بعض، ويلقون عليها جرات الكتان أو القنب يثقلونها بمراسم، ويلقونها في البحر ويمشون بالزوارق، فينجرد ذلك الكتان على قعر البحر فينكسر المرجان ويتعلق بالكتان، فيتفقدونه ويأخذون ما تعلق منه، ويقال إن المرجان إذا كان في قعر البحر إنما هو رطب لين فإذا مسه الهواء اشتد ويخرج منه في ذلك البحر كل سنة من القناطير، وهو أنفس مرجان الدنيا، وهو أنفق شيء بالهند والصين .**مجهول: الاستبصار، ص126**.

6) مجهول: الاستبصار، ص126.

وتخصص بحارة في استخراجه دون البقية نظرا لما يتطلبه من مهارة وتقنيات، ثم يحول ويصدر إلى كل بقاع العالم، مما ساهم في ازدهار تجارة هذا الميناء خصوصا والمغرب الأوسط عموما.

ليفصل في ميناء آخر مهم هو ميناء و**مدينة بونة،** فهي مدينة قديمة من بناء الأول وفيها آثار كثيرة وهي على ربوة مشرفة على فحوصها وقراها، وهي من أنزه البلاد وأكثرها لبنا ولحما وعسلا وحوتا، والبحر يضرب في سورها، وفيها بئر على ضفة البحر منقورة في حجر صلد...وفي غربها منتزه حسن مشرف على البحر"[1]، فكلامه واضح بوفرة السمك وهذا من خلال نشاط الصيادين وعودتهم بالإنتاج الوفير، وهو دليل أيضا يضاف إلى ما قاله الجغرافيون السابقون لصاحب الاستبصار بأن أهل المغرب الأوسط كانوا بحارة وصيادين ماهرين ولم يخفهم البحر، ولم يجهلوا مصادره، سواء من أسماك بأنواعها أو من صيد للمرجان، كما أن صاحب الاستبصار يصف ميناء بونة بقوله يضرب في صوره البحر، وهو عكس الواقع حيث أن بونة تراجع عنها البحر وانحسر في هذه الفترة، وهذا يدل على أن المؤلف المجهول ينقل عن كتب ومصادر قديمة أو أنه يتحدث عن مدينة بونة القديمة التي تقع عند مصب نهر السيبوس.

ويضيف صاحب الاستبصار أن بونة واقعة في خليج صعب على المراكب سواء المسافرة أو الغازية مستشهدا بأدلة لغرق الكثير من المراكب بقوله:"وبونة في جون من البحر يسمى جون الأزقاق[2]، وهو صعب، وفيه عطب مركب القيطاني ومركب الفخرى ومراكب كثيرة"[3]،

كما أن بغربي مدينة بونة بركة في دورها نحو عشرة أميال، وفيها سمك كثير جليل...ومرسى مدينة بونة يسمى مرسى الأزقاق، وهو من المراسي المشهورة المنيعة[5]، أي أن السمك يربى ويعتنى به في البحيرة ليتكاثر وبالتالي يسهل عليهم اصطياده خاصة في حالة سوء أحوال الجو وهيجان البحر وصعوبة الصيد، وهو ما يبين تمرس البونيين في ميدان تربية المائيات ومعرفتهم لها.

أما قوله" والبحر يضرب في سورها"[6] دليل على أن السور حديث البناء في بونة لأنه أول من ذكره البكري، وتبعه صاحب الاستبصار، أي أن هذا السور تم تشييده بعد الخمسين وأربعمائة[7].

---

1) مجهول: الاستبصار، ص127.

2)**الأزقاق** والزقاق هو خليج ضيق وهو طريق بحري بين يابستين متقاربتين.**الفيروز أبادي**: **القاموس المحيط**، **ص864**، **باب زقاق**

3) مجهول: الاستبصار، ص127.

5) مجهول: الاستبصار، ص127.

6) مجهول: نفسه، ص127.

7) البكري: المغرب، ص54-55؛ **و البكري: المسالك والممالك، ج2، ص233؛ والحميري: المصدر السابق، ص115**.

لينتقل إلى مرسى **القل** ويقول عنها: هي مرسى مدينة قسنطينة بينهما نحو المرحلتين أو أقل، وهي كثيرة الفواكه والخيرات، وهي برية بحرية، وهي مدينة قديمة فيها آثار كثيرة للأول من الروم؛ وهى على ضفة البحر، وهى كثيرة الفواكه والخيرات والعنب فيها كثير، وفيها تفاح جليل؛ ولها نظر وجباية عظيمة[1].

وبمحاولة بسيطة منا لقراءة النص الجغرافي يتضح جليا أن قسنطينة رغم كونها داخلية إلا أنه كان لها مخرج ومنفذ بحري ولو كان بعيدا نوعا ما إلا أنه متنفسها ومن خلاله تصدر وتستورد مختلف السلع وبين القل وقسنطينة طريق مختصر ترعاه حتى السلطة القائمة في تلك الفترة، باعتباره يشق مناطق تحت سيطرة الأعراب.

أما مدينة **جيجل** العتيقة فيقول عنها منصفا أياها"مدينة قديمة على البحر وكان لها سور قديم يضرب البحر فيه؛ وهى على نظر كبير، وهى كثيرة العنب والتفاح والفواكه، ومنها تحمل الفواكه والعنب والرّب إلى مدينة بجاية"[2]، وما يهمنا في هذا الطرح هو قيمة جيجل الطبيعية وعلاقتها التجارية والبحرية مع بجاية منذ القديم واستمرار ذلك حتى القرن السادس الهجري عصر المؤلف المجهول.

كما يذكر أن جيجل كانت محصنة بسور قديم وهي إشارة إلى قدمه الذي يعود إلى الفترة الرومانية إلا أنه جدد ورمم خلال الفترة الحمادية[3].

وبين جيجل وبجاية، على ساحل البحر؛ موضع يسمى **بالمنصورية**[4]، عليه جبل عظيم، مما يلي البر [5].

ثم يتناول مرسى **ومدينة بجاية** بشيء من التفصيل-على غرار الإدريسي وعكس البكري الذي خصص لها بضعة أسطر فقط- باعتبارها حاضرة كبيرة في عهد الموحدين بل هي إحدى ولايات الدولة الموحدية، بقوله:"هي مدينة عظيمة على ضفة البحر، والبحر يضرب في سورها، وهى محدثة من بناء ملوك صنهاجة، أصحاب قلعة أبي طويل، وتعرف بقلعة حماد اليوم"[6].

---

1) مجهول: الاستبصار، ص127.

2) نفسه، ص128.

3) الحميري: المصدر السابق، ص184؛ **و مارمول: المصدر السابق، ج2، ص380**.

4) مرسى صغير ذكره سابقا الإدريسي وذكره كذلك البكري باسم سبيبة وهو مخطئ في ذلك.

5) مجهول: الاستبصار، ص128.

6) يرجع المؤلف المجهول سبب بناء بجاية، أن العرب لما دخلوا إفريقية وأفسدوا القيروان وأكثر مدن إفريقية، هرب منهم صاحب القيروان الصنهاجى، وتحصن بمدينة المهدية. وكان ابن عمه صاحب القلعة، المنصور بن حماد، أشد شوكة من صاحب القيروان وأكثر جيشا، فخرج لنصرة ابن عمه وجيش جيشا كبيرا. فلقيته العرب بجملتها بفحص سبيبة، على مقربة من القيروان، فكان بينهم يوم عظيم حتى هزم المنصور وقتل أخوه وأكثر صنهاجة لما نجا المنصور إلى القلعة، نزلت عليه جيوش العرب وضيقوا عليه ببلاده، فكان يصانعهم حتى ضاق ذرعا بهم، وكان لا يقدر على التصرف في بلاده؛ فطلب موضعا يبنى فيه مدينة ولا يلحقه فيها العرب «ص» فدل على موضع بجاية وكان مرسى. ويقال إنه كانت فيه آثار قديمة وإنما كانت مدينة فيما سلف، فبناها المنصور، وسماها المنصورية، وانتقل ملكهم من القلعة إلى بجاية، واتخذها دار مملكتهم؛ وبينها وبين قلعة حماد مسيرة أربعة أيام.**مجهول: الاستبصار، ص128-129**.

ويضيف عن بجاية دائما وهى مدينة عظيمة، ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها، والبحر منها في ثلاث جهات في الشرق والغرب والجنوب، ولها طريق إلى جهة المغرب يسمى بالمضيق على ضفة النهر المسمى بالوادى الكبير، وطريق القبلة إلى قلعة حماد على عقاب وأوعار، وكذلك طريقها إلى الشرق. وليس لها طريق سهلة إلا من جهة الغرب، فلم يكن للعرب إليها سبيل، ولا كان يدخل من العرب إلا من يبعث إليه الملك لمصانعه على بلاد القلعة وغيرها؛ فيدخلها أفراد وفرسان دون عسكر، فبقى صاحب بجاية في ملك شامخ، وهي معلقة من جبل وقد دخل في البحر يسمى مسيون، وعليها سور عظيم، والبحر يضرب فيه، ولها داران لصناعة المراكب، وإنشاء السفن، ومنها تُغزا بلاد الروم فإنها ليس بينها وبين صقلية غير ثلاث مجار[1].

ونستنتج من قوله هذا أن بجاية تقع في موقع حصين صعب الوصول إليه خاصة من الأعراب الذين تسببوا في إسقاط العاصمة القديمة القلعة وبالتالي الهجرة نحو الساحل، لهذا يعتبر البعض أن لحملة بني هلال آثاراً على الجانب السياسي والاقتصادي من خلال تغيير السلطة المركزية الحمادية، لنمطها الذي كان يعتمد على الداخل في المعاملات والتحول نحو العمل الخارجي الساحلي[2]، كما تسبب ذلك في تقوية الحماديين لأسطولهم لمواجهة الحملات الممكنة على العاصمة الجديدة الساحلية، بل وإنشاء دار صناعة بها استمرت حتى الفترة الموحدية، كما ظهرت آثار أخرى تتمثل في بعض الغنائم البحرية والأنشطة كالصيد والتجارة، حيث لاقت ازدهارا كبيرا.

أي أن مدينة القلعة فقدت مكانتها السياسية لفائدة بجاية التي بنيت في إطار إستراتيجية مزدوجة تتمثل في محاولة السيطرة على التجارة البحرية التي أصبحت مصدرا للربح وللتحصن من خطر هجمات البدو الهلاليين بعد انهيار الجيش الحمادي في معركة سبيبة سنة457هـ/1064 م[3].

وبالتالي أصبح الطريق الساحلي في بلاد بني حماد يربط الدولة الزيرية، إلا أن عيث العرب حال دون أن يكون هذا الطريق آمنا في كل مراحله[4]، حيث شهدت مناطقهم الساحلية ازدهارا تجاريا، وانتقلت التجارة إلى أملاكهم، فالهروب الذي أخلى القيروان والمدن الزيرية، دفع بالتجار والصناع أن ييمموا وجوههم صوب القلعة، عاصمة الحماديين في البداية، وشهدت بذلك القلعة ازدهارا اقتصاديا وان كان مؤقتا فقط[5]، ليتحول هذا الازدهار إلى بجاية .

1) الاستبصار، ص129-130.

2) الهادي روجي ادريس: المرجع السابق، ج2، ص159.

3) مجهول: الاستبصار، ص128-129؛ **وياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج1، ص339**.

4) حسن خضيرى أحمد: المرجع السابق، ص98.

5) جورج مارسيه: بلاد المغرب، ص228؛ و

وأن العلاقات الفاطمية والحمادية لم تنقطع، بل إنها ازدهرت على حساب أبناء عمومتهم بني زيري، نتيجة لتوطيد علاقاتهم مع الفاطميين وإبقائهم على العملة تابعة لهم إلى آخر عهد الأمير يحي آخر أمرائهم(1).

واستفادت الدولة الحمادية من قطع المعز بن باديس علاقاته بالفاطميين، فقد ظلت الدولة الحمادية محافظة على ضرب السكة باسم الخلفاء الفاطميين حتى عهد الأمير يحي بن العزيز، مما أدى إلى ازدهار التجارة بين البلدين، وساعد على رواج العملة الفاطمية في أسواق مصر وبجاية(2).

ويضيف المؤلف المجهول عن بجاية:"وهى مرسى عظيم تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن، والهند، والصين، وغيرها، ومدينة بجاية كثيرة الفواكه والأثمار، وجميع الخيرات"(3)، وهذا كلام في غاية الأهمية باعتباره شاهد عيان عن تطور ميناء بجاية في العهد الموحدي حيث أصبح يستقبل السفن والبضائع من المشرق ومن الروم ومن الأندلس، وحتى مع مختلف المدن الأوروبية.

وهكذا أصبحت كل من القلعة وبجاية منطلقا لأكبر حركات التجارة العالمية في ذلك الوقت، ونشطت حركة التبادل التجاري بين الحماديين وبين مصر، وساعد ذلك على الازدهار الاقتصادي نظرا للسياسة الحكيمة التي كان ينتهجها أمراء بني حماد، فقد كان الناصر بن علناس تربطه علاقة صداقة مع البابا جريجوري السابع، وتبادلا الرسائل والمكاتبات

وبأسلوب أدبي راق جدا واصل المؤلف المجهول في وصف بجاية بقوله"وهى مشرفة نزيهة، ومطلة على البحر وعلى فحص قد أحاطت به جبال دوره-أي محيطه-نحو عشرة أميال تسقيه أنهار وعيون، وفيه أكثر بساتينهم، ولها نهر كبير يقرب منها بنحو الميلين أو دونهما، وعليه كثير من جناتهم، وقد صنعت عليه نواعير تسقى من أنهر، وله منتزه عظيم. وفى بجاية موضع يعرف باللؤلؤة، وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر، متصل بالمدينة، فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الراؤون أحسن منها بناءً، ولا أنزه موضعا؛ فيها طاقات مشرفة

1) عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص301.

2) حسن خضيرى أحمد: المرجع السابق، ص102.

3) مجهول: الاستبصار، ص130.

7) مجهول: الاستبصار، ص130.

على البحر عليها، وهذا الجبل مسيون، الذي فيه بجاية، جبل عظيم عال قد ذهب في الجو، وقد خرج في البحر، وفيه مياه سائحة"[1].

ثم يتحدث هذا المؤلف المجهول عن أحد الموانئ العتيقة[2] والمشهورة في الفترة الوسيطة بالمغرب الأوسط ألا وهو ميناء مدينة **مرسى الدجاج**، قائلا عنه:"مدينة أزلية على شاطئ البحر، والبحر يضرب في سورها، وهى قديمة البناء وفيها آثار عجيبة للأول، ولها بساتين وجنات، وبها الطير المسمى بالسمانى كثير من البحر، ويقابلها جزيرة ميورقة"[3]، فهو يقر بأقدميتها تاريخيا من خلال الآثار القديمة، وتقابلها جزيرة ميورقة في الأندلس، فحدثت بينهما مبادلات تجارية نظرا للقرب الجغرافي.

ومدينة **جزائر بنى مزغنّاى** وهي مدينة أزلية على ضفة البحر، والبحر يضرب في سورها؛ وهى قديمة البناء أزلية فيها آثار عجيبة تدل على أنها كانت دار مملكة لسابق الأمم؛ وفيها دار ملعب قد فرش صحنه بحجارة ملونة بالفسيفساء، فيها صور الخيل والحيوان بأحكم صناعة، وأبدع عمل. ويتصل بجزائر بنى مزغناى فحص كبير يسمى فحص متيجة، وهو فحص عظيم كثير الخصب والقرى والعمائر تشقه الأنهار"[4].

وكانت بمدينة بنى مزغنّاى كنيسة عظيمة فيها عجائب من البنيان، بقى اليوم منه جدار هو قبلة الشريعة للعيدين، وهو كثير النقوش والصور؛ ومرساها مأمون، وفيه عين عذبة يقصد إليها أصحاب السفن؛ ويقابل هذا المرسى من الأندلس مرسى شكله"[5]، وما يهمنا هنا هو قدم جزائر بني مزغنا حيث تعود للفترة الفينيقية، كما يتبين ذلك من خلال حديثه عنها، أن مرساها مأمون وهذا ما جعلها محط أنظار الجميع من سكان محليين إلى أجانب منذ العصر القديم إلى الاحتلال الفرنسي، كما أن وجود منبع مائي لصالح السفن خاصة المسافرة منها للتجارة والحج ساهم أيضا في توفير الظروف المناسبة المتمثلة في الراحة والماء والتجارة.

وتلي جزائر بني مزغنة حسب صاحب الاستبصار بجهة الغرب **مدينة لغانية**[6]، وهى مدينة كبيرة قديمة فيها آثار كثيرة للأول؛ وهى غير مسكونة، ولها نهر يصب في البحر، ويقابل هذا المرسى- في بر الأندلس-مرسى مدينة دانية أو هو أوسع بوسطه في هذا البحر[7]، وربما يكون سبب التسمية إلى بني غانية نظرا لاحتلالهم للمنطقة خلال فترة الموحدين.

---

1) الاستبصار، ص130.

2) أول من ذكره هو **ابن حوقل**: **المصدر السابق، ص77**.

3) مجهول: الاستبصار، ص131.

4) نفسه ص132.

5) نفسه، ص132.

6) ذكرها البكري سابقا باسم جنابية، ص82.

7) مجهول: الاستبصار، ص132.

كما نلاحظ على صاحب الاستبصار نقله للكلام الحرفي الذي ذكره البكري عن جنابية"مدينة كبيرة قديمة فيها آثار كثيرة للأول؛ وهي غير مسكونة"[1]، وهنا نتساءل هل فعلا تم إحياء مدينة جنابية أو تم تغيير اسمها إلى لغانية؟ وان سلمنا بكلام المؤلف المجهول هذا يتبين لنا الفترة الزمنية التي نشطت فيها المدينة من القرن الرابع إلى القرن السادس الهجري، لأن هذا المرسى سيختفي تماما من الذكر والإشارة في مختلف المصادر، مما يجعلنا نعتقد في ذوبانه وضمه من قبل جزائر بني مزغناي.

لكن صاحب الاستبصار لم يعر مدينتي **شرشال وتنس** اهتماما كبيرا حيث مر عليهما مر الكرام بقوله عن شرشال مدينة كبيرة فيها آثار للأول، وهي غير مسكونة، وفيها بنيان عجيب يسمى محراب سليمان قد علا في الهواء؛ ويقابله من الأندلس مرسى ألاقنت[2]، وهذا ربما بسبب تراجع دورها السياحي والحضاري، من خلال خلوها من السكان، ربما لتهجير أو لخوف من عدو، أو لمرض انتشر بها.

وذكره لمحراب سليمان دليل على وجود مسجد كبير عالٍ جدا أقيم في أعلى الجبال وربما كان يمثل منارة توجه السفن القادمة إلى شرشال، ونجد الوزان فيما بعد يصف علو جبالها يقوال:"يستطيع الناظر من فوقه أن يرى سفينة في البحر على بعد أكثر من عشرين فرسخا"[3].

أما عن **مدينة تنّس** فيقول: بينها وبين البحر ميلان؛ وهي مدينة مسورة حصينة، وداخلها قصبة صعبة المرتقى ينفرد بسكناها عامل تنس لمنعتها، وبها مسجد جامع وأسواق حفيلة كثيرة؛ ولها نهر يسمى تامن يأتيها من جبال القبلة مم يستدير بها من جهة الشرق والجوف، ويصب في البحر، وهي كثيرة الزرع، رخيصة الأسعار، منها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية وإلى بلاد المغرب لكثرة الزرع عندهم[4]، ورغم شح المعلومات إلا أنه قدم لنا شهادة حية عن تصديرها لأنواع الطعام والسلع إلى الأندلس، وبلاد إفريقية وبلاد المغرب الأقصى أو إفريقيا جنوب الصحراء عن طريق المدن المحورية الداخلية كتيهرت وغيرها.

ثم انتقل صاحب الاستبصار إلى مدينة **قصر الفلوس** موضحا بأنها مدينة كبيرة، مرسى للمراكب، فيها آثار كثيرة للأول تنبئ أنها كانت دار مملكة؛ وهي اليوم خراب؛ وفيها ماء مجلوب على قناطر بأغرب ما يكون من البناء القديم[5]، فهي مرسى للمراكب، سواء المحلية أو الأجنبية، باعتبارها منفذاً وحلقة ربط بين مرسى تنس ووهران، وهنا نتساءل عن سبب عدم ذكر الإدريسي لمرسى قصر الفلوس وهو بالكاد معاصر للمؤلف المجهول؟، هل يمكن أن

---

1) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**.

2) مجهول: الاستبصار، ص132؛ لكن البكري جعل جيجل تقابلها ألمرية في الأندلس وهو على صواب، أما التي تقابل لقنت في الأندلس هي جزيرة وقور حسب البكري وهي تقع على بعد 20ميلا شرق تنس.**البكري: المصدر السابق، ص80–81**.

3) وصف إفريقيا، ج2، ص34؛ **ومارمول: المصدر السابق، ج2، ص355–356**.

4) مجهول: الاستبصار، ص133.

5) نفس المصدر والصفحة.

يكون هذا الميناء ازدهر فجأة؟، أم أن الإدريسي نسيه فقط ولم يشر إليه؟، خاصة أنه يقع بين مرسيين كبيرين هما مرسى تنس ووهران، كما أن ابن حوقل هو أول من ذكره، وتبعه من بعده.

وهناك من اعتبره خلطا ولبسا وقع فيه كل من صاحب الاستبصار والحميري[1] فيما بعد حيث أخلطا بين مرسى أرزيو ومرسى قصر الفلوس، باعتبار أن الأبحاث الأثرية نفت أي حضور قديم بموقع مرسى قصر الفلوس، والموقع الوحيد هو موقع الحناية الذي يقع على مستوى أرزيو الحالية[2].

ولا يختلف المؤلف المجهول عن البكري والإدريسي في سرد كيفية تأسيس مدينة **وهران**، على ضفة البحر حيث بناها جماعة من الأندلسيين البحريين، واعتبرها مدينة كثيرة البساتين والثمار، ولها ماء سائح وأنهار كثيرة وأرحاء وعيون، وهي من أعز البلاد؛ ولها نظر كبير فيه قرية كبيرة فيها آثار قديمة"[3].

ونقلا عن البكري تحدث صاحب الاستبصار عن **المرسى الكبير**"لوهران مرسى كبير، مشتى للسفن، يسكن من الريح لأنه في حوز جبل مطل على وهران مرتفع"[4]،

---

1) الروض المعطار، ص476.

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص129.

3) مجهول: الاستبصار، ص133-134.

4) نفسه، ص134.

لقد ساعد انحناء الشاطئ نحو الداخل على تكوين تجويف نصف دائري بفعل اتصال جبل مرجاجو سانتون بحيث يشكل مرسى طبيعيا ممتازا متصلا بحصن المرسى الكبير سعته الاجمالية500هكتار قادر على استقبال 30 سفينة من الحجم الكبير منها20سفينة بإمكانها الرسو بمحاذاة الحصن مباشرة، وفي الحالات الاضطرارية يمكن لميناء جون المرسى الكبير أن يوفر الحماية لما لا يقل عن50 سفينة . **ناصر الدين سعيدوني**: **حصن المرسى الكبير، ص268**.

لهذا تؤكد المصادر أن ميناء وهران دخل مرحلة جديدة مع الحضور الموحدي ببلاد المغرب حيث عرف تغييرا جذريا بتحول المدينة إلى أبرز وأهم قاعدة بحرية للدولة الموحدية، وتواصل هذا الاعتناء خلال الفترات اللاحقة المتزامنة مع الحضور الزياني والمريني على إثر إبرام اتفاقيات تجارية مع التجار المارسيليين والجمهوريات الايطالية[1]، وانطلاقا من هذه المعطيات جاءت تسمية هذا المرسى الكبير الني تعكس مساحته الشاسعة، فهو أكبر مراسي بلاد المغرب.

أما عن مرسى مدينة **أسلى**[3] القديمة، فعليه سور من صخر؛ وكانت هذه المدينة حصينة، ولها نهر يسقى بساتينها وثمارها[4]، وبمقربة منها بجهة الشرق نجد مرسى ومدينة **أرشجول**[5]: وهي مدينة قديمة أزلية فيها آثار كثيرة؛ وهى على نهر تأفنى[6]، وهو نهر كبير تدخل فيه السفن، والمدينة قريبة من البحر تصل إليها المراكب اللطاف؛ وهى ساحل تلمسان، بينها وبين تلمسان فحص زيدور[7].

وكلامه يبين أن أرشجول مرسى قديم مهم تدخله السفن، وتتجه عبر النهر إلى الداخل مما يقرب السلع والبضائع وعملية التبادل والتجارة مع السكان والقبائل، كما يشير صاحب الاستبصار إلى وصول المراكب اللطاف، نحو هذا المرسى، ولا ندري ماذا يقصد بها ربما المراكب الصغيرة المقلة للمسافرين أو الصيادين والحجاج، ولا يتسع للسفن الحربية.

ليواصل المؤلف المجهول في ذكره للموانئ والمراسي الخاصة بالجهة الغربية للمغرب الأوسط وهذه المرة يذكر مرسى **مدينة فكّان**[8]حيث اعتبرها مدينة أزلية كبيرة فيها آثار كثيرة للأول، ثم إنها خربت، فبعث إليها المنصور بن أبي عامر من بناها وعمرها، وهى قريبة من البحر[9]، وهذا الكلام منقول حرفيا عن البكري كما رأينا سابقا[10]،

---

1) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص145.

3) يسميه البكري أسلن.**المغرب، ص79**.

4) مجهول: الاستبصار، ص134.

5) وهي أرشكول، عند ابن حوقل، ص53؛ **وأرشقول عند الإدريسي، ج1، ص172**.

6) هو نهر التافنة حاليا.

7) مجهول: الاستبصار، ص134.

8) يسميها الإدريسي أفكان، **المغرب، ص82-83**.

9) مجهول: الاستبصار، ص135.

10) البكري: المغرب، ص81.

وبالتالي يعتبران المدينة أندلسية بناءا وتعميرا، مما جعل العلاقة مستمرة ومترابطة بينها وبين المدن الأندلسية المهاجر منها.

وينفرد المؤلف المجهول بذكر اسم حصن تلمسان وهو حصن زيّان، حيث ذكر الحصن كل من البكري والإدريسي دون تسميته، وله نهر كثير الثمار والأشجار؛ وبالقرب منه حصن الفُرُوس وهو على قمة جبل على ضفة البحر؛ وبالقرب من هذا الحصن، **الوردانية، وحصن هنين،** ومرساه مقصود وله بساتين كثيرة[1].

ويعتبر المؤلف المجهول أول من ذكر أن في منطقة الوردانية يوجد حصن بعد أن ذكر كل من سبقه من البكري[2] والإدريسي[3]، بأنه مرسى تحت قمة جبل شديد الانحدار، مما يجعلنا نتحدث عن ميناء وليس مرسى طبيعياً خلال هذه الفترة، لأن وجود الحصن يطرح فرضية أن يكون قد أنجز لغاية حماية الميناء والتبادل التجاري سواء بالمساحلة مع هنين وأرشكول أو مع الأندلس.

ونلاحظ كثرة الحصون مما يبين أن الدولة الموحدية كانت كثيرة الثغور والتحصينات البحرية، لاسيما خلال عهدها الأول إذ بلغت درجة كبيرة من الازدهار البحري وتكوين أسطول قوي.

ثم ذكر صاحب الاستبصار مرسى **مدينة ندرومة** التي قال عنها أنها في طرف جبل تاجرا؛ وهي مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه رخيصة الأسعار، ولها بسائط خصيبة ومزارع كثيرة؛ وبينها وبين البحر نحو عشرة أميال، وبساحلها نهر ماء يسيل؛ وهو نهر كثير الثمار، وله مرسى مأمون مقصود، وعليه رباط حسن فيتبرك به[5]، وما يميز قوله أن مدينة ندرومة مدينة داخلية إلا أن يلحقها ويتبعها مرسى مهم كمُتَنفس لها ولسكانها للصيد والتجارة والتنقل، وهو ليس بعيداً عنها سوى بعشرة أميال، كما أن بها رباطاً، وينطبق وصفه على المرسى المسمى اليوم بالغزوات.

ومن هنا يتضح أن ميناء ندرومة "الذي لقبه البكري سابقا ماسين"[6]، لعب دورا مهما في تاريخ المدينة وفي حياتها الاقتصادية والاجتماعية كمتنفس لهذه المدينة البرية، وهو ميناء يقع بين رأسين قليل التقدم في الماء ينتهي

1) مجهول: الاستبصار، ص135.

2) المغرب، ص71؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص252.**

3) نزهة المشتاق، ج2، ص534.

5) مجهول: الاستبصار، ص135.

6) البكري: المغرب، ص80؛ **البكري: المسالك، ج2، ص264.**

بحصن تاونت على الجهة الشرقية و جزيرتين صغيرتين على الجهة الغربية لعبتا دور الحصن، وتسمى حاليا"بالأختين"[1].

كما نلاحظ تركيز صاحب الاستبصار على موانئ الغرب للمغرب الأوسط بنوع من التفصيل، بل يذكر موانئ ومراسي صغيرة، ولم يركز كثيرا على موانئ شرق المغرب الأوسط، كإهماله لميناء أسكيدة، وميناء دلس، وميناء بني جناد، رغم أن الإدريسي وهما متعاصران تقريبا ذكرهم بأنهم من الموانئ الكبيرة والهامة، ربما يعود ذلك لقلة معلوماته عن الشرق باعتباره عاش في الناحية الغربية للدولة الموحدية، أو لاختلاف المنهج وطريقة التدوين حيث يعتبر صاحب الاستبصار مؤرخاً وجغرافياً عكس الإدريسي فهو جغرافي ثم مؤرخ.

و مرسى **ترنانا**، وذلك نقلا عن البكري[2] والتي اعتبرها مدينة كبيرة مشهورة على ساحل البحر، وكانت محطا للسفن ومقصدا لقوافل سجلماسة وغيرها[3]، أي أنها كانت ميناءً لتصريف ونقل البضائع من المدن الداخلية إلى الأندلس ومختلف موانئ المغرب الأقصى والأوسط.

ويختم المراسي **بمرسى عجرود** الذي قال عنه مدينة قديمة على البحر فيها آثار كثيرة، ومرسى مقصود[4]، ولا نعلم من أين أتى المؤلف المجهول بمعلومات عن مرسى عجرود خاصة فيما يخص احتواؤه على الآثار حيث لم يثبت وجود أي آثار قديمة بالمنطقة، وحتى البكري الذي سبقه في ذكر المرسى لم يشر إليها.

ونشير إلى تطور هذا المرسى حيث ذكره البكري بالمسكون[5]، أما صاحب الاستبصار وصفه بالمرسى المقصود[6]، خاصة من التجار الأندلسيين من مدينة دلاية في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

كما نستغرب عدم ذكره من قبل الإدريسي الذي أعاد أغلب مراسي وموانئ البكري وأضاف البعض منها.

---

1) Town Plan of Bougle, Scale 1/7.500, Army Map Service U. S. Army Washington, reprint September,1942.

نقلا عن الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص233

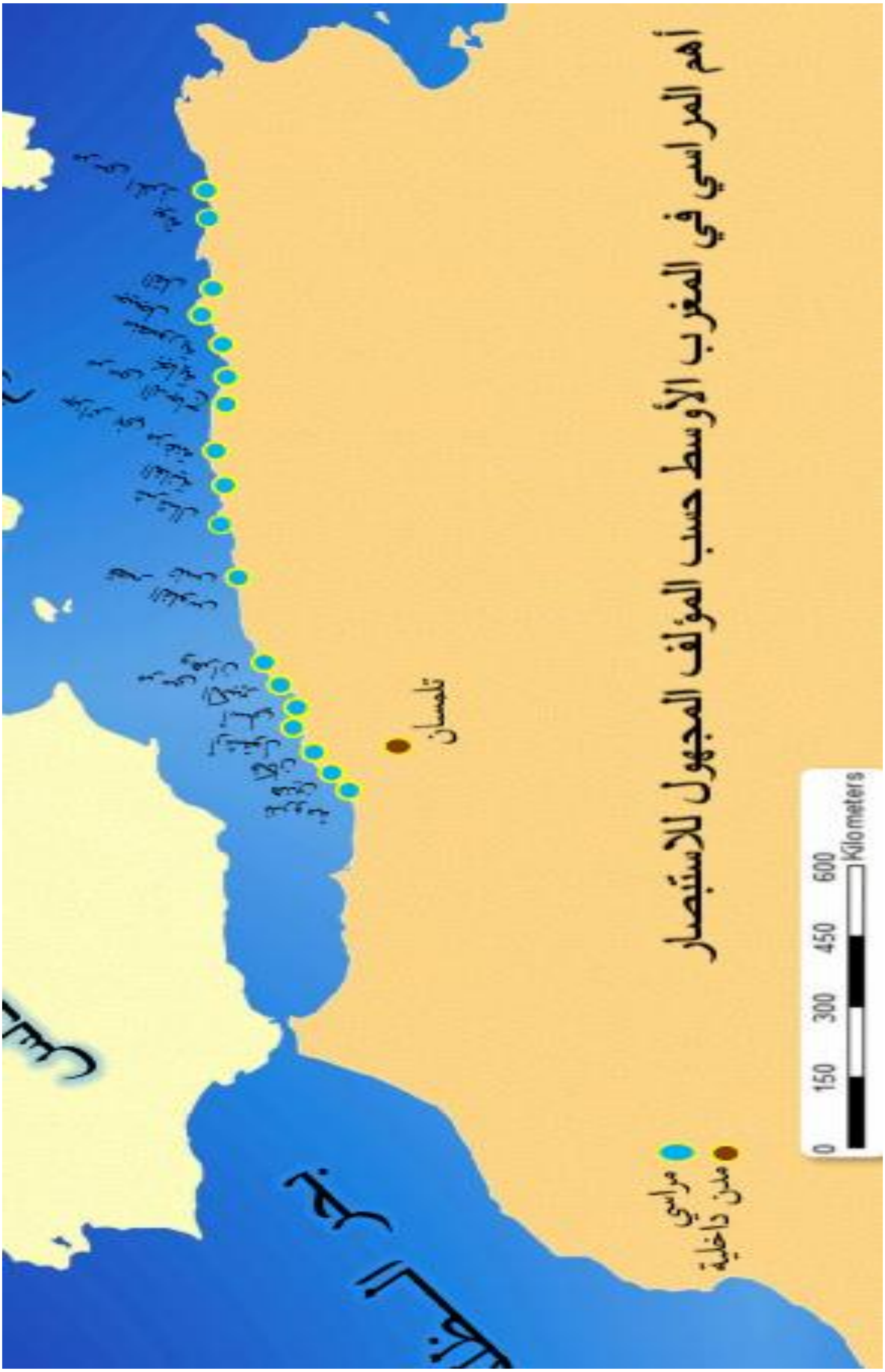
2) البكري: المغرب، ص81.

3) مجهول: الاستبصار، ص135.

4) نفسه، ص136.

5) البكري: المغرب، ص89.

6) مجهول: الاستبصار، ص136.


أهم المراسي في المغرب الأوسط حسب المؤلف المجهول للاستبصار
تلمسان
مراسي
مدن داخلية
0 150 300 450 600 Kilometers

أما حديث صاحب الاستبصار عن **أهم الطرق** فقد أشار أنه خلال هذه الفترة كانت مدينة تنس تستقبل السلع المراد تصديرها عن طريق البحر بواسطة الطرق البرية الداخلية المؤدية إلى كل من المسيلة وقلعة بني حماد وتلمسان والقيروان وتاهرت وغيرها[1].

إضافة إلى الطريق القديم القادم من الإسكندرية، حيث كانت من أهم مراكز تصدير الكتان إلى بلاد المغرب[2]، ليصل إلى المهدية ثم سوسة[3] ثم تونس ثم بونة[4]، ثم إلى بجاية[5]، ويتابع الطريق البحري سيره مارا بجزائر بني مزغنة ومنها إلى تنس ووهران ومنها إلى سبتة وطنجة في المغرب الأقصى[6].

---

1) إسماعيل بن نعمان: جوانب من الحياة الاقتصادية، ص208.

2)Goitein Shelomo .D; Mediterranean Society, op. cit. p.203.

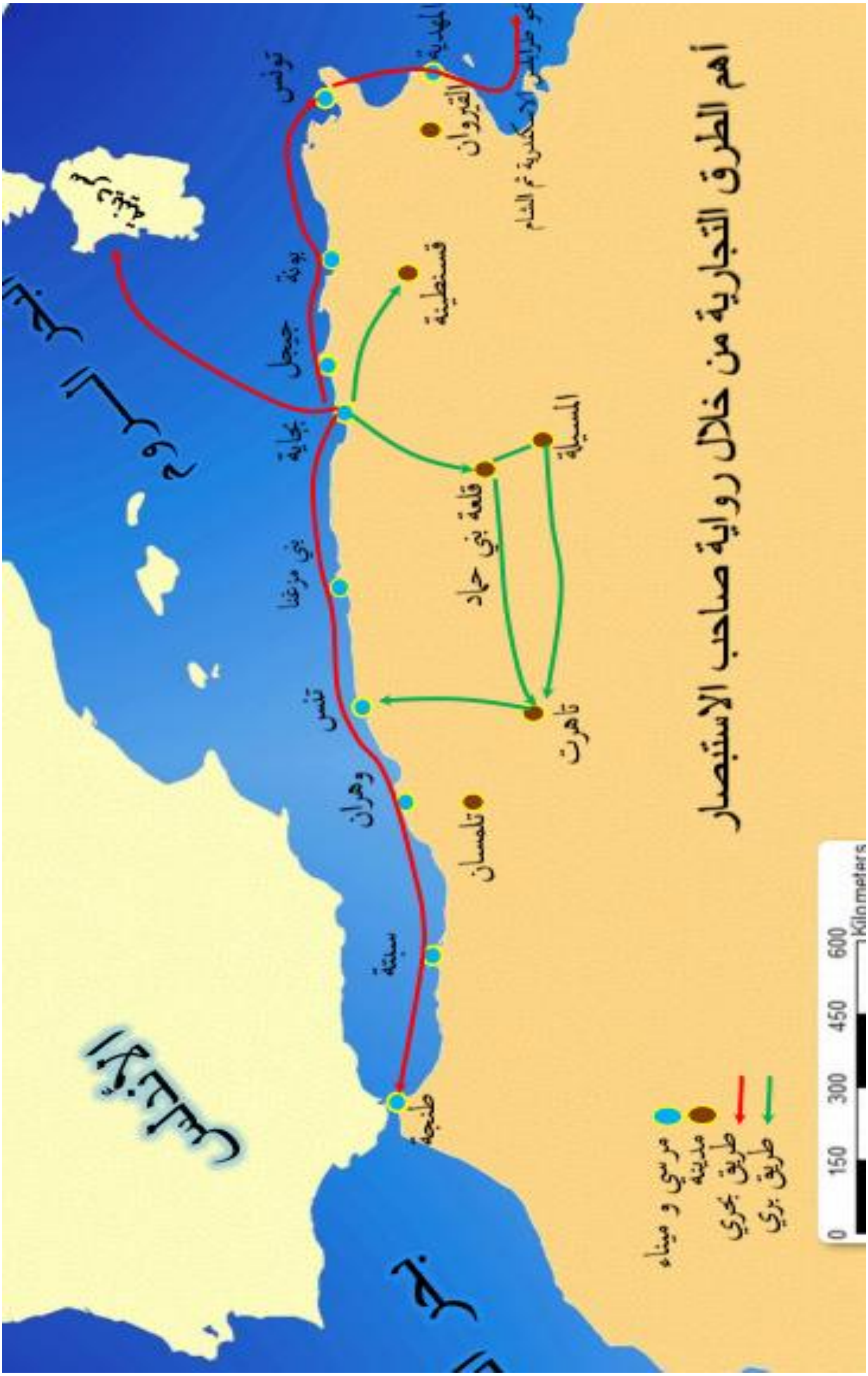
وأمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، مصر، 1997، ج2، ص141.

3) **سوسة**: بضم أوله بلفظ واحد السوس الذي في الصوف قال بطليموس، مدينة سوسة طولها أربع وثلاثون درجة وثماني عشر دقيقة وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وهي بلد بنواحي افريقية بها قوم لونهم لون الحنطة يضرب إلى الصفرة، بينها وبين صفاقس يومان وبينها وبين المهدية ثلاث أيام ومن سوسة الى القيرون ستة وثلاثون ميلا، وهي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواحي .**ياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج3، ص281-283**.

4) أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص212.

5) مجهول: الاستبصار، ص117، 130.

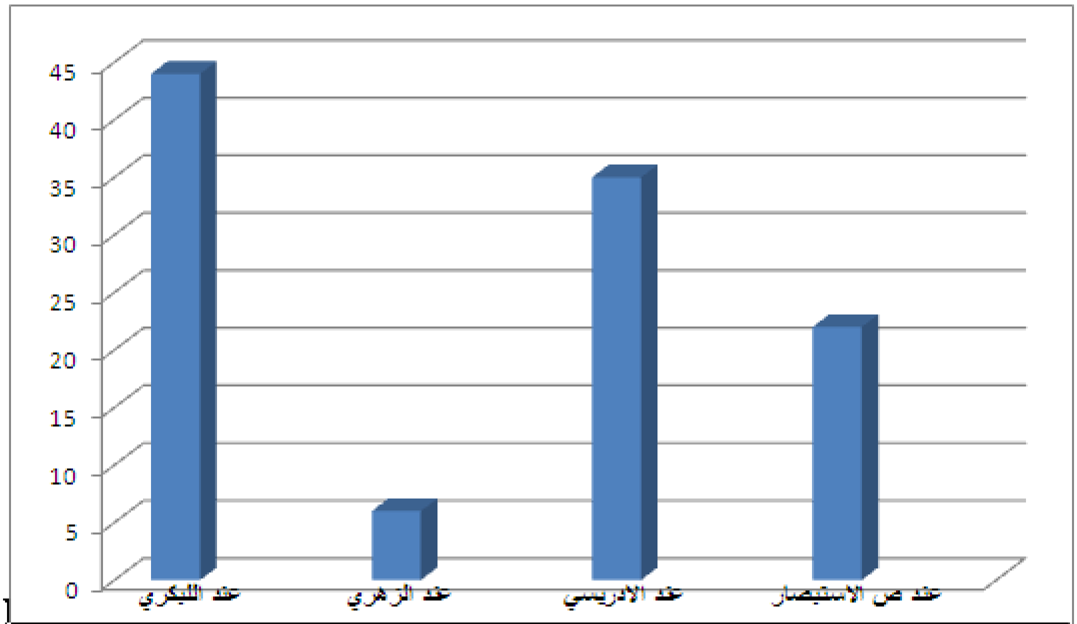
6) حسن خضيري أحمد: المرجع السابق، ص99-100.


أهم الطرق التجارية من خلال رواية صاحب الاستبصار
تونس
المهدية
القيروان
إلى الإسكندرية ثم الشام
بونة
قسنطينة
جيجل
بجاية
قلعة بني حماد
المسيلة
بني مزغنا
تنس
تاهرت
وهران
تلمسان
سبتة
طنجة
مرسى و ميناء
مدينة
طريق بحري
طريق بري
0 150 300 450 600 Kilometers

جدول يوضح الموانئ والمراسي في المغرب الأوسط بين القرن 4-6هـ/10-12م

الرقم	اسم المرسى أو الميناء	البكري	الزهري	الإدريسي	ص.الاستبصار
01	مرسى الخرز	×		×	×
02	بونة	×	×	×	×
03	مرسى الخروبة	×			
04	مرسى ابن الألبيري	×			
05	مرسى تكوش	×		×	
06	مرسى الروم	×		×	
07	سكيكدة	×			
08	مرسى أستورة	×		×	
09	مرسى القل	×		×	×
10	مرسى الشجرة	×			
11	مرسى الخراطين	×			
12	مرسى الزيتونة	×		×	
13	جيجل	×		×	×
14	مرسى سبيبة/المنصورة	×		×	×
15	جزائر العافية/فج الزرزور	×		×	
16	بجاية	×	×	×	×
17	مرسى زفون			×	
18	تدلس			×	
19	مرسى بني جناد	×		×	
20	مرسى الدجاج	×		×	×
21	تامدفوس			×	
22	جزائر بني مزغنة	×	×	×	×
23	مرسى الذبان	×			
24	مرسى جنابية	×			×
25	مرسى هور	×		×	

26	مرسى البطال	×		×	
27	شرشال	×		×	×
28	برشك			×	
29	مرسى وقور	×		×	
30	مرسى أمتكوا			×	
31	تنس	×	×	×	×
32	الغزة/مرسى عطا	×		×	
33	مغيلة بني هاشم	×		×	
34	مستغانم	×		×	
35	تامزغران	×			
36	مرسى الفلوس	×			×
37	مرسى فروخ	×		×	
38	أرزاو	×		×	×
39	وهران	×	×	×	×
40	المرسى الكبير	×		×	×
41	مرسى المدفون	×			
42	آسلن	×			×
43	أرشقول	×			×
44	الوردانية	×		×	×
45	ترنانة	×			×
46	هنين	×	×	×	×
47	ندرومة	×		×	×
48	مرسى تابحريت	×		×	
49	مرسى عجرود	×			×
المجموع		**44**	**06**	**35**	**22**



الموانئ والمراسي في المغرب الأوسط خلال القرنين 4-6هـ/10-12م

ونستنتج من خلال ما سبق أن استرجاع الواجهة الساحلية للمغرب الأوسط لنشاطها البحري حدث خلال القرون الثلاثة4-6هـ/10-12 م بفعل عوامل كثيرة أهمها ازدهار التجارة البحرية مع الأندلس والتواجد الهلالي في المنطقة[1] حيث أدى استلاؤهم على المناطق الزراعية بلجوء سكان السواحل إلى البحر إضافة في البداية ثم إشرافهم على خطوط النقل البري مقابل جباية خاصة ساهم في ازدهار المدن الساحلية التي تصرف منتجات الداخل، وأيضا ازدهار التجارة البحرية مع أوروبا الجنوبية وخاصة المدن الايطالية.

ولا ننسى دور الفئة الأندلسية في تنشيط هذه الموانئ حيث كانت خلال القرنين السادس والسابع هجريين قد اندمجت بصورة تامة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمغرب الأوسط مما ساهم في تنشيط وتحفيز المدن الساحلية من خلال نقل الخبرة البحرية إلى السكان المحليين.

كما أن السلطة المركزية ممثلة في الدولة الموحدية التي ساهمت في تحفيز وتنشيط السواحل وأهم المدن البحرية الكبرى من خلال إقامة دور صناعة مختلفة في وهران وبجاية وهنين ومرسى الخرز وبونة.

1)Allaoua Amara; Bûna, p.147-48

وفي أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع الهجريين عاش كاتب جمع بين الميول الأدبية والعلمية والجغرافية والمهارة في التجارة وهو **ياقوت الحموي(ت626هـ/1229م)**[1]، حيث كان لعلماء اللغة دور بارز في الكتابة عن المدن والأماكن ومحاولة إعطاء مدلول لأسمها واشتقاقاتها، مما جعلهم من الرواد في الكتابة عن الجغرافية، ويؤكد هذا ياقوت الحموي في مقدمة معجمه، إذ ذكر أنه اعتمد في كتابه على طبقة أهل الأدب.

وياقوت الحموي هو لغوي قبل أن يكون جغرافياً ماهراً؛ عاش في النصف الثاني من القرن السادس والثلث الأول من القرن السابع للهجرة(574-626هـ/1178-1228م)، وقد اعتمد ياقوت الحموي في عدة مواضع من كتابه على من سبقه من الجغرافيين كالبكري وابن حوقل واليعقوبي، لاسيما في حديثه عن صفة المغرب من الكتاب، فهو لا يكاد يذكر اسم مدينة أو منطقة من مناطق المغرب إلا ويبدأ كلامه بـ "قال البكري..."[2].

وعند حديث الحموي عن بلاد المغرب والتعريف بها، جعل حدها مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقية إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط، واعتبر الأندلس جزءاً منه[3]، حيث يضم المغرب كل من برقة، وافريقية، والقيروان، وتاهرت والسوس، وبلاد طنجة وتنتهي عند البحر المحيط[4].

وعندما جاء للتعريف ببحر المغرب"البحر المتوسط" قال عنه هو بحر الشام والقسطنطينية مأخذه من البحر المحيط ثم يمتد مشرقا فيمر من شماليه بالأندلس ثم بلاد الفرنجة، ويمتد من جهة الجنوب على بلاد كثيرة أولها سلا ثم سبتة وطنجة وبجاية ومهدية وتونس وطرابلس والإسكندرية[5]وهنا يشير إلى مدينة ومرسى بجاية كمدينة مهمة على بحر الشام، عند تحدثه عن أهم المدن المطلة عليه.

كما تحدث عن المسالك البحرية بصفة عامة فقط إذ قال"ولو أراد مريد أن يسير من سلا إلى افريقية ثم سواحل مصر والشام ثم طرابزندة...ليعود إلى سلا التي بدأ منها من غير أن يقطع بحرا أو يركب مركبا"[6]، وهذا يؤكد تفطن الجغرافيين والرحالة إلى وحدة البحر الشامي جغرافيا رغم اختلافه عرقيا.

---

1) هو ياقوت بن عبد الله الرومي المولد الحموي المولى البغدادي الدار، أبو عبد الله، الملقب شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب أصله من الروم أسر من بلاده صغيرا، وابتاعه ببغداد تاجر اسمه عسكر بن إبراهيم الحموي، فرباه وعلمه وجعله في الكُتاب وشغله بالأسفار في متاجره، ثم أعتقه (سنة 596 هـ)، والحموي لم يتزوج بل تفرغ للأسفار والتجارة والعلم، وقد ولدت له فكرة تأليف كتاب جغرافي عندما التقى بشيخه السمعاني، فبدأ يتنقل من منطقة لأخرى فزار الشام وبغداد وبلاد الترك وإيران وشهرستان ومصر، لكنه لم يدخل بلاد المغرب والأندلس ولم يزرها بل سمع عنها من التجار والحجاج .وكانت أغلب تأليفه في اللغة والأدب والجغرافية والتاريخ، وأغلبها مفقودة ماعدا معجم الأدباء، ومعجم البلدان.**ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت،1977، ج6، ص127-139**.

2) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص136،100، 213، 228، 276، 314، 440، 500 ، إضافة إلى بقية أجزاء الكتاب التي لا تخلو من ذكر اسم البكري.

3) معجم البلدان، ج5، ص161.

4) نفسه، ج1، ص30.

5) نفسه، ج1، ص345.

6) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص345.

ويفتتح صاحب البلدان ذكره لمدن المغرب الأوسط المهمة والمحولة للساحل **بقلعة بني حماد**، التي تمصرت بعد خراب القيروان وهجرة سكانها نحوها، رغم أنه لفترة مؤقتة فقط حيث ستلقى نفس المصير على يد أعراب بني هلال، وقد كانت مقصد التجار وبها تحل الرحال من الحجاز والعراق ومصر والشام، وبينها وبين بسكرة مرحلتان، والى قسنطينة الهواء أيام، وبينها وبين سطيف ثلاث مراحل(1).

وعند حديثه عن **متيجة** حدد مجموعة من الطرق تتجه نحوها وأخرى تخرج منها، ولكن دائما نقلا منه عن البكري، حيث يقول: أن الطريق من أشير إلى جزائر بني مزغناي ومن أشير إلى المدية، وهي بلد جليل قديم، ومنها إلى أقزرنة، وهي مدينة على نهر كبير عليه الأرحاء والبساتين ويقال إنها متيجة ولها مزارع ومسارح وهي أكثر تلك البلاد كتانا، ومنها يحمل، ومنها إلى مدينة أغزر ومنها إلى جزائر بني مزغناي(2).

أما عن **جزائر بني مزغناي**(3)، فهي مدينة على ضفة البحر بين إفريقية والمغرب، بينها وبين بجاية أربعة أيام كانت من خواص بلاد بني حماد بن زيري بن مناد الصنهاجي، ثم ينقل عن البكري بقوله أنها مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار للأول عجيبة، تدل على أنها كانت دار ملك لسالف الأمم(4)، ومن خلال استعراضنا للمدن السابقة التي ذكرها الحموي فإن جزائر بني مزغناي كانت ملتقى الطرق والرحالة والتجار من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب.

كما تكلم عن مدينة **مليانة**(5)، بأنها مدينة في آخر إفريقية بينها وبين **تنس** أربعة أيام، وهي مدينة رومية قديمة فيها آبار وأنهار تطحن عليها الرحى جددها زيري بن مناد وأسكنها بلكين(6)، وما نلاحظه أنه ذكر المسافة بين مليانة وتنس دليل على أهمية تنس الساحلية للتصدير واستراد السلع واستقبال الحجاج والتجار والرحالة، لكن مع الأسف لم يخصص لها ولو سطرا أو سطرين لذكرها وشرحها مع أنها كانت خلال هذه الفترة تتمتع بمكانة كبيرة، ورغم أن الحموي نقل الكثير عن البكري، إلا أنه لم ينقل عنه شرحه لمدينة تنس.

---

1) الحموي: المصدر السابق، ج4، ص389-390.

2) نفسه، ج5، ص53.

3) تسمى الجزائر، وهي جمع جزيرة بها آثار للأول وصحن الملعب الذي فيها قد فرش بحجارة ملونة صغار مثل الفيسيفساء فيها صور الحيوانات بأحكم عمل وأبدع صناعة لم يغيرها تقادم الزمن لها أسواق ومسجد جامع وينسب إليها أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن الفرج الجزائري المصري يروي عن ابن قديد توفي في ذي القعدة368هـ. **ياقوت الحموي**: **المصدر نفسه**، **ج2**، **ص132**.

4) نفسه، ج2، ص132.

5) **مليانة** بالكسر ثم السكون، وياء تحتها نقطتان خفيفة وبعد الألف نون، مدينة في آخر افريقية.**ياقوت الحموي**: **المصدر نفسه**، **ج1**، **ص202-203**.

6) نفسه، ج1، ص202-203.

وخصص صاحب معجم البلدان فقرة كبيرة لتقديم وتعريف **مدينة تاهرت**[1]، ولكن نقلا عن اليعقوبي وابن حوقل والبكري[2]، حيث حدد المسافة بينها وبين مدينة المسيلة بست مراحل، وهي بين تلمسان وقلعة بني حماد، وهي مدينة جليلة وتسمى قديما عراق العرب، ولم تكن في طاعة صاحب افريقية، وهي مدينة مسورة لها أربعة أبواب، ومَلك بنو رستم تاهرت مائة وثلاثين سنة[3]، ولكن ما يهمنا هنا هي المسالك الواصلة من وإلى تاهرت، فهي تربط بين شرق المغرب الأوسط وغربه كما تربط بين شماله وجنوبه حيث تتصل بكل من المسيلة شرقا وتلمسان غربا، وبين تنس شمالا كواجهة بحرية ونحو الجنوب.

أما **وهران** فقال عنها"فبينها وبين تلمسان سُرى ليلة، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر وأكبر أهلها تجار لا يعدو نفعهم أنفسهم، ومنها إلى تنس ثماني مراحل"[4] وفي كلامه هذا نوع من الاستخفاف بتجار وهران وبحارتها وبأن تجارتهم لا تكفي حتى عيشهم المحلي، وهذا خلاف ما تذكره جميع المصادر أن تجارة وهران ازدهرت سواء مع شرق المغرب الأوسط والمغرب الأدنى أو مع نكور وفاس في المغرب الأقصى أو مع الأندلس، كما ذكر الحموي الطريق الساحلي بين مرسى تنس ومرسى وهران وبأنه كان في حالة نشاط وحيوية.

وقد ترك لنا في"معجم البلدان"وصفا **لتلمسان**[5] في العهد الموحدي حتى وإن لم يزرها، فقال عنها**:**"هما مدينتان متجاورتان مسورتان بينهما رمية حجر إحداهما قديمة والأخرى حديثة والحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب واسمها تافرزت فيها يسكن الجند وأصحاب السلطان والقديمة اسمها أقادير يسكنها الرعية، ومنها إلى وهران مرحلة"[6].

أما عن **أهم المراسي في الواجهة الساحلية** للمغرب الأوسط فنبتدئها **بمرسى الخرز**[7] الذي ذكره الحموي عند حديثه عن حرف الميم قائلا عنه، أنه موضع معمور على ساحل إفريقية، بينه وبين بونة ثلاث أيام، منه يستخرج المرجان، يجتمع التجار فيستأجرون أهل تلك المواضع على استخراجه من قعر البحر، وليس في ذلك على

---

1) **تاهرت** بفتح الهاء وسكون الراء وتاء فوقها نقطتان اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لإحداهما تاهرت القديمة وللأخرى تاهرت المحدثة.**ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص7.**

2) البلدان، ص142-143؛ **وصورة الأرض، ص88؛ والبكري: المغرب، ص69؛ والبكري: المسالك، ج2، ص251.**

3) ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج2، ص7-9.

4) نفسه، ج5، ص385.

5) تلمسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة وبعضهم يقول تنمسان بالنون عوض اللام وهما مدينتان بالمغرب، ويزعم البعض أنها البلد الذي أقام به الخضر عليه السلام الجدار المذكور في سورة الكهف. **ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج2، ص44.**

6) نفسه، ج2، ص44.

7) **مرسى الخرز** بالفتح ثم السكون والسين مهملة والقصر، وأصله مفعل من رست السفينة إذا ثبت والموضع مرسى والخرز بفتح الخاء المعجمة والراء ثم الزاي، واحدته خرزة. **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج5، ص106.**

استخراجه مشقة ولا لسلطان فيه حصة، ولونه أغبر القشر، فإذا حل عنه قشره خرج أحمر اللون فتفصله الصناع[1]، وقد نقل جل كلامه عن ابن حوقل[2]، والمقدسي[3]، والبكري[4].

كما تطرق إلى قرية محاذية له ولأول مرة تُذكر في المصادر هي قرية **طارِفُ**، وهي قريبة من افريقية، هذا كل ما قاله عنها[5]، وربما هي قرية ومدينة الطارف التي ستتطور وتشمل مرسى الخرز والمناطق المجاورة له فيما بعد.

ولا بد لأي كاتب جغرافي أو رحالة أن يكتب عن **بونة**، إلا أن الحموي خصص لها بضعة أسطر فقط بقوله:"مدينة بإفريقية بين مرسى الخرز وجزائر بني مزغناي، وهي مدينة حصينة مقتدرة كثيرة الرخص والفواكه والبساتين، وأكثر فاكهتها من باديتها وبها معدن الحديد، وهي على البحر"[6].

ونستشف من كلامه خاصة عند تحديد موقع مدينة بونة بين مرسى الخرز وجزائر بني مزغناي بجهله للمنطقة وبعده عنها فلو حددها بين مرسى الخرز وبجاية لكان مقبولا ولكن مع بني مزغناي فهي بعيدة جدا، أما فيما يخص معدن الحديد فهو فعلا موجود بها وبكثرة[7]، مما جعلها محط أنظار الدول المتعاقبة عليها من الفاطمية إلى الموحدية وصولا إلى الحفصية، في إنشاء الأساطيل وتوفير مستلزمات السفن.

لقد مر ياقوت الحموي على مرسى **سكيكدة** مر المسافر المتعجل وسماها **سَكْدَةُ** وذكر بأنها بلد في ساحل بحر إفريقية بالقرب من قسنطينة الهواء[8]، مما يبين أنها لم تسترجع مكانتها منذ القرن الخامس الهجري إلى الفترة الحفصية، المتأخرة إذ ذكرها بيري رايس والوزان ومارمول[9].

ونفس الملاحظة بالنسبة لمدينة **ومرسى جيجل**، حيث مر عليه مر الكرام دون أي شرح وذكرها جِيجَل بكسر الجيم الأول وفتح الثانية، بينهما ياء ساكنة وآخره لام موضع[10]، ولم يكمل مكانه ربما الناسخ الذي نسيه ليحدد مكانه وحسب ما قدمه الحموي في كتابه سيقول موضع من إفريقية، ولكن هذا الكلام هو إجحاف في حق

---

1) الحموي: المصدر السابق، ج5، ص106.

2) صورة الأرض، ص76.

3) أحسن التقاسيم، ص239.

4) المغرب، ص55؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص234**.

5) ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج4، ص4.

6) نفسه، ج1، ص512.

7) نفسه، ص77.

8) نفسه، ج3، ص230.

9) وصف إفريقيا، ج2، ص54-55؛ **ومارمول: إفريقيا، ج3، ص7**.

Robert. Mantran ; Op. Cit, p. 166.

10) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص196.

مدينة امتد تاريخها منذ العهد الفنيقي؛ قد نسلم بتراجع دورها الحضاري سواء السياسي أو الاقتصادي خلال العهد الموحدي ولكن لماذا لم ينقل عن البكري[1] وغيره كما نقل في مواضع أخرى عن مدن أخرى.

عند إشارة الحموي إلى **بجاية** بيّن أنها مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين، في حدود سنة457هـ/1094م بينها وبين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام، كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت المدينة وهي في لحف جبل، وتسمى الناصرية باسم بانيها، وهي مقصودة من جميع البلاد، وهي دار مملكة تركب منها السفن وتسافر إلى جميع الجهات وبينها وبين **ميلة** ثلاثة أيام[2].

وهذا يبين أن بجاية ميناء قديم يعود للفترة الفينيقية، وبسبب نشاط هذا الميناء وامتلاكه لشبكة من المسالك البحرية تطور ليصبح مدينة عامرة ويزدهر أكثر في العهد الثاني من الدولة الحمادية بعد نقل عاصمتها من القلعة إلى بجاية بسبب أعراب بني هلال وليس بسبب نزاع آخر، وأصبحت بجاية قبلة للمراكب والسفن سواء من أوروبا أو من المغربين الأدنى والأقصى أو من المشرق العربي.

ثم ينتقل إلى **مرسى الدجاج**، حيث حدد المسافة بينه وبين مدينة أشير أربعة أيام، ومرسى الدجاج مدينة أحاط بها البحر من ثلاث جهات وقد ضرب بسور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية ومن هناك يدخل إليها، وأسواقها ومسجد جامعها من داخل ذلك السور له باب واحد، وله مرفأ غير مأمون لضيقه، يسكنه الأندلسيون وقبائل كتامة، وبشرقها **مدينة بني جناد** وهي أصغر منها[3]، وهنا نستنتج أن مرسى الدجاج أصبح مدينة كبيرة عكس ما كانت توصف به في المصادر القديمة بأنها مجرد مرسى صغير، كما أن ميناءها غير مأمون بسبب الصخور وقوة الرياح، أما عن مرسى بني جناد فقد ذكره مجرد الذكر دون الشرح رغم أنه قال عنه مدينة أصغر من مدينة مرسى الدجاج.أما عن **مرسى تامدفوس** فلم يخصص له الحموي سوى سطر واحد قال عنه:"إنه مرسى وجزيرة ومدينة خربة بالمغرب قرب جزائر بني مزغناي"[4] أي أن هذا المرسى قد تدهورت مكانته في القرن السابع الهجري .

ومرسى **جزائر بني مزغناي** مرسى مأمون له عين عذبة يقصد إليها أصحاب السفن من إفريقية والأندلس وغيرهما[5]، وهو كلام جميل جدا يبين أن مرسى جزائر بني مزغناي كسب مكانة مهمة وأصبح مقصد السفن من افريقية والأندلس.

---

1) البكري: المغرب، ص33، 83؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص269**؛ **و الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص104**.

2) ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج1، ص339.

3) نفسه، ج5، ص106.

4) نفسه، ج2، ص7.

5) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص132.

وينفرد ياقوت الحموي بذكر مرفأ **ومرسى داموس**[1]، حيث لم نعثر عليه سابقا عند مختلف الجغرافيين الذين وصفوا سواحل المغرب الأوسط، رغم أنه مرسى قديم يعود للعهد الروماني، ورغم أن مرسى شنوة التابع له قد ذكره الإدريسي[2] رفقة مرسى البطال إلا أن داموس لم نعثر عليها إلا عند الحموي، ورغم أنه لم يُفَصل فيه إلا أنه أشار إليه بقول"داموس بلد بالمغرب قرب جزائر بني مزغناي منه أبو عمران موسى بن سليمان اللخمي الداموسي الذي سكن ألمرية وكان من قرائها"[3]، كما يوضح لنا هذا القول وجود رحلات بين منطقة داموس وكذا ألمرية، وكذا كون الداموس مدينة مسكونة كبيرة يوجد بها عدة علماء.

أما عن تنس فقد نقل الحموي أغلب كلامه من كتاب البكري، وبأن بين تنس والبحر ميلين وبينها وبين وهران ثماني مراحل والى مليانة أربعة أيام والى تيهرت خمس مراحل أو ست، وتسمى تنس الحديثة التي أسسها البحريون من أهل الأندلس سنة262هـ/875م، وسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل البيرة وأهل تدمير[4]، وكان أهل الأندلس يُشتّون هناك إذا سافروا من الأندلس في مرسى على ساحل البحر، وقد خرّب مدينة تنس الماء وهدمها في حدود نيف وعشرين وستمائة وقد رجع إليها بعض أهلها ودخلها في تلك المدة وهم ساكنون بين الخراب[5]،

ونستنتج من هذا الكلام وجود عدة مسالك بحرية لمدينة تنس تربطها بالأندلس كتدمير والبيرة.

وما يجلب الانتباه أن الحموي يصف ميناء تنس بالميناء الشتوي نقلا عن البكري في حين وصفه الإدريسي بميناء صيفي[7]؛ وهذا ليس تناقضاً بل كل منهما يتحدث عن حوضين مختلفين لمدينة تنس.

كما تحدث باحتشام عن مدينة باجة التي قال عنها أنها تعرف بباجة القمح بينها وبين **تنس** يومان[8]، ثم يرجع ويذكر الطريق بين باجة وتنس الساحليتان.

ومرسى الزيتونة في ناحية إفريقية بينه وبين ميلة يوم واحد[9]، ونلاحظ أن أغلب شرق المغرب الأوسط ينسبه الحموي إلى افريقية، وعموما ينحصر على مستوى الترتيب العام للمراسي بين مرسى الخراطين شرقا وميناء جيجل

---

1) تقع بلدية الداموس حاليا في غرب ولاية تيبازة.

2) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص273؛ **والمغرب، ص101**.

3) ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج2، ص434.

4) نفسه، ج2، ص48.

5) نفسه، ج2، ص49.

7) نزهة المشتاق، ج1، ص251-252.

8) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص314.

9) نفسه، ج5، ص107.

غربا الذي بعد عنه أربعين ميلا ويقسم واد القصب بالتساوي بين جيجل ومرسى الزيتونة"على التقوير ثلاثون ميلا وروسية عشرون ميلا"[1].

ونقلا عن البكري ذكر أن **وهران** مدينة حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ولها مسجد جامع وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين الذين ينتجعون مرسى وهران[2]، أي يُقّر بعد أن بين بأن مدينة وهران مدينة برية كبيرة إلا أن لها مرسى فيه بعض الأندلسيين، مما يوحي لنا أن وهران غالب عليها الطابع البري أكثر من البحري.

وإذا سرنا من وهران نحو الغرب صادفنا مرسى **وميناء أرجكوك** الذي قال عنه الحموي بأنه مدينة قرب ساحل إفريقية لها مرسى في جزيرة ذات مياه وهي مسكونة وأرجكوك على واد يعرف بالتافنة، بينها وبين البحر ميلان[3]، ودائما نحلل كلام الجغرافي أو الرحالة حتى يتبين لنا الخيط الأبيض من الأسود حيث يؤكد الحموي أن أرجكوك"أو أرشقول"مدينة ساحلية لها مرسى وهي مسكونة أي لها قيمة اجتماعية واقتصادية خلال القرن السابع الهجري، وما لا نفهمه في قوله هو ضم هذا الميناء لمقاطعة أو كورة افريقية رغم أن حدودها كما ذكر سابقا هي مدينة مليانة.

أما عن **هنين** ذكر عنه أنه ناحية من سواحل تلمسان من أرض المغرب منها كان عبد المؤمن بن علي ملك المغرب من بلدة منها يقال لها تاجرة[4].

---

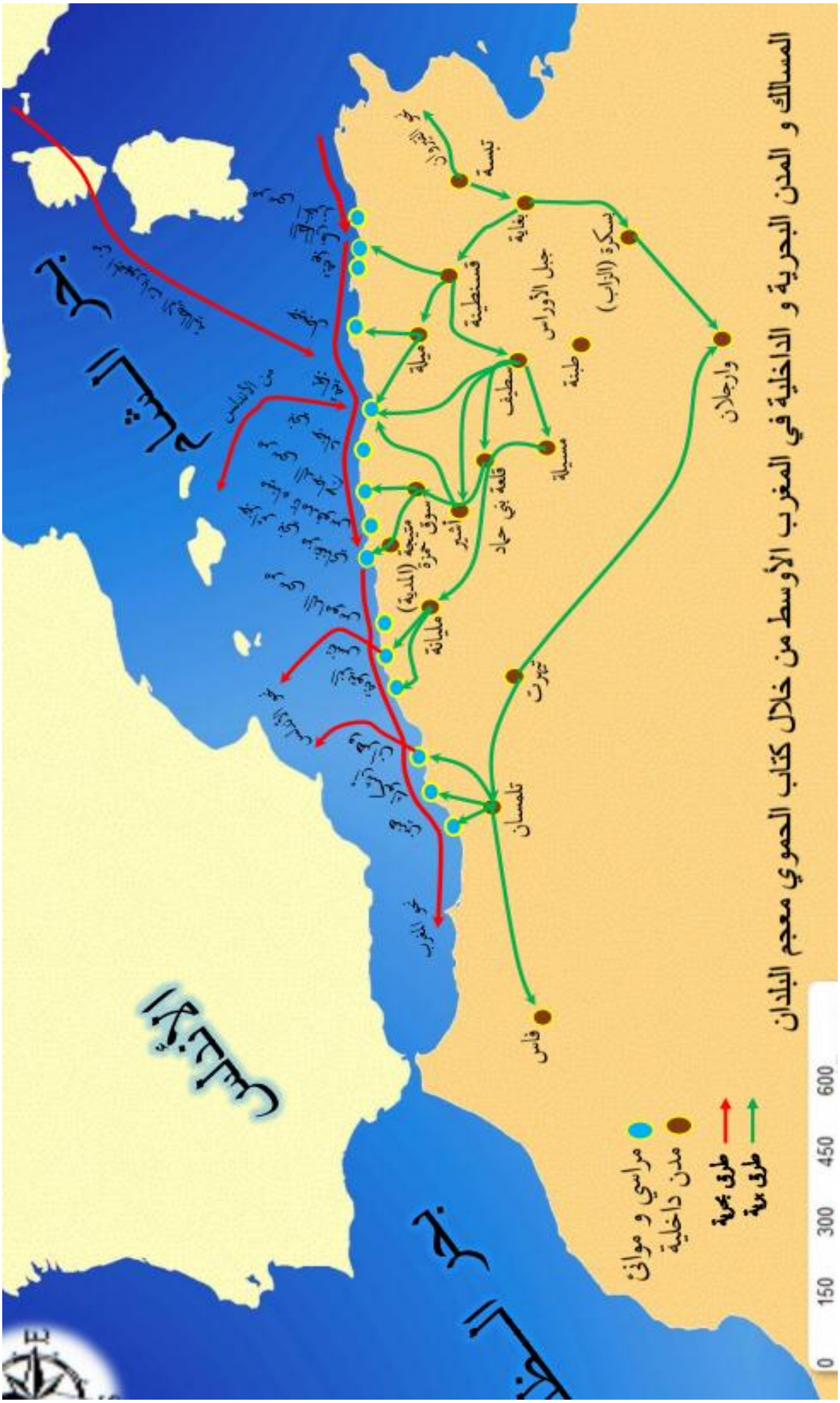
1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص274.

لا ندري كم يساوي الميل الروسي هل هو على غرار الميل العربي بين 1400و 2000متر، **Picard, Christophe ;La mer, Op. Cit, p.107-108.**، أم أن الإدريسي أخطأ في ذكره أو تأثر بالثقافة التي سادت صقلية النرمانية خلال تلك الفترة.**الطاهر قدوري**: **النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، ص183**.

2) ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج5، ص385.

3) نفسه، ج1، ص144.

4) نفسه، ج5، ص419.


المسالك و المدن البحرية و الداخلية في المغرب الأوسط من خلال كتاب الحموي معجم البلدان
مراسي و موانئ
مدن داخلية
طرق بحرية
طرق برية
تبسة
بغاية
قسنطينة
ميلة
سطيف
طبنة
جبل الأوراس
بسكرة (الزاب)
وارجلان
مسيلة
قلعة بني حماد
أشير
سوق حمزة
متيجة
مليانة
تيهرت
تلمسان
فاس
من الأندلس
0 150 300 450 600

وفي عصر الحموي كان يعيش في العراق عالم طبقت شهرته الآفاق بتأليفه كتابا في الجغرافيا الطبيعية، وهو **زكريا بن محمد القزويني(ت682هـ/1283م)**[1]، فهو من بين الجغرافيين الذين كتبوا عن بعض مدن وموانئ المغرب الأوسط دون أن يزورها، بل نقلا عن من سبقه من كتب الجغرافيا، وبعض الرحالة من التجار والحجاج والفقهاء، وهذا ما جعل معلوماته محدودة وغير قيمة، بل فيها نوع من التجني[2]، والبعد عن الحقيقة.

كما أن معلوماته شحيحة حيث نجد في كتابه"آثار البلاد وأخبار العباد"، ذكر ست مدن من مدن المغرب الأوسط رغم ضخامة موسوعته.

وأهم المدن التي ذكرها منها مرسى الخرز، وشرشال، تنس، وتلمسان، ومليانة وتاهرت، وما يهمنا هنا هو ذكر المدن والمراسي رغم قلتها.

فهو يقول عن مرسى **الخرز**"إنها بليدة-تصغير لبلدة-على ساحل افريقية، عندها يستخرج المرجان وليس للسلطان فيه حصة، فيجتمع بها التجار ويستأجرون أهل تلك النواحي على استخراج المرجان من قعر البحر؛ حكى من شاهد كيفية استخراجه أنهم يتخذون خشبتين طول كل واحدة ذراع، ويجعلونها صليبا ويشدون فيه حجرا ثقيلا، ويصلونه بجبل ويركب صاحبه في قارب، ويتوسط البحر نحو نصف فرسخ ليصل إلى منبت المرجان، ثم يرسل الصليب إلى البحر حتى ينتهي إلى قرار البحر، ويمر بالقارب يمينا وشمالا ومستديرا ليتعلق المرجان في ذوائب الصليب، ثم يقلعه بالقوة ويرقيه فيخرج جسم أغبر اللون، فيحك قشره فيخرج أحمر اللون حسنا"[3].

و مايهمنا في هذه الشهادة والملاحظات أن مرسى الخرز خلال القرن7هجري/13م أصبح مرسى صغير رغم ما يزخر به من إمكانات، من خلال وصفه بالبليدة، والملاحظة الثانية وهي أن السلطة القائمة خلال هذه الفترة وهي السلطة الحفصية لم تكن وصية على مرجان المرسى ولا على استخراجه، ربما بسبب أوضاعها السياسية، أو لعُرف كان سائدا هناك.

كما نتساءل عن طبيعة وأصل التجار وعن وجهتهم التي لم يبينها، ولا ننسى أن القزويني أفادنا بشرح طريقة صيد المرجان والحصول عليه، كما يفيدنا ابن خلدون بتعرض مرسى الخرز وقصبته للتخريب والحرق بعد

---

1) أبو عبد الله بن زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، عالم مسلم عربي قزويني المولد حجازي الأصل. يرتفع نسبه إلى الإمام انس بن مالك عالم المدينة . ولد في عام 605 وتوفي عام 682 هجري، رحل في شبابه إلى دمشق ثم ذهب إلى العراق واستقر بها وتولى القضاء وكان ذلك في خلافة المستعصم العباسي واستمر في منصبه حتى سقطت بغداد في يد المغول، ألف الكثير من الكتب في مجالات الجغرافيا والتاريخ الطبيعي وله نظريات في علم الرصد الجوى، كما شغف بالنبات والحيوان والطبيعة والفلك والجيولوجيا. **أنس خالدوف**: **علم النبات في كتاب عجائب المخلوقات لزكريا القزويني، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد37-38، السنة العاشرة، أكتوبر 1990، ص174-175**.

2) حيث عند ذكره مدينة تاهرت وبعد وصفها جغرافية، وصف أهلها بالحمق وقلة المعرفة، وذكر في ذلك قصة تبدو بعيدة عن الواقع، بل مجرد تهكم.**القزويني**: **آثار البلاد وأخبار العباد، دت، د ط، دار صادر، بيروت، ص169**.

3) القزويني: المصدر نفسه، ص261.

سنة686هـ/1287م من طرف النصارى بقوله" غدر النصارى بمرسى الخرز فاقتحموها بعد أن ثلموا أسوارها واكتسحوا ما فيها، واحتملوا أهلها أسرى وأضرموا بيوتها ناراً. ثم مروا بمرسى تونس وانصرفوا إلى بلادهم"[1].

ثم أشار إلى ميناء ومدينة **شرشال،** وذكرها بأنها من عمالة **بجاية،** رغم أنه لم يكلف عناء نفسه في شرح ميناء ومدينة بجاية رغم أنها كانت في الفترة هذه وهي الفترة الحفصية في أوج عطائها، كما أنه اعتمد على من حدّثه عن شرشال بقوله"حدثني الفقيه أبو الربيع سليمان الملتاني[3]، وذكر أسطورة خيالية لا فائدة منها، تشير إلى آثار قصر بناه أحد الملوك الأولين[4].

وما يهمنا هنا هو التماسنا لفقر معلومات القزويني عن بلاد المغرب الأوسط، وجهله لجغرافيته.

أما في حديثه عن تنس، فقال عنها"إنها مدينة بإفريقية حصينة، ولها قهندز-حصن- صعب المرتقى، ينفرد بها العمال لحصانتها خوفا من الرعية، هواؤها وبي وماؤها ردي، والحمى لا تفارق أهلها في أكثر الأوقات، ثم قال كلاماً فيه تجن على المدينة وأهلها"[5].

ونفس الملاحظة تقال عن ما ذكره وتبين قلة معلوماته عن بلاد المغرب، مما يجعله يستقيها من العامة أو عابري السبيل فيصدقها ويدونها في كتابه هذا، وما يهمنا هو أن ميناء ومدينة تنس كان مشهورا في القرن7هـ/13م مما وصله إلى مسامع القزويني، كما يبين قوله أن بها حصناً وقلعة صعبة الاختراق.

أما في حديثه عن تلمسان فنلمس أنه أخذه كله من البكري الذي قال:"إنها القرية التي قصدها الخضر وموسى وبنى فيها الجدار وكذا نسيا الحوت في صخرة قريبة من بحرها"[6].

---

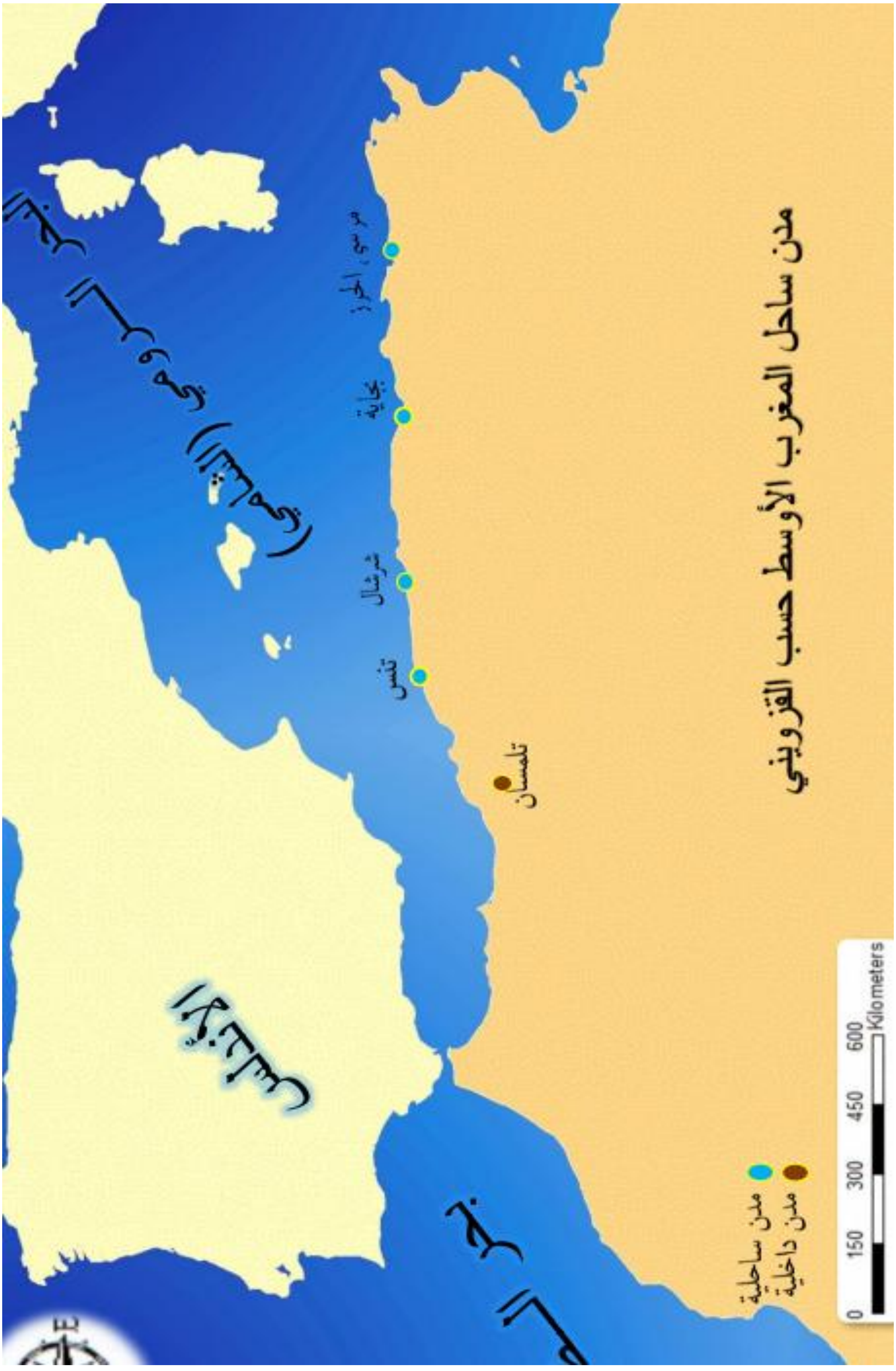
1) العبر، ج6، ص448.

3) الملياني أو الهنتاتي وهو فقيه غير معروف.

4) القزويني: المصدر السابق، ص208-209؛ و **أحمد بن يوسف القرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط، وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1992، ص395.**

5) قال بها ذئاب كثيرة تأكل أهلها، وبراغيث كثيرة كذلك وهم في عذاب منهما.**القزويني: المصدر نفسه، ص173.**

6) نفسه، ص172.


مدن ساحل المغرب الأوسط حسب القزويني
مرسى الخرز
بجاية
شرشال
تنس
تلمسان
مدن ساحلية
مدن داخلية
0 150 300 450 600
Kilometers

لقد وردت لمؤلف جغرافي مشهور ثلاثة من كتب الجغرافية منها كتاب "الجغرافيا في الإقليم السبع" وكتاب"وصف الكون"وكتاب"بسط الأرض في الطول والعرض"، وهذا الكاتب هو **ابن سعيد المغربي**(**ت685هـ/1286م**)[1]، حيث ذكر في كتابه الجغرافيا العديد من المدن الساحلية وموانئها وكذا شبكة الطرق الرابطة بينها وبين الداخل أو بينها وبين الخارج على حد سواء، مما مكننا أن نأخذ صورة ولو عامة عن واقع التوجه البحري للمغرب الأوسط وسكانه خلال القرن السابع الهجري.

إن ملاحظتنا لكتاب ابن سعيد تبين أنه مختلف عن المؤلفات الكلاسيكية الجغرافية القديمة، خاصة في اهتمامه بالعالم غير الإسلامي، وهو يذكر في كتابه مصدرين أخذ عنهما هو كتاب"أجار"أي كتاب الإدريسي"نزهة المشتاق"وكتابات ابن فاطمة الذي يبدو أنه ملاح مكتشف أدغال إفريقيا[2].

ففيما يخص المدن فقد ذكر ابن سعيد أشهر وأكبر مدن المغرب الأوسط في تلك الفترة سواء الساحلية منها أو الداخلية المعروفة باعتبارها كانت حلقة وصل ونقل السلع وعبور من المدن الصحراوية إلى المدن البحرية وبالتالي التصدير إلى الأندلس أو إلى الجمهوريات الايطالية التي بدأت تظهر وتبرز على الساحة المتوسطية.

فحد مدن المغرب الأدنى هو قفصة التي لها مسلك وطريق يصلها بجبل الأوراس المشهور، وأهله بربر من الخوارج، وبين هذا الجبل ومدينة بونة مجالات من العرب ومن حد قسنطينة إلى بجاية مجالات رياح ومن غرب بجاية إلى تلمسان مجالات زغبة ومتصل بجبال ونشريش[3].

إن هذه الفقرة تبين لنا سيطرة عرب بني هلال وزغبة على أغلب الشمال باستثناء بعض المدن الجبلية والوعرة أو بعض المناطق المستعصية عليهم كالقبائل والأوراس، كما أن هناك مسالك تجارية بين المغرب الأدنى والأوسط حلقتها كل من قفصة دخولا إلى تبسة وجبال الأوراس.

ومن هذه المدن نجد **مدينة بسكرة** قاعدة بلاد الزاب وهي بلاد نخل وزرع ومنها تجلب أصناف التمر إلى حاضرتي تونس وبجاية[1]، أي أن بسكرة كانت مدينة تجارية بالدرجة الأولى وتربط مدن ريغ ووراكلا الصحراوية بمدن الشمال الساحلية كبجاية إضافة إلى علاقتها مع المغرب الأدنى عن طريق قفصة والقيروان وصولا إلى تونس.

---

1)ابن سعيد المغربي(ت685 هـ/1286م)، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك ابن سعيد، العنسي المدلجي، أبو الحسن، نور الدين، من ذرية عمار بن ياسر، مؤرخ أندلسي، من الشعراء، العلماء بالأدب، وهو رحالة وجغرافي، ولد بقلعة يحصب، ولد في مدينة غرناطة بين سنتي (605 و610هـ) قرب غرناطة، ونشأ واشتهر بغرناطة، وقام برحلة طويلة زار بها مصر والعراق والشام، وتوفي بتونس، وقيل في دمشق.

عمل ابن سعيد لوزير الموحدين ابن جامع . وكان له ابن عم يعمل للموحدين أيضا . فوقعت بين القريبين فرقة خشي ابن سعيد عاقبتها فاستأذن في الرحيل إلى المشرق بحجة الحج . وصل إلى الإسكندرية بمصر سنة1241 م وكان والده قد سبقه إليها وأقام فيها، ولما كان وصوله متأخراً عن موعد الحج، ذهب إلى القاهرة ولقي فيها أيدمر التركي والبهاء زهير وابن يغمور الذي كان يعمل رئيساً للأمور بالديار المصرية.

لهُ مؤلفات تجاوزت الثلاثين مؤلفاً في مختلف العلوم؛ ويأتي اختيارنا على كتابين في الجغرافية وهما من أروع ما كتب، وهما كتابي الجغرافيا وكتاب بسط الأرض.**الزركلي**: **الأعلام**، **ج5، ص26**؛ **و مقدمة المحقق إسماعيل العربي، لكتاب الجغرافيا، ص5-7**.

2) محمد جابر الأنصاري: التفاعل الثقافي بين الغرب والشرق في آثار ابن سعيد المغربي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992، ص219-220.

3) ابن سعيد المغربي: كتاب بسط الأرض، ص78-79.

أما فيما يخص **المدن الساحلية** والمراسي فبدأها **بمرسى أرشقون**، حيث اعتبره "فرضة من تلمسان الذي يصب في نهرها نهر يسّر الكبير، المقدر بسبعين ميلا"[2]، ولم يعلق عليه كثيرا ولم يبرز نشاطه وحركيته الملاحية ونوع مينائه، سوى قوله:"ويقابل أرشقون مدينة ألمرية المشهورة التي كانت لها دار صناعة الأندلس"[3]، وربما يريد أن يوضح وجود علاقة بين ميناء أرشقون ومدينة ألمرية من خلال مختلف المبادلات التجارية وتنقلات المسافرين.

ومن مرسى أرشقون ينتقل إلى **فرضة هنين**، وقدرها باثني عشر ميلا[4]، كما لم يزد في الشرح وأي استطراد لتوضيح الأماكن، ولكننا نستنتج أن ميناء هنين بدأ يكتسب مكانة هامة حيث أصبح يذكر في كل كتب الرحالة والجغرافيين خلال القرن السابع هجري.

ويتجنب ابن سعيد أية استطرادات أدبية، وحتى انطباعاته الشخصية تكاد تنعدم خلف صرامة المنهج المتبع، ويبدو ابن سعيد هنا وقد استقل ميله الجغرافي تماما عن ثقافته الأدبية وغدا مجرى مستقلا عنها بعد أن أنشأ في الأساس رافدا من روافدها[5].

وقد وضع ابن سعيد مرسى أرشقون أسبق لمرسى هنين وهذا فيه خطأٌ ولبسٌ، أو ربما لم يراع الترتيب في ذكر هذين الميناءين، رغم أنه ينقل عن الإدريسي[6]، باعتباره لم يزر المغرب الأوسط بل زار تونس فقط في رحلاته، ورغم أن الإدريسي كان على صواب في تحديده لمواقع مينائي أرشقون وهنين.

ومن هنين إلى"فرضة **وهران** المشهورة ثمانون ميلا، وهي آخر فرض هذا الجزء من المدن العدوية ومناؤها مشهور مأمون في الهول"[7]، أي أن ميناء وهران وهو ميناء المرسى الكبير مشهور نظرا لأنه مأمون من المخاطر خاصة الرياح وتحطم المراكب، لأنه واسع وكذلك محمي بجبال تدفع عنه الرياح الغربية، ومن هنا بدأ هذا المرسى يكتسب أهمية كبيرة ملاحيا وتجاريا مما يجعله محط أنظار العديد من الدول الاستعمارية فيما بعد.

---

1) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970، ص126.

2) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص140؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص74**.

نلاحظ إطلاقه مسطلح أرشقون بالنون بدل اللام كما في المصادر التي سبقته والتي أطلقت عليه ارشقول عند ابن حوقل والبكري وصاحب الاستبصار والإدريسي، أو أرجكوك، عند الحموي. أو أرجكون كذلك عند الإدريسي.

3) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص140.

4) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص140؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص74**.

5) محمد جابر الأنصاري: المرجع السابق، ص221.

6) ان نشاط ابن سعيد في محيط الجغرافيا يتصل بالاتجاه الذي يمثله الإدريسي وهو الاتجاه الذي يقسم العالم الى سبعة أقاليم كما فعل بطليموس، و مدرسة الإدريسي تعرف بطابعها المستقل نوعا ما عن المدرسة الكلاسيكية في المشرق وهي التي سماها ميلر المدرسة العربية النورمانية بسبب نشوئها في بلاط روجر الثاني ملك صقلية وإطلالها على آفاق العالمين العربي والأوروبي معا. **كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ج1، ص357؛ ومحمد جابر الأنصاري: المرجع السابق، ص221**.

7) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص140؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص74**.

ثم تلي **تلمسان** المشهورة حيث الطول أربع عشرة درجة وأربعون دقيقة والعرض ثلاث وثلاثون درجة واثنتان وأربعون دقيقة، بينها وبين أرشقول عشرون ميلا، وبينها وبين هنين ثلاثون ميلا، وهي الآن قاعدة بني عبد الواد من زناتة، والأندلسيون يقولون عنها كأنها من مدن الأندلس لمياهها وبساتينها وكثرة صناعاتها(1).

ومنها إلى الرباط عبر مدينة فاس(2)، وتلمسان في هذه الفترة اشتهرت تجاريا خاصة مع الأندلس(3) حيث كانت تحمل منها ثياب الصوف المفضلة على جنسها المصنوع في سائر المغرب وتحمل منها ألجم الخيل والسروج وما يتبع ذلك(4).

وفي شرقي جبال مدغرة جبال يسّر ومنها ينبع نهر يسّر، ويتصل بها من شرقيها جبل وانشريش، ومنه ينبع نهر الشلف الكبير المشهور ويخرج من هذا الجزء ويصب عند مستغانم، وهو مثل النيل(5)،

إن ابن سعيد زاد على الإدريسي في أنه قام بتبيان عروض وأطوال جميع المواضع المأهولة بطريقة دقيقة يمكن معها إلى حد كبير تخطيط مصور جغرافي كامل(7).

ثم من الشلف إلى **مدينة تنس** وهي التابعة للجزء الثاني من بلاد المغرب، مشهورة بكثرة القمح ومنها يحمل في المراكب إلى سواحل الأندلس وغيرها وهي الآن قاعدة مغراوة من زناتة، ولها نهر يأتيها من جنوبها ويصب في البحر بشرقيها وبينها وبين البحر ميلان(8).

وفي شرق تنس **مدينة مستغانم** وهي فرضة من مغراوة وبينهما ستون ميلا، ويصب في شرقها نهر الشلف المتقدم الذكر، وعرض البحر هناك إلى ساحل دانية من الأندلس نحو ثلاثة مجار ونصف(9).

لكن ما يجذب الانتباه أن ابن سعيد حدد موقع مستغانم في شرق تنس، وهو مخطئ في ذلك بل في غرب تنس وكل الجغرافيين الذين سبقوه حددوها في غرب تنس كالبكري والإدريسي وغيرهما، وهذا ما يثير الحيرة باعتبار ابن سعيد مغربي ومن أهل الدار فكيف يرتكب مثل هذا الخطأ؟

وهذا ما دفع المؤرخ المشرقي الأيوبي عماد الدين أبا الفدا يشك في بعض معلومات ابن سعيد في جغرافيته عن بلاد المغرب(1).

---

1) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص140.

2) نفس المصدر والصفحة.

3) البكري: المغرب، ص76 ؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص259**.

4) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص140؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص74**.

5) نفس المصدر والصفحة.

7) محمد جابر الأنصاري: المرجع السابق، ص221.

8) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص76**.

9) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص76**.

وعلى العموم يهمنا وصف ابن سعيد لمستغانم بأنها فرضة من مغراوة أي أنها خلال هذه الفترة كانت تحت السيطرة المغراوية والنفوذ الموحدي[2]، وهي قريبة من نهر الشلف وهو شريان الحياة في المنطقة الغربية للمغرب الأوسط وربما حتى أستخدم في النقل النهري، كما يفيدنا شرح ابن سعيد أن هناك مسلكاً بحرياً بين مستغانم و دانية بالأندلس، رغم عدم ارتقائه لمصاف الطرق البحرية الرئيسية.

وبدأت في أواخر القرن السابع الهجري وبداية القرن الثامن تستقطب التجار الأندلسيين والمغاربة بالإضافة إلى التجار الايطاليين خاصة من كتلانيا و أراغون[3] لتزدهر خلال العهد الزياني.

وفي شرق مدينة مسنغانم **مدينة الجزائر**، وهي فرضة مشهورة من عمل بجاية، وفي شرقيها **تدلس** على خمسين ميلا منها وهي فرضة مشهورة[4]، لكن لم يولِ مدينة الجزائر أي شرح يبرز بداية ظهورها ومساهمتها في الأحداث خلال العهد الزياني، ونفس الشيء عن تدلس فقد ذكرها بصفة عابرة.

إن ابن سعيد لم يقدم شرحاً حول مدينة **تدلس** وان كان لها مرسى أم لا، وحتى الإدريسي[5] الذي سبقه في ذكرها لم يشر إن كان للمدينة نشاط بحري يمكن أن نصنفه في خانة المنظومة البحرية للمنطقة إلى غاية عصر الحميري(ت900هـ/1494م) الذي ذكرها بقوله:"مدينة كبيرة بحرية"[6]، مما يجعلنا نتساءل أين ذهب النشاط البحري للمدينة الذي كان قبل الفتح الإسلامي؟

---

1) محمد جابر الأنصاري: المرجع السابق، ص221-222.

2) أنظر ابن خلدون: العبر، ج7، ص118، 266.

ظهر التاج **الاراغوني** على مسرح السياسة سنة 532هـ/1137م بعد زواج بترونيلا الأراغونية من رامون برنجر الرابع كونت برشلونة ما بين عامي526هـ-558هـ/ 1131-1162 وقد دخل رامون في حروب ضد مسلمي الأندلس واستولى على بعض المدن الهامة مثل طرطوشة سنة 543هـ/1148م ، ولاردة وأفراغة سنة 544هـ/1149 من أيدي المرابطين.**روسر سالكرو إيمي لوتش: التوسع الأراغوني والقطلاني، ترجمة إسحاق عبيد ضمن أعمال ابن خلدون البحر المتوسط في القرن الرابع عشر"قيام وسقوط إمبراطوريات" مكتبة الإسكندرية، مصر، 2007، 153.**

4) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص76.**

5) نزهة المشتاق، ج1، ص259.

6) الروض المعطار، ص132.

9) إسماعيل بن نعمان: مدينة دلس(تدلس)، ص93-94.

وهناك إشارة بسيطة لابن سعيد عن تدلس بأنها"فرضة مشهورة" إلا أنها تمكننا من القول بأن تدلس بدأت تعرف انتعاشة أو إعادة إحياء خلال القرن السادس هجري أي نهاية العهد الحمادي، لتصبح محطة مهمة للسفن التجارية خلال القرن السابع هجري، من خلال وجود سور بها(1).

كما يذكر ابن خلدون تبعيتها للزيانيين، ثم نقلت ملكيتها للحفصيين بعد الاستيلاء عليها ووضع حامية بها سنة خمس وستين وسبعمائة(2).

وفي شرق تدلس قاعدة المغرب الأوسط **بجاية،** ولها نهر في غاية الحسن على شاطئه البساتين والمنتزهات، ويتفرج فيه أصحاب المراكب، يصب في البحر بشرقها، وعرض البحر عند بجاية إلى جهة طرطوشة من الأندلس ثلاث مجاز، وفي شرقها جبال الرحمن تقاسي المراكب في بحرها هولا شديدا(3).

أي أن بجاية كانت في هذه الفترة إحدى العواصم الكبرى للدولة الحفصية وكانت المراكب تصل إليها من كل حدب وصوب والمدينة المقابلة لها هي طرطوشة في الأندلس، ورغم ذلك يثير قضية صعوبة مينائها من جهة جبال الرحمن نتيجة مواجهتها للرياح، وكانت في كثير من الأحيان تتسبب في كوارث من تحطم وغرق للسفن والمراكب.

كما أن ذكره لوادي بجاية"واد الصومام"بأن المراكب أصبحت تجوله فقط للنزهة بعد أن كان في السابق يحوي ميناءً نهرياً كبيراً تدخله السفن محملة على تعبير البكري والإدريسي(4) يخيل إلينا أنه تلاشى ربما بسبب الطمي والأتربة أو نقص مياه الوادي، فحوّله البجائيون إلى منتزه وبساتين للسلطان شرقا وغربا"،الشرقي يدعى بالرفيع و الغربي بالبديع وهما مكان فرجته ومحل نزهته"(5)، لذلك لجأت السلطة الموحدية ثم الحفصية إلى إضافة ميناء آخر ليُعَوّض الميناء النهري.

وفي شرق بجاية **مدينة القل** وهي فرضة في ساحل **قسنطينة الهوى** وبينهما أربعون ميلا وموضع قسنطينة في جنوبيها، ولها نهر يصب في خندقها العظيم الشرقي، يسمع له دوي هائل دائر من أعلى المدينة في قعر الخندق لبعد المسافة، وهذه المدينة على آخر سلطنة بجاية(6)، وهنا كذلك أولى ابن سعيد أهمية كبيرة لقسنطينة باعتبارها عاصمة للشرق خلال الفترة الحفصية مهملا القل واعتبرها مجرد فرضة تابعة لها دون أن يقدّم لنا معلومات عن القل.

---

1) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص259.

2) العبر، ج7، ص154.

3) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص76**.

4) البكري: المغرب، ص82؛ **والإدريسي: نزهة، ج1، ص260**.

القلعة: هي قاعدة ملك بني حماد الصنهاجي وهي قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة وأول من أحدثها هو حماد بن يوسف الملقب بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي سنة 370هوهي قرب أشير من أرض المغرب الأدنى . **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص389–390**.

5) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ج4، ص68.

6). ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142.

وأول سلطنة إفريقيا على البحر **مدينة بونة** لها نهر متوسط يصب في البحر في غربها وفي شرقها **مرسى الخرز** المخصوص بالمرجان وأمامه البحر في هذا الجزء سردانية، الجزيرة المشهورة التي يوجد فيها المرجان، وفي شرقيها مدينة طبرقة[1].

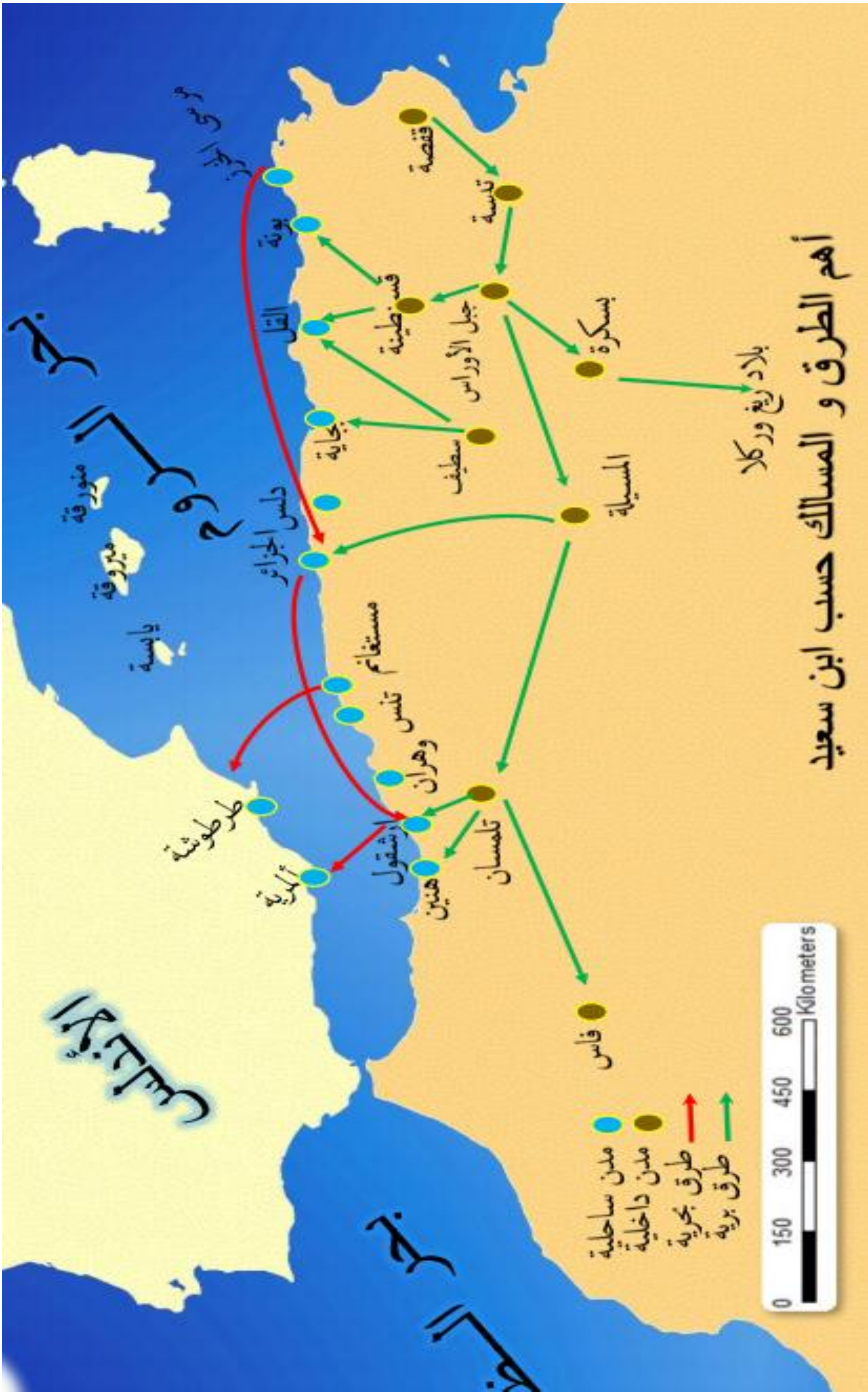
كما لم يركز كذلك على بونة ولا مرسى الخرز وذكرهما باقتضاب منوها بمرجان مرسى الخرز، وعموما أهمل ابن سعيد العديد من المراسي والموانئ المهمة كما لم يشر إلى العديد من المدن الداخلية العتيقة كتيهرت وشلف؛ سوى في سياق الحديث.

وبالرغم من أن ابن سعيد نقل عن الإدريسي ونقل عنه أبو الفدا فإن مصنفاته لدى"مقارنتها بهم تمثل مادة قائمة بذاتها...ولم يستطع أبو الفدا أو المترجمون والناشرون أن يجمعوا كل مادته"[2]. ولذا فإنها مازالت في حاجة إلى بحث خاص وعندئذ يمكن توضيح الجوانب الغامضة توضيحا كافيا[3].

1) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142.

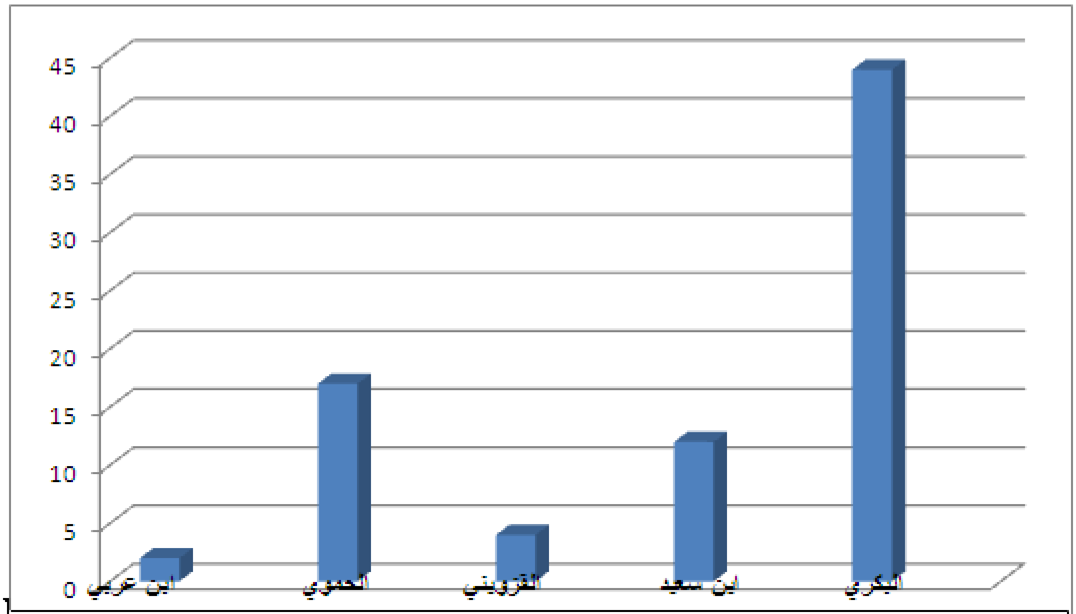
2) كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ج1، ص359.

3) محمد جابر الأنصاري: المرجع السابق، ص222.


أهم الطرق و المسالك حسب ابن سعيد
قفصة
بسكرة
بونة
القل
قسنطينة
جبل الأوراس
بجاية
سطيف
المسيلة
بلاد ريغ وركلا
دلس
الجزائر
مستغانم
تنس
وهران
تلمسان
هنين
فاس
طرطوشة
ميورقة
منورقة
يابسة
مدن ساحلية
مدن داخلية
طرق بحرية
طرق برية
0 150 300 450 600
Kilometers

جدول موانئ المغرب الأوسط من خلال نظرة الرحالة والجغرافيين بين(6-7هـ/12-13م)

الرقم	اسم المرسى أو الميناء	ابن عربي	الحموي	القزويني	ابن سعيد
01	مرسى الخرز		×	×	×
02	بونة	×	×		×
03	سكيكدة		×		
04	مرسى القل				×
05	مرسى الزيتونة		×		
06	جيجل		×		
07	بجاية	×	×	×	×
08	تدلس				×
09	مرسى بني جناد		×		
10	مرسى الدجاج		×		
11	تامدفوس		×		
12	جزائر بني مزغنة		×		×
13	مرسى الداموس		×		
14	شرشال			×	
15	تنس		×	×	×
16	مغيلة بني هاشم		×		
17	مستغانم				×
18	مرسى الفلوس		×		
19	وهران		×		×
20	المرسى الكبير				×
21	أرشقول		×		×
22	هنين		×		×
المجموع		**02**	**17**	**04**	**12**



عدد موانئ المغرب الأوسط من خلال نظرة الرحالة والجغرافيين بين(6–7هـ)

بمجرد التمعن في هذا الرسم البياني، يتضح تراجع عدد المدن والمراسي بعد البكري، رغم ما ذكره الحموي من الموانئ وعددها سبعة عشر إلا أنه قام بإعادة ونقل ما ذكر سابقا في موسوعته ولم يضف شيئا جديدا.

وهذا ما يُصعّب علينا الاطلاع على الموانئ الموجودة حقيقة بسبب نقل الجغرافيين عمن سبقهم بقرون مما يعقد الوضع في استنتاج حالة المدينة أو المرسى الحقيقية ونشاطه وتوسعه وعلاقاته الخارجية، إلا إذا استثنينا ابن سعيد الذي زار بعض المواقع وهو مغربي مما جعل معلوماته مقبولة ومحينة رغم الأخطاء الجغرافية التي وقع فيها كما أسلفنا ذكره.

والرحلات تعتبر أصدق كلاما عن الموانئ كابن عربي باعتباره شاهد عيان رغم أنه لم يول المراسي والموانئ الوصف الكبير إلا أنه أفادنا في تحديد المسالك الحقيقية للرحلة والحج والتجارة.

4) الصيد البحري في المغرب الأوسط من خلال كتب الجغرافيا والرحلات:

تمتع المغرب الأوسط بساحل بحري طويل وبرؤوس خلجانية ورصيف قاري مهم، إضافة إلى امتلاكه للعديد من الموانئ والمراسي الخاصة بالصيد جعل منه منطقة مهمة للصيد البحري.

ورغم قلة منسوب الأسماك في البحر المتوسط مقارنة بالمحيط[1] إلا أن حصة سكان المغرب الأوسط مما يدر هذا البحر كانت معتبرة، كما نَوّع سكانه بين الصيد النهري والبحري، من خلال العديد من الأنهار التي كانت تزخر بالأسماك، إضافة إلى البحيرات التي تربى بها كذلك.

وسادت مياه المغرب الأوسط عدة أنواع من السمك منها التن والشهبوق و جراد البحر وغيرها، وكانت تصطاد بتقنيات وأساليب متعددة منها الصنارة والشباك والحجارة والمسامير وغيرها.

أما عن طريقة طهيها فقد تنوعت وسايرت عادات وتقاليد المناطق البحرية في المغرب الأوسط إضافة إلى تمليح بعضها الزائد عن الحاجة بهدف تخزينها.

وقد تعرضت المصادر الوسيطة إلى نشاط الصيد البحري في المغرب الأوسط موازاة مع نشاط الفلاحة بالمدن الساحلية وقراه، أي أنه لم يكن هناك نشاط بحري محترف متخصص، ولعل مرد ذلك إلى امتهان الصيد البحري في فترة الصيف نظرا لهدوء البحر فقط، وبقية الفصول يلجأ صاحبها للفلاحة، والسبب في ذلك كله راجع إلى بساطة التقنيات البحرية في الصيد والتي لا تسمح لهم بمزاولة الصيد في كل الفصول.

ونظرا لورود إشارات متفرقة إلا أنها هامة تفيد بانتشار الصيد البحري بين سكان المناطق الساحلية للمغرب الأوسط، ارتأينا اختيار دراسة هذا الموضوع الذي مازال بكرا في الدراسات السوسيوتاريخية، مع محاولة الرد على من يقزم من التوجه البحري لسكان المغرب الأوسط شطر البحر.

ورغم ماجمعناه من إشارات وأقوال ونصوص عن الممارسات البحرية إلا أنها كانت تصب كلها في خانة الصيد البحري المعيشي وليس الصيد البحري الاحترافي الموجه للتصدير، ومن هنا كانت إشكاليتنا وهي هل كان الصيد البحري محتشما بسبب افتقارنا للعادات البحرية أم بسبب سيطرة النشاطات البرية الفلاحية على أغلب ممارسات الإنسان في المغرب الأوسط؟ حيث كانت تكفيه ليستغني عن عائدات البحر.

أولا: مناطق الصيد البحري في المغرب الأوسط:

لقد تعددت مناطق الصيد البحري في المغرب الأوسط على طول الشريط الساحلي من الشرق إلى الغرب، ولكن سنقتصر على المناطق المذكورة فعلا في المصادر وتم الاستشهاد بها، حيث انقسم الصيد إلى نهري وبحري.

1) فرنان بروديل: البحر المتوسط، ص36.

●الصيد النهري:

وهو الصيد الذي يتم في مختلف الأنهار الداخلية وحتى البحيرات، وهو ما نجده منتشراً في بعض مناطق المغرب الأوسط إذ يذكر البكري في شأن مدينة بونة، أنه في غربها يوجد"بركة بينها وبين بونة مسيرة يوم طولها ثلاثة أميال في مثلها وبها سمك جليل"[1].

بل يضيف الإدريسي أنه يربى حتى في المناطق الداخلية من خلال بعض البحيرات والأودية، إذ يشير أن في المسيلة سمكا صغيرا عليه طرق حمر حسنة، ومقداره من شبر فدون، وربما صِيد منه الكثير فحمل إلى قلعة بني حماد[2]، وهذا ما يبين أن تربية السمك تتم في البحيرات الداخلية.

هذا إلى جانب ما تزخر به أودية تلمسان من أسماك مثل وادي لوريط، حيث يصف ابن الحاج النميري نظرة أبي عنان إليه والحوت فيه" ونظر إلى الحوت كأنه الأسنة في النثرة الحصداء، فنعم بذلك النهر"[3]، أي أن الخليفة أبا عنان أعجب بالواد وبالسمك الذي يوجد فيه.

ويكشف لنا القزويني أن نهر الشلف كان في كل سنة في زمان الورد ونظنه فصل الربيع يظهر فيه صنف من السمك يسمى الشهبوق، وهو سمك طوله ذراع، ولحمه طيب إلا أنه كثير الشوك ويبقى شهرين، ويكثر صيده في هذا الوقت ويرخص ثمنه ثم ينقطع إلى القابل فلا يوجد في النهر شيء منه إلى السنة المقبلة في شهر الورد[4].

ويذكر مارمول عدة أنهار تمارس فيها الملاحة النهرية والصيد البحري مما يبين التوجه البحري للمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، حيث يذكر نهراً صغيراً في مملكة تلمسان هو **واد التافنة** الذي يخرج من جبال الأطلس قرب نوميديا القديمة، ويصب في البحر المتوسط، على بعد سبعة فراسخ من وهران إلى جهة الغرب، وهو قليل السمك، ويسمى كذلك نهر أرسكول، **وواد الشلف** الكبير الذي ينبع من جبال ونشريس ويصب في البحر قرب مستغانم من جهة الشرق، وصيد السمك طيب جدا في مصبه[5]، **وواد يسر**، ونهر ضخم ينبع من الأطلس الكبير على حدود نوميديا ثم يصب في البحر المتوسط قرب دلس، حيث تصطاد كمية من السمك[6]، وما يهمنا هو وجود الصيد النهري في هذا النهر رغم قلته مما يؤكد وجود نشاط صيد السمك عند سكان بلاد المغرب الأوسط.

---

1) البكري: المغرب، ص58.

2) الإدريسي: المغرب، ص86.

3) فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص487.

4) آثار البلاد، ص148.

5) مارمول: المصدر السابق، ج1، ص38.

6) مارمول: المصدر السابق، ج1، ص39.

●الصيد البحري

يتفوق الصيد البحري على النهري في الكمية والعدد والأنواع، ورغم ذلك إذا قارنّا البحر المتوسط بالمحيطات نلاحظ فقر الأول لأنواع عديدة من الأسماك بسبب كونه من البحار المغلقة والمفتوح عبر مضيق صغير فقط، إضافة إلى ضيق رصيفه القاري الذي تتكاثر به الأسماك(1).

ويخبرنا ابن حوقل أن قرية **مرسى الخرز** بها من الصيادين ما لم يوجد في بلد غيره سواء لصيد السمك أو استخراج المرجان(2)، ويشرح صاحب الاستبصار أنه في فصل الشتاء يتحول مرسى الخرز إلى جزيرة معزولة، وهذا ما يهيأ الجو لتكاثر الثروة السمكية والمرجان(3).

ثم يضرب الحميري صفحا عن **جيجل** وبونة بقوله:"وبجيجل الألبان والسمن والحوت المتناهي الطيب"(4)، وعن **بونة:**"وعلى فحوصها وقراها وهي من أنزه البلاد وأكثرها لبنا ولحما وعسلا وحوتا"(5).

ويقدم لنا الغبريني مثالاً على تواجدها في مياه **بجاية** عن الفقيه أبي زكريا يحي الزواوي(ت611هـ/1214م)، أنه إذا اشتهى اللحم ينزل إلى البحر فيصيد الأسماك على الأحجار وهي لحمه(6).

وينقل Vonderheydenعن Féred من كتاب تاريخ بجاية أسطورة مفادها أن السلطان الحمادي الناصر، مؤسس بجاية، تنازل عن العرش لصالح ولده المنصور ثم اختفى ليلا وذلك لأن الوالي سيدي تواتي أظهر له ذات يوم من خلال ثقب برنوسه أثناء جولة في قارب، مدينة بجاية وهي ممزقة مخربة"تجسيد مسبق لسقوطها القادم" واستمر البحث عنه مدة أربع سنوات، وفي النهاية عثر على قارب صيد صدفة ذات يوم بجزيرة جريبية"جزيرة البنادقة" على زاهد عارٍ تقريبا، نحيل الجسم، هو السلطان نفسه، وكان قد عاش تلك المدة كلها في تلك الجزيرة على السمك، إذ كان كلما غطس يده في البحر تعلقت سمكة بكل إصبع من أصابعه واستمرت إقامته هناك إلى أن توفي(7)، وتفيدنا هذه الأسطورة بأن الصيد البحري كان موجودا في بجاية، وأكل السمك مستساغ، وقوارب الصيد متوفرة.

---

1) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص399-400.

2) صورة الأرض، ص79.

3) مجهول: الاستبصار، ص126.

4) الحميري: المصدر السابق، ص184، **وقد نقل كلامه عن البكري: المغرب، ص82-83.**

5) نقل عن البكري: المغرب، ص55.

6) عنوان الدراية، ص136.

7)Vonderheyden; op.cit, P.25.

أما عن **دلس** فيذكر مارمول أنها تبعد عشرة فراسخ عن مدينة الجزائر، وأن البحر يلقي بساحلها أسماكا كثيرة، فيلتقط السكان منها كفايتهم، ثم يعيدون ما فاض عن حاجتهم إلى البحر إذا لم يتقدم أحد لشرائه[1]،

وبذلك لعبت دلس دورا هاما على مستوى الصيد البحري نظرا لكثرة الثروة السمكية بها حيث تذكر النصوص المصدرية ذلك، ويبدو أن أهالي هذه المدينة امتهنوا الصيد"سكانها ما بين صباغ وصياد"[2]

ومن ذلك وصف الإدريسي لبعض السواحل غير البعيدة عن شرشال وهو **مرسى هور** قائلا:"وبها قوم صيادون للحوت"[3]،

ويخبرنا صاحب كتاب الجغرافيا أن الحوت المسمى ب"التن" يصاد في الموضع المسمى بتاقنتبك في غرب الجزيرة الخضراء...ومادخل منه في حوز مربله أخذ بالشباك وما خرج منه على طرف الفخ إلى ساحل المغرب أخذ في المكان المسمى **بتلمسان** من عمل سبتة"[4].

ثانيا: أنواع الأسماك في سواحل المغرب الأوسط.

لقد مثّلت الثروة السمكية مورد رزق مهم بالنسبة للعديد من الأفراد منذ القدم، لتستمر هذه الأهمية حتى الفترة الوسيطة وما بعدها، ويعود ذلك لتوفر المياه البحرية والنهرية بالمغرب الأوسط لأنواع مختلفة من الأسماك، وهي

1) إفريقيا، ج2، ص372.

2) المصدر نفسه، ج2، ص372.

3) نزهة المشتاق، ج1، ص273.

4) الزهري: المصدر السابق، ص120؛ و**الحميري: المصدر السابق، ص101؛ و نوال بلمداني: الثروات البحرية وطرق صيدها بالغرب الإسلامي من خلال الكتابات الوسيطية، مجلة عصور الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة أحمد بن بلة وهران، العدد المزدوج19-20، أكتوبر 2015، ص94**.

حقائق أكدها لنا العديد من المصادر الجغرافية العربية الوسيطة، إضافة إلى ما أوردته من معلومات عن بعض موانئ المنطقة في مجال النشاط البحري لصيد السمك، وكذا الطرق والأساليب المتبعة في ذلك[1].

ولقد أطلقت المصادر الوسيطة على الأسماك تسمية الحوت، رغم تنوع أسمائها والتي يعرفها فقط الخاصة من الصيادين كسمك موسى والبوري والتن، وجراد البحر، وسمك الشهبوق، وقد عرفت بهم سواحل المغرب الأوسط[2].

ومن بين أهم المنتجات التي يتم تمليحها التن لأنه الصيد الوحيد الغزير في البحر الأبيض المتوسط، وإن كانت مدته قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أو أربعة أسابيع في السنة، وكانت عمليات تمليحه تتم على ظهر المراكب[3].

ورغم أن المصادر لم تشر صراحة إلى صيد التن في المغرب الأوسط إلا أنه كان رائجا خلال الفترة الوسيطة، وكانت مواسم صيده بمثابة النفير العام لفلاحي الساحل، فيه تدق الطبول لانتداب العمال والبحارة[4].

ويذكر القزويني:"وكذلك نهر الشلف فإنه في كل سنة في زمان الورد يظهر فيه صنف من السمك يسمى الشهبوق"[5].

ثالثا: تقنيات الصيد

---

1) نوال بلمداني: الثروة السمكية بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، الجزائر، العدد10، ديسمبر 2015، ص179.

2) بروديل فرناند: المرجع السابق، ص40.

3) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص401.

4) بروديل فرناند: المرجع نفسه، ص40.

5) آثار البلاد، ص148.

ويذكر التادلي في ذكر مناقب محمد بن حسان التاونتي المعروف بابن الميلي" وتاونت هي بلدة صغيرة من عمل تلمسان على الساحل، وقد لحق بالبحر للعمل فيه، وكان يخدم من خدمة البحر"[1]، ونفهم من هذه الرواية أن هناك حرفة خدمة البحر وهي التي نسميها الآن الصيد البحري.

ولا تتوفر لنا نصوص هامة وكثيرة عن كيفية الصيد وطرقه وتقنياته سواء في الأنهار أو البحار، لكنها تتم عموما بالسنارات والشباك"المشدودة أو الملقاة"وقوارب خاصة، ويذكر ابن حوقل بتمركز مراكب خاصة بصيد السمك بسواحل تنس، علما أنها من المناطق المعروفة بصيد المرجان[2].

وقد ذكر القزويني أن البحارة كانوا على دراية بمواسم صيد كل نوع من هذه الأنواع من السمك ويتم صيد الشهبوق مع فصل الربيع بوادي الشلف" ونهر الشلف في كل سنة في زمان الورد يظهر فيه صنف من السمك يسمى الشهبوق...ويبقى شهرين، ويكثر صيدها في هذا الوقت ويرخص ثمنها ثم تنقطع إلى القابل، فلا يوجد في النهر شيء منها إلى السنة القابلة أوان الورد"[3].

وهذا الكلام يبين لنا تمكن السكان من آلية الصيد وممارسته باحترافية من خلال استعمال حتى الشباك، ونظرا لوفرته فهو لا يباع ولا يشترى بل يقدم هدية لمن يريد خاصة من الغرباء عن المدينة، واستعمل السكان في دلس عدة تقنيات منها آلة لصيد الحوت[4] والشباك[5].

ويكشف لنا صاحب كتاب"وصف إفريقيا" أن سكان دلس" تعَوّدوا جميعا اصطياد السمك بالشباك فيحصلون على كمية وافرة منه لا تباع ولا تشترى، وإنما يهدونه لمن يرغب فيه"[6].

كما يذكر الغبريني في حديثه عن الفقيه الزاهد أبي الفاضل قاسم بن محمد القريشي القرطبي(ت662هـ/1263م) وكراماته أنه كان بتدلس إذ يذكر أن أحد الطلبة خرج ليتصيد مع الفقيه الزاهد وركبا البحر وحملا آلة الصيد للحوت، ولم يزالا يتصيدان إلى قريب الظهر فلم يفتح لهما شيء، فذهبا وصليا الفريضة ثم عند عودتهما إلى الساحل دعا لهما الفقيه وقال: الآن يفتح لكم به؛ قال فرأينا على وجه الماء حيتانا قد أخرجت

1) التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2010، ص369.

2) صورة الأرض، ص76.

3) آثار البلاد، ص148.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص162

5) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص42؛ **ومارمول: المصدر السابق، ج2، ص372.**

6) الحسن الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص42.

رؤوسها من الماء كالمصابيح، ثم صارت تترامى علينا في الزورق حتى امتلأ حوتا[1]، وليس ما يهمنا هنا تلك الكرامات المزعومة بقدر ما تهمنا وسائل الصيد من زورق وآلة لم يذكرها ربما تكون الصنارة أو الشبكة.

تشير إحدى فتاوى البرزلي بقوله: سؤل أبو القاسم الغبريني[2] عن جماعة صيادين يأتي أحدهم بشبكة وآخر باثنتين و الآخر بثلاثة وأكثر؛ فالذي له ثلاثة يأخذ سهمين والذي له اثنتان يأخذ سهما ونصف، ومن له شبكة يأخذ سهما، وقوم يعطون شباكهم خاصة لمن يصيد بها النصف، فأجاب: لا يجوز لمن يعطي شباكه على النصف ولا يحل فعل الآخرين ولا يجوز"[3].

ويصف لنا الإدريسي عملية صيد الحوت والتي تتم عبر مراحل هي:تلقى الشباك في البحر وتكون مشدودة إلى سطح الماء بحبلين متقابلين من المراكب الحاملة لها، بحيث تُكون فيما بينهما ممرا ضيقا يقود الأسماك الداخلة في الشبكة إلى كيس كبير يسمونه"غرفة الموت" ثم يقومون بإلقاء رماحهم المشدودة إليهم بواسطة حبال من القنب عليه ويجذبونها إليهم من جديد"وصيدهم يكون زرقا بالرماح وهذه الرماح لها في أسنتها أجنحة بارزة تنشب في الحوت ولا تخرج وفي أطراف عصيها شرائط القنب الطويل ولهم في ذلك دربة وحكمة سبقوا فيها جميع الصيادين لذلك"[4]، وتعلق بعد ذلك إلى محاجن كبيرة لتسحب بواسطة الملفاف"[5].

أما أهل دلس فيخبرنا الحسن الوزان أنهم تعودوا اصطياد السمك بالشباك[6]، وربما استعان الأفراد بتقنية بسيطة تساعدهم على الصيد لقوتهم مثلما كان يفعل الأفراد ببجاية، إذ كانوا ينزلون البحر ويصيدون السمك على الأحجار بأيديهم[7].

---

1) عنوان الدراية، ص162.

2) **هو أحمد بن الغبريني** أبو القاسم التونسي، فقيها، أخذ عن ابن عبد السلام، وتولى الفتوى بتونس أخذ عن جماعة من علماء الجزائر و تونس كالقاضي أبي مهدي عيسى الغبريني ووالده صاحب كتاب عنوان الدراية، توفي بعد سبعين وسبعمائة.ينظر ترجمته. **أحمد بابا التنبكتي :نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ص104** .

3) جامع مسائل الأحكام لمنازل من القضايا بالمفتين والحكام"فتاوى البرزلي"، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 2002، ج3، ص439؛ **والونشريسي: المعيار المعرب، ج8، ص189**.

4) نزهة المشتاق، ج2، ص535.

5) بروديل فرناند: المرجع السابق، ص41-42.

6) الحسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص42.

7) أبو القاسم اللبيدي: مناقب أبي إسحاق الجبنياني، ومناقب محرز بن خلف، تحقيق روجي إدريس، تونس، 1959، ص52؛ **و بلمداني نوال: المرجع السابق، ص190**.

ويستفاد من إحدى النوازل التي أوردها الونشريسي:أن الصيادين الممتلكين للشباك كانوا يعمدون إلى تقديم وسيلة العمل–الشباك–لمن يعمل بها مقابل حصة من الإنتاج قد تصل إلى النصف، كما أشار إلى تكوين الصيادين لما يشبه جمعية لصيد السمك ويوزعون الإنتاج بحسب عدد الشباك التي يساهم بها كل صياد(1).

وعن بقية التقنيات المستعملة في عملية الصيد نجد الصنارة، حيث كان الشيخ الزاهد أبو مروان اليحصبي بمدينة بونة يصيد الحوت باستعمال قصبة صيد وصنارة(2).

وعن الصنارة يشير الغبريني إلى استعمالها من قبل أهل دلس قائلاً:"حدثني أبو عبد الله بن علي بن عبد المعطي بدلس قال: خرجنا مع الشيخ أبي الفضل قاسم بن محمد القريشي الشاطبي نفع الله به وركبنا البحر، وحملنا آلة الصيد للحوت، ولم نزل نتصيد إلى قريب الظهر"(3)، ولم يوضح صاحب النص نوع الآلة ولا كيفية استخدامها.

كما يذكر الشيخ أبو زكريا يحي ابن أبي علي الزواوي(ت611هـ/1214م) نوعا ووسيلة أخرى إذا اشتهى أكل اللحم ينزل البحر فيصيد السمك على الأحجار(4).

ومن جانب آخر تفيدنا بعض النصوص المصدرية بطرق بسيطة استخدمها بسطاء الأفراد من المجتمع، باستعمالهم للخيط والمسامير؛ فالشيخ أبو مدين يحكي قائلا:"سرت حتى وصلت البحر ووجدت خيمة فيها ناس فخرج إليّ شيخ فسألني عن أمري فأخبرته، فجلست عنده فإذا جُعتُ رمى بخيط في طرفه مسمار فأخذ حوتا ويطعمه لي مشويا(5)، كما أن أبا مدين شعيب مارس حرفة الصيد كأجير للصيادين(6).

أما عن المرجان فقد ذكرنا سابقا كيف يستخرج خاصة من منطقة مرسى الخرز إذ حكى من شاهد كيفية استخراجه أنهم يتخذون خشبتين طول كل واحدة ذراع، ويجعلونها صليبا ويشدون فيه حجرا ثقيلا، ويصلونه بحبل ويركب صاحبه في قارب، ويتوسط البحر نحو نصف فرسخ ليصل إلى منبت المرجان، ثم يرسل الصليب الى البحر حتى ينتهي الى قرار البحر، ويمر بالقارب يمينا وشمالا ومستديرا ليتعلق المرجان في ذوائب الصليب، ثم يقلعه بالقوة ويرقيه فيخرج جسم أغبر اللون، فيحك قشره فيخرج أحمر اللون حسنا(7).

---

1) المعيار، ج8، ص189.

2) ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحقير، نشر وتصحيح، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي، مطبعة أكدال، الرباط،1965، ص95.

3) نفسه، ص162.

4) الغبريني: المصدر السابق، ص136.

5) ابن قنفذ: المصدر السابق، ص12.

6) التادلي: المصدر السابق، ص320.

7) القزويني: المصدر السابق، ص261.

إذ يبين ذلك الإدريسي بأنه يصاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة تصنع من القنب تدار هذه الآلة في أعلى المراكب فتلتف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان إلى أنفسهم ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالأموال الطائلة[1].

وينطلق موسم صيده بجمع عدد من الرجال من ذوي الخبرة امتهنوه وليس لهم حرفة إلا إخراج المرجان من قعر البحر[2]، على متن قرابة الخمسين قاربا شراعيا[3]، متوسط الحجم يتسع لحوالي عشرين رجلا[4]، وتبتعد هذه القوارب عن المرسى قرابة نصف فرسخ حيث الحدود المرجانية ومنبت المرجان[5].

وعند العودة للمرسى يلقى المرجان ليجف ويتصلب لأنه رطب فإن مسه الهواء تصلب واشتد[6]، عند ذلك يُصنع بالحك الذي يساهم في تغيير لونه، ثم يعرض في الأسواق للبيع.

أي أن عملية استخراج وبيع المرجان لم تخضع في البداية لـلإدارة المركزية في مرسى الخرز لتتفطن الدولة الفاطمية في أواخرها لأهميته وتعيّن مشرفين خاصين بالعملية، لترجع عملية الاستغلال إلى الأهالي بعد ذلك، لتعود خلال الفترة الحفصية إلى التصرف الخاص للسلاطين الذين قدموا امتيازات صيده للكتالونيين ثم الجنويين ابتداء من القرن الخامس عشر[7].

---

1) نزهة المشتاق، ج1، ص290-291.

2) مجهول: الاستبصار، ص126.

3) Robert. Mantran ; Op. Cit, p. 167.

4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص76-77؛ و **الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص291**.

5) الحموي:المصدر السابق، ج5، ص106.

6) مجهول: الاستبصار، ص126؛ **وابن سعيد: الجغرافيا، ص143**.

7) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص61-62؛ **وروبار برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص238**.

رابعا: السمك والتغذية.

ورغم ذلك لم يمنع السكان المحليون من ممارسة النشاطات البحرية المختلفة، الموجهة في الغالب للحياة المعيشية فقط دون التصدير"حيث كان أهل تدلس يجمعون الأسماك بالشباك فيحصلون على صيد وافر لا يباع ولا يشترى وإنما يهدونه لمن يرغب فيه"(1).

فتذكر المصادر بأن الصيد البحري كان نشيطا في كافة السواحل، ويوفر تغذية وافرة ورخيصة للسكان، لاسيما منهم أهل بنزرت وتونس(2)، ولا شك أن الأمر كان كذلك في بجاية وبونة وجيجل، وغيرها من المدن الساحلية، إذ يشيد الإدريسي دائما بنوعية وحجم السمك في جيجل(3).

كما يذكر صاحب الجامع لمفردات الأدوية، أن سواحل ومياه بحر المغرب الأوسط تشتهر بصيد جراد البحر إذ يعد من الأكلات المهمة، واصفا لطرق طهيه وإعداده(4)، كما أثبتت عمليات الغطس التي أجريت على مستوى الجرف الشرقي لرأس تيزيرن بشرشال(5)، والتي كشفت عن وجود أحواض تربية أسماك مستطيلة الشكل مغمورة بواسطة مياه البحر على مقربة منها عدد من الأحواض التي يعتقد أنها مخصصة للتمليح ورغم الاعتقاد بأنها تعود إلى الفترة القديمة الرومانية إلا أن الأكيد استمرارها خلال الفترة الإسلامية، حيث وجدت عدة مواقع بها حفريات لأسماك مملحة قريبة من السباخ مثل وهران وأرزيو

---

1) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص42.

2) الإدريسي: المغرب، ص114-115.

3) نفسه، ص98.

4) ابن البيطار: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1962، ج1، ص221.

جراد البحر هو حيوان بحري له رأس مربع، وهو صدف خزفي وله على الجانبين عشرة أيد طوال شبيهة بالعناكب إلا أنها كبيرة جدا ولها قرنان دقيقان قائمان وعينان بارزتان متدليتان من رأسها وهذا الجراد حار ويابس يؤكل مشويا ومطبوخا ومن أراد طبخها يسلقها في الماء الحار ولحمها ينفع من مرض الجذام ويفتت الحصى التي في الكلية والمثانة. **ابن البيطار: المصدر نفسه، ص221**.

5) كشفت حفريات منجزة سنة 1960 على مستوى جزيرة Joinvill بشرشال عن وجود منارة قديمة لتوجيه السفن كما قام الغطاسان الانجليزيان D.P.Davidson و R.A.York سنة 1967. باكتشاف أحواض تربية السمك بشرشال. **الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص118**.

ومن خلال الاطلاع على مختلف المصادر الجغرافية يتضح أن الصيد البحري كان نشيطا في كافة سواحل الغرب الإسلامي، وكان يؤمن الغذاء للسكان[1].

وقد وردت إشارات متفرقة وغير مفصلة عن تنظيم الأسواق في بجاية، فهذا سوق الحواتين بباب البحر يضم ثلاثمائة عامل[2].

وتجدر الإشارة إلى أن عملية بيع السمك لم تكن لتتم دون أن تثير العديد من المشاكل بين البائع والمشتري إذا ما تم الإخلال بأعراف البيع والشراء، فمن خلال وقوفنا عند إشارة أوردها صاحب المعيار، نسجل أن بعض باعة السمك كانوا يعمدون إلى خلط الأسماك الكبيرة والصغيرة فيضعون الأسماك الكبيرة في الأعلى والصغيرة في الأسفل، حيث تدخل الفقيه وأفتى أن"ما كان قريبا من بعضه البعض لم يرد...وما كان بائنا فإن ذلك عيبا يُرد به"[3].

1) بلمداني نوال: المرجع السابق، ص181.

2) محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، جامعة تونس الأولى، 1990، ج1، ص458.

3) المعيار، ج6، ص176.

5) محمد بن عميرة: الصيد البحري، ص378.

خاتمة الفصل الثاني:

✓بعد زوال الدولة الفاطمية وقيام دولة بني حماد تحول الصراع في بلاد المغرب الأوسط إلى صراع على إنتاج الثروة والتحكم في منابعها فَأُفرِغ من محتواه المذهبي وتحول الى صراع سياسي اقتصادي؛ مما جعل المدن الساحلية والموانئ عرضة لهذا الصراع الذي كان في فتراته مدمرا فساهم في تخريب المدن والمراسي، واختفاء البعض منها أو إعادة بنائها وترميمها من خلال تحصينها بأسوار دفاعية.

✓تَبين لنا من هذه الدراسة أن للبكري قصب السبق في حديثه عن الكثير من المراسي والموانئ التي اختفت أو اندثرت، فاعتبر بذلك أول جغرافي أندلسي يتناول بالحديث هذه الناحية التي كانت فيما بعد منارا اقتدى به عدد من الجغرافيين الذين جاءوا بعده كان أبرزهم الإدريسي، ورغم جهود الحموي إلا أنه كان جمّاعة فقط في موسوعته لما ذكر سابقا؛ دون أن ننسى إضافة ابن سعيد المغربي باعتباره رحالة وجغرافيا وكذا شاهد عيان.

✓انتشرت الموانئ والمراسي على طول ساحل البحر المتوسط كالدر المنثور نابضة بالحياة طول اليوم وعلى مدار العام، وكانت المراكب التي عرفتها العصور الوسطى صغيرة الحجم ومن ثم كان غاطسها صغيرا نسبيا مما يمكنها من الرسو في أية بقعة ضحلة على الساحل، وهكذا لم يكن من الضروري أن ترسو المراكب على كل مرسى أو ميناء بل ترسو حينما تحتاج إلى التزود بالمؤن أو التجارة أو إنزال المسافرين .

✓سجل بعض الرحالة والجغرافيين وصفا مهما لحالة المغرب الأوسط وسواحله بقدوم الأعراب وتسببهم في الفترات الأولى في قطع أهم المسالك التقليدية التجارية مما جعلها تتحول نحو الساحل بظهور قطب جديد تتزعمه العاصمة البحرية الجديدة وهي بجاية؛ ليقع تحول في سياسة المغرب الأوسط التي يغلب عليها الطابع البري ليحدث العكس من خلال التوجه نحو البحر والإقدام عليه، رغم بداية بروز خطر المدن الإيطالية.

✓من هنا نستنتج أن الصيد البحري كان يشكل مورداً اقتصادياً لسكان سواحل المغرب الأوسط، حيث كانت مهنة الصيد من المهن الشعبية المنتشرة يمارسها العامة بما فيهم حتى الفقراء والمتصوفة والزهاد وتشكل مصدر رزق لهم، ولم يقف الأمر عند استغلال الأسماك بل تعداه إلى استخراج ثروات أخرى أهمها المرجان.

✓انتشر الصيد البحري في أغلب المناطق والمدن الساحلية للمغرب الأوسط بل فيها من برع واحترف هذه المهنة كسكان تدلس.

✓لقد تعددت تقنيات الصيد في موانئ ومرافئ المغرب الأوسط من صنارة وشباك إلى مسامير وخيط، بل برعوا في صيد المرجان وكانوا فيه محترفين.

✓كما أن التقنيات المستعملة في الصيد تختلف باختلاف المنطقة ومدى عراقة التقاليد البحرية بها، وحسب النشاط الموجه إليه، حيث نجد الصيد المعيشي يستخدم فيه الصنارة عكس الصيد التجاري يستخدم فيه الشباك.

✓تنوعت أطباق سكان المغرب الأوسط وكان السمك ضمن ما تحتويه مائدتهم كما تنوعت طرق الاحتفاظ به لتخزينه وتجفيفه.

الفصل الثالث

الواجهة البحرية للمغرب الأوسط وانعكاسها على الطرق التجارية، من خلال كتب الجغرافيا ورحلات المتأخرين خلال القرون(8-10 هـ/14-16م)

1)سواحل المغرب الأوسط حسب نظرة جغرافيي القرن(8-10هـ/14-16م)

2)حركية ملاحة المغرب الأوسط من خلال كتب الرحلات

3) الحضور البحري وأهم المسالك في المغرب الأوسط من خلال كتب المناقب والتراجم والأدب

الفصل الثالث: الواجهة البحرية للمغرب الأوسط وانعكاسها على الطرق التجارية، من خلال كتب الجغرافيا ورحلات المتأخرين خلال القرون(8-10 هـ/14-16م)

لقد حل بالمسلمين عهد الضعف والفتور، وبدأ يشهد البحر المتوسط مع نهاية القرن العاشر الميلادي وحلول القرن الحادي عشر تزايدا ملحوظا في النفوذ المسيحي على حساب الحضور الإسلامي(1).

وشهدت المناطق الداخلية من بلاد المغرب مع القرن الحادي عشر الميلادي سيطرة قبائل بني هلال مما دفع بالعديد من القبائل والسكان بالتوجه نحو الساحل والعمل على الارتزاق منه، فانعكس إيجابا عليهم وعلى مدن ساحل المغرب الأوسط، على غرار ما حدث مع بني حماد من خلال نقلهم العاصمة من الداخل"القلعة"إلى الساحل"بجاية الناصرية"(2)، وأصبحت بجاية مدينة هامة لمن يريد الدخول إلى الجهة الغربية من إفريقية، ولعبت دورا استراتيجيا بفضل موقعها الساحلي(3).

لكن الاضطرابات الأمنية والسياسية التي عرفتها الدولة الزيانية، حالت دون الاستمرار في النشاط التجاري البحري، خاصة الصراع مع المرينيين أو الحفصيين(4)، مما أدى إلى هجرة الأراضي، وتقلص النشاط الصناعي، ودفع بسلاطين بني عبد الواد إلى إقامة علاقات تجارية مع أوروبا، عن طريق الموانئ التي عرفت بها(5)، فوفرت الدولة الزيانية الأمن والماء وشجعت الحركة التجارية(6).

من هنا نتساءل عن تطور النشاط البحري على ساحل المغرب الأوسط حسب نظرة جغرافيي القرن(8-10هـ/14-16م)إلى أي مدى سجلت لنا كتب الرحلات حركية ملاحة المغرب الأوسط؟

كيف كان الحضور البحري للمغرب الأوسط من خلال كتب المناقب والتراجم والأدب؟

1) سواحل المغرب الأوسط حسب نظرة جغرافيي القرن(8-10هـ/14-16م):

---

1) إبراهيم سعيود: الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، 2009-2010، ص99.

2)Allaoua Amara ; La mer et les milieux mystiques d’après la production hagiographique du Maghreb occidental (XIIE-XVE siècle),R. REMMM 130, 2012, p.34.

3) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص76.

4) خاصة عند حصار تلمسان الذي نتج عنه انتشار الآفات الاجتماعية وانتشار قطاع الطرق.**عبد الحميد حاجيات وآخرون**: **الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3، ص336**.

5) عبدلي لخضر: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص68-82.

6) نميش سميرة: دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، من القرنين7-10/13-16م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014، ص59.

شكلت بلاد المغرب الأوسط بما كانت تتمتع به من موقع وسط بين أهم المناطق والمسالك سواء البرية والتي كانت تربط بين المناطق الجنوبية بالشمال، أو البحرية، همزة وصل بين سواحل المغرب وبلاد الأندلس وأوروبا والمشرق، ومن هنا اكتست المدن الساحلية أهمية كبيرة في توفير أهم الأسواق والمراسي لاستمرارية هذه التجارة[1].

وللجغرافية الوصفية دور بارز في تكملة معلوماتنا في الفترة الأخيرة من العصر الوسيط وبداية الفترة الحديثة، من خلال العديد من الكتب التي جمعت ما قدمه الجغرافيون الأوائل والمتأخرون في كتب شاملة، ومنها كتاب أبي الفدا وابن فضل الله العمري والحميري والحسن الوزان، والتي تصور لنا الشبكة البحرية المغربية وأنشطة التجار في هذه الموانئ وأهم المدن الساحلية وعلاقاتها مع الضفة الشمالية خلال الفترة الممتدة من القرنين الثامن إلى العاشر الهجريين/ الرابع عشر إلى السادس عشر الميلاديين[2].

لقد جاء بعد الجغرافيين المتميزين كالبكري والإدريسي وابن سعيد، جغرافي آخر لايقل تميزا عنهم وهو صاحب حماة **أبو الفدا(ت732هـ/1322م)**[3]، الذي مزج بين الرحلة والجغرافية، حيث زار أغلب مدن وبلدان بلاد الشام ومصر سنة718هـ/1319م، وأما بلاد المغرب فلم يزرها بل سمع عنها من قِبل الرحالة والتجار.

ولأبي الفدا عدة تصانيف منها المختصر في أخبار البشر، واللطائف السنية في التواريخ الإسلامية، والكناش، والعروض والأطوال، وتقويم البلدان، وغيرها، وما يهمنا في دراستنا لسواحل ومدن البحر الخاصة بالمغرب الأوسط هو كتابه تقويم البلدان.

لقد سطع نجم أبي الفدا في أوروبا كجغرافي لامع بسبب كتابه تقويم البلدان، ونظرا لقيمة هذا الكتاب قام بطبعه وتحقيقه باحثان فرنسيان بالمطبعة الحكومية عام1840م، وقد أشادا بأعمال أبي الفدا ول ديورانت وصنفه مع العلماء الكبار الذين قدّموا للبشرية أعمالا علمية قيّمة، فقال عنه"وألّف مجموعة من الكتب تعتبر قمة مثيلاتها

---

1) الطاهر طويل: المرجع السابق، ص315.

2) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية، ص124-125.

3) هو إسماعيل بن علي بن محمود بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شاذي، وكني بعدة كنى أشهرها أبو الفدا، وعماد الدين؛ كما ذكر المقريزي أنه تلقب بالملك الصالح والمؤيد بعد أن حصل على مملكة حماة من المماليك بالتقليد السلطاني لخدماته التي قدمها للمماليك، وقد ولد بدمشق سنة 672هـ/1273م، وقد درس الرياضيات والهندسة وعلم الهيئة ومنظومة كتاب إقليدس. **أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، علق عيه ووضع حواشيه، محمد ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997، ج1، ص3**؛ **ومحمود بن شاكر الكتبي: فوات الوفيات، والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1973، ج1، ص183**.

في تلك الأيام، وفاق بحثه في الجغرافيا –تقويم البلدان– في اتساع مداه عن أي مؤلف أوروبي من نوعه في عصره"[1].

ورغم أهميته بالنسبة لأوروبا والمشرق إلا أنه لم يقدم الجديد بالنسبة لبلاد المغرب، باعتباره يعيد ما كتبه من سبقه، ولم يقدم لنا نظرة معاصرة لتطور المدن الساحلية وشبكة الطرق والمسالك، حيث تحدث عن الشريط الساحلي للمغرب الأوسط وجعله ممتداً من"حدود تلمسان، ثم يأخذ مشرقا بميلة إلى الشمال حتى يصير عند الجزائر فرضة بجاية حيث الطول عشرون والعرض ثلاث وثلاثون، ثم يمر حتى يتجاوز مملكة بجاية إلى أول حدود إفريقية"[2].

ثم ينتقل أبو الفدا إلى ذكر حدود بلاد المغرب من جهة الشرق بأنها ديار مصر، ومن جهة الشمال بحر الروم ومن الغرب البحر المحيط، ومن الجنوب المفاوز الفاصلة بين بلاد السودان وبلاد المغرب ويفصل أبو الفدا في أقسام المغرب معتبرا القطعة الثانية منه تسمى المغرب الأوسط، وهي من شرقي وهران وتلمسان إلى آخر حدود مملكة بجاية من الشرق[3].

أما فيما يخص المدن فلم يقدم لنا أبو الفدا إضافة كبيرة حيث نقلها عمن سبقه كالإدريسي وابن حوقل وابن سعيد، فهو لم يكن رحالة بالمعنى المعروف، إلا أن له أسفارا وتنقلات في بلاد الشام وبلاد العرب والجزء الشرقي من آسيا الصغرى ومصر وأرض الجزيرة العليا، أما خلاف ذلك فهو مجرد ناقل،كان يستقي مادته من كتب كثيرة فضلا عن سماعه لقصص التجار والرحالة.

ويذكر أبو الفدا أن بين فاس و**تلمسان** مسيرة عشرة أيام في غربها[4]، وتلمسان مدينة مشهورة مسورة في سفح جبل، ولها ثلاثة عشر بابا وماؤها مجلوب من عين على ستة أميال منها وفي خارجها أنهار وأشجار، وهي قاعدة مملكة ولها حصون كثيرة وفرض عديدة أشهرها هنين ووهران[5]، وتلمسان قاعدة ملوك بني عبد الواد من زناتة[6]، أي أن هناك طريقاً ومسلكاً برياً يربط بين تلمسان وفاس، وكثرة عدد أبواب تلمسان يبين مكانتها الاجتماعية والاقتصادية، كما أن تلمسان تملك مرسى مهماً جدًا هو مرسى هنين.

1) ما ورد عند أبي الفدا بأن ثلاثة أرباع الكرة الأرضية مغمور في الماء هو قريب مما ورد عند الجغرافيين المعاصرين، ومن هنا يتبين أهمية معلومات أبي الفدا الجغرافية من حيث السبق والصحة.**قصة الحضارة، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2001، ص76**.

2) أبو الفدا: المصدر السابق، ص27.

3) نفسه، ص122.

4) نفسه، ص123، ص137.

5) نفسه، ص137.

6) أبو الفدا: المصدر السابق، ص137.

ورغم أن أبا الفدا انتهى من كتابه تقويم البلدان سنة721هـ/1321م، إلا أنه ظل يضيف له حتى لحظة وفاته[1]، سواء من الكتب التي يقتنيها أو من الحجاج والتجار الذين يصادفهم خاصة بالنسبة للأماكن البعيدة عنه كبلاد المغرب.

ومن تلمسان ينتقل إلى **مدينة وهران**"وهي مدينة في بلاد البربر من المغرب على ضفة البحر وهي عن تلمسان على مسيرة يوم، وذكر من رآها أن عندها فرضة تلمسان وهي شرقها بشمال قليل"[2]، وهنا يُقّر أبو الفدا أنه سمع عمن رآها، وأن وهران مدينة كبيرة على البحر، كما أن هناك طريقاً ومسلكاً يربط بينها وبين تلمسان.

ومن مدن بر العدوة **مدينة مستغانم** وهي فرضة لمغراوة ومستغانم قريبة إلى الأندلس حيث يقابلها مدينة دانية[3]، وهذا فقط ما ذكره عن مستغانم، حيث يمتاز أسلوب أبي الفدا بالسلاسة والميل إلى الاختصار في إيراد المعلومات دون الخوض في التفاصيل مع استعمال لغة عربية واضحة المفردات والمعاني والدلالات، كيف لا وهو أيضا أديب وشاعر[4]، حيث يبين لنا أن مستغانم قريبة إلى الأندلس مما جعلها قِبلة للأندلسيين من التجار والرحالة والعكس أي كانت كذلك منطقة انتقال نحو بر عدوة الأندلس.

ورغم أن هذا الوصف مهم، إلا أنه لا يبرز تطور مدينة مستغانم أو ازدهار مينائها، ربما بسبب وقوعها في منطقة صراعات خاصة بين الزيانيين والمرينيين، حيث تخلد إحدى نقيشات على الرخام لمسجد المدينة الذي بناه السلطان المريني أبو الحسن سنة742هـ/1341م[5].

وتذكر بعض المراجع أنه في سنة731هـ/1330م بلغت قيمة المبادلات التجارية بين السلطات الكتالونية ومستغانم حوالي ثلاثة آلاف دينار ذهبي من الواردات و580دينار ذهبي من الصادرات، حيث كانت مستغانم تصدّر جلود الحيوانات والشمع النباتي وتستورد الصناعات الحديدية والأقمشة[6].

ومدينة تاهرت[1] مدينتان قديمة وحديثة، وهي مدينة جليلة، وكانت قديما تسمى عراق المغرب، وتاهرت الأولى على جبل متوسط وبها منبر، وكذلك المحدثة بها منبر وهي أعظم من القديمة، ولأهلها مياه تخترق دورهم،

1) محمد نزار الدباغ: إقليم الجزيرة والموصل من خلال كتاب تقويم البلدان لأبي الفدا، دراسة نصية، مجلة إضاءات موصلية، العدد 51، شوال 1422هـ/2011م، ص9.

2) أبو الفدا: المصدر نفسه، ص122.

3) نفسه، ص126.

4) محمد نزار الدباغ: المرجع نفسه، ص11.

5) بلجوزي بوعبد الله:المرجع السابق، ص459.

6)Belhamissi M; Histoire de Mostaganem, des orogines à l’occupation Française, S.N.E.D. Alger, 1976, P.51-52.

ونقلا عن ابن سعيد ذكر أبو الفدا بأن لتيهرت مملكة الرستميين صيتاً عظيماً وبها كان كُرسَ ملك الخوارج[2]، ومن تاهرت إلى تلمسان أربع مراحل[3]، وهنا نفتقر لرؤية أبي الفدا الخاصة عن تيهرت هل فعلا بقيت مدينتان، والمدينة الثانية بقيت إلى القرن الثامن مدينة عظيمة أم أن دورها تلاشى لأن أبا الفدا ينقل عمن سبقه، ولكن ما يهمنا هو المسلك الذي ذكره أبو الفدا الرابط بين تلمسان وتيهرت وهو مسلك بري.

ونقل عن ابن حوقل أن كورة تيهرت من إفريقية وهي غرب سطيف وقد كانت قاعدة المغرب الأوسط، وكان بها مقام بني رستم ملوك المغرب الأوسط، حتى انقضت دولتهم بدولة الخلفاء الفاطميين[4].

ثم تحدث أبو الفدا عن مدينة **جزائر بني مزغنان**[5]، ونقل عن الإدريسي بأنها مدينة على ضفة البحر وشرب أهلها من عيون على البحر ومن آبار وهي عامرة آهلة وتجارتها مربحة وأسواقها عامرة ولها بادية كبيرة[6]، وهي فرضة مشهورة من عمل بجاية[7]، ويعتبر أبو الفدا أول من يطلق لقب بني مزغنان على الجزائر، فهل هو تغير فعلي لاسمها؛ أم مجرد خطأ أو تحوير في النطق من قبل أبي الفدا، وعلى العموم هو يذكر بأنها مدينة كبيرة مطلة على البحر وهي من مناطق بجاية الحفصية.

وميزة أبو الفدا أنه ركز على ذكر المسافات بين المدن مع تقديم وصف اقتصادي مهم للمدن التي يذكرها سواء عن الزراعة أو الصناعة أو التجارة، بل حتى يتعدى لوصف الحالة الدينية والمذهبية والاجتماعية[8].

ومن مدن بلاد المغرب الأوسط: **مدينة أشير**، وهو حصن بالمغرب من عمل بجاية[9]، ولم يتوسع في شرحها واكتفى بذلك، وكل ما نفهمه من قوله هو الحدود الواسعة للدولة الحفصية وإحدى ممالكها وهي بجاية، كما أن وجود الحصن يدل على أنها كانت ثغراً مهماً للدولة.

---

1) في خط ابن سعيد عوض الألف ياء مثناة من تحت، أي تيهرت، ويرى أبو الفدا أنه هو الأصح باعتباره مغربي، رغم أن أبا الفدا كتبها تاهرت بدل من تيهرت.

2) أبو الفدا: المصدر السابق، ص124.

3) نفسه، ص137.

4) نفسه، ص139.

5) ذكرها البكري جزائر بني مزغنى، والاصطخري وابن حوقل والإدريسي جزائر بني مزغنا، ، وذكرها ابن خرداذبة والزهري وصاحب الاستبصار جزائر بني مزغنة، والمقدسي جزائر بني مزغناي و ابن سعيد الجزائر، أما أبو الفدا بني مزغنان. **راجع الفصل الأول والثاني من الرسالة.**

6) أبو الفدا: المصدر نفسه، ص125.

7) نفسه، ص126، ص137.

8) محمد نزار الدباغ: المرجع السابق، ص16.

9) أبو الفدا: المصدر السابق، ص124.

إن نقل صاحب تقويم البلدان لكلام الجغرافيين الذين سبقوه دون تعليق أو ذكر لتطور تلك المدينة والحالة التي أصبحت عليه في عهده صَعَّب علينا تتبع حالة المدن والمراسي في عهده لأنه يذكر مثلا مدينة طبنة مدينة عظيمة نقلا عن ابن حوقل والبكري والإدريسي وابن سعيد، مما يجعلنا نتساءل هل حقا بقيت مدينة طبنة مدينة عظيمة خلال القرن السابع والثامن الهجريين؟

ثم يتحدث عن **بجاية** واعتبرها قاعدة المغرب الأوسط[1]، لكنه لم يولها شرحاً بقدر أهميتها باعتبارها قاعدة المغرب الأوسط وعاصمة ثانية للدولة الحفصية، كما قال عن **مدينة بونة** نقلا عن الإدريسي"وبونة مدينة وسطى ليست بالكبيرة ولا بالصغيرة وهي على نحر البحر، بأنها مدينة جليلة عامرة على البحر خصبة الزروع وبظاهرها معادن الحديد، والمرجان، وهو مختلف عن مرجان مرسى الخرز وبين بونة ومدينة باجة نهر صغير"[2]، وذِكره للحديد في بونة يبين توفر المادة الأولية لصناعة السفن وهي الحديد إلى جانب توفر الأخشاب.

وفيما يخص المصطلحات المستخدمة في علم الجغرافيا البحرية في عصره؛ فقد قدم لنا شرحا مبسطا عنها وبيان حدودها، وتلك خطوة منهجية وعلمية تضاف إلى خطواته العلمية السابقة الذكر فعندما يتكلم عن البحار يشير إلى مصطلحاته كالخور والمجرى، فيقول:"وقد صورنا ذلك وكتبنا الأسماء التي أصطلح عليها أهل الصناعة فالخور كل خليج يمتد من البحر إلى بعض النواحي، والمجرى ما يقطعه المركب في يوم وليلة في الريح الطيب...ويعرف البحيرة والبطيحة واحد وهي المياه المجتمعة في القدر دون البحر"[3].

أما أهم المراسي والموانئ الخاصة بالمغرب الأوسط والتي ذكرها أبو الفدا في كتابه هذا تقويم البلدان نبدؤها من الغرب إلى الشرق **بمرسى هنين** يقابل ألمرية من الأندلس[4]، وهذا يبين العلاقات الوطيدة بين العدوتين الجنوبية والشمالية، كما يبين استمرار نشاط ميناء هنين، بل ازدهاره أكثر في الفترة الزيانية التي يكتب عنها أبو الفدا.

ويؤكد ابن خلدون أن ميناء هنين[5] كان مزدهرا خلال القرن الثامن الهجري وأصبح مكاناً رئيسياً للسفر عن طريق البحر بالنسبة للدولة الزيانية، إذ حاول ابن خلدون الاستئذان من أبي حمو المسير إلى الأندلس، من مرسى

---

1) نفسه، ص137.

2) نفسه، ص141.

3) أبو الفدا: المصدر السابق، ص9، 37؛ و **محمد نزار الدباغ: المرجع السابق، ص6**.

4) أبو الفدا: المصدر نفسه، ص137.

5) ذكرها ابن خلدون بعدة أسامي منها هَنين. **العبر، ج1، ص76، وج6، ص166**؛ وباسم هني .**العبر، ج7، ص121**؛ وهُنين. **العبر، ج7، ص156، 339، 398**.

أما أبو راس الناصر فيذكرها باسمين آخرين هما أهناي وأحناي.**عجائب الأسفار، ج1، ص103**.

هنين، غير أنه تعذر عليه ركوب البحر، مما جعل عبد العزيز المريني يرسل في طلبه[1]، كما كان ميناء هنين يستخدم للحج، حيث يذكر لنا ابن خلدون أنه "استأذن السلطان في الحج وركب إليه من هنين بعض السفن اشتراها بماله وشحنها بالعديد والعدة والأقوات والمقاتلة وأقام كاتبه الحاج محمد بن حواتة بباب السلطان على رسم النيابة عنه. وأقلع سنة أربع وعشرين فنزل بالإسكندرية"[2].

ولم نجد إشارات مهمة عن ميناء هنين قبل الفترة الموحدية، التي أمر فيها عبد المؤمن بإنشاء الأساطيل للغزو، منها مدينة وهران وهنين[4]، وقيل أن هنين أمدته بخمسين سفينة وأصبحت هنين مدينة عامرة ومتطورة إذ نجد بها صناعة السفن خاصة وأن عبد المؤمن بن علي من هذا القطر[6]، وبقيت هنين ميناء معروفا ونشِطا إلى غاية انقراض الدولة الإسلامية بالأندلس وبدأ الإسبان غاراتهم على سواحل بلاد المغرب الأوسط[7].

ثم **مرسى أرسقول**[8] وهي فرضة تلمسان على عشرين ميلا عن تلمسان وهي ببر العدوة؛ ويقابلها مدينة ألمرية من الأندلس، وعرض البحر بينهما درجتان[9]، وهو يبين أنه ميناء هام تابع لتلمسان، رفقة ميناء هنين، مما يبين زيادة النشاط التجاري الساحلي لتلمسان خلال القرن الثامن الهجري، أي عهد الدولة الزيانية، ما يبرز قربه الجغرافي من ألمرية الأندلسية وأكيد أنه يضم جالية منها.

1) ابن خلدون: رحلته، ص90-91، 187؛ و**الأخضر عبدلي**: **المرجع السابق، ص263**.
2) العبر، ج7، ص152.

4) الناصري السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص128.

6) محمد بن حمو: التحصينات العسكرية لمدينة هنين، ضمن أعمال الملتقى الدولي النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني، يومي26 و 27 نوفمبر 2014، مجلة دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 2، العدد05، ج2، عدد خاص، ص52.
7) محمد بن حمو: المرجع نفسه، ص54.
8) شهد هذا الميناء عدة أسامي من جغرافي لأخر فقد ذكره ابن حوقل ب أرشكول، وعند البكري، وصاحب الاستبصار، والإدريسي، وابن سعيد بأرشقول، بينما أطلق عليه ياقوت الحموي بأرجكوك، وأطلق عليه أبو الفدا أرسقول. **راجع الفصل الأول والثاني**.
9) أبو الفدا: المصدر السابق، ص123.

ومن **تلمسان** إلى وهران على البحر مرحلة[1]، وإضافة إلى الميناءين السابقين تستفيد تلمسان من نهر "يستدير بها وتدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر"[2]، أي أن النقل النهري لعب دوره خلال الفترة الزيانية رغم أنه يشير إلى السفن اللطيفة أي الصغيرة.

وميناء وهران وهو ميناء حصين"لوهران مياه سائحة وهي على ثمانين ميلا من تلمسان"[3]، ونقل أبو الفدا عن الإدريسي[4] ومدينة وهران على قرب من ضفة البحر وعليها سور تراب متقن وهي تقابل ألمرية من جزيرة الأندلس، وهي على ستة أميال من أغمات[5]، وهنا يحدد المسافة والطريق بين وهران ومدينة أغمات المغربية.

ومن وهران إلى **مرسى مستغانم**، يصب في شرقه نهر الشلف، ومستغانم تقابل دانية من الأندلس، وعرض البحر بينهما نحو ثلاثة مجار ونصف[6]، أي أن هناك طريقا ساحليا يبدأ من تلمسان مرورا إلى وهران وصولا إلى مستغانم[7]، وأكيد أن هذا الطريق كانت تستخدمه السفن المسحلة الناقلة للتجار والحجاج، والمسافرين إلى مدينة دانية وألمرية في الأندلس.

ولتاهرت مرسى مهم جدا يعد من أعمالها وهو **مرسى فروخ**[8]، ورغم البعد الجغرافي بين تاهرت وهذا المرسى إلا أن كل السلع الداخلة إليها أو الخارجة منها تتم عن طريقه، ولكن هذا الكلام وجدناه عند اليعقوبي والبكري والإدريسي، فهل استمر ميناء فروخ كميناء نشيط لتيهرت، أم أن أبا الفدا نقل كلام القرن الثالث والرابع وكتبه في القرن الثامن الهجري.

ثم ينتقل أبو الفدا إلى ميناء مهم جدا، ذكر عند أغلب الجغرافيين السابقين وهو مرسى **جزائر بني مزغنان**[9]، الذي امتاز بالتجارة وكثرة السلع، ومنه إلى **مرسى الدجاج** ثمانية وثلاثون ميلا ومرسى الدجاج مدينة كبيرة القطر لها حصن دائر بها وبشرها قليل، وربما فر عنها أكثر أهلها في زمن الصيف خوفا من قصد الأساطيل

1) أبو الفدا: المصدر السابق، ص129.

2) نفسه، ص137.

3) نفس المصدر والصفحة.

4) نزهة المشتاق، ج1، ص271.

5) أبو الفدا: المصدر السابق، ص122.

6) نفسه، ص126.

7) وقد ذكر هذا الكلام كل عن **البكري**: **المغرب، ص69**؛ والبكري: **المسالك، ج2، ص251**؛ **والادريسي**: **نزهة المشتاق، ج1، ص272**.

8) أبو الفدا: المصدر نفسه، ص124.

9) نفسه، ص125.

إليها ومرساها مأمون[1]، وهذا الكلام يبين لنا استمرار القرصنة بل والإغارات البحرية من قبل الأساطيل الأوربية على سواحل المغرب الأوسط.

ثم يلي مرسى الدجاج **مرسى ومدينة بجاية** التي لها على شاطئها البساتين وأنهار في شرقيها ويقابل بجاية من الأندلس طرطوشة[2] وعرض البحر بينهما ثلاثة مجار[3]، ورغم بعد بجاية عن مدينة طرطوشة إلا أن حركية التنقل البحري بينهما كانت نشيطة، سواء تجاريا أو حتى ثقافيا من خلال هجرة العديد من العلماء نحو الطرفين.

ومن بين مدن وسواحل مملكة بجاية **مدينة بونة**، وهي على آخر سلطانها ولها نهر متوسط يصب في البحر من جهة الغرب، وهي عامرة على البحر[4]، ومما نستنتجه استمرار بونة في مسيرتها الحضارية كمدينة مهمة ساحليا سواء بإنتاجها البحري من أسماك وتجارة أو من خلال المرجان الذي يستخرج منها، بل هناك خط بحري نشيط بين بجاية وبونة، وما يثير الانتباه هو الغياب الكلي لمرسى ومدينة جيجل عند أبي الفدا، وهل ضعف دور هذا المرسى حتى الاختفاء؟ أم أنه نسيه ولم يذكره؟ رغم أنه ينقل من مصادر سبقته كالإدريسي وابن سعيد اللذين ذكراه بالتفصيل.

وفي آخر حد مملكة بجاية وشرقي قسنطينة **مرسى الخرز** المخصوص بالمرجان[5] وأمام هذا المرسى جزيرة سردانية[6]، ومنه إلى باجة على البحر، ومرسى الخرز مدينة صغيرة عليها سور حصين[7]، ومرسى الخرز من بين الموانئ التي استمرت مسيرتها البحرية دون تقطع منذ القرن الأول والثاني الهجريين إلى القرن الثامن الهجري.

---

1) أبو الفدا: المصدر السابق، ص126.

2) نقل هذا الكلام عن **ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142؛ وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص76**.

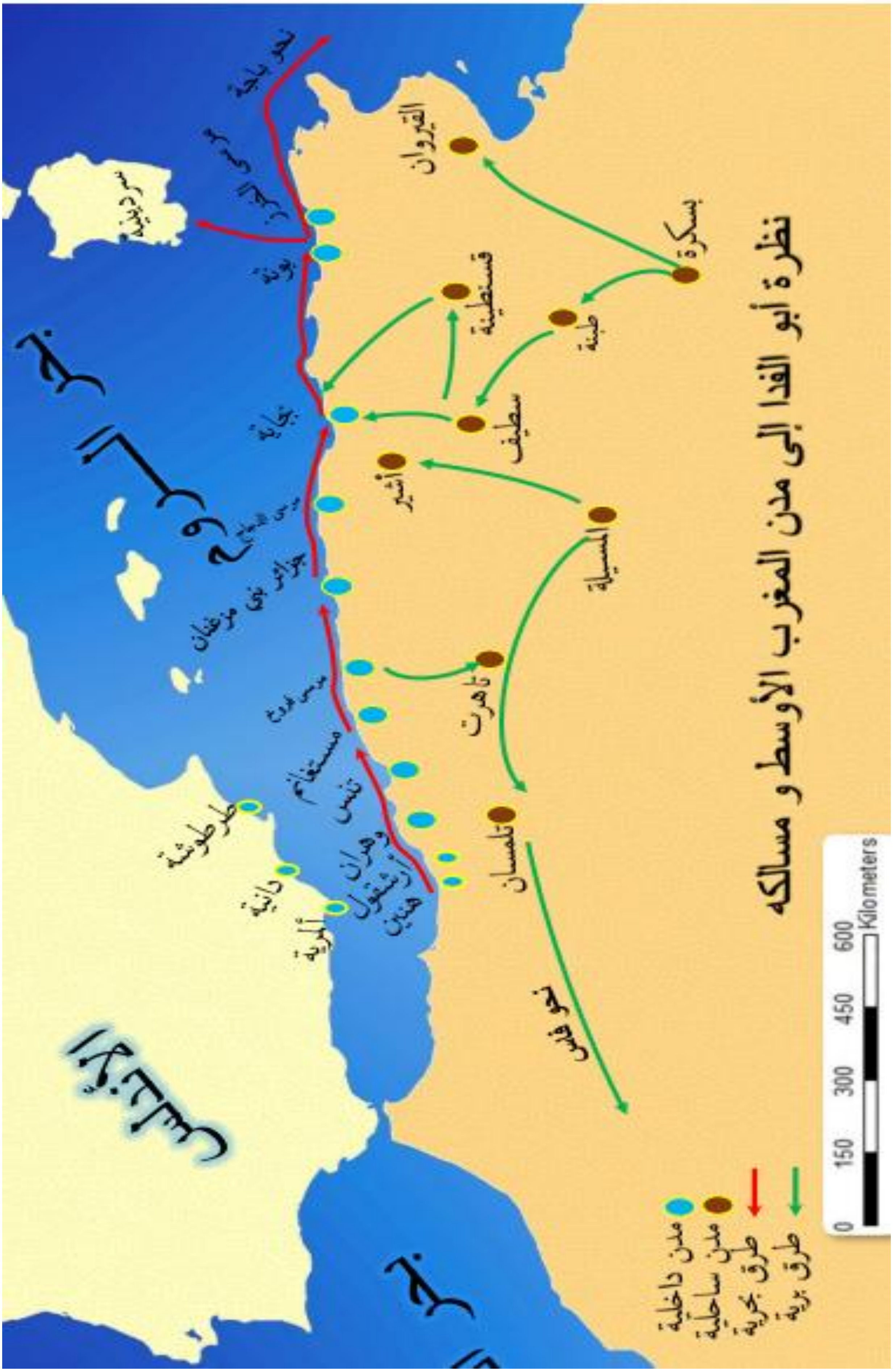
3) أبو الفدا :المصدر نفسه، ص137.

4) نفسه، ص141.

5) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142.

6) أبو الفدا :المصدر نفسه، ص137.

7) نفسه، ص141.


نظرة أبو الفدا إلى مدن المغرب الأوسط و مسالكه
مدن داخلية
مدن ساحلية
طرق بحرية
طرق برية
0 150 300 450 600 Kilometers
القيروان
بسكرة
قسنطينة
طبنة
سطيف
أشير
المسيلة
تاهرت
تلمسان
نحو فاس
بونة
بجاية
جزائر بني مزغنان
مستغانم
تنس
وهران
أرشقول
هنين
طرطوشة
دانية
المرية
سردينية
نحو باجة

أما **ابن فضل الله العمري(ت749هـ/1349م)**[1] في كتابه مسالك الأبصار[2]، يسمي لأول مرة البحر الأبيض المتوسط بحر الشام بدل بحر الروم، ويبدأه بأول مدينة على المحيط وهي آسفي[3]، ثم تلي عدة مدن ومراس وموانئ ساحلية، وما يهمنا هنا هي موانئ المغرب الأوسط.

وموسوعة مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، موسوعة كبرى في التأريخ والجغرافيا والأدب والفلك، كتبها ابن فضل الله في النصف الأول من القرن الثامن الهجري، وهي من أهم ما أنتجه عصر سلاطين المماليك في مصر، ووصفها الصفدي بأنها"كتاب حافل ما يعلم أن لأحد مثله"[4]، وهي في أكثر من سبعة وعشرين جزءا، تناول الأرض والسكان[5].

وقد اعتمد صاحب مسالك الأبصار على مشاهداته الخاصة في مصر وبلاد الشام، أو على رواة ثقات ممن شهدوا الأحداث التي يكتب عنها في بلاد المغرب أو على مصادر مفقودة احتفظ لنا بفكرة عنها وعن مادتها من خلال موسوعته ولعل أبرزها كتاب المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي"الأقسام الخاصة بأفريقية"[6]، أو من خلال عمله في ديوان الإنشاء في مصر وإطلاعه على الكثير من المراسلات الرسمية بين حكام مصر وبلاد المغرب.

---

1) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محي الدين أبي زكريا يحي بن أبي المعالي فضل الله بن أبي الفضل المجلي بن جمال الدين دعجان بن خلف بن أبي الفضل نصر بن منصور بن عبيد الله بن عدي بن محمد بن أبي بكر عبد الله بن عبيد الله بن أبي بكر بن عبيد الله الصالح بن أبي سلمة عبد الله"وقيل أسلمة" ابن عبد الله بن أبي عبيد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب القريشي العدوي العمري-أي ينتهي نسبه إلى عمر بن الخطاب- هكذا ساق نسبه هو في مقدمة كتابه **مسالك الأبصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ج1، ص119**.

وهو من أسرة تولت رئاسة ديوان الإنشاء بمصر والشام مدة قرن من الزمان تقريبا، وقد ولد بدمشق في سنة700هـ/1300م، سمع بالقاهرة ودمشق من جماعة من العلماء كالمزي وابن الفركاح وابن تيمية وابن الصائغ وتقلد جملة من الوظائف الهامة ، وكانت وفاته يوم السبت يوم عرفة سنة749هـ اثر ما يعرف بالوباء الأسود .**الصفدي:أعيان العصر وأعوان النصر، علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1998، ج1، ص417-434**.

2) اتفقت معظم المصادر على اسم مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، باستثناء السخاوي الذي ذكره باسم مسالك الأبصار في الأقطار والأمصار. **الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ تحقيق فرانز روزنتال ترجمة صالح أحمد العلي، مطبعة العاني بغداد، د ط،1963، ص290**، وذكره ابن الغزي باسم المسالك في التاريخ.**ديوان الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990 م ، ج3، ص442**.

3) الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 2000، ج8، ص164.

4) عن آسفي أنظر تقويم البلدان ص 130.

5) في حين يشير كراتشوفسكي بأن الكتاب يتألف من اثنين وثلاثين جزءا. **تاريخ الأدب الجغرافي، ج1، ص411**.

6) مقدمة المحققين محمد عبد القادر خريسات، وعصام مصطفى هزايمة، ويوسف أحمد بني ياسين، لكتاب **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لابن فضل الله العمري، ج4، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ص2**.

وبخصوص المدن المطلة على البحر الشامي[1]، يذكر سبتة ثم يدخل إلى مدن المغرب الأوسط فيذكر مدينة **ومرسى هنين**[2]، ولم يُفصل فيها ولو كلمة، كما لم يذكر بعض المدن الساحلية المهمة هنا كوهران و مستغانم، وتنس[3] بل مرّ مباشرة إلى مدينة **الجزائر** المعروفة **ببني مزغنا**[4].

ربما بسبب عدم زيارته للمنطقة وقلة معلوماته التي أخذها عن الحجاج والرحالة المارّين على مصر وبلاد الشام، وقد بين منهجه والهدف من موسوعته هو إثبات حال كل مملكة وما هي عليه، وأهلها في وقتنا هذا–وقت ابن فضل الله– مما ضمه نطاق هذه المملكة واجتمع عليه طرفا تلك الدائرة، الأقرب إلى الأفهام البعيدة غالب ما هي عليه أُمُ كل مملكة، وما يوجد فيها غالبا: ليبصر أهل كل قطر القطر الآخر، كأنه قدام عيونهم بالمشاهدة والعيان مما اعتمدت في ذلك على تحقيق معرفتي له، فيما رأيته بالمشاهدة، وفيما لم أره بالنقل ممن يعرف أحوال المملكة المنقول عنه أخبارها، مما رآه بعينه أو سمعه من الثقات بأذنه[5]، ويذكر لنا القلقشندي(ت821هـ/1418م) كلاماً نقله عن ابن فضل الله لم نجده في موسوعته عن مدينة جزائر بني مزغنانة"هي فرضة مشهورة هناك، وهي بلدة حسنة على ساحل البحر تقابل ميورقة من بلاد الأندلس بانحراف يسير وبعدها عن بجاية ستة أيام"[6]، وهو كلام مهم يبين لنا بداية بروز مدينة الجزائر خلال القرن التاسع هجري، ووجود خط بحري رابط بين الجزائر وميورقة من بلاد الأندلس.

ثم ينتقل ابن فضل الله العمري من جزائر بني مزغنا دون شرح لها أو تقديم ولو لمحة بسيطة عنها ذاكرا **ميناء تدلس**، الذي ذكره، قبله الإدريسي[7] وابن سعيد فقط[8]، مهملا ذكر مرسى الدجاج الذي يغيب لأول مرة عن كتب الجغرافيين خلال القرن الثامن الهجري، ليصل إلى **ميناء بجاية**[9]، وربما بسبب تركيزه على الممالك الكبرى

---

1) لقد سماه البحر الشامي، رغم أن السيطرة البحرية انفلتت من أيدي المسلمين والأصح البحر الرومي وهو ما دونه بعد الحميري **القلقشندي في صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، بالبحر الرومي.**المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م ، ج5، ص109.**

2) وقد تكلمنا عن هنين عند الإدريسي، **نزهة المشتاق، ج2، ص534، وياقوت الحموي: معجم البلدان، ج5، ص419.**

3) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق مهدي نجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ج2، ص181.

4) تحدث عنها الاصطخري: مسالك الممالك، ص38؛ **والإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص259؛ و مجهول: الاستبصار، ص132.**

5) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج1، ص67.

6) صبح الأعشى، ج5، ص109-110.

7) نزهة المشتاق، ج1، 259.

8) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص76.**

9) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج2، ص182.

كتلمسان وبجاية[1] فقط وهذا من خلال قوله"ولم أقصد في المعمورة سوى الممالك العظيمة"[2]، كما نستنتج أن تدلس بدأت تكتسب أهمية كبرى خلال العهد الحفصي، باعتبارها ستصبح إحدى مقاطعاتها الحدودية والمتاخمة للدولة الزيانية.

وبجاية هي المدينة الأولى التي فصّل فيها، حيث قال عنها:"هي في جون"خليج"من البحر وعليها نهران كبيران، والسفينة تدخل الجون إلى داخل المدينة وترسي إلى الحجر المنقوب داخل الميناء، وهي صفة شق جبل نقب فيه مجاز للمراكب تدخل منه إلى الميناء"[3]، أي أن ميناء بجاية هيئ لرسو السفن من خلال النقب في الحجارة، لإنشاء مجاز وطريق للمراكب والسفن، وهذا طبعا منذ العهد الثاني لبني حماد، ثم طوره الموحدون ليصبح على ما هو عليه في العهد الحفصي.

كما اعتبر بجاية مدينة قديمة مسورة أضيف إلى جانبها ربض أدير عليه سور ضام لنطاق المدينة فصارا به كالشيء الواحد، والربض في وطأة، والمدينة القديمة المتصلة به في سفح جبل، يدخل إليها جون من البحر الشامي يعبر بالمركب إليها، وبجاية هي ثانية تونس في الرتبة والحال، وجميع المعاملات والموجودات والأحوال ولبجاية حصانة عظيمة ومنعة، ولها رفق كثير بمدخل السفن إليها من البحر[4]، أي أن بجاية كان لها خليج هادئ لرسو السفن وكذلك نهر تعبر من خلاله السفن نحو الداخل، لترسو بها أو لتحط السلع، كما يبين المكانة التي بلغتها بجاية من حيث الازدهار حيث تعتبر الثانية بعد العاصمة المركزية تونس.

وينقل عنه القلقشندي فقرة مهمة"وهي مدينة قديمة مسورة أضيف إلى جانبها ربض...والمدينة القديمة في سفح جبل يدخل إليها خور من البحر الرومي تدخل منه المراكب إليها...وهي مقابلة طرطوشة من الأندلس"[5]، وهي إشارة مهمة إلى ميناء بجاية الداخلي داخل الجون"الخور" والذي تدخله السفن ربما عن طريق نهر بجاية"الصومام حاليا"، كما لبجاية خط بحري مختصر ومباشر مع طرطوشة بالأندلس.

ثم ينتقل العمري من مدينة بجاية إلى مجموعة من المدن الساحلية والموانئ دفعة واحدة ذكرها على التسلسل من الغرب إلى الشرق، دون أن يفصل في واحدة وهي مدينة **جيجل**[6] ثم **القل**، ثم **بونة ومرسى الخرز**، وهو بلاد

---

1) أصبحت بجاية عاصمة للحماديين منذ سنة 483هـ/1090م، إلى أن استولى عليها عبد المؤمن الموحدي سنة546هـ/1152م فأصبحت عاصمة للإقليم ثم تبعت للدولة الحفصية بعد قيامها سنة 629هـ/1198م وجعلها الحفصيون عاصمة لولاية مستقلة تشمل الجزء الأكبر من إقليم قسنطينة.

2) ابن فضل الله العمري: المصدر نفسه، ج1، ص68.

3) نفسه، ج2، ص182.

4) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، ج4، ص68.

5) صبح الأعشى، ج5، ص109.

6) في الأصل ذكرها جنجل وصححها المحقق نقلا منه عن **الإدريسي**: **نزهة المشتاق، ج1، ص68**؛ **ومجهول**: **الاستبصار، ص128**.

العناب[1] ومنه يقطع العناب ويخرج أخضر، فإذا شم الهواء إحمر[2]، ونلاحظ مروره على جيجل مر الكرام وكذلك القل لأنهما أصبحتا مدينتين ساحليتين تابعتين لبجاية الحفصية، وكل ما فصل فيه هو مرسى الخرز الذي اعتبره بلاد وموطن العناب، وهو يقصد به المرجان، حيث أعطى لنا وصفا يبين به ذلك" فلونه أخضر إذا لمسه الهواء إحمر".

وربما سبب عدم تفصيل ابن فضل الله في مدن ساحل المغرب الأوسط لعدم أهميتها بالنسبة لدولة المماليك، إذ تعد موسوعة المسالك واحدة من أهم المصنفات لكتاب الإنشاء في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون[3]، وكان الهدف منها تقديم معلومات متكاملة لكتاب الدواوين في عصره، أو للتقليل من شأن مدن المغرب لأن ابن فضل الله بنى خطة كتابه على أساس المفاضلة بين المشرق والمغرب، كرد منه على ما اعتبره محاولات من الكتاب المغاربة والأندلسيين لتفضيل المغرب على المشرق، وخص منهم بالذكر ابن سعيد المغربي[4].

ورجع ابن فضل الله العمري مرة أخرى إلى مملكة إفريقية، التي قاعدتها تونس وتضم كذلك **مملكة بجاية ومملكة تدلس** المجاورة **لجزائر بني مزغنة**[5]، وملوكها الآن من بني أبي حفص، حيث يكون طولها خمسة وثلاثين يوما، وعرضها عشرين يوما وطولها من تدلس إلى برقة، حيث تعتبر تدلس آخر مدنها مما يلي المغرب الأوسط[6].

كما ذكر أهم مدن إفريقية الكبيرة، جهة الغرب، بنزرت، **وبلد العناب–وهي بونة**[7]**–والقل وجيجل وبجاية وتازروت**[8]، **وأزفون**[9]، **وتدلس**[10]، ولم يقدم شرحا إضافيا عن القل ولا بونة ولا عن الموانئ الأخرى التي

---

1) في بداية القرن السابع هجري ظهر اسم العناب ويطلق على إقليم بأكمله يشمل بونة ومرسى الخرز، وسمي بذلك نسبة إلى شجر العناب وهو النخيل الطويل العالي في السماء.**البلوي: تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، مقدمة وتحقيق الحسن السائح، مطبعة فضالة، المغرب، د ت، ج1، ص123**؛ وكان يستغل أغصانه وأخشابه للتسقيف. **الحميري: المصدر السابق، ص115**.

2) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج2، ص182؛ **والقلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص110**.

3) هو الملك الصالح علاء الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون الصالح بن الناصر بن المنصور، توفي سنة ست وأربعين وسبعمائة. **ابن حجر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبطه وصححه عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت، 1997 م، ج1، ص221–222**.

4) مقدمة تحقيق محمد عبد القادر خريسات، ج4، ص01.

5) ونجد هنا المحقق كامل سليمان الجبوري كتبها بالتاء المربوطة مزغنة، عكس محقق الجزء الثاني مهدي النجم الذي كتبها بالألف مزغنا.

6) ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، ج4، ص63.

7) غير أن المتمعن لكلام ابن فضل الله العمري في الجزء الثاني يفهم من بلاد العناب بأنها مرسى الخرز.

8) قرية تازروت الواقعة عل بعد حوالي 7كلم بإقليم بلدية القصور شرق بومرداس، وهي في منتصف الطريق الرابط بين المسيلة وبجاية، أما هل تنطبق هذه القرية على المدينة التي ذكرها ابن فضل الله فهذا ما يحتاج إلى تنقيب عن الآثار.

9) يبدو أنه نقلها عن نزهة المشتاق للإدريسي لأنه الوحيد الذي ذكرها قبل ابن فضل الله. **الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص249–275**؛ وهي الآن دائرة تابعة لولاية تيزي وزو.

10) ابن فضل الله العمري: المصدر نفسه، ج4، ص65.

نجدها تُذكر لأول مرة ممثلة في تازروت، وهذا يعني أن ابن فضل الله جاء بالجديد عن بعض الموانئ التي ظهرت وعن المراسي الأخرى التي اختفت أو تلاشى دورها.

وقد اقتبس القلقشندي عن ابن فضل الله وعن ابن سعيد في صبح الأعشى عن **بونة** بقوله"وهي المسماة الآن ببلد العناب وهي مدينة على ساحل البحر...بظاهرها معادن الحديد، وحدث بها عن قريب مغاص مرجان ولكن ليس كمرجان مرسى الخرز"[1].

ومن المدن الداخلية التي ذكرها ولها علاقة بالمدن الموانئ وهي **مدينة قسنطينة**، التي قال عنها:"وهي بلد كبير، متحضرة في غاية الحصانة والمنعة"[2]، لها طريق ومسلك يصلها بقاعدة الملك الثانية للحفصيين وهي بجاية.

ورغم أن ابن فضل الله لم يقدم لنا صورة واضحة عن المسالك التي تربط بين المدن الساحلية فيما بينها وبين المدن الداخلية ومساهمتها في ازدهار التجارة والنقل، إلا أنه يمكن استنتاج ذلك من خلال شرحه المقتضب، إذ يتضح أن مملكة بجاية الحفصية بها مسلكان وثلاثة طرق رئيسية أولها: الطريق البحري المنطلق من افريقية مارا بمرسى الخرز وصولا إلى بجاية إلى حدود جزائر بني مزغنا، والطريق الثاني يربط بين قسنطينة وبجاية باعتبار قسنطينة من أكبر المدن الداخلية والرابطة بين الداخل والساحل، والطريق الثالث الرابط بين قسنطينة ومدن المملكة الحفصية، كالقيروان وتونس وغيرها، دون أن ننسى الطرق الفرعية الأخرى التي كانت موجودة قبل التواجد الحفصي في المغرب الأوسط واستمرت خلاله.

أما في شرحه لمملكة بر العدوة"أي الجهة الغربية لبلاد المغرب التي تضم جزءاً من المغرب الأوسط والمغرب الأقصى"**اعتبر تلمسان** إحدى ممالكها، حيث استقل بها السلطان المريني وضمها إلى ملكه فصارت قاعدة ثالثة له بعد فاس وسبتة[3].

وأشار أن السلطان المريني عند فتحه لمدينة تلمسان وقتل ملكها أبي تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو العبد الوادي، ضم عدة مدن غرب المغرب الأوسط"جنوب البحر الشامي"متمثلة في تلمسان **وندرومة**[4]، **وهنين وتيمزغران**[5] **وبرشك**[1] **وشرشال وتونت ومستغانم وتنس والجزائر، والقصبات ومازونة**[2] **وتاحجمت**[3]،

1) صبح الأعشى، ج5، ص106.

2) ابن فضل الله العمري: المصدر نفسه، ج4، ص66.

3) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج4، ص93.

4) ذكرها البكري: المغرب، ص80، 81، 82، 83؛ **والإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص534؛ وصاحب الاستبصار، ص126-135.**

5) **تيمزغران: أو تامزغران** عند البكري، مدينة بالمغرب الأوسط بالقرب من مصب نهر الشلف في البحر المتوسط، بينهما و بين مستغانم ثلاثة أميال. **البكري: المصدر السابق، ص69.**

ومليانة والمدية...أي إلى آخر عمالة جزائر بني مزغانة مع طول البحر وما يليه في الجنوب إلى الصحراء الكبرى"[4].

وهذه الفترة تسمى فترة احتلال المريني لبلاد المغرب الأوسط وإسقاط الدولة الزيانية في طوره الأول، قبل أن يتم استرجاعها، وقد وصف لنا ابن فضل الله العديد من المدن التي ذكرت لأول مرة في كتب الجغرافيا، كمدينة تونت، وتاحجمت، والقصبات.

وعن تلمسان يقول إنها منحرفة إلى الجنوب الشرقي من فاس ولها ثلاثة أسوار، ومن جهة القصبة ستة أسوار بعضها داخل بعض[5]، وهي في سفح الجبل وبها آثار الأول وماؤها مجلوب من عيون على ستة أميال ولها أسواق ضخمة ومساجد جامعة...ويصب نهرها في بركة عظيمة من آثار الأول ويسمع لوقعه خرير على مسافة ثم يصب في نهر آخر بعدما يمر على البساتين، وتدخل فيه السفن اللطاف حيث يصب في البحر[6]، وهذه الإشارة لم ترد في الجزء الرابع المحقق من قِبل كامل سليمان الجبوري، بل في الجزء الرابع المحقق من محمد عبد القادر خريسات، وما يهمنا هنا هو وجود النقل النهري بواسطة السفن اللطاف الصغيرة، كما يدل أن تلمسان كان لها ميناء نهري تدخله المراكب الصغيرة نظرا لكون مينائها يمتلأ بالطمي مما يجعل منسوب الماء قليلا وبالتالي عدم حمل السفن الكبيرة.

ودائما في الجزء المحقق من قبل خريسات"ولتلمسان فرض عديدة أشهرها فرضة **هنين** وهي قبالة ألمرية، ووهران وتلمسان على ما بلغ حد التواتر في غاية المنعة والحصانة مع أنها في وطأة ولكنها محصنة بالبناء، ولقد أقام أبو يعقوب يوسف عم هذا السلطان أبي الحسن نحو عشر سنين، وبنى عليها مدينة سماها تلمسان الجديدة[7].

ويضيف القلقشندي نقلا عن العمري"وهنين تقابل ألمرية من الأندلس ووهران في شرقي تلمسان بشمال قليل، على مسيرة يوم من تلمسان، ومستغانم تقابل دانية من الأندلس، وعرض البحر بينهما ثلاث مجار ونصف

---

1) أول من ذكرها كان ابن حوقل في صورة الأرض، ص76-79،77؛ **ثم الزهري: المصدر السابق، ص107، 128؛ والإدريسي:نزهة المشتاق، ج1، ص271-275، ج2،ص535-536.**

2) أول من ذكرها هو الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص272؛ وهي الآن مدينة جزائرية تقع في غرب البلاد تابعة إداريا لولاية غليزان في أقصى شمال شرق الولاية.

3) لم أجد لها تحديد أو شرح فيعتبر ابن فضل الله أول من ذكرها ويبدو أنها مدينة داخلية قريبة إلى الساحل على نفس الخط مع والقصبات ومازونة وتاحجمت، ومليانة والمدية.

4) ابن فضل الله العمري: المصدر نفسه، ج4، ص93؛ **والقلقشندي: المصدر السابق، ج5، ص151.**

5) ابن فضل الله العمري: المصدر السابق، ج4، ص104.

6) ابن فضل الله العمري: تحقيق محمد عبد القادر، ج4، ص125؛ **و القلقشندي: المرجع السابق، ج5، ص149.**

7) ابن فضل الله العمري: تحقيق محمد عبد القادر خريسات، ج4، ص125.

مجرى"[1]، مما يعكس لنا الشبكة البحرية المنتشرة في غرب المغرب الأوسط والتي تربط مدنه بمدن الأندلس، سواء للتجارة أو النقل للحج والسفر.

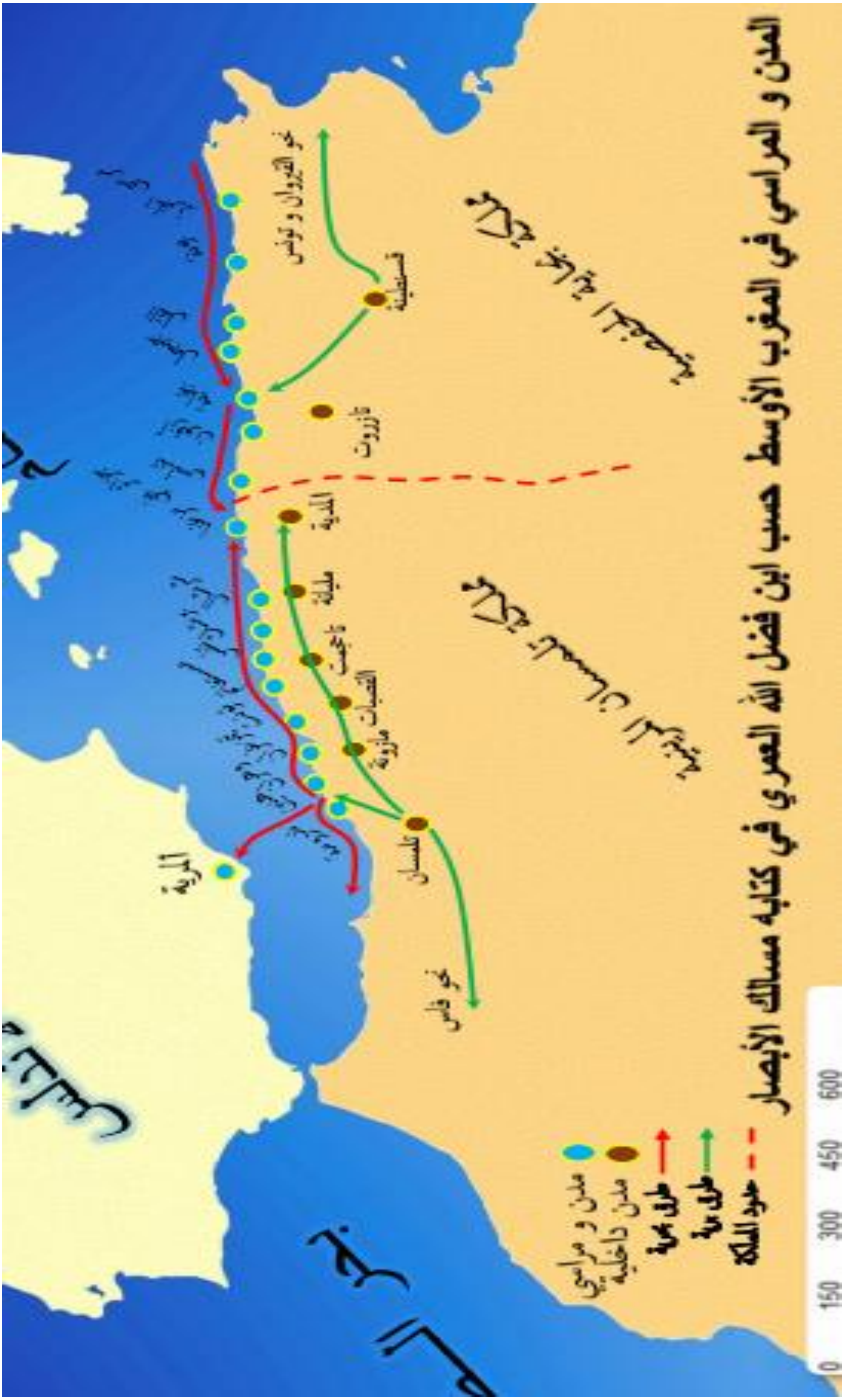
وعموما نستنتج من كل ما قدمه ابن فضل الله عن المناطق الساحلية لبلاد المغرب الوسط وأهم الطرق الرابطة بينها، وبالتالي مساهمتها الفعالة في النشاط التجاري، أن مملكة تلمسان المرينية كانت تربطها ثلاث طرق بحرية أولها يربط بين تلمسان"ميناء هنين"بسواحل الدولة المرينية، وصولا إلى سبتة وطنجة، والثاني، يربط بين هنين وبقية المدن الساحلية وصولا إلى جزائر بني مزغنا، والثالث يربط بين هنين وألمرية بالأندلس؛ أما الطرق البرية التي نستنتجها من كلام صاحب مسالك الأبصار، هو وجود ثلاثة طرق برية أخرى، حيث يربط الطريق الأول بين تلمسان وفاس عاصمة المرينيين، والثاني بين المدن الداخلية للمغرب الأوسط مازونة والقصبات مرورا بمليانة والمدية، والثالث يربط بين تلمسان وميناء هنين، كمنفذ بحري لنشاطها وسلعها.

بهذا كانت موسوعة مسالك الأبصار مصدرا كبير الأهمية للمؤرخين والجغرافيين المتأخرين، وكان أولهم القلقشندي(ت821هـ)، في مصنفه صبح الأعشى[2]، والمؤرخ المصري المقريزي، في مصنفه الخطط، والنويري في نهاية الأرب، والسيوطي في كتابه حسن المحاضرة.

---

1) صبح الأعشى، ج5، ص150.

2)أصبح لكتاب ابن فضل الله شهرة كبيرة عند أرباب الدواوين، حتى أن القلقشندي أطلق عليه اسم"الدستور".**صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1 ، بيروت، 1987 م، ج1، ص7.**


المدن و المراسي في المغرب الأوسط حسب ابن فضل الله العمري في كتابه مسالك الأبصار
مدن و مراسي
مدن داخلية
طرق بحرية
طرق برية
حدود المملكة
نحو القيروان و تونس
قسنطينة
المدية
مليانة
تلمسان
نحو فاس
المرية
0 150 300 450 600

أما بخصوص أحد أشهر الموسوعيين الجغرافيين وهو **الحميري**[1]**(ت900هـ/1494م)**[2]، فقد قدم لنا مادة معرفية غزيرة عن أغلب الأقطار، حيث رتبها وفق الترتيب الأبجدي لحروف المعجم ليسهل على الدارس الكشف عن اسم الموضع الذي يريده[3].

وقد ذكر في كتابه الروض المعطار[4] العديد من مدن وموانئ المغرب الأوسط وربطها بشبكة من الطرق والمسالك سواء التجارية منها أو المسالك التنقلية، وباعتبار الحميري ينتهج طريقة الحموي في معجمه من حيث ترتيب المدن حسب الحروف الهجائية، ويذكر الحميري نفسه في مقدمة كتابه أنه لم يرحل ولم يكتب عن مشاهدات شخصية بل أخذ مادته عمن سبقه كالبكري وابن سعيد و الإدريسي وغيرهم[5].

فأول ميناء يذكره من موانئ المغرب الأوسط ميناء ومدينة **تابحريت**، حيث نقل عن البكري[6]، كلامه بأنها مدينة مشهورة على ساحل البحر بها مسجد جامع يشرف على البحر، وهي محط للسفن ومقصد للقوافل القادمة من سجلماسة، وقد جددت مدينة تابحريت بعد العشرين والأربعمائة وهي ساحل وجدة[7]، ونحن نتساءل في القرن العاشر هل بقيت تبحريت أم اختفت؟ حيث ذكر صاحب الاستبصار بأنها من المدن التي اندثرت خلال القرن

---

1) هو عبد الله وقيل محمد بن محمد بن عبد الله بن عبد المنعم بن عبد النور وقيل أبو عبد الله الصنهاجي الحميري الأندلسي من أهل سبتة، وكان يعمل في توثيق العقود. وقد شارك في السياسة وزار غرناطة ليقر تبعية سبتة لبني نصر، كما زار تازه بالمغرب، أين أصابه الوباء الخطير الذي توفي على إثره. **أبو القاسم الأنصاري السبتي: اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، ط، باريس، تحقيق بروفنسال، د ت، ص5؛ و الزركلي: المصدر السابق، ج7، ص53، وكراتشكوفسكي: المرجع السابق، ج1، ص447.**

2) ذكر ابن حجر أنه توفي في ذي القعدة سنة727هـ/1326م. **الدرر الكامنة، ج5، ص252**، وذكر في ترجمة الروض المعطار أن الحميري انتهى من تأليف كتابه سنة866هـ/1461م وهذا ما رجحه الدارسين مثل حسين مؤنس بأن هذه السنة هي سنة وفاته.أو أن توفي لعد هذه السنة، ولكن المعروف من خلال الروض المعطار والمصادر الأخرى أن الحميري توفي سنة900هـ/ 1494م حيث كان من الوفد الذي زار السلطان المغربي بتازة. **الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984، مقدمة المؤلف، ص ح، و ؛ وحاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي المكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت، ج1، ص920؛ وحسين مؤنس: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1986، ص529.**

3) أفراح نازك عبد الرحمن حفيظة: الحميري محمد بن عبد المنعم وكتابه الروض المعطار في خبر الأقطار، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2013، ص8.

4) ورد ذكر الروض المعطار في خبر الأقطار أو في أخبار الأقطار في كشف الظنون مرتين مرة على أنه مؤلفه أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد الحميري المتوفي سنة900هـ/1494م ومرة أن مؤلفه أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الحميري دون ذكر لسنة وفاته.**حاجي خليفة: المصدر نفسه، ج1، ص920.**

5) مقدمة كتاب الروض المعطار، ص ح، و.

6) المغرب، ص87.

7) الحميري: المصدر نفسه، ص127.

السادس الهجري[1]، كما نستشف من كلام الحميري بأن تابحريت كانت منفذاً بحرياً لمدينة وجدة لتصريف منتجاتها نحو المغرب الأوسط والأقصى والأندلس.

وإن صدق هذا القول نتأكد من أن مدينة تابحريت تم إحياؤها وازدهارها، بل أصبحت معبراً ومدينةً وسيطةً بين التجارة البرية القادمة من سجلماسة إلى البحر إلى ألمرية بالأندلس باعتبارها أقرب مدينة من العدوة إليها.

ثم مدينة **ترنانا** وهي مدينة بالمغرب قريبة من ندرومة كبيرة مسورة على ساحل البحر كانت محطا للسفن ومقصدا لقوافل سجلماسة[2].

أما عن ميناء **هنين**، فيقول عنه:"مدينة بالمغرب جليلة على البحر، وشمالها تلمسان، وهي قريبة من ندرومة[3]، ونلاحظ شح المعلومات التي يقدمها لنا عن ميناء هنين رغم انه عاصر الدولة الزيانية والمرينية التي أصبح فيها الميناء رئة الدولة التي تتنفس بها وأغلب السلع والرحلات تتم عن طريقه، مما يجعلنا نتساءل عن سبب هذا الاختصار أو التجاهل؟.

لينتقل إلى ميناء **أرشقول**[4]، وقال عنها بأنها مدينة على ساحل تلمسان من أرض المغرب بينهما فحص طوله خمسة وعشرون ميلا، ومدينة أرشقول على نهر تافنا يقبل من قبليها ويسير بشرقيها تدخل فيه السفن اللطاف من البحر إلى المدينة وبينهما ميلان، وهي مدينة مسورة...وتقابله جزيرة في البحر تسمى جزيرة أرشقول بينها وبين البر قدر صوت رجل جهير في سكون البحر والريح[5]، كما نتساءل هنا هل كان ميناء أرشقول على هذا الحال أم اقتبس المعلومات عمن سبقه كالبكري والإدريسي، مما يصعب علينا مهمة معرفة مصير وتطور الميناء خلال عهد الحميري.

ومن أرشقول إلى مدينة **أسلي**[6]، وهي مدينة بشرق أرشقول وبمقربة من وهران من أرض المغرب، وهي مدينة قديمة عليها سور صخر وكانت حصينة ولها نهر يسقي بساتينها وثمارها[1].

---

1) مجهول، ص135.

2) الحميري: المصدر السابق، ص127.

3) نفسه، ص597؛ **والمقريزي: جني الأزهار من الروض المعطار، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم، الدار التونسية للنشر، ط1، 2006، ص115.**

4) ذكرها البكري: المغرب، ص77، 78؛ و **الإدريسي: نزهة المشتاق، ج2، ص534؛ وذكرها الحموي بأرجكوك، ج1، ص144؛ و ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص140؛ وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص74.**

5) الحميري: المصدر نفسه، ص26-27.

6) ذكرها ابن حوقل والبكري باسم آسلن. **صورة الأرض، ص78؛ والمغرب، ص79؛ والإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص271؛** وآسلي **عند صاحب الاستبصار، ص134.**

وعند انتقاله إلى مدينة **وهران**، يقول عنها مدينة بالمغرب على ساحل البحر، ولوهران مرسى كبير للسفن محمي من كل ريح لأنه جون جبل مطل على وهران مرتفع[2]، وهي على مرحلتين من تلمسان[3]، كما تقابل مدينة ألمرية في الأندلس وسعة البحر بينهما مجريان، ولها على بابها مرسى صغير لا يستر شيئا[4]، ولها على ميلين منها **المرسى الكبير**، به ترسي السفن الكبار وهو يستر من كل ريح، لا مثال له في المراسي، وشرب أهلها من واد يجري إليها من البر، وعليه بساتين وجنات، وبها فواكه ممكنة، وأهلها في خصب، والعسل بها والسمن والزبد كثير، والمراكب مختلفة إليها[5]، ورغم أن هذا الكلام يبين لنا المكانة البحرية لمدينة وهران ومرساها إلا أن نقل الحميري عن البكري[6] والإدريسي[7]، جعلها دون فائدة في عصره؛ ورغم ذلك يبين لنا استمرار الخلط بين ميناء وهران والمرسى الكبير وكل ميناء كان قائما بذاته، وقُرب المسافة بينهما جعل المصادر تخلط بينهما أو تعتبرهما ميناء واحدا.

كما أصبح المرسى الكبير محطة لسفن جنوة وبيزة ومرسيليا منذ القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي[8].

أما عن وهران فيضيف الحميري بأنها مدينة كثيرة البساتين، وبها آثار قديمة، وأهلها موصوفون بعظيم الخلق وكمال القامة، قيل إنها أسست في سنة تسعين ومائتين، وبناها جماعة من الأندلسيين البحريين بسبب المرسى، والفتنة مع قبائل البربر المجاورين لها، وطلبهم للثأر، ثم حرقوها فخربت وهران، لكن رجع الناس إليها وبنوها، فعادت إلى أحسن مما كانت عليه[9].

نجد أن الحميري يحاول دائما تحليل المادة لغويا من خلال ذكر طريقة نطق الكلمة حسب الحركات والحروف، ويذكر إن ذكرت عند مؤلفين آخرين، كما يبين تعليل تسمية الموقع بتفسير معنى الكلمة أو الاسم كما فعل مع

---

1) الحميري: المصدر السابق، ص58.

2) نفسه، ص612؛ وقد وردت بنفس التعبير عند **البكري**: **المغرب، ص81**.

3) المقريزي:جني الأزهار، ص65.

4) نقل هذا الكلام عن **الإدريسي في نزهة المشتاق، ج1، ص252؛ والمغرب، ص83**.

5) الحميري: المصدر السابق، ص613؛ وقد ذكر المقريزي ميناء أرزاو، بأنه قرية بساحل البحر بالمغرب كبيرة تجلب إليها الحنطة. **جني الأزهار، ص69**؛ ولا وجود لذكر هذا الميناء عند الحميري، بل ذكره **الإدريسي في نزهة المشتاق، ج1، ص271**.

6) البكري: المغرب، ص70، 81.

7) أنظر: نزهة المشتاق، ج1، ص252؛ **والمغرب، ص83**.

8) Dufourcq; L’espagne, P.134.

9) الحميري: المصدر السابق، ص612.

قسنطينة، ويقوم بربط المكان بحادثة معينة كما فعل مع وهران، ويستدل في بعض الحالات بالشعر كما فعل عند ذكره لمدينة تنس، ويذكر إذا كان الموقع قديماً من آثار الأول أم لا، وهذا ما ذكره تقريبا في أغلب المدن(1).

أما عن **قصر الفلوس**(2) فينقل جل معلوماته عمن سبقه بقوله عنه:"مدينة كبيرة في المغرب الأوسط، وهي مرسى للمراكب، فيها آثار للأول تدل على أنها كانت دار مملكة، وهي اليوم خراب، وفيها ماء مجلوب على قناطير بأغرب ما يكون من البناء القديم"(3)، وهذا الكلام ذكره صاحب الاستبصار خلال القرن السادس الهجري، ولم يوضح لنا الحميري حال المدينة في عهده هل بقيت خراب أم أعيد بناؤها، أم غير لها اسمها ؟

كما أن صاحب الاستبصار وقع في خلط بين قصر الفلوس وأرزيو مما جعل الحميري الناقل عنه يقع في نفس الخطأ، وهذا ما يجعلنا لا نأخذ بكلامه حول استمرار قصر الفلوس في التواجد، وأداء دوره خلال القرون الموالية.

ثم يذكر في الطريق الساحلي مدينة **تامزغران**(4) وهي مدينة بالمغرب بقرب مصب نهر شلف في البحر، بينها وبين مستغانم ثلاثة أميال، وهي مدينة مسورة لها مسجد جامع، وعلى مقربة منها قلعة هوارة(5)، ونلاحظ أن الحميري يحاول دائما ذكر المسافة بين ذلك المكان والمنطقة التي ينتمي إليها أو المنطقة القريبة منها(6).

وينتقل الحميري إلى مدينة وميناء **مستغانم** بقرب مصب نهر شلف، بينها وبين قلعة مغيلة دلول مسيرة يومين، وهي مدينة مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء(7)، وهي على البحر ولها أسواق وحمامات ومياه كثيرة وسور على جبل مطل إلى ناحية المغرب، وهي صغيرة(8)، وما نأسف له فعلا أن الحميري لم يقدم لنا ولو معلومة معاصرة سمعها عن التجار أو نقلها عن حاج أو قرأها في العقود التي كان يحررها، عن مدن المغرب الأوسط، بل كلها نُقول عن مصادر سابقة.

وعلى العموم مثّل مرسى مستغانم مرسى ثانوي على غرار مرسى مغيلة بني هاشم ومرسى تامزغران، حيث كان ملجأ لاستراحة السفن والتزود بالماء.

---

1) أفراح نازك عبد الرحمن حفيظة: المرجع السابق، ص8.

2) وقد نقل الحميري جل كلامه عن **البكري**: **المغرب، ص79، ص81**؛ و عن صاحب **الاستبصار، ص133**.

3) الحميري: المصدر السابق، ص476.

4) نقل هذا الكلام عن **البكري**: **المصدر السابق، ص69**.

5) الحميري: المصدر نفسه، ص128.وقد نقل هذا الكلام عن **البكري، ص69**.

6) أفراح نازك عبد الرحمن حفيظة: المرجع السابق، ص8.

7) نقل هذا الكلام عن الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص272؛ **وعن ابن سعيد المغربي**: **كتاب الجغرافيا، ص142**.

8) الحميري: المصدر السابق، ص558؛ **والمقريزي**: **جني الأزهار، ص69**.

وبعد أن تحدث عن مستغانم، وصف ميناء ومدينة **تنس** بأنها مدينة بقرب مليانة بينها وبين البحر ميلان، وهي مسورة حصينة وبعضها على جبل وقد أحاط به السور وبعضها في سهل الأرض، وهي قديمة أزلية، ولها أقاليم وأعمال ومزارع ويخرج عنها إلى كل الآفاق في المراكب وهي على نهر يسمى نتاتين يصب في البحر، وهي كثيرة الزرع ومنها يحمل الطعام إلى الأندلس والى أكثر بلاد إفريقية والمغرب، وهذه تنس الحديثة التي بناها الأندلسيون سنة262هـ/875م [1]، أما المقريزي في مختصره يقول عنها:"تنس مدينة بالمغرب على سبع مراحل من تلمسان"[2].

ويصف الحميري مدينة **برشك** بأنها ميناء قرب تنس بينهما على الساحل ستة وثلاثون ميلا وبرشك مدينة صغيرة على تل وعليها سور وتراب وهي على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون مائها العذب، ومنها إلى شرشال عشرون ميلا وكان طاغية صقلية أخذها واستولى عليها[3]، ويضيف المقريزي:"برشك بلد بالمغرب على الساحل من أعمال تنس، صغيرة وبها فواكه ومزارع وحبوب كثيرة"[4]، وما يحيرنا أن كلام الحميري يتوقف في القرن الخامس الهجري عند احتلال برشك من قبل حاكم صقلية، ولم يشر أنها تحررت وواصلت نشاطها، فكان نقله حرفيا عن ابن حوقل[5] و الإدريسي[6].

وعموما يبدو أن برشك كانت على قدر كبير من الأهمية بحيث تحتوي على"سور تراب وهي على ضفة البحر"[7] وذلك بهدف التصدي للغارات الخارجية من الطامعين لذلك"تعيش برشك في رخاء"[8] رغم صغر مساحتها، ولاشك أن ميناءها كان محطاً للسفن القادمة من الغرب نحو الشرق للتجارة أو الحج، رغم عدم وجود خط تجاري أو مسلك بحري بين برشك وبلاد الأندلس وهو الذي لم نجد المصادر تشير اليه نهائيا، وهذا راجع لوقوعها بين مينائين هامين هما شرشال وتنس.

أما عن مدينة وميناء **شرشال** فيذكر أنها مدينة في المغرب في ناحية برشك بينهما عشرون ميلا، وهي متحضرة بها مياه جارية وآبار عذبة وفواكه كثيرة، ومن شرشال إلى جزائر بني مزغنا سبعون ميلا، وبشرشال أثار

---

1) الحميري: المصدر نفسه، ص138؛ ويبدو أن كلامه هذا نقله عن **ابن حوقل، ص78**؛ و أغلبه عن **الكري، ص61-62؛ وصاحب الاستبصار، ص133**.

2) جني الأزهار، ص64.

3) الحميري: المصدر نفسه، ص88.

4) جني الأزهار، ص66.

5) صورة الأرض، ص78.

6) نزهة المشتاق، ج1، ص257، 272؛ **والمغرب، ص88**.

7) الحميري: المصدر السابق، ص88.

8) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص33.

الأول وأظنها الآن غير مسكونة، ويقابلها من الأندلس مرسى لقنت[1]، وهي قرية بالمغرب صغيرة ومتحضرة وبها فواكه وحولها بادية ذات ماشية كثيرة[2]، وما يجذب الانتباه هو إبداء الحميري لرأيه ونظرته اتجاه شرشال بقوله وأظنها الآن غير مسكونة، وهو أيضا كلام منقول عن صاحب الاستبصار[3].

ويستمر الحميري في سرد مدنه وأماكنه حسب الترتيب الأبجدي ليصل إلى مدينة **الجزائر** التي قال عنها:"إنها على ضفة البحر، وشرب أهلها من عيون على البحر عذبة ومن آبار، و مرسى جزائر بني مزغنا مرسى مأمون به عين عذبة يقصدها أصحاب السفن من إفريقية والأندلس وغيرها"[4].

ونلاحظ ميزة الحميري أنه يهتم بوصف سكان المدينة التي يتحدث عنها، ويذكر في بعض الأحيان الانتماء الديني للسكان إن كانوا مسلمين من السنة أو الشيعة أو مسيحيين، كما يذكر بعض العادات والتقاليد واللباس والطعام، مما يتعلق بحياة الناس اليومية[5].

ثم ينتقل إلى ميناء **تامدفوس** فهو بلد بالمغرب وهو مرسى حسن[6]، ولم نجد لها ذكراً عند الحميري لكن المقريزي ذكرها في مختصره للروض، وهذا ما يؤكد أنه ينقل عن مصدر آخر غير الروض المعطار، أو أن الروض الذي بين أيدينا مبتور من بعض المادة المعرفية.

ثم يقف الحميري عند **مرسى الدجاج** بالقرب من أشير وهي مدينة قد أحاط بها البحر من ثلاث نواح، وعليها السور من الضفة الغربية إلى الضفة الشرقية، ومن هنا يدخل إليها، ولها مرفأ غير مأمون لضيقه وقرب قعره، يسكنها الأندلسيون وقبائل من كتامة، وهي مدينة كبيرة القطر ولها حصن دائر بها وبشرها كثير وربما فر عنها أهلها زمن الصيف خوفا من قصد الأساطيل إليها[7]، وبينها وبين تدلس أربعة وعشرون ميلا[8]، ومرسى الدجاج بلد كبير

---

1) الحميري: المصدر نفسه، ص340.

2) المقريزي: جني الأزهار، ص66.

3) مجهول: المصدر السابق، ص132.

4) الحميري: المصدر نفسه، ص163؛ وقد نقل هذا الكلام **عن البكري، ص82؛ وصاحب الاستبصار، ص132**.

5) أفراح نازك عبد الرحمن حفيظة: المرجع السابق، ص9.

6) المقريزي: جني الأزهار، ص66.

7) نقل هذا الكلام عن الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص259؛ و **المغرب، ص89-90**.

8) الحميري: المصدر السابق، ص539.

بالمغرب وأهلها وعماراتها قليل[1]، ونستنتج من قوله عودة مرسى الدجاج للنشاط بعد اختفائه عند العمري، ولكن هذا بعيد عن الحقيقة لأن الحميري ينقل عمن سبقه كابن حوقل[2]، والبكري[3]، وصاحب الاستبصار[4].

ولا يكتفي الحميري بذكر المدن والموانئ الغربية بل يذكر الشرقية كذلك بدءا من تامدفوس ومرسى الدجاج وصولا إلى **تدلس**، التي قال عنها أنها مدينة كبيرة بحرية بين بجاية والجزائر وبينها وبين مرسى الدجاج أربعة وعشرون ميلا وهي على شرف متحصنة لها سور حصين وآثار ومنتزهات، وبها من رخص الفواكه والأسعار والمطاعم والمشارب مالا يوجد في غيرها، وبينها وبين بجاية في البر تسعون ميلا[5].

وينبهنا الحميري إلى تراجع دور تدلس التجاري والحضري خلال القرن السابع هجري بسبب تعرضها لأعمال التخريب من قبل يحي بن إسحاق الميورقي، في إطار حملته ضد بجاية وتدلس ومتيجة والجزائر أوائل القرن السابع الهجري[6].

مما يجعلنا نرسم خطاً بيانياً لمسار ميناء ومدينة تدلس التي كان لها شأن كبير في الفترات القديمة والسابقة للفتح الإسلامي"الفينيقية والرومانية" ثم اختفت تماما عن الأحداث لتعود في الواجهة خلال القرن الرابع والخامس الهجريين وتزدهر خلال القرن السادس هجري بشهادة ابن سعيد ولكنها تتعرض للتخريب في القرن السابع الهجري، ودخلت في مرحلة من اللاستقرار والتجاذب خلال القرن الثامن الهجري بين الحفصيين والزيانيين والمرينيين[7].

إن ما يلفت الانتباه هو أن الحميري من سبتة أي بلاد المغرب الأقصى والقريب من المغرب الأوسط وبالتالي يعرف أو يسمع عن مدنه وتطورها وخصائصها، إلا أنه لم يقدم رأيه أو ملاحظاته، مما يجعلنا نتساءل هل فعلا الحميري من سبتة؟ أم من الأندلس؟ أم من مدن أخرى بعيدة عن بلاد المغرب جعلته لا يعرف عنها الكثير؟

ثم يقدم مدينة وميناء مهماً في المغرب الأوسط أفرد له وصفا كبيرا لكنه منقول من كتب جغرافية سابقة له وهي مدينة **بجاية**، قاعدة المغرب الأوسط، وهي مدينة عظيمة على ضفة البحر يضربها سورها وهي على جرف

---

1) المقريزي: جني الأزهار، ص66.

2) صورة الأرض، ص77.

3) المغرب، ص65.

4) مجهول: المصدر السابق، ص131.

5) الحميري: المصدر نفسه، ص132؛ **والمقريزي: جني الأزهار، ص66.**

6) الحميري: نفسه، ص132.

7) ابن خلدون: العبر، ج6، ص458، 477، 548، 552؛ و **روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص223.**

حجر ولها من جهة الشمال جبل يسمى أمسيول[1]، وهي عين بلاد بني حماد والسفن إليها متكررة، والسفر إليها برا وبحرا والسلع إليها مجلوبة وأهلها تجار مياسير؛ وبها دار صناعة لإنشاء الأساطيل لأن الخشب في أوديتها وجبالها كثير، ويجلب إليها من أقاليمها الزيت والطيب والقطران، وبها معدن الحديد، وعلى نحو ميل منها نهر يأتي إليها من جهة المغرب وهو نهر عظيم يجاز عند فم البحر بالسفن[2]، وهي على البحر على حرف حجر[3]، ونجد الحميري لم يضف شيئا عن بجاية في العهد الحفصي بل ذكر ما كتبه قبله البكري[4].

وهي مرسى عظيم تحط فيه السفن من كل جهة، وبجاية كثيرة الفواكه والخيرات، وهي مشرفة ومطلة على البحر وعلى فحص قد أحاطت به جبال ودوره نحو عشرة أميال، وبها موضع يعرف باللؤلؤة وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة[5].

وبينها وبين قلعة بني حماد أربعة أيام، وبينها وبين صقلية ثلاث مجار وهي مدينة عظيمة ما بين جبال شامخة قد أحاطت بها والبحر منها في ثلاث جهات في الشرق والغرب والجوف، ولها طريق إلى جهة المغرب يسمى المضيق على ضفة النهر المسمى الواد الكبير، وطريقها إلى الشرق وليس لها طريق سهلة إلا من جهة الغرب[6].

وبجاية هي قطب لكثير من البلاد، وهي محدثة بناها ملوك صنهاجة، أصحاب قلعة أبي الطويل المعروفة بقلعة بني حماد، وكان سبب بنائها أن العرب لما دخلوا إفريقية وأفسدوا القيروان وأكثر مدن إفريقية، وهزمت المنصور بن بلكين بن حماد عند منطقة سبيبة، لهذا طلب موضعا يبني فيها مدينة لا يلحقه فيها العرب، فدل على موضع بجاية، وكان مرسى فيه آثار قديمة، فبناها المنصور وسماها المنصورية، ونقل ملكهم من القلعة إلى بجاية، وفي موضع آخر يقول:"ورأيت في خبر آخر أن الناصر بن علناس صاحب قلعة حماد"[7].

---

1) ذكره المقريزي في اختصاره للروض باسم مسيون وهو جبل بالمغرب بقرب بجاية وهو عال صعب الارتقاء في أكنافه جمل من النبات المنتفع به صناعة الطب كشجر الحضض وفيه عقارب كثيرة وهي الآن مجينة المغرب الأوسط، ومنها يجلب الزيت والقطران والحديد وبها من الصنائع كل غريبة ولطيفة .**جني الأزهار، ص67**.

2) الحميري: المصدر السابق، ص80.

3) المقريزي: جني الأزهار، ص67.

4) المغرب، ص82.

5) الحميري: المصدر السابق، ص81؛ ونقل هذا الكلام عن **صاحب الاستبصار، ص130**.

6) الحميري: المصدر نفسه، ص65.

7) نفسه، ص81.

ويبدو أن الحميري عند ذكره لنشأة المدن يتطرق لتطورها العمراني منذ أقدم العصور، خاصة المدن المشهورة منها ويصف طبيعتها وأهمية موقعها وخيراتها وحصانتها وأنهارها، ومرساها[1]، وفيما بين جيجل وبجاية على ساحل البحر موضع يسمى **بالمنصورية**[2] عليها جبل عظيم مما يلي البر[3].

ثم يضرب الحميري صفحا عن **جيجل** ويذكر أنها مدينة قديمة بينها وبين ميلة من أرض المغرب مرحلة وبين جيجل وبجاية خمسون ميلا، وهي مدينة صغيرة على ضفة البحر، ويحيط بها ويضرب سورها، وهي على نظر كبير، ويحمل عنها إلى بجاية، هجم عليها طاغية صقلية مما جعل سكانها يسكنون المرسى والسواحل في زمن الشتاء، ويهجرونها صيفا، يرتفعون إلى حصنهم الأعلى البعيد عن البحر، وبقي في الأسفل جمع منهم بأمتعتهم متحرزين من العدو، وبجيجل الألبان والسمن والحوت المتناهي الطيب[4].

وجيجل لها مرسيان مرسى في جنوبها وعر الدخول صعب لا يُدخل إلا بدليل حاذق، ومرسى في جهة الشمال ساكن الحركة كالحوض لكنه صغير لا يتحمل الكثير من المراكب[5]، وهي على خمسين ميلا من بجاية[6].

وبعد جيجل **جبل الرحمن**[7] وهي مدينة قديمة على البحر ولها سور قديم يضرب البحر فيه، وهي على نظر كثير[8]، ووجود الحصن دليل على أنها منطقة استراتيجية ثغرية.

ويستمر الحميري في معجمه بسرد المدن الساحلية ومنها **القل** التي بينها وبين جيجل سبعون ميلا، ومنها إلى قسنطينة مرحلتان، والقل مدينة عامرة صغيرة، وهي الآن مرسى وعليه عمارات والجبال تكتنفه من جهة البر[9].

أي أن الحميري يبرز دائما الجانب التاريخي للمدينة ثم يشير لتطورها وأهم معالمها الحضارية من فنادق أو جوامع أو مساجد أو أسواق، بل ينسب إليها الفقهاء والعلماء والملوك، كما يذكر العيون والمزارع، وغلاء المعيشة ومستوى التجار[10]، وهي على سبعين ميلا من جيجل عامرة بها عمارات[11].

---

1) أفراح نازك عبد الرحمن حفيظة: المرجع السابق، ص9.

2) نقل كلامه عن صاحب الاستبصار، ص128.

3) الحميري: المصدر نفسه، ص185.

4) الحميري: المصدر السابق، ص184، وقد نقل كلامه عن **البكري**: **المغرب، ص82–83**.

5) الحميري: المصدر نفسه، ص184.

6) المقريزي:جني الأزهار، ص68.

7) البكري: المغرب، ص83.

8) الحميري: المصدر نفسه، ص184.

9) نفسه، ص466.

10) أفراح نازك عبد الرحمن حفيظة: المرجع السابق، ص10.

11) المقريزي:جني الأزهار، ص69.

ثم ينتقل إلى مدينة **بونة** وهي مدينة وميناء من بلاد إفريقية قريبة من فحص قل"ربما مدينة القل" وهي مدينة قديمة من بناء الأول، وهي على ساحل البحر في نشز من الأرض مشرف على البحر وعلى فحوصها وقراها وهي من أنزه البلاد وأكثرها لبنا ولحما وعسلا وحوتا[1]، والبحر يضرب في سورها وفيها بئر على ضفة البحر منقورة في حجر، يسقي جناتها المشرفة على البحر، وأكثر تجارها أندلسيون، ومستخلص بونة غير جباية المال عشرون ألف دينار، وفي بونة دفن ملك إفريقية الأمير الأجل أبو زكريا ابن الشيخ الأجل المجاهد أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص رحمه الله[2].

ومرسى بونة من المراسي المشهورة، وبونة في جون من البحر يسمى جون الأزقاق وهو صغير ربما عطبت فيه المراكب[3]، وتسمى بونة بلد العنّاب لكثرة العنّاب فيها، ومنه خشب سقوفهم ووقودهم ومنه جميع ما يتصرفون فيه[4] وهي على مرحلة من الخرز وعلى نهر البحر، وبها معدن حديد جيد ويزرع بها الكتان وهي الآن في ضعف وقلة عمارة[5].

والمتمعن لكلام الحميري يتضح له تراجع دور ميناء بونة بوصفه بالمرسى الصغير الواقع في جون الازقاق أي في رواق مائي ضيق تتعطب فيه المراكب؛ رغم وجود اشارة من بحار وجغرافي مخضرم عاصر الفترة الوسيطة والحديثة هو بيري رايس الذي زار مرسى بونة مرتين في فصل الشتاء أواخر القرن التاسع هجري/الخامس عشر ميلادي[6] مما يدل على أنه ملجأ للسفن شتاء، كما تواصل دور بونة البحري.

ثم يختم الحميري موانئ ومدن الساحل في المغرب الأوسط **بمدينة ومرسى الخرز** التي قال عنها"مدينة بشرقي مدينة بونة، وبينها وبين باجة مرحلة، وفي مدينة الخرز المرجان...ويقصدها التجار فيستخرجون منه الكثير، وهو ينبت كالشجر في البحر، ويدر أموالا طائلة، وبين بونة ومرسى الخرز مرحلة خفيفة، وفي البحر أربعة وعشرون ميلا، ومدينة مرسى الخرز قد أحاط بها البحر، إلا مسلك لطيف ربما قطعه البحر في الشتاء، وعليها سور، وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب البحرية، وإليها يقصد الغزاة من كل أفق، وبينها وبين سردينية مجريان في البحر، وجباية هذه المدينة عشرة آلاف"[7].

---

1) نقل عن البكري: المغرب، ص55.

2) الحميري: المصدر السابق، ص115.

3) نقل هذا الكلام عن **مجهول**: **الاستبصار، ص127**.

4) الحميري: المصدر نفسه، ص115.

5) المقريزي:جني الأزهار، ص72.

6)Robert. Mantran ; Op. Cit,p.166.

7) الحميري: المصدر نفسه، ص538؛ وقد نقل هذا الكلام حرفيا عن **الإدريسي**: **نزهة المشتاق، ج1، ص248؛ والمغرب، ص80**.

المدن الداخلية القريبة من البحر:

لم يصرح الحميري باسم الكُتاب الذين ينقل عنهم إلا نادرا، حيث ينتقل من اقتباس لآخر في كثير من الأحيان دون الإشارة للمؤلف صاحب الكلام، أو يستخدم في بعض الحالات لفظة قالوا أو قال أهل العلم، أو قال بعض المؤلفين، أو قال بعضهم، أو حكوا، وروي، أو في الخبر، أو في بعض الأخبار، أو قال أصحاب المغازي(1).

وبدأها الحميري من الغرب إلى الشرق بمدينة **ندرومة:** مدينة في طرف جبل تاجرا بأرض المغرب، وهي مدينة حسنة كثيرة الزرع والفواكه، وبينها وبين البحر نحو عشرة أميال ولها مرسى مأمون مقصود وعليه رباط حسن يتبرك به(2)، ويحددها مختصر الحميري ببلد بين تلمسان وتابحريت(3).

بعد مدينة ندرومة مباشرة يتكلم عن **تلمسان** بأنها مدينة عظيمة قديمة فيها آثار للأول كثيرة تدل على أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة وبينها وبين وهران مرحلتان، وهي في سفح جبل أكثره شجر الجوز، ولها نهر يسمى سطفسيف...وهي مدينتان في واحدة ولم يكن في بلاد المغرب بعد أغمات وفاس أكثر منها أموالا ولا أرفة حالا، ومدينة تلمسان أول بلاد المغرب، وهي على طريق الداخل والخارج منه ولا بد من الاجتياز عليها على كل حال ونزلها(4).

ويضيف عنها قاعدة المغرب الأوسط(5)، وحده واد يسمى مجمع، وهو نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا، من بلاد المغرب وهي بين وهران ومليلة، كما أنها مدينة على أول الصحراء وهي على الطريق إلى سجلماسة ووارکلان وغيرهما من بلاد الصحراء، ولها نهر يسمى سطفسيف يسقي جناناً كثيرة ثم يصب في نهر تافنة وهو النهر المتصل بمدينة أرشقول(6).

والمقريزي في مختصره يقول عنها:"تلمسان مدينة كبيرة بالمغرب أزلية وهي بلدتان في واحدة يفصل بينهما سور"(7)، وغلاتها ومزارعها كثيرة(8)، ونستنتج من كلام الحميري ومختصره أنه لم يقدم معلومة جديدة عن تلمسان بل قام بنقل كل معلوماته عن البكري والإدريسي، ولم يقدم إضافة عن عصره.

---

1) أفراح نازك عبد الرحمن حفيظة: المرجع السابق، ص12-13.

2) الحميري: المصدر السابق، ص576.

3) المقريزي:جني الأزهار، ص115؛ وتنجريت مدينة بالمغرب الأقصى في الحدود الشرقية للمغرب الأوسط.

4) الحميري: المصدر نفسه، ص135.

5) نفس كلام البكري: المغرب، ص76.

6) الحميري: المصدر نفسه، ص135.

7)ذكر هذا الكلام الإدريسي في نزهة المشتاق، ج1، ص248؛ **والمغرب، ص80**.

8) جني الأزهار، ص64.

ثم ذكر مدينة **أفكان**[1]، وقال عنها:"مدينة بين تلمسان وتنس وبها أرحاء وحمامات وقصور وفواكه كثيرة وعليها سور تراب تهدم وبقي الآن أثره، وواديها يشقها بنصفين ويمضي منها إلى تيهرت"[2]، ويضيف مختصر الروض، بأن أفكان بلد بالمغرب بقرب تلمسان كان لها زروع وبساتين وفواكه وسور هي الآن خراب[3]، وما يقدمه لنا الحميري يبين اختفاء هذه المدينة وأنها أصبحت مجرد آثار.

ويسميها الحميري في موضع آخر فكان وقال عنها مدينة على مرحلتين من آسلن من أحواز تلمسان بالمغرب، وهي مدينة قديمة فيها آثار الأول، وكانت خربت فبعث إليها المنصور بن أبي عامر من بناها وهي قرية قريبة من البحر[4]، وكانت سوقا قديمة من أسواق زناتة، وهي على سفح جبل وانشوبش"ربما يقصد به ونشريس"وهو بجوفها وعلى فكان سور طوب وبها جامع وحمامات وفنادق[5].

وينتقل الحميري للحديث في معجمه إلى إحدى أهم مدن المغرب الأوسط التاريخية وهي مدينة **تاهرت**[6]، وذكرها بأنها مدينة مشهورة من مدن المغرب الأوسط على طريق المسيلة من تلمسان، وكانت فيما سلف مدينتان كبيرتان إحداهما قديمة والأخرى محدثة، والقديمة منها ذات سور وبها تجار كبار وأسواق عامرة، ولها ثلاثة أبواب منها باب الأندلس، وباب المنازل، وباب المطاحن، وكانت في يد بني ميمون بن عبد الرحمن بن رستم إلى أن سقطت في يد أبي عبد الله الشيعي سنة296هـ/908م[7]، وأضاف صاحب جني الأزهار المختصر عن الروض"تاهرت بلد

---

1) ذكرها ابن حوقل: صورة الأرض، ص88؛ و **المقدسي البشاري**: **المصدر السابق، ص246، 247**؛ والبكري: **المغرب، ص81**؛ و **الإدريسي**: **نزهة المشتاق، ج1، ص250-251**.

2) الحميري: المصدر السابق، ص51.

3) المقريزي: جني الأزهار، ص64.

ويذكر المقريزي في مقدمة كتابه:"فلما كان الروض المعطار في عجائب الأقطار" من أحسن ما صنف في فنه، غير أنه أسهب فيه غاية الإسهاب، وأتى فيه بالعجب العجاب فنظر لي أن ألتقط من درره وأجتني من محاسن زهريه فجاء بحمد الله غاية وفي معناه نهاية ...مع ألفاظ وجيزة ...ولطائف قراءته وسميته جني الأزهار من الروض المعطار"**المقريزي**: **المصدر نفسه، ص13**.

لكن المقريزي لخص كتاب الإدريسي نزهة المشتاق واعتقد أنه لخص كتاب الحميري، وذلك من خلال ذكر العديد من المدن والأماكن التي لم يأتي الحميري على ذكرها ووجدت عند الإدريسي كما أنه استخدم نفس أسلوب الإدريسي.**مقدمة المحقق لكتاب الحميري، ص هـ، و**.

4) هذا الكلام منقول عن **البكري**: **المغرب، ص81**؛ **وصاحب الاستبصار، ص134**.

5) الحميري: المصدر نفسه، ص440-441.

6) نقل كلامه حول تيهرت عن **ابن خرداذبة**: **المصدر السابق، ص87-88**؛ **وياقوت الحموي**: **المصدر السابق، ج1، ص7**.

7) الحميري: المصدر نفسه، ص126.

بالمغرب من أعمال تلمسان على أربع مراحل من البحر المالح بها قوم من البربر ومزارع وعيون ولهم تجارات وأسواق عامرة وبها ماشية كثيرة وبراذين حسنة ولهم مياه جارية تدخل بيوتهم وتنصرف إلى بساتينهم فتسقيها[1].

وينتقل الحميري لوصف مدينة صغيرة هي **الخضراء**، ولكن موقعها الجيد على الطريق الداخلي الرابط بالساحلي جعلنا نذكر ما قال عنها بأنها مدينة بالمغرب بقرب مليانة وهي مدينة جليلة كثيرة البساتين ولذلك سميت الخضراء وهي على نهر يظهر أنه نهر الشلف، ومنها إلى مليانة مرحلة[2]، ونجد الإدريسي قد أشار إليها والى أهميتها بنفس الكلام[3].

ومليانة مدينة في أحواز أشير من أرض المغرب بين تنس والمسيلة، وبالقرب من نهر شلف، وهي مدينة رومانية فيها آثار الأول، جددها زيري بن مناد[4]، وهي على ثلاثة أميال من جبل وانشريس، وعلى مليانة لقي أبو بكر ابن الصابوني الشاعر السلطان أبا زكريا ملك إفريقية، كان هاجر إليه من الأندلس وركب البحر وخرج في ساحل المغرب الأوسط، ولقي عسكر السلطان على مليانة، وصحبه إلى حضرة تونس[5]، ويضيف مختصر الروض، ومليانة بلد بالمغرب بقرب تنس وهي قديمة حسنة البناء والبقعة كريمة المزارع[6].

ثم يفصل في مدينة **الجزائر** أو جزائر بني مزغنا، حيث قال بين مدينة شرشال والجزائر سبعون ميلا، والجزائر مدينة جليلة قديمة البناء فيها آثار الأول، ومتيجة قريبة منها، ويتصل بالجزائر فحص متيجة وهو فحص عظيم كثير الخصب والقرى[7]، ونلاحظ حضور الإيجاز في أسلوب الحميري كثيرا خاصة في بعض المدن التي لا ترقى إلى الأهمية الكبيرة[8].

أما عن المدن الداخلية التي لها أهمية كبرى في ربط شرق المغرب الأوسط بغربه والمدن الساحلية بالصحراوية أو نجده يذكر **المسيلة**، وهي من بلاد الزاب بالمغرب بقرب قلعة أبي طويل، وهي مدينة جليلة على نهر يسمى نهر سهر في بساط الأرض[9]، وبها أنهار تصب في بحيرة بها سمك فيه طرق حمر لم ير في الدنيا سمك على صفته، وأهل

1) المقريزي: جني الأزهار، ص66.

2) الحميري: المصدر نفسه، ص223.

3) نزهة المشتاق، ج1، ص252-254؛ **والمغرب، ص84-85**..

4) هذا الكلام اقتبسه الحميري عن **البكري: المصدر السابق، ص69**؛ و **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج1، ص202-203**.

5) الحميري: المصدر نفسه، ص574.

6) المقريزي: جني الأزهار، ص65.

7) الحميري: المصدر السابق، ص163.

8) أفراح نازك عبد الرحمن حفيظة: المرجع السابق، ص15.

9) اقتبس الكلام حرفيا عن **ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص126**.

المسيلة يفتخرون به، قدره من الشبر فما دونه، وربما اصطيد منه الشيء الكثير وحمل إلى قلعة بني حماد وبينهما اثنا عشر ميلا[1]، ويذكر المقريزي في مختصره عن المسيلة قرية بالمغرب بالقرب من تنس[2]، وهو ما يؤكد أن معلومات المقريزي اختصار لكتاب آخر غير كتاب الروض المعطار.

كما يبين لنا قول الحميري بقاء المدن التقليدية كحواضر كبرى في إقليم الهضاب العليا مكرسة سيطرتها على المسالك سواء البرية منها أو الرابطة بين المدن الساحلية والصحراوية، رغم تغير موازين القوة في القرن الخامس الهجري بسبب انتقال العاصمة الحمادية إلى بجاية وتأثير الغزو الهلالي على هذه المسالك الداخلية.

ويقول الحميري عن **قسنطينة** التي تعتبر من المدن الداخلية المهمة التي لها مسالك مباشرة بمدن الساحل"من أشهر مدن إفريقية، وهي بين تيجيس وميلة، وهي مدينة أولية بها أسواق، والعسل بها والسمن كثير، ومنها يتجهز إلى سائر البلاد[3]، وهي من بناء الروم وبها مزارع طائلة[4]" وهي حصينة في غاية المنعة، بسبب الخندق المحيط بها والنهر الذي يجري به، وأقرب مالها من مراسي البحر مرسى القل، وبين قسنطينة وبجاية ستة أيام، وأربعة منها إلى جيجل، ومن جيجل إلى بجاية خمسون ميلا[5].

---

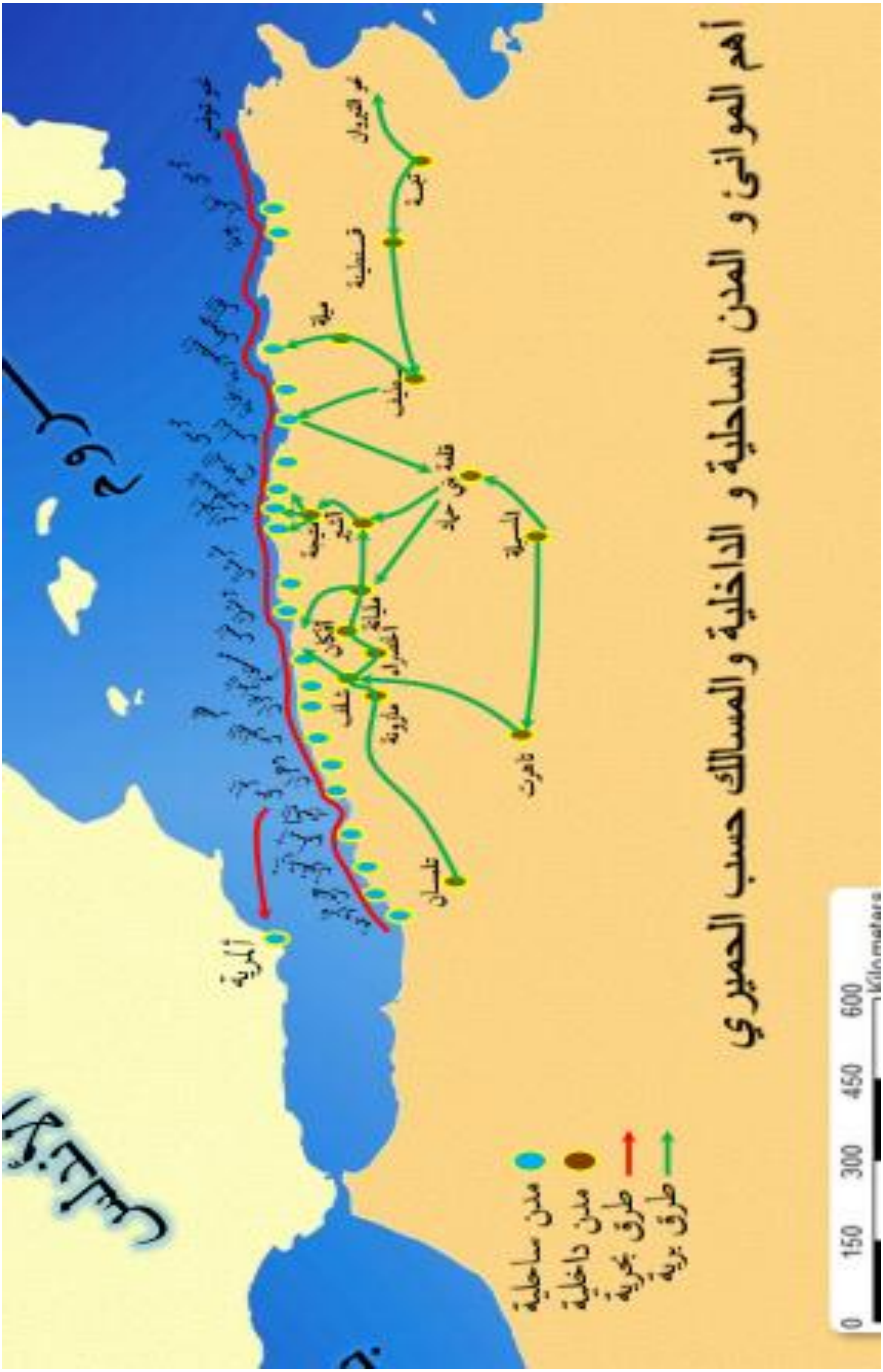
1) الحميري: المصدر السابق، ص558.

2) جني الأزهار، ص65.

3) الحميري: المصدر نفسه، ص480.

4) المقريزي:جني الأزهار، ص68.

5) الحميري: المصدر نفسه، ص481.


أهم الموانئ و المدن الساحلية و الداخلية و المسالك حسب الحميري
مدن ساحلية
مدن داخلية
طرق بحرية
طرق برية
0 150 300 450 600
Kilometers

أما عن نظرة **الوزان(ت957هـ/1550م)**(1) و **مارمول كربخال(ت1009هـ/ 1600م)**(2)، للسواحل والمدن الساحلية في إفريقيا عامة والمغرب الأوسط خاصة، حيث قسم الوزان إفريقيا إلى أربعة أقسام أو أقاليم منها مملكة تلمسان ومنطقة بجاية التابعة لمملكة تونس، واعتبر ساحل البحر المتوسط يمتد من مضيق جبل طارق إلى تخوم مصر(3)، وسار على نهجه مارمول بعد أن اطلع على كتاب وصف إفريقيا؛ بل اقتفى أثره حذو النعل بالنعل، ونقل منه فصولا كثيرة حرفا بحرف(4)، رغم أن مارمول كان أكثر تنظيما وترتيبا للمدن الساحلية منطلقا من الغرب إلى الشرق، لهذا سنعتمد على أقوال الوزان مع تقديم إضافات مارمول فقط، لأن كتاب الوزان المطبوع مبتور منه القسم المتعلق بتاريخ الإسلام الذي أحال عليه كثيرا في الأقسام الباقية، إضافة إلى اعتبار البعض أن كتاب مارمول يصلح كذيل مكمل لكتاب الوزان، متفردا في بعض مشاهداته وملاحظاته.

---

1) ينتسب الحسن بن محمد الوزان–الوزان لقب أسرته مما يدل على أن أحد أجداده شغل وظيفة في مصلحة الموازين العامة– إلى قبيلة بني زيات الزناتية الواقع موطنها في أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف المغربية، ولكن أسرته هاجرت واستقرت لفترة في غرناطة حيث ولد الوزان قبل سقوطها في يد الإسبان، ويختلف المؤرخون في تاريخ ولادته فيجعلها بعضهم عام901هـ/1495، وبعضهم يجعلها عام 906هـ/1500م، ولكن الأقرب للواقع هي عام 888هـ/1483م أي قبل سقوط غرناطة بعشر سنوات، لأنه لا يستقيم بأن يدخل الحياة السياسية كسفير ثم في سن الثانية عشر، وانتقل مع أسرته صغيرا إلى فاس حيث درس وتعلم، وكسب نبوغا مبكرا، في عصر التفكك والاحتلال البرتغالي والاسباني لأراضي المغرب، وفي إحدى تنقلاته بين البلاد الليبية والتونسية للرجوع إلى المغرب نجده في عام 926هـ/1520م وقع أسيرا في أيدي القراصنة الايطاليين بالقرب من جزيرة جربة وأخذوه إلى نابولي ثم قدموه هدية إلى البابا" ليون العاشر(1475-1521م)Léon X, jean Médicis في روما، وهو من باباوات عصر النهضة، فتكفل به واهتم بشأنه، كما غير له الاسم إلى جون ليون أو يوحنا الأسد الغرناطي أو الإفريقيleo africanus ، وبعيدا عن تنصره أو بقائه على الدين الإسلامي، ما يهمنا هو هربه في ظروف غامضة بين عام 1528 و 1530م، والتحق بتونس حيث عاد إلى حياته الإسلامية، ولا ندري هل بقي بتونس أم عاد إلى أهله بفاس، كما لا نستطيع تحديد تاريخ ومكان وفاته إلا تقريبيا فقط حوالي عام957هـ/1550م أو 944 هـ.**مقدمة المترجم وصف إفريقيا، ج1، ص5–14**؛ **ومحمد المهدي الحجوي: حياة الوزان الفاسي وآثاره، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1935، ص5–30**.

2) ولد بغرناطة في أوائل القرن السادس عشر(حوالي927هـ/1520 م)، كان ابنًا غير شرعيا للقاضي الأكبر بيدرو دل مارمول والذي اعترف به في 1528، وخرج من مسقط رأسه وهو حديث السن، فسار في جيش الإمبراطور شارلكان نحو تونس سنة942هـ/1535م، وبعد مغادرة الأسطول الإمبراطوري لتونس بقي مارمول في شمال إفريقيا يقوم بالجوسسة لصالح الإمبراطور، وبقي نحو 22 سنة، أسر خلالها من طرف السعديين لمدة سبعة أعوام وثمانية أشهر، وقد أتم مارمول كتابه إفريقيا سنة979هـ/1571م بعد إن اطلع على كتاب وصف إفريقيا للوزان ونسج على منواله، **مقدمة مترجم إفريقيا لمارمول كربخال" محمد حجي وآخرون، ج1، ص4**

3) حسن الوزان: وصف إفريقيا، ج1، ص71؛ **ومارمول: إفريقيا، ج1، ص27**.

4) مقدمة مترجم إفريقيا لمارمول، ج1، ص6.

وما دعّم الوزان في كتابه هذا هو كثرة رحلاته وتنقلاته نظرا لنشاط أسرته الدبلوماسي والتجاري(والده كان يجمع الضرائب لصالح السلطان) مما دفعه للقيام برحلات عديدة داخل المغرب وخارجه، وتسجيل مشاهداته في مذكرات شبه يوميات غدت على ما يظهر أساس كتابه الجغرافي[1].

وينفرد الوزان الفاسي في وصفه لإفريقيا بربط الذاكرة المدينية والثقافية بالماضي الإفريقي واللاتيني، مما جعله يخفف من القطيعة الابستمولوجية عن الماضي المغاربي الناتج عن أسلمة الذاكرة الجماعية لمدن بلاد المغرب[2].

وعند تفصيله في هذه الممالك جاء تحديده لمملكة **تلمسان** من واد ملوية غربا، إلى الواد الكبير"الصومام"شرقا وصحراء نوميديا جنوبا، حيث كانت تحمل في القديم مملكة قيصرية، عندما كانت خاضعة للرومان والآن-عهد الوزان-هي لملوك بني عبد الواد[3].

وتمتد مملكة تلمسان على مسافة ثلاثمائة ميل من الشرق إلى الغرب، لكنها تضيق جدا من الشمال إلى الجنوب؛ إذ لا تتعدى المسافة خمسة وعشرين ميلا في بعض النقاط من البحر المتوسط، إلى تخوم الصحراء النوميدية، لهذا كانت هاته المملكة تتضرر كثيرا من تعسفات الأعراب القاطنين بالجزء المجاور للصحراء[4]، وهذا يبين تسلط الأعراب والوضعية التي آل إليها بلاد المغرب الأوسط بعد سيطرتهم على أغلب مناطقه من تفكك وتدهور للوضع الاقتصادي والسياسي.

وتلمسان مدينة كبيرة، وهي عاصمة المملكة كانت مدينة صغيرة وبدأت تزدهر إثر تخريب مدينة أرشكول، وتوسعت أيام بني عبد الواد حتى أصبح فيها ستة عشر ألف كانون على عهد الملك أبي تاشفين(718-737هـ/1318م-1337م)[5]، وفيها فنادق على النمط الإفريقي، منها اثنان لمقام تجار جنوة والبندقية[6]، وحارة

---

1) مقدمة المترجم وصف إفريقيا، ج1، ص7-8.

وصف إفريقيا كتاب في الجغرافيا العامة، ألفه الوزان بالعربية ثم ترجمه المؤلف إلى اللغة الايطالية، وأتمه سنة 933هـ/1526م بمدينة روما، حيث اعتذر المؤلف عما يمكن أن يقع فيه من أخطاء خاصة أثناء النقل لأنه مر عليه عشر سنين منذ تأليفه الأول، ولم يطلع أثناءها على أي كتاب في التاريخ أو الجغرافيا وإنما اعتمد على ما علق بذهنه مما رآه قبل هذه المدة الطويلة. **مقدمة المترجم وصف إفريقيا، ج1، ص14-15**.

2) علاوة عمارة: المغرب في عهد الوطاسيين، من خلال وصف إفريقيا للحسن الوزان، منشورات جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، سلسلة دراسات وأبحاث تاريخية 1، 2011، ص66.

3) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص7.

4) نفسه، ج2، ص8.

5) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص17.

6) **البندقية**: تأسست في القرن الخامس الميلادي على شواطئ الأدرياتي الشمالية، وأسسها بعض سكان أوربا الفارين من غارات الهون أثناء اكتساحهم لوسط القارة الأوربية وشمال شرقي إيطاليا. وأصبحت مدينة البندقية في القرن الحادي عشر الميلادي تتكون من سبع عشرة ومئة جزيرة تربط بعضها

تضم نحو خمسمائة دار لليهود، كلهم تقريبا أغنياء[1]، وتجارها أناس مخلصون وأمناء وأهم أسفارهم كانت نحو بلاد السودان[2]، أي أن تلمسان كانت منطقة وصل وعبور للسلع القادمة من أوروبا نحو السودان والعكس.

كما أن تلمسان تشكل مرحلة بين أوروبا وبلاد السودان[3]، مما جعل الملك يستفيد من أموالٍ كثيرة من دخول البضائع وخروجها، لاسيما منذ أن احتل المسيحيون وهران، وفي ذلك الوقت رأى الملك أن يفرض ضرائب ورسوما تجارية على تلمسان، وكانت معفاة منها أيام الملوك السابقين[4]، كان هناك مركز"ديوانة"في وهران تستخلص فيه هذه الواجبات، لأن سفن البندقية كانت ترسو فيها كل سنة قصد الاتجار، إضافة إلى ديوانة الجزائر، ولا تملك إفريقيا ولا أوروبا أبوابا غنية كبابي الجزائر"باب البحر وباب البر" لأن الميناء عادة يكون غاصا بالسفن المسيحية التي يسوقها القراصنة محملة بالناس والبضائع، وتدخل من باب البر باستمرار أعداد كثيرة من الجمال المحملة بكل ما هو نفيس في بلاد البربر ونوميديا[5].

ويضيف الوزان في كتابه وصف إفريقيا[6] أن لمملكة تلمسان ميناءين مشهورين هما ميناء **وهران** وميناء **المرسى الكبير**[7]، وكان يختلف إليهما كثيرا من تجار جنوة والبندقية حيث يتعاطون تجارة نافقة عن طريق المقايضة؛ غير أن هذين الميناءين سقطا في يد الملك الكاثوليكي فرناندو[8]، ويضيف مارمول بأن مرسى وهران لا يبعد عن المدينة إلا بقدر مرمى حجر[9].

ببعض الجسور والقناطر، وأصبح لها أسطول تجاري وحربي ضخم. **فاروق عثمان أباضة: العلاقات الاقتصادية بين الإسكندرية والبندقية، ضمن مؤتمر الإسكندرية الدولي الأول حول التبادل الحضاري بين شعوب حوض البحر المتوسط عبر التاريخ، 15–19 يناير1994، ص214.**

1) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص20؛ **ومارمول: المصدر نفسه، ج2، ص298.**

2) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص21.

3) يذكر مارمول:أن طائفة التجار في تلمسان طيبون أوفياء في تجارتهم معتزون بالنظام والحضارة وحسن التدبير، مهذبون مع الأجانب، وأهم تجارتهم في غينيا حيث يحملون بضاعتهم كل سنة ويأتون منها بالتبر والعنبر والمسك و أشياء أخرى، ويتجرون بالتبادل محققين كثيرا من الربح حتى لا تكفي رحلتان أو ثلاث. **إفريقيا، ج2، ص300.**

4) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص23.

5) مارمول: المصدر نفسه، ج2، ص302.

6) لقد استبدل الوزان مصطلح المغرب بنظيره إفريقيا في ظروف لا يشرحها، ولكن يظهر أنه استعمل مصطلحا رائجا في الكتابات اللاتينية للدلالة على بلاد المغرب. **علاوة عمارة: المغرب في عهد الوطاسيين، ص72.**

7) يذكر مارمول أنه من بناء الرومان على هيئة قلعة محصنة على ساحل البحر المتوسط على فرسخ واحد من وهران من جهة الغرب. **إفريقيا، ج2، ص327.**

8) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص9.

9) إفريقيا، ج2، ص329

ويتسع المرسى الكبير لعدد ضخم من القوادس والسفن، لا تناله الرياح والعواصف من أي جهة من الجهات، كانت ترسو به كل عام السفن الضخمة القادمة من البندقية وغيرها من بلاد أوروبا حاملة البضائع التي تنقل بعد ذلك على قوارب إلى وهران، حيث تنفق تجارتها[1] وهنا نستنتج تراجع ميناء هنين في هذه الفترة أمام تصاعد مكانة ميناء المرسى الكبير ومرسى وهران، حيث يتبين أن لهما تجارة نافقة ومزدهرة مع تجار جنوة والبندقية.

ويمكن أن تكون التجهيزات البحرية"كواسر الرياح ومصدات الأمواج"التي ذكرها مرمول[2]، تعود إلى فترة الزيانيين حيث في السابق كان يوصف بأنه غير محمي من الرياح ليتحول بعد القرن التاسع إلى ميناء محمي وآمن خاصة على مستوى الرصيف الموجود أمام المدينة.

كما أن الوزان وصف مدينة وهران بأنها"محاطة بأسوار عالية"[3] وهو دليل على تحصينها بقدر كاف عكس الفترة الوسيطة الأولى"المرابطية والموحدية حيث كان سورها من تراب"[4] وهذا دليل على تطور مكانة وأهمية مدينة وهران.

ثم يبدأ الوزان في التفصيل في مدن ومراسي المملكة التلمسانية مبتدئاً بمدينة **ندرومة**؛ التي ذكر أنها أسسها الرومان قديما عندما كانوا يحكمون المنطقة، وبنوها على بقعة واسعة في سهل، بعيدة بنحو ميلين من الجبل واثني عشر ميلا من البحر المتوسط، وأن اسم ندرومة مشتق من كلمة ند لروما أي تشبه روما[5]، وجل سكانها تجار مع الجزائر وتلمسان، ويقدمون بعض الهدايا إلى الملك من أجل حرية هذه التجارة[6]، ودعمنا مارمول بهذه المعلومة حول وجود خط تجاري رابط بين ندرومة وتلمسان وهو خط داخلي بري والخط الثاني بين الجزائر وتلمسان، وخط بحري كما يبن لنا كلامه دفع تجار ندرومة هدايا لملوك الزيانيين.

---

1) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص327.

2) نفس المصدر والصفحة.

3) وصف افريقيا، ج2، ص31.

4) نزهة المشتاق، ج1، ص252؛ **والحميري: المصدر السابق، ص612**.

5) لم يعثر على آثار رومانية في ندرومة بل الاسم الذي تحمله هو اسم لقبيلة كومية القديمة القاطنة في نفس الناحية. **البيذق: أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1971، ص56**.

ويقول ابن خلدون:كومية وهم المعروفون قديماً بصطفورة إخوة مطاية ومضغرة، وهم من ولد فاتن كما قدمنا، ولهم ثلاث بطون منها تفرعت شعوبهم وقبائلهم وهي ندرومة وصفاره وبنو يلول. **العبر، ج6، ص165–166، وعبد الحميد سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي، ج1، ص95**.

6) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص295.

ويفصل الوزان في مدينة **تبحريت** التي يذكر بأنها مدينة صغيرة بناها الأفارقة[1]، لكن مارمول يخالفه الرأي ويذكر أنها من تأسيس الرومان[2]، وهو بذلك يخالف من سبقه من الجغرافيين كالإدريسي الذي يذكر بأنها مستقر قبائل مدغرة[3]، وهي تفضي إلى مدينة هنين على شاطئ البحر، سكانها قليل منذ أن احتل الإسبان مدينة هنين هربوا خوفا منهم[4].

ثم انتقل الوزان إلى مدينة ومرسى **هُنين**، وقال عنها:"مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة"[5] وهي أنيقة للغاية لها ميناء صغير محروس ببرجين؛ كل واحد منهما في جهة، وتحيط بها أسوار عالية متينة، لاسيما من جهة البحر، وتأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان، إذ لا يفصل بين هذه المدينة وهنين سوى أربعة عشر ميلا[6]، وهي تقابل مدينة ألمرية[7] أي أن ميناء هنين كان يمثل ميناء تصريف المنتوجات لتلمسان ونقلها أيضا إلى المدن الأخرى خاصة منها جنوة والبندقية.

ولما احتل المسيحيون وهران لم يعد البنادقة[8] يقصدونها لكونها مليئة بالجنود الإسبان، فطلب منهم أهل تلمسان أن يأتوا إلى هنين، وكان سكان هنين في القديم نبلاء شرفاء يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات، ولكن عندما بلغ السكان خبر احتلال وهران تركوا جميعا المدينة فأصبحت خاوية على عروشها، إلا ما كان من ملك تلمسان الذي يرسل إليها أمير قصر يقيم بالقلعة مع المشاة لا لغرض إلا ليخبر الملك بوصول السفن التجارية[9].

---

1) وصف إفريقيا، ج2، ص14.

2)إفريقيا، ج2، ص296، رغم الأبحاث والنقيبات الأثرية لم يعثر على بقايا أو آثار تدل على الاستقرار أو التوطين الروماني بتبحريت.

3)نزهة المشتاق، ج2، ص534.

4) نفسه، ج2، ص296.

5) إن الهوية الإفريقية المعبر عنها في كتاب الوزان لا يمكن ربطها فقط بالعنصر المحلي البربري وإنما بمختلف المكونات البشرية التي سكنت المنطقة بما في ذلك العنصر العربي.**علاوة عمارة: المغرب في عهد الوطاسيين، ص71**.

6) بل 34 ميلا حسب المترجم.**الوزان: المصدر السابق، ج2، ص15، الهامش20**.

7) مارمول: المصدر نفسه، ج2، ص296.

8) يذكر مارمول كربخال:"أن طمع سكان هنين تسبب في خرابها لأنهم لم يكتفوا بتجارتهم بل آووا القراصنة وخرجوا معهم لشن الغارات على شواطئ إسبانيا فاضطر شارل الخامس إلى أن يبعث إليها دُم ألفاري بسان قائد أسطوله الذي احتلها سنة 1533م، ووضع فيها حامية".**إفريقيا، ج2، ص296**.

9) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص15.

ونستنتج من هذا الكلام أن ميناء هنين كان كذلك ميناءا عسكريا وهذا لعدة اعتبارات منها وجود دار للصناعة، واحتواؤها على تحصينات عسكرية، منها أسوار عالية جهة البحر(1).

ويذكر الوزان أنه كان مع أحد كتاب ملك تلمسان جاء لاستلام ضرائب من سفينة جنوية حملت من البضائع ما يموّن تلمسان لمدة خمس سنوات، وبلغت قيمة الرسوم التي قبضها الملك خمسة عشر ألف مثقال ذهبا مسكوكا أرانيها الكاتب(2)، وهي شهادة حية بأن هناك تجارة مزدهرة بين الجنويين وتلمسان عن طريق ميناء هنين إضافة إلى أنها شهادة مهمة بأن هناك ضرائب تدفعها السفن الجنوية لملك تلمسان مقابل التجارة، كما يبين لنا الوزان أنه كتب ملاحظاته عن تلمسان ومدنها من المشاهدة العينية.

أما عن ميناء **أرشقول** فاعتبره مدينة كبيرة قديمة بناها الأفارقة على صخرة يحيط بها البحر من كل جانب، ما عدا الجنوب حيث يوجد طريق ينزل من الصخر إلى اليابسة وهي واقعة على بعد نحو أربعة عشر ميلا من تلمسان كانت مدينة في غاية العمران والحضارة ودار إمارة إدريس عم إدريس مؤسس مدينة فاس(3)، لكنها خُرِبت من قبل خليفة القيروان الشيعي، وبقيت مأوى للوحوش أكثر من مائة وعشرين سنة إلى أن عبر المنصور بن أبي عامر إلى إفريقيا أعاد بناءها، ثم استولى المرابطون عليها فخربوها، وأعاد الموحدون بناءها، فجاء المرينيون وخربوها، وهي على هذا الحال الآن(4)، وما يهمنا من هذه الملاحظات القيمة أن أرشقول تراجع دورها بعد أن كانت مدينة كبيرة ومهمة في الماضي لصالح وهران والمرسى الكبير.

كما أن إشارة الوزان بأن أرشقول جزيرة موصولة باليابسة من جهة الجنوب يفتح علامة استفهام عن تطور البنيان فيها حيث أن كل الجغرافيين السابقين يعتبرونها جزيرة معزولة، مما يوحي لنا بوجود طريق مبني أو مضاف لربط الجزيرة باليابسة وهو رصيف يساهم في رسو السفن وكسر الرياح والأمواج، خاصة في العهد الزياني حيث أصبحت لها شأوة كبيرة خاصة بقدوم الأندلسيين.

ثم فصّل الوزان نوعا ما في مدينة **وهران** نظرا لمكانتها وأهميتها في هذه الفترة التي جعلتها محط أنظار المستعمر الاسباني، فقال عنها: "مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة الأقدمون"(5) على شاطئ البحر المتوسط بعيدة بنحو مائة وأربعين ميلا من تلمسان، وبها حمامات وفنادق محاطة بأسوار عالية جميلة(6)، وكلام الوزان هذا

---

1) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص16؛ **والأسعد شوشان: المرجع السابق، ص169**.

2) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص16.

3) نفس المصدر والصفحة.

4) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص297-298.

5) ذكر مارمول اسمها الروماني أونيكاكولونيا. **إفريقيا، ج2، ص329**.

6) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص30.

يبين لنا قلة معلوماته حول وهران وتاريخها حيث كانت قرية بربرية صغيرة اسمها إيفري-أي الكهف- ثم وسعها الأندلسيون، عام290هـ/873م[1]، كما يبين لنا كلامه أنها مدينة ساحلية كبيرة ومهمة، بها فنادق للكتالونيين والجنويين مما يبين مكانتها التجارية.

كانت وهران مهبط التجار الكتالونيين والجنويين، ومازالت بها الآن-عصر الوزان-دار تسمى دار الجنويين، لأنهم كانوا يقيمون بها، وكان الوهرانيون دائما أعداء لملك تلمسان، لم يقبلوا قط أي وال من ولاته، ما عدا أمينا للمال وقابضا يستلم مداخيل الميناء، كما كان التجار فيما مضى يجهزون على الدوام سفنا شراعية وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة، ويجتاحون سواحل قطلونية وجزر يابسة ومنورقة وميورقة، حتى أصبحت المدينة تزخر بالأسرى المسيحيين[2]، وهذه أيضا شهادة حية للوزان عن وجود دار أي فندق للكتالونيين، كما يبرز لنا العلاقة المتوترة بين وهران وتلمسان، وانحصارها في مداخيل الميناء التي يبدو أنها كبيرة، كما أن سكان وهران يمارسون القرصنة بشكل كبير ويجهزون السفن لهذا الغرض، حتى أصبحت وهران كثيرة الأسرى المسيحيين.

وقد أرسل فرناند ملك إسبانيا أسطولا كبيرا إلى وهران لمحاربة أهلها وتخليص المسيحيين من القرصنة والضرائب، فانهزم الأسطول، ثم أعاد الملك الكرّة بعد شهور و تمكن من احتلال وهران سنة916هـ/1515م[3].

أما عن **المرسى الكبير** فيقول عنها الوزان مدينة صغيرة أسسها في عصرنا ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط بعيدة ببضعة أميال عن وهران، ومعناها الميناء الكبير، لأن هناك ميناء ما أظن أن في الدنيا أكبر منه، يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية، في مأمن من كل عاصفة وإعصار، وكان من عادة سفن البنادقة أن تلجأ إلى المرسى الكبير عند اكفهرار الجو، وترسل بضائعها في قوارب إلى وهران، وإذا كان الجو صحوا قصدت ساحل وهران مباشرة، وقد استولى الإسبان عنوة على المرسى الكبير قبل سقوط وهران ببضعة أشهر[4]، وهذا يبين المكانة التي أصبح يتمتع بها المرسى الكبير حيث برز على الساحة المتوسطية بنشاطه ولم يكن المرسى الكبير بهذا الشأن قبل هذه الفترة.

---

1) البكري: المصدر السابق، ص70؛ **وأحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص245، وما بعدها.**

2) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص30.

3) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص30-31.

الصحيح أنه كان احتلال الإسبان لوهران يوم الجمعة 28محرم915هـ/8 ماي 1509م. **أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1976، ص110 وما بعدها.**

4) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص31.

لقد احتل الإسبان المرسى الكبير بقيادة الدون دييكودي قرطبة يوم 24 جمادى الأولى عام 911هـ/23أكتوبر1505م .**أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة، ص96-102.**

ويذكر مارمول مدينة **وميناء أرزيو** الذي يقع شرق وهران وهو من بناء الرومان، كانت مدينة كبيرة وكثيرة السكان؛ ولكنها تعرضت للتخريب من قبل العرب الفاتحين، ومرساه آمن من رياح الشرق ورياح الشمال، وبها آبار لمياه الشرب، تقصدها القراصنة بغرض الاستسقاء، وقبالة هذا المرسى يوجد مرسى أرزيو الجديد كان يرسو به عدد من سفن النصارى محملة ببضائع أوروبا على عهد بني زيان[1]، ونحن نعلم بأن الميناء مفتوح على الرياح الشمالية التي تشكل عليه خطراً وهو ما يؤكد وجود كاسرة أمواج محاذية للساحل جهة الشمال الشرقي لميناء أرزيو.

أما عن **مزكران** أو مزغران[2] فيذكر عنها الوزان بأنها مدينة صغيرة بناها الأفارقة على شاطئ البحر المتوسط، قريبا من مصب نهر الشلف في البحر[3]،وكان القدماء يسمون مرساها بمرسى الآلهة[4]، وكان عامرا بالتجارة والصناع المياسير[5] وهي كثيرة السكان مصونة لكنها متعرضة كثيرا لتعسفات الأعراب[6]، ويبدو أن أول من ذكرها البكري تزامنا مع ازدهار الملاحة الأندلسية، أما إشارة الوزان ومارمول فهي تحيلنا إلى ازدهار التجارة الأوروبية.

ومباشرة بعد مزكران ينتقل للتفصيل في مدينة **مستغانم**، التي بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط، على بعد نحو ثلاثة أميال شرقي مزكران في الضفة الأخرى، وكان لها في القديم حضارة كبيرة وسكان كثيرون، لكن الأعراب يكثرون من مضايقتها منذ أن بدأت سلطة ملوك تلمسان تضعف ولها ميناء صغير كثيرا ما تقصده السفن الأوروبية لكن أصحابها لا يحققون أرباحا مهمة لشدة فقر السكان[7]، وبالتالي يبين لنا تأثير الأعراب السلبي على البنية الاقتصادية والاجتماعية للمنطقة، متمثلة في الإغارات والضرائب وهجرة السكان وانتشار الفقر.

وهنا نلاحظ مرور الوزان إلى مدينة برشك دون الإشارة إلى مدينة وميناء تنس، ليعود إلى ذكرها فيما بعد ولكن باحتشام، مما يبين تضاؤل أهميته خلال هذه الفترة.

كما أن المتصفح لكتاب الوزان يتبين له جليا أن الشبكة الحضرية لبلاد المغرب تتمركز بالأساس في بلاد المغرب الأقصى، ثم تليه بلاد تلمسان وتونس، وهنا يظهر التصور غير المتساوي للحواضر المغربية، لسبب بسيط

---

1) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص349.

2) أول من أشار إليها من الجغرافيين هو **البكري**: **المصدر السابق، ص69**.

3) حاليا مزغران توجد على بعد كيلومترين شرق الساحل، و18 كلم جنوب مصب الشلف.**محقق كتاب الوزان، ص32، الهامش43**.

4) لقد أخطأ مرمول في هاته التسمية حيث كانت تطلق على وهران أو المرسى لكبير. لاحظ ما شرحناه سابقا عن مدينة وهران.

5) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص349.

6) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص32.

7) نفسه، ج2، ص32؛ لكن مارمول يعتبر ميناء مستغانم مرسى جيد لكنه بعيد قليل عن المدينة. **إفريقيا، ج2، ص350**.

وهو معرفة المؤلف الدقيقة بحواضره الغربية أكثر من مثيلاتها الشرقية، إضافة إلى عوامل أخرى مرتبطة بالموروث التاريخي والوضعية الحضرية المعاصرة لزمن المؤلف[1].

و يشرح الوزان بنوع من التفصيل مدينة **بْرِيشْك**[2]، التي بناها الرومان على ساحل البحر المتوسط، بعيدا عن مستغانم بعدة أميال، وينقل عن أهل بريشك التين والكتان بحرا إلى الجزائر العاصمة وبجاية وتونس، ويستفيدون من ذلك ربحا حسنا[3]، كما تحمل إلى تنس وقسنطينة[4]وهو ما يبين وجود خط بحري مباشر بين تنس الجزائر وبريشك، ومنها إلى بجاية وقسنطينة ثم تونس.

ونلاحظ توزع المدن التي يذكرها الوزان عدة أصول تراوحت بين الموروث الإفريقي أو النوميدي والموروث الروماني والقوطي، والمساهمة الإفريقية الحديثة في ظل الإسلام، وبعض الحواضر مجهولة الأصل، ورغم أن الدكتور علاوة عمارة يذكر أن الأصل المحلي الإفريقي يأتي في الطليعة[5]، إلا أن ذلك لا ينطبق على المغرب الأوسط حيث يأتي الأصل الروماني في الطليعة، رغم الأخطاء التي وقع فيها الوزان في أصل المدن[6]، مما يبن لنا التمركز الكبير للرومان في المغرب الأوسط أكثر من المغربين الأدنى والأقصى.

ومن بريشك إلى مدينة **شرشال** وهي مدينة كبيرة جدا وأزلية، شيدها الرومان كذلك على ساحل البحر المتوسط، وكانت دائرتها في القديم تكاد تبلغ ثمانية أميال، وهو طول سورها الشاهق، وكان هناك فيما مضى من الزمن قلعة عظيمة قائمة على صخرة يراقب منها البحر على مسافة بعيدة، ثم هجرت أثناء الحروب القائمة بين ملوك تلمسان وملوك تونس، وبقيت خالية زهاء ثلاثمائة سنة حتى سقوط غرناطة في أيدي المسيحيين، فقصدها

---

1) علاوة عمارة: المغرب في عهد الوطاسيين، ص76-77.

2) لم يبق لبريشك أثر حيث هدم سورها زلزال عام1531م وكان عدد سكانها حتى1533م يبلغ السبعمائة.**محقق كتاب الوزان، ص32، الهامش46**، وكان أول من ذكرها ابن حوقل باسم برشك.**المصدر السابق، ص78**. وذكر الإدريسي اسمها القديم في العصر الروماني جونوجو. **الإدريسي**: **نزهة المشتاق، ج1، ص257**؛ **والمغرب، ص88**؛ أما مارمول فيسميها بريشكار.**إفريقيا، ج2، ص355**.

3) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص32-33.

4) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص355.

5) اعتمد علاوة عمارة على دراسة أعدها إيميل فليكس غوتيه بعنوان :

Emile Félix Gautier ; L'islamisation de l'Afrique du Nord ; les siècles obscurs du Maghreb, payot. paris 1927.

6) إن القول بالأصل الروماني لعدد كبير من المدن تناقضه النصوص التاريخية القديمة والمخلفات الأثرية، ولعل أحسن مثال على ذلك مدينة قسنطينة العاصمة النوميدية باسمها القديم "كيرتا" أو مدينة شرشال باسمها البوني"أيول" ذات الأصول القرطاجية، وكل هذه أسماء حرفت إلى اللاتينية بعد بناء مستعمران رومانية على أنقاضها، أو بسبب الحفريات الإيديولوجية في بداية القرن العشرين الذي قام بتدمير عدد كبير من المدن في سبيل البحث عن آثار روما المنتصرة واثبات رومانية المغرب .**علاوة عمارة: المغرب في عهد الوطاسيين، ص78، 79**.

الغرناطيون إذ ذاك وأعادوا بناء عدد مهم من دورها، ثم صنعوا كثيرا من السفن للملاحة[1]، وهي بين مدينة تنس ومدينة الجزائر تفصلها نفس المسافة المقدرة بخمسة عشر فرسخا في البر، أما عن طريق البحر فلا تصل المسافة بينهما إلى عشرة فراسخ[2] أي أن مدينة شرشال تم إعادة ترميمها من قبل الأندلسيين المهاجرين إليها.

كما اتفق مارمول مع الوزان في احتواء شرشال على قلعة هامة "قلعة رائقة" وحافظت على جدران أسوار قيصرة القديمة البحرية، ونجد في بداية العصر الحديث أن الأميرال الاسباني فرديناند سنة937هـ/1531م بعد سيطرته على جيجل يرمم القلعة ويصلح السور[4].

كما يذكر مارمول مدينة ساحلية أخرى لم يتطرق لها الوزان وهي **مدينة قيصرية** أو كما يسميها الأفارقة تاقدمت أي المدينة القديمة وهي شرق شرشال في خليج يتوغل فيه البحر بين مرسى الجبل ومرسى الاختصاص، بناها الأفارقة القدماء، وبها غابة تدعى غابة المومس تقطع منها الأخشاب التي تحمل إلى الجزائر بقصد صنع السفن، لكنها خربت في عهد القائم الفاطمي[5]، بذلك يقدم لنا معلومات عن قيصرية لم يذكرها قبله سوى الرقيق القيرواني، وهو يبين لنا العلاقات التجارية بين قيصرية وشرشال وتنس والجزائر عبر الطريق الساحلي.

وينتقل الوزان إلى مدينة **مليانة** التي لم يتوسع في تفصيلاتها مذكرا بأنها مدينة قديمة جدا بناها الرومان، وأطلقوا عليها اسم ماكنانة لكن العرب حرفوا الاسم، وهي تقع في قمة الجبل على نحو أربعين ميلا من البحر أي عن شرشال[6]، وتبعد عن الجزائر بخمسة عشر فرسخا غربا[7] أي أن مليانة مدينة داخلية تربط الساحل بالمدن الصحراوية والداخلية الأخرى، كمدينة شرشال وميلة وصولا إلى تيهرت أو المسيلة.

1) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص34.

2) مارمول: المصدر نفسه، ج2، ص355.

والأسعد شوشان: المرجع السابق، ص341.

4) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص355-356.

5) نفسه، ج2، ص349.

6) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص34-35.

وقد ذكر **أحمد توفيق** المدني أن مليانة من تأسيس الملك الصنهاجي بلقين بن مناد في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي. **كتاب الجزائر، ص240**.

7) مارمول: المصدر نفسه، ج2، ص359.

لينتقل إلى مدينة **تنس** التي وصفها بالأزلية والتي بناها الأفارقة وأنها في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط، وقد آلت إلى أحد الأخوين التركيين بربروس"خيرالدين"(1)، ونلاحظ أن الوزان لم يفصّل كثيرا في تنس وأهميتها الساحلية والتجارية، ربما لتراجع دورها خلال هذه الفترة.

لكن مارمول وضح نوعا ما بأنها على نصف فرسخ من البحر، وهي في منتصف الطريق بين مدينة وهران ومدينة الجزائر، وتبعد عن كل منهما بثلاثين فرسخا، وسكانها لهم تجارة واسعة مع الأجانب ومع الجزائر، وتوجد قبالة المدينة جزيرة صغيرة تحتمي عندها السفن إبان هبوب العواصف، إذا تعذر عليها البقاء في المرسى(2).

وهناك مراس صغيرة تقع بعد مرسى **الجزائر** منها مرسى مدينة **يهور** التي أصبحت تسمى في عهده"مرسى الأخصاص"وبها مدينة للأول مازالت آثارها شاهدة(3)، ونلاحظ أن مارمول يشير إلى أحد المراسي التي اختفت أو اختفى اسمها وهو مرسى هور الذي ذكره البكري(4) والإدريسي(5)

أما عن مدينة **الجزائر**، والتي معناها الجزر وسميت بذلك لأنها مجاورة لجزر ميورقة ومنورقة واليابسة(7)، ولكن الإسبان يسمونها ألجي؛ والمدينة قديمة من بناء قبيلة إفريقية تدعى مزغنة فأطلق عليها القدماء هذا الاسم(8).

كانت الجزائر خاضعة لتلمسان مدة طويلة، لكنها استسلمت لملك بجاية حديثا–أي وقت الوزان–وبعد ذلك سلحوا سفنا وتحولوا إلى قراصنة، فصاروا يغيرون على جزر يابسة وميورقة ومنورقة، وحتى شواطئ اسبانيا، لذلك أرسل الملك الكاثوليكي فرديناند أسطولا عظيما لحصار الجزائر، فشيدوا قلعة جميلة كبيرة في جزيرة صغيرة مقابلة تماما

1) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص53-36.

2) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص354.

3) نفسه، ج2، ص362.

4) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**.

5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص273.

7) تأويل غير صحيح بل سميت باسم جزر صخرية كانت أمام مركز الجزائر حيث كانت تقيم قبيلة بربرية تدعى بني مزغنة فسمي المكان جزائر بني مزغنة، ثم نسي اسم القبيلة وبقيت الجزائر.**أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص206** وما بعدها.وقد ذكرنا هذه الجزر في الفصل التمهيدي وهي جزيرة بينيون والجزيرة الكبيرة والصغيرة، والجزيرة الشمالية .**علي عبد القادر حلمي: مدينة الجزائر، ص44**.

8) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص36.لكن مارمول يذكر أن الرومان كانوا يسمونها يوليا قيصرية على شرف يوليوس قيصر. **إفريقيا، ج2، ص362**.

للمدينة وقريبة منها[1]، ونستشف من كلامه أن المؤلف عاش فترة الصراع الحفصي الزياني على مدينة الجزائر، حيث في عصر الوزان انتقلت إلى مملكة الحفصيين، وقويت عملية القرصنة من قبل السكان الجزائريين على جزر البحر المتوسط وجنوب اسبانيا؛ مما جعل ملكها فردناند يحتلها ويبني عليها برج ألبينيون للمراقبة، وكان ذلك سنة916هـ/1510م، بقيادة الكونت بيدرو نفارو[2].

وينفرد مارمول بذكر مدينة ساحلية تدعى **ساسا** بين مدينة الجزائر وبين تمانتفوست على ساحل البحر المتوسط، كان عدد سكانها في القديم يزيد عن ثلاثة آلاف أسسها الأفارقة القدماء، وخربت من قبل قوم مزغان[3]، كما يذكر مدينة داخلية لم يشر إليها الوزان وهي مدينة **المهدية،** التي بناها الرومان وهي على بعد خمسة عشر فرسخا من مدينة الجزائر جهة الجنوب[4]، وهي من المدن التي تربط الساحل بالداخل خاصة مدينة المدية.

ومن الجزائر نصل إلى مدينة **المدية** التي بناها الأفارقة في تخوم نوميديا، على بعد نحو ثمانين ميلا من البحر المتوسط، إلا أن الأعراب يثقلون كواهلهم بالإتاوات ولا يستطيع ملك تلمسان أن يدافع عنهم[5].

ومن المدن الساحلية التي ذكرها الوزان مدينة **تمندفوست**[6]، وهي مدينة عتيقة بناها الرومان على شاطئ البحر المتوسط[7]، على بعد نحو اثني عشر ميلا من الجزائر، لها ميناء حسن يستعمله سكان الجزائر إذ ليس لهم غير مجرد شاطئ رملي، إضافة إلى أن ساحلها معرض لرياح هوجاء، وقد خربها الوندال[8].

وربما يحيلنا هذا الكلام على أن ميناء تمندفوست قد تطور وأصبح ميناء حسناً يستقبل رحلات السفن القادمة من وإلى مدينة الجزائر، مما يؤكد لنا أهمية البنية البحرية للمدينة، فصارت تكمل ميناء الجزائر رغم خطورتها بسبب تعرضه للرياح الغربية، التي حاولوا التصدي لها من خلال وضع كاسرة الرياح حتى يصبح كما ذكره الوزان ميناء حسنا.

1) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص38.

2) أحمد توفيق المدني:حرب الثلاثمائة، ص126 وما بعدها.

3) إفريقيا، ج2، ص371.

4) نفس المصدر والصفحة.

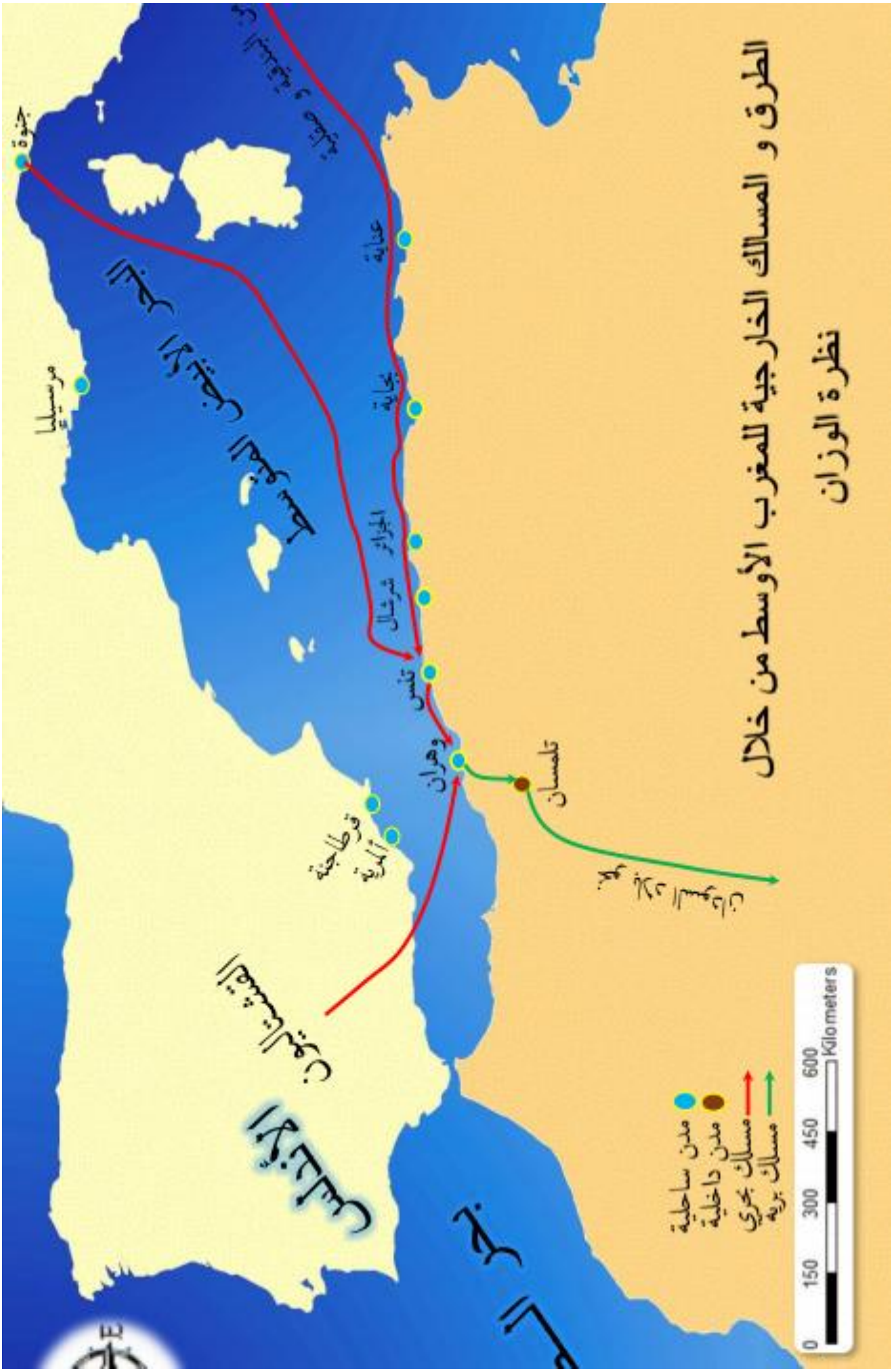
5) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص41؛ **ومارمول: المصدر السابق، ج2، ص373.**

والمدية مدينة رومانية اسمها لامبديا باسم قبيلة لمدية الصنهاجية، فخربت وجدد بناءها الملك بلقين بن زيري. **أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص236-237.**

6) ويسميها مارمول تمانتفوست

7) هي الخرائب الرومانية لمستعمرة روسكونيي، شرق شاطئ عاصمة الجزائر على بعد 27كلم منها.**محقق وصف إفريقيا، ج2، ص42، هامش71.**

8) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص42.


الطرق و المسالك الخارجية للمغرب الأوسط من خلال
نظرة الوزان
جنوة
مرسيليا
عنابة
بجاية
الجزائر
شرشال
تنس
وهران
تلمسان
قرطاجنة
المرية
مدن ساحلية
مدن داخلية
مسالك بحري
مسالك برية
0 150 300 450 600 Kilometers

ثم ذكر مدينة **دَلّس أو تدلس** وهي مدينة قديمة بناها الأفارقة على بعد نحو تسعة وثلاثين ميلا من شاطئ البحر، تحيط بها أسوار قديمة متينة[1]، وقد تعودوا جميعا اصطياد السمك بالشِباك فيحصلون على كمية وافرة منه لا تباع ولا تشترى، وإنما يهدونه لمن يرغب فيه، وتتبع دلس دائما عاصمة الجزائر في كل شيء حكومة وإمارة[2].

لينتقل الوزان في ذكر مدن مملكة تونس وعلى رأسها مقاطعة **بجاية** الكبيرة، حيث يقول عنها بجاية مدينة عتيقة بناها الرومان[3] في منحدر جبل شاهق على ساحل البحر المتوسط، تحيط بها أسوار عالية متينة، وتناهز كوانينها ثمانية آلاف، وبها حمامات وفنادق ومارستانات، وكان أهل بجاية على قدر عظيم من الغنى يسلحون العديد من السفن الحربية المختلفة ويرسلونها لغزو شواطئ اسبانيا، ومن ثم كان سقوط المدينة وإرسال الكونت بيير نافارو لاحتلالها[4]، وهي على بعد ثلاثين ميلا شرقي الجزائر، وعلى بعد اثني عشر فرسخا من جيجل في الجهة الغربية[5]، ولكن من خلال كلام الوزان نجده يحمل المسؤولية دائما للمدن الإسلامية في عملية الاحتلال الاسباني بسبب ممارستهم المتكررة للقرصنة دون أن يذكر أنها كانت رد فعل على القرصنة الأوروبية.

بل حتى أنه لجأ إلى اتهام سكان بجاية بالجبن، عندما جاءهم الكونت بيير نافارو وبعض سفن النقل[6] ففروا جميعا إلى الجبل، وعلى رأسهم الملك، حاملين معهم كل ما يملكون دون أن يمتشقوا حساما، وأخذ الكونت بيير المدينة ونهبها، ثم شيد بسرعة قلعة قرب البحر في موضع ملائم من الشاطئ، كما حصن قلعة قديمة مجاورة للبحر بجانب دار الصناعة[7]، وكلامه فيه تجني على السكان فكيف يفر ثمانية آلاف أسرة"كانون كما يسميها[8]"دون أن

---

1) أما مارمول فيذكر بأنها مدينة بناها السكان الأصليون. **إفريقيا، ج2، ص372**.

2) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص42.

3) في الحقيقة أول من بناها هم الفينيقيون وسموها صلدة، ثم احتلها الرومان ودعوها صلداي، وخربها الوندال، وجددها الناصر بن علناس عام468هـ، ودعاها الناصرية، ثم سميت بجاية باسم قبيلة بربرية تقطن حولها. **أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص196–197**، ثم احتلها الإسبان عدة مرات وخربوها بقيادة بدرو نافرو "بيير نافارو"سنة 1510م ثم استرجعها منهم باشا الجزائر صالح رايس عام 1555/962م. **مارمول: المصدر نفسه، ج2، ص378؛ وأحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة، ص119–125**.

4) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص42.

5) مارمول: المصدر نفسه، ج2، ص376.

6) الكونت بيير نافارو هو قائد القوات البحرية فكيف يأتي بسفن النقل وما غرضه من ذلك بل إذا رجعنا للمصادر وجدناها 20 سفينة حربية تحمل عشرة آلاف مقاتل تعززه مدفعية ضخمة وآلات عديدة وسلاح وفير.**أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة، ص120**.

7) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص51.

8) إذا اعتبرنا كل أسرة فيها سبعة أفراد وهو عدد متوسط، فسيكون عدد سكان بجاية 56 ألف نسمة، فكيف يتم فرارهم في ظرف قصير وأين سيتجهون؟.

يجد الإسبان أي أحد، كما فيه إبراز لوجود دار لصناعة السفن في بجاية، في نفس مكانها القديم وهو دليل على استمراريتها إلى غاية الفترة الحديثة.

أما عن جيجل فيسميها **بقصر جيجل** التي بناها الأفارقة(1) على صخرة عالية بشاطئ البحر، بعيدة عن بجاية بنحو سبعين ميلا، وفيه ما يقارب من خمسمائة كانون، ويكثر فيه الجوز والتين ويحملان إلى تونس في سفن صغيرة(2)، وهو كلام جميل يبرز فيه لنا وجود سفن صغيرة لنقل البضائع بين المدن الساحلية القريبة فيما بينها"التجارة الساحلية"أو مع البعيدة إلى تونس كما يرويها.

ثم تحدث عن مدينة **ميلة** الداخلية والتي لها مسالك وطرق تربطها بالمدن الساحلية وعلى رأسها جيجل، والمدن الداخلية وفي مقدمتها قسنطينة، حيث اعتبرها الوزان مدينة عتيقة بناها الرومان على نحو اثني عشر ميلا من قسنطينة وتضم زهاء ثلاثة آلاف كانون(3)، أي أنها مازالت مدينة صغيرة مقارنة بالحواضر الكبرى كبجاية وتلمسان والجزائر وقسنطينة.

ويستمر الوزان في سرد المدن الساحلية الشرقية للمغرب الأوسط ضمن مملكة بجاية، ليصل إلى مدينة **القل**، وهي مدينة كبيرة بناها الرومان(4) على ساحل البحر المتوسط عند قدم جبل شاهق، تجارتهم رابحة ويبادلون البضائع مع تجار جنوة الذين يحملون السلع إلى مينائهم، وتفصل بين القل وقسنطينة مسافة مائة وعشرون ميلا، وليس على ساحل مملكة تونس مدينة أغنى من القل، لأنها بدأت تحقق في تجارتها مع الجنويين أضعاف ما تعطيه إياهم، ثم تبيع بالتقسيط في الجبال المجاورة البضائع المأخوذة من الجنويين محققة بذلك أرباحا طائلة(5)، ونستنتج من كلامه هذا أن القل تربطها مسالك برية خاصة مع قسنطينة باعتبار القل ميناء منفذ ومصرف لسلعها، كما لها علاقات تجارية قوية مع تجار جنوة مما مكنها من تحقيق أرباح عظيمة.

كما يذكر مارمول مدينة **أشتورة** دون الوزان، مشيرا بأنها مدينة قديمة على مسافة أربعة عشر فرسخا من القل إلى جهة الشرق في خليج أشتورة، وفيها يوجد مرسى قسنطينة، وبينها وبين مرسى القل مرسى الجنويين، ومن عادة السفن أن ترسو به إذا قويت الزوابع لأنه مستور من رياح الشمال ومن الرياح التي تهب من الشرق وتعرف بريح

---

1) بناها القرطاجيون وسموها إيجيجلي، وأن بربروس لما جاء إنقاذ المسلمين من الإسبان اتخذها عاصمة له سنة 920هـ/1514م، وجيجل حاليا في شبه جزيرة منخفضة منبسطة بعيدة عن بجاية بنحو96كلم. **أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص216**.

2) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص51-52؛ **ومارمول: المصدر السابق، ج2، ص381**.

3) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص52؛ **ومارمول: المصدر نفسه، ج3، ص13**.

4) بناها الفينيقيون وسموها شولو، وقد احتلها نورمانديو صقلية ثم استولى عليها خيرالدين بربروس سنة1519م. **أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص234**.

5) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص54؛ **ومارمول: المصدر نفسه، ج2، ص362، ج3، ص6**.

الإغريق(1)، ونستنتج من كلامه أن مدينة قسنطينة الداخلية كان لها منفذ خارجي من خلال هذا الميناء، كما كان هذا الميناء مقصدا لسفن الجنويين من خلال تبادل مختلف السلع.

أما عن مدينة **سكيكدة** فيقول عنها بأنها مدينة أزلية بناها الرومان على ساحل البحر(2)، عند مصب وادي الصفصاف(3)، بعيدة عن قسنطينة بنحو خمسة وثلاثين ميلا(4)، وبما أن ميناءها جيد فقد أمر أمير قسنطينة ببناء منازل ومخازن للجنويين بها والذين كانوا يتجولون في البلاد، بل أنشأ قرية في أعلى الجبل يقيم بها الحراس على الدوام لاختبار السفن المتجهة إلى الميناء، يتجر سكان سكيكدة كثيرا مع الجنويين فيدفعون لهم القمح مقابل أقمشة وغيرها من منتجات أوروبا، ويمتد بين هذا الميناء وقسنطينة طريق مبلط بالحجارة(5)، وهنا يتضح لنا أهمية سكيكدة كميناء وكمدينة سواء في علاقاتها التجارية مع الجنويين، أو مع المدن الداخلية كقسنطينة وتونس.

وعليه فقد عرف ميناء سكيكدة إعادة إعمار خلال الفترة الحفصية المتأخرة(6)، من خلال إنشاء عامل قسنطينة منارة مزودة بحراس ومراقبة في أعلى الجبل المطل على سكيكدة،

خاصة أنه ذكر النهر الذي يمر بمحاذاة قسنطينة ليصب شرقي المدينة في البحر وصفا يطابق وادي الصفصاف(8)، كما نتساءل هل كان إحياء الميناء ترميماً للميناء القديم؟ أم إعادة كلية له؟ والاقتراح الأول هو الذي نرجحه نظرا لذكر جميع المصادر أنه ميناء قديم أعيد تفعيله.

---

1) المصدر السابق، ج3، ص6.

2) ذكر مارمول أن بطليموس جعلها عند تسع وعشرين درجة طولا واثنين وثلاثين دقيقة عرضا وأن اسمها عنده طاكسي. **إفريقيا، ج3، ص7**، والحقيقة كما رأينا في الفصل التمهيدي أن سكيكدة من المراسي الكبيرة التي أسسها القرطاجيون، وكان اسمها رأس ايكاد، وعظمت أهميتها أثناء الاحتلال الروماني، ثم خربها الوندال، وأعاد العرب تأسيسها وسموها رأس سكيكدة. **أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص219**.

3) Robert. Mantran ; Op. Cit, p. 166.

4) تبدو المسافة كبيرة حسب الوزان وهذا خطأ، حيث نجد مارمول ورغم أنه ينقل عن الوزان إلا أنه تدارك الخطأ وقربها إلى إثني عشر ميلا. **إفريقيا، ج3، ص7**. وقدرها بيري رايس ب 15 ميلا.**Robert. Mantran ; Op. Cit, p. 165.**

5) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص54-55؛ **ومارمول: المصدر نفسه، ج3، ص7**.

6) قلنا المتأخرة لأن ياقوت الحموي ذكر مدينة وميناء سكدة بأنه ميناء صغير مطل على بحر افريقية تابع لقسنطينة، خلال نهاية القرن السادس وبداية السابع هجريين. **معجم البلدان، ج3، ص230**.

8) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص181.

ليفصل الوزان في ذكره لمدينة **بونة"عنابة"**، واصفا إياها بأنها مدينة رومانية على ساحل البحر المتوسط على بعد نحو مائة وعشرين ميلا غربا[1]، وكانت تسمى قديما أوربونة، وقد بنيت بعدها مدينة أخرى تبعد عن الأولى بنحو ميلين واستعملت في بنائها أحجار المدينة القديمة[2]، وهي مشهورة عند الكثير من الناس باسم بلد العناب لكثرته في ذلك المكان، يجفف هذا العناب ويؤكل في فصل الشتاء[3]، وتضم المدينة حوالي ثلاثمائة كانون، بها تجار وصناع يبيعون كميات وافرة من القماش في مدن نوميديا[4]، وتبعد بأربعين فرسخا من مدينة تونس[5]، والإحصائيات التي يقدمها الوزان تقريبية لكنها في نفس الوقت تعطينا نظرة عامة عن حجم المدينة وهو ما نستشفه من أن بونة مدينة تراجع دورها وأصبحت مدينة صغيرة من خلال ثلاثمائة كانون، كما يبين لنا وجود طرق برية تربط بونة بمدن نوميديا الداخلية وعلى رأسها **تيفاش**[6]، **وتبسة**[7]، وغيرها.

وتأتي كل سنة سفن عديدة من تونس وجربة ومن سائر السواحل، وكذلك من جنوة لشراء القمح والزبد، فتستقبل بحفاوة كبيرة، ويعقد السوق كل يوم جمعة خارج المدينة قرب الأسوار ويستمر إلى المساء، ويوجد غير بعيد عن عنابة شاطئ يكثر فيه المرجان، إلا أنه ليس لأحد الحق في صيده لأن الملك أكرى هذا الشاطئ للجنويين الذين استأذنوه في بناء قلعة هناك، بعد أن أقلقهم القراصنة[8]، وكلام الوزان يبين لنا وجود طريق ساحلي بحري يربط بونة بتونس وجزيرة جربة، و هو طريق ساحلي، أما الطريق الثاني وهو طريق دولي يربط بحريا بين جنوة وبونة، رغم استمرار ظاهرة القرصنة التي جعلت بعض التجار الجنويين يطلبون الاستقرار في بونة.

---

1) كانت بونة مركزا تجاريا فينيقيا ثم أصبحت مرسى روماني تحت اسم هيبون ومن بعد أصبحت بونة العربية مدينة العناب. **أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص223–224.**

2) ويؤكد هنا الوزان نظرية استخدام المسلمين لصخور وحجارة المدن الرومانية في بناء مدنهم وأسوارهم الجديدة، مساهمين في تخريب وتهديم المدن العتيقة لبناء حضارة إسلامية اعتبرت بسيطة أو أقل شأن من المدن الرومانية السابقة؟

3) غير أن ابن فضل الله العمري اعتبر العناب نفسه المرجان حيث قال عنه يقطع العناب ويخرج أخضر، فإذا شم الهواء إحمر.**مسالك الأبصار، ج2، ص182**؛ وأما **الحميري** يعتبره نبات ذو أغصان يستخدم في سقف المنازل. **الروض المعطار، ص115**؛ أما مارمول فيذكر أن المسيحيين يسمونها بون أي جيدة نظرا لاحتوائها على أجود أراضي البربر .**إفريقيا، ج3، ص8.**

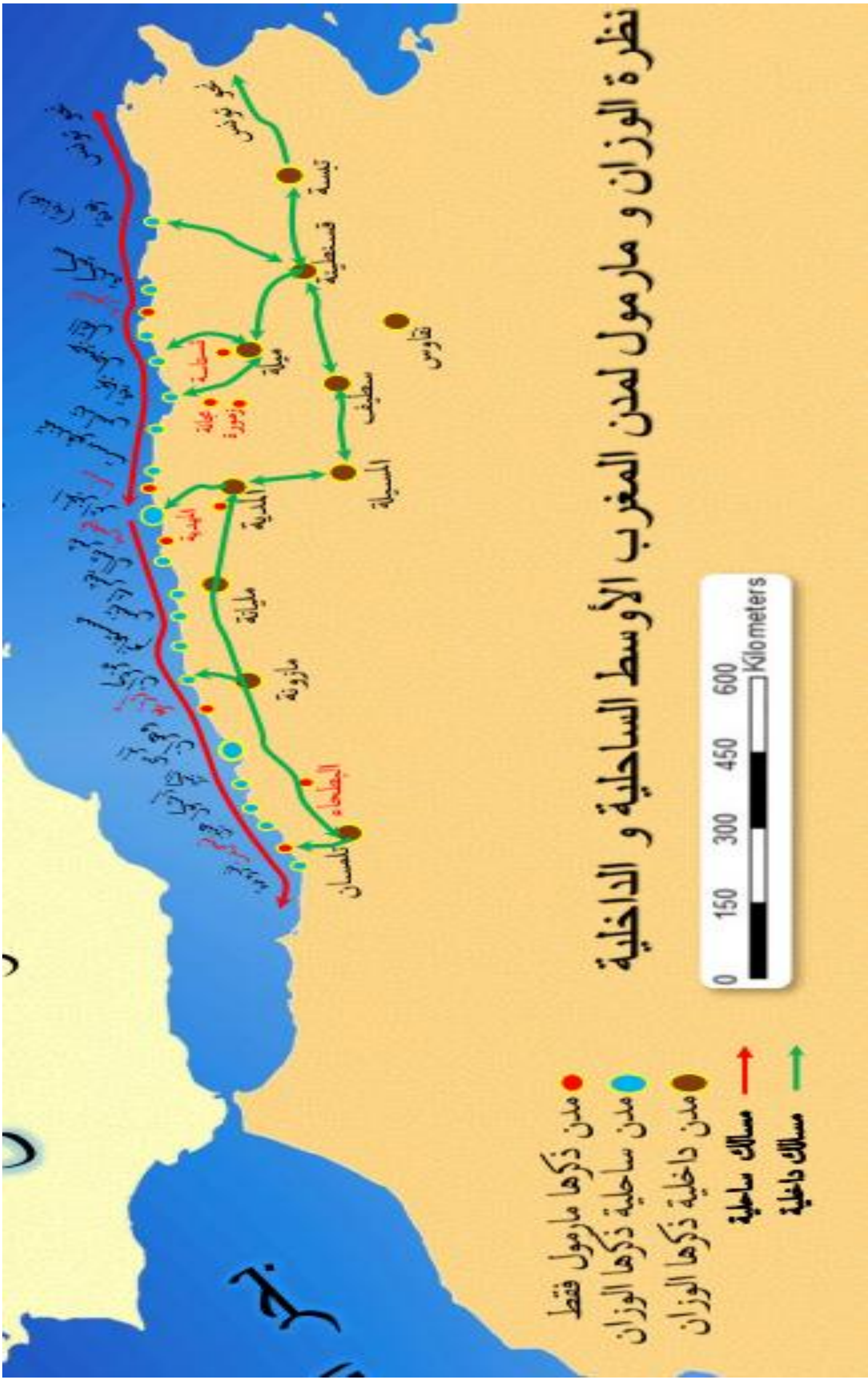
4) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص61.

5) مارمول: المصدر نفسه، ج3، ص7.

6) **تيفش** مدينة بناها الرومان في العصر القديم على بعد نحو خمسين ميلا جنوبي عنابة. **الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص62؛ ومارمول: المصدر نفسه، ج3، ص14.**

7) **تبسة** مدينة عتيقة حصينة بناها الرومان باسم تيفيست في تخوم نوميديا على بعد مائتي ميل جنوب البحر المتوسط. **الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص63؛ وأحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص201.**

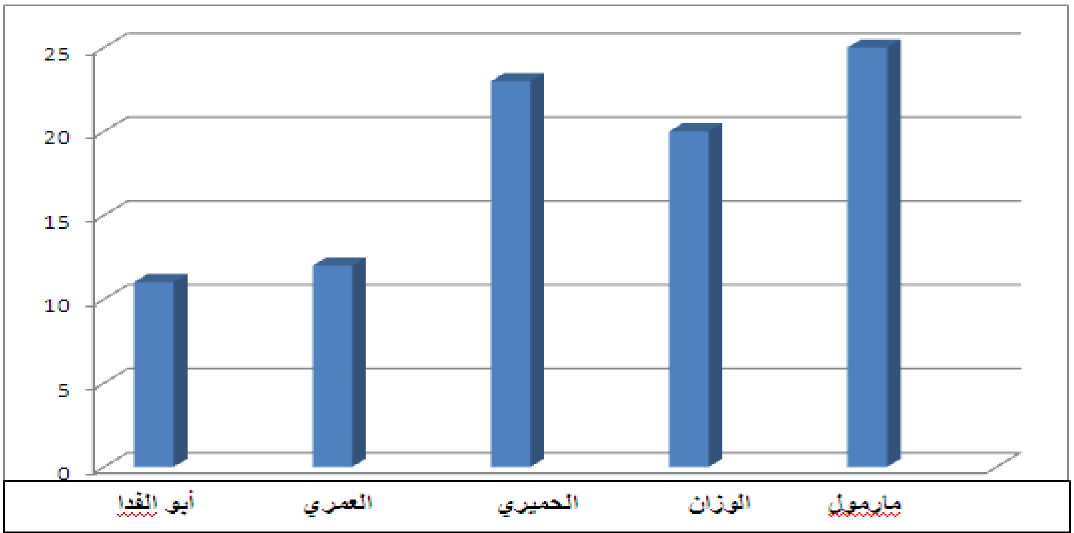
8) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص62؛ **ومارمول: المصدر السابق، ج3، ص8.**


نظرة الوزان و مارمول لمدن المغرب الأوسط الساحلية و الداخلية
نحو تونس
تبسة
قسنطينة
ميلة
سطيف
نقاوس
المسيلة
المدية
مليانة
مازونة
البطحاء
تلمسان
0 150 300 450 600 Kilometers
مدن ذكرها مارمول فقط
مدن ساحلية ذكرها الوزان
مدن داخلية ذكرها الوزان
مسالك ساحلية
مسالك داخلية

جدول يوضح الموانئ والمراسي في المغرب الأوسط من خلال كتب الجغرافيا والرحلات المتأخرين خلال القرون(8-10هـ/14-16)م

الرقم	اسم المرسى أو الميناء	أبو الفدا	العمري	الحميري	الوزان	مارمول
01	مرسى الخرز	×	×	×		
02	بونة	×	×	×	×	×
03	سكيكدة				×	×
04	مرسى أستورة				×	×
05	مرسى القل		×	×	×	×
06	جيجل		×	×	×	×
07	مرسى سبيبة/المنصورة			×		
08	بجاية	×	×	×	×	×
09	مرسى زفون					
10	تدلس		×	×	×	×
11	مرسى الدجاج	×		×		
12	تامدفوس			×	×	×
13	ساسا					×
14	جزائر بني مزغنة	×	×	×	×	×
15	مرسى هور/الأخصاص					×
16	شرشال		×	×	×	×
17	قيصرية					×
18	برشك		×	×	×	×
19	تنس			×	×	×
20	مغيلة بني هاشم	×				
21	مستغانم	×		×	×	×
22	تامزغران		×	×	×	×

23	مرسى الفلوس			×		
24	مرسى فروخ	×				
25	أرزاو					×
26	وهران	×		×	×	×
27	المرسى الكبير			×	×	×
28	آسلن			×		
29	أرشقول	×		×	×	×
30	ترنانة			×		
31	هنين	×	×	×	×	×
32	ندرومة		×		×	×
33	مرسى تابحريت			×	×	×
المجموع		**11**	**12**	**23**	**20**	**25**



الموانئ والمراسي في المغرب الأوسط من خلال كتب الجغرافيا والرحلات المتأخرين خلال القرون(8-10هـ/14-16)م

وعند تحليلنا لهذا الرسم البياني يتضح أن مارمول هو أكثر الرحالة الجغرافيين الذي ذكروا أكبر عدد ممكن من الموانئ والمدن الساحلية رغم أنه نقل معظمها عن الوزان وأضاف أرزيو، ومدينة قيصرية، ومرسى هور، ومدينة ساسا.

وتعتبر المدن بونة وبجاية وجزائر بني مزغنة وهنين من المدن التي ذكرها الجميع واتفق عليها وعلى أهميتها البحرية مما يؤكد ازدهارها خلال القرون8-10هـ/14-16م.

كما انفرد الحميري في هذه الفترة بذكر مرسى المنصورة و مرسى فروخ، ومرسى ترنانة، مرسى آسلن، ومرسى الفلوس، وكذا أبو الفدا بذكره مرسى مغيلة بني هاشم، وكلها نقلها عن البكري، مما يجعل كلامه دون فائدة ولا يعطينا صورة عن عصره.

وهذا ما يصعّب مهمة تحديد مكانتها وقوتها التجارية والبحرية نظرا لنقل الكلام المذكور في القرون السابقة.

2)حركية ملاحة المغرب الأوسط من خلال كتب الرحلات :

لا يخفى ما لأدب الرحلة في تراثنا من أهمية بارزة في مختلف المجالات وذلك لما تحتويه الرحلات من فوائد علمية، وتاريخية، وأدبية جمة تعتمد في كثير منها على المشاهدة، والرواية الشفوية، إذ كان بعض الرحالة النابهين يقومون بتدوين مشاهداتهم، ومواقفهم من أحوال العالم آنذاك، فيصفون تجوالهم في الأقطار المختلفة التي يمرون بها، ولقاءهم لمشاهير الأدباء والعلماء، الذين قابلوهم في رحلاتهم وتقييد ما كان يصدر من شعر وغيره، مع تدوين للأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

تنقسم الرحلات إلى خمسة أنواع حسب الدوافع التي كانت وراءها وهي: الرحلة نحو حواضر العالم الإسلامي ومراكزه الثقافية، والرحلات الحجازيّة طلباً للحج والعمرة والزيارة، والرحلات العلميّة، والرحلات الزياريّة لزيارة أضرحة الأنبياء والأولياء، والرحلات السفاريّة أو ما يسمى اليوم بالبعثات الدبلوماسيّة.

وما يهمنا هنا هي تلك الرحلات التي قصدت المدن الساحلية للمغرب الأوسط وقدمت لنا وصفا حيا دقيقا لما كان يجري بها من معاملات وتبادلات وأنواع للسفن، وأوضاع الموانئ والمرافئ ومختلف العلاقات التي تربطها اقتصاديا وثقافيا وغيرها.

ومن هذه الرحلات رحلة **أبو المطرف أحمد بن عَميرة المخزومي(ت658هـ/1259م)**[1] من سبتة إلى بجاية سنة646 هـ/1248م والواردة ضمن رسائله الديوانية التي سماها"بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عَميرة أبي المطرف"وهي من أهم الرحلات البحرية الرائعة التي احتفظ بها لنا التراث الأدبي في الغرب الإسلامي في عصر الموحدين من بلاد المغرب إلى بجاية انطلاقا من سبتة[2]، وقد أجاد وأبدع في وصف مراحل الرحلة المشوقة في دقة متناهية وفنية رائقة مضيفا عليها من أحاسيسه وعواطفه ما جعلها تتميز بالحيوية والجمال[3].

---

1) هو أحمد بن عبد الله بن محمد بن الحسين بن عَميرة المخزمي " بفتح العين" ولد بجزيرة شقر Jucar في شهر رمضان سنة 582 هـ/ 1186 م ورحل الى بلنسية، ودرس الفقه، غير أنه وجد نفسه أميل إلى اللغة، ورحل بعد ذلك إلى مراكش، فعمل هناك كاتباً للخليفة الموحدي الرشيد(640.630 هـ/1232-1242م)، ثم قاضياً في(سلا) وغيرها من المدن، وآخرها سبتة، وعندما استولى بنو مرين على المدينة فقد ماله ورحل لذلك إلى تونس.واشتغل بالقضاء في الأربس وقابس مدة طويلة، دعاه المستنصر بالله الأول الحفصي(675.647هـ/1277.1249 م) إلى قصره، ومكنه من السلطة في بلده، وقد توفي في العشرين من ذي الحجة سنة658 هـ/ 26 نوفمبر سنة1261 م.**ابن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996، ص114–115**؛ و **الزركلي: المصدر السابق، ج1، ص159**.

2) أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزمي: رسائل ابن عميرة الديوانية والاخوانية أو بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف، جمعها أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي السبتي(ت733هـ/1331م)، دراسة وتحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص351.

3) إدريس العلوي البلغيثي: رحلة أبي المطرف ابن عميرة البحرية إلى حضرة بجاية، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد 286، أكتوبر –نوفمبر1991، ص130.

ويبتدئ ابن عميرة رحلته من سبتة بمقدمة أدبية قال فيها:"...ولما أذنت السعادة صبحها الجلي، وأنعم أعلى الله أمره بالوافدة على بابه العلي[1]، أضحك الأمل من أبكاه الفراق، وحملت الجواري[2] من أطارته الأشواق، وكان البحر قد خبأ طوفانه، وأعد رجفانه حتى إذا ورى عنا جانبي البر أبدى لنا ناجذي الشر، فأرسل كراديس[3] موجه، وأطار الأغربة[4] من حضيضه إلى أوجه..."[5].

وقد رسا بهم المركب في **مرسى هنين** بعد رحلة مهولة مع الأمواج والرياح، وقد أصاب المركب العطب حيث أصبح"كهشيم المحتظر"[6]، فتركوه هناك وواصلوا السير في مركب آخر، حتى بلغوا مرسى وهران في يومين وبعض الثالث[7].

ونستشف من كلامه هذا وجود خط ومسلك بحري رابط بين سبتة وهنين ووهران،كما تبين لنا هذه الرحلة أن المركب المستخدم هو غراب ولكن كان يسير محاذياً للساحل، كما أن شدة هيجان البحر وأهواله الموصوفة تبين لنا أن وقت الرحلة كان خريفا.

ويواصل ابن عميرة وصفه للرحلة البحرية وما تحويه حيث وصف لنا وصولهم إلى **ميناء وهران** كأنه نجاة من خطر داهم، خاصة أن ميناء وهران كان من أحسن الموانئ وقلتها أخطارا بقوله:"...وبعد لأي ما وصلنا وهران، وقد سئمت أغربتنا الطيران، إلا أنها حمدت ما يضرب بها المثل من بكورها، وسقطت من هذا المرسى على أعز وكورها، فإنه مرسى لا تخدش صفحته صكة الهبوب، ولا تصيب جنابه معرة الصبا والجنوب"[8].

ويؤكد ذلك المؤلف المجهول الذي عاصر ابن عميرة بقوله:"لوهران مرسى كبير، مشتى للسفن، يسكن من الريح لأنه في حوز جبل مطل على وهران مرتفع"[9].

وبعد خمسة أيام من المكوث بوهران واستراحتهم وأخذهم لأنفاسهم واصلوا المسير يوم الخميس أول جمادى الآخرة، 646هـ/2أكتوبر1248م، متجهين نحو **مرسى بني زيان**[1]، وهو مرسى صغير غير مهيئ مع استمرار

---

1) يقصد استدعاءه من طرف الأمير الحفصي أبي زكريا الذي أشاد في افتتاحية هذه الرسالة بمفاخر جده أبي حفص وعدد مزاياه وولده أبي محمد عبد الواحد ثم الأمير أبي زكرياء وولي عهده الأمير أبي يحي.**محقق رسائل ابن عميرة، الهامش1، ص353**.

2) الجواري جمع جارية وهي السفينة وفي التنزيل العزيز"حَمَلْنَاكُمْ فِي الجارِيَة".**الحاقة الآية 11**.

3) كراديس جمع كردوسة بضم الكاف وهي طائفة عظيمة من الخيل.

4) الأغربة جمع غراب وهي نوع من السفن السوداء مقدمتها على شكل رأس غراب وجناحها بيضاوان وتسير بالقلع والمجاذيف.**النخيلي درويش: السفن الإسلامية على حروف المعجم، مطابع الأهرام التجارية، مصر، 1970، ص104**.

5) ابن عميرة: المصدر نفسه، ص353.

6) نفسه، ص354.

7) نفس المصدر والصفحة.

8) نفس المصدر والصفحة.

صكة: لطمة ؛ **معرة**: عيب؛ الصبا: ريح مهبها جهة الشرق ويقابلها الدبور. **إدريس العلوي البلغيثي: المرجع السابق، ص132**.

9) الاستبصار، ص134.

الرياح بقوله"وأصابتنا فيه من الليل سماء قلنا عندها اللهم بطون المجاري، لا ظهور الجواري، وجاء النهار ووجهه مكفهر وريحه فيه صر، فأقمنا هنالك يومين إقامة مستثقلة"[2]،

ثم انطلقوا صبيحة يوم الأحد مشرقين، لكن الرياح تلاشت مما دفعهم إلى استخدام المجاذيف، حتى بلغوا مرسى يعرف **بجوج**[4]، وهو ميناء صغير غير هام[5].

ثم ساروا مسحلين من ذلك الجون ومروا على **مصب واد الشلف** حتى وصلوا إلى **ميناء تنس**، وكانت الرياح معتدلة[6]، وما يلفت الانتباه عدم تقديم شروح أو وصف لميناء تنس رغم أنه كان ميناء مهما وله وزنه الاقتصادي وحتى السياسي التاريخي ورغم قدم المدينة تاريخيا وسياحيا ورغم تراجعها مقارنة بالفترة الرستمية والحمادية؛ إلا أنها استمرت في عملها البحري التجاري ويذكر الإدريسي ارتباطها بالمدن الأندلسية بطرق بحرية بقوله:"...وسائر الحبوب موجودة وتخرج منها إلى كل الآفاق في المراكب..."[7].

ولم يبت ابن عميرة في تنس رفقة زملائه في المركب، بل واصلوا السير بمحاذاة الشاطئ وصولا إلى **شرشال**، مع الإشارة إلى الوصف الأدبي الرائع من قبل ابن عميرة لهبوب الرياح الغربية، فهاج البحر بقوله:"حتى جاءنا الموج من كل مكان وحار كل شراع وسكّان[8] ومازلنا في صعود وهبوط ورجاء لاشيء أشبه به منه القنوط"[9]، ووصف ابن عميرة مرسى شرشال بأن فيه سهلاً يقبض عنه الخطا ومرسى مثل أفحوص القطا[10]، أي شبهه بالدائري

---

1) لم نجد في كتب الجغرافيا مرسى بهذا الاسم ولكن ربما يقصد هنا مرسى أرزيو أو مستغانيم أو فروخ باعتبارها التالية مباشرة بعد مرسى وهران، في الاتجاه نحو الشواطئ الشرقية، وقبل مرسى جوج.أنظر **الإدريسي**: **نزهة المشتاق، ج1، ص271، 272**، لكن إذا تمعنا كلام ابن عميرة حيث استغرقوا من مرسى وهران إلى هذا المرسى يوم تقريبا حيث وصلوا ليلا، كما أن وصفه بمناء صغير غير مهيأ ينبأ بأنه مرسى أرزيو.

2) ابن عميرة: المصدر نفسه، ص355.

4) طرف جوج، وهو أنف خارج في البحر، يقع بعد مرسى فروخ جهة الغرب. **الإدريسي**: **نزهة المشتاق، ج1، ص272**، رغم أن محقق رسائل ابن عميرة يقول أنه لا وجود لهذا الميناء في المصادر الجغرافية وهو مخطئ لأنه اعتمد على البكري فقط رغم أن الإدريسي المعاصر كذلك لابن عميرة أشار إليه رغم أنه ميناء صغير وقليل الأهمية.

5) ابن عميرة: المصدر نفسه، ص355.

6) نفس المصدر والصفحة.

7) نزهة المشتاق، ج1، ص252؛ و **المغرب، ص83**.

8) **سَكّان** هو ذنب السفينة.**إدريس العلوي البلغيثي**: **المرجع السابق، ص134**.

9) ابن عميرة: المصدر السابق، ص355.

10) **أفحوص**: هو الموضع الذي تفحص القطا عنه التراب لتبيض فيه، والقطا طائر في حجم الحمام. **إدريس العلوي البلغيثي**: **المرجع السابق، ص134**.

المنخفض كعش طائر القطا المحفور في التراب، مما يبين لنا أنه على شكل خليج منخفض، محمي من الرياح، رغم أن شرشال كانت مدينة صغيرة القدر ولكنها آهلة بالسكان[1].

ومن شرشال مرّ هؤلاء الرحالة إلى مرسى آخر في المغرب الأوسط، وهو قريب منه هو **مرسى بالبطال**، وجدوه"أفسح عطنا[2] وأصلح للدخول والخروج وطنا"[3]، ومرسى البطال تقدم له ابن عميرة بالشكر والمديح، وهو ما رأس يقال له طرف البطال، وقبالته جزيرة صغيرة، وهو خالٍ من السكان[4].

ومن هناك كان الانتقال إلى **الجزائر** التي لقوا بها من الترحاب والحفاوة ما جعلهم ينسون ما قاسوه من أهوال البحر ومتاعبه، بقوله"وقال المزور مرحبا بالزائر فوجدنا بلدا كبلاد، وجددنا ما صلح من زاد وبتنا هناك"[5]، وهو كلام مهم يبين لنا مكانة مدينة الجزائر خلال هاته الفترة، كما يبين لنا أن ميناءها كان ميناءاً شتويا هادئاً ومحمياً وهو ما أكده الإدريسي سابقا في كتابه[6].

ثم ساروا غدوة الأربعاء بدفع من الرياح اللطيفة، وجمعوا بينها وبين المجاذيف، حتى نزلوا في **ميناء تدلس** الذي وصفه ابن عميرة "بالمرسى الفسيح وأخذنا به عقبة المستريح...وأقمنا هنالك ليلة الأحد"[7]، ويوافق رأي ابن عميرة رأي جغرافي آخر قريب منه وهو الإدريسي الذي قال عنها:"وهي على شرف متحصنة لها سور حصين، وديار ومنتزهات، وبها من رخص الفواكه والأسعار ما لا يوجد بغيرها مثله"[8].

وما كادت السماء تصحو، والقمر يلوح وتشع أنواره في الكون، حتى عزموا على استئناف الرحلة[9] منتصف الليل ساروا مع الرياح الشرقية إلى أن وصلوا إلى **ميناء أزفون**[10]، فنزلوا به وأقاموا بقية يومهم وبعض ليلتهم، ولم يقدم لنا معلومات عن مدينة وميناء أزفون سوى أنها بها سكون لأنهم دخلوها ليلا وقاموا بتصليح الجواري والمركب.

---

1) عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص312.

2) العطنا: جمع عطن وهو المكان الذي تبرك فيه الإبل على الماء أي لشرب الماء ومرابض الغنم لشرب الماء أيضا. **إدريس العلوي البلغيثي**: **المرجع السابق، ص134**.

3) ابن عميرة: المصدر نفسه، ص355-356.

4) الإدريسي: المغرب، ص101؛ وطرف البطال مطابقا لرأس شنوة الحالي الواقع غرب الجبل الذي يحمل نفس الاسم وهي مدينة بتيبازة؟. **الهادي روجي إدريس**: **المرجع السابق، ج2، هامش 201، ص114-115**.

5) ابن عميرة: المصدر نفسه، ص356.

6) نزهة المشتاق، ج1، ص273.

7) ابن عميرة: المصدر نفسه، ص356.

8) الإدريسي: المغرب، ص89-90.

9) إدريس العلوي البلغيثي: المرجع السابق، ص135.

10) ابن عميرة: المصدر نفسه، ص356.

وذكر الإدريسي أنه من مدينة تدلس إلى طرف بني عبد الله إلى جون-خليج-زفون، عشرون ميلا، ومن زفون إلى الدهس الكبير ثلاثون ميلا، ومنه إلى الدهس الصغير، ثمانية أميال ومن الدهس إلى طرف جربة"أوجربة"، خمسة أميال، ومن طرف جربة إلى مدينة وميناء بجاية في البحر اثنا عشر ميلا. **الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص274**.

ثم يكمل قوله:"سرينا والريح مساعدة في أكثر الطريق والبحر لابس لبستي العدو والصديق...حتى بلغنا من **بجاية** حضرة ملكها"[1]، وكان وصوله إلى بجاية في جمادى سنة 646هـ/1248م[2].

هذه هي مراحل الرحلة البحرية الشيقة التي وصفها الكاتب المبدع أبو المطرف بن عميرة وهي في الأصل رسالة كتبها إلى الأمير أبي زكرياء ابن السلطان أبي زكرياء الحفصي والي بجاية من قبل أبيه.

كما أن للرحلة أهمية جغرافية تتمثل في وصف المسالك البحرية السائدة خلال العهد الموحدي بين قطري بلاد المغرب وهما المغرب الأقصى"سبتة" والمغرب الأوسط، رغم أن أغلب المدن والموانئ المذكورة في الرحلة تخص المغرب الأوسط، وتصف حالة مراسيه التي مروا بها وإمكانية استقبالها لمختلف السفن العابرة نحو افريقية أو بلاد المشرق.

ورغم أن ابن عميرة لم يوضح تبعية المراكب والسفن التي استخدمها للتوجه إلى بجاية، هل كانت للجنويين أم لغيرهم، أم للخواص، إلا أن أغلب الظن أنها كانت تابعة للأسطول الحفصي باعتبار أن السلطان هو الذي استدعاه لحضرته ببجاية.

كما تبين لنا هذه الرحلة توفر الأمن والاستقرار؛ حيث لم يشر ابن عميرة لا إلى المكاسين ولا إلى القراصنة ولا إلى قطاع الطرق، ربما بسبب انشغاله بوصف أمور أخرى، أو أنه فعلا ساد الهدوء في البحر المتوسط خلال العهد الموحدي، والذي ساهم في ازدهار الرحلات البحرية، رغم الاضطرابات السياسية في عهد الخليفة علي بن إدريس بن يعقوب المنصور(640-646هـ/1242-1248م)، بسبب تصدع كيان الإمبراطورية الموحدية وظهور أمر بني مرين[3].

وبقي ابن عميرة منتظرا في بجاية إلى غاية أن جاءه استدعاء السلطان الحفصي للمثول بين يديه في قسنطينة، سنة647هـ/1249م[4]، فاتجه نحوها ولكن لم يصور لنا طريق الذهاب بل دوَّن لنا فقط طريق العودة من قسنطينة إلى بجاية.

حيث انطلق من **قسنطينة** جهة الشمال مارا **بميلة،** التي قال عنها"وشاهدنا ساحتها الجميلة، وإنها لمدينة بخصب الأرجاء متزينة، وفيها من الأوائل آثار بينة"[5]، وهذا يبين وجود مسلك طبيعي بين قسنطينة وميلة وصولا إلى بجاية، أكده الجغرافيون السابقون كالحموي[6]، الذي حدده بثلاث أيام[7]، وهي من أعمال بجاية[8]، ثم مر

1) ابن عميرة: المصدر السابق، ص357.

2) نفسه، ص137، هامش1.

3) ابن أبي زرع: القرطاس، ص256؛ و **إدريس العلوي البلغيثي**: **المرجع السابق، ص137**.

4) ابن عميرة: المصدر السابق، ص137.

5) ابن عميرة: المصدر نفسه، ص140.

6) معجم البلدان، ج4، ص349.

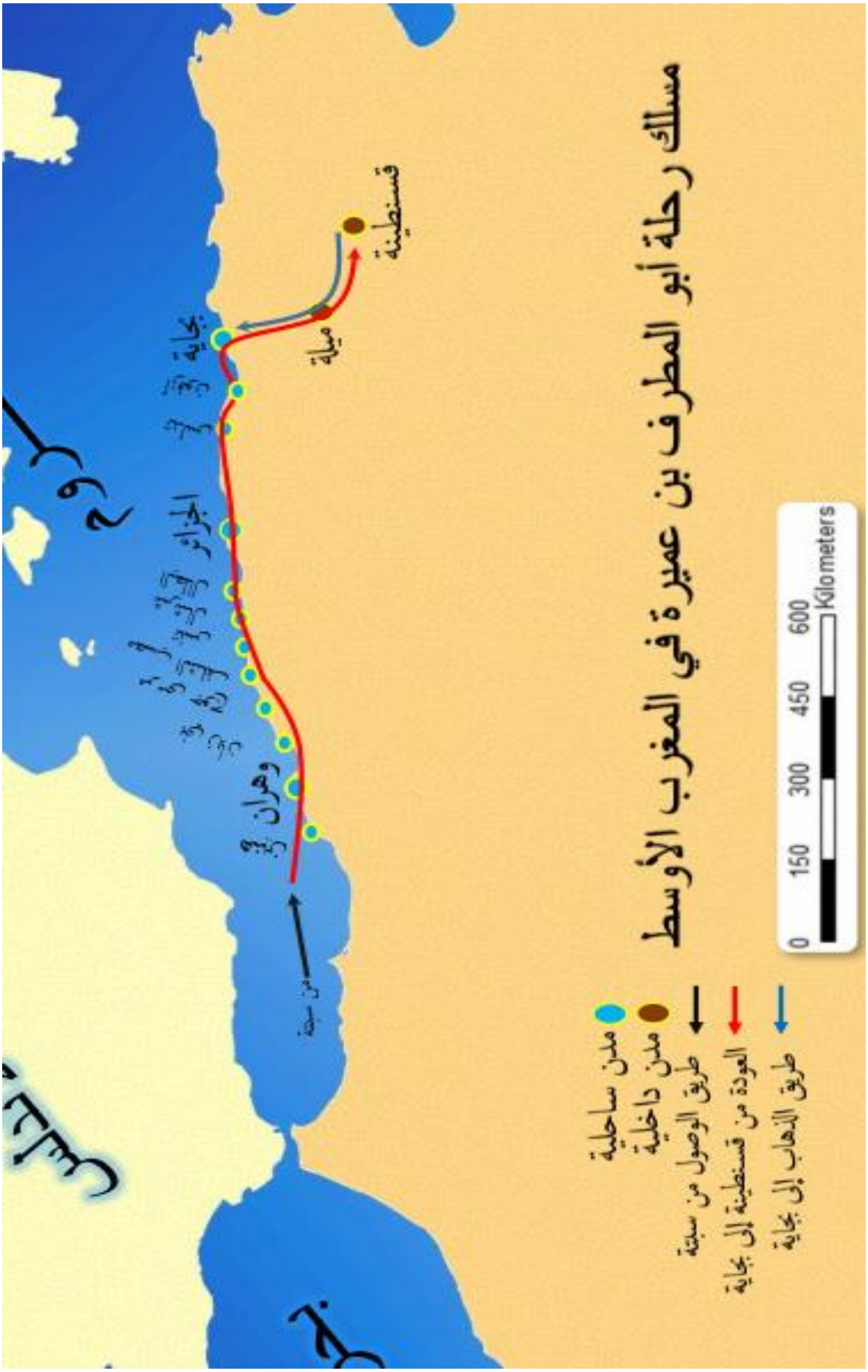
7) نفسه، ج1، ص339.

8) المقريزي:جني الأزهار، ص67.

ببلدات صغيرة، وصولا إلى الساحل ولم يحدد اسم الساحل ولكن يعتقد أنه ساحل جيجل، حيث ذكر أنهم مشوا على الساحل حتى وصلوا بجاية[1].

وتعتبر رحلة ابن عميرة رحلة ساحلية في كل طريقها من خلال عدم ابتعادهم عن الساحل والسير بمحاذاة الشواطئ المملوءة بالموانئ من أجل الاستراحة والتزود بالماء والاحتماء من الأخطار، وهذا النوع كان أكثر انتشارا في هذه الفترة.

1) ابن عميرة: المصدر نفسه، ص143-144.


مسلك رحلة ابو المطرف بن عميرة في المغرب الأوسط
قسنطينة
ميلة
بجاية
الجزائر
وهران
من سبتة
مدن ساحلية
مدن داخلية
طريق الوصول من سبتة
العودة من قسنطينة إلى بجاية
طريق الذهاب إلى بجاية
0 150 300 450 600
Kilometers

ومن بين الرحلات المهمة والمفيدة الرحلة المغربية **للعبدري(ت 720هـ/1320م)**[1]، فقد اعتمد عليها عدد من الرحّالة ونقلوا عنها، واسترشدوا بها، ونقل عنها ناسخ رحلة ابن بطوطة فقرات كثيرة[2]، وكذلك شأن الرحّالة ابن عبد السلام الناصري الذي كان يستحضرها في كل مراحل رحلته الكبرى والصغرى، وعبد القادر الجيلاني الإسحاقي، واعتماد العياشي عليها في كثير من تدقيقات، إذ نراه يقف كثيرا مع ما ذكره العبدري محققا ومدققا[3]، وصنع الورثلاني صنيعه أيضا في رحلته[4].

ونظرا إلى أهميتها فقد قام أبو العباس بن قنفذ القسنطيني(ت809هـ/1406م) باختصارها بعنوان" المسافة السنية في اختصار الرحلة العبدرية"[5]، مازال هذا المختصر عبارة عن مخطوط[6].

وتحتل رحلة العبدري مكانة هامة في تاريخ المغرب الأوسط، وفي أدبه، بل حتى في فنه، حيث كان العبدري خلال مروره بمدن المغرب الأوسط، يعلق على سلوكات ناسها ويستنكرها استنكاراً شديداً كدليل لنقده لتصرفاتهم، انطلاقا من المأثور الصحيح أو الحجج العقلية، ورغم ذلك كان يشيد في بعض الأحيان بأماكن العلم والراحة.

ورغم أن هذه الرحلة قليلة الفوائد الجغرافية فقد أخذ العبدري كثيرا من أوصاف البلدان عن الجغرافيين المتقدمين عنه كالبكري[7]، إلا أنه يصف البلدان التي يمر بها من النواحي العمرانية والاقتصادية والعلمية[8]، لكنه لم يركز على النشاط البحري والساحلي لمدنه، بل نتساءل لماذا لم يسافر العبدري للحج بحرا وقرر السفر برا رغم أخطار قطاع الطرق؟

---

1) هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن مسعود. **عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982، ج2، ص809**. (أو سعود) العبدري نسبته إلى بني عبد الدار لهذا سمي بالعبدري. **الزركلي: المصدر السابق، ج7، ص32**. الحيحي المعروف فيها(حاحة) بأبي البركات، البلنسي.**عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1983، ج6، ص401**. الأستاذ محمد الفاسي نفى هذه النسبة الأندلسية عن الرجل في بحث له عن العبدري وقرر أنه مغربي من أصل عربي قريشي يرجع إلى بني عبد الدار. **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، مجلد 9–10، سنة 1961–1962، ص1–14**. كانت ولادته حوالي سنة 643 هـ/1245م، وأغلب الظن أن وفاته كانت بعد سنة 720هـ/1320م .**عمر فروخ: تاريخ الأدب، ج6، ص401**.

2) أنظر مثلا وصف ابن بطوطة والعبدري لمنار الإسكندرية ولعمود السواري، والنيل والأهرام...

3) أبو سالم العياشي: رحلة العياشي" أو ماء الموائد"، الرباط، 1970، ج1، ص92، 110.

4) الورثلاني: الرحلة الورثلانية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974، ص182، 222، 233، 239، 292.

5) عبد الحي الكتاني: فهرس الفهارس، ج2، ص809.

6) أنظر مقدمة المحقق علي إبراهيم كردي، الرحلة المغربية، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط2، 2005، ص17.

7) وتعقب العبدري أبا عبيد البكري وصوَّب له المعلومات،كقول العبدري " وما زال أهل الإتقان يقعون في مثل هذا، ألا ترى إلى أبي عبد الله البكري، قد أودع في مسالكه من الغلط في صفات البلدان..عندما ذكر عن بيت المقدس أنها محاطة بالجبال، وإنما هي نشز من الأرض"

8)عمر فروخ: تاريخ الأدب، ج6، ص402.

لقد انطلقت رحلة العبدري في25ذي القعدة عام 688هـ/11ديسمبر1289م[1] وكان الانطلاق من مدينة حاحة[2] المغربية[3].هذه الرحلة سماها"ما سمى إليه الناظر المطرق إلى بلاد المشرق"ويسميها البعض ب"ملء العيبة فيما اجتمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة"[4]، وتعرف عادة بالرحلة المغربية.

وكان وراء رحلة العبدري سببان حملاه على المضي فيها، أولها:سبب ديني وهو القيام بفريضة الحج والاتصال بالمتصوفة والصالحين، وقد صرح العبدري مرارا بأنه كان ينوي الإقامة بمكة والمجاورة بها.

وسبب ثانٍ هو رغبته في لقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم، وكان العبدري حريصا على البحث عن السند العالي، فيما أخذه عن هؤلاء العلماء والمحدثين، وكان العبدري في سؤال دائم عن الأحوال العلمية والثقافية في البلاد التي مربها.

أما مدة الرحلة فيبدو أنها استمرت أكثر من سنتين، ويبدو أن العبدري زار تونس مرتين في طريق ذهابه إلى الحج سنة688هـ/1289م وعند رجوعه سنة 691هـ/1292م[5]، فعلى هذا يكون العبدري قد أمضى ثلاث سنوات في رحلته.

وقد كان العبدري وفيا لهذا المنهج الذي ارتضاه لرحلته، مطبقا له، فقد وصف البلدان وصفا دقيقا بمبانيها، وآثارها، وكثيرا ما كان يعرج على أهلها فيصف عاداتهم وتقاليدهم ولباسهم، ومستواهم العلمي.

أما بخصوص المناطق التي اجتازها في المغرب الأوسط فقد بدأها بالمفازة[6] التي في طريق تلمسان، حيث كانت طرقا مقطوعة بسبب قطاع الطرق من الأعراب، وقد اجتازها بفضل مساعدة رجال مسلحين عارفين بالطرق[7]، وهو ما يبين لنا الأوضاع المتردية خلال فترته من انتشار اللصوصية وقطاع الطرق.

ثم وصل إلى **تلمسان**، فوجدها بلداً حلت به زمانة(الآفة)، وقد شاهد جمعا من الحجاج ينيفون على الألف وردوها ووقفوا إلى ملكها[8]، فأعطاهم دينارا واحدا فقط[1]، وهو دليل على انتشار الفقر وضعف اقتصاد الدولة الزيانية مما منع الملك من العطاء والكرم على حجاج بيت الله الحرام.

---

1) عمر فروخ: تاريخ الأدب، ج6، ص401.

2)**حاحة:** هي إقليم يحده من الغرب والشمال المحيط الأطلسي، ومن الجنوب جبال الأطلس ومن الشرق نهر أسيف نوال، ويشتمل على مدن كثيرة **أنظر الوزان: المصدر السابق، ج1، ص95.**

3) العبدري: المصدر السابق، ص40.

4) عمر فروخ: تاريخ الأدب، ج6، ص402.

5) التجاني: المصدر السابق، ص ي ز.

6) المفازة: البرية المقفرة المهلكة وسميت بذلك تفاؤلا من الفوز والنجاة. **إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، إستنبول ,الطبعة الثانية، 1989م، ج3، ص184.**

7) العبدري: المصدر نفسه، ص45.

8) ملك الدولة الزيانية في هاته الفترة هو أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بن زيان ملك تلمسان بين سنة681-703هـ.**عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج2، ص73.**

وأضاف عن تلمسان بأنها مدينة كبيرة سهلية جبلية جميلة المنظر[2]، مقسومة باثنتين بينهما سور وبها أسواق وربض يعرف بالعباد[3]، كما يوجد بها حمامات نظيفة كحمام العالية[4]، وكانت تستخدم بها إلى جانب عملة الدولة الزيانية عملة فاس[5]، وكل هذه المعطيات توحي بأن تلمسان بلغت درجة كبيرة من التطور خلال العهد الزياني رغم الضربات المرينية والحفصية، ورغم الخطر القادم من الأعراب، كما نستشف من كلامه رواج التجارة بين فاس وتلمسان في الطريق البري الذي سلكه العبدري: فاس–وجدة–تلمسان.

كما يبين لنا قوله:"وكنت حين وردتها قد أقمت بها مدة منتظرا للركب"[6] أي ركب الحجاج وهو ما يعرف بطريق الحج البري من بلاد المغرب الأقصى إلى البقاع المقدسة.

وعند وصول الركب، سار معهم قاصدا مدينة **مليانة** الخصيبة كما يصفها والتي تشرف من كثب على واد الشلف[7]، وقد كان تنقلهم برا عبر هذه الطريق، حيث تعتبر مليانة من المدن المهمة تجاريا، ومسلكيا، بفضل موقعها إذ يمر عليها المتوجه إلى الجزائر برا أو المتوجه نحو البحر في اتجاه كل من تنس وشرشال.

واصل السير منها إلى **مدينة الجزائر**، وهي مدينة تستوقف بحسنها ناظر الناظر، قد حازت مزيتي البر والبحر وفضيلتي السهل والوعر، لها منظر معجب أنيق وسور معجز وثيق وأبواب محكمة العمل[8].

ورغم أن العبدري يركز كثيرا على السجع والبديع من الكلام، مع البحث والتفتيش في شخصيات البلدان ومكانتهم العلمية إلا أنه في بعض الأحيان يذكر البنيان والنشاطات، حيث يصف مدينة الجزائر خلال القرن السابع الهجري بأنها مدينة حسنة تجمع بين البحر والبر، ولها سور وثيق، وهو ما يبين بداية بروز مدينة الجزائر على الساحة المحلية والعالمية، بدل العواصم التقليدية كتلمسان وبجاية، كما يبين لنا التحصنات المحكمة لها مما يبين وجود خطر دائم يداهمها من البحر، سواء من الدول أو القرصنة البحرية.

لينتقل برا دائما إلى **مدينة بجاية،** وهي مدينة حصينة كبيرة مشهورة برية وبحرية، وثيقة البنيان عجيبة الإتقان، رفيعة المباني، موضوعة في سفح جبل وعر، مقطوعة بنهر، متحصنة بهما منيعة، فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع بها

---

1) العبدري: المصدر السابق، ص47-48.

2) تلمسان بكسرتين وسكون الميم وسين مهملة هما مدينتان بالمغرب. **ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص44**.

3) العبدري: المصدر نفسه، ص48.

4) نفسه، ص49؛ و **الزهري: المصدر السابق، ص113**.

5) العبدري: المصدر نفسه، ص50.

6) نفسه، ص54.

7) نفسه، ص78.

8) نفسه، ص82.

لطاعن وضارب[1]، ونفس الشيء يقال عن بجاية حيث لم يقدم لنا العبدري سوى وصف بسيط عن حصانتها وبأنها بحرية وبرية[2]، ولم يشر إلى النشاطات الاقتصادية الممارسة فيها، بل ركز على الجانب الثقافي، مما يجعل الرحلة قليلة الأهمية لوصف المناطق الساحلية، باستثناء ما تبرزه في بعض الحالات من مسالك برية وبحرية وكذا حصانة المدن ومنعتها أو وجود الخطر سواء من القرصنة أو الأعراب.

ثم تنقل من بجاية إلى **بني ورار** ثم إلى **ميلة**، مارا عليها مرور الكرام ويشير إلى بيئتها وطبيعتها، سوى ذكر إحدى عيونها الجارية[3]، مارا في حديثه نحو **مدينة قسنطينة**، التي وصفها بالمدينة العجيبة الحصينة، التي دار بها واد شديد الوعر بعيد القعر كما يحيط السوار بالمعصم ومنعها[4]، ورغم قلة كلامه عن قسنطينة إلا أن مكانة قسنطينة بدأت في البروز كإحدى المدن الكبرى في الدولة الحفصية بل هي العاصمة الثالثة بعد تونس وبجاية.

ورغم تركيز العبدري على الجانب الثقافي فذكر لنا الفقيه الإمام أبا الحسن اللخمي[5]، وفتواه في حكم السفر إلى الحج مع فساد الطريق، وهل الأَوْلى تركه احتياطا على النفس أو الاستسلام في التوجه إليه[6]، واستحضار لهذه الفتوى في قسنطينة يبين فساد الطريق والخطر المهدد للحجاج خاصة من قطاع الطرق والأعراب، بسبب ضعف السلطة المركزية في كل من فاس وتلمسان وتونس.

ونلاحظ أن خط سير العبدري، كان نفسه خط سير ابن الفكون[7] سابقه في رحلته من قسنطينة إلى مراكش، ويتضح ذلك من خلال قصيدته التي لخصت الرحلة[8]، ولهذا لم يذكر العبدري بعض المدن التي مر بها

---

1) العبدري: المصدر السابق، ص82-83.

2) وهو كلام ذكره قبله **الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص259**.

3) العبدري: المصدر نفسه، ص93.

4) نفسه، ص93-94.

5) هو علي بن محمد الربعي المعروف باللخمي، فقيه مالكي قيرواني الأصل سكن سفاكس، وتوفي بها سنة478هـ، له مصنفات منها التبصرة وهو تعليق على المدونة في فقه المالكية.**ابن فرحون: المصدر السابق، ص298**.

6) العبدري: المصدر السابق، ص96.

7)**الفكون** هو الأديب والشاعر أبو علي حسن بن علي بن عمر القسنطيني المعروف بابن الفكون" أو البكور"، رحل من قسنطينة إلى مراكش ومدح خليفة بني عبد المؤمن.**ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1971، ج1، ص236**.

8) القصيدة طويلة وذكرها المقري في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط1، 1997، ج2، ص 283-284. ومما جاء فيها:

فلما جئت ميلة خير دار   أمالتني بكل رشا أبي
وكم أورت ظباء بني ورار   أوار الشوق بالريق الشهي
وجئت بجاية فجلت بدورا   يضيق بوصفها حرف الروي
وفي أرض الجزائر هام قلبي   بمعسول المراشف كوثري
وفي مليانة قد ذبت شوقا   بلين العطف والقلب القسي

مابين تلمسان ومليانة، وما بين الجزائر وبجاية وما بين بجاية وقسنطينة، بل ذكر مناطق أقل شهرة كمنطقة بني ورار، حتى يمثل نفس رحلة ابن الفكون.

ثم واصل العبدري السير من قسنطينة نحو **مدينة بونة،** التي قال عنها:"تغار لها العيون من جور النوائب ممتدة وتراعي من البحر جزره ومده، ومن المشاهدات التي رآها مصادفته زويرقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا، وقد حاصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج، وأسروا من البر أشخاصا فأمسكوهم للفداء بمرسى البلد، وتركناهم ناظرين في فدائهم"(1)، وهذه شهادة حية من العبدري للخزي الذي بلغه المغرب الإسلامي في تلك الفترة والدرجة الكبيرة من الضعف أمام القراصنة الغربيين.

أما خلال طريق العودة مرَّ على باجة ثم على خولان(2) ثم نحو **مدينة بجاية،** وأخذ طريق القلاع(3)، حيث يقول:وأخذنا طريق القلاع فدخلناها قلعة قلعة، وهي ذوات عدد، ثم على **قسنطينة** على الطريق الأول ثم على **بجاية**(4)، أي أن العبدري لم يسر على نفس طريق العودة بسبب استيلاء النصارى على بونة بل سلك طريقاً من القلاع تربط بين خولان إلى بجاية.

ثم سافر من بجاية فمرَّ على قرية ملالة وهي بالقرب منها، ومنها إلى **مليانة،** ومنها جهة اليمين نحو **مازونة** التي لم يمر عليها في طريق الذهاب، وصولا إلى مدينة **وهران،** التي قال عنها مدينة مليحة حصينة برية وبحرية، وهي

وفي تنس نسيت جميل صبري	وهمت بكل ذي وجه وضي
وفي مازونة مازلت صبا	بوسنان المحاجر لوذعي
وفي وهران قد أمسيت رهنا	لظامي الخصر ذي ردف روي
وأبدت لي تلمسان بدورا	جلبن الشوق للقلب الخلي.

1) العبدري: المصدر نفسه، ص104.

لقد تحدث أحمد البوني في القسم الخامس عشر من كتابه عن هجومات النصارى التي تحدث عنها العبدري فقال:"فإني قلت كم هجمت النصارى على بلدكم العناب، قلت: فيما أعلم أربع مرات أولاهن قريبة من زمن الشيخ الهواري، وقد كان في السادسة من عمره- لعله يشير إلى هجوم بيزة أعقبه احتلال المدينة سنة 426هـ/1034م- والثانية في حياة ابن عبد الجليل المذكور-هي حملة قامت بها فلنسية وميورقة سنة 801هـ/1399 م وباءت بالفشل الذريع، والثالثة عام982هـ/1574م والرابعة سنة 1016هـ/1607م. **أحمد بن قاسم البوني: التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، تقديم سعيد دحماني، منشورات المجلس الشعبي البلدي، عنابة، الجزائر، ط1، 2001، ص76، و الهامش84.**

2) خولان بلدة صغيرة تقع غرب باجة على ضفاف وادكساب الذي يصب في واد مجردة وتقريبا في الموضع الحالي سوق الأربعاء بمحافظة جندوبة.**مراد عرعار: مقاربة حول طريق القلاع للعبدري، ضمن أعمال ندوة دولية شبكة الطرقات والمسالك ببلاد المغرب القديم والوسيط، سو60سة، من 6-8-أفريل2015، نشر مخبر البحث"اشتغال الأرض، التعمير وأنماط العيش في بلاد المغرب في العصور القديمة والوسيطة"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، ص78.**

3) طريق القلاع البزنطية يبدأ من خولان ثم إلى قلعة شقبنارية، ومنها إلى ساقية سيدي يوسف إلى سوق أهراس إلى تيفاش إلى خميسة، الى سلاوة عنونة إلى الهرية إلى قسنطينة إلى جيجل إلى بجاية. **مراد عرعار: المرجع نفسه، ص90-91.**.

4) العبدري: المصدر السابق، ص558.

مرسى تلمسان وأنظارها ومتجر تلك النواحي[1]، ونلاحظ أن العبدري خلال مرحلة العودة ذكر مدناً لم يذكرها في طريق الذهاب وهي مازونة ووهران مما يبين تغييره لطريق العودة أو أنه خلال الذهاب لم يعرها اهتماماً، كما يتبين لنا أن وهران خلال هذه الفترة لم تكن لها أهمية لأنها ميناء تابع لتلمسان لتصريف منتجاته، وممارسته للتجارة.

وذكر وهران مدينة مليحة حصينة أي أن بها سوراً يحميها وهو عكس ما عبَّر عنه الجغرافي الذي قبله وهو الإدريسي الذي قال عنها بأن سورها بسيط وهو من تراب[2]، مما يبين أن الموحدين قد قاموا بإعادة ترميمه وتحسينه على ما كان في عهد المرابطين، حتى تصبح أكثر حصانة وحماية من الغزوات البحرية.

ثم من وهران توجه نحو **تلمسان**، وصادف قافلة كبيرة تزيد عن الألف خارجة منها نحو وجدة فقفل راجعا معهم[3]، وهذا يبين استمرار الطريق البري رغم المخاطر.

وعموما يبدو أن العبدري كان متشائما، ويراعي مقاييس لا يقره عليها جل الباحثين، إذ وصف في رحلته كثيرا من العواصم لا تتفق مع واقعها[4]، ومثال على ذلك مدينة بونة حيث تصدى له أحمد بن قاسم البوني واتهمه بأنه أخل بالتعريف ببلد العبد الضعيف[5].

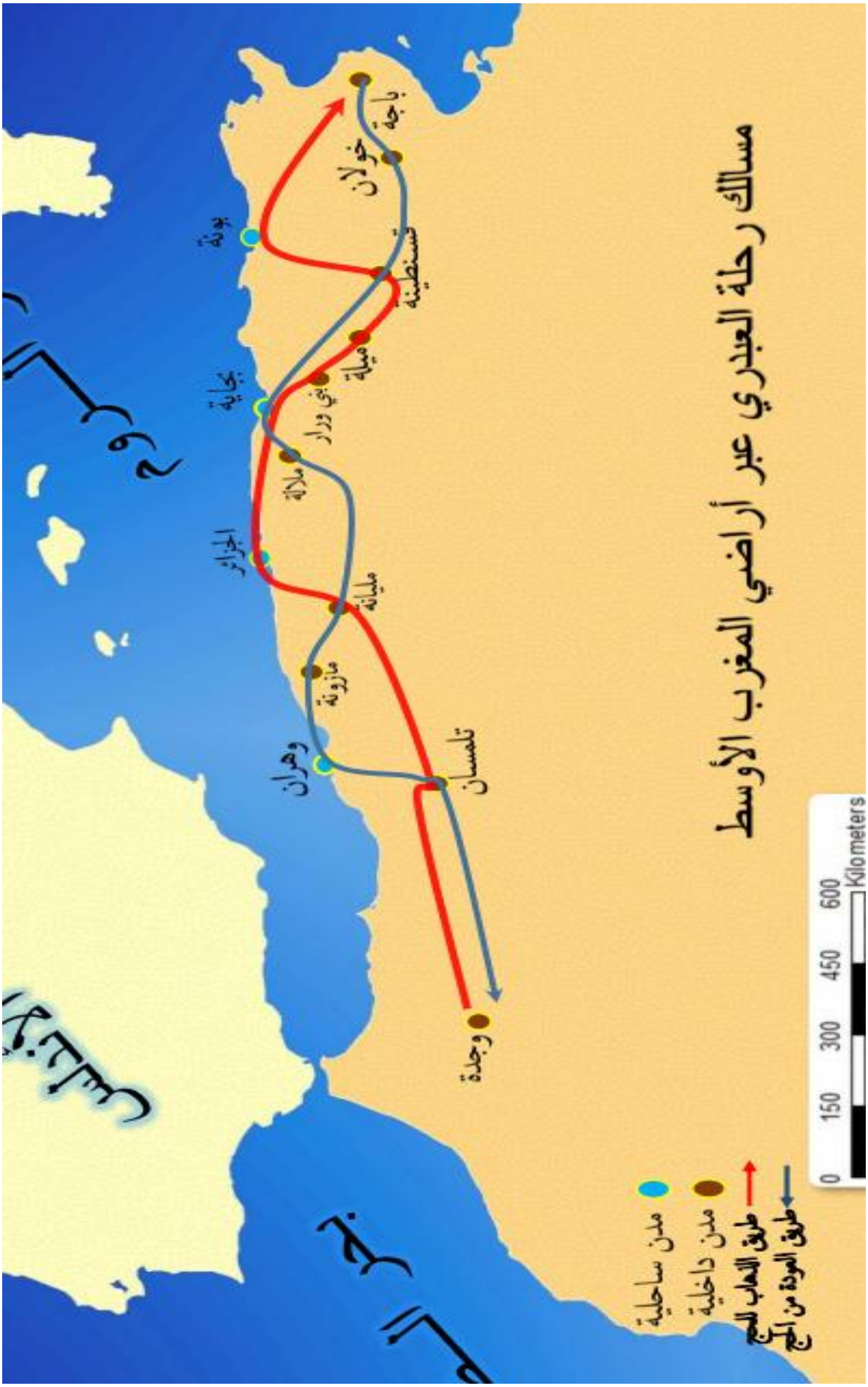
1) العبدري: المصدر السابق، ص561.

2) نزهة المشتاق، ج1، ص252؛ **والحميري: المصدر السابق، ص612.**

3) العبدري: المصدر السابق، ص563.

4) المهدي البوعبدلي: لمحات من تاريخ بونة الثقافي والسياسي، محاضرات ومناقشات الملتقى العاشر للفكر الإسلامي، عنابة، 10-19 يونيو 1976، مج1، ص52.

5) أحمد بن قاسم البوني: المصدر السابق، ص26. ص41-42.


مسالك رحلة العبدري عبر أراضي المغرب الأوسط
باجة
خولان
قسنطينة
بونة
ميلة
بني ورار
بجاية
ملالة
الجزائر
مليانة
مازونة
وهران
تلمسان
وجدة
مدن ساحلية
مدن داخلية
طريق الذهاب للحج
طريق العودة من الحج
0 150 300 450 600
Kilometers

أما رحلة **ابن الحاج النميري**(ت بعد774هـ/1372م)[1] والمسماة بفيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب[2]، فهي رحلة برية أكثر منها بحرية رغم الاستعانة بالأسطول، الذي جاب سواحل المغرب الأوسط، ووصفه ابن الحاج وصفا جميلا ورائعا، وهي حملة عسكرية قادها سلطان المغرب أبو عنان المريني(729-759هـ/1328-1357م)، بهدف تأديب العصاة خاصة من الأعراب والرافضين لبيعته، وتأمين السبيل لحج بيت الله الحرام.

ومؤلفها هو ابن الحاج النميري، أما مخططها ومنفذها فهو الملك أبو عنان المريني سلطان المغرب الأقصى والأوسط والأدنى، وهو ابن أمير المسلمين أبي الحسن علي(697-752هـ/1297-1351م)، موحد المغرب الإسلامي، وحامل لواء استرجاع المغرب الموحدي[3].

وقد دخل أثناء هذه الرحلة إلى قسنطينة وعنابة وتونس والزاب، كما وصلته بيعة أهل طرابلس وقابس، وقبل ذلك مدينة بجاية، وقد زودنا ابن الحاج بمعلومات تاريخية عن الموحدين والمرينيين والحفصيين[4].

والرحلة في الحقيقة لم تصلنا بالشكل الذي تركه مؤلفها؛ إذ جمعها ونسق أخبارها وكتبها بخط يد ابن أخيه إبراهيم بن أبي عمرو بن الحاج ليرفعه إلى السلطان أبي فارس الثالث بن أبي العباس المتوكل[5].

---

1) هو أبو القاسم، برهان الدين إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن قاسم النميري الغرناطي المعروف بابن الحاج، وأجداده معروفون ببني أرقم الواد آشيون، من أسرة عريقة، منهم من تولى خطة القضاء أو الأشغال أو الوزارة. **ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص91-96.**

أجمع كثير من مترجميه على أن ولادته كانت سنة 713هـ/1313م.**ابن تغري بردي: المنهل الصافي، تحقيق محمد محمد أمين، وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984، ج1، ص86-87.**باستثناء الصفدي الذي أرجعها سنة712هـ/1312م وذلك اثر اجتماعه به سنة738هـ/1337م بالقاهرة في طريقه للحج فسأله عن مولده فأجابه بتلك السنة. **الصفدي: المصدر السابق، ج6، ص28-29.**

وكانت وفاته بعد سنة774هـ/1314م، ولم نعرف تاريخ وفاته بالضبط لأن المؤرخين سكتوا عنها سكوتا تاما.**ابن الحاج النميري: فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة واعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990، مقدمة المحقق، ص26.**

2) إن الرحلة لم تكتب دفعة واحدة وفي زمن واحد بل كتبت في ظروف مختلفة غير متسلسلة، ومن المؤكد أن قسما منها كتب أثناء الرحلة والقسم الآخر كتب بعد انتهاء المأمورية واستقرار المؤلف في الحضرة الفاسية والدليل على ذلك عدم مراعاة الترتيب الزمني في رصد الأحداث حسب تسلسلها، كما أثار بعض القضايا المتأخرة كتنصيب الأمير أبي زيان خلفا لوالده أبي عنان سنة 759هـ. **ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص65-66.**

3) وقد مرت الرحلة بمرحلتين، الأولى داخل المغرب الأقصى من فاس إلى سلا ثم العودة إلى فاس، والثانية من فاس إلى قسنطينة وصولا إلى الزاب وإفريقية، ثم العودة إلى فاس عن طريق الصحراء. **ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، مقدمة المحقق، ص71.**

4) نفسه، مقدمة المحقق، ص46-47.

5) الحسن الشاهدي: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، مطابع عكاظ، الرباط، 1990، ج2، ص396-397.

كان السلطان المريني قد بعث الشيخ أبا عمران إلى ميلة وبجاية إخماد الفتن في هذه الأوطان، فانهزم في ميلة ولحق ببجاية فطلب من أبي عنان الرجوع وأخذ الثأر من أعراب هاته الأماكن التي كانت تابعة لعمالة قسنطينة فقرر أبو عنان القيام بحركة كبيرة إلى قسنطينة. **إسماعيل زردومي: تقنيات السرد في رحلة فيض العباب لابن الحاج النميري، مجلة البحوث والدراسات، المركز الجامعي، الوادي، العدد 2، جوان 2005، ص 186-187.**

لقد بدأت الرحلة في20جمادى الأولى يوم الخميس عام 758هـ/1356م، منطلقا من المدينة البيضاء، ثم انتقل إلى قصبة فاس[1] ووصل إلى تازة، ولم يجتز بلدة **المدية** في المغرب الأوسط حتى بدأت الوفود تقدم عليه لتعلن البيعة والولاء والطاعة[2]، ومن بينهم ممثلون عن سكان بجاية يتكونون من الفقهاء والعلماء، لفك ضغط الأعراب وقطاع الطرق[3].

ثم انطلق الركب ليصل إلى **بجاية** ودخوله أياها دخولا رسميا، مارا بعدة مدن منها خميس مكلاته"**مليانه**"[4]، ثم **المدية**[5]، مؤدبا لقبائل"**بني سيلين** في بلد السدويكش"[6] ثم وصل إلى وطء حمزة"سوق حمزة وهي **البويرة** حاليا"[7]، واجتاز بني يجر من قبائل زواوة متجها نحو المحلة المنصورة ببني يمل[8]، ثم دخل ربض بجاية قاصدا دار صنعتها؛ ناظرا من هنالك إلى ما بهر من منعتها، متفقدا ما وجد بهذه الدار من الأجفان[9].

ومن أجل التعرف على هذا البلد وإمكانياته المختلفة ركب أبو عنان أحد قوارب الأسطول وتجول بجنبات بجاية وشواطئها[10]، وقد قدم لنا ابن الحاج النميري وصفا رائعا لمنار اللؤلؤة بقوله:"فهو المنار المهتدى بنوره، ورباط الجهاد الذي كسر سورة الأعداء بسوره، ومقر المثاغرين الذين هجروا المهاد، وانتظروا قدوم أجفان الكفار لاقتضاء حرب تؤذن بتقلص الشفاه"[11].

وفي هذه الأثناء ظهرت أعلام الأسطول، راسية في ميناء بجاية، قائلا" وأمر بقدوم الأسطول الذي نعقت بين الأعداء غربانه"[12] ولم يعطنا ابن الحاج أي معلومات عن خط سير الأسطول قبل وصوله بجاية؛ ربما لعدم وجوده معهم، أو لعدم وجود أبي عنان ضمن رُكاب الأسطول لأن الرحلة مركزة عليه فقط، وهو ما حرمنا من معلومات عن

---

1) ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص151، 223.

2) الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص404.

لا يلتزم ابن الحاج النميري بذكر المراحل والمناطق التي نر بها بل نجده يقفز مدينة المدية دون ذكر المدن التي مر عليها قبل الوصول إليها.

3) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص157-158.

4) نفسه، ص280.

ونلاحظ أن ترتيب المدن ومراحل فتحها من قبل أبو عنان قد اختلط على ابن الحاج ولهذا ترك فتح خميس مليانة بعد قسنطينة وهذا يدل على أنه لم يكتبها في حينها كلها بل كتب بعضها في وقت متأخر من الرحلة أي بعد عودته بسنوات مما جعل الأمور تختلط عليه.

5) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص248.

6) نفسه، ص280.

بنو سيلين قبائل أمازيغية كتامية من القبيلة الكبيرة سدويكش قرب الميلية.**وللمزيد انظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص195-198؛ وموسى لقبال: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980، ص123-125.**

7) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص252.

8) الحسن الشاهدي: المرجع نفسه، ج2، ص404.

9) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص266.

10) الحسن الشاهدي: المرجع نفسه، ج2، ص405.

11) ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص267؛ **ومحمد المنوني: ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000، ص112-113.**

12) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص270.

المناطق الساحلية التي مر بها الأسطول، قادما من تازة، وكان قصد أبي عنان هو تلاقي جيوش البر والبحر في بجاية، لحصار قسنطينة وبونة والتوجه نحو تونس، ومد الجيوش البرية بالمساعدات العاجلة.

وقد وصل القائد أبو القاسم بن بنج قائد جبل الفتح رسولا من قائد الأسطول مستأذنا من أبي عنان لترتيب الأجفان، والغربان، وترتيب القواد حسبما اقتضته المدن التي تولوا أمر بحرها[1]، فبرز أبو عنان إلى شاطئ البحر في موكبه وجعل ينظر إلى جيشه البحري في بجاية حتى قربت منه الأجفان[2].

وأمر أبو عنان القواد بالتوجه إلى مرسى **القل** بأحسن العتاد وأكثر العدد لمحاصرته، بل وحتى نقل آلات الحصار منه إلى قسنطينة[3]، التي كان سلطانها الحفصي أحمد بن محمد بن أبي يحي قد اغتر منها بالمعقل الذي اشتهرت به وبحصانته[4] لكن تم النزول في القل دون قتال مما سهل مهمة التوجه نحو قسنطينة[5].

وأقبلت"الجياد طريق قسنطينة كأنها أسراب القطا...و هو ينظر إلى أساطيله المظفرة وقد ضربت بأجنحتها مجاذيفها كالعقبان الكواسر، ورفعت أعلامها المتهايجة لهبوب الرياح النواشر"[6].

ثم وصل أبو عنان إلى **ميلة** التي قضى فيها ثلاثة أو أربعة أيام، قادما من بجاية، ثم منها يوجه أبو عنان المحلة إلى **قسنطينة**[7]، وبنى قبالتها أبراجا عالية تمهيدا لمحاصرتها واقتحامها، ولما رأى أحمد بن محمد بن أبي يحي، قوة المرينيين طلب العفو و طلب الصلح والآمان[8]، وتم ذلك بعد ثلاثة أشهر من خروجه من فاس، فتاريخ دخوله قسنطينة وإن لم يشر إليه النميري إلا أن ابن قنفذ يحدده ب12 شعبان758هـ/1356م[9].

ثم توجه إلى بلاد **العناب** ولما رأى أهله ما قدم إليهم من قوة طلبوا الصلح والدخول في الطاعة، بل وطلبوا منه تعيين من ينوب عنه يرعى مصالحهم ويحل مشاكلهم[10]، ومن بلد العناب توجه القائدان البحريان أبو العباس الخطيب وأبو القاسم بن بنج في غرابين نحو **تونس، وبلاد إفريقية**[11].

---

1) ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص270.
2) نفسه، ص273، 274.
3) نفسه، ص274؛ **و الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص405**.
4) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص289.
كان حاكمها الحفصي هو عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر ولما علم بقدوم المرينيين لحصارها هرب إلى بلد العناب وكان يريد الهرب بحر، حيث يقول ابن الحاج:" توهم النجاة بركوب البحر" فخلفه أخوه صاحب بلد العناب على قسنطينة، مستغلا الفرصة للقبض على أكبر إقليم في الدولة الحفصية وهو لا يدري قوة المرينيين. **فيض العباب، ص334**.
5) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص352-353.
6) القطا نوع من الطيور.
7) ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص288.
8) نفسه، ص310-311.
9) الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تقديم وتحقيق محمد الشاذلي النيفر، و عبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، 1968، ص182-183.
10) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص334-340. **و الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص407**.
11) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص341، 353، 355.

و لما توغل العرب المنافقون-كما يصفهم ابن الحاج-في الصحاري والمفاز[1]، قرر التوجه إلى بلاد الزاب مارا بجبال الأوراس، فوصل منطقة **تيجمامين"أو تيحمامي**"، وهدم قصر عثمان بن علي الرياحي، وقصر ابن عمه سعيد بن موسى الرياحي[2] ثم إلى قصر باينة"أو **باتنة** حيث قضى ليلته ليتمكن من تهديم القصور الليمسية والقلاع[3]، ومنها سار إلى مدينة لميس[4]، أو **لمبيز"تازولت** حاليا"[5].

ثم وصل إلى بسكرة مارا بأحواز **القنطرة**[6] ثم إلى **لوطاية** الشهيرة بمزارعها[7]، ثم إلى **بسكرة وطولقة** يوم22من شهر رمضان، وكان زعيمها عبد الرحمن الطولقي، الذي خاف وأعلن الولاء[8] وقد توقفت الحركة عند طولقة، بعد أن أعلن شيخ الدوسن الطاعة بإيعاز وحماية من الشيخ ابن مزني، وبالتالي دخلوا جميعا في طاعة أبي عنان[9].

ثم توجه شمالا إلى تقاوس"**نقاوس**"في28رمضان عام 758هـ/1356م، مارا بمدينة **مدوكال** يوم الجمعة30رمضان، التي مارس فيها أبو عنان هواية الصيد[10]، جاعلا كل الأعراب تفر من طريقه معلنة الولاء والبراء، كما فعل عربان مدينة **سفيان** الذين أضروا بحدائق نقاوس أشد الضرر[11]، ودخل نقاوس بترحاب كبير من أهلها، وهو خلالها يجول حدائقها عزم أبو عنان على أن يوجه جيشاً يهدم زراية"أو زريبة"نظرا لتمكن الأعراب منها، إلا أن شيخ بني مزني تدخل شافعا مواعدا صاحب زراية فعفا عنه[12].

ومن **نقاوس عاد** مرة ثانية إلى **قسنطينة** بعد أن أدب الأعراب وأدخلهم في طاعته، بدءاً من يوم الاثنين 9 شوال 758هـ، ووصلوا إليها يوم السبت 12 شوال من العام المذكور[13]، ليتوجه إلى **تبسة** لمحاربة الأعراب من

---

1) ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص410، 419.

2) الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص410.

3) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص416.

ويقصد هنا خطوط الدفاع الليمس الرومانية التي أنشأوها في هاته المنطقة كتيمقاد ولمبيز.

4) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص417.

5) إسماعيل زردومي: المرجع السابق، ص189، 204.

6) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص420.

7) نفسه، ص426.

8) نفسه، ص436؛ **و الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص410.**

9) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص452، 454.

10) ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص456.

أعطى الموحدون نقاوس لأحد أعيان القبائل العربية وهو محمد بن يحي شيخ أولاد عساكر، الذي عاث فيها فسادا واستبدادا بسكانها إلى أن قدم عليها أبي عنان.**إسماعيل زردومي: المرجع السابق، ص198.**

11) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص461.

12) نفسه، ص468-469.

13) نفسه، ص471-472؛ **و الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص411.**

أولاد أبي الليل[1]، الذين خافوا حد السيف فرجعوا إلى الصف وأعلنوا الطاعة، فتوجه من **قسنطينة** وبعد أن رتب أمورها قرر العودة إلى فاس بعد سبعة أشهر من هذه الحركة وتوجه إلى **سطيف**، ومنها إلى **المسيلة**[2].

ومباشرة ينتقل ابن الحاج النميري إلى وصول أبي عنان من المسيلة إلى **تلمسان**[3] دون الإشارة إلى المناطق التي مر بها في طريق العودة، ليذكر انتقاله إلى **وجدة**[4]، والعودة إلى فاس في غرة ذي الحجة عام 758هـ/1356م [5].

ومع ذلك نستطيع استخلاص بعض النتائج التي تخص النشاط البحري من خلال خلفيات الأحداث الموصوفة والمروية، خاصة فيما تعلق بالمدن الساحلية التي زارها ابن الحاج و وصفه المهم للأسطول ومكوناته من سفن وغيرها.

كان الأسطول المريني في عهد أبي عنان أقوى الأساطيل التي عرفها المغرب الإسلامي[6]، ونحن مدينون هنا لابن الحاج بمعلومات غنية عن هذا الأسطول ولكن كان بأسلوب أديب شاعر، لا أسلوب مؤرخ يبحث عن الحقيقة المجردة، لهذا لم نظفر بمعلومات كثيرة عن قطع الأسطول.

إن رحلة فيض العباب ليست من الرحلات المهتمة بالمسالك والمراحل، لذا تختفي مراحل الحركة من حيث النزول والارتحال ولا يتوقف ساردها إلا في الأماكن التي حددت من قبل السلطان المريني[7]، ورغم ذلك نستطيع تتبع أغلب المحطات الكبرى من خلال المسالك التقليدية التي ذكرها معاصروه، كما تفيدنا من خلال أسلوبها الأدبي في وصف البحر والأسطول.

وقد وقع عزم أبي عنان على أن ينشئ في جميع المدن الساحلية حبسا لافتداء الأسرى، لأنه ربما أتى العدو بالأسرى في أجفانه، وطلب إحضار فديتهم، أسرع من رجع أجفانه، فيقدم للعدو ما يطلبه من مال ولا يجده فينصرف عن الساحل[8].

وفي هذه الفترة أخذ جفناً للروم وأسر كل من كان فيه، ثم اقتيدوا جميعا للمثول أمام أبي عنان[1]، فتوالت البيعات وتكاثرت وفود القبائل والبلدان، فأمنت السبل وعمت الطمأنينة.

---

1) ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص476.

2) نفسه، ص480.

3) نفسه، ص486.

لقد قام وزير أبي عنان عمر بن ميمون بن أمصمود في وشاية كاذبة ضد وزيره الآخر الذي تركه في فاس وهو"أبو زيان فارس بن ميمون ودرار " وإقناع أبي عنان بمطامعه في الحكم وتخطيطه للانقلاب مما جعل أبو عنان في الإسراع بالعودة ومعاقبتهم كلهم دون تبين. و **الحسن الشاهدي: المرجع نفسه، ج2، ص412–413**.

4) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص488، 489.

5) لا توجد لدينا فكرة عن المناطق والمراحل التي قطعها أبي عنان بين طولقة ولميس وبسكرة، وما هو الزمن الذي استغرقته الحركة من الزاب إلى فاس وحتى المسافة التي تفصل بين تازة وقسنطينة.

6) محمد المنوني: ورقات، ص109-110.

7) إسماعيل زردومي: المرجع السابق، ص202.

8) ابن الحاج النميري: المصدر نفسه، ص169؛ **ومحمد المنوني: ورقات، ص108**.

كما كانت الرحلة مفيدة في جانب العلاقات البحرية والتجارية مع مختلف الدول الأوربية في عصر أبي عنان[2]، حيث بادر ملك البرتغال بطلب الصلح والتعاون التجاري[3]، ثم ملك قشتالة الذي أرفق طلب المهادنة والصلح بهدية[4]، ولحق بهم كل من الجنويين[5]، والأراغونيين، إذ يذكر ابن الحاج"واستراحت البلاد الساحلية من عدوانهم، وأمنت حمائم أبراجهم من غربانهم، وهدأت المراسي من مراسيهم، ورفت المرافئ خروق دعاسهم"[6].

إلا أن الخلافات ساهمت في الكثير من التصادمات بين التجار في الشواطئ أو القيام بعمليات القرصنة، كتلك التي حدثت عندما كان أبو القاسم بن فتح مسافرا وصادف شيطيا للروم فأخذه، وأسر أهله وأتى بهم إلى بلد العناب مقرنين في الأصفاد[7].

---

1) الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج، ص409.

2) المصدر نفسه، ص159.

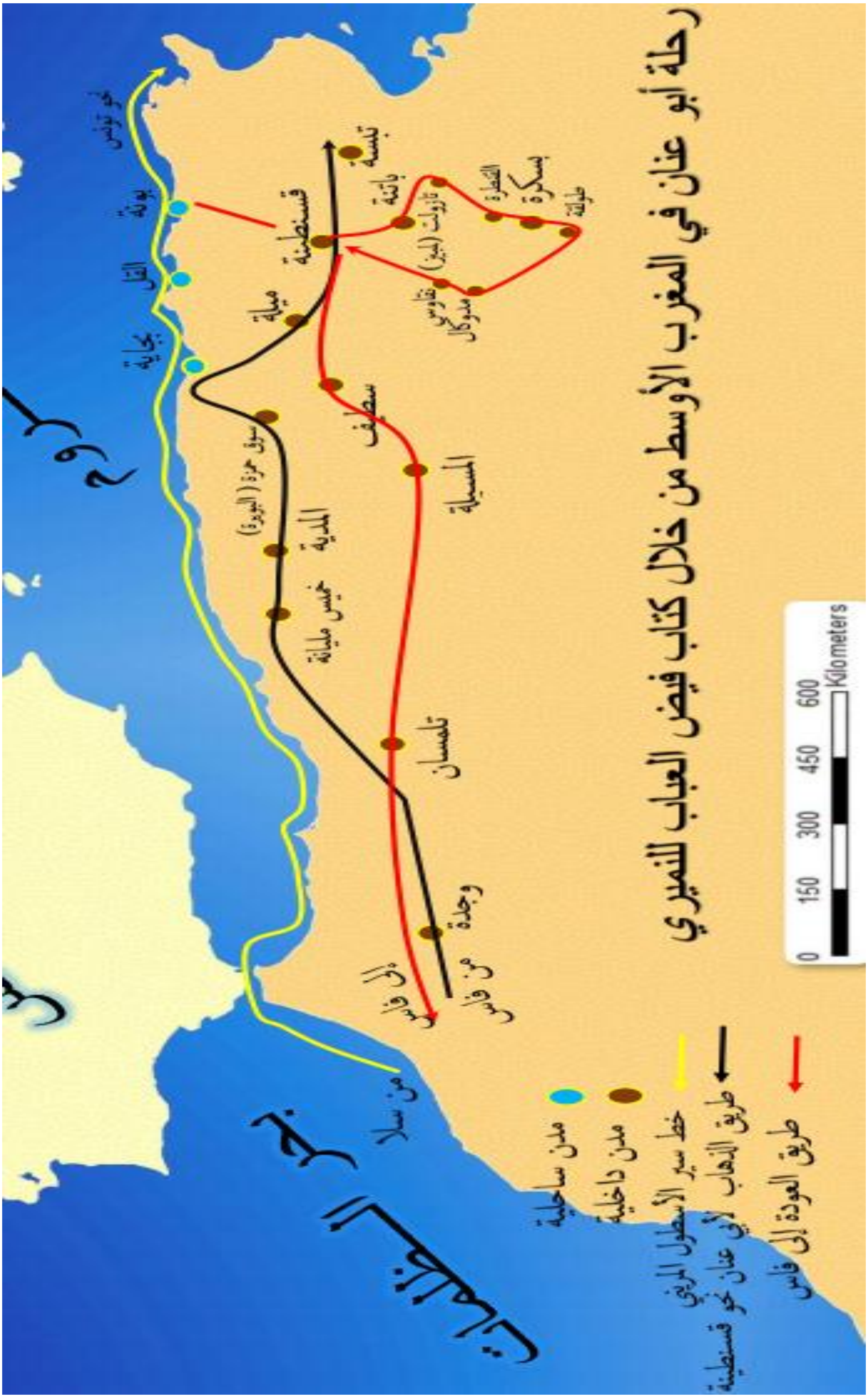
3) نفسه، ص182.

4) نفسه، ص184.

5) نفسه ص186.

6) نفسه، ص187.

7) نفسه، ص104.


رحلة أبو عنان في المغرب الأوسط من خلال كتاب فيض العباب للنميري
مدن ساحلية
مدن داخلية
خط سير الأسطول المريني
طريق الذهاب لأبي عنان نحو قسنطينة
طريق العودة إلى فاس
نحو تونس
بونة
القل
بجاية
تبسة
قسنطينة
باتنة
بسكرة
طولقة
القنطرة
نقاوس
ميلة
سطيف
المسيلة
المدية
خميس مليانة
تلمسان
وجدة
من فاس
إلى فاس
من سلا
0 150 300 450 600 Kilometers

أما عن رحلات **ابن بطوطة(ت770هـ/1368م)**[1] التي دامت قرابة ثلاثين عاماً، حيث انطلق من بلدته طنجة عام725ه/1324م وعاد عام756ه/1355م إلى وطنه المغرب، وقد تم تدوين نص الرحلة في نفس عام عودته بأمر من السلطان المغربي أبو عنان من قِبَل الكاتب الأندلسي أبي عبد الله محمد بن جُزي الكلبي الغرناطي[2].

لقد قدم ابن بطوطة وصفا موجزا عن المغرب الأوسط، كما لو أنه منطقة عبور إلى الأمكنة البعيدة المقصودة لأنه معروف عنده وكذا عند السلطان أبي عنان.

كانت رحلة ابن بطوطة في المغرب الأوسط برية في مرحلة الذهاب؛ ثم زاوج بين البحر والبر في مرحلة العودة، فنجده ينطلق من **طنجة** في يوم الخميس الثاني من رجب سنة 725هـ/1324م، للتوجه للحج وزيارة قبر الرسول"ص"وعمره يومئذ اثنتان وعشرون سنة[3].

ليصل إلى مدينة **تلمسان**"وسلطانها يومئذ أبو تشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان"[4]، وأقام بها ثلاثة أيام، ثم خرج مجداً في السير حتى يلحق ببعض الحجاج إلى أن أدركهم في مدينة **مليانة**[5]، ومنها اتجه مع مجموعة من تجار تونس فوصل **مدينة الجزائر** وأقام بخارجها أياما ثم توجه إلى **متيجة،** ومنها إلى جبل الزّان، وصولا إلى مدينة **بجاية،** وكان أميرها "أبو عبد الله محمد بن سيد الناس الحاجب"[6].

---

1) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي بن بطوطة، ولد بطنجة يوم الإثنين17 رجب 703هـ/ 24 يبراير 1304م، من عائلة كان بعض أفرادها يشتغلون بالقضاء، وكان مالكي المذهب، غادر طنجة حين بلغ الثانية والعشرين قاصدا مكة، وتلك أول رحلة قام بها ثم قام برحلتين أخرتين، لكن عشرين سنة الأخيرة من حياته تبقى غامضة وقليلة المعلومات، ولا يعرف عنه سوى أنه زاول القضاء في إقليم تامسنا أما تاريخ وفاته فهو مختلف فيه مابين سنة 770هـ، وسنة 779هـ.**ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص273؛ وابن حجر: الدرر الكامنة، ج3، ص480؛ و كراتشكوفسكي: المرجع السابق، ج1، ص422.**

لم تشر المصادر إلى أصل كلمة بطوطة، وقد ذهب التازي إلى أن عائلة بطوطة ترجع إلى سيدة كانت تحمل اسم فاطمة كعادة قديمة في انتساب الناس إلى أمهاتهم، فتتحول فاطمة في المشرق تدليلا إلى بطة، وتسمى بطة في المغرب بطوطة كسفودة. **مقدمة المحقق التازي: رحلة ابن بطوطة"تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، طبع أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ج1، ص80**؛ ولكن بالعودة إلى اللغة العربية فعند ابن الأعربي أن البُطُطَ تعني الأعاجيب والكذب والبَطِيطُ أي العجيب. **ابن منظور: لسان العرب، مادة بطط.**

2) أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم محمد بن أحمد بن جُزَي الكلبي، وقد ولد بغرناطة سنة 721هـ/ 1321م وأدركه أجله بفاس يوم 29 شوال757هـ/ أكتوبر1357م عن عمر لا يتجاوز ستاً وثلاثين سنة... وقد قُدِّر لهذا الرجل أن يجتمع بابن بطوطة في غرناطة وكان يصغره عمراً بنحو ثمان عشرة سنة، عندما زار الرحالة المغربي عاصمةَ بني نصر عام 752هـ/ م1351. **المقري، أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبط وتحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1398/ 1978، ج 3، ص195-196؛ والزركلي:المصدر السابق، ج7، ص37.**

3) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج1، ص153.

4) نفسه، ج1، ص157.

5) نفسه، ج1، ص158.

6) نفسه، ج1، ص161.

إن مصاحبة ابن بطوطة لقافلة التجار تبين لنا وجود مسلك تجاري بري بين المغرب الأوسط والأدنى(1)، منطلقا من تلمسان عبر مليانة ثم الجزائر وصولا إلى بجاية ومنها إلى قسنطينة، ثم نحو بونة إلى تونس، وهو طريق قديم منذ العهد الروماني في إطار شبكة كبيرة لنقل خيرات البلاد إلى مقاطعة إفريقيا ومنها إلى روما.

وبعد أن مكث بها مدة حتى شفي من مرض الحمى سار في طريقه فوصل مدينة **قسنطينة**، ومنها إلى مدينة **بونة**، فنزل بها لعدة أيام، ولكنه تركها ومجموعة من التجار خوفا من الاضطرابات الداخلية، فواصل طريقه إلى تونس(2)، ليتم مروره عبر أراضي المغرب الأوسط، من خلال سبع مدن حل بها وكلها دخلها عن طريق البر.

وفي طريق العودة عندما كان بالقاهرة سمع بتولي أبو عنان المريني الحكم ونشره للأمن في الربوع المغربية تاقت نفسه للعودة بسرعة مما جعله يركب البحر منها في قرقورة(3) صغيرة لبعض التونسيين، وذلك في صفر سنة750هـ/أفريل ماي1349م، فنزل في عدة مدن ساحلية تونسية منها جربة ثم تونس(4)، ومنها إلى **جزيرة سردانية** بواسطة سفينة كطلانية، فنذر للرحمن صوم شهرين متتابعين لئن نجاهم من أهلها، فخرج منها إلى **مدينة تنس**(5)، ولا ندري هل كان المسلك البحري مباشراً أم مرَّ على عدة موانئ من المغرب الأوسط؟

وبالتالي ينفرد ابن بطوطة بذكر طريق بحري يربط بين جزيرة سردينية وتنس يستغرق الإبحار عبره مدة عشرة أيام(6)، كما نستنتج أن الطريق الأول الذي سلكه ابن بطوطة في المغرب الأوسط وكان طريقا تجاريا بريا، كان صعب المشي فيه مما جعله يغيِّر طريق العودة، ونذره وسرعته في العودة يبين أنه لقي المخاطر الكثيرة في الطريق(7).

كما تُبين لنا هنا الرحلة سيطرة السفن الكطلانية على حركة الملاحة في البحر المتوسط للنقل بين مختلف جزره أو بين ضفتيه.

ثم واصل السير من تنس إلى مدينة **مازونة**، ثم إلى **مستغانم** ثم إلى تلمسان وقصد العباد، ثم خرج منها إلى مدينة ندرومة، ومنها إلى المغرب الأقصى(8).

ونجد أن ابن بطوطة ذكر بعض المواقع دون غيرها مما صعَّب علينا تحديد طريق العودة هل كان بحرياً أم برياً ؟ أم زاوج بين البر والبحر؟ فنجده يتوجه نحو مازونة وهي مدينة برية، ومنها يعود إلى مستغانم وهي مدينة بحرية، وينتقل منها إلى تلمسان دون ذكر للعديد من المدن التي مرَّ بها إن كان برا أم الموانئ التي مرَّ بها إن كان بحرا؟

1) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص375.

2) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج1، ص164.

3) **القرقورة**: هي سفينة تحمل الزاد والكراع للأسطول، وأصل اسمها بالاسبانية كاراكا، ومنها ما هو بثلاثة ظهور"طبقات" ولها ثلاثة قلاع تسير بها في الريح العاصف.**محمد المنوني**: **ورقات، ص110**.

4) ابن بطوطة: المصدر نفسه، ج4، ص184.

5) نفسه، ج4، ص190.

6) تحفة النظار، ج4، ص190.

7) الناصر سعيدوني:المقال السابق، ص261.

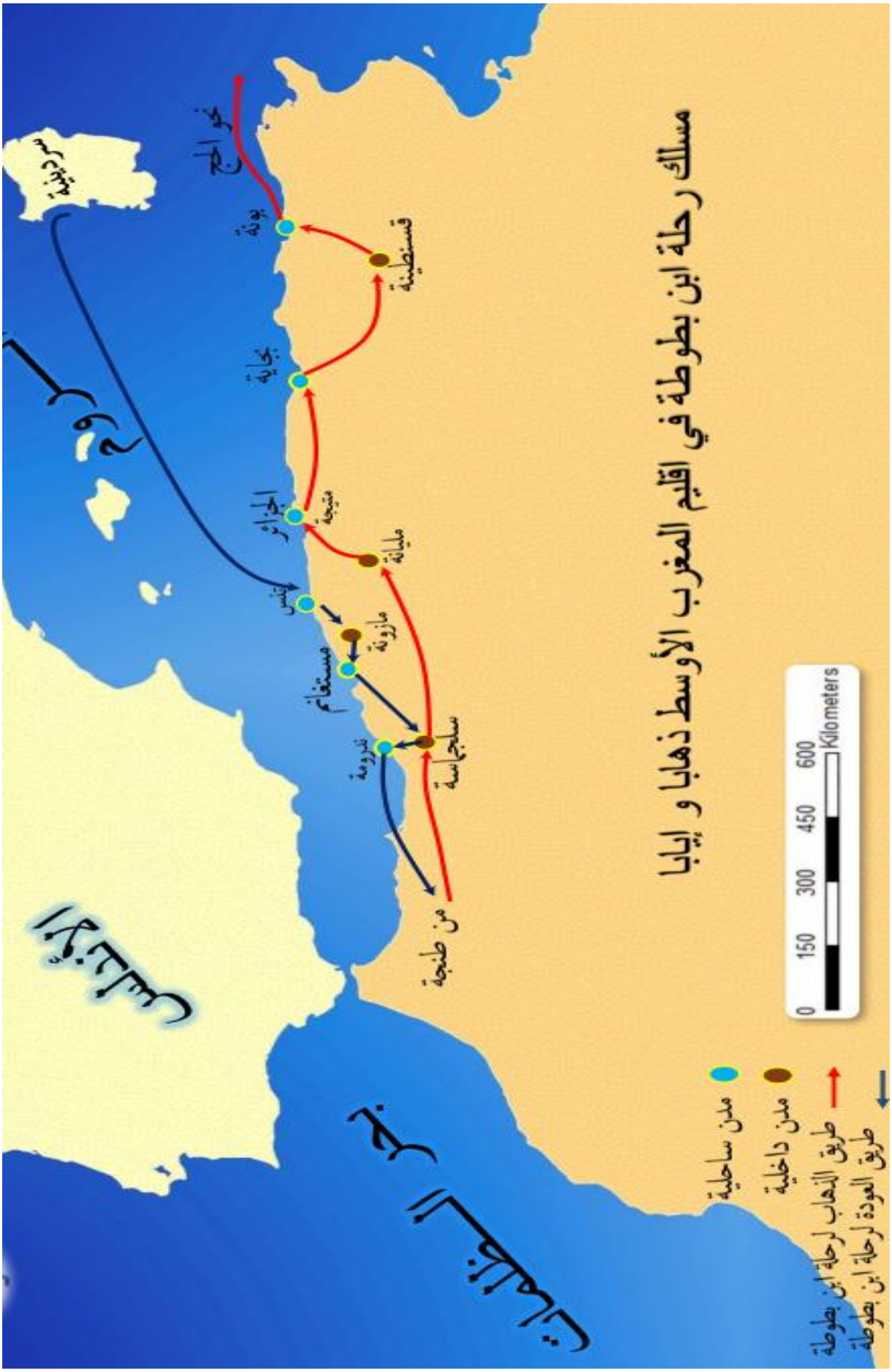
8) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج4، ص190.

وعلى العموم يمكن ترجيح أنه انتقل من تنس إلى مازونة ثم مستغانم ثم تلمسان برا لأنه لم يذكر لنا إن كان استقل مركبا أو سفينة، ورغم ذلك نستنتج من رحلته في المغرب الأوسط، المسالك التي اتبعها سواء في الذهاب أم العودة حيث نجده في الذهاب ينطلق من طنجة ليصل إلى تلمسان دون تحديد هل كان التنقل بريا أم بحريا أم زاوج بينهما؟ باعتبار مدينة طنجة بحرية وتلمسان لها ميناؤها الذي يصلها بالبحر وهو ميناء هنين.

ثم يذكر لنا ابن بطوطة مسلكاً برياً يتبعه عادة ركب الحجاج وهو الطريق الواصل بين تلمسان ومليانة، دون أن يسمي المدن التي مر بها.

ليعود ابن بطوطة في رحلته لذكر مسلك يتبعه المسافرون يربط بين غرب المغرب الأوسط وشرقه وهو طريق مليانة بجاية مرورا بالجزائر ومتيجة"أو البليدة حاليا"، ومن بجاية يعود للنزول جهة الجنوب الشرقي نحو قسنطينة رغم أنه كان بمقدوره التوجه مباشرة إلى بونة، وهذا ربما لمكانة قسنطينة التي تجعل الحجاج والمسافرين يقصدونها سواء للتزود أو التقاء العلماء والمشايخ، أو لأنه طريق تقليدي للسفر ومن بونة ينتقل إلى مدن تونس وليبيا متجها نحو القاهرة.

أما في طريقه للعودة فأشار إلى طريق بحري مهم جدا وهو الرابط بين القاهرة وتونس، مع وجود تجار تونسيون لهم إمكانيات بحرية من خلال امتلاكهم لقرقورة، كما ذكر لنا طريقاً بحرياً رابطاً بين تونس وجزيرة سردينية، وطريق بحري آخر رابط بين سردينية وميناء تنس، وطريق بري رابط بين تنس وتلمسان مرورا بمازونة ومستغانم وتلمسان و ندرومة و صولا إلى الأراضي المغربية عن طريق وجدة.


مسالك رحلة ابن بطوطة في اقليم المغرب الأوسط ذهابا و إيابا
مدن ساحلية
مدن داخلية
طريق الذهاب لرحلة ابن بطوطة
طريق العودة لرحلة ابن بطوطة
0 150 300 450 600 Kilometers
من طنجة
ندرومة
مستغانم
مازونة
تنس
مليانة
متيجة
الجزائر
بجاية
قسنطينة
بونة
نحو الحج
سردينية

ومن الرحلات المهمة أيضا رحلة **عبد الباسط الملطي(ت920هـ/1425م)**[1]، التي استغرقت نحو ست سنوات من عام 866إلى 871هـ/1465حتى1467م، تحت عنوان"الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم"[2]، وهي تؤرخ لبلاد المغرب والأندلس في عهد الحفصيين والزيانيين والمرينيين وبني الأحمر في غرناطة و عصر المماليك في مصر والشام[3].

ومن خلال الرحلة نقف على العلاقات السياسية والإدارية التي تربط بين صاحب تونس وصاحب تلمسان، وقائد طرابلس الغرب وصاحب تونس، وعلاقات المسلمين باليهود، وعلاقات المسلمين بالفرنج من الجنويين والمالطيين، والبرتغاليين والفنلنديين، والحركة التجارية بينهما من جهة أخرى، و أهم المراسي والموانئ والرحلات البحرية، والنظم المالية وغيرها.

أما مسار الرحلة في المغرب الأوسط فكان على النحو التالي: قسنطينة، بجاية، الجزائر، مازونة، قلعة هوارة[4]، البطحاء[5]، تلمسان، وهران، تلمسان ثانية، وهران ثانية، ثم وهران ثالثة، ثم بجاية ثانية، وبالتالي قضى أطول أوقات رحلته في ثلاث مدن هي وهران(21 شهرا) وتونس(15 شهرا) وطرابلس الغرب(12 شهرا)[1].

---

1)هو أبو المكارم زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء، غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري الملطي الحنفي، كان جده شاهين تتري الأصل من مدينة سراي ببلاد القفجاق وأصبح من مماليك السلطان الظاهر برقوق، ولهذا يعرف بالظاهري، وتولى نيابة بيت المقدس في أواخر دولة الناصر فرج بن برقوق، وتوفي سنة834هـ/1431م، ووالده خليل هو المؤرخ المعروف صاحب كتاب" زبدة كشف الممالك"، أما مؤرخنا عبد الباسط فقد ولد في مدينة ملطية بآسيا الصغرى سنة 844هـ/1440م. **عمر عبد السلام تدمري: مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتابه المخطوط"الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم"، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 17، شتاء 2001، ص111.**

2) الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم الذي يحوي على الرحلة المغربية فهو تاريخ كبير وصلنا منه 4 أجزاء فقط وهو في الأصل أكبر من ذلك. **عمر عبد السلام تدمري: المرجع نفسه، ص112-113.**

وقد ضاع منه العديد من الورقات حيث نجد اضطراب في أوراق الجزء الأول، حيث وضعت سنة 848هـ/1431م قبل 846هـ/1429م، والجزء الثاني فيحتوي على حوادث سنة865هـ/1460م إلى سنة868هـ/1461م وقد ضاعت حوادث من851هـ/1447م حتى أواخر864هـ/1459م أي14 سنة بالتمام .**عمر عبد السلام تدمري: المرجع نفسه، ص113.**

3)محمد محمد عامر: الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، لعبد الباسط بن خليل، دراسة وتحقيق، مجلة كلية دار العلوم، القاهرة، العدد7، 1977-1978، ص61-62.

4) ذكرها البكري: المصدر السابق، ص69. وذكر محقق كتاب الوزان أن اسمها قلعة بني راشد على بعد 20كلم جنوب محطة السكة الحديدية لمليل بشرق المغرب الأقصى.

5) كانت البطحاء قائمة عام513هـ/1119م عندما نزل بها محمد بن تومرت في طريق عودته من المشرق، واستضافه أحد كرمائها هو وطائفة من أتباعه، ومنهم عبد المؤمن و في سنة540هـ/1145م أمر عبد المؤمن ببناء أسوار تاجرا مسقط رأسه و حصن المدينة

و بنى جامعها، كما قام بترميم ببناء البطحاء و هي مدينة بنواحي الشلف، بناها عبد المؤمن في المكان الذي بركت فيه الناقة الحاملة لأحد أصحاب عبد المؤمن.**ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص199.**

وقد ورد في مخطوط الروض الباسم أن أعظم مدن الدولة الحفصية وأقاليمها بلد العناب وبجاية وقسنطينة والحامة، ونفطة وبسكرة، وكان سلطانها في تلك الفترة أبو سعيد عثمان بن حفص الهنتاتي، أما سلطان المغرب الأوسط في تلمسان وما والاها فهو أبو العباس أحمد بن أبي حمو موسى ابن عبد الواحد العبد الوادي(2).

ويذكر عبد الباسط أنه في يوم الجمعة الحادي عشر من شهر شوال عام 866هـ/1461م ركب البحر المالح من ميناء ثغر الإسكندرية بشواني البندقية فأقلعوا، وكان معهم جماعة من التجار المسلمين بأصناف البضائع وأكثرها الكتان، وساروا متوجهين إلى جهة تونس والمغرب(3)، ونكتشف من قوله أن الملاحة البحرية في هذه الفترة سيطرت عليها سفن المدن الايطالية كالبندقية وجنوة، كما يبرز لنا نوع السفينة وهي من الشواني، وهي السفن الأكثر انتشارا واستخداما خاصة للتجار والمسافرين، وهو بنفسه يؤكد ذلك من خلال ذكره أنها محملة بالتجار وأصناف البضائع، وهذا يدل على انتعاش وازدهار التجارة بين المشرق والمغرب.

وفي السابع عشر من شهر شوال من عام 868هـ/1463م دخل مدينة قسنطينة قادما من القيروان ثم تونس وباجة، بلد العناب(4)، وقال عن قسنطية:"...رأيت مدينة عجيبة الموضوع، حسنة المجموع، على جبل عال، وتحتها واد عظيم، كثير الخصب والأجنة والبساتين...ورأيت أبنيتها وهي جيدة عظيمة، فأقمنا بها ثلاثة أيام، ثم سرنا في رابعها إلى جهة تلمسان..."(5)، كما نستمد منه باعتباره شاهد عيان أن قسنطينة خلال العهد الحفصي بلغت درجة كبيرة من الازدهار والتطور، ويبين خط السير أنه دخل المغرب الأوسط في البداية برا انطلاقا من القيروان وصولا إلى قسنطينة وهذا دليل على توفر الأمن والأمان وزوال قطاع الطرق من الأعراب.

كان بقدوم شهر ذي الحجة من نفس السنة قد وصل **مدينة بجاية** بقوله:"...وفيه دخلنا مدينة بجاية وبادرت بالاجتماع بشيخها الإمام العلامة سيدي أبي القاسم محمد المشدالي..."(6).

ويجهل لحد الآن موقع البطحاء لكن أغلب الظن أنها كانت تقع على الطريق الكبرى المؤدية من تلمسان إلى جزائر بني مزغنة على الضفة اليسرى لواد مني قرب إغيل إزان" غليزان التي تعني ربوة الذئاب". **محقق كتاب:وصف إفريقيا، ج2، ص28، الهامش35.**

1) عمر عبد السلام تدمري: المرجع السابق، ص113-114.

2) عبد الباسط الملطي: الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، مخطوط في الخزانة التيمورية، بدار الكتب المصرية، رقم 2403، ورقة 3A.

3) عبد الباسط الملطي: المخطوط السابق، ورقة 39A.

4) عبد الباسط بن خليل الملطي: رحلته إلى شمال إفريقيا، ترجمة روبير برانشفيك، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، مج 185، 1994، ص40؛ لقد استخدمت مخطوط الرحلة وكذا الجزء المنشور منها بسبب غياب الصفحات الأولى التي تتحدث عن انطلاقه من الإسكندرية في الرحلة المنشورة من قبل روبر برانشفيك.

5) المخطوط السابق، ورقة 79A؛ **وعبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص40.**

6) المخطوط السابق، ورقة 79A؛ **و عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر السابق، ص41.**

ثم يواصل كلامه بأنه رحل إلى **مدينة الجزائر** بقوله:"...ثم رحلنا من بجاية فدخلنا الجزائر، وتبركت بسيدنا الشيخ الولي العالم العلامة الشهير، سيدي عبد الرحمن الثعالبي، وسمعنا شيئا من فوائده..."(1)، كما وضح لنا ذلك وجود طريق رابط بين بجاية والجزائر لكنه لم يبين هل كان برا أم بحرا؟ وبما أنه اعتاد ذكر نوع السفينة أو المركب إذا كانت الرحلة بحرية نستشف أنه تنقل برا.

ومن خلال هذه الرحلة نقف كذلك على العلاقات السياسية والإدارية التي تربط بين مختلف مدن ومناطق المغرب الأوسط، إضافة إلى العلاقات التجارية والاقتصادية ومشاركات اليهود، والفرنجة من الجنويين والملطيين وبرتغال وفلنديين(2).

ويضيف عبد الباسط قائلا:"...ثم رحلنا من الجزائر فاجتزنا بطريقنا إلى تلمسان بمدينة مازونة وقلعة هوارة والبطحاء ودخلنا تلمسان في أواخر شهر ذي الحجة..."(3)، وهذا الطريق الذي ذكره يدل على أنه طريق بري، كما يبين لنا بروز مدن جديدة كمازونة، وهوارة والبطحاء، وعدم ذكره الكثير من المدن القديمة المشهورة والتي توجد في طريق سيره.

وعند مكوثه في تلمسان أحضر أحد عشر نفرا من الفرنج أسروا من ساحل هنين، وكانوا وردوا إليها في مركب لتخطف المسلمين، والإغارة عليهم بالطرقات ونحوها؛ فأخذوا وجهزوا للسلطان حتى يرى فيهم رأيه، فأمر السلطان بشنق ستة منهم على أبواب تلمسان، وأبقى خمسة آخرون من ذوي المال ليفدوا أنفسهم(4).

وإن كلام صاحب الرحلة مهم جدا لأنه يبين أن هناك غارات من الإفرنج على تلمسان والمناطق الساحلية؛ كما نستشف أهمية **ميناء هنين** بالنسبة لتلمسان والدولة الزيانية، إذ عادة ما تكون الهجومات على أهم الموانئ وأكثرها نشاطا حتى تكون نتائج ذلك الهجوم مهمة وكبيرة، أما كيفية تعامل السلطان مع الأسرى، تبين أن هناك افتداء يتم عادة من قبل أسرهم الغنية أو دولتهم في حالة كانت مكانتهم الاجتماعية أو السياسية كبيرة.

ثم واصل عبد الباسط رحلته ودخل **وهران** في يوم الاثنين السادس والعشرين من صفر في آخر النهار وتوجه إلى زاوية سيدي إبراهيم التازي، والتقى بسيدي أبو العباس أحمد بن العباس المالكي مفتي وهران(1).

---

1) عبد الباسط الملطي: المخطوط نفسه، ورقة 79A؛ و **عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص41. و الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص526.**

2) عمر عبد السلام التدمري: رحلة عبد الباسط بن خليل بن شاهين إلى تونس وتراجم تونسية في مخطوطين له، ضمن أعمال ملتقى الكتابة التاريخية في العصر الوسيط، من الخبر والرواية إلى النص والوثيقة، تونس، أيام 28-30أفريل2010، راجع النصوص وأعدها راضي دغفوس وخالد كشير، منشورات مخبر العالم العربي الإسلامي الوسيط، تونس، ص393.

3) نفسه، ورقة 80A؛ و **عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص41.**

4) نفسه، ورقة 91B؛ و **عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص43.**

وفي شهر رمضان من عام869هـ/1464م خرج مؤرخنا ورحالتنا عبد الباسط من وهران متوجها لتلمسان، ونزل بمنزل عبد الرحمن بن النجار مدبر المملكة لسلطانها محمد بن أبي ثابت، الذي أكرم مثواه، ثم عزم الرحيل إلى فاس لكن أحداثا وقعت فيها منعته من ذلك فعاد إلى وهران، بأشياء تَسَوقها من تلمسان لأجل بيعها في الأندلس[2].

ونستشف من كلامه السابق الحركية البحرية النشطة سواء بين وهران وتلمسان أو بين فاس وتلمسان، فكانت الحياة مزدهرة اقتصاديا، والتجارة بين هذه المدن الثلاث كبيرة، كما يبين لنا أن الوضع كان غير مستقر في الأندلس بسبب ضعف ممالكه الإسلامية ووقوعها في أيدي القشتاليين والارغونيين[3]؛ إضافة إلى الفوضى و الاضطرابات الكبيرة في فاس[4].

والتجارة بين وهران وتلمسان كانت تتم عن طريق بري مباشر أو عن طريق بحري مع هنين ثم يتحول إلى بري من هنين إلى تلمسان أما الطريق بين تلمسان وفاس فقد كان طريقا بريا؛ ونستشف ذلك من خلال قوله:" وفي هذا اليوم ركبنا البحر عائدين إلى وهران من تلمسان، وعزمت التوجه منها مباشرة إلى تونس، لكنه أحس بالضعف فقرر الاستراحة في وهران"[5]، أي أن هناك طريقاً بحرياً مباشراً بين وهران وتونس ينشط التجارة والرحلات يستخدمه التجار والمسافرون.

وهنا تكمن الأهمية الكبيرة لرحلة الروض الباسم حيث يصور لنا الأوضاع الداخلية والسياسية مع تسجيل دقيق للقاءات عبد الباسط وأحوال الدول والمدن[6].

وفي سنة870هـ/1465م خلال شهر محرم زار عبد الباسط الصخرة التي بساحل وهران التي أشيع بأنها الصخرة التي ترك فيها سيدنا موسى الحوت عندما كان مع الخضر عليه السلام، إذ قال:"وذلك أني خرجت إلى وهران من باب البحر إلى الساحل فرأيت صخرة عظيمة بالساحل المذكور وعلى ظهرها مسجد لطيف يصلى فيه

1) عبد الباسط الملطي: المخطوط السابق، ورقة 94B؛ و **عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص46**.

2) نفسه، ورقة p97A ؛ و **عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص47، 56**.

3) تقع **أراغونة** شمال شرق اسبانيا عاصمتها سرقوسة فتحها المسلمون سنة96هـ/714م ثم صارت كونتية تابعة لنفار في القرن التاسع الميلادي، ولم تصبح مملكة إلا بعد سنة426هـ/1043م وتوسعت بعد ذلك لتضم بلنسيا وكورسيكا وجزر البليار وسيردينيا....**لطيفة بشاري:العلاقات التجارية، ص142**.

4) يذكر في رحلته بأن بني وطاس تحزبوا وجمعوا جموعا عظيمة وهم في نية حصار فاس ليأخذها الذي يقال له مولاي الشيخ من صاحبها السيد الشريف محمد بن عمران، وأن أهل فاس في ضرر كبير بسبب ذلك وأن التجار والقوافل قد انقطعت ما بين ذلك البلاد بسبب هذه الفتن وأن العرب الذين يقال لهم الشاوية مع بني وطاس. **المخطوط السابق، ورقة 110p**؛ **و عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر السابق، ص59**.

5) نفسه، ورقة 115A؛ **و عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص60**.

6)محمد محمد عامر: المرجع السابق، ص71

ويدعا...وكنت رأيت قبل ذلك بتلمسان مسجدا يقال له"مسجد الجدار"يزوره أهل تلمسان، وعليه أُنس وخفر، ويزعم أهل تلمسان بأنه مكان الجدار الذي أقامه السيد الخضر..."[1]، وهذا يبرز الثقافة الدينية الشعبية في منطقة وهران وتلمسان، وأن سكان المغرب الأوسط لم يكونوا خائفين من البحر.

كما تبين رحلة عبد الباسط قدرته الفائقة على الملاحظة الدقيقة والعناية بوصف المظاهر الجديدة أو الغريبة التي يمر بها مما يجعله يقف في صف واحد مع الرحالة المسلمين العظام[2].

وفي أواخر شعبان من سنة870هـ/1465م وصاحب الرحلة في وهران وإذا بمراكب للفرنج من جهة الغرب ففزع أهلها وأشيع أن المراكب مشحونة بالمقاتلة وأنهم قصدوا أذى المسلمين، ولكن تلك المراكب اجتازت ولم تعرج لجهة وهران ولا سواحلها، ثم بلغنا بأنها أغارت على سواحل بجاية وأسرت الكثير[3].

إن هذا الكلام يبين ما شرحناه سابقا عن انتشار القرصنة الأرغونية والقشتالية وضعف حال المغرب والمسلمين في البحر المتوسط سواء عند الزيانيين أو الحفصيين فنجد خوف أهل وهران وهروبهم، ثم إغارة هذه السفن على بجاية الحفصية وأسرهم للعديد من المسلمين، وهي شهادة حية من شاهد عيان.

وفي شهر ربيع الآخر من نفس السنة سافر إلى الأندلس بحرا من ميناء وهران فقال:"سافرت من البحر المالح إلى بلاد الأندلس في مركب كبير للجنويين مع جماعة من تجار الأندلس وتلمسان ووهران وغيرهم..."[4]، وبتحليلنا لكلامه هذا يتبين أن حركة النقل والمواصلات بين بلاد المغرب الأوسط والأندلس كانت نشطة ولم تتوقف حتى مع بداية انهيار الإمارات الأندلسية وظهور قوة البرتغاليين، كما نستنتج أن الجنويين ما زالوا مسيطرين على النقل من خلال استخدامهم لمركب، لم يوضح مؤرخنا نوعه.

وقد رجع من الأندلس بعد جولة في مدنها كمالقة وغرناطة وغيرها إلى وهران، في شهر رجب، وعزم التوجه في نفس المراكب إلى تونس، لكنه لمس في نفسه شيئاً من التعب فقرر المكوث بوهران حتى يستعيد عافيته[5]، كما يبين لنا كلامه هذا وجود طريق بحري مباشر بين وهران وتونس، في إطار التبادل التجاري ودائما بواسطة سفن للجنويين.

1) عبد الباسط الملطي: المخطوط السابق، ورقة 109A؛ و **عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص57**.

2) محمد محمد عامر: المرجع نفسه، ص71.

3) عبد الباسط الملطي، ورقة 116A؛ و **عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص60–61**.

4) عبد الباسط الملطي: المخطوط السابق، ورقة 111B.

5) نفسه، ورقة 113B.

"...وفي شهر صفر سنة871هـ/1466م ورد إلى ساحل مدينة وهران شونة عظيمة من مراكب الفرنج الجنويين برسم الاتجار في الجوخ(1)، وكانت وردت من المحيط من بلاد فلندة، ونحوها من بلاد الفرنج بالمحيط، وتجهيز كثير من تجار وهران وتلمسان للسفر فيها إلى جهة بلاد تونس، وتجهزت أنا أيضا لذلك وعزمت على العودة لهذه البلاد بعد دخول تونس وغيرها من البلاد...وفي الحادي عشر من شهر محرم871هـ/1466م، ركبت البحر المالح في شونية وأقلعنا إلى جهة تونس"(2)، والنص واضح بأن السفر والتجارة والتنقل كان يتم عن طريق الشواني الأجنبية خاصة الجنوية، كما نستشف من النص أن التجارة كانت تتم حتى مع البلدان الأسكندينافية في الشمال، والتجار التلمسانيون والوهرانيون كانوا يتاجرون معهم ومع المغرب الأدنى والمشرق الإسلامي.

وفي الطريق سكنت الريح، ولم تشأ المراكب السير فنزلوا بساحل بجاية، ولما رآهم البربر فروا وظنوا أنها مراكب لقراصنة، وفي ثاني يوم انتشر خبر بأن هناك مركب للفرنج نزل في بجاية وقد لبس قراصنته زي المسلمين، ثم رجعت الريح فساروا من بجاية إلى ساحل المرسى بتونس(3)، وهذا الكلام يبين لنا دائما أن هناك خط سير ساحلي بالسفن الصغيرة التي تخضع للريح كالشونية، إضافة إلى استمرار عمليات القرصنة من قبل الإفرنج.

---

1) الجوخ أو اللباد(بالإنجليزيةFelt –بالفرنسية Feltro): قماش مصنوع من الصوف الناعم بشكل كامل أو بنسب منه.

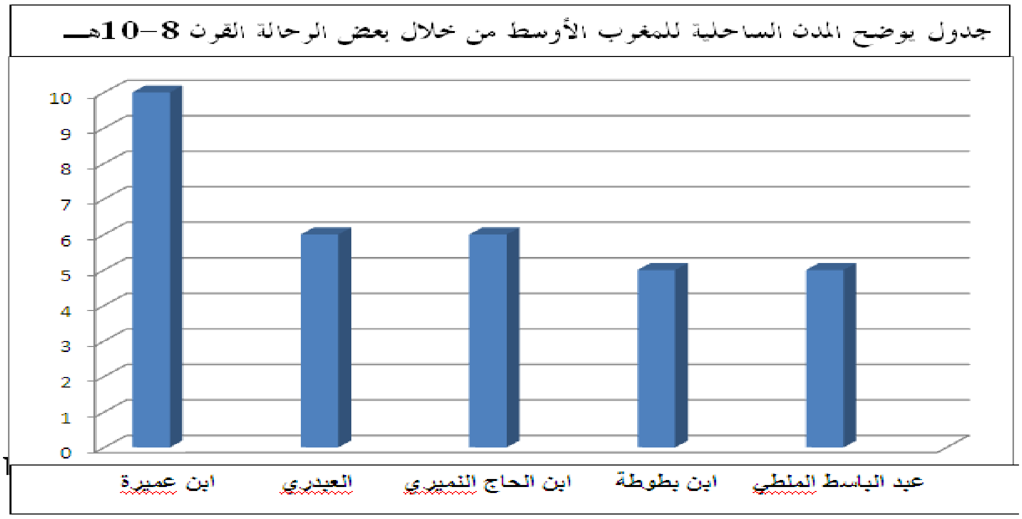
2) نفسه، ورقة 116 B؛ **و عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص67**.

3) عبد الباسط الملطي، ورقة 129B؛ **و عبد الباسط بن خليل الملطي، المصدر نفسه، ص68**.


رحلة عبد الباسط المالطي إلى بلاد المغرب الأوسط و الأندلس
من الاسكندرية ثم تونس
القيروان
قسنطينة
عنابة
بجاية
الجزائر
مازونة
قلعة هوارة
البطحاء
وهران
تلمسان
مالقة
فاس
مدن ساحلية
مدن داخلية
طريق العودة من الرحلة
طريق الذهاب في الرحلة
0 150 300 450 600 Kilometers

جدول يوضح المدن الساحلية للمغرب الأوسط من خلال بعض رحالة القرن(8-10/14-16م)

الرقم	اسم المرسى أو الميناء	ابن عميرة	العبدري	ابن الحاج النميري	ابن بطوطة	عبد الباسط الملطي
02	بونة		×	×	×	×
09	مرسى القل			×		
16	بجاية	×	×	×	×	×
17	مرسى أزفون	×				
18	تدلس	×				
22	جزائر بني مزغنة	×	×	×	×	×
26	مرسى البطال	×				
27	شرشال	×				
31	تنس	×	×	×	×	
34	مستغانم			×	×	
38	مرسى بني زيان	×				
39	وهران	×	×			×
46	هنين	×	×			×
	المجموع	**10**	**06**	**06**	**05**	**05**



نلاحظ اتفاق أغلب الرحالة على ذكر أشهر المدن الساحلية وموانئها سواء بونة وبجاية بالنسبة للدولة الحفصية أو وهران وهنين بالنسبة للدولة الزيانية، وبقاء المدن الساحلية القديمة كتنس وتدلس مع تسجيل ذكر ابن عميرة لمرسى بني زيان لأول مرة في المصادر الجغرافية، وعلى العموم إن اختلاف ذكر المدن الساحلية بالنسبة للرحالة راجع إلى اختلاف طريق السير واتجاه الرحلة.

3) الحضور البحري وأهم المسالك في المغرب الأوسط من خلال كتب المناقب والتراجم والأدب:

اعتبرت المسالك البحرية في الحوض الغربي من المتوسط استمرارا لتلك التي كانت تربط بين بلاد المغرب وبلاد السودان، وذلك بالنظر إلى العلاقات التجارية التي كانت تربط بين بلاد المغرب وأوروبا وبين بلاد المغرب وبلاد السودان(1).

لقد استغلت بلدان المغرب الإسلامي الطرق والمسالك الكلاسيكية القديمة منذ عهد الفينيقيين والرومان، وفي هذا الصدد يؤكد ابن خلدون ذلك بقوله:"والبحار المنحصرة إنما جرت فيها السفن بالرياح المعروفة الهوائية بكثرة تجاربهم، فتبعث الريح من الأماكن، وغاية مهبها في سمتها فكل ريح عندهم معروفة الغاية، فإذا علم أن جريته بالريح المنبعثة من مكان كذا، وبما خرج من ريح إلى ريح بحسب مقصوده وجهته"(2).

كما أن طريق الحج الذي استخدمه المتصوفة لزيارة بيت الله الحرام والأماكن المقدسة في الحجاز ساهمت في جعل الطريق الساحلي أكثر ديناميكية باعتباره الأكثر استخداما من قبل هؤلاء الحجاج خاصة في ظل انعدام الأمن وطول الطريق البري(3).

أما الطريق الساحلي، فهو كما رسمه ابن أبي زرع يقطع السهل الساحل المغربي ابتداء من برقة إلى البحر المحيط الأطلس، ويسميه باسم"طريق الجادة"(4)، وهو طريق روماني قديم منذ عام 123م، أسس من قبل القائد العسكري متيليوس سقندوس(5).

وباستغلال النصوص المناقبية التي تمجد الشخصيات الصوفية وتظهر فضائلهم في اكتشاف عالم البحر وتنقلات هؤلاء العلماء، يسمح لنا بمعرفة أهم موانئ النقل والحج والتجارة وازدحام وكثافة كل منها وكذا صعوبات التنقل ومختلف الضرائب، والزوايا والأربطة، وغيرها من الأمور التي تقدمها لنا نصوص التصوف ومناقب العباد والعلماء(6).

---

1) الطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، ص299.

2) العبر، ج6، ص129.

3)Allaoua Amara ; La mer et les milieux mystiques, Op. Cit , p.37.

4) ابن أبي زرع :المصدر السابق، ص18.

5) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج1، ص214؛ **وعمار المحجوبي**: **المرجع السابق، ص101–102**.

6)Allaoua Amara ; La mer et les milieux mystiques, p.36, 37.

إن معظم العلماء المغاربة والأندلسيين الراحلين بين ضفتي البحر المتوسط، أو المتوجهين نحو المشرق والحجاز، يفضلون ركوب السفن بين مراسي افريقية والأندلس ومصر والشام[1]، رغم ما صوروه عن أهوال البحر ومخاطره في رحلاتهم العلمية، والتي ترجموها في صورة رحلات أو نوازل وفتاوى عن الغرق والعطب وتعويضات الضحايا[2].

كما تمدنا الأربطة والزوايا التي أسسها هؤلاء الزهاد والمتصوفة و توزيع الأضرحة على مستوى المدن الساحلية أو القريبة منها بعلاقة المتصوف بالبحر، والنصوص المنقبية تذكر عدة زوايا على ساحل المغرب الأوسط أو قريبة منها كزاوية سيدي وديع وادي ارهيو وشبكة من الزوايا التي بدأت من مازونة في الطريق إلى المدن البحرية نحو تنس ومستغانم، كزاوية سيدي يعقوب بالشلف ووهران[3]، وضريح أبي مدين شعيب في العباد الذي كان مزارا لكل المتصوفة والعباد، مما سمح بتشكيل طريق ساحلي يربط بين المغرب الأقصى والمغرب الأوسط عبر منطقة العباد، ومنطقة بجاية مرورا بتلمسان وجزائر بني مزغنة.

ويمكن أن نستشف كذلك من خلال كتب النوازل والمناقب بعض المسالك البحرية من خلال ما ذكر من هجرات العلماء ورحلاتهم، وأهم فتاويهم.

والميناء يلعب دورا محوريا في تنقل العلماء والتجار، خصوصا مع نهاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، بعد تزايد الضغط الهلالي، على الطرق الداخلية، وقد دونت كتب التراجم العديد من رحلات العلماء واستقبالهم في موانئ ومدن ساحل المغرب الأوسط كعابرين في طلب العلم أو الحج أو مقيمين بصفة مؤقتة أو نهائية[4].

أ) المسالك البرية بين المدن الساحلية للمغرب الأوسط:

1) المالكي: رياض النفوس، ج2، ص330.

2) خلف بن أبي فراس القروي: كتاب أكرية السفن، دراسة وتحقيق عبد السلام الجعماطي، منشورات تطوان– أسمير، 2009، مقدمة المحقق، ص57.

3)Allaoua Amara ; La mer et les milieux mystiques, p.44-45.

4) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية، ص126.

هناك نوع من الرحلات الداخلية يعرف بالرحلات الرسمية؛ وهي التي يكلف فيها الرحالة بمهمات تدخل في إطار ما يناط به من مسؤوليات، وما يتقلده من مناصب كالسفارة أو مصاحبة الملوك وتسجيل تحركاتهم كرحلة ابن مطرف بن عميرة، إلى جانب الرحلات الصوفية الروحية، نحو مختلف الزوايا والأضرحة[1]، كرحلة زروق وابن قنفذ، والبادسي، وغيرهم

والطريق البري على غرار الطريق القديم الرابط بين المدن الساحلية مثل الطريق الغربي الرابط بين"عين تيموشنت والمرسى الكبير وصولا إلى سيقا"[2].

ويحدثنا البلوي(ت قبل780هـ/1378م)في رحلته عن طريق بري آخر حيث خرج من **هنين** صبيحة يوم الخميس، الحادي عشر لجمادى الأولى عام 735هـ/1334م وقال:"وسرنا نلتهم الأرض التهام الضمير نرتبط بالجد ارتباط الفعل بالضمير، إلى أن وافينا مدينة **تلمسان**، فحللنا بها ضحوة يوم الجمعة، الثاني عشر من الشهر المذكور، فرأيت مدينة قل مثلها...ثم زرت تربة ولي الله تعالى ابن مدين[3] مرة أولى وثانية، وأقمت بالمحلة أياما ثمانية"[4].

وكان خروج البلوي من تلمسان صبيحة يوم السبت، الموفي عشرين جمادى الأولى المذكور إلى أن ورد **مدينة الجزائر**[5]، وفي آخر يوم الخميس الثاني لجمادى الثانية من العام نفسه، وقال عنها:"فرأيت محيا صبيحا وتربا مليحا ومسجدا عتيقا، وبناء أنيقا، وأناسا قد سلكوا إلى الحسن والإحسان طريقا، من مدينة أقسمت بعلو هضابها إلا بفوز مبسم الثريا برشف رضابها، فلا ترتقيها إلا الظنون، وكأنها ضب ومن يطمع فيها نون، قد أحاط بها البحر إحاطة السوار بالزناد فألبس ذلك الجسم روح المجد، وركب خلائق الوهد على ذلك النجد...حتى قرب أمد الرحيل، وغلب واجبه على المستحيل، فعزمت على الخروج، وسرت على بياض ذلك الساحل وخضرة تلك المروج"[6]، ومن المؤكد أن الرحلة كانت برية ولكن لم يذكر المدن التي مر عليها كمسلك بري، وعموما يمكن استنتاجها كمازونة ومليانة.

وخرج في صبيحة يوم الاثنين السادس لجمادى الثانية المذكورة، في رحلة برية عبر الجبال، لكن دون الابتعاد عن الساحل بقوله" فبقينا نكابد عظيم ذلك الأمر، ونسير ولا نفارق ساحل البحر"[7]، ووصل إلى **بجاية**"حاضرة البحر"[8]، في يوم الاثنين الثالث عشر لجمادى الثانية المذكور، وقال عنها" انتظم فيها من الوادي والبحر، قلادتان

---

1) الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص317-318.

2) لطيفة بشاري بن عميرة: تلمسان من نشأتها إلى قيام دولة بني عبد الواد، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 6، 1992، ص64.

3) في منطقة العباد .**ابن خلدون**: **رحلته، ص187**.

4) البلوي: المصدر السابق، ج1، ص148-149.

5) المصدر نفسه، ج1، ص151.

6) نفسه، ج1، ص152.

7) البلوي: المصدر السابق، ج1، ص152-153.

8) البلوي: المصدر السابق، ج1، ص157.

على ذلك النحر، قد حلينا ذلك البلد، وتحلينا كوالد وما ولد، قد مرجها الله بحرين يلتقيان، بينهما برزخ لا يبغيان"[1].

فقد سيطرت بجاية على الساحل الشرقي للمغرب الأوسط حيث أصبح التحكم الفعلي في موانئ الشرق أولوية النشاط البحري لبجاية ولإشعاعها التجاري[2].

ثم توجه منها قاطعا الوادي الكبير وصولا إلى **قسنطينة**[3]، ومكث فيها مدة ومنها وفي يوم الأحد الثامن عشر من رجب المذكور رحل إلى **بونة** بلد العناب، فيقول:"فدخلناها في يوم الجمعة الثالث والعشرين لرجب المذكور، فرأيت مدينة مكينة، وقلعة حصينة شهيرة الامتناع، بائنة الارتفاع، ومعدومة الشبيه والنظير في القلاع"[4].

وواصل السير في صبيحة يوم الأحد الخامس والعشرين لرجب المذكور سالكا طريقا بريا جبليا إلى أن وصل حضرة تونس في ليلة يوم السبت أول من شعبان المكرم من العام المذكور[5]، ومنها نحو البلاد الحجازية لأداء فريضة الحج.

وتعود جذور هذا الطريق إلى الفترة القديمة، إذ تحدثت المصادر عن الطريق البري الرابط بين المدن الساحلية الشرقية مرورا ببونة وصولا إلى قرطاج، وهو طريق بري قريب إلى الساحل، وتسميه المصادر بطريق الجادة الكبرى[6].

أما عن مسلك وطرق العودة فبعد أن مر بالديار المصرية والليبية، دخل تونس ومنها إلى باجة ثم وصل في صبيحة الأحد التاسع عشر من الشهر المذكور مدينة **بونة** في ضحوة يوم الخميس الثالث والعشرين رمضان عن عام أربعين وسبعمائة[7]، ومكث بها يوماً واحداً وتوجه إلى **قسنطينة** أين التقى بأبي محمد عبد الله بن الحاج النميري الغرناطي، ثم انتقل من قسنطينة نحو **بجاية** فدخلها في يوم الأحد السابع عشر لشوال من نفس السنة[8]، ومنها سار إلى مدينة **الجزائر** فدخلها في يوم الأحد الثاني لذي القعدة من العام المذكور، ليواصل السير إلى مدينة **تلمسان** فدخلها يوم الأربعاء التاسع عشر لذي القعدة من العام نفسه[9]، ولم يمكث بها إلا قليلا مواصلا السير إلى

---

1) نفسه، ج1، ص153.

2) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص170-171.

3) البلوي: المصدر نفسه، ج1، ص160.

4) نفسه، ج1، ص163.

5) نفسه، ج1، ص163.

6) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج1، ص214.

قام بتأسيس هذا الطريق القائد الروماني متيليوس سقندوس سنة 123م لربط مدينة تبسة بميناء هيبورجيوس وربطها بميناء قرطاج وبالتالي اكتمال الطريق الرباط بين المدن الساحلية من الإسكندرية وصولا إلى طنجة. **عمار المحجوبي**: **المرجع السابق، ص101-102**.

7) البلوي: المصدر السابق، ج2، ص115.

8) نفسه، ج2، ص138.

9) البلوي: المصدر السابق، ج2، ص150.

هنين في يوم السبت الثاني والعشرين لذي القعدة المذكور فصادفوا "قرقورة[1] كانت هناك قد كملت وسقا، وخفقت بنودها للسفر خفقا، وقلدت القرية وعملت على **المرية**"[2].

أي أنه سلك نفس طريق الذهاب في بلاد المغرب الأوسط، كما تبين لنا هذه الرحلة وجود طريق بري ثابت للحج، يبدأ من تلمسان وصولا إلى بونة، مارا بالجزائر وبجاية وقسنطينة، أما الطريق البحري الذي تخبرنا به هو طريق هنين ألمرية.

أول ما يلاحظ بصدد الجهود البحرية لدولة عبد المؤمن، أمران: اتساع رقعتها تبعا لاتساع مملكته، و تزويدها بأنظمة أكثر دقة، ومن الملاحظ أن الطرق البحرية قد ازدادت ازدهارا ونشاطا في ظل النظام الموحدي نتيجة لخضوع المنطقة بكاملها لسلطة واحدة، وغياب التعدي والقرصنة المحلية[3].

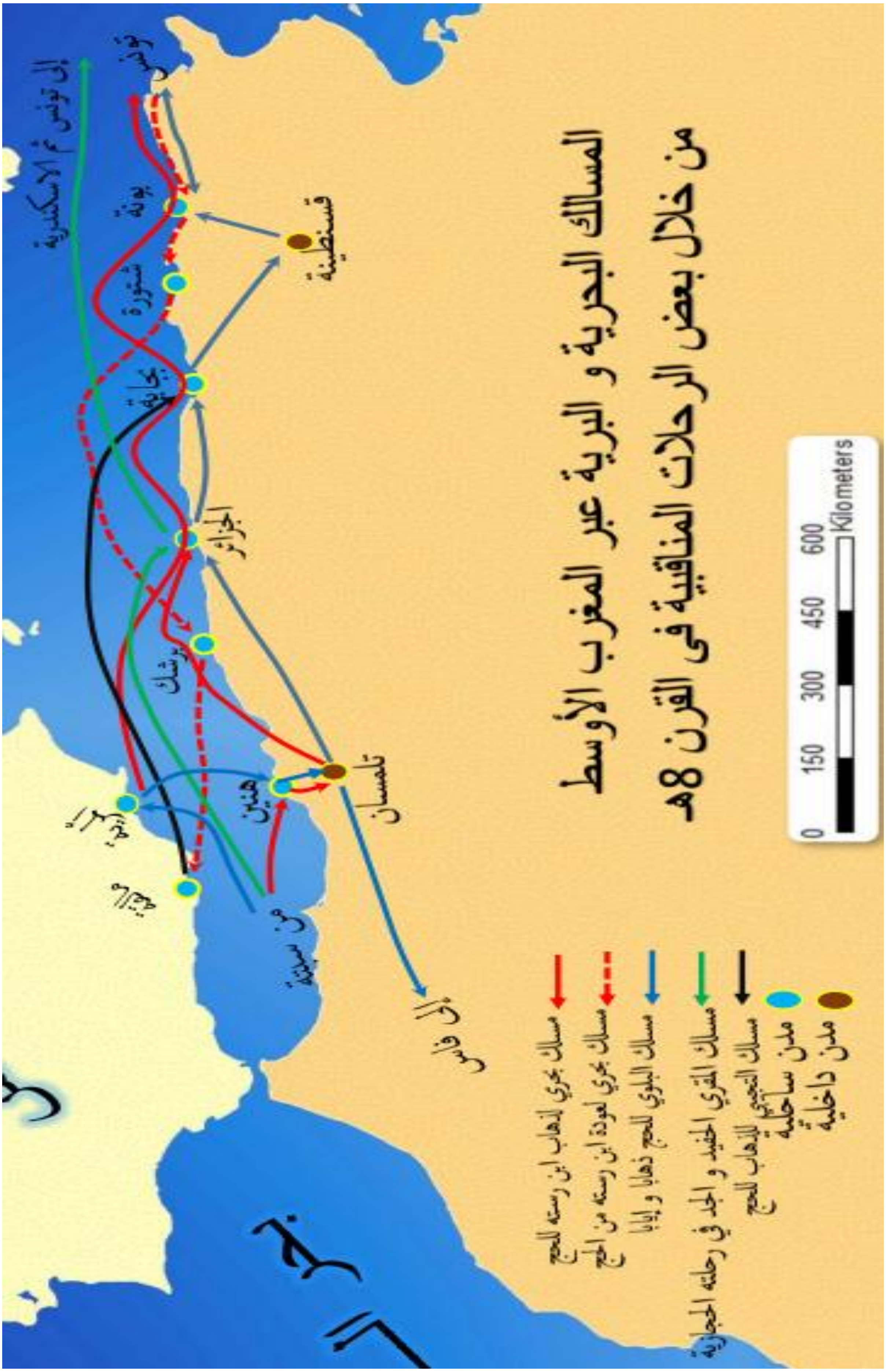
كما ازدهرت المسالك البرية كنتيجة حتمية لازدهار التجارة البحرية، إذ نشط الطريق البري الساحلي الذي يربط بين المدن الساحلية مع بعضها البعض الرباط بين فاس إلى تلمسان ثم مازونة ثم مليانة فالجزائر ثم بجاية ثم قسنطينة وصولا إلى بونة"عنابة"، ثم تونس[4].

1) لاحظ شرح القرقورة في الفصل الرابع.

2) البلوي: المصدر نفسه، ج2، ص151.

3) مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص86.

4) ابن بطوطة: تحفة النظار، ج1، ص157-165 ؛ **والقلقشندي :المصدر السابق،ج5 ، ص151** .


المسالك البحرية و البرية عبر المغرب الأوسط
من خلال بعض الرحلات المناقبية فى القرن 8هـ
إلى تونس ثم الاسكندرية
تونس
بونة
قسنطينة
شتورة
بجاية
الجزائر
برشك
تلمسان
هنين
من سبتة
إلى فاس
0 150 300 450 600 Kilometers
مسالك بحري لذهاب ابن رستة للحج
مسالك بحري لعودة ابن رستة من الحج
مسالك البلوي للحج ذهابا و إيابا
مسالك القري الحفيد و الجد في رحلته الحجازية
مسالك التجيبي للذهاب للحج
مدن ساحلية
مدن داخلية

ب) المسالك البحرية بين المدن الساحلية للمغرب الأوسط

لم تكن تقنية صناعة السفن القديمة إلى غاية القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي تسمح بالإبحار المباشر بين ضفتي البحر المتوسط، مما يوجب اللجوء إلى المساحلة أو التوقف في محطات على الطريق، وذلك لصغر المراكب من جهة وحاجتهم إلى التزود بالمياه الصالحة للشرب، بالإضافة إلى ارتباط حركة السفن باتجاه الرياح من جهة أخرى[1]، أو اللجوء إلى الجزر القريبة لتقسيم المسافة والتزود بما يحتاجونه، وهذا ما جعل الطرق البحرية والمسالك والرحلات تتعدد وتتنوع.

بهذا سادت خلال العصور القديمة عدة مسالك وطرق بحرية رئيسية، لعل أبرزها طريق المساحلة الذي يربط بين مختلف المدن الساحلية، وبعد استقرار أوضاع المغرب الأوسط تم بعث هذا الطريق من جديد، مما يجعلنا نتأكد من وجود تجارة محلية بين المدن والأقاليم، إذ تفتقد بعض المدن لما تتوفر عليه المدن الأخرى[2]، كما لا ننسى دور الحج في إنشاء طريق مساحلاتي من الشرق إلى الغرب والعكس، كما كان لدور المتصوفة والزهاد شأن في حركية الساحل.

وعلى غرار الجمهوريات الأوروبية المتوسطية بدأت بلاد المغرب تعرف في العصر الموحدي-لكن بوتيرة أقل عن الأوروبية- صحوة تجارية بفضل إحكام الموحدين قبضتهم على طرق التجارة الصحراوية، وتحقيق المركزية السياسية، فوفروا بذلك الشرط الاقتصادي للانفتاح على العالم المتوسطي[3].

ومع تطور دولة الموحدين واستيلاء عبد المؤمن على بونة وافريقية والمهدية، وتحريرها من نير النورمان عادت الحياة إلى الطريق الساحلي، الذي يمتد من نول عبر سبتة ووهران وتنس إلى طرابلس[4].

لقد وجه الخليفة عبد المؤمن عنايته نحو إنشاء وتعمير المراسي ودور الصناعة المنتشرة على طول السواحل المغربية والأندلسية كوهران وبونة وهنين، وساعده في ذلك توفر المواد الخام من بلاد العدوتين من خشب وحديد، وقد أنتجت دور الصناعة في عام557هـ/1162 م في العدوتين أربعمائة قطعة، منها مائة قطعة في وهران وهنين وتونس، وفي مراسي الأندلس ثمانون قطعة[5].

---

1) أحمد بوقطفة: الموانئ والمراسي بإفريقية من الفتح إلى انتقال الفاطميين إلى مصر، شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 1998، ص118.

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص376.

3) إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المسيحية، ص81.

4) مجهول: الحلل الموشية، ص150-154.

5) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص201؛ **ومحمد المنوني: العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين، دار المغرب، الرباط، ط2، 1977، ص254، 255؛ وعزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1991، ص266.**

كما ضعف النفوذ النورماني في إفريقية وتزعزع موقفه، منذ أواخر عهد روجار الثاني والقائد النورماني"فليب المهدي"الذي غزا بونة سنة548هـ/1153م[1]، لكن الموحدين استرجعوها.

ليظهر طريق بجاية بونة الذي استعمله الأمير الحمادي"يحي بن عبد العزيز بن المنصور"عندما فر من بجاية فاتجه إلى مدينة بونة ثم إلى قسنطينة في ذي القعدة من عام547هـ/ فبراير1153م[2]، إذ يقول ابن خلدون أنه ركب البحر إلى أخيه"الحارث ببونة" فاستنكر عليه تركه للبلاد وخروجه عنها، فتركه واتجه صوب أخيه"الحسن"بقسنطينة، وتحصن هناك [3].

ويستمر الطريق الساحلي في امتداده مع الساحل من تونس إلى بنزرت فطبرقة فالقالة ثم مرسى الخرز ثم بونة[4]، إلى أن يصل إلى بجاية مرورا بشطورة "سكيكدة" والقل وجيجل[5]، ليمر عبر جزائر بني مزغنة وصولا الى شرشال وتنس ووهران وهنين، ليدخل إلى المغرب الأقصى أو ينتقل إلى الأندلس.

وسافر مجموعة من التجار التونسيين والبجاويين والتلمسانيين في سفينة تلمسانية عبر موانئ الإمارة الزيانية سنة715هـ/1345م [6]، ونفس الشيء في سنة742هـ/1341م ذكر خط سير سفينة ميورقية كالآتي: الجزائر، تنس، شرشال، دلس، برشك، مزغران، وهران، هنين[7].

ويذكر لنا ابن قنفذ(ت810هـ/1407م)[8] تنقل الفقيه الشيخ الصالح أبو عبد الله البوني من بونة نحو بجاية لزيارة القطب أبي مدين شعيب إمامه في بجاية[9].

كما عول السلطان الزياني على الميورقي بيدرو pedro سنة745هـ/1344م لينقل له القمح من هنين

إلى بجاية[1]، وفي سنة806هـ/1403م انتقل جماعة من التجار من بجاية إلى الجزائر في سفينة شراعية من برشلونة[2].

---

1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص428.

2) البيذق: المصدر السابق، ص107؛**وعبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص144؛ وابن أبي زرع: المصدر السابق، ص193**. أما التجاني فيذكر أنه كان يريد التوجه إلى برقة ومنها إلى بغداد نحو الخليفة العباسي.**الرحلة، ص344**.

3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص316؛ **والتجاني: المصدر نفسه، ص344؛ والناصري السلاوي: المرجع السابق، ج2، ص108**.

4) المراكشي: المصدر نفسه، ص144، 252.

5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص268-269.

6)Dufourcq ; Commerce, p.181-182.

7) محمد حسن: المرسى الكبير بوهران ودوره في الملاحة المتوسطية من النشأة إلى الاحتلال الاسباني(904-1509)، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور، سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يوم 7-8 ديسمبر2009، ص608.

8) هو أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني المشهور بابن قنفذ ولد في عائلة علم وصلاح بقسنطينة حوالي سنة740هـ/1340هـ. **مقدمة محقق أنس الفقير وعز الحقير، ص ت.**

9) أنس الفقير وعز الحقير، ص94.

وذكر الوزان هذا المسلك عندما أشار إلى كثرة التين في منطقة بريشك، إضافة إلى الكتان والشعير في إقليم تلمسان، ويتنقل أهلها بحرا إلى الجزائر وبجاية وتونس(3).

فأصبحت بجاية وتلمسان عاصمتين للمغرب الأوسط توصلان بين المغرب الأدنى"الدولة الحفصية" والمغرب الأقصى"الدولة المرينية"ومنفذاً كذلك إلى بلاد السودان، وملتقى مختلف التجار و موطن الحركة الدؤوبة للبحرية من وإلى الدول الأوروبية"ولما كانت تشكل مرحلة بين أوروبا وبلاد السودان، فإن الملك يجني أموالا كثيرة من دخول البضائع وخروجها"(4).

ج) المسالك البحرية بين المغرب الأوسط والمناطق الخارجية:

لقد أعاد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب القديم ضمان التيارات العامة للاقتصاد العالمي آنذاك بعد أن تقلص دوره نتيجة الزحف الوندالي وتدهور الإمبراطورية البيزنطية فيما بعد، فانكمشت المدن على نفسها(5)، وهذا عكس النظرية التي روج لها هنري بيران(6).

ومع ضمان سيطرة العرب المسلمين على كامل بلاد المغرب خلال القرون الأولى للفتح الإسلامي، عادت الهيئة البحرية الإسلامية بالحوض الغربي للمتوسط خاصة بعد فتح الأندلس وصقلية، وهو ما ساهم بطريقة مباشرة في ازدهار المدن والموانئ بالمغرب الإسلامي عموما(7)، والمغرب الأوسط خصوصا، إذ أخذت المراكب الإسلامية تنتقل فيه بحرية لممارسة التجارة والتنقل.

لعب المغرب الأوسط دوراكبيرا في الحركة التجارية المغربية المتوسطية والصحراوية(8)، والمتمعن في خريطة المسالك والطرق البحرية المتجهة من وإلى المغرب الأوسط يكتشف أنها تنقسم إلى أربعة أصناف رئيسية، منها الخط البحري الرئيسي الرابط بين المغرب الأوسط والمشرق الإسلامي مرورا بالمغرب الأدنى، والخط الرابط بين المغرب الأوسط والمغربين الأقصى والأدنى"المغرب الإسلامي"، والخط البحري الرابط بين المغرب الأوسط وجنوب أوروبا وإيطاليا، والخط البحري الرابط بين المغرب الأوسط والأندلس، سواء في اتجاه مباشر أو عن طريق المرور بالمغرب الأقصى.

---

1) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص244.

2) Dhina Atallah ; op.cit, p.287-289.

ولطيفة بشاري:النقل البحري، ص447.

3) وصف إفريقيا، ج2، ص33.

4) نفسه، ج2، ص20-23.

5) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص377.

6) Henri Pirenne; op.cit.p.45-60.

7) عبد الرحمن التليلي: وصف المدن المغربية من كتاب صورة الأرض لابن حوقل، مجلة الكراسات التونسية، العدد137-138، 1986، ص21.

8) مجهول: الاستبصار، ص178، 224 .

ج-1) الخط البحري الرئيسي الرابط بين المغرب الأوسط والمشرق الإسلامي:

بعد سيطرة المسلمين على صقلية سنة212هـ/827م في العهد الأغلبي ثم الفاطمي، زال الخطر السابق المتمثل في القوى البيزنطية التي تقطع الطريق بين المغرب الإسلامي ومشرقه وأصبح البحر المتوسط تحت السيطرة الإسلامية، مما نشط الخط البحري الرابط بين الطرفين(1).

لقد اعتبر هذا الخط البحري في حوض البحر المتوسط من أنشط الخطوط على الإطلاق، لأنه مسلك الحجاج"المسلمين والنصارى"الذين كانت البحرية الايطالية تتولى نقلهم إلى الديار المقدسة، كما ارتبطت منطقة بلاد المغرب مع مصر وبالتالي المشرق، بعلاقات تجارية قوية منذ عقود رغم بعض التوترات السياسية، وهذا طبيعي نظرا لرابطة الجوار الطبيعي، والدين الإسلامي من جهة أخرى، بالإضافة إلى وقوع مصر على الطريق الرئيسي لحجاج إفريقية والمغرب إلى الأراضي الحجازية من جهة أخرى(2)، ونوازل الونشريسي غنية بالمسائل الخاصة بالتجارة بين المغرب الأوسط ومصر "الإسكندرية"(3).

ولاشك أن ذلك ساعد في تنشيط حركة التجارة، فكان هناك الطريق البحري الذي يربط بين موانئ الشمال الإفريقي ومصر عبر البحر المتوسط والطريق الساحلي الموازي لهذا البحر، ثم الطريق الصحراوي عبر الواحات المنتشرة في أنحاء الصحراء الإفريقية الكبرى(4).

ولا نعرف سبب تفضيل التجار والحجاج للطريق البحري على حساب المسلك البري، وربما راجع إلى ما عرفته المنطقة من اجتياح للقبائل الهلالية، إضافة إلى حركة السفن السريعة على حركة السير البري(5).

ونظرا لطول هذا الطريق البحري القديم الممتد من سبتة إلى الإسكندرية مرورا بالمغرب الأوسط كان لزاما إقامة محطات عبور ومسالك معلومة تربط بين المغرب الأوسط والمشرق الإسلامي، ويؤكد صاحب الاستبصار عند حديثه عن بجاية"وهي مرسى عظيم تحط فيه سفن الروم من الشام وغيرها من أقاصي بلاد الروم"(6)، وأهم محطة للاستراحة قبل المواصلة إلى الإسكندرية كانت جزيرة صقلية حتى بعد سقوطها في أيدي النورمان(7).

---

1) لويس أرشيبالد:المرجع السابق، ص158-159، و212-213.

2) منى سيد عبد العزيز: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الحفصية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث الإفريقية، جامعة القاهرة، 1986، ص151.

3) المعيار، ج9، ص78.

4) أحمد عبد اللطيف حنفي محمد: الدور السياسي والحضاري للمغاربة والأندلسيين في مصر في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا، 1992، ص243.

5) الطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، ص307.

6) مجهول: المصدر السابق، ص128.

7) الونشريسي: المعيار، ج9، ص78.

وأصبح الطريق البحري الساحلي مع بلاد المشرق السبيل الوحيد للتبادل التجاري والحج(1)، وبعد فحص عدد كبير من الوثائق الجنيزية تمكن جواتين أن يصل إلى أن نسبة السفر برا أو بحرا في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي كانت 1 برا مقابل 20 بحرا(2)، وإن كان يبدو أن هذه النسبة تقريبية إذ معظم خطابات الجنيزة تحدثت عن الطريق البحري، الذي كان يفضله التجار اليهود دائما على الطرق البرية، والتي تعوزنا المعلومات عن تحديد الرحلات فيها، إلا أننا نستشف في نفس الوقت إلى أي حد تحولت التجارة إلى الطريق البحري بنسبة كبيرة.

وتؤكد هذه الروابط التاريخية البحرية بين بجاية والمشرق العربي ما ورد عند ابن الأبار سنة 543هـ/1148-1149م أنه قدم على الشواطئ الإفريقية"مركب للروم قاصدا بجاية بالتحديد ثم سار بعدها إلى الإسكندرية"(3)، ويذكر ابن جبير في رحلته أنه توجه في 12 جمادى الآخرة من سنة 580هـ/20 سبتمبر 1148م إلى ميناء صور للالتحاق بمركب يتوجه إلى بجاية(5)، ورغم أن الرحلة لم تتم نظرا لاستصغارهم للمركب وخوفهم من البحر(6).

وكانت تلك السلسلة من المراسي البحرية تمتد من المغرب الأدنى عبر المغرب الأوسط وصولا إلى المغرب الأقصى مؤلفة طريقا بحريا للحج، فكان الحج إلى بيت الله الحرام هو الباعث على هذا النشاط التجاري، والمحرك لتجوال السفن بين مختلف السواحل المغربية، والضمان لدوامه واستمراره(7).

ويقدم لنا التادلي(ت617هـ/1220م) مثلا للتنقل نحو المشرق الذي كان يتم عبر البحر في قصة المتصوف عثمان ابن عبد الله السلاجي الأصولي، الذي أراد التفقه في علم الاعتقاد فقرر التوجه نحو المشرق فانتقل من فاس إلى مدينة بجاية؛ فيقول"فسافرت إلى مدينة بجاية وعزمت دخول البحر في جمع كثير، فسجن الوالي كل من عزم على التوجه إلى المشرق"(8)، وما يهمنا في هذه الرواية وجود خط بحري بين بجاية والمشرق وأكيد عبر ثغر الإسكندرية.

---

1) جورج مارسيه: بلاد المغرب، ص252.

2) جواتين: دراسات في التاريخ، ص218.

3) المعجم في أصحاب القاضي الإمام على الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1989، ص174.

5) رحلة ابن جبير، ص277.

6) نفسه، ص276.

7) حسن خضيري أحمد: المرجع السابق، ص100.

8) التادلي: التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2010، ص199.

ويضيف في ذكر مناقب محمد بن حسان التاونتي المعروف بابن الميلي" وتاونت هي بلدة صغيرة من عمل تلمسان على الساحل، وقد لحق بالبحر للعمل فيه ...ثم هاجر إلى بجاية وأقام بها مدة ثم عزم على التوجه للمشرق، فجاءه رؤساء المراكب يرغبونه أن يركب معهم، فوافق وعندما كان بساحل الإسكندرية رمى مرقعته في البحر، فجاءته ملحفة جديدة"[1]، وكلا الروايتين المنقبيتين تؤيدان وجود خط بحري رابط بين بجاية والإسكندرية وبلاد المشرق للحج.

إن المتتبع للأصول الجغرافية للعلماء يمكن في نهاية المطاف من معرفة المسالك البحرية للميناء مع عدد من المدن الأندلسية، وفي هذا الإطار يحتل كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، لأبي العباس الغبريني(ت704هـ/1304م) أهمية معتبرة باعتباره يشكل منوغرافية علمية محلية، كما يمكن الاستفادة من عدد لا بأس به من كتب التراجم الأندلسية والمغربية على الخصوص.

إذ يذكر الغبيريني في كرامات أبي عبد الله العربي، أنه كان مقيما في بجاية وقد وصل جفن من الشام في شهر ذي الحجة ونزل بحومة باب البحر فرأى أحد الرجال وكان نصرانيا الشيخ أبو عبد الله العربي فأعد له مزوده الذي دفعه له في الشام قبل ثمانية أيام[2]، ولا تهمنا هنا كرامته بقدر ما يهمنا وجود خط بحري للحج بين بجاية وبلاد الحجاز والشام، وهذا مرورا بالدول الإسلامية الأخرى.

كما يضيف نفس المؤلف عن الفقيه أبي عبد الله بن شعيب، الذي حج ثم لازم ثغر الإسكندرية، أنه في الطريق مر بالجزائر ثم ببجاية، ثم تونس ومنها إلى الإسكندرية[3]، ورغم أنه لم يشر إن كان الطريق بريا أم بحريا هنا، إلا أنه في ذكره لسيرة الفقيه أبي الحسن علي النميري الششتري(ت668هـ/1269م) ذكر أنه عاش في بجاية ثم انتقل إلى قابس برباط البحر على الساحل، ومنها إلى دمياط في الشام، فوصل إليها وهو بساحلها قال لهم ما اسم هذه البلدة؟ قالوا له الطينية قال لهم حنت الطينة إلى الطينية وبها توفي[4]، مما يبين لنا أن تنقله كان عبر البحر، ووجود مسلك بين بجاية وقابس وصولا إلى الإسكندرية ومنها إلى الشام.

وظل الانتعاش الاقتصادي الذي شهده الطريق الساحلي خلال فترة الحكم الحفصي، فهذا ابن بطوطة يصف لنا تلك الطريق خلال سنتي725-726هـ/1325-1326م وسماها طريق الساحل مشيرا إلى أن الحياة والاستقرار قد عادا إليه فعلا[5].

1) التشوف، ص369-370.

2) عنوان الدراية، ص80.

3) نفسه، ص173-174.

4) عنوان الدراية، ص210-211.

5) تحفة النظار، ج1، ص161 ، 164، 165، 186-170.

ويذكر يحي بن خلدون(ت788هـ/1386م)أن وزير السلطان الزياني"أبي تاشفين"وهو هلال الكطلاني قد ركب البحر حاجا من تلمسان نحو الأماكن المقدسة[1]، مما يدل على وجود طريق بحري للحج مباشر من تلمسان نحو الإسكندرية ومنها نحو الحجاز

ويبين ابن خلدون(ت808هـ/1406م)أنه استقر بمنطقة قلعة بني سلامة بتيارت، وبعد أربعة أعوام من التأليف اتجه إلى تونس سنة780هـ/1378م، مارا بالدوسن والزاب ثم قسنطينة وصولا إلى سوسة، ثم تونس[2]، وكانت بالمرسى سفينة لتجار الإسكندرية قد شحنها التجار بأمتعتهم فركب معهم في منتصف شعبان 784هـ/1382م[3]، وهو ما بين نشاط خط النقل البحري بين بلدان المغرب الأوسط والمشرق الإسلامي عن طريق مصر؛ سواء للحج أو التجارة أو نقل الأشخاص.

ويؤكد ذلك ابن قنفذ(ت810هـ/1407م)عند حديثه عن الأمير الفضل بقوله"وتوجه من بجاية إلى بونة في البحر...وأقام بها بعض أشهر، ثم تحرك إلى تونس بطلب العرب"[4].

كما يشير القلصادي(ت891هـ/ 1486م)في رحلته نحو المشرق بمروره بوهران إلى تلمسان ومنها إلى تونس وجربة وطرابلس والإسكندرية وكان ذلك سنة840هـ/1436م[5]، وعند عودته يوم21أفريل1451م/855هـ ركب البحر من تونس إلى وهران ومنها إلى ألمرية[6].

و قد تطور الطريق البحري الرابط بمصر وإفريقية في العهد الحفصي، حيث يبدأ من الإسكندرية إلى طرابلس ثم إلى تونس ومنها إلى بقية موانئ المغرب كبونة وبجاية[7]، وكان هذا الطريق هو الطريق الأساسي لحمل تجارة شمال إفريقيا إلى مصر، ولقد كثر عدد المغاربة الوافدين إلى الإسكندرية بهذا الطريق كما استخدمه تجار مصر الذين يقصدون المغرب أي أنه كان طريق التجارة الرئيسي بين مصر وبلاد الساحل الشمال الإفريقي[8].

ونتيجة المعاهدات التي عقدتها الدولة الموحدية ثم السلطنة الحفصية مع الجمهوريات الايطالية والتي تبين تراجع دور بيزة أمام جنوة، وأصبحت بمقتضاه موانئ المغرب الأوسط محطة ضرورية في الخطوط الرئيسية الدولية، التي

---

1) بغية الرواد، ج1، ص136.
2) ابن خلدون: رحلته، ص188-189.
3) نفسه، ص199.
4) الفارسية، ص173.
5) علي القلصادي: رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص95.
6) نفسه، ص161.
7) أرشيبالد لويس: المرجع السابق، ص212.
8) شوقي عبد القوى عثمان حبيب: التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر سلاطين المماليك (648-922هـ/1250-1517م)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000، ص76.

أنشأتها جنوة مطلع القرن الثامن هجري/الرابع عشر ميلادي مثل خط سبتة وهران بجاية الإسكندرية، أو خط سبتة بجاية مرسيليا الإسكندرية(1).

وتجدر الإشارة إلى أنه في غالب الأحيان كان تجار المغرب الأوسط يلجأون إلى استخدام أو اكتراء السفن الأوروبية لنقل سلعهم إلى الموانئ الأوروبية وأحيانا حتى بين الموانئ المغاربية(2)، مثلما حدث سنة701هـ/1301م عندما تم نقل شحنة من القماش من تونس إلى بونة ثم القل على متن سفينة ميورقية بسعر بلغ 400 دينار ذهب أي ما يعادل اثنين كيلو ذهب(3)، وفي سنة708هـ/1308م اقترح جاك الثاني ملك الأراغون على السلطان الحفصي ببجاية كراء مراكب مقابل500دينار، وقبل السلطان الاقتراح وابرم معه عقد الكراء سنة709هـ/1309م(4).

إن التجارة البحرية لم تكن هي وحدها بين أيدي الأجانب، بل حتى الرحلات الطويلة بين الأقطار الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، فكانت تتم بواسطتهم، ذلك أن المواصلات بين موانئ بلاد المغرب وبين مملكة غرناطة أو الإسكندرية، كانت تقع أساسا بواسطة النصارى، وقد أصبح من الشائع أن يسافر التجار والحجيج المسلمون على متن السفن النصرانية(5).

كما انتقلت جماعة من تجار تلمسان ووهران إلى المشرق الإسلامي، على متن سفينة جنوية سنة871هـ/1466م(6).

ولعبت بلاد المغرب دور الوسيط بين المدن الايطالية التجارية وبلاد المشرق، أي نقلت تجارة الغرب الأوروبي نحو المشرق(7)، ومن أشهر موانئ المغرب الأوسط ميناء بجاية من مدينة قسنطينة ويقع البحر المتوسط في خليج مفتوح تكتنفه الجبال، وترسو به السفن وتفد إليه القوافل من جميع الجهات، وهي بمثابة مخزن للبضائع وتجارها على صلة بتجار إفريقيا الغربية وتجار الصحراء والشرق، كما وجدت بها مختلف البضائع وكثرت الأخشاب بها، ومن أهم

---

1) لطفي بن ميلاد: المرجع السابق، ص134.

2) عبد الناصر جبار: المرجع السابق، 228.

3)Dufourcq ; Commerce, p.175.

4) عمر سعيدان: علاقات اسبانيا القطلانية بالحفصيين، ص76.

5) لقد أثار هذا الوضع جدلا لدى الفقهاء الذين استسلموا في آخر الأمر إلى الضرورة. **أنظر الونشريسي: المعيار، ج2، ص115-118، 144-166؛ و روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج2، ص97.**

6) Dhina Atallah ; les états de l’Occident musulman aux XIII, XIU et XU siécles O.P.U. Alger, S, D, p.287-289.

ولطيفة بشاري: النقل البحري، ص447، هامش3.

7) ابتسام مرعي خلف الله: المرجع السابق، ص271.

منتجاتها الراتنج والقطران الجيد وقد عقدت معها الدول الأوروبية معاهدات تجارية وصارت بفضل تجارتها من أكبر المدن الإفريقية[1].

وبالتالي استفادت بلاد المغرب من وساطة الإسكندرية في التجارة الدولية، كما استفادت مصر من وساطة بجاية لنقل تجارة الشرق إلى أوروبا، وأصبحت موانئ المغرب الأوسط من بونة إلى وهران وهنين محطات عبور للملاحة بين مصر واسبانيا[2].

ومن الطبيعي أن تستقطب بجاية تجار الذهب من الأوروبيين والمغاربة والصحراويين، إذ كانت سوقا"من أسواق صياغة الذهب"[3]، ويتحدث الوزان عن قافلة سنوية لأهل قسنطينة تقصد الواحات قادمة من تونس تحمل أقمشة صوفية وكتانية"وشيئا قذرا يسمى الحشيش"[4].

وأهم موانئ البحر المتوسط التي ماجت بالحركة وقصدتها سفن الأفاق، دمياط والإسكندرية وبرقة وطرابلس وسيفاكس وبونة و بجاية، وتلمسان وسبتة[5]، كما يحدثنا ابن خلدون عن ركب السلطان المخلوع أبو حمو المنطلق من ميناء وهران في السفن متوجها نحو الإسكندرية، حيث نزل ببجاية[6]

ويمكن تفسير ذلك بسبب التراجع النسبي للبحرية الحفصية في أواخر عهدها، أو ربما بسبب نقص مادة الخشب التي تتطلبها صناعة السفن بسبب قيود الكنيسة[7]، أو نظرا إلى طول الشريط الساحلي في إفريقية الحفصية والبالغ ألفي كلم والممتد من طرابلس شرقا إلى مدينة الجزائر غربا جعل التجار الحفصيين يعانون وباستمرار من نقص في وسائل النقل البحري ويدفعهم إلى تعويض هذا بتأجير سفن الأوربيين[8].

والمهم أن الطريق الساحلي أصبح في العهد الحفصي يمتد من الغرب إلى الشرق من بجاية، جيجل، القل، بونة، مرسى الخرز، تونس، سوسة، المهدية، صفاقس، قابس، طرابلس[9]، ويحتوي هذا الشريط الساحلي على أشرطة هامة من المرجان، وكان مستغلا من قبل الأجانب على وجه الخصوص، وهذا ماجعل ميناء مرسى الخرز"القالة" وميناء طبرقة وبونة ينتعشون[10].

1) شوقي عبد القوى عثمان: المرجع السابق، ص80.

2) Mas Latrie; op.cit.p.24.

3) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ج1، ص207.

4) وصف إفريقيا، ج2، ص59.

5) شوقي عبد القوى عثمان حبيب: المرجع السابق، ص76.

6) العبر، ج6، ص557.

7) حرمت الكنيسة تجارة الخشب وكل ما يتعلق بالسفن كالحبال والحديد.

8) عبد الناصر جبار: المرجع السابق، ص229.

9) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ج1، ص160.

10) روبار برونشفيك:المرجع السابق، ج1، ص330.

كما تغذي هذا الطريق الساحلي مجموعة من الطرق الداخلية كروافد له منها طريق قسنطينة نحو بونة، أو قسنطينة نحو بجاية، ومنهما إلى تونس[1].

ج-2)الطريق الرابط بين المغرب الأوسط وبلدان المغرب الإسلامي:

تؤكد لنا كتب التاريخ القديم استمرار وجود الخط البحري بين المغرب الأوسط ودول بلاد المغرب؛ حيث تحدد المسافة بين طبرقة على سكيكدة بيومين من الإبحار مع وجود استراحة بينهما؛ وأن المسافة المقطوعة من قرطاج إلى أعمدة هرقل مرورا بالمغرب الأوسط تستوجب سبعة أيام في ظل ظروف سانحة للإبحار[2].

ويذكر الإدريسي عن بجاية الحمادية "أن أهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق"[3].

كما تفيدنا كتب المناقب كذلك بالطريق البري الرابط بين مدن المغرب الأوسط ومدن المغرب الأقصى والمغرب الأدنى، ومثال على ذلك ركب الحج الذي تأخر عنه الشيخ سيدي أبو يعقوب البادسي الذي مر بوادي كرط بجبال الناظور المغربية ومنها إلى تلمسان، ومنها إلى بجاية، أين لحق بالركب ومنها إلى المغرب الأدنى[4].

ويذكر الغبريني(ت704هـ/1304م)عن الفقيه ابن محشرة محمد بن علي بن طاهر(ت598هـ/1201م) أنه استدعاه الخليفة الموحدي من بجاية إلى مراكش، فلبى النداء[5]،كما يمدنا بمثال آخر عن القاضي أبي إسحاق بن عباس أنه هاجر من بجاية إلى تونس، حيث توفي هناك[6]، والطبيب محمد بن أحمد المعروف بابن انداس(ت674هـ/1275م) الذي استدعاه أمير افريقية المستنصر فهاجر من بجاية إلى تونس[7]، ورغم عدم تفصيله في المسلك المتبع إلا أنه يبين لنا وجود طريق رابط بين هاتين الحاضرتين، سواء بين بجاية ومراكش أو بجاية وتونس، وقد يكون طريقا بريا أو بحريا لتوفرهما الاثنين ونميل للطريق البحري من خلال ذكر الغبريني لرحيله من تونس نحو بجاية كان بحرا بقوله:"وكان القوم على السير في البحر فركبت البحر بجملتي، وتعذر علينا الهواء فأصبحت في المرسى أجفان غزوانية للنصارى فهبطنا إلى البر خفية منها، وبعد أيام قابلت الجفن المعروف بجفن الحراني وأخذته بالمرسى فوقع العود إلى البلد"[8]، أما الطريق البري فكان كذلك نشاطا من خلال ما ذكره الغبيريني عن الفقيه أبو

1) عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 252.
2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص61.
3) نزهة المشتاق، ج1، ص260.
4) الأوربي: المصدر السابق، ص335.
5) عنوان الدراية، ص83.
6) نفسه، ص89.
7) نفسه، ص102.
8) نفسه، ص118.

تميم بن جبارة(ت584هـ/1188م) الذي تولى قضاء بجاية ثم استقدمه الخليفة إلى مراكش ولكنه توفي في طريقه إليها بتلمسان[1]، مما يبين لنا بأن المسلك كان بريا.

ويقدم لنا مثالا أكثر وضوحا عن مسلك بجاية الرباط ما ذكر لنا في ترجمة ابن دحية"أن والي بجاية"في العهد الموحدي"احتاج إلى تجهيز قطع في البحر ليبعث بها إلى الخليفة في المغرب، فأخذ خادمه في جملة الغزاة"العمال في السفينة" فكتب له ابن دحية رسالة يطلب منه تسريحه، ولم يفك رموز الرسالة إلا وتلك الأجفان قد بلغت ميناء وهران"[2]، وهذا يبين وجود طريق بحرية رابطة بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى عبر الموانئ المعروفة كوهران وربما جزائر بني مزغنة وهنين.

ويذكر كذلك أحمد القشتالي(ت نهاية ق7هـ/13م)، في كتابه الصوفي، أنه لما عزم على الحج قدم من لقنت إلى بجاية، حيث مكث مدة ليبين في كرامات شيخه، ثم انفصال عن رفاقه وسافروا هم بحرا، أما هو فقد سافر برا ووصل إلى برقة، دون أن يذكر المسار والمدن التي مر بها للوصول إلى برقة[3]، وما يهمنا في هذه الإشارة الصوفية لكرامات الولي أبي مروان هو الطريق البحري الآخر الرابط بين بجاية ومدن بلاد المغرب كتونس للتوجه نحو الإسكندرية ومنها للحج، أي أن هناك مسلكاً بحرياً بين بجاية تونس الإسكندرية لنقل الحجاج والتجار والمسافرين.

ويقدم ابن خلدون(ت808هـ/1406م) مثلا هاما للنقل البحري عبر موانئ المغرب الأوسط وصولا إلى المغربين الأدنى والأقصى ومنها ما ذكره عن خط بحري رابط بين بجاية وبونة[4]، وعند استعماله في القصر السلطاني بتونس لكتابة العلامة السلطانية"الحمد لله والشكر لله" بالقلم الغليظ، سنة ثلاث وخمسين[5]، حيث توجه إلى مدينة تبسة ثم رجع إلى قفصة مرة أخرى، ثم رافق شيخ بني مزني إلى منطقة الزاب بسكرة[6]، مما يظهر لنا بكل جلاء وجود طريق ومسلك بري يربط بين تونس وبلاد الزاب عبر تبسة وقفصة.

وارتحل ابن خلدون من بسكرة نحو تلمسان مارا بمدينة البطحاء، لكن السفر لم يكتمل حيث لقيه السلطان في مدينة البطحاء ليصحبه إلى مدينة بجاية، ولما رجع السلطان إلى تلمسان وفد معه، لكنه عاد مع والي بجاية وقضى هناك فصل الشتاء من أواخر سنة754هـ/1353م، دون أن يطيل بها واستدعاه السلطان المريني إلى فاس سنة755هـ/1354م[7]، وكل هذا يبين لنا تواجد مسلك بري نشط بين بلاد الزاب تلمسان، وبين بجاية تلمسان فاس.

---

1) عنوان الدراية، ص183.

2) نفسه، ص229-230.

3) أحمد القشتالي: المصدر السابق، ص21-22.

4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص529.

5) السلطان التونسي هو أبو إسحاق إبراهيم الثاني(751-758هـ/1350-1359م) وكتابة السرّ يتولاها في العادة رئيس مصلحة الكتابة السلطانية الذي يطلق عليه أحيانا صاحب العلامة والإنشاء. **أنظر روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج 2، ص61**.

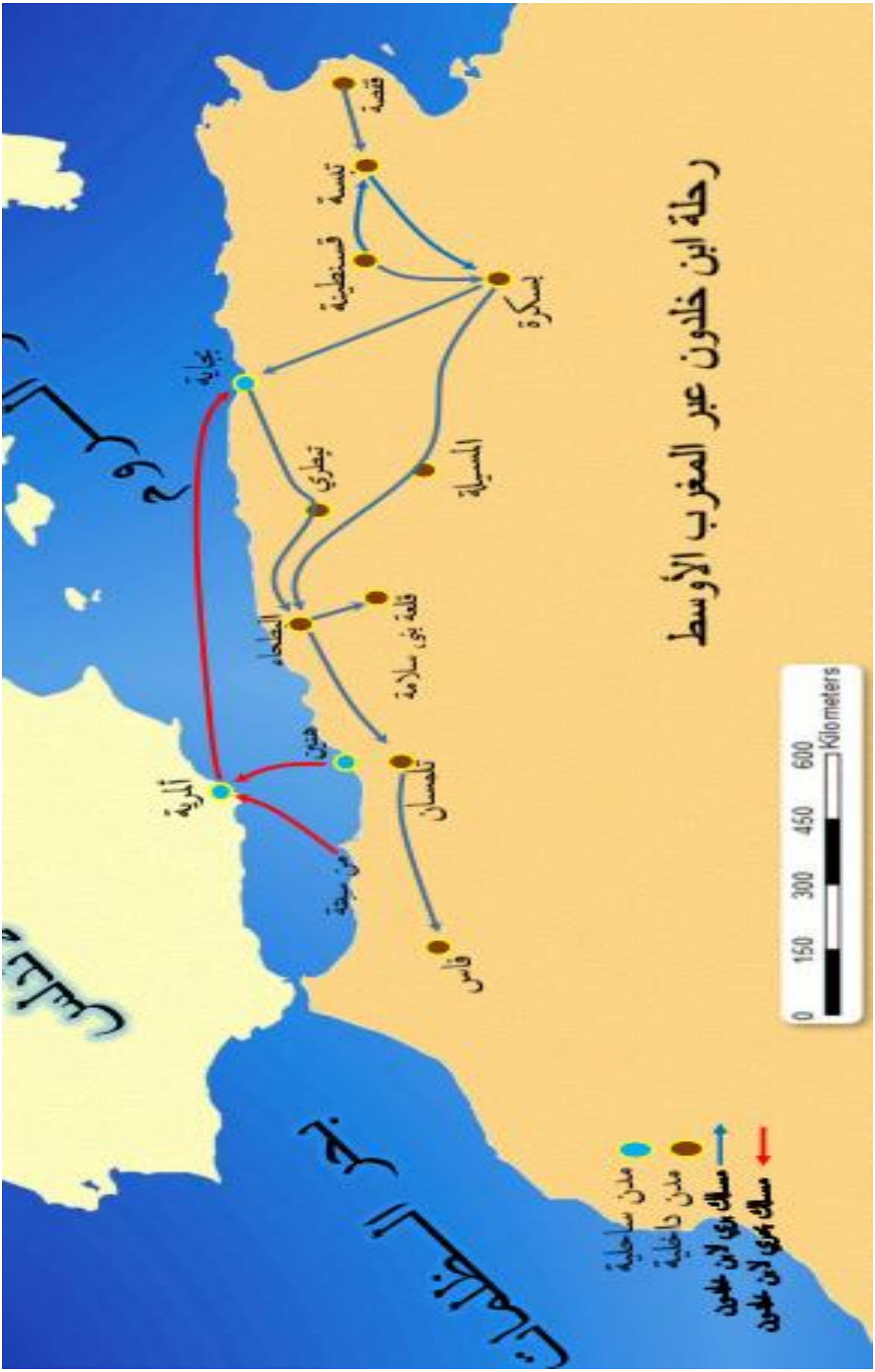
6) ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، دراسة محمد بن تاويت الطنجي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص65-66.

7) ابن خلدون: رحلته، ص67؛ **وابن خلدون: العبر، ج7، ص532**.

وعند عودته من لدن بني الأحمر استقر به المقام في منطقة العباد، ومنها إلى البطحاء ثم إلى قلعة بني سلامة[1]، حيث عكف على انجاز كتابه"المقدمة"[2]، وعموما تبرز لنا رحلة ابن خلدون وجود خط بري يربط بين تلمسان وفاس وكذا بالمدن الداخلية الأخرى كالبطحاء وغيرها.

1) **قلعة ابن سلامة**، أو بني سلامة تسمى قلعة تاوغزوت taoughzout تقع في تيارت وتبعد بنحو ستة كيلومترات إلى الجنوب الغربي من مدينة فرندة وتبعد عن مدينة تيارت في الجنوب الغربي بتسع مراحل، أما سلامة الذي تنسب إليه فهو سلامة بن علي بن نصر بن سلطان رئيس بني يدللتن من بطون توجين، سكن تاوغوت واختط بها القلعة فنسبت إليه وكانت من قبل رباطا لبعض العرب المنقطعين من سويد. **ابن خلدون**: **رحلته، ص187، هامش 4**.

2) ابن خلدون: رحلته، ص187.


رحلة ابن خلدون عبر المغرب الأوسط
قفصة
تبسة
قسنطينة
بسكرة
بجاية
تيطري
المسيلة
البطحاء
قلعة بني سلامة
تلمسان
هنين
المرية
من سبتة
فاس
مدن ساحلية
مدن داخلية
مسلك بري لابن خلدون
مسلك بحري لابن خلدون
0 150 300 450 600 Kilometers

كما تبين لنا رحلة أبو عبد الله المقري(ت759هـ/1357م)[1]، التلمساني الذي رحل منها سنة737ه/1335م، إلى مختلف حواضر المغرب الإسلامي، فتردد على بجاية وتلمسان وتونس وفاس واستفاد من شيوخ مصر والحجاز[2]، وكان هدف هذه الرحلة الاستفادة من الشيوخ والرواية عنهم[3].

ويذكر لنا ابن قنفذ(ت810ه/1407م ارتحال الصوفي أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر، من خلوته بقصر المنيستير إلى بجاية للقاء الشيخ أبي مدين شعيب[4].

وفي29صفر عام 871ه/10أكتوبر1466م ورد إلى ساحل مدينة وهران شونية عظيمة من مراكب الفرنج الجنويين برسم الاتجار، فتجهز كثير من تجار وهران وتلمسان للسفر فيها إلى جهة بلاد تونس"[5].

وفي عام877هـ/1472م رجع الشيخ زروق(ت899ﻫ/ 1493م)[6] من مصر متجها إلى المغرب، فأقام ببجاية بالمغرب الأوسط، وكانت له فيها مكاتبات واتصال مع شيوخه المشارقة ثم رجع في عام880هـ/1475م إلى وطنه بفاس، وحدثت له جفوة مع شيوخه[7]، فغادرها بعد أربع سنوات ورجع إلى بجاية التي لم يستقر فيها طويلا هذه المرة، إذ سرعان ما غادرها إلى مصر[8]، وهو ما يبين لنا وجود طريق رابط بين بجاية ومختلف مدن المغرب الأقصى والمشرق الإسلامي.

ومن المؤكد أن الشيخ زروق زار جزائر بني مزغنة وموقعا يدعى"تموقر قريبا منها"، وهنالك نسب الكثير من موريديه للطريقة الزروقيه ومن بينهم: عبد العزيز القسنطيني[9].

---

1) محمد بن محمد بن أحمد المعروف بالمقري الجد، توفي بفاس سنة759ه/ 1357م. **ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص226**.

2) نفسه، ج2، ص200-203.

3) الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص499-500.

4) أنس الفقير وعز الحقير، ص97.

5) لطيفة بشاري: العلاقات التجارية، ص111.

6) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، اشتهر بزروق ولد بفاس عام 846ﻫ/ 1442م وهو من قبيلة البرانس، عاش يتيم الأبوين منذ الأسبوع الأول من ولادته، وقد فُطم على العلم والصلاح والتقوى على يد جدته، التي كفلته ماديا ومعنويا، وهي الفقيهة الصالحة أم البنين- واسمها فاطمة-، حفظ القرآن وهو ذي العشر سنوات وبعد وفاتها تعلم واشتغل بحرفة الخرازة لكسب قوته، ولما بدأ يشتد عوده، التحق بجامعة القرويين طلبا للعلم حيث "...أتقن العلوم الشرعية وجلس للوعظ والإرشاد، وروى الحديث عن مجموعة من المشايخ منهم: الثعالبي، وإبراهيم التازي والسنهوري، وتوغل في التصوف. توفي الشيخ أحمد زروق رحمة الله عليه في الثامن عشر من صفر عام899ﻫ/ 1493م بمدينة مصراته بليبيا، البلد الذي أنشأ فيها الزاوية الزروقية، حيث دُفن هناك، وبُني له مسجد باسمه، قرب ضريحه .**أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج، ص131؛ و ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص45؛ ومعلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، المدير المشرف محمد حجي، مطابع سلا، 2005، ج14، ص4629**.

7) الشفشاوني محمد بن عسكر: دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، الرباط، ط2، 1977، ص45.

8) أحمد زروق: عدة المريد الصادق، تحقيق الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص10.

9) أحمد بابا التنبكتي: المصدر السابق، ص132.

و توجه بعض تجار تلمسان من وهران إلى تونس(1)، كما كان عبد الباسط بن خليل(ت920هـ/1425م) يقوم بالتجارة عبر البحر فينتقل بالسلع ما بين تونس ووهران وغرناطة(2).

كما يذكر لنا القلصادي(ت891هـ/ 1486م)في رحلته نحو المشرق مروره بوهران إلى تلمسان ومنها إلى تونس وجربة وطرابلس والإسكندرية وكان ذلك سنة840هـ/1436م(3).

إضافة إلى رحلة الحفيد أبي العباس أحمد المقري(ت1041هـ/1632م)(4) إلى المشرق استمرار هذا الطريق القديم من بلاد المغرب إلى البلاد الحجازية إذ قام في الثالثة والعشرين من عمره بمغادرة تلمسان قاصداً مدينة فاس التي حل بها في صفر سنة1009هـ/1600م، ومنها إلى مراكش واتصل بأبي العباس أحمد المنصور الذهبي، أشهر سلاطين السعديين وقمة مجدهم(5)، وبقي هناك واحدا وعشرين شهرا ثم رجع إلى تلمسان في17ذي القعدة 1010هـ/7ماي1601م، لكنه لم يطل بها سوى سنتين فعاد إلى فاس في أواخر1012هـ/1603م(6)، غير أن المقري أحسّ بأن الأمور تسير على غير ما يرام بسبب التطورات الخطيرة التي عرفها المغرب الأقصى، لذلك قرر الرحيل، ففي أواخر سنة1027هـ/1617م غادر المغرب الذي أصبح أمنه منعدماً وأوضاعه متدهورة، تاركاً وراءه زوجته وابنته وخزانة كتبه(7).

---

1) Dhina Atallah ; op.cit, p.353.

2) لطيفة بشاري: العلاقات التجارية، ص111.

3) علي القلصادي: رحلته، ص95.

4) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد يحيى بن عبد الرحمن بن أبي العيش بن محمد المقري التلمساني، المولود سنة 986هـ/1578م، والمتوفى سنة1041هـ/1631م، تعود أصول عائلته إلى القبيلة العربية قريش–رغم تشكيك البعض في ذلك– وهو من قرية مقرة الواقعة في الزاب بين بريكة والمسيلة. **المقري: رسائل المقري، تحقيق أسماء القاسمي الحسيني، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، المسيلة، الجزائر، 2008، ص95–96**؛ **وابن القاضي: المصدر السابق، ج2، ص44**، حيث انتقل الجد الخامس للعائلة وهو عبد الرحمن المقري في القرن السادس الهجري صحبة شيخه أبي مدين الغوث إلى مدينة تلمسان، سطع نجمه في تلمسان وفاس، وذاع صيته في مصر والحجاز وبلاد الشام بالمشرق العربي، وقد شهد له معاصروه بالإمامة والفضل، في الفقه وأصوله، وفي الحديث وعلوم القرآن، وفي علوم العربية، وتدل آثاره الحسان على علم وفهم، ورواية ودراية، وإتقان وإحسان، ويعتبر "كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق" من الآثار المفقودة لأبي العباس المقري لولا الهدية التي قدمتها حفيدة المستشرق الفرنسي جورج ديلفان سنة 1993م للمكتبة الوطنية بالجزائر العاصمة، والمتمثلة في مجموعة من المخطوطات من بينها رحلة المقري هذه. **المقري: رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004، ص5؛ و أحمد بابا: نيل الابتهاج، ص420؛ وعبد القادر شرشار: كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العباس المقري، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد98، السنة 25، حزيران"جوان" 2005، ص185.**

5) المقري: نفح الطيب، ج1، ص13.

6) المقري: رسائل المقري، ص127-128.

7) المقري: رحلة المقري، ص6.

ومن ميناء تطوان"أو تطاوين"ركب في غراب عرجت به على الجزائر[1]، وقال عن هذه الرحلة:"...إلى أن ركبنا البحر ما بين السحر والنحر، وشاهدنا من أهواله وتنافي أحواله مالا يعبر عنه ولا يبلغ كنهه"[2]، ويضيف في مصدر أخر"سافرت من ثغر تطاوين حرسها الله في غراب للجزائر المحمية في ذي القعدة الحرام من عام سبعة وعشرين وألف وكان ذلك في معظم البرد والبحر مخوف جدا..."[3].

ومن الجزائر إلى تونس عبر بجاية وسوسة وصولاً إلى الإسكندرية ومنها إلى القاهرة التي دخلها في رجب من عام1028هـ/1618م، وفي ذي القعدة من السنة نفسها توجه صوب مكة المكرمة وأدى العمرة وبقي هناك ينتظر موسم الحج، وبعد أداء الفريضة توجه إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي شهر محرم من عام 1029هـ/1620م عاد المقري من الحرمين الشريفين إلى مصر، ومنذ ذلك التاريخ أخذ يكرر السفر من القاهرة إلى الحرمين الشريفين وبيت المقدس ودمشق حتى وافته المنية بالقاهرة[4].

كما أن هناك مسألة هامة تتعلق بنزول المقري مدينة الجزائر واتصاله بعلمائها وهو في طريق الرحلة من المغرب صوب المشرق، حيث باستثناء إشارة المقري في منظومته فتح المتعال أنه نزل بهذه المدن فإن بقية المصادر لم تشر إلى ذلك قط، لكن نصوص الرحلة تؤكد لنا نزوله بهذه المدن واتصاله بعلمائها وتواريخ ذلك، إذ يخبرنا المقري أنه نزل بالجزائر يوم الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1027هـ/1617م، إذ خرج إلى رأس تافورة[5] صحبة جماعة من الأعيان منهم مفتي الحنفية الخطيب محمود بن حسين بن قرمان، والشاعر الأديب محمد بن راس العين[6] الذي تبادل معه نظم الشعر بمناسبة هذا الاجتماع، كما التقى بعالم الجزائر وفقيهها الشيخ سعيد قدورة(ت1066هـ/1655م)[7]، الذي كان قد رافقه في الأخذ عن عمه سعيد المقري[1]، وكل هذا يظهر أن

1) المقري: رحلة المقري، ص72-73.

2) المقري: رسائل المقري، ص138؛ **ونفح الطيب، ج1، ص33**.

3) المقري: فتح المتعال في مدح النعال، مطبعة دار المعارف النظامية، ط1، 1334هـ، ص322.

4) عبد القادر شرشار: المرجع السابق، ص190.

5) رأس تافورة في الجهة الشرقية من مدينة الجزائر التي يمر بها الطريق السلطاني الذي يربط الجزائر بشرق البلاد عبر قنطرة وادي الحراش، وتشير اليها الوثائق عادة بفحص باب عزون.**ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000، ص395**.

6) هو محمد بن أحمد بن راس العين شاعر لا يعرف عنه إلا القليل كان نائبا عن سعيد قدورة في الخطابة بالجامع الكبير بالعاصمة، كان حيا سنة1058هـ.**المقري: أزهار الرياض، ج4، ص162؛ و أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981، ج2، ص278**.

7) سعيد بن إبراهيم المعروف بقدورة، عالم زاهد فقيه مشارك في عدة علوم أصله من تونس، ونشأ في الجزائر وولى الإفتاء بها ، توفي 1066هـ.**الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1982، ج1، ص66؛ عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص97.**

مدينة الجزائر بدأت تتربع على عرش مدن المغرب الأوسط من حيث الأهمية الثقافية والإستراتيجية، لتصبح عاصمته خلال العهد العثماني.

ثم غادر المقري مدينة الجزائر وركب البحر متوجهاً إلى تونس، وفي شهر صفر من سنة 1028هـ/1618م ركب البحر مواصلاً رحلته نحو مصر، وقد أخبرنا المقري في نفح الطيب أن السفينة ظلت على حذر شديد أثناء مدة السفر من قراصنة الإفرنج خصوصاً أهل مالطة الذين كانوا يطاردون مراكب المسلمين في عرض البحر الأبيض المتوسط، وأن وصوله إلى الإسكندرية كان بعد خوض بحار، يدهش فيها الفكر ويحار، وأما عن تاريخ دخول مصر فقد أخبرنا في"نفح الطيب" أن ذلك كان في رجب سنة1028هـ/1618م [2].

ويذكر الوزان أن بالقرب من مدينة عنابة تسكن قبيلة مرداس العربية، وتقوم بزراعة القمح وتربية الأغنام والماشية ولذلك فإن التجار من تونس وجربة وجنوة يقصدون عنابة لشراء القمح والسمن[3]، ويتنقل أهل تلمسان بحرا إلى الجزائر وبجاية وتونس[4]، لبيع وتصريف المنتجات مما يبن استمرار خط الساحلي بين مدن المغرب الإسلامي.

ج-3) الطريق البحري بين المغرب الأوسط والأندلس:

هو طريق قديم منذ عهد الفينيقيين، ثم استغله الرومان ليواصل عليه المسلمون الفاتحون إثر سيطرتهم على المغرب الأوسط والأندلس، ليشكل القرن الثاني للهجرة الانطلاقة النشطة لهذا الطريق، فكانت سفن الأندلس ترسو في موانئ المغرب الأوسط من مرسى هنين إلى مرسى الخرز، دون اضطرابات، بل تركزت في بعض هذه الموانئ كوهران ومرسى الدجاج وبجاية وتنس جاليات مهمة[5].

ويبدو أن أحوال الطقس كانت تلعب دورا كبيرا في تعداد خيارات الطرق نحو الأندلس، فقد يكون عبور البحر في مياه هائجة شاقا وبغيضا شتاء ولذلك قد يضطر بعض التجار إلى عبور البحر نحو بر العدوة، ثم يتابعون رحلتهم برا بواسطة القوافل إلى المكان المقصود، خاصة وأن مضايق الأندلس وشمال إفريقيا ضيقة[6].

أما إذا كان الجو صافيا والملاحة جيدة فيختارون رحلة أطول حسب المكان المقصود من وإلى الشواطئ المغرب أوسطية، فكان الرحالة البحريون غالبا ما يلتمسون طريقا طويلا، ولكنه أكثر أمنا فكانت سفنهم تخرج من

---

1) المقري: رحلة المقري، ص74؛ و **رسائل المقري، ص139**.

2) عبد القادر شرشار: المرجع السابق، ص194.

3) وصف إفريقيا، ج2، ص61.

4) نفسه، ج2، ص33.

5) حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي من القرن 6 إلى القرن 17 ميلاديين، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996، ج1، ص300-301.

6) أوليفيا كونيستل: التجارة في الأندلس، تعريب فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2002، ص72.

موانئ الأندلس إلى ساحل المغرب الأوسط أو ساحل العدوة" المغرب الأقصى" ومن هنا تسير بحذاء الساحل الإفريقي وترسو عند ثغوره المطلة على البحر المتوسط، لتواصل طريقها الساحلي حتى تصل الإسكندرية[1].(**لاحظ الملحق رقم 04**)

وقد فرض وجود طرق التجارة والمواصلات بين الضفتين وجود مسارات ومسالك تتبعها مجموعة معروفة من السلع كالعبيد والحبوب والذهب، والمنتجات الحيوانية كالجلود من سرقسطة وأقمشة الحرير من ألمرية والخزف من مرسية والورق من شاطبة والتين من مالقة[2].

وبذلك تأسست طرق تجارية مباشرة تربط بين العدوتين، مثلت معابر يتعدى منها إلى الجهة المقابلة باعتبارها فرضة منها، وقد تنوعت الطرق والمسالك البحرية الرابطة بين المغرب الأوسط والأندلس، حسب المدينة لهذا نجد عدة طرق رئيسية للتجارة والإبحار والسفر"المواصلات"نذكر منها:

- **الطريق البحري الأندلس بجاية:**

تشير المصادر إلى أن بجاية لم تكن سوى ميناء صغير يسكنه الأندلسيون[3]، ليصبح عاصمة كبيرة في عهد الحماديين، وبعد قيام الدولة الحفصية أصبحت بجاية العاصمة الثانية بعد تونس، وبدأت أعداد المهاجرين الأندلسيين إلى المدينة تزداد بكثرة نتيجة لحركة الاسترداد الاسبانية، فكانوا ينزلون بها فُرادى أو مع عائلاتهم حتى كوَّنوا بها طائفة على جانب كبير من الأهمية[4].

بذلك جعل الأندلسيون من بجاية إحدى المحطات البحرية التي تمثل توسعهم على الساحل الشمالي الإفريقي، وفي أواخر القرن الخامس عشر استقر الأندلسيون في المناطق الزراعية حتى يتسنى لهم ممارسة نشاطهم الزراعي وخاصة زراعة البقول التي هي من اختصاصهم[5].

في هذا الصدد بدأت أهمية ميناء بجاية تظهر للعيان منذ القرن6هـ/12م إذ أصبحت محطة مهمة في التجارة المتوسطية، وبرز الدور الايطالي في تلك الفترة وخاصة السفن الجنوية التي أصبحت وسيلة نقل أساسية لنقل التجار والبضائع بين المشرق والمغرب[6]، وقد ذكر في نصوص العديد من التراجم ويذكر ابن الأبار في ترجمة محمد بن عبد

1) كمال أبو مصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي عصري المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، د ت، ص350.

2) نجاة باشا: التجارة في المغرب الإسلامي، من القرن الرابع إلى القرن الثامن هجري، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1976، ص70.

3) البكري: المصدر السابق، ص82.

4) أحمد محمد الطوخي: العلاقات الأندلسية الحفصية، ضمن الأندلس الدرس والتاريخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص73.

5) روبار برنشفيك: المرجع السابق، ج1، ص417.

6) لطفي بن ميلاد: المرجع السابق، ص133.

الله بن محمد بن خيرة من أهل قرطبة الذي كان شاهدا على"مركب للروم قدم بجاية قاصدا بعدها الإسكندرية نحو سنة543هـ/1148-1149م"[1].

كما أن لانتشار الولاية الصوفية دوراً في رسم شبكة تنقل برية وبحرية جديدة، من خلال عملية نشر الثقافة الروحية خصوصا في المراسي التي تتوفر على الرباطات، ونجد ذلك مدوناً في كتب المناقب والفضائل ومن أهمها ابن الأبار"في معجمه"و"أنس الفقير وعز الحقير"لابن قنفذ القسنطيني(ت808هـ/1406م)[2].

ومن بين الطرق المهمة لبجاية والأندلس طريق بجاية طرطوشة الذي يبلغ طوله ثلاثة مجار تقريبا[3]، حسب تعبير ابن سعيد، وإلى ميناء بجاية لجأ أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبيد الله بن الوليد المعطي المدني بعدما طرده أمير دانية مجاهد العامري عام 405هـ/1014م[4].

لقد أشارت المصادر الإسلامية إلى مسالك بحرية يمكن أن نطلق عليها طرق أعالي البحار، حيث تنطلق من الأندلس باتجاه موانئ المغرب الأوسط بالدرجة الأولى، ثم افريقية حسب الظروف السياسية، حيث أشار إليها اليعقوبي بقوله"صار إلى تاهرت يوافي الجزيرة، فيقطع اللج في يوم وليلة حتى يصير إلى بلد تدمير، وهو بلد واسع عامر، فيه مدينتان يقال لإحداهما العسكر، وللأخرى لورقة..."[5].

وتبين رحلة تحفة المغترب ببلاد المغرب، لأحمد بن إبراهيم الأزدي القشتالي(ت نهاية ق7هـ/13م)[6]، الذي تكلم عن أستاذه ورفيقة الشيخ الزاهد الصوفي أبي مروان عبد الملك بن إبراهيم بن بشر القيسي اليحانسي[7]؛ حين توجه للحج في المرة الأولى أين انطلق من موطنه في أندريش، إلى لقنت، ومنها إلى بجاية[8]، وما يهمنا في هذه الإشارة الصوفية لكرامات الولي أبي مروان هو الطريق البحري الرابط بين بجاية ولقنت.

وبالرغم من أن هذا الكتاب هو تأليف في ذكر كرامات الشيخ الأندلسي أبي مروان إلا أن كثيرا من هذه الأخبار والكرامات، تساعدنا في معرفة أهم المسالك البحرية لتنقلاته ورحلاته، فهي رحلة داخلية تعكس لنا البيئة في بلاد المغرب، خلال الحكم المريني[9].

---

1) ابن الأبار: المعجم، ص167.

2) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية، ص127-128.

3) ابن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا، ص142؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص76**.

4) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص55.

5) اليعقوبي: المصدر السابق، ص143.

6) نسبة إلى قشتال والتي قد تكون بلدة Castril في ولاية غرناطة. **أحمد القشتالي: تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان، تحقيق فرناندو دي لا جرانخا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج 17، 1973، ص2.**

7) نسبة إلى بلدة يحانس في منطقة ألمرية، وقد توفي الشيخ أبو مروان اليحانسي سنة667هـ/1268م. **أحمد القشتالي: نفسه، ص3.**

8) أحمد القشتالي: المصدر نفسه، ص21-22.

9) الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج2، ص362.

كما يذكر لنا مؤلف هذا الكتاب الصوفي أحمد القشتالي، أنه عزم على الحج، وأذن له الشيخ أبو مروان، وكان برفقته خمسة من أهل وادي آش، ومنهم ابن الشيخ البسطي الحداد، وكان قد حضه الشيخ على ترك السفر لكنه أبى، فانطلقوا من لقنت فغرق الجميع في الطريق، ومن حضهم أن لحقهم مركب آخر كان خلفهم فلقط من جملة أهل المركب ابن الشيخ المذكور وحمل إلى بجاية، وعندما استيقظ بها وجد نفسه دون رفيق ولا زاد، فرجع[1]، ويعود سبب إلحاقه ببجاية كونها أقرب منطقة لهم، أو أن المركب كان متجها أصلا لبجاية، ونستشف من هذه الرواية أنه كان هناك فعلا خط بحري لقنت بجاية يمر عليه المسافرون والحجاج.

ويعتبر كتاب الغبريني(ت704هـ/1304م)من أهم الكتب التي توضح لنا انتقال العلماء وحركيتهم من و إلى المغرب الأوسط، مما يبين لنا أهم المسالك البحرية التي كانت تسلك كمحطات ومسارات لتنقل المسافرين والتجار والعلماء.

ويشير الغبريني عند حديثه عن الفقيه عبد الحق الاشبيلي(ت582هـ/1186م) أنه ارتحل من اشبيلية إلى بجاية، واستقر بها وتوفي هناك[2]، ويضرب الغبريني مثالا آخر بعبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر الأنصاري(ت675هـ/1276م) ذاكرا أن أصله من أبدة بالأندلس وأن جده عمر هو الذي هاجر إلى بجاية مستوطنا، وكذلك الفقيه محمد بن صالح بن أحمد الكناني الشاطبي(ت بعد699هـ/1299م) وهو من أهل شاطبة، وبعد تمكنه فيها وتعلمه على يد شيوخها هاجر واستوطن بجاية[3]، والفقيه الشيخ أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي المعروف بابن أندرياس من أهل مرسية، ورد بجاية في عشر الستين وستمائة مستوطنا، ونفس الشيء عن الفقيه عبيد الله بن أحمد الأزدي(ت691هـ/1291م) من أهل رنده رحل إلى بجاية وتخيرها مستوطنا[4]، والفقيه أحمد بن محمد بن الحسن بن الغماز(ت693هـ/1293م) من أهل بلنسية، رحل إلى بجاية وتخيرها موطنا كذلك[5]، ورغم أنه لم يشر إلى خط سير الرحلة؛ إلا أنه يمكن أن يكون عن طريق مسلك ألمرية بجاية، أو ملقة بجاية، أو متنقلا نحو سبتة ثم التوجه برا نحو بجاية.

ويقدم لنا الغبريني رواية عن الفقيه أبو الربيع سليمان الأندلسي المعروف بـ"بكثير"(ت634هـ/1236م) استوطن بجاية وكان كثير النقد مما جعل أحد الأمراء في وقته يعاتبه عتابا شديدا؛ ثم عاد واسترضاه فبعث إليه بثلاثمائة دينار وبعث إليه بكتاب، لكنه تركها وطلع في جفن قاصدا الفقيه أبي عثمان سعيد ابن حكم صاحب منورقة[6]، مما يبين وجود حركية للسفر البحري بين بجاية وجزيرة منورقة.

---

1) أحمد القشتالي: المصدر نفسه، ص83-84.

2) عنوان الدراية، ص75.

3) نفسه، ص85، 101، 104.

4) نفسه، ص121.

5) نفسه، ص120.

6) نفسه، ص239-240.

كما تذكر لنا رحلة ابن رُشيد السبتي(ت721هـ/1321م)[1]، المسماة بملء العيبة[2]، التي نعتبرها عبارة عن فهرس أو برنامج للعلماء الذين درس وتعلم على أيديهم وأجازوه[3]، أنه انتقل من مسقط رأسه بسبتة قاصدا الحج سنة683هـ/1284م؛ فأقام بألمرية ثم منها توجه إلى بجاية في خط بحري[4]، ويؤكد ذلك ابن الخطيب والذهبي من خلال ذكرهما لهذا الطريق الذي يبدأ من مدينة المرية ويتجه إلى مدينة بجاية في المغرب[8]، وبما أن الجزء الأول مفقود فإننا نجهل أخبار انتقال ابن رُشيد من ألمرية إلى تونس، وكذا هل رسا في ثغور ومراسي المغرب الأوسط الأخرى من غير تلمسان وبجاية وبونة التي زارها فعلا، ونحن نعلم أن هناك مراسي مشهورة تستقبل الرحالة الواردين عليها من الأندلس كمرسى هنين[5].

وما يبين ما قاله في رحلته ملء العيبة:"...وكان وصوله من بجاية صحبتنا في المركب لما قدمت بجاية، وصادفته عند صاحب تونس"[6]، ثم يتجه في رحلته من تونس إلى الإسكندرية والقاهرة فبلغها سنة684هـ/1385م[7]، ومنها إلى البقاع المقدسة[8]، ونتأسف لعدم تقديمه معلومات إضافية عن الرحالة ونوع المركب ولمن كانت تبعيته، وأحوال حوض البحر المتوسط.

---

1) هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد بن مسعود بن حسين بن محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي (657-721 هـ)، ولد بسبتة في رمضان 657هـ، وتوفي بفاس في 22 محرم 721هـ الرحالة المعروف، عالم متضلع في الأدب واللغة والعروض والحديث. **الصفدي: المصدر السابق، ج4، ص199-200؛ و ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص135-143؛ والحسن الشاهدي:المرجع السابق، ج 1، ص141-172.**

2) إن الرحلة اختلف في عدد أجزائها بين أربعة أجزاء والسبعة أجزاء، ويعتبر الجزء الأول والرابع من هذا التراث مفقودان، والجزء الأول هو الذي قيد فيه ابن الرشيد أخبار خروجه من سبتة ووصوله إلى ألمرية ودخوله بجاية وانتهائه إلى تونس، ولكنه يستنتج من خلال ما ورد في تضاعيف الأجزاء الأخرى الباقية. **مقدمة المحقق محمد الحبيب ابن الخوجة لكتاب ابن رشيد السبتي: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982، ج2، ص36؛ و محمد الفاسي: ابن رشيد الفهري ورحلته إلى المشرق، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج5، ج1، ماي 1989، ص41.**

3) ابن رشيد السبتي: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة ، مخطوط الإسكوريال، رقم 1735، ج7، ورقة 64.

4) ابن رشيد السبتي: المصدر نفسه، ج2، ص32، 66، 210، 218، 312؛ **وعبد القادر زمامة: الرحالتان السبتيان، ابن رُشيد و التجيبي، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، المغرب العدد22، السنة التاسعة، يناير1982، ص550.**

8) ابن الخطيب:أعمال الأعلام، ص191؛ **والذهبي: تأريخ الإسلام، ج39، ص111.**

5) أحمد حدادي: رحلة ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد بن عمر، دراسة وتحليل، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2003، ج1، ص208-209.

6) ابن رشيد السبتي: المصدر نفسه، ج2، ص405.

7) محمد الفاسي: المصدر نفسه، ص32.

8) ابن رشيد السبتي: المصدر نفسه، ج2، ص32.

والأخبار المبثوثة في كتب الرحلات والتراجم تدلنا على أن ابن رُشيد زار بجاية التي لقي بها عبد العزيز بن مخلوف المعروف بابن كحيلا[1]، وقيل أنه مر بعنابة[2].

وتعد رحلة القاسم بن يوسف التجيبي(ت730هـ/1329م)[3] أيضا من أهم وأنفس الرحلات التي تتناول الرحلة المغاربية نحو الحجاز[4]، والتي مر من خلالها على المغرب الأوسط ومدنه الساحلية وترك لنا بعض الإشارات عن ذلك كما تبين لنا بعض المسالك البحرية بين ضفتي البحر المتوسط.

وقام التجيبي برحلته سنة694هـ/1295م[5]، وأدى فريضة الحج سنة 696هـ/1297م[6]، حيث توجه من سبتة إلى مالقة وبلنسية، وبعد أن حصل على ماشفى غليله من القراءة والسماع؛ ركب البحر نحو العدوة المغربية، لكننا لا نستطيع أن نحدد المرسى الذي نزل به، نظرا لضياع الجزء الأول من الرحلة، ويحتمل أن يكون التجيبي قد ألقى الضوء على الطريق ووسيلة الرحلة والمنازل التي حل بها[7].

ولقد أوضح التجيبي نفسه سنة مروره ببجاية في إشارة عابرة بترجمته أبي محمد التوني في القطعة المنشورة من الرحلة يقول:"ومما رأيت أن أثبته في هذا الموضع ما أخبرنا به الشيخ الفقيه الإمام المقرئ الخطيب الصالح أبو عبد الله بن صالح الكناني بقراءتي عليه في محرم سنة خمس وتسعين وستمائة"[8].

كما يشير التجيبي في برنامجه إلى بعض ما استفاده ببجاية فقد قرأ وسمع عن خطيب بجاية أبي عبد الله بن صالح[1]، ومن هنا يكون التجيبي قد سلك الطريق البحري التقليدي في هذه الفترة من ألمرية إلى بجاية أو مالقة بجاية ومنها إلى الشرق باتجاه الحج.

---

1) عبد العزيز بن علي بن عمر بن مخلوف القيسي الشهير بابن كحيلا من أهل تلمسان، فقيه ومحدث وقاضي أخذ عنه ابن رشيد في بجاية. **ابن القاضي: المصدر السابق، ج3، ص117.**

2)عبد القادر زمامة: الرحلتان، ص557.

3) هو القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التُّجِيبي السبتي، ولد بسبتة سنة 670هـ/ 1271م ونشأ فيها، وحفظ القرآن بقراءاته المختلفة، ودرس كتب التفسير والحديث الشريف وعلومه المختلفة، والفقه والتصوف وعلوم العربية على مشايخ بلده ثم تنّقل بين مدن الأندلس والمغرب، ومصر، والشّام والحجاز، وأخذ عن علماء هذه الأمصار، وسجل ما أخذه عنهم، فتوسعت مداركه العلم[illegible]ية، وأصبح من العلماء المشهورين، توفي القاسم بن يوسف التجيبي سنة730هـ/1329م. **الصفدي: المصدر السابق، ج24، ص129-130.**

4) تسمى مستفاد الرحلة والاغتراب وهي في ثلاث مجلدات ضخمة، غير أن الذي وصلنا هو الجزء الثاني فقط. **ابن حجر: الدرر الكامنة، ج3، ص240.**

5)عبد القادر زمامة: الرحلتان، ص559.

6) علي ابراهيم كردي: أدب الرحل في المغرب والأندلس، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، 2013، ص59.

7) الحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص223.

8) التجيبي: مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975، ص65، 228، 235، 269، 328، 449.

كمـــا يبـــين لنـــا كتـــاب الأوربي(ت782هـــ/1380م)[2]عـــن مناقـــب أبي يعقـــوب الزهيلـــي البادسي(ت734هـ/1333م)[3]، أنه خلال جواز مجموعة من تجار مدينة بادس المغربية إلى الأندلس على متن جفنين تابعين للسلطان أبي الحسن المريني، حولت الرياح مسارهما إلى ما وراء بجاية جهة الشرق من بلاد المغرب الأوسط، ثم رجع الجفنان إلى أن جازا ساحل مدينة برشك وهو في تلك الفترة لبني عبد الواد، ثم منها إلى عدوة الأندلس[4]، وهو ما يبين استمرار وجود الطريق البحري الرابط بين بجاية والأندلس.

أما عن ابن خلدون(ت808هـ/1406م)[5] فقد أشار في عدة مواضع للمسلك البحري الرابط بين مختلف مدن الأندلس وبجاية[6]، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن اهتمام حكام بجاية الحفصية بالعلاقات التجارية مع الأندلس، ساهم في تنشيط الاقتصاد، ويعود أسباب ذلك للقرب الجغرافي لسواحل المغرب الأوسط بالسواحل الجنوبية للأندلس، رغم أن العلاقات الأندلسية المغربية قديمةٌ تعود إلى العهد الرستمي.

---

1) التجيبي: برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص260.

2) أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الأوربي قاضي الجماعة بفاس ولد عام 701 هـ وتوفي 782هـ .**الأوربي: مناقب أبي يعقوب الزهيلي البادسي، نشرها أحمد عبد السلام البوعياشي في كتاب حرب الريف التحررية ومراحل النضال، مطبعة دار أمل، طنجة، 1975، ج1، هامش 1، ص301**.

3) هو أبو يعقوب يوسف بن محمد بن عبد الله بن سعيد بن تميم الزهيلي البادسي الشهير بابن الغماز، ولد 17 ذي الحجة 640هـ ببادس المحروسة وتوفي 11 ربيع الأخر عام 734هـ/1333م، ودفن عند مصب وادي بادس، ومازال مقامه مشهورا بين أهل الريف. **عبد الحق البادسي: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1993، ص139–140؛ و الأوربي: المصدر نفسه، ص302**.

4) الأوربي: المصدر نفسه، ص317–319.

5) عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون، الحضرمي الأشبيلي التونسي المالكي الأشعري(732–808هـ/ 1331–1405م)، ولد بتونس وتوفّي بمصر، بدأ كاتبا للعلامة، وانتهى إلى منصب قاضي قضاة المالكيّة بمصر؛ وبين وظيفته الأولى والأخيرة تولّى كتابة السرّ وخطّة المظالم وصار وزيرا وحاجبا وسفيرا ومدرّسا وخطيبا. تتوزّع حياته بصفة تكاد تكون متعادلة زمنيّا بين أرض مسقط رأسه التي قضّى بها حوالي ربع قرن على فترتين (1332–1352م) و(1378–1382م) وبلاد المغرب الأوسط والأقصى والأندلس (1352–1378م) حيث قضى الفترة الأطول من حياته (26 سنة)، وأخيرا بالمشرق العربي (مصر والحجاز والشام : 1382–1406م) حيث استقرّ بالقاهرة التي مكّنته رغم الصّعوبات والعراقيل من اطمئنان نفسي نسبي على حياته، وحظي بمصدر رزق مكّنه من الحفاظ على كرامته وأنفته واستغلال مصادر المعرفة التي لم تكن متوفّرة ببلاد المغرب.**ابن الخطيب: الإحاطة، ج3، ص497–516؛ و ابن عماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق– بيروت، ط1، 1993، ج9، ص114–115**.

6) العبر، ج6، ص477

وجاءت في مذكرات ابن خلدون[1] أنه كان في حضرة بني الأحمر فوصلته دعوة من والي بجاية أبي عبد الله تدعوه للقدوم فقرر أن يلبي النداء[2]، حيث ركب البحر من ساحل ألمرية منتصف عام 766هـ/1364م ونزل بجاية[3]، وهذا كله يؤكد وجود خط بحري نشط ألمرية -بجاية على غرار خط ألمرية هنين.

- **الطريق البحري الأندلس تلمسان" هنين"أو تنس:**

لقد تردد التجار والمسافرون الأندلسيون على موانئ غرب المغرب الأوسط وخاصة كل من هنين وتنس ووهران، بعد التحول التدريجي لعدد من النخب العلمية في المدن الساحلية إلى التصوف السني البعيد عن التأثيرات الفلسفية الهلينية، فارتبطت الموانئ والمدن الساحلية بالولي الصالح، خصوصا في وهران(سيدي الهواري وسيدي إبراهيم التازي)[4]، إضافة إلى بعض رحلات رجال المتصوفة أو العلماء ،كرحلة ابن رشيد السبتي، والتجيبي وغيرهما التي انطلقت من الأندلس وتوجهت نحو موانئ المغرب الأوسط.

فبعض المؤرخين يحاولون استنتاج طريق رحلة ابن رُشيد من خلال المصادر الأخرى التي تحدثت عن هذه الشخصية، فرجّحوا أنه أبحر من سبتة إلى هنين وأتيح له الدخول إلى تلمسان والحواضر العلمية الأخرى بالمغرب الأوسط كالجزائر وبجاية وبونة[5]، فأبو العباس المقري يورد خبرين هامين فيهما ما يفيد بأن ابن رشيد ورفيقه زارا تلمسان وكان لهما بها أخبار ومواقف علمية[6].

كما أن الأخبار المبثوثة في بعض التراجم تدلنا على أن ابن رشيد كان في تلمسان التي لقي بها أبا عبد الله محمد بن أبي العيش الخزرجي وأبا بكر بن الخطاب[7]، كما ذكر المقري بأن ابن رشيد زار مع مرافقه في الرحلة منطقة العباد بتلمسان[8].

---

1) كتب ابن خلدون البعض من مذكّراته الشخصيّة وأقحمها في الجزء السابع من العبر بدءا من الصفحة508، وقد قامت بعض دور النشر بإصدارها عن حدة تحت عنوان: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، سنة1951، عارضه بأصوله وعلّق على حواشيه محمد بن تاويت الطنجي.

2) ابن خلدون: رحلته، ص91، 93.

3) نفسه، ص95.

4) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية، ص127.

5) محمد الفاسي: المرجع السابق، ص32؛ **والحسن الشاهدي: المرجع السابق، ج1، ص154**.

6) نفح الطيب، ج5، ص255، 274؛ **و ابن مريم**: **المصدر السابق، ص159**.

7) أحمد حدادي: المرجع السابق، ص209.

محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي الخطيب بتلمسان، سمع منه ابن رشيد. **ابن مريم**: **المصدر السابق، ص159**.

أبو بكر محمد بن عبيد الله بن داوود بن بن الخطاب، كاتب وشاعر لقيه ابن رشيد في تلمسان فروى عنه الشعر. **أحمد حدادي**: **المرجع نفسه، ص299**.

8) المقري التلمساني: نفح الطيب، ج5، ص225.

وعموما نستنتج من رحلته هذه وجود خطين رئيسيين لنقل المسافرين والحجاج يربطان الأندلس بالمغرب الأوسط ومنه إلى بلاد المشرق الخط الأول يربط بين ألمرية بجاية(1)–أو ألمرية هنين وهو خط الذهاب للحج والخط الثاني يربط بين بونة ومالقة–أو بين برشك ومالقة وهو خط العودة من الحج.

وتعتبر رحلة البلوي(ت قبل780ه/1378م)(2) الحجازية مرجعا علميا وأدبيا وجغرافيا مهما نظرا لسعة علم الرجل واطلاعه، وقد استمرت هذه الرحلة أربع سنوات من عام 736ه/1335م إلى 740ه/1339م(3).

وانطلقت الرحلة من بلدته قيتورية في يوم السبت18صفر عام 736ه/1335م(4)، ليصل إلى ألمرية على متن غراب دار الصنعة يوم الاحد7جمادى الأولى سنة736ه/1335م(5)، وتيسر اندفاعه في يوم الجمعة مارا بمدن المغرب الأوسط متوجها نحو حج بيت الله، فيقول:"وسرنا في أطيب هواء، وأحسن استواء، إلى أن وافينا مرسى هنين فنزلنا بها ضحوة يوم الثلاثاء، التاسع لجمادى الأولى المذكور، فرأيت بليدة نضيرة، لاكبيرة ولا صغيرة، جميلة المنظر، متوسطة بين الصغر والكبر، موضوعة أسفل جبلين، بين بحر وشجر، يخفضها ارتفاع قلعة دار صنعة، وأسواق موفورة، ومساجد معمورة، ولقربها من الأندلس هي مذكورة"(6)، ولم يوضح لنا نوع دار الصنعة الموجودة في هنين هل هي دار لصناعة المراكب والسفن، أم حصن دفاعي عسكري؟

كما أن رحلة البلوي في طريق عودته تبرز لنا وجود طريق مباشر بين هنين وألمرية إذ وصل هنين يوم السبت الثاني والعشرين لذي القعدة740هـ/1339م فصادفوا "قرقورة كانت هناك قد كملت وسقا، وخفقت بنودها للسفر خفقا، وقلدت القرية وعملت على المرية"(7).

كما أن ابن خلدون بقي في فاس إلى سنة764هـ/1362م واستأذن من السلطان للرحلة إلى مدينة رندة بالأندلس، ثم رجع إلى سبتة، ومنها عاد إلى مملكة بني الأحمر، فطلب من السلطان استحضار أهله من قسنطينة

---

1) طريق هنين ألمرية، وعرض البحر بينهما ثلاث مجار ونصف مجرى. **صبح الأعشى، ج5، ص150**.

2) هو خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي القنتوري–من قبيلة البلويين العربية– أبو البقاء علم الدين، الإمام القاضي الفاضل الرحالة الأديب ، كتب بتونس عن أميرها وتولى القضاء في بعض جهات الأندلس أخذ عن والده وعن عبد العزيز الغوري وابن رشيد وعبد المؤمن الجاناتي وعبد الرحمن الجزولي وأبي عمران المشذالي...رحل وأفاد واستفاد من أعلام المشرق والمغرب، ألف رحلته المسماة تاج المفرق في تحلية علماء المغرب والمشرق. **أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ص173–174؛ ومحمد بن محمد مخلوف: المرجع السابق، ج1، ص229**؛ أما عن تاريخ وفاته فقد ذكره الزركلي بسنة765هـ/1364م. **الأعلام، ج2، ص297**؛ ويظهر أن ذلك غير صحيح لأن المؤلف أتم كتابه في اليوم الأخير من شهر ربيع الأول عام 767هـ ببرشانة، أي أنه عاش بعد هذا العام، إلا أن ابن الخطيب ذكره في الريحانة التي انتهى منها سنة780هـ وترحم عليه.**الحسن السائح مقدمة محقق: تاج المفرق، ص15**.

3) ابن الخطيب: الإحاطة، ج1، ص500، الهامش4؛ و **ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1983، ص134**.

4) البلوي: المصدر السابق، ج1، ص144.

5) نفسه، ج1، ص146.

6) نفسه، ج1، ص53، 148.

7) البلوي: المصدر السابق، ج2، ص151.

فاستجاب له وحلوا بتلمسان فنقلهم أسطول ألمرية إلى هذه المدينة(1)،كما تبين لنا هنا الرحلة مسلكاً بحرياً بين تلمسان"مرسى هنين"و ألمرية، ومسلكاً برياً بين قسنطينة وتلمسان، مرورا عبر بجاية والجزائر.

وذكر ابن خلدون في إحدى رحلاته المستمرة أنه استأذن من السلطان مسافرا من ميناء هنين نحو ألمرية بمملكة بني الأحمر، لكن السلطان منعه فبقي بتلمسان خاصة في منطقة رباط الشيخ الولي أبي مدين بالعباد(2)، ورغم أن السفرية لم تتم إلا أنها تبين لنا وجود خط بحري نشيط هو خط مرسى هنين–ألمرية وكذلك يبرز لنا انتعاش مرسى هنين وازدهاره خلال العهد الزياني المريني، وأصبح من أنشط موانئ المغرب الأوسط في هذه الفترة"القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي".

كما تنقل ابن خلدون من تلمسان إلى فاس في حضرة السلطان سنة774هـ/1372م، ثم توجه إلى الأندلس سنة 776هـ/1374م لكن سلطان بني الأحمر أعاده إلى تلمسان"هنين" بعد أن وشوا به بأنه يسعى لإطلاق سراح ابن الخطيب(3).

وبالتالي كانت هنين من بين المعابر الرئيسية التي ينطلق منها وإليها نحو الأندلس، رفقة ميناء تنس الذي كان من المعابر الهامة باعتباره"عدوة إلى الأندلس"(4).

لقد أشار أحمد القشتالي(ت نهاية ق7هـ/13م) في التحفة أن شيخ أبي مروان ومدرسه للقرآن وهو"جودي بن جودي"سافر للحج وعند رجوعه توفي في مدينة تنس(5)، مما يوحي أنه كان ينوي العبور منها الى ألمرية، مما يبين أن تنس كانت معبرا بحريا ومسلكا للحجاج من و إلى الأندلس، لأنه كان ينوي العودة إلى بلاده في يحانس، أو أنه سوف يمر من تنس إلى تلمسان ثم الأندلس.

بذلك كانت تنس تمفصل هام ومحطة رئيسية في الطريق التجاري البحري الرابط بين المغرب الأوسط والأندلس فكانت"عدوة إلى بلاد الأندلس"(6)، وقاعدة أساسية للملاحة الأندلسية التي تفضي إلى ميناء طبرقة(7) ومحطة أولى للقادمين من مصر خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين.

والرحلة المباشرة من مرسية وميناء تنس تدوم أربعا وعشرين ساعة، في حالة الظروف العادية(8).

وفي سنة768هـ/1366م توجهت مجموعة من السفن التابعة لتلمسان محملة بسلع مختلفة إلى موانئ غرناطة(1)، كما كانت تنطلق من ميناء مالقة السلع، وتصدر نحو موانئ تلمسان"هنين وتنس"(2).

---

1) ابن خلدون: رحلته، ص90-91.

2) نفسه، ص90-91.

3) نفسه، ص187.

4) الاصطخري: مسالك الممالك، ص38.

5) أحمد القشتالي: المصدر السابق، ص146.

6) الاصطخري: المصدر السابق، ص38.

7) نفسه، ص37؛ **و الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص294**.

8) لطيفة بشاري:النقل البحري، ص445.

- **الطريق من الأندلس إلى وهران:**

لقد مثلت وهران القاعدة الأساسية للملاحة الأندلسية في الجهة الغربية، إذ لدينا العديد من النماذج تظهر النشاط البحري المتصل بين وهران واشبيلية عبر بادس، استيرادا وتصديرا، وذكر عبد الحق البادسي(ت بعد722هـ/1322م) أن قاربا كبيرا كان محملا بالتين والزيت وصل من اشبيلية إلى مرسى بادس وعازما على التوجه إلى وهران، فأقلع هذا القارب ولم يُعطِ برسم الرابطة شيئا، فأتى الخديم ووقف إلى الشيخ فقال له قد أقلع القارب، فقال عبد الحق يرجع حتى تأكلوا من زيته وتينه، مما أدى بالرياح والأمطار إلى إعادته بعد تحطيم جزء من سفينته[3]، وبعيدا عن كرامات عبد الحق البادسي فإن ما يهمنا هو وجود نشاط كثيف لتجارة والقل بين اشبيلية وبادس ووهران، كما يبرز مكانة مرسى وهران ونشاطه التجاري خلال القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين.

كما ذكر قبل هذا البكري طريقاً بين وهران و أشكوبرش طوله مجريان ونصف[4]، وطريق وهران ألمرية في الأندلس وسعة البحر بينهما مجريان[5].

أما عن ابن خلدون فقد ذكر تنقل الأسطول الموحدي من اشبيلية إلى ميناء وهران سنة646هـ/1348م للاستراحة ومواصلة الطريق[6].

ويذكر لنا القلصادي(ت891هـ/ 1486م)في رحلته نحو المشرق انطلاقه من بسطة بالأندلس، مرورا بالمنكب ثم الانتقال مباشرة إلى تلمسان وإلى وهران ومنها إلى تونس وجربة وطرابلس والإسكندرية وكان ذلك سنة840هـ/1436م[7].

وحتى في طريق العودة انطلق من وهران إلى ألمرية مباشرة عام 855هـ/21أفريل1451م[8].

وفي محرم من سنة870هـ/أوت1465م اشترى عبد الباسط ابن خليل من تلمسان سلعا إلى ميناء وهران ثم سافر بها إلى مالقة بالأندلس مباشرة[9].

- **الطريق من الأندلس إلى جزائر بني مزغنة:**

هو من بين الطرق القليلة الموجودة في الفترة الوسيطة حيث يزدهر مع سقوط غرناطة، أما عن فترة الدراسة فقد وجد طريق مهم بين الجزائر ومرسى بنشكلة Peniscola وبينهما ستة مجار [1].

---

1) Dhina Atallah ; op.cit, p.360.

2) لطيفة بشاري:العلاقات التجارية، ص112.

3) عبد الحق البادسي: المصدر السابق، ص106.

4) البكري: المغرب، ص81. و **البكري: المسالك والممالك، ج2، ص267**.

5) الإدريسي في نزهة المشتاق، ج1، ص252.

6) العبر، ج6، ص395.

7) علي القلصادي: الرحلة القلصادي، ص95.

8) نفسه، ص95، 161.

9) Dhina Atallah ; op.cit, p.360.

ومنها خط جزائر بني مزغنة ميورقة، واستعمل هذا الخط الناصر الموحدي إبان تحركه بأساطيله في اتجاه الجزائر الشرقية في صراعه مع بني غانية، وذلك حسب رواية ابن أبي زرع[2].

وحين تصفحنا في تراجم عدة شخصيات سافرت للاستقرار بمدينة جزائر بني مزغنة وجدنا العديد منها كأحمد بن عبد الله بن خميس بن معاوية بن نصرون الازدي، من أهل بلنسية يكنى أبا جعفر توفي بالجزائر سنة سبع أو ثمان وأربعين وخمسمائة ودفن بها عند باب الفخارين على ساحل البحر[3].

وكذا أبو عبد الله محمد بن لب المرسي، الذي أنشد أبو حفص عمر بن عتيق لنفسه بالناصرية قصيدة كتبها من الجزائر إلى وزير العزيز الحمادي[4]، وعبد الله بن يوسف بن موسى الخلاسي البلنسي كان تلميذا لابن حجاج بالجزائر سنة643هـ/1245م[5].

وقد ورد في ترجمة"لأبي القاسم بن ورد" أنه توفي أثناء سفره للحج من الأندلس إلى بلاد المشرق على سواحل الجزائر عند باب الفخارين سنة547هـ أو548هـ/1153م[6].

كما رحل من أهل بلنسية عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن موسى...المرسي المعروف بابن برطلة(ت661هـ/1262م) نحو الجزائر فتولى قضاءها[7].

ورغم عدم توفرنا على معلومات ثابتة للمسلك المتخذ من الأندلس نحو مدينة الجزائر إلا أننا يمكن تعميمه، من خلال المسالك التقليدية، كبلنسية الجزائر، ومالقة الجزائر، وليقنت الجزائر، وطرطوشة الجزائر.

كما أشار الونشريسي في إحدى نوازله إلى طريق بحري يربط بين الجزائر نحو ألمرية مرورا بسبتة[8].

- **الطريق من الأندلس إلى بونة:**

تتمتع بونة، بمرسى صغير، ولكنه من المراسي الشهيرة، وكان موقع المدينة الهام واتصالها المباشر بتونس وقسنطينة جعلا ميناءها وطريقها البري يستقطبان قسما كبيرا من التجار، وخاصة في العهد الحفصي، سواء التجارة

---

1) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268.**

2) الأنيس، ص232؛ **وعصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية، ص354؛ و الطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، ص309-310.**

3) ابن الأبار: التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995، ج1، ص54.

4) السلفي: معجم السفر، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1963، ص242.

5) ابن رشيد السبتي: المصدر السابق، ج2، ص358.

6) توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص245.

7) الغبريني: المصدر السابق، ص270.

8) المعيار، ج9، ص75-76.

الداخلية أو الدولية وكان أغلب تجارها من الأندلس[1]، وقد كان جل أهل بونة تجاراً وصناعاً وحاكة يبيعون كميات هائلة من قماش الكتان في مدن إفريقية[2].

وبرونشفيك يؤكد أنها ازدهرت في عهد بني حفص، وشهد ميناؤها آنذاك نشاطا مكثفا، وفي سنة802هـ/1399م، وحسب رواية كتالونية، كانت أسوارها على أحسن ما يرام ويبدو أنها كانت معتبرة في القرن الخامس عشر من بين أهم مدن المملكة[3].

كما تأتي إلى عنابة كل سنة سفن عديدة من تونس وجربة، ومن جنوة، لشراء القمح والسمن[4].

وتأتي رحلة ابن رُشيد السبتي ملء العيبة لتؤكد لنا أهمية طريق بونة الأندلس أي الرابط بين مدينة بونة ومدن الأندلس كألمرية أو مالقة أو الجزيرة الخضراء، ويذكر ذلك في طريق العودة من رحلته إذ مر من الإسكندرية سنة685هـ/1286م فركب البحر إلى طرابلس الغرب فالمهدية بديار إفريقية في ربيع الأول من نفس السنة، وبلغ تونس في ربيع الثاني، وأقام بها إلى نفس الشهر من العام القادم686هـ/1287م فاتجه إلى بونة يوم السبت7جمادى الأولى686هـ/1287م، وذلك في مركب للنصرانيين، وفيه تجار مسلمون في جو من الاضطراب والحال قد تفاقمت بين التجار و صاحب المركب[5]، وقد اجتمع مع قاضي البلاد وبالوالي، ثم أبحر مارا بعدة مراسي منها مرس أشتورة الذي وصله يوم الخميس12جمادى الأولى686هـ/1287م.

وهنا نتساءل لماذا لم ينزل بميناء سكيدة"تاسقدة" ونزل بميناء أشتورة؟ والأكيد أن ميناء سكيدة اختفى ذكره منذ القرن الخامس الهجري"عهد البكري"وعاد للظهور في الفترة الحفصية ولكن في البداية كان بصفة محتشمة، لأن الحموي مر عليه مر الكرام[6].

وقد أقام ابن رشيد في ميناء أشتورة يوما أو يومين؛ ثم واصل الطريق إلى مرسى برشك، فوصله يوم الأحد22جمادى الأولى686هـ/1287م واستولى العدو على جفن الدلائي[7]، وقدم لنا معلومات عن تغير الرياح وكيف ساعدت المركب في الرحلة، ومنها توجه إلى مالقة بالأندلس ورندة والجزيرة الخضراء حتى انتهى إلى سبتة في

1) الحميري: المصدر السابق، ص115؛ و **عاشور بوشامة: المرجع السابق، ص320**.

2) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص103.

3) تاريخ إفريقية، ج1، ص319.

4) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص190.

5) أحمد حدادي: المرجع السابق، ص249-250.

6) معجم البلدان، ج3، ص230.

7) أحمد حدادي: المرجع السابق، ص250.

جمادى الثانية من نفس السنة[1]، ونفس الشيء الذي قلناه سابقا عن عدم خوضه في تفاصيل الرحلة ووصفه لنوع السفن التي تنقل فيها من بونة إلى مالقة.

إضافة إلى عدة مسالك وطرق بحرية أخرى تربط مراسي وموانئ المغرب الأوسط بالأندلس ذكرتها المصادر الجغرافية منها الطريق من مرسى البطال إلى جبل قرون، وطوله خمسة مجار ونصف[2]، و الطرق شرشال مرسى مريرةCap Moraira، وشرشال أليكنتAlicante ويبلغ طوله خمسة مجار ونصف[3]، والطريق الرابط بين مرسى الفلوس وقرطاجنة Carthagène والذي ذكره البكري[4]، و هناك طريق آخر وان كان مسلكا حربيا سلكه عامل الناصر الأموي بأسطوله مكوّن من خمسة عشر مركبا حربيا من أهل **بجانة** مجهز بالرجال والسلاح للإحاطة بجزيرة أرشقول[5]، والطريق الرابط بين مرسى الماء المدفون إلى مرسى الراهب بطول مجريان وثلث[6]، والطريق الرابط بين ترنانة وبجانة[7]، وطريق مرسى أرشقول إلى قابطة بني أسود طوله مجريان[8].

ج-4) الطريق الرابط بين المغرب الأوسط وجنوب أوروبا وايطاليا:

إن التجارة البحرية من أهم الأنشطة الاقتصادية التي عرفتها بلاد المغرب الأوسط، خاصة عاصمة الزيانيين، لأنها هي الطريق الرابط بين الحفصيين والمرينيين[9]، وحلقة وصل بين الدول الأوروبية والسودان الغربي[10]، هذا ما جعلها محل اهتمام البلدان الأوروبية بل حتى الإسلامية منها كالأندلس، فأضحت مقصدا للتجار من كل جهة ويقول عنها القلقشندي:"ويقصدها تجار الآفاق للتجارة"[11].

هذا إلى جانب الطريق البحري الذي يربط موانئ المغرب الأوسط بجزر الحوض الغربي للمتوسط وتمثلت في بلد تدمير"جزر البليار"[12]، وعلى رأسها جزيرة ميورقة، هناك طرق أخرى منها:

---

1) ابن رشيد السبتي: المصدر السابق، ج2، ص32؛ **ومحمد الفاسي: المرجع السابق، ص33**.

2) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**.

3) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص381.

4) البكري: المغرب، ص81؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص267**.

5) البكري: المصدر نفسه، ص78.

6) نفسه، ص81؛ **و البكري: المسالك، ج2، ص267**.

7) الأسعد شوشان: المرجع نفسه، ص381.

8) البكري: المغرب، ص79؛ **و البكري: المسالك، ج2، ص262**.

9) الزركشي: المصدر السابق، ص236.

10) بسام كامل عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص192.

11) صبح الأعشى: المصدر السابق، ج5، ص150؛ **وسميرة نميش: المرجع السابق، ص57**.

12) البكري: المغرب، ص79؛ **و البكري: المسالك، ج2، ص262**.

طريق تنس جزر البليار في يوم وليلة[1]، وطريق يربط بين مرسى الدجاج وميورقة Majorque[2]، وطريق مرسى جنابية إلى مرسى دانية Denia ويبلغ ستة مجار [3]، وطريق مغيلة بني هاشم إلى قبطيل تُدمير[4]، طريق مستغانم دانية وطوله ثلاثة مجار ونصف[5]، وطريق مرسى فروخ لورقة طوله ثلاثة مجار[6]، وطريق من مرسى عجرود إلى دلاية وطوله مجريان[7]، إضافة إلى طريق مرسى الخرز جزيرة سردينية والمقدر بمجريين[8].

ولا ننسى الطرق الأخرى مع أوروبا مثل خط جنوة مع بلاد المغرب الذي يمر بهنين ثم مرسيليا وبرشلونة وخط البندقية بلاد المغرب الذي يمر بالإسكندرية ثم بلاد المغرب[9].

ويربط هذا الخط بين أوروبا والمغرب الأوسط والمشرق الإسلامي سيرا بمحاذاة الساحل الجنوبي للمتوسط، إذ تتوقف في أغلب الموانئ المغربية والأندلسية، من طرابلس ثم المهدية ثم تونس ثم بجاية ثم بونة ثم الجزائر ثم وهران وهنين ثم صعودا إلى اسبانيا والأندلس"مالقا و فلنسيا وقادش" ولا تمر عبر موانئ المغرب الأقصى، وتستمر هذه القافلة عبر هذه الموانئ والمحطات عدة أسابيع وأحيانا تدوم فصلا كاملا من فصول السنة.

وقد حاولت البندقية هي الأخرى إنشاء قافلة منذ عام 864هـ/1459م تجوب موانئ المغرب الإسلامي تعرف باسم"مودا Muda "ظلت تعمل حتى سنة914هـ/1508م، تتكون في البداية من سفينتين، ثم تطورت إلى عدة سفن تنطلق من البندقية إلى صقلية ثم تونس ومنها عبر سواحل المغرب الأوسط إلى موانئ الأندلس[11].

---

1) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص401؛ و **عبد الواحد ذنون طه:التبادل التجاري، ص406-407**.

2) علاوة عمارة: النشاط التجاري، ص64-65.

3) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268**؛ **و مجهول: الاستبصار، ص126-135**؛ **وياقوت الحموي: المصدر السابق، ج2، ص434**.

4) البكري: المغرب، ص81؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص267**.

5) كتاب الجغرافيا، ص140؛ **وابن سعيد المغربي: بسط الأرض، ص74**.

6) ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج5، ص25.

7) البكري: المغرب، ص89.

8) نفسه، ص55؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص234**.

9) ابن الخطيب: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب، تحقيق محمد كمال شبانة، و مراجعة حسن محمود، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د ت، د ط، ص91.

11) رشيد باقة: المرجع السابق، ص277-278.

وهناك طريق مباشر بين إيطاليا والمغرب الأوسط فكانت السفن تنتقل مباشرة بين المدن الايطالية ومدن المغرب الأوسط خاصة البندقية وهنين[1]، إذ كانت السفن التجارية تصل إلى تنس قادمة من سردينية ثم تنتقل إلى مازونة فمستغانم ثم إلى تلمسان[2].

وانفرد ابن بطوطة بربط تونس وميناء تنس وجزيرة سردانية، أين استقل مركبا قطلانيا يربط بينها[3]، إذ قال أنه وصل إليه في مدة عشرة أيام بعد خروجه من مرسى هذه الجزيرة[4]، بين جزيرة سردينية وتنس يستغرق الإبحار عبره مدة عشرة أيام، وقد ذكره في أثناء حديثه عن الطريق الذي سلكه للوصول إلى تلمسان من جزيرة سردينية حيث قال:"فوصلنا إلى جزيرة سردانية من جزر الروم، ولها مرسى عجيب...ثم خرجنا عنها فوصلنا بعد عشرة أيام إلى مدينة تنس، ثم إلى مازونة، ثم إلى مستغانم ثم إلى تلمسان..."[5].

وهناك خط مباشر يربط بين ميورقة وبجاية ومنها إلى جنوة[6]، ويشير أحد العقود إلى تاجر جنوي يدعى جيوفاني زكريا"Giovanni Zaccaria" اشترى الحبوب من المغرب الأوسط في30 يناير1275م/674هـ وتوجه مباشرة عند عودته إلى جنوة من تنس إلى ميورقة[7].

وهذا الخط يدعى بخط الجزر إذ ينطلق من جنوة نحو كورسيكا وسردينيا إلى بجاية أو وهران إلى جزر البليار ومنها إلى الأندلس[8]، وهذا الطريق يوفر مزايا عديدة منها أنه قليل الأخطار لأنه ينتقل من جزيرة لأخرى، كما يسمح للتجار بالاستراحة في هذه المحطات والتزود بالماء والمؤن[9].

1) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص20، 30، 31، 32، 38، 40.

2) ابن بطوطة:المصدر السابق، ج1، ص157-165.

3) عبد الهادي التازي: الحضور العربي في جزيرة سردينية، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد 33، 1992، ص27.

4) نفس المصدر والصفحة.

5) تحفة النظار، ج4، ص190.

6) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص205، 206.

7) نفسه، ص206.

8) رشيد باقة: المرجع السابق، ص300.

9) Dufourcq,ch; Commerce, op.cit. P.175.

تنس بالمغرب الأوسط والسواحل الأندلسية24يوما، وهذا كله في حالة السرعة العادية للسفن بين12و13ميلا في الساعة[1].

خاتمة الفصل الثالث:

✓ إن الموحدين لم ينجحوا نسبيا في النصف الثاني من القرن السادس الهجري في إحياء المناطق الداخلية من البلاد الشرقية من المغرب، غير أنهم أفلحوا في ضبط الساحل وإنعاشه اقتصاديا، واستفاد عبد المؤمن من خبرات المغاربة والأندلسيين في المجالات البحرية المختلفة.

✓وفقد الأسطول الإسلامي على سواحل المغرب الأوسط قوته بعد الموحدين، وذلك لتراجع الاهتمام به، ولتنافس الدولة الزيانية والحفصية والمرينية على أملاك وسواحل المغرب الأوسط، هذا ما أدى إلى تراجع قدوم الأسر الأندلسية التي كانت لها الخبرة أكثر من غيرها لقيادة الأسطول وتنشيط التجارة الساحلية.

✓برزت في النصف الأول من القرن السادس الهجري نتائج الغزو الهلالي واضحة من خلال ما أحدثه العرب الهلالية من تخريب لعمران المناطق الداخلية، إلا أن الاتجاه نحو الساحل وتعميره أدى إلى ظهور طريق ساحلي في بلاد المغربين الأدنى والأوسط.

✓كان للرحالة والجغرافيين بعد القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي نظرة مهمة للسواحل والمدن البحرية من خلال وصفهم لمشاهدات عينية تقدم لنا صورة واضحة عن النشاطات الملاحية السائدة في مدن المغرب الأوسط.

✓كما ترك لنا الزهاد والمتصوفة وكتب التراجم والفهارس والمناقب تراثا هاما يتحدث عن شبكة المواصلات البحرية بين المدن الساحلية وعلاقتها بحركية المريدين والعلماء، وهجرات للفقهاء والأدباء والتجار.

✓وعلى ضوء ما تقدم، يمكن القول أن المدن والموانئ في المغرب الأوسط شكلت حلقة لتواصل تجاري وحتى ثقافي بين المغرب الأوسط وبقية أقطار العالم المتوسطي، وشكلت بذلك مجموعة من المحاور والمراكز التجارية، تحكمت فيها عدة عوامل كالتجار والعلماء والمرابطين والزعامات القبلية والزوايا.

✓ظهرت عدة محاور ومسالك تربط المغرب الأوسط بالضفة الأخرى من البحر المتوسط تكتسي أهمية بالغة بفضل الظروف الطبيعية والبشرية الملائمة، رغم ما تخلفه الظروف السياسية من اضطرابات وصعوبات اجتماعية.

✓ ظلت الطرق التقليدية والمسالك الرئيسية سائدة ومزدهرة سواء بين المغرب الأوسط والأندلس أو بين المغرب الأوسط والمشرق أو بين المغرب الأوسط والمغربين الأدنى والأقصى.

1) Dufourcq, ch; L'espagne, op.cit. P.46-47.

الفصل الرابع

نشاط التجارة البحرية من خلال النصوص (الفقهية والجنيزية والوثائق اللاتينية)

1) دور أهل الذمة في التجارة البحرية للمغرب الأوسط.

2) سيطرة التجار الأوروبيين على تجارة المغرب الأوسط البحرية.

3) القرصنة والجهاد البحري بين الممارسة وردود الفعل

4) المؤسسات البحرية والتجارية في المغرب الأوسط"الوظائف والخدمات

اكتسب البحر الأبيض المتوسط أهمية كبيرة باعتباره منطقة حضارية، وطريقا عالمية للتجارة والعبور الدوليين بين أجزاء العالم في جميع العصور، ومما زاد من أهمية هذا البحر هو وفرة موانئه ومرافئه المنتشرة على طول سواحله إذ شكلت هذه الأخيرة مركزا هاما للتجارة والتبادل الاقتصادي

وكان لأهل الذمة المسيحيين واليهود دور كبير في تنشيط التجارة البحرية للمغرب الأوسط سواء مع بلاد المشرق الإسلامي وهو ما تؤكده وثائق الجنيزة، أو مع الضفة الشمالية للبحر المتوسط، مما ساعدهم في احتكار العديد من السلع والمسالك التجارية، رغم انتشار عمليات القرصنة.

وتؤكد الكثير من الإشارات التي دونتها الوثائق الأوروبية مدى استفادة مدن المغرب من التجارة مع أوروبا، حيث يظهر أن التجار المسيحيين كانوا يتوفرون على مرافق بالمدن الساحلية ترعى مصالحهم ببلاد المغرب؛ وعلى رأس هذه المرافق الفنادق والقنصليات، رغم أن الأسفار التجارية المغربية كانت تتم بمبادرة شخصية وإن لم يكن يوجد خلال هذه الفترة فرق بين الأسطول الحربي والأسطول التجاري(2).

بهذا عُقدت اتفاقيات تجارية بين البندقية وبيزة وجنوة وفلورنسا(3) من جهة وتجار مدن الساحل بالمغرب الأوسط، كبجاية وبونة وتنس ووهران من جهة أخرى؛ وأصبحت مدينة جنوة تملك مستعمرات في الجهة الجنوبية للبحر المتوسط، كمدينة جيجل لمدة من الزمن(4).

من هنا تتبادر إلينا عدة تساؤلات منها:

ما الدور الذي لعبه أهل الذمة في تجارة المغرب الأوسط البحرية؟

إلى أي مدى سيطر التجار الأوروبيون على تجارة المغرب الأوسط البحرية؟

هل كان دفاع سكان المغرب الأوسط قرصنة أم جهاداً بحرياً؟

ما هي المؤسسات البحرية والتجارية في موانئ ومدن المغرب الأوسط؟

1)دور أهل الذمة في التجارة البحرية للمغرب الأوسط:

---

2) سعيد باشر: المدن المغربية خلال العهدين المرابطي والموحدي، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الوسيط، جامعة ابن مسيك الدار البيضاء، المغرب، السنة الجامعية 1997-1998، ص249.

3) **فلورنسا**: تقع في شمال غرب إيطاليا عرفت أزهى عصورها في الفترة الممتدة من القرن الثالث عشر إلى القرن السادس عشر، وكان بها نزاعات سياسية ودينية بين أسرة ألبيزي ومديتشي انتهى بانتصار هذه الأخيرة في النصف الأول من القرن الخامس عشر ميلادي، لتدخل الإمارة مرحلة النمو والتطور. **إدريس بن مصطفى**: **العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الالبيرية في عهد الدولة الزيانية، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2006-2007، ص104**.

4) أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة، ص26-27.

يذكر بروديل في كتابه البحر المتوسط قائلا:"...لعب الاقتصاد دورا حاسما في تاريخ البحر المتوسط في أغلب الأحيان وفي الثروات التي يأتي بها كمسطح للنقل، فسيد هذه الثروات من سيطر على البحر، فلم يكن هذا البحر بسعته يقبل بسيد واحد في آن واحد، وليس من الضروري أن يكون هذا السيد سياسيا كريما، كما يظهر لنا للوهلة الأولى، وإنما السيد المبادلات، التفاوت، وفروق المستويات في الحياة التجارية"[1].

وقد لعب أهل الذمة دورا هاما في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للأمة الإسلامية منذ عهد الرسول"صلى الله عليه وسلم"، وبرزوا في الجانب التجاري، خاصة الخارجي منها، أما في المغرب الأوسط فقد ساعدهم في ذلك سياسة التسامح الديني واللين منذ عهد الدولة الموحدية والزيانية[2].

كما ساهمت الهجرة الهلالية في تحويل النشاطات الاقتصادية والاجتماعية نحو الساحل، ونتج عن ذلك دور كبير في ازدهار المدن البحرية[3]، خصوصا وأن المدن الإيطالية نجحت في إقامة قواعد تجارية في معظم مدن الساحل المغربية بداية من منتصف القرن6هـ/12 م[4]، إحياء للطريق القديم العائد للإمبراطورية الرومانية[5].

أ)دور التجار اليهود:

1)Braudel Fernand; op.cit , p.133.

2) سميرة نميش: دور أهل الذمة بالمغرب، ص64.

3) يرى هنري براسك أن الهجرة الهلالية عزلت المدن الساحلية، وقد تكون هذه النتيجة صحيحة لبعض مدن إفريقية، لكن لا يمكن تعميم ذلك على مدن بجاية والجزائر.

Bresc, H ; Le royaume normand d'Afrique et l'archevêché de Mahdiyya ، Le partage du monde, échanges et colonisation dans la Méditerranée médiévale (s/d M. Balard et A. Ducellier), Paris, Publication de la Sorbonne, 1998, p. 347. نقلا عن علاوة عمارة وزينب مساوي

4) علاوة عمارة و زينب موساوي: المرجع السابق، ص34-35.

5) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص385.

تشير العديد من الدراسات[1] إلى وجود اليهود في بلاد المغرب الأوسط منذ القرن الأول الميلادي[2] مؤكدين بذلك على أن أول استقرار يعود إلى الحقبة الرومانية، ثم انتظمت حركات الهجرة على فترات مختلفة خلال الحكم الوندالي والبيزنطي، واستمرت بشكل كبير بعد الفتح الإسلامي[3].

وقد وفرت لنا المصادر إشارات هامة عن وجود الأقلية المسيحية واليهودية في مدينة تيهرت الرستمية، حتى سميت بعراق المغرب، إذ يعد وجهاء هذه الجالية من خواص الإمام الرستمي الإباضي لاسيما منهم أفلح بن عبد الوهاب(208-258هـ/823-871م) والإمام أبو اليقضان(268-281هـ/881-894م)وأبو حاتم(281-294هـ/894-906م)[4].

كما استقر اليهود بالمغرب الأوسط في المراكز التجارية الكبرى وفي طرق التجارة العامة، فمدينة تنس بعد أن شيدها الأندلسيون سنة262هـ/875م غدت وجهة اليهود ومقصدهم ينطلقون منها إلى بقية مدن المغرب الأوسط والسودان أو نحو مدن الأندلس[5].

وعندما سقطت تيهرت في يد الشيعة الفواطم سنة296هـ/908م شد اليهود والمسيحيون الرحال مع الإمام الإباضي المهزوم إلى واحة وارجلان فأخذوا يشتغلون بالتجارة الصحراوية إلى جانب المسلمين[6].

وبعد بناء القلعة انتقلت إليها الجالية المسيحية واليهودية من مختلف مناطق المغرب الأوسط[7]، وهم من أصول افريقية وبربرية وبيزنطية أو من الأقليات المعاهدة[8]، وبعد بناء بجاية استوطنتها جالية مسيحية ويهودية قادمة من القلعة رفقة الأمير الناصر أو من الأسرى والتجار ورجال الدين والعبيد[9].

---

1)ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في المدة الحديثة والمعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ج2، ص283.

2) يظل تحديد تاريخ دخول اليهود واليهودية إلى بلاد المغرب مجالا خصبا لقصص الكتاب اليهود والتي تعتمد على الأساطير والافتراضات والأرجح هو قدومهم في أعقاب هدم الهيكل الأول عام586 ق م على قوارب فينيقية إلى قرطاج بالمغرب الأدنى، ومنها انتشروا في كامل المراكز الفينيقية المتناثرة على ساحل البحر المتوسط. **عبد الرحمن بشير**:**اليهود في المغرب العرب(22–462هـ/642–1070م) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001، ص52–53.**

4) ابن الصغير: المصدر السابق، ص48، 63؛ **وعبد العزيز فيلالي: دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2012، ص59.**

5) ابن حوقل:المصدر السابق، ص78؛ **و عبد الرحمن بشير**:**المرجع نفسه، ص43.**

6) Allaoua Amara; pouvoir économique et société dans le Maghreb Hammadite 395-547/1004-1152, These de doctorat université de paris, 2002, T2, P.632-633.

7) دومينيك فاليرين: المرجع السابق، ج2، ص694.

8) Allaoua Amara; pouvoir économique, P.634.

9) Allaoua Amara; pouvoir économique, P.634-635.

كما استوطن اليهود مدينة أشير وهي مدينة محدثة تقع مقابل مدينة بجاية الواقعة على الساحل، شرع في بنائها مناد بن زيري سنة324هـ/935م[1]، ونقل إليها الأمير بلكين بن يوسف بن زيري عدداً من سكان تلمسان المتمردين منهم اليهود أعوام361، 362هـ/971، 972م[2].

وأضحت تلمسان مقصدا للتجار اليهود وعلمائهم وشكلت حلقة وصل مع يهود المغرب الأقصى، خاصة مع نهاية العصر الوسيط، حسب رواية ليون الإفريقي الذي وجد فيها قرابة خمسمائة منزل يهودي كلهم أغنياء[3] (**لاحظ الملحق رقم 05**)

كما ساهمت حملات الاضطهاد التي استهدفت سكان الأندلس من المسلمين واليهود مع نهاية القرن8هـ/14م لاسيما في مملكة قشتالة وكتالونيا وغرناطة في تدفق عدد كبير من اليهود على المدن الساحلية للمغرب الأوسط[4].

وكانت السلطة الحاكمة شاعرة بأهمية الموارد التي يوفرها اليهود للخزينة بأشكال مختلفة ولاسيما مع بلاد النصارى، حيث قاموا بدور الوسيط التجاري بين اسبانيا الإسلامية واسبانيا المسيحية وأقاليم البحر المتوسط وبلاد المغرب[5].

ورسائل الجنيزة من القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، وبخاصة النصف الثاني منه قليلة، مقارنة بما قبله، لكنها تعطينا لمحة عن النشاط التجاري لليهود في ظل الدولة الموحدية، ونزح الكثير منهم إلى صقلية وإيطاليا وشمال اسبانيا، بسبب عرض عبد المؤمن الإسلام عليهم لما دخل تونس وبونة سنة554هـ/1160م"فمن أسلم سَلِمَ ومن امتنع قُتل"[6].

وبعد سقوط دولة الموحدين وظهور الدويلات الثلاث استرجع اليهود نفوذهم التجاري الذي نقص في العهد الموحدي والمرابطي، خاصة بعد الهجرة اليهودية من اسبانيا إلى بلاد المغرب سنة 689هـ/1391م، إثر أحداث البليار، والتي ساعدت على ظهور نوعين من التجار: الأول يقوم بالرحلات التجارية والثاني يمثل الشركاء الممولين

1) ابن عذارى: المصدر السابق، ج3، ص262.
2) النويري: المصدر السابق، ج24، ص171؛ **وعبد الرحمن بشير:المرجع السابق، ص45**.
3) وصف إفريقيا، ج2، ص20.
4) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص433.
5) روبار برونشفيك:المرجع نفسه، ج1، ص429، ص440؛ **وتوفيق مزاري:المرجع السابق، ج1، ص222**.
6) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص147.

لصاحب السفن لاستثمار رؤوس الأموال التي يتعاملون بها مع تجار المغرب الأوسط كبجاية ووهران وتنس وتلمسان[1].

وما يهمنا من التمركز اليهودي في بلاد المغرب الأوسط ممارستهم للتجارة البحرية، إذ تشير السجلات المحررة أمام العدول إلى تصدير شتى أنواع البضائع وأغلبها لحساب اليهود إلى بجاية سنة646هـ/1248م[2].

ويذكر برونشفيك أنه في منتصف القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي وجدت وثائق حفظتها دفاتر العدول أن الصادرات التي تمت عام646هـ/1248م من بروفانس وإيطاليا نحو بجاية على مركب"سان جيل" وسان فرنسوا"من مختلف البضائع كانت ملكاً لليهود.

وفي27 أفريل من نفس السنة السابقة حمل اليهودي البروفنسيBonisac-Ferrier بضاعة من الزعفران قيمتها17 ليرة، إلى تاجر يهودي آخر هو مظفر بن بوناسModafar ibn Bonasse ليحملها إلى بجاية على متن باخرة سان فرنسوا Saint-François[3].

وفي مرسيليا في القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، كان اليهود حاضرين بقوة في التجارة مع بجاية، حيث من بين367عقدا تخص عام645هـ/1247م، منها45عقدا بنسبة12.25 %بالمائة تتعلق باليهود[7]، وإذا قارناهم بالمسيحيين فإن حضورهم ضعيف.

1) فاطمة بوعمامة: اليهود في المغرب الإسلامي(خلال القرنين 7-9هـ/13-15م) رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة بن يوسف بن خدة، الجزائر، 2008-2009، ص233.

2) نفسه، ص234.

3) فاطمة بوعمامة: المرجع نفسه، ص234.

6) Dufourcq; L’espagne, p142.

7) دومينيك فاليرين: المرجع السابق، ج2، ص699.

وبالنسبة لمنتصف القرن السابع هجري/الثالث عشر ميلادي، لدينا ما يثبت أهمية الحركة التجارية البحرية بين مرسيليا وإفريقيا من خلال الوثائق التي نشرها بلانكار"Blancard" إذ تشير بعض السجلات المحررة أمام العدول إلى تصدير شتى أنواع البضائع، وأغلبها لحساب اليهود إلى بجاية في سنة646هـ/1248م بواسطة السفينتين جيل وسان فرنسوا، وقد كان أولئك اليهود يرسلون إلى بلاد المغرب النقود الفضية والجلود والحرير والقرنفل والزعفران، إلا أن أسماء المصدرين المذكورين تدل على أنهم يهود بروفانس أو إيطاليا، لا من يهود شمال إفريقيا[1].

أما شبه جزير إيبيريا فقد شجعت تجارة اليهود مع المغرب الأوسط، خاصة في عهد ملك أراغون جاك الفاتح Jacques le conquérant [2]،الذي سمح ليهود تلمسان بالاتجار في بلاد الأراغون وعدم عرقلة نشاطهم التجاري وكان ذلك سنة 672هـ/1274م[3]، لأن علاقته مع الدولة الزيانية كانت سيئة فحاول تعويضها بنشاط اليهود التجار رغم أنه قليل.

كما قام ملك أراغون يوحنا الأول سنة673هـ/25 جانفي1274م ببعث رسالة إلى ممول بمايورقة يأمره فيها بعدم عرقلة اليهود القادمين من أراضي ملك تلمسان إلى أراضي مملكة أراغونة للإقامة أو التجارة فيها[4]، مما شجع التجار اليهود على تأسيس خط بحري ميورقة–المغرب الأوسط.

وفي عقد آخر هناك طلبية من قبل اليهودي منديل بقيمة90دينارا بيزنطيا قدمت إلى إيتيان منديل لاستثمارها بوهران وتلمسان[5]، غير أن التبادل التجاري بين مرسيليا وبلاد المغرب الأوسط تراجع ابتداء من القرن8هـ/14م حيث عثر على محضرين فقط عند موثق بمرسيليا بتاريخ706هـ/1306 و708هـ/1308م واحد خاص بتونس والآخر ببجاية

وفي سنة 726هـ/1328م انتقل يهود مايورقة إلى مستغانم للتجارة فيها هروبا من الجبايات والضرائب التي أثقلت كاهلهم[7]، حيث يبين لنا الجدول الموجود في الملحق تنشيط اليهود للحركة التجارية لمايورقة مع المغرب الأوسط، وهذا يعود للعلاقات الحسنة مع ما يورقة والمضطربة مع ملك الأراغون، كما نلاحظ استقرار اليهود في موانئ مستغانم وتنس وربما يعود ذلك للقرب الجغرافي في حوض البحر المتوسط.

---

1) Michele Amari; op, cit ,P.83-85 , 281.

2) جاك الفاتح(1208-1276م)ملك أرغونة ما بين 1213 إلى 1276م اجتاح البليار بين سنة (1229-1235م) وممالك بلنسية 1231-1238، ومرسية 1265. **فاطمة بوعمامة: المرجع السابق، ص238**.

3) عمر سعيدان: علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن 14م، منشورات ثالث، الجزائر، ط2، 2011، ص26.

4) De Mas Latrie ; Relations, p.188.

5) Blancard .L ; op.cit, T I, nº37, P.805, 810.

7) فاطمة بوعمامة: المرجع السابق، ص238.

وعلى الرغم من تفضيل الطريق البحري على الطريق البري إلا انه لم يكن بمأمن من القراصنة الذين هددوا هذا الطريق، وتشير إحدى رسائل الجنيزة إلى الاعتداءات المتكررة منها هجمات النورمان على السفن الإسلامية، ونهب وسبي ركابها قبل تحرير المهدية(1)،

كما داوم الذميون على نشاط التجارة الداخلية والخارجية منها، خاصة أولئك الوافدون من الأندلس على تلمسان سنة793هـ/1391م، إذ نشطوا في التجارة الخارجية، والنقل بين المدن الأوروبية مثل ميورقة وبرشلونة، وبين مدن المغرب الأوسط لممارسة عملية التبادل التجاري(3).

والملاحِظ لجدول رحلات اليهود إلى المغرب الأوسط خلال القرن8هـ/14م، يتبين له أن أكبر عدد من الرحلات موجهة إلى تلمسان ثم إلى جزائر بني مزغنة لتمركز اليهود بكثرة في هاتين المدينتين واستقرار الأسر اليهودية التي قدمت من الأندلس في أواخر هذا القرن لم تقطع الصلة بأفرادها الذين بقوا بالأندلس(4).(**لاحظ الملحق رقم06**)

وبالمقارنة بين التبادل التجاري لتجار مرسيليا وتلمسان وشبه الجزيرة الأيبيرية مع المغرب الأوسط نجد أن تجار اليهود ذوي الأصل المايورقي هم الأكثر.

وحتى الملاحظة الأولية لجدول الرحلات اليهودية نحو مدن المغرب الأوسط خلال القرن8هـ/14م يتبين أن وجهتهم المفضلة كانت الغرب منه حيث من مجموع 140رحلة نسجل أكثر من مئة رحلة نحو غرب المغرب الوسط مثل(تلمسان، مستغانم، تنس، وهران).

وأهم المبادلات التجارية التي عرف بها اليهود، كانت مع مرسيليا إذ كانوا يعملون على تصدير القرنفل، والقطن، والزعفران...الخ، في حين كانت تجارتهم البحرية ضئيلة نتيجة المنافسة التي وجدوها مع النصارى الذين

1فاطمة بوعمامة:المرجع نفسه، ص238.

3) بودواية مبخوت: الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، دورية القرطاس، معهد الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسانن العدد التجريبي، ديسمبر 2008، ص59.

4) فاطمة بوعمامة: المرجع السابق، ص244.

احتكروا السفن التجارية ولم يسمحوا إلا لأربعة من اليهود بركوبها[1]، فأبرم تجار مرسيليا مجموعة من العقود أهمها موضح في **الملحق رقم 07**.

ويتضح من الجدول الملحق أن أهم المبادلات التجارية الخارجية كانت مع بجاية، أما الجزائر وتنس فقد استفادت من عقد واحد، وهذا يرجع إلى المنافسة الكبيرة التي لقيها اليهود من تجار مايورقة[2].

وعموما فإن التجار اليهود غالبا ما كانوا قناصل لملوك مسيحيين بعاصمة الزيانيين، إذ استخدم ألفونسو الثالث بن دافي كقنصل له ينوب عنه في معظم الأعمال التجارية[3].

وبمثل ما اشتهر به اليهود من احتكار لتجارة الذهب السوداني، فإنهم سعوا إلى احتكار التجارة البحرية التي تتم مع مختلف الدول الأوروبية انطلاقا من مدن سبتة وتلمسان وهنين وبجاية، ويتولون ربط الاتصال بين أولئك الذين يوجدون في هذه المدن وباقي العناصر اليهودية المستقرة في أوروبا والمشرق[4].

لقد اهتم بنو زيان ببحريتهم وطوروا كل ما له علاقة بها من مختلف الصنائع التابعة لها كصنعة السلال التي تستخدم في النقل البحري، فكان أغلبها حكرا لأهل الذمة، كما كانت بوادي تلمسان خلال الفترة الزيانية مجالا لممارسة التجارة، وأشار المازوني في فتوى سُئل عنها قاسم العقباني أن اليهود كانوا يمارسون النشاط التجاري حتى في البوادي[5].

وقد احتكر اليهود تجارة الحبوب في هنين وتلمسان مما سبب لهم مشاكل مع المسلمين خاصة في حالة انتشار الأزمات والمجاعات، وبلغت قيمة السندات اليهودية في الدولة الزيانية حوالي10 آلاف دينار ذهبي[6].

كما كانت الدولة الزيانية تفرض على اليهود والمسيحين الجزية، حيث قدرت خلال القرن9 هـ/15م ب4دنانير أي ما يعادل40درهما بالوزن الشرعي[7]، إلا أنها أعفت فئة الجند النصارى في عهد السلطان أبي سعيد عثمان بن يغمراسن"بموجب المعاهدة التي عقدت بينه وبين ملك الأراغون، سنة 696هـ/1296م[8].

1) Dufourcq Che; L’espagne Catalane et le Maghrib, aux XIII et XIV Siecles, Pars, 1966. P.142.

2) op, cit, p.142.

3) عمر سعيدان: المرجع السابق، ص190.

4) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص442.

5) الونشريسي: المعيار، ج2، ص253.

6فاطمة بوعمامة:المرجع السابق، ص238.

7) الونشريس: المعيار، ج2، ص253.

8) Dhina Atallah, op.cit, p.134.

وكان التجار اليهود يغشون في العديد من المعاملات، بل بلغت بهم الجرأة حتى إلى تزوير النقود الخاصة بالدولة الزيانية، ويشير عطاء الله دهينة أن تاجرا من اليهود كان يصنع بمرسيليا نقودا ذهبية تحاكي النقود الإسلامية ليوزعها بعد ذلك في تلمسان وبجاية وهي نقود مزورة(1).

ب) دور التجار النصارى:

عرف شمال إفريقيا الوجود النصراني منذ الفترة الرومانية، ليستمر إلى غاية الفتح الإسلامي وكانت المسيحية متمركزة في مناطق التواجد البيزنطي وفي صفوف بعض القبائل البربرية، لكن بعد مدة قصيرة من الفتح اختفت وذابت في الدين الجديد، ماعدا بعض التواجد للجاليات في تاهرت وتنس.

وبعد القرن الرابع الهجري/العاشر ميلادي عرف البحر المتوسط عودة نشاط الجاليات النصرانية، وازدادوا تنظيما وانتشارا بدء من القرن السادس هجري/الثاني عشر ميلادي مع القطلانيين والبندقيين والجنويين، وكان من صالح الحكومات المغربية أن تجمعهم باعتبارهم موردا للخزينة(2).

ويبدو أن الحضور المسيحي ببلاد المغرب الأوسط قد تنامى مع تطور التجارة بين هذه المنطقة ومسيحي أوروبا المتوسطية منذ القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، ومع تزايد أهمية الحضور التجاري للجنويين ببلاد المغرب بما يفرضه من استقرار أصبح حضورهم الديني بالمنطقة مجسدا بالمعاهدات التي كانت تجرى بين الطرفين(3).

ووجدت وثائق دينية رسمية تتحدث عن صلات ودية وتبادل للسفراء والهدايا بين المؤسسة الدينية الكاثوليكية في روما، وإمارة بني حماد في بجاية تعود إلى الربع الأخير من القرن الخامس هجري/الحادي عشر ميلادي(رسائل البابا جريجوار السابعGregoire VII إلى الأمير الحمادي الناصر(469هـ-470هـ/1076-1077م)(4).

وفي العهد الموحدي بلغ التنظيم الكنسي أوجه، وأرسلت البابوية عدة أساقفة للمدن الكبرى التي تقيم فيها الجاليات المسيحية في ضواحي المدن الساحلية، وقد أوصاهم البابا منوريس الثالث بأن لا يحلقوا لحاهم وأن لا يتزينوا بزيهم أي زي المغاربة(1).

---

1) Dhina Atallah, op.cit, p.245.

وقد ندد الفقهاء المغاربة أمثال العقباني التلمساني بهذه الظاهرة، وطالبوا بتدخل الدولة للحد من هذه الآفة وردع المعتدين والحيلولة ضد انتشار فساد العملة وما ينجر عنها من مشاكل اقتصادية عويصة كانتشار الفساد التجاري، وغلاء الأسعار.**العقباني أبو عبد الله: تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق على الشنوفي، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1967، ص263**.ووصلت عقوبة مزور النقود في إحدى فتاوى نقلها الونشريسي إلى حد السجن المؤبد بقوله" ضارب الدنانير والدراهم المدلسة كان الشيخ ابن عرفة يشدد فيمن يتهم بذلك وأمر أن يخلد في السجن حتى الموت".**الونشريسي: المعيار، ج2، ص414**.

2) توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص225.

3) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص117.

4) De Mas Latrie ; Traité, p7-8.

ومهما كان الأمر، فإن الوجود المسيحي أصبح يفرض نفسه عن طريق الحاميات العسكرية، والعناصر المرتزقة التي تحمي الأسر الحاكمة، إلا أن هناك قناة أخرى تدعم بها هذا الوجود ألا وهي مسألة الأسرى عن طريق الحروب أو القرصنة البحرية التي بلغت ذروتها في هذا العصر حتى أنه"بلغ الحال من كثرة سبي الآدميين أن يباع بيضاوان من الروم بسوداء من الوحش في بجاية"(2).

وبالإضافة إلى عملية القرصنة البحرية، تعززت أعداد المسيحيين بعمليات الترحيل الإجبارية من الأندلس نحو المغرب، فإذا كان المرابطون قد قاموا بترحيل عدد من مسيحيي الأندلس، في تواريخ متفرقة، فإن الموحدين نحوا منحاهم فقاموا بعملية ترحيل سنة566هـ/1170م(3).

ومنح الموحدون صلاحيات كبيرة للمسيحيين في بلاد المغرب، فإلى جانب السماح ببناء الكنائس، سمحت السلطة الموحدية للبعثات التبشيرية بممارسة نشاطها سواء في المدن الداخلية التي كان يقيم فيها الجنود وقادتهم، أو داخل الأحياء التي تقيم فيها الجاليات في ضواحي المدن الساحلية، وفي هذا الصدد بعث البابا هنوريوس الثالثHonorius III إلى البعثات التبشيرية طالبا منهم- تسهيلا لمأموريتهم ألا يحلقوا لحاهم، وأن لا يتزينوا بزي المسلمين(4).

كما استفادت الجاليات المتوسطية في أراضي الدولة الموحدية من جو التسامح، فعرفت أحياء المدن التي كانوا يقطنون فيها بناء عدة كنائس، في كل من بجاية وتلمسان ووهران، ويذكر أحد الباحثين اسم الأسقف الايطالي هيقو Hugoحوالي624هـ/1227م، الذي كان يقوم بدور المرشد الروحي في سبتة(5)

ولعل روح التسامح هذه هي التي جعلت البابا إنوست الرابع لا يكتفي بتوجيه رسائل الشكر والتقدير إلى الخلفاء الموحدين، بل إنه حثّ المسيحيين على التوجه نحو المغرب، وطلب من الأساقفة الإسبان والبرتغاليين حماية ممتلكاتهم في المناطق التي يمرون بها(7).

---

1) الونشريسي: المعيار، ج2، ص114-129.

De Mas Latrie ; Traité, p28.

2) الغبريني: المصدر السابق، ص45.

3) إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المسيحية، ص84.

4) De Mas Latrie; Traité, p.9.

5) Dufourcq ; Les relations du Maroc et de la castille pendant la première moitié du 13è siècle, Revue d' Histoire et de civilisation du Maghreb, Faculté des lettres d' Alger .Juillet, 1968, p.109.

7) Dufourcq ; Les relations , p.59.

وكان التاجر المسيحي مؤتمناً على روحه و يخضع للسيادة، فسكنوا الفنادق واستأجروا الدكاكين لبيع السلع واتسمت حياتهم بالهدوء والطمأنينة[1].

وبذلك لعب نصارى المغرب الأوسط دورا هاما في هذا المجال، إذ حافظوا على جنسياتهم وطقوسهم الدينية، في إطار التسامح الديني وتحت حماية قناصلتهم[2]، فنشطوا عملية التصدير والاستيراد نحو وهران وهنين وتلمسان، التي كان فيها مركز القيصرية الذي يعد آنذاك مركز تجمع السلع وعقد الصفقات بين التجار المسلمين والمسيحيين[3]، فأسسوا مراكز تجارية على عهد السلطان أبي حمو موسى الأول الذي استقطب العديد من التجار[4].

ولاشك أن ارتفاع عدد سكان الجاليات المسيحية بالمغرب يعطينا دليلا آخر على جو التسامح الذي كانوا يتمتعون به في ظل الدولة الموحدية عكس ما يروج له من اضطهاد، والأرقام التي يقدمها Brosselard لها أكثر من دلالة ، حيث قدم إحصائيات تهم الجالية المتوسطية، ووجد بتلمسان لوحدها أكثر من4 آلاف نسمة من المسيحيين منهم التجار والصناع والجنود[5].

مما جعل فئة التجار المسيحيين يحظون بوضعية اقتصادية يحسدون عليها، ولا غرو في ذلك لتوفر المناخ الملائم والحرية، التي حرص الموحدون على تحقيقها، فاستقطبت العديد من تجار البلدان المتوسطية الذين فضلوا الاستيطان في المدن المغربية الساحلية تسهيلا لمهامهم باستقبال السفن ونقل البضائع[6].

وقد حرصت الجمهوريات التي ينتمي إليها التجار المسيحيون على عقد معاهدات تجارية مع المغرب لفائدة تجارها، ففي سنة581هـ/1186م، عقدت جمهورية بيزة معاهدة للتجارة والسلم مع السلطان الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور لمدة25 سنة تضمن حرية تجار بيزة المسيحيين في كل من سبتة، وهران وبجاية وتونس[7].

ويظهر دور التجار المسيحيين في مساهمتهم في زيادة مداخيل الدولة الموحدية عن طريق استخلاص هذه الأخيرة للرسوم الجمركية المفروضة على البضائع والتي بلغت نسبة8 % [1]، كما لعبوا دورا هاما في توفير الحاجيات

---

1) محمد مكيوي: دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدولة الزيانية، دورية القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، ديسمبر 2008، ص209.

2) بوداوية مبخوت: المرجع السابق، ص59.

3) عطاء الله دهينة وآخرون: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الوطني، الجزائر،1984، ج3، ص478.

4) سميرة نميش: أهل الذمة ونشاطهم الاقتصادي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني(7هـ-10 هـ/13-16م)، حروف للدراسات التاريخية، مجلة الكترونية، العدد 1، أوت 2014، ص58.

6) إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المسيحية، ص80.

7) De Mas Latrie ; Traité, p28.

التي لا يتوفر عليها المغرب، وشكلوا في نفس الوقت مصدرا لتسويق المنتجات المغربية وخاصة الذهب والعبيد التي كانت تدر ربحا هائلا[2].

ولم يجد هؤلاء التجار المسيحيون أدنى حرج في الاتصال بالخليفة الموحدي لعرض كل ما يعترض عملياتهم التجارية من صعوبات، يؤيد ذلك الرسالة التي بعثها قنصلهم إلى أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن(558-580هـ/1163-1184م) بتاريخ 19ماي1181م/577هـ حول الصعوبات التي أعاقت عددا من تجار مدينة بيزة الايطالية بغية استخلاص جلود بجاية[3].

وركز المسيحيون نشاطهم حول التجارة بشقيها الداخلي والخارجي وكان يعود نشاطهم بالفائدة على خزينة الدولة من خلال الصفقات التجارية كتبادل الحبوب بالصوف والجلود والشمع بطريقة القرض أو الدفع بالتقسيط[4]، بهذا عمل النصارى على تنشيط الاستيراد والتصدير وكانوا يجلبون السلع ويبيعونها في أسواق الدولة الزيانية[5](**لاحظ الملحق رقم 08**)

وإذا كانت المصادر العربية لا تجيب سوى بإشارات باهتة فإن الوثائق اللاتينية التي نشرها دو ماس لاتري De Mas latrie تكشف النقاب عن الكثير من القضايا التي تهم مقر إقامة هؤلاء التجار المسيحيين، وتنظيماتهم في أحيائهم الخاصة[6].

منها ما بادر به ملك أراغون إلى إرسال مرتزقة لخدمة السلطان الزياني الذي فقد الثقة في المرتزقة القشتاليين سنة652هـ/1254م، مما أعطى سلطات أوسع للملكة الاروغونية على كل المسيحيين بمملكة تلمسان[7].

وكان التجار الأراغونيون يجلبون سلعهم ويبيعونها في موانئ تلمسان كتنس وشرشال والجزائر ووهران، فينقلها التجار خفية إلى داخل تلمسان لبيعها بالغلاء[8]، وهذا هروبا من الجباية وكذا لإخفاء سعرها الحقيقي المستورد من الدول الأوروبية.

---

2) إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المسيحية، ص99.

3) De Mas Latrie ; Traité , p.279.

ومحمد لمراني:الإطار العام للعلاقات المغربية مع جمهوريات المدن الايطالية، ندوة البحر في تاريخ المغرب، من24-26أكتوبر 1996، .منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب، 1996، ص210.

4) عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ج1، ص190.

Baizig, Salah; La ville maritime, p.53.

5) سميرة نميش: أهل الذمة ونشاطهم الاقتصادي، ص58.

6) إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المسيحية، ص89.

7) Dufourcq; L’espagne, p.31.

8) Ibid. P.151.

ونعلم أن حضور الأسرى المسيحيين بالدولة العبد الوادية كان ضروريا، حتى أن أحد سلاطينها أعرب عن عدم استعداد بلاده للتخلي عن خدماتهم ولاسيما بمجال الحرف[1].

وبلغت الأهمية التجارية لهؤلاء النصارى كتجار أو مستثمرين درجة عالية في المغرب الأوسط حتى أن الدول التجارية كانت تحتفظ بقناصل أجانب لحفظ حقوق رعاياهم، وكان ذلك في أهم مراسي المغرب الأوسط كبجاية ووهران وجزائر بني مزغنة وتنس وهنين وشرشال، وبونة[2].

وكان التجار المسيحيون يسكنون خارج المدينة موزعين حسب جنسياتهم على مراكز سكناهم التي عرفت في جميع المناطق باسمها الفندق[3]، ويشير دو ماس لاتري De Mas latrie أنه لكل طائفة مسيحية فندقها الخاص، فهناك فندق خاص بالتجار المارسيليين، وآخر لتجار جنوة...الخ[4]،

كما كان هناك بعض الدكاكين خارج الفنادق المستأجرة من طرف النصارى، إذ يستفيدون من استخلاص ضريبة الملح وموارد المصائد التي كثيرا ما تتنازل الدولة الإسلامية عنها لفائدتهم، وكان من صالح الدولة أن تحميهم باعتبارهم عنصرا ضروريا بالنسبة لازدهار البلاد والخزينة[6].

ونستشف ذلك من خلال أحد فصول قانون بلدية مرسيليا لسنة625هـ/1228م وفيه نوع من التقنين الخاص بتجارة الخمور، ينظم هذا الفصل كيفية بيع الخمر المرسيلي في بجاية وسبتة[7]،وكان بإمكان تجار مرسيليا بيع هذه المادة في المدينتين بالجملة أو بالتقسيط في متاجر خاصة، ومن بين مجموع المتاجر هناك تلك التي كانت تباع فيها الخمرة للمسيحيين فقط، بينما كان يباح في متاجر أخرى بيع هذه السلعة للمسلمين كذلك.

وأبرمت عدة معاهدات بين المدن التجارية الأوروبية ومدن الضفة الجنوبية وعلى رأسها مدن المغرب الأوسط لحماية الأجانب وممتلكاتهم في البلاد الإسلامية، فعقدت الاتفاقية مع عائلة مانديال بمرسيليا سنة625هـ/1228م، لتسهيل تجارة الخمور في كل من وهران وبجاية[8]، وتبعتها البندقية بنفس المعاهدة

1) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص186.

2)عبد الواحد ذنون طه: التبادل التجاري، ص410.

3) أبو القاسم الأنصاري السبتي: المصدر السابق، ص41-42؛ **وسعيد باشر: المرجع السابق، ص303**.

4) De Mas Latrie; Traité ,p.80, 90.

6) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص464.

7) عبد العزيز فيلالي: دراسات في تاريخ الجزائر، ص62؛ **وإبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المسيحية، ص90**.

8) Christophe Picard ; L'Océan, p.414.

سنة628هـ/1231م وبيزة سنة631هـ/1234م، وجنوة سنة633هـ/1236م، إذ ضبطت هذه المعاهدات شروط استيطان النصارى في البلاد الإسلامية(1).

ورغم ذلك فإن علاقة التجار النصارى بالدولة الزيانية سادها بعض التوتر، نتيجة موقف بني زيان ومؤازرتهم لمسلمي الأندلس، وهذا ما دفع النصارى إلى ضرورة إيجاد حل لتسوية الوضعية بين الدولتين(2)، فأبرموا مجموعة من اتفاقيات ومعاهدات الصلح ذكرنا بعضها سابقا.

كما لعب التجار النصارى دور الوساطة بين التجار المسلمين والأوروبيين وتجار الأراغون(3)، وعرفوا أيضا بتجارة السلاح خاصة وأن تلمسان كانت من أهم أسواق السلاح الوارد من أوروبا عن طريق ممالك إسبانيا النصرانية والجمهوريات الايطالية وموانئ فرنسا(4)، إضافة لتجارة العبيد والتوابل والرصاص والحديد والذي كان غالبا يستعمل في الحروب مما اضطر الطرفين إلى إصدار قرار المنع وعدم الاتجار به، بالإضافة إلى القمح والشعير والذرة البيضاء والفول، وكل ما له صلة بحبال السفن، مما اضطر النصارى إلى اللجوء إلى تهريب وبيع السلع المنهي عنها في بلاد المسلمين(5).

مما دفع حكام النصارى إلى إصدار توبيخ إلى أمراء الممالك المسيحية التابعة لهم مع ضرورة إعادة النظر في العلاقات المسيحية الزيانية، كالتوبيخ الذي تلقاه ملك الأراغون بطرس الرابع عشر عام 738هـ/1337م، وبالمقابل أصدر علماء القيروان فتوى تمنع إيجار السفن الإسلامية والاتجار مع بلاد النصارى خلال القرن 6هـ/12م(6).

كما تمتع أهل الذمة في بلاد المغرب الأوسط خلال العهد الزياني بامتيازات ساعدتهم على القيام بنشاطهم الاقتصادي وممارسة حياتهم الدينية وفق شروط وعقود الذمة ودفع الجزية، فبرعوا في الجانب التجاري، كما برز دورهم في العلاقات الاقتصادية بين الدولة الزيانية والممالك النصرانية(7).

---

1) Christophe Picard ; L'Océan, p.414.

2) Dhina Atallah ; op.cit, p.376-377.

3)Ibid, p.336.

4) محمد مكيوي: المرجع السابق، ص209.

5) لويس أرشيبالد: المرجع السابق، ص213.

قام الحاكم جاك الأراغوني بمنع التجار من توفير السلع التي لها علاقة بالسلاح كالرصاص والحديد وكل ماله صلة بحبال السفن. **سميرة نميش: أهل الذمة بالمغرب الأوسط، المرجع السابق، ص75**.

6) بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني(633هـ -962هـ/1235-1555م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002، ص201، 203.

7) بسام كامل عبد الرزاق شقدان: المرجع السابق، ص58.

بذلك كان لأهل الذمة دور هام في المبادلات التجارية بين بلدان المغرب الأوسط والبلدان الأوروبية والمسيحية، ما ساعدهم على ذلك سياسة التسامح واللين التي تميز بها سلاطين الدولة الزيانية، بالإضافة إلى الموقع الجغرافي والموانئ التي تزخر بها المنطقة[1].

وفرضت الدولة الزيانية على التجار اليهود والنصارى مكوساً بقيمة10% من مجموع بضائعهم، ولكن تعاظمت قيمتها في أواخر عهد الدولة[2]، حيث يذكر الوزان"...كنت مع أحد كتاب ملك تلمسان جاء لاستلام ضرائب من سفينة جنوية حملت من البضائع ما يمون تلمسان لمدة خمس سنوات، وبلغت قيمة الرسوم التي قبضها الملك خمسة عشر ألف مثقال ذهبا مسكوكا أرانيها الكاتب"[3].

كما استخدمت الدولة الزيانية أهل الذمة لجمع المكوس، وكان لهم تجاوزات على تلمسان وسكانها، حتى قام أبو الحسن المريني بإلغائها عندما استولى على تلمسان سنة 735هـ/1334م[4].

لكن السلطان عبد الواحد بن محمد بن تاشفين الزياني(814-827هـ/1411-1424م) قد أعادها واتخذ أعوانا من اليهود لجباية الأموال، وقبض الأعشار من التجار الأجانب المترددين على سواحل المغرب الأوسط فاستغل اليهود هذه المكانة وتطاولوا على الرعية بشتى أنواع التعدي وأكل أموال الناس بالباطل وتوظيف ضرائب متنوعة[5].

كما أن ظاهرة القرصنة الأوروبية وتحرشات النصارى الإسبان على سواحل المغرب الأوسط، والتي بلغت أشدها أكثر أواخر القرن9هـ/15 م، قد أدت إلى وقوع مناطق كثيرة من المغرب الأوسط الساحلية منها في يد الإسبان وأسر الكثير من السكان، إضافة إلى السلب والنهب التي تعرضت له سفن التجار المسلمين على أيدي هؤلاء، فقد عمدت طائفة من القطلانيين إلى التعرض لجفن في مرسى وهران يحتوي على زرع كان ملكا لتجار أندلسيين[6].

ويتضح أن هناك مجموعة كبيرة من التجار المسيحيين"النصارى"الذين نشطوا في المغرب الأوسط وبالأخص بتلمسان، مما يبين تحسن العلاقة بين سلاطين بني زيان، والحكام النصارى خاصة بعد سلسلة الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة بين الطرفين، والجدول الملحق يوضح ذلك.(**لاحظ الملحق رقم09**)

---

1) سميرة نميش: أهل الذمة ونشاطهم الاقتصادي، ص57.

2) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص23؛ **و مارمول: المصدر السابق، ج2، ص301-302.**

3) وصف إفريقيا، ج2، ص15-16.

4) ابن مرزوق: المسند الصحيح، ص285.

5) ابن الأعرج(محمد الحسني السليماني): زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، رقم170، الكتاب الثالث، الورقة 96.

6) Dhina Atallah ; op.cit, p.518.

وانعكس النشاط البحري الخارجي على التجارة الداخلية، وفي نهاية القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي برز دور اليهود القادمين من الأندلس الذين عرفوا بمهاراتهم التي زادت من ثراء المراكز السكنية الكبرى بالمغرب الأوسط، ما دفع سلاطين بني زيان إلى إصدار قرار بتخفيض الجزية وإعفاء كبار التجار من الرسوم، وعرفوا بعمليات الصرف أو القرض الزمني التي كانت تعرف بالكمبيالة، ويلجأ إليهم المسلمون لتسريح الأسرى المحتجزين في بلاد النصارى، لأن لهم علاقات مع أوروبا[1].

وإنصافا للحقيقة والتاريخ، نشير إلى أن بعض الكتابات الأجنبية استغلت بعض زلات خلفاء الموحدين أو ولاتهم، أو بعض الصراعات بين الرعايا المسيحيين والعامة، لتنفخ فيها وتجعلها معبرا لمقولة الاضطهاد الموحدي للمسيحيين واليهود، وبأن أهل الذمة فقدوا في هذا العهد كل النفوذ والامتيازات حتى الدينية[2].

وإذا كنا لا ننكر الحالات الاستثنائية التي تمثل نقطة سوداء في نسيج التعايش السلمي بين المغاربة والجاليات المسيحية، لأسباب ترجع للتهور أحيانا، أو للحمية العصبية والدينية أحيانا أخرى، إلا أنها عموما لم تؤثر في صيرورة الاتجاه السلمي الذي تجذر بفعل سياسة التسامح التي انتهجها الخلفاء الموحدون.

2)سيطرة التجار الأوروبيين على تجارة المغرب الأوسط البحرية:

---

1) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص433، ص443.

2)Defourcq. C; La vie quotidienne au moyen âge dans l'Europe médiévale sous la domination Arabe, p.75.

وكذلك خوسي اليماني: الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، ترجمة أحمد مدينة، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد 5، السنة 19، ماي1978، ص36.

حيث يذكر ان حين تولى عبد المؤمن سنة541هـ/1146م أعلن للملأ أن لن يقبل غير المسلمين في مملكته، وأنه يقوض كنائس النصارى ومعابد اليهود، فلهم أن يعتنقوا الإسلام وإلا كان مصيرهم الموت والتشريد، فأسلم بعضهم واستشهد البعض الآخر، بينما عبرت طائفة البحر مع أسقفهم وحطوا الرحال في مدينة طليطلة. **خوسي اليماني: المرجع السابق، ص36.**

شكلت التجارة أهم قناة للتواصل بين جنوب أوروبا وشمال إفريقيا، من خلال مجموع الصادرات والواردات بين الضفتين، كما أن دور الوسيط التجاري الذي أصبحت المدن الايطالية تضطلع به، وكذا المراهنة على التجارة بعيدة المدى لبناء قوة الدولة، أوجب عليهم خلق شروط إنجاح مشروع سياستهم المتوسطية، من خلال العمل على تمتين علاقاتهم مع التجار المتوسطيين ونهج سياسة التسامح معهم واستقطابهم نحو مدنهم وموانئهم الساحلية[1].

ولا جدال في أن البلدان المتوسطية في القرن6هـ/12م كانت تلج عصر النهضة، وبدأ الإقطاع فيها ينحسر لصالح البورجوازية بما تعكسه من وحدة وتماسك وقوة على الصعيد السياسي، وأخذت البورجوازية المتوسطة تتطلع نحو النفوذ والسلطان، فانتعشت بذلك الحياة الاقتصادية، وأصبحت التجارة تشكل حجر الزاوية في هذه النهضة، حيث غدت أساطيل الجمهوريات الايطالية تجوب البحر المتوسط طولا وعرضا، وأفضى كل ذلك إلى تكوين" فائض" وجب البحث عن أماكن لتسويقه[2]، ولما كانت بلاد المغرب هي أقرب المناطق إلى المدن المتوسطية التجارية، فضلا عن وجودها في طريق الذهب، فقد ران التجار بأبصارهم إليه، وبادروا إلى عقد معاهدات سلمية وتجارية مع حكامه.

لم تكن العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والجمهوريات الايطالية وليدة العهد الزياني الحفصي، بل وضعت نواتها الأولى في عهد بني زيري وبني حماد، كما ذكرنا سابقا، وزادت نشاطا في العهد الموحدي والحفصي، وتشهد على ذلك سلسلة المعاهدات التجارية بين الطرفين، وعلى الرغم من ارتباط الحركات التجارية مع الأحداث السياسية فقد تطورت العلاقات التجارية طبقا لمسار معين وفي شيء من الاستقلال الذاتي، وبأفضلية حتى على التفاهم السياسي[3].

فما هي مميزات هذا النشاط التجاري؟ وما هي أهم المدن الايطالية والدول الأوروبية التي تتعامل مع المغرب الأوسط تجاريا؟ وما هي أهم المسالك والطرق التجارية الرابطة بين المغرب الأوسط وجنوب أوروبا؟

ما إن أشرف القرن5هـ/11م على نهايته حتى برزت قوى الغرب المسيحي، ممثلة في المدن البحرية الايطالية(البندقية، جنوة، بيزة) وعناصر من الإقطاعية النورماندية، مدعمين بتأييد البابوية، بهدف إحياء أمجاد الإمبراطورية

---

1) إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المسيحية، ص81.

2) نفسه، ص80.

3) سلفاتوري بونو: العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط، ترجمة عمر الباروني، مجلة البحوث التاريخية، مصر، العدد الثاني، 1986، ص309.

الرومانية، عندما كان هذا البحر في القديم بحرا رومانيا[1]، فأصبحت الحركة التجارية بين ضفتي البحر منتظمة بفضل المنشآت التجارية في موانئ المنطقة وبفضل المعاهدات التجارية[2].

لعبت المدن البحرية الايطالية وعلى رأسها البندقية وجنوة بلا منازع دور الوسيط التجاري بين أوروبا والعالم الإسلامي لفترة تقارب خمسة قرون، وكان الايطاليون يمارسون نوعين من التجارة، تجارة التوزيع وتجارة النقل، ويغلب النوع الثاني على الأول فيما يتعلق بنشاطهم في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، وكانت بمدينتي وهران وهنين مراكز لتخزين السلع المستوردة، وكان الايطاليون هم الموزعين لها، كما كانوا ينقلون المسافرين من الشرق إلى الغرب و العكس[3].

بذلك تنوعت العلاقات المغربية الأوروبية بين مختلف الصيغ التجارية والعسكرية من خلال تبادل السفارات والتوقيع على معاهدات الهدنة والتجارة، ومن الصعب إثبات علاقات منتظمة قبل العهد الحمادي والمرابطي نظرا لقلتها، ولتأثير الحروب الصليبية[5]، باستثناء بعض الإشارات عن تصدير المرجان من مرسى الخرز وتنس[6]، والشمع من بجاية[7].

ولم تقتصر العلاقات بين المغرب الأوسط والمدن الايطالية على التبادل التجاري، بل تعدت إلى النقل الملاحي من خلال ربط خطوط بحرية دائمة لنقل التجار والمسافرين والحجيج، ويذكر ابن جبير خلال رحلته وأثناء العودة بعد إتمام مراسيم الحج أنه توجه إلى صور"لمطالعة مركب بها أُعلمنا أنه يتوجه إلى بجاية طمعا في الركوب فيه"[8].

---

1) رشيد باقة: المرجع السابق، ص12.

وللمزيد أنظر: **Henri Pirenne; Mahomet, p.143.**

2) Brunschvicg.R; La Berberie , TI.P.25.

3) لطيفة بيشاري:العلاقات التجارية، ص125.

5) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص29، 30.

6) De Mas Latrie: Traité, P.332, 47.

اعتبر ابن قنفذ عائدات البحر بما فيها المرجان من أهم المصادر المادية لدولة السلطان أبي إسحاق. **الفارسية، ص174**.

7) De Mas Latrie: Traité, P.332.

8) الرحلة، ص244.

وقد غلب البعد التجاري على العلاقات مع المدن الايطالية-لاسيما جنوة والبندقية- ومع التجار القطلونيين من برشلونة، كانت وثيقة في العهد الموحدي خلال القرن الثاني عشر الميلادي، وكان تجار المغرب الأوسط– وبخاصة تلمسان وبجاية-يقومون بدور الوسيط في تبادل السلع بين التجار الأوروبيين وبين السودان الغربي، فضلا عن تصدير منتجات المغرب الأوسط إلى أوروبا(1).

وامتازت الوثائق والنصوص المسيحية التي تهم موانئ المغرب الأوسط على امتداد العصر الوسيط المتأخر بالتعدد والتنوع، فبداية من عام530هـ/1136م تظهر مجموعة من الوثائق المحفوظة في دور أرشيف إيطاليا واسبانيا وفرنسا وتتألف خصوصا من عقود التوثيق ووثائق الدواوين والاتفاقيات التجارية والدبلوماسية التي لها أهمية مباشرة في دراسة الموانئ(2).

ورغم تأخر تجارة الموحدين مع الدول الأوروبية نسبيا لأنها كانت في حروب دائمة مع نصارى اسبانيا، مما لم يشجع على التجارة معهم وعبرهم إلى أوروبا، ولم يتم ذلك إلا في حالات الصلح والهدنة(3).

وفرض الموحدون ضرائب على التجارة الواردة والصادرة مثلما فعلوا مع تجار بيزة وجنوة والبندقية، وقد سميت هذه الضرائب" الوارد والصادر"(4)، وتقدر هذه الضريبة بنسبة10بالمائة أي عشرة بيزنطيات على كل مئة بيزنطي(5).

كما انضمت بعد ذلك كل من أمالفي(6)، والبندقية ومرسيليا إلى المنافسة التجارية على موانئ الساحل الشرقي للمغرب الأوسط(7).

---

1) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص189.

2) علاوة عمارة: الموانئ الجزائرية، ص128-129.

3) مريم محمد عبد الله جبوده: المرجع السابق، ص83.

4) سامي سلطان السعد: الجاليات الايطالية التجارية في المغرب الإسلامي، حتى نهاية القرن الرابع عشر الميلادي، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، قسنطينة، العدد 10، 1988، ص94.

5) نفس المرجع والصفحة.

6) **أمالفي**: مدينة تقع في كمبانيا بجنوب إيطاليا على خليج سالرنو، وهي أول جمهورية إيطالية بحرية في القرن الرابع الهجري/ التاسع الميلادي أصبحت دوقية منذ سنة 342هـ/953م حتى احتلها النومنديون سنة526هـ/1131م خربتها بيزة سنة530-532هـ/1135-1137م واكتسح البحر جزءا منها سنة 641هـ/1343م .**غاربال محمد شفيق وآخرون: الموسوعة العربية الميسرة، دار القلم، مؤسسة فرانكولين، للطباعة والنشر القاهرة، 1965، ص217**.

7) حول وثائق تجارة مرسيليا مع بجاية، أنظر:

- Blancard .L ; Documents le Commerce au moyen Age, press-marseille, 1884-1885

وأما صقلية النورماندية المجاورة للثغور البحرية في إفريقية والمغرب الأوسط، وعلى الرغم من قوتها البحرية فإنها سعت إلى مسالمة الموحدين[1]، ففي عام575هـ/1179م أرسل ملك صقلية غليام الثاني[2]، إلى الخليفة يعقوب أثناء وجوده في إفريقية لإخضاع ابن الرند الثائر في قفصة، أن يقبل عقد الصلح فاستجاب له وعقد في بلرم عاصمة صقلية[3]، وبناء على ذلك سمح الموحدون للنورمان بإنشاء فندقين في زويلة ربض المهدية مقابل مبلغ مالي[4]، كما استمر النشاط التجاري بين صقلية وبجاية حتى سنة679هـ/1280م[5].

وفيما يخص صادرات المغرب نحو بلدان المغرب المسيحي، نجد على الخصوص الصوف والجلود والشموع والشب والمنسوجات وكذلك الحبوب والخيول والأسماك المصبرة والخشب والمرجان، واستوردت مراسي المغرب الأوسط الأقمشة والقطن والكتان والحرير والتوابل الشرقية التي كانت تجلب من المشرق من طرف تجار جنوة[6].

وقد قدرت الاستثمارات المالية لتلك المدن الايطالية في بجاية ب23.2 بالمائة، ما بين512-536هـ/م1115-1199م، وتزداد لتصبح 33.6 بالمائة ما بين 597-646هـ/1200-1249م؛ و تعود للانخفاض إلى 25.3 بالمائة بين سنة647-687هـ/1250-1290م[8]، وهذه الإحصائيات تعكس الشكل البياني التالي:

1) عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص340؛ و **عياد لمبروك عمار: المرجع السابق، ص75**.

2) هو وليام الثاني رابع ملوك النورمان في صقلية حكم من 1166-1189م .**عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، تعريب أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1980، ص70-71**.

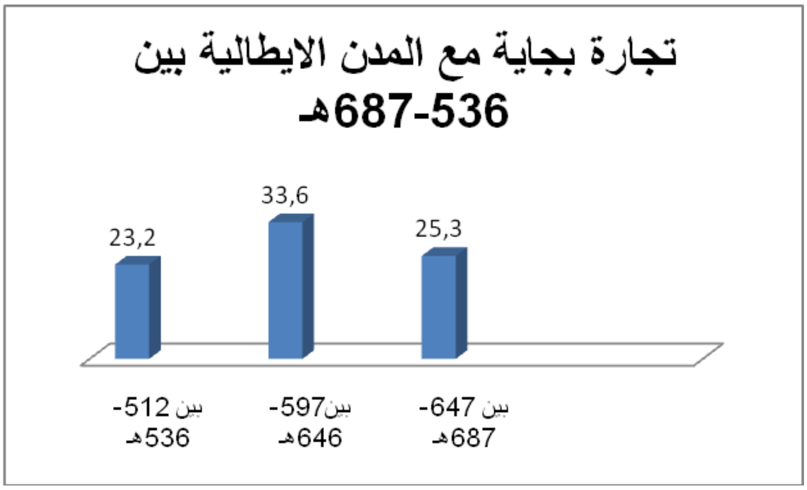
3) عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص275.

4) التازي: الموجز، ص49؛ **وعز الدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص275**.

5) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص115.

6) De Mas Latrie ; Traité , p.372-379.

8)Christophe Picard ; L'Océan, p. 413.



وبذلك كانت التجارة البحرية وضرائبها قد وفرت مداخيل مضمونة للأمراء والسلاطين المرابطين والموحدين، إلا أنها لم تفد إلا الأمير وبطانته، مما لم يسمح للقوى الإنتاجية المحلية بتطوير نفسها وتنافس القوى الخارجية، نظرا لاعتمادها على التصدير(1).

كما نشطت التجارة البحرية في المغرب الأوسط الزياني سواء على الصعيد الأوروبي أو على الصعيد المحلي من خلال نقل السلع والبضائع بين مختلف موانئ الدولة، وساعد في ذلك موقع بني عبد الواد الاستراتيجي، والجغرافي كيف لا وهي قفل بلاد المغرب كما قال عنها الإدريسي(2).

وأصبحت تلمسان عاصمة المغرب الأوسط طريقا واصلا بين المغرب الأدنى"الدولة الحفصية" والمغرب الأقصى"الدولة المرينية"ومنفذاً كذلك إلى بلاد السودان، وملتقى مختلف التجار و موطن الحركة الدءوبة للبحرية من وإلى الدول الأوروبية" ولما كانت تشكل مرحلة بين أوروبا وبلاد السودان، فإن الملك يجني أموالا كثيرة من دخول البضائع وخروجها"(3).

هذا وإن الأسطول التجاري التابع للزيانيين أو الحفصيين على حد سواء لم يكن أحسن حالا من الأسطول الحربي، وربما يبرز هنا بصورة أوضح، تخلفهم بالنسبة للنصارى؛ فالتجارة البحرية لم تكن هي وحدها بين أيدي الأجانب، في معظمها بل حتى الرحلات الطويلة بين الأقطار الإسلامية في البحر الأبيض المتوسط، حيث كانت تتم بواسطتهم، ذلك أن المواصلات بين موانئ بلاد المغرب وبين مملكة غرناطة أو الإسكندرية، كانت تقع أساسا بواسطة النصارى، وقد أصبح من الشائع أن يسافر التجار والحجيج المسلمون على متن السفن النصرانية(4).

1) سعيد باشر: المرجع السابق، ص252.

2) نزهة المشتاق، ج1، ص250.

3) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص20-23.

4) لقد أثار هذا الوضع جدلا لدى الفقهاء الذين استسلموا في آخر الأمر إلى الضرورة. **أنظر الونشريسي: المعيار، ج2، ص115-118، 144-166؛ و روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج2، ص97.**

ورغم بروز عدة عائلات في تلمسان مارست النشاط التجاري واشتهرت بالغنى ويسر الحال أهمها عائلة المقري وتجارتها الواسعة مع بلاد السودان[1]، وعائلة النجار التي اشتهرت بحياكة الصوف والتجارة فيه، مع مختلف البلدان إضافة إلى عائلة المرازقة[2] والعقباني وغيرها من البيوتات التي زاولت العلم ومارست التجارة في آن واحد، إلا أن نشاطها لا يقارن مع نشاط تجار المدن الأوروبية.

وأشار العديد من الجغرافيين الى الموانئ المصدرة وكذا نوع السلع ومنهم مارمول في أكثر من موضع يبرز تلك العلاقات التجارية القائمة بين المغرب الأوسط ومدن إيطاليا؛ انطلاقا من ميناء أرزيو ليتبادلوا السلع مع التجار الأندلسيين والايطاليين"سفن النصارى محملة ببضائع أوروبا"[3].

ومن الصادرات المهمة التي كان يقوم بها غرب الدولة الحفصية تصدير الصوف والجلود، وكان في الغالب يتم من تونس وبجاية وأغلبه موجه إلى بيزة وجنوة، كما كان يصدر من بجاية كذلك لحاء يسمى "لحاء بجاية" يحتوي على نسبة جيدة من الحامض، تستفيد منه صناعة الدباغة الإيطالية[4].

إضافة إلى تصدير الشمع والعسل من بونة وبجاية نقلا من قسنطينة، ليوجه للتصدير إلى جنوة وبيزة والبندقية[5].

ومع ظهور أهمية دور التجارة البحرية خاصة مع دول الجنوب الايطالي قام الحفصيون بعقد معاهدات لوصول السفن الأوروبية إلى سواحل القل[6]، التي كانت تصدر لهم الشمع، والجلود يبادلون بها البضائع التي تأتيهم من جنوة إلى مينائهم، فلهذا ليس في ساحل مملكة تونس الحفصية أغنى من القل[7].

أما الواردات ورغم تحريم الإسلام لبعضها فنجدها تصل إلى البلاد الإسلامية منها الخمور، حيث استوردت وبكميات كبيرة من جنوة وبيزة إلى تونس وبجاية والمدن التي بها فنادق المسيحيين، والتي يسمح فيها بشرب الخمر، وبيعه جملة وقطاعيا بإذن من الملك ومراقبة وكلاء التجار[8].

---

1) المقري: نفح الطيب، ج5، ص205-206، ج7، ص130-131؛ **وعبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص213-219**.

2) ابن مرزوق: المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البضاء، ط1، 2008، ص188-189، ص222.

3) إفريقيا، ج2، ص349.

4) سلفاتوري بونو: المرجع السابق، ص326.

5) نجاة باشا: المرجع السابق، ص81.

6) روجي إدريس الهادي: المرجع السابق، ج2، ص101-102.

7) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص54، 135-136.

8) De Mas Latrie; Traité ,p.213.

لقد اكتفت الدولة الزيانية في بداية عهدها بفرض ضرائب قليلة، حيث قدرت قيمة المكوس المفروضة على التجار المسلمين ب2.5 بالمائة من مجموع البضائع أو المال الناتج عنها(1).

لكن الاضطرابات الأمنية والسياسية التي عرفتها الدولة الزيانية، حالت دون الاستمرارية في النشاط التجاري البحري، خاصة الصراع مع المرينيين أو الحفصيين(2)، مما أدى إلى هجرة الأراضي وتقلص النشاط الصناعي، ودفع بسلاطين بني عبد الواد إلى إقامة علاقات تجارية مع أوروبا، عن طريق الموانئ التي عرفت بها(3)، فوفرت الدولة الزيانية الأمن والماء وشجعت الحركة التجارية(4).

وأثّر ازدهار النشاط التجاري البحري على المسالك البرية، ونشط الطريق البري الساحلي الذي يربط بين المدن الساحلية مع بعضها البعض الرابط بين فاس وتلمسان ثم مازونة ثم مليانة فالجزائر ثم بجاية ثم قسنطينة وصولا إلى بونة"عنابة"، ثم تونس(5).

أما الطرق التجارية البحرية التي تميز بها المغرب الأوسط في العهد الزياني، فهي تلك الطرق الرابطة بين موانئ عاصمة بني عبد الواد، مثل هنين والمرسى الكبير، ومدن المغرب الساحلية مثل الجزائر، بجاية وسبتة وطنجة(6).

ولا ننسى الطرق الأخرى مع أوروبا مثل خط جنوة مع بلاد المغرب الذي يمر بهنين ثم مرسيليا وبرشلونة وخط البندقية بلاد المغرب الذي يمر بالإسكندرية ثم بلاد المغرب(7).

وهناك طريق مباشر بين إيطاليا والمغرب الأوسط وكانت السفن تنتقل مباشرة بين المدن الايطالية ومدن المغرب الأوسط خاصة البندقية وهنين(8)، وصارت السفن التجارية تصل إلى تنس قادمة من سردينية ثم تنتقل إلى مازونة فمستغانم ثم إلى تلمسان(9).

---

1) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص23؛ و **مارمول: المصدر السابق، ج2، ص301-302**.

2) خاصة عند حصار تلمسان الذي نتج عنه انتشار الآفات الاجتماعية وانتشار قطاع الطرق.**عبد الحميد حاجيات وآخرون: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3، ص336**.

3) لخضر عبدلي: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص68-82.

4) نميش سميرة: دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط، ص 59.

5) ابن بطوطة: المرجع السابق، ج1، ص157-165 ؛ **والقلقشندي :المصدر السابق،ج5 ، ص151** .

6) الوزان: المصدر السابق، ج1، ص31؛ و ج2، ص7-42.

7) ابن الخطيب: كناسة الدكان، ص91.

8) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص20، 30، 31، 32، 38، 40.

9) ابن بطوطة: المصدر السابق، ج1، ص157-165.

وينفرد ابن بطوطة بربطه تونس وميناء تنس وجزيرة سردانية، حيث استقل مركبا قطلانيا يربط الصلة بين تونس وتنس عبر جزيرة سردينية[1]، إذ قال أنه وصل إليه في مدة عشرة أيام بعد خروجه من مرسى هذه الجزيرة[2].

أما السفن الصغيرة فكانت تدخل إلى ميناء هنين ثم ترحل إلى تلمسان عن طريق نهر يمر بالقرب منه[3]، وتحمل الشمع والجلود من جبل بني بوسعيد إلى شاطئ تنس لبيعها للتجار الأوروبيين، كما أن السفن الأوروبية كثيرا ما تقصد ميناء مستغانم[4].

يذكر مارمول أن سكيكدة أصبحت نقطة استقطاب للتجار الايطاليين وخاصة للجنويين، فقام والي قسنطينة بإنشاء بعض المخازن والملاجئ للتجار الأوروبيين[5]، كما قام السلطان الحفصي باكتراء شاطئ عنابة"بونة" للجنويين يقومون بصيد المرجان[6].

وهنا نأخذ صورة عن الطرق البرية التي كانت غير آمنة، إضافة إلى سيطرة الأسطول التجاري لمملكة أراغون على الممرات البحرية، لاسيما عندما كانت السلطة في بلاد المغرب تعاني من التفكك وعدم الاستقرار.

وقد استمرت العلاقات التجارية بين بني حفص والجمهوريات الايطالية نشطة، وتسير بصورة مزدهرة ومثمرة طيلة عهد السلطان أبي زكريا الحفصي، وأصبحت الحركة التجارية البحرية في كل من تونس وبجاية أشد كثافة من الحركة في الجمهوريات الايطالية التجارية[7].

وبرزت العلاقات التجارية مع الأندلس بشكل لافت في العهد الموحدي بحكم الوحدة السياسية، واستمر التبادل في العهد الحفصي أيضا، وقد أورد ديفورك عدة أمثلة لتجار من بجاية وتونس وتلمسان ووهران بين سنة619-926هـ/1222-1520م، وقد نزل هؤلاء حسب وجهته فمنهم من اتجه نحو برشلونة أو ميرورقة[8].

أضحت أغلب العمليات التجارية البحرية تتم فرادى وليس بتأطير من دول بلاد المغرب سواء الحفصية أو الزيانية، ولم نعثر على اتفاقيات تجارية تمت بين دول المغرب والأندلس[9]، مما سمح بظهور طبقة غنية من التجار،

1) عبد الهادي التازي : الحضور العربي في جزيرة سردينية، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد 33، 1992، ص27.

2) نفس المصدر والصفحة.

3) سميرة نميش: دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط، ص63.

4) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص190.

5) إفريقيا، ج3، ص7.

6) وصف إفريقيا، ج2، ص62.

7) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص64.

8) Dufourcq; L’espagne, p.31.

9) أبو شامة: المرجع السابق، ص206.

وعبرت بعض المصادر النوازلية عن الوضع المادي المريح لكبار التجار في بجاية خلال النصف الأول من القرن9هـ/15م، فيذكر الونشريسي ضمن مسألة من مسائل الميراث سئل عنها أبو عبد الله المشدالي، وقعت لأحد التجار الأغنياء ببجاية فيقول عنها:"أكابر التجار وذوي الأموال الطائلة"[1]. خاصة أن بجاية قد عرفت نشاطا تجاريا مزدهرا من الواجهتين البرية والبحرية، خاصة بفضل التعامل مع الجمهوريات الايطالية ومع تجار بلاد السودان.

كما كان للنشاط البحري انعكاسا إيجابيا على الدولة من خلال تحريك دواليب الاقتصاد وفك الأزمات إضافة إلى ما يدره من ضرائب وجباية لصالح خزينة الدولة ويذكر ابن قنفذ عند حديثه عن فترة حكم السلطان الحفصي أبي إسحاق إبراهيم بن السلطان أبي بكر(751-770هـ/1350-1369م) فقال:"إن أعظم جبايته من سُفّار البحر"[2].

وعموما يمكن تقسم العلاقات التجارية البحرية للمغرب الأوسط مع الجمهوريات الايطالية وكذا الدول الأوروبية خلال الفترة الوسيطة بالشكل التالي:

أ) مع بيزة:

تعتبر بيزة من أقدم المدن الايطالية رفقة جنوة في الاتصال بسواحل المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط خصوص بدء من العهد الحمادي المرابطي، وأسفرت المفاوضات بين سفراء المرابطين وحكام بيزة على عقد اتفاق سلام تجارة يوم20شعبان517هـ/26 جوان1133م ومدته عشر سنوات يشمل كذلك وهران وهنين التابعتين للمرابطين[3]، كما أن وثيقة الاتفاق تذكر القائد ميون الذي قد يكون"ميمون بن حمدون"قائد الجيش الحمادي[4].

ويذكر دو ماس لاتري أن أول إشارة مؤكدة عن إبرام اتفاقية وإقامة علاقات ودية بين المدن الايطالية وحكام بلاد المغرب ورد ذكرها في المصادر اللاتينية، تعود إلى سنة527هـ/1133م، ووصلت إلى مدينة بيزة سفينتان إفريقيتان على متنها رسل ملك المغرب[5]، وذكر الباحث رشيد باقة أنه يقصد بملك المغرب الحاكم المرابطي يحي بن العزيز الذي حكم المغرب الأقصى والمناطق الشرقية من المغرب الأوسط[6].

1) المعيار، ج6، ص5-6.

2) الفارسية، ص174.

3) محمد الشريف: سبتة الإسلامية، ص80.

4) سامي سلطان: المرجع السابق، ص130، هامش2.

5) De Mas Latrie; relations ,p.69.

6)مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص218.

ورغبة في تجديد تلك المعاهدات نجد أسقف بيزة يبعث بتاريخ 556هـ/1160م رسالة إلى الخليفة يعقوب الموحدي يلتمس مساعدته بناء على الاتفاقية السابقة على الإفراج عن المركب البيزي الذي حجزه الوالي الموحدي في طرابلس[1].

وبدأت بيزة اتصالاتها الكثيفة مع الموحدين بداية من سنة561هـ/1166م، عندما قذفت أمواج البحر سفينة بيزية إلى شواطئ جيجل وعليها جماعة من البيزيين، فقتل بعضهم وأسر البعض الآخر، فبعثت بيزة سفارة يرأسها"كوكو جريفي Cocco Griffin"[3]، إلى مراكش، وأبرموا معاهدة سلم وتجارة ظلت سارية المفعول رغم العلاقات التي بقيت قائمة بين البيزيين والميورقيين المترددين على السلطان الموحدي[4].

وفي سنة570هـ/1157م عقدت اتفاقية بين الموحدين والبيزيين تسمح لهم بالتجارة في بجاية والسماح لهم باتخاذ الفنادق[7]، ومنذ هذا التاريخ أخذ البيزيون يحاولون تدريجيا إحراز تفوق تجاري على حساب منافسيهم

---

1) عبد الهادي التازي: الموجز، ص52.

3) عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، دار المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ط1، 2001، ج2، ص73؛ **وسامي سلطان: المرجع السابق، ص134**.

4) عبد الهادي التازي: الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للملكة المغربية، من التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الرباط، ط1، 1984، ص52.

7) De Mas Latrie; Traité,p.144.

التقليديين البنادقة والجنويين، إلا أن ذلك لم ينجح كثيرا بسبب نظرة الموحدين إلى البيزيين كأعداء سابقين بحكم علاقتهم مع المرابطين وبني غانية[1].

ومع ذلك فقد تعرض البيزيون لنوع من المضايقات في بعض موانئ الدولة الموحدية، ووجهت في577هـ/19ماي1181م جمهورية بيزة رسالة تشكو إلى الخليفة أبي يعقوب يوسف ضمنتها الشكوى من معاملة من مدينة بجاية، لأنهم دأبوا على الحيلولة بين التجار البيزيين وبين شراء الجلود من هذه المدينة[2].

وقد وردت من أسقفية بيزة وكورسيكا وسردينية في عام578هـ/1182م رسالة أخرى إلى الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف، الذي لم يكن مطمئنا إلى العلاقات بين بيزة وميورقة، ولكن الجانبين أبرما في شهر يوليو عام580هـ/1185م اتفاقية سلم ومصالحة بعد وفاة أبي يعقوب يوسف وخلفه في الحكم أبو يوسف يعقوب المنصور، ومثل بيزة "أطرون بن تدسك"[3].

وعقدت بيزة مع يعقوب المنصور معاهدة أخرى في 01رمضان سنة582هـ/نوفمبر1186م، أقر فيها المنصور جميع الامتيازات التي منحها والده للبيزيين من قبل، إلا أنه حدد لهم أربعة مواقع يتمتعون فيها بحرية التجارة في تونس وبجاية ووهران وسبتة، ضمنت بيزة بموجبها عدم تسلط الموالين للخليفة الموحدي على مصالحها، وقد وقع الاتفاقية والي تونس أبو إبراهيم إسحاق بن محمد بن علي[4]، وتدوم هذه المعاهدة خمس وعشرين سنة، كما تنص بأن يكون للبيزيين قنصل دائم في بجاية[5].

ومنذ هذه الفترة عرفت التجارة مع المسيحيين نشاطات كبيرة رغم بعض فترات الركود بسبب الوضعية السياسية والعسكرية في حوض المتوسط، كما حدث سنة595هـ/1200م حين هاجمت سفينتان من بيزة ونهبتا سفينتين تونسيتين، مما أدى إلى احتجاج موحدي رسمي، إلا انه عندما كان يجري البحث بين الطرفين لتسوية

---

1) الطاهر قدوري: النشاط البحري، ص370.

2) De Mas Latrie; Traité,p.10-12,49.

3) عبد الهادي التازي: الموجز، ص51-52.

4) Michele Amari ; op.cit.p.17-22.

رسائل موحدية" مجموعة جديدة" تحقيق العزاوي، ج1، ص**82**؛ **والتازي: التاريخ الدبلوماسي، ج6، ص181-182**.

5)رسائل موحدية" مجموعة جديدة" تحقيق العزاوي، ج1، الرسالة 32؛ **وعبد الهادي التازي: الوسيط، ج2، ص7933؛ وأمينة بوتشيش:المرجع السابق، ص52**.

الحادث، بعث والي تونس"الأمير أبو زيد عبد الرحمن بن أبي حفص"إلى التجار البيزيين ببراءات الأمان والدعوة للعودة لاستئناف نشاطهم التجاري، وكان الكثير منهم قد ترك تونس خوفا من الانتقام[1].

ونستشف من ذلك بداية استقلال الوالي الحفصي وتفرده بالحكم بصفة مباشرة دون الرجوع للخليفة في مراكش، فمنذ ولاية السيد أبي زيد عبد الرحمن حوالي سنة597هـ-599هـ/1200-1202م، كانت سلطات بيزة على اتصال مستمر مع ذلك الوالي مباشرة، وربط علاقات حسنة مع أهالي تسكانة وبيزة" بيشيه"[2].

ومنذ تولي الأمير أبي زكريا الحكم في تونس سنة626هـ/1228م، تسارعت المدن الأوروبية للتعاقد معه وقامت جمهورية بيزة بإمضاء معاهدة سنة632هـ/1234م لمدة30سنة[3]، يتمتع فيها بالامتيازات التجارية في جميع مناطق الدولة الحفصية بما فيها بجاية وشرق المغرب الأوسط[4].

ومن ناحية أخرى فإن أهالي بيزة الذين كانوا يقومون بنشاط حثيث في موانئ إفريقية قد أرسلوا سفيرا إلى تونس، يدعى بارنت فسكنتي وأبرم مع أبي الحسن في14شوال662هـ/9أوت1264م، معاهدة جديدة تعتبر نسخة طبق الأصل من معاهدة632هـ/1234م، مع تخفيض مدة الصلاحية من ثلاثين إلى عشرين سنة، وتحت إشراف بيزة وجنوة، وكانت بعض المدن الأخرى التابعة لمنطقة توسكانة وشمال إيطاليا تتعاطى تجارة مزدهرة في إفريقيا، ولاسيما مع تونس وبجاية[5].

وفي سنة 668هـ-669هـ/1270م قاد لويس التاسع ملك فرنسا الحملة الصليبية الثامنة على الديار الحفصية، ومن الطبيعي أن يعكر هذا الحدث صفو العلاقات التجارية بين الجمهوريات الايطالية وبين الحفصيين[6]، فغادر التجار البيزيون مناطق المغرب الأوسط بما فيها بجاية خوفا من غضب السكان المسلمين، وقد رجعوا إليها بعد سنة670هـ/1271م، وكان النصارى الوحيدين الموجودين تقريبا في بجاية آنذاك[7].

---

1) Michele Amari ; op.cit.p.17-22.

2) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص55؛ **وسلفاتوري بونو**: **المرجع السابق، ص320**.

3) De Mas Latrie; Traité,p.83.

4) Ibid, p.83.

5) Michele Amari; op, cit, p.295-302, 474.

6) De Mas Latrie ; Traité,p.33-34.

7) روبار برونشفيك: المرجع نفسه، ج1، ص96.

إن انهزام البيزيين أمام الجنويين في معركة "ملوريا meloria"[1]سنة683هـ/1284م أضعف المنافسة التجارية للبيزيين لغرائمهم من الجنويين بالأسواق المتوسطية وكان على الجنويين مواجهة منافسة أخرى مصدرها التجار الكتلانيين[2]، وكان هذا الصراع في بعض الأحيان يتم في المياه المغاربية ومراسي المغرب الأوسط، مما أضر بتجارة المنطقة وبحركة التنقل أي المسالك البحرية.

كما تعاملت بيزة مع الولاة وحتى المتمردين حيث قام حاكم مدينة قسنطينة الأمير الحفصي أبو العباس أحمد، سنة767هـ/1366م بالاستيلاء على مدينة بجاية واتخاذها مقرا له وأعلن نفسه سلطانا على الثغور الغربية"شرق المغرب الأوسط"[3]، سارعت جمهورية بيزة بإرسال سفيرها" فيليب دلياط"وطلب منه المعاملة الطيبة لتجار بيزة، فطمأنهم على ذلك[4].

وفيما يخص نشاط الحركة التجارية بين بيزة وتلمسان، يرى ديفورك أن البيزيين كانوا يأتون إلى ميناء وهران منذ583هـ/1186م[5]،كما أرسلت بيزة سفناً للتجارة إلى مدينة مستغانم الزيانية لتبيع بعض السلع وتشتري الصوف سنة762هـ/1360م[6].

وكانت مملكة بني عبد الواد مصدرة للأصواف خلال القرنين7و8 الهجريين من مرسى مزغران إلى بيزة وجنوة[7].

وكانت سفن وتجارة بيزة منذ863هـ/1458م تخرج من ميناء بورتو بيزانوPorto Pisanoأو ميناء ليفورن Lévourne في شهر أفريل أو أوت، وتتوجه إلى جنوة ومن هناك تأخذ طريقها إلى ميناء الجزائر لترسي مدة ستة أيام وبعد ذلك تتوجه إلى وهران، وتتوقف مدة ثلاثة أيام ثم تستأنف طريقها إلى موانئ الأندلس[8].

---

1) **ملوريا** مدينة ساحليا في منطقة توسكانيا حوالي 7 كلم في مواجهة ليفورنو البحرية، انهزمت فيها بيزة أمام جنوة، مما أضعف بيزة لصالح فلورنسا. **مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص266**.

2) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص72.

3) ابن خلدون: العبر، ج6، ص549-550.

4) مريم محمد عبد الله جبوده: المرجع السابق، ص140.

5) Dufourcq; L’espagne, p.152.

6) لطيفة بشاري: العلاقات التجارية، ص135.

7) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص136.

8) Dufourcq; L’espagne, p292.

ب) مع جنوة:

قامت جنوة بتوقيع أول معاهدة سنة531هـ/1137م أو في السنة الموالية لها مع بجاية في العهد الحمادي، ثم شملت المعاهدة مراسي أخرى وبشكل كثيف في العهد الموالي كمرسى الخرز وبونة، واسكيدة، وتواصلت إلى سنة548هـ/1154م[1]، فتم توسيع المعاهدة مع المرابطين لتشمل وهران وهنين، مقابل رسوم جبائية تدفعها الإمارة الايطالية ولمدة زمنية معينة[2].

وأقدم شهادة كتابية عن علاقات التجار الايطاليين بالمغرب الأوسط تعود إلى سنة538هـ/ 1143 م عندما تم تسجيل ميناء بجاية ضمن الموانئ المقصودة من طرف التجار الجنويين[3].

والسبب في ذلك كون التجارة تغلب عليها الطابع البري الصحراوي سواء عند المرابطين أو عند الحماديين في عهد القلعة، ولكن نتيجة تدهور الطرق البرية اتجهت الأنظار نحو البحر المتوسط[4].

وكانت لجمهورية جنوة الأسبقية في عقد معاهدة تجارية مع الموحدين منذ سنة547هـ-548هـ/1153م وأول اتفاقية مع الخليفة عبد المؤمن، رغم كونها شفوية إلا أن شهرتها عمت سائر الموانئ المتوسطية[5].

إضافة إلى مراسي أخرى مهمة من المغرب الأوسط كمرسى وهران الذي تعامل مع جنوة بنحو1234ليرة مابين سنتي550هـ-561هـ/1155-1165م، ومدينة تلمسان ب33ليرة، وهذا حسب عقود الموثق"سكريبا"[6].

كما كانت تجارة جنوة مع بجاية في غاية الازدهار ما بين551هـ-559هـ/1156م-1164م، بسبب وجودهما على خط بحري مستقيم تقريبا لا يتعدى طوله120ميلا[7]، وقد رصد رشيد باقة تطور الاستثمارات الجنوية في بجاية خلال العشرية من1155م-1164م بالليرة الجنوية[8]، بالشكل التالي:

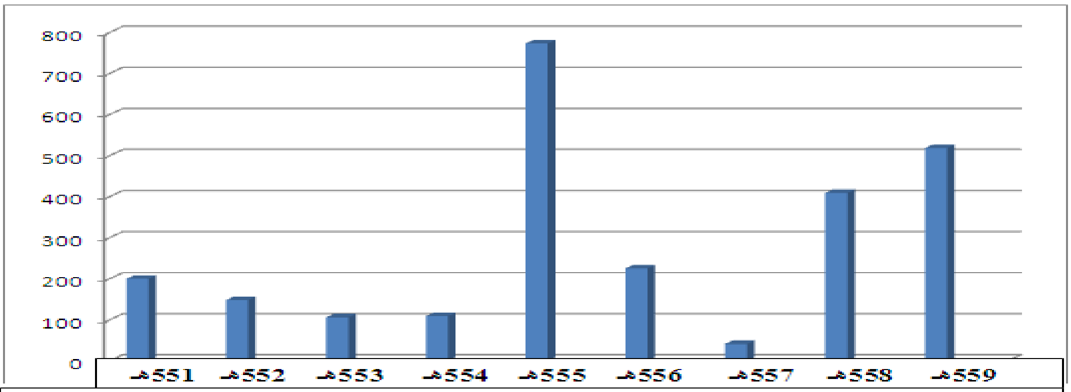
---

1) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص318-328.
2) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص54-55.

3علاوة عمارة:النشاط التجاري، ص67.
4) توفيق مزاري: المرجع السابق، ص295.
5) محمد الشريف: سبتة الإسلامية، 83.
6) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص35.
7) عبد الهادي التازي: الوسيط في التاريخ، ج2، ص92.
8) الليرة: تعد الوحدة الأساسية للوزن، ووزنها 317.66غ وتستعمل في وزن جميع التوابل الخفيفة إلى جانب الحرير والزعفران. **رشيد باقة: المرجع السابق، ص380.**

السنة	1156م 551هـ	1157م 552هـ	1158م 553هـ	1159م 554هـ	1160م 555هـ	1161م 556هـ	1162م 557هـ	1163م 558هـ	1164م 559هـ
الاستثمارات بالليرة	200	148	106	109	773	225	41	409	518

وعند تحويلها إلى رسم بياني نتحصل على الشكل التالي:



تطور الاستثمارات الجنوية في بجاية خلال العشرية من1155م–1164م

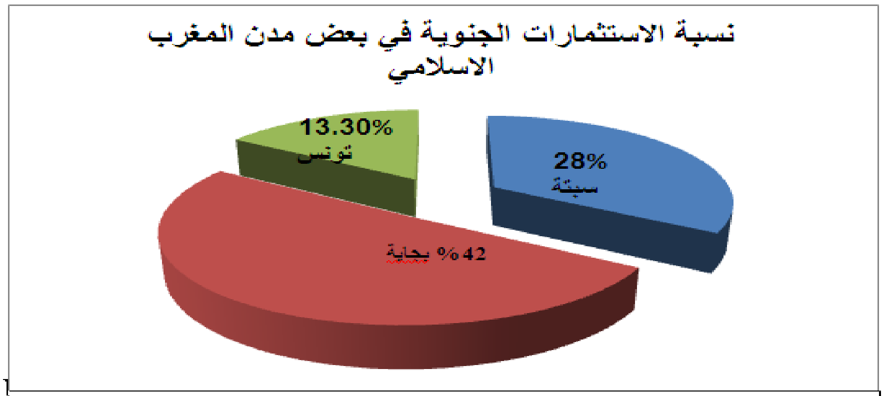
وإذا فسرنا هذا الرسم البياني نلاحظ ارتفاع استثمارات جنوة في بجاية سنة 555هـ/1160م وهذا بسبب توفر وتحسن مناخ التجارة من خلال الهدنة ومعاهدة التجارة الجارية بين المدينتين وغياب القرصنة في هذه السنة.

ونسجل أدنى انخفاض لاستثمارات جنوة في بجاية سنة557هـ/1162م، وهذا بسب العدوان الذي قامت به جنوة على مناطق بلاد المغرب بما فيها بجاية وبونة، وعلى العموم هذه الاستثمارات كانت متذبذبة من سنة لأخرى حسب الظروف الأمنية والتجارية.

وإذا قارنّا الاستثمارات الجنوية في بعض مدن بلاد المغرب في نفس العشرية السابقة نجد بجاية في المقدمة وفق الجدول التالي:

المنطقة	سبتة	بجاية	تونس
مجموع الاستثمارات	1683ليرة	2526ليرة	583ليرة
النسبة المئوية	28%	42%	13.30%

وعند تحويل الجدول إلى رسم بياني نتحصل على الشكل التالي:



من سنة 1155م/551هـ إلى 1164م /559هـ

إن أول ملاحظاتنا لهذا الرسم البياني تبين تفوق بجاية في الاستثمارات الجنوية على سبتة وتونس وهذا راجع لوقوعها في نفس الخط تقريبا مع المرور بسردينيا، إضافة إلى قدم التعامل بين المدينتين منذ العهد الحمادي، ولكن في العهد الموحدي بدأت الكفة تميل إلى صالح سبتة بسبب السلطة المركزية الموحدية المتركزة في المغرب الأقصى.

وكانت أهم موانئ الموحدين التي تتعامل مع الجنويين في أعمالهم التجارية ميناء بجاية(من550هـ-561هـ/1155-1165م)، ثم احتلت سبتة مكانة الصدارة في أواخر القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، إضافة إلى وهران، وطرابلس الغرب(1).

وتشير الاتفاقيات الموحدية مع مدينة جنوة ومدينة بيزة الايطاليتين، بشكل واضح إلى تفضيل جنوة على بيزة، لأن الجنويين لا يعتدون على مراكب المسلمين، فمنحهم الموحدون في عام 555هـ/1160م امتيازات خاصة، وسمحوا لسفن جنوة بالاتجار في كل المراسي، وخفضت عن تجارتها العشور بحيث يدفعون8 بالمائة بدلا عن10 بالمائة باستثناء ميناء بجاية حيث كان على التجار دفع العشر، على أن

يذهب الفرق بينه وبين الامتياز إلى مدينة جنوة(2)، وقد جدد هذا الاتفاق مرتين في عام571هـ/1186م، وعام587هـ/1191م(3).

ولذلك فإن المدن الايطالية عقدت أول معاهدة تجارية سنة557هـ/1161م مع أول خلفاء الموحدين، وهو عبد المؤمن بن علي، من طرف الجنويين(4)، لمدة خمس عشرة سنة(1)، كما كفلت الدولة الموحدية حماية التجار

وأمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص138.

2) De Mas Latrie: Traité, P.47.

ورسائل موحدية "جديدة" تحقيق العزاوي، ج2، ص93؛ و **عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص286؛ و سامي سلطان السعد: المرجع السابق، ص95.**

3) عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص276.

4) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص7.

والرعايا الجنويين والمحافظة على أرواحهم وأموالهم في جميع بلاد الموحدين ومياههم وجددت هذه المعاهدة أكثر من مرة حتى نهاية القرن الثاني عشر(2).

قامت جنوة أيضا بتجديد اتصالاتها بالموحدين وعقدت معهم اتفاقية سلام وتجارة سنة573هـ/1177م(3)، وتنظمت أكثر وازدهرت بين الطرفين منذ تسجيل تواجد الجنويين في ميناء وهران منذ575هـ/1179هـ(4).

وكان تجديد المعاهدة في عهد الخليفة الموحدي الثالث يعقوب المنصور (580-595هـ/1184-1198م)سنة581هـ/1186م لاستغلال موانئ وهران وبجاية لمدة25 سنة(5)، كما قدّم تجار جنوة مساعدة بحرية للخليفة الموحدي الرشيد في حروبه(6).

وشكلت بجاية بادئ الأمر أهم الموانئ المغربية التي يقصدها تجار جنوة ومراكبهم في شمال إفريقيا(7)، حيث أن المدن الايطالية كانت تسعى قبل كل شيء إلى تحقيق المكاسب وتأمين مصالحها التجارية، ولا ترد في الوثائق

ويعود سبب ذلك ربما لمعاهدات سابقة عقدت مع جمهورية جنوة لتنظيم تجارتها في مدينة بجاية عندما كانت بجاية تابعة لبني حماد بالمغرب الأوسط(9)، فبذلك كانت بجاية في بادئ الأمر أهم موانئ الدولة الموحدية التي كان يقصدها تجار جنوة ومراكبهم(10).

---

1) De Mas Latrie ; Relations, p.90.

رشيد باقة: المرجع السابق، ص224-225.

2) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص104.

3) نفسه، ص51.

4) Dufourcq; L’espagne, P.134.

5) عبد العزيز فيلالي: دراسات في تاريخ الجزائر، ص62؛ **مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص36؛ والأسعد شوشان: المرجع السابق، ص386**.

6) C. Defourcq ; La vie, p.55

7) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص104.

9) مريم محمد عبد الله جبوده: المرجع السابق، ص128.

10) De Mas Latrie ; Traité ,p.22.

ولعل قيام هذه العلاقات التجارية بين دولة الموحدين الفتية وبين جنوة راجع إلى انشغال الموحدين في حروبهم في شبه جزيرة إيبيريا وانشغالهم كذلك في التصدي لبني غانية في الجزائر الشرقية أولا، ثم في إفريقية، كما يرجع كذلك لمصالح الجانبين التجارية البحتة، لاسيما وأن تجارة المشرق كادت تنقطع بسبب الحروب الصليبية[1].

وكانت جنوة تصدر إلى بلاد المغرب بعض منتجاتها، إلا أن معظم البضائع كانت من لمبارديا وفلاندرز والأندلس والمشرق، بحيث كان دور الجنويين دور الوسيط، وأهم السلع التي ورد ذكرها في الوثائق الجنوية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر هي: الفساتين، والأقمشة الكتانية والحريرية، ومواد الصباغة كالزعفران واللاك(يعطي لونا

أما السلع التي كانت جنوة تستوردها من بلاد المغرب في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، فهي الجلود والمصنوعات الجلدية والقِرب والصوف، والشب(كان يستورد بكميات كبيرة من بجاية[3] لاستعماله في الدباغة والصباغة)، والذهب والقمح(ويرد ذكره في كل الوثائق، وخاصة من سبتة ووهران وجربة)[4].

والى جانب الصوف تم تصدير الجلود من بجاية نحو جنوة، على عدة دفعات إثر عقود متجددة بينهما سنة613هـ/1216م، وسنة620هـ/1223م، وسنة632هـ/1234م وسنة 650هـ/1252م[5]، كما قامت بجاية بتصدير قشرة أو لحاء شجر يدخل في صناعة الجلود[6].

واعتمد"باليطو"على الوثائق والعقود عن الفترة619هـ/1222م إلى624هـ/ 1226م لحساب الأموال التي وظفها الجنويون في تجارتهم مع بجاية ب779ليرة جنوية و16 فلسا، بمجموع عقدين تجاريين[7].

ونسب رؤوس الأموال الجنوية المستثمرة في بجاية خلال الفترة631هـ/1233م إلى650هـ/ 1252م، حسب الجدول التالي[8] .

1) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص138.

3) مصطفى نشاط:المرجع السابق، ص143.

5) Dufourcq ch ;Apreçu sur le Commerce de Gênes et le Maghrib au 13è siècle, dans Economies et sociétés au Moyen âge , Mélanges Offerts a E.Perroy, Paris, 1973.p.732.

6) De Mas Latrie; Traité,p.357.

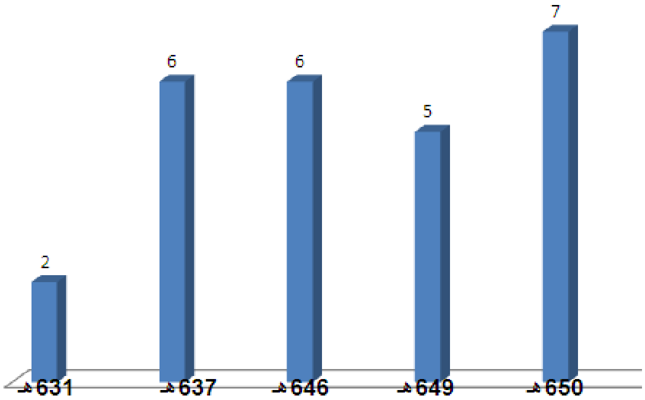
7) مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص42، 43.

8)Christophe Picard ; L'Océan, p. 414.

ومصطفى نشاط: المرجع السابق، ص46.

السنة المنطقة	631هـ/1233م	637هـ/1239م	646هـ/1248م	649هـ/1251م	650هـ/1251م
بجاية	%2	%6	%6	%5	%7

الاستثمارات الجنوية في بجاية 631-650هـ



لم يسيطر الجنويون على التجارة فقط بل حتى على عملية نقل الحجاج والمسافرين، وكان المركب الذي استقله ابن جبير(ت614هـ/1217م) من سبتة إلى الإسكندرية[1] مركبا جنويا، وآلت إلى المدن الايطالية منذ منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي السيطرة على الملاحة في البحر المتوسط، بعد أن كانت السيادة البحرية في القرنين السابقين للدولة الإسلامية في الأندلس والمغرب والمشرق، وكانت أساطيل المدن البحرية الايطالية، كجنوة والبندقية وبيزة، قد لعبت دورا هاما في إنجاح الحملات الصليبية بنقلها المحاربين والمؤن والسلاح[2].

وهو ما يؤكد قول أحد الباحثين أن بجاية في عهد الموحدين فقدت الصدارة التجارية والبحرية لصالح مدينة سبتة وأصبحت هذه الأخيرة مركزاً لكثير من السفن والمراكب القادمة من جنوة واسبانيا وفرنسا[3].

ولكن بعد معركة العقاب أجبر الجنويون على نقل ثقل تجارتهم من المغرب الأقصى إلى تونس وبجاية بفعل غياب الأمن الذي رافق سقوط الدولة الموحدية[4].

---

1) ابن جبير: الرحلة، ص8.

2) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص104.

3) الطيبي أمين توفيق: دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1989، ص49؛ و **عياد المبروك عمار: المرجع السابق، ص43**.

4)bonos relazioni; commerciali fra I paesi del maghrebe l'italia net medio evo, in quaderni de l'istituto italiano di Tripoli, n°4, 1967, p.12.

نقلا عن مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص70.

وبعد تولي الأمير أبي زكريا الحفصي الحكم في تونس سنة626هـ/1228م تمكنت جمهورية جنوة بدورها من أخذ نصيبها من الامتيازات في السوق الإفريقية، من خلال اتفاقية634هـ/10جوان1236م[1]،مدتها عشر سنوات[2].

وقد دلت الأبحاث الوثائقية على أهمية تجارة الحبوب بين بجاية وبونة وسكيكدة من جهة وجنوة من جهة ثانية[3]،كما استوردت بجاية العسل من جنوة حيث بلغت القيمة المحولة حسب عقد648هـ/1250م بأربعة براميل من العسل[4].

إضافة إلى بروز بجاية كأهم مصدر للصوف باتجاه جنوة خلال النصف الثاني من القرن13م، ومنها عقد كتبه جيوفاني ألبانو Giovanni Alpano يوضح فيه إرسال19كيسا من الصوف من بجاية إلى ألبينون دي تور Alpino de Torreالمقيم بجنوة سنة650هـ/1252م، وعقد آخر للموثق كبريتوCapriato سنة1260م يبين استيراد أحد الجنويين للصوف الغليظ من بجاية[5].

وفي سنة659هـ/1260م صدرت بجاية الشب إلى مدينة جنوة بقيمة43ليرة و8 فلسا[6]، كما تحدثت الحوليات الجنوية عن حصول الجنويين على الأصواف من مرسى جيجل، وكانت بجاية من المدن التي زودها التجار الجنويون بالحرير[7].

وفي عهد الحاكم الحفصي الواثق استمرت علاقات الدول النصرانية في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، هادئة وبدون أي حادث يذكر، وتشير كل الدلائل إلى تواصل نشاط الحركة التجارية بين جنوة من جهة وبجاية من جهة أخرى خلال سنة677هـ/1278م[8].

---

1) رشيد باقة: المرجع السابق، ص237.

2) De Mas Latrie; Traité,p.83.

من الملاحظ أن هذه الاتفاقيات كانت على العموم تتشابه في خطواتها العامة على الأقل، وهي تشمل على حوالي 20 مادة بالنسبة لكل اتفاقية ، حيث كانت في جملتها مستوحاة من معايير متسامحة ومبادئ قانونية متقدمة، فقد احتوت على ضمانات كفلت للمسيحيين كحماية الأشخاص والممتلكات وضمان الأمن المتبادل للملاحة وحرية تصريف النشاط التجاري دون إعاقة وتحديد مبادئ تعاطي التجارة.

De Mas Latrie ; Traité, op.cit.p.84.

3) مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص130.

4) نفسه، ص185.

5) نفسه، ص134.

6) Dufourcq ch ;Apreçu, p.733,735.

7) مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص136، 171.

8) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص107.

واستقبلت بجاية السفن الجنوية المحملة بالحبوب الصقلية في القرن14م/8هـ، وقام الجنوي Andrello della Volta بكراء مركبه لشركائه لنقل2500 سالم من القمح إلى بجاية(1).

وفي827هـ/9أكتوبر1433م تم عقد معاهدة صلح بين جنوة وسلطات تونس الحفصية تم السماح لجنوة بالتجارة بكل حرية وإقامة فنادق في جميع موانئ السلطنة وخاصة في تونس وبجاية وبونة(2).

وفي سنة848هـ/1444م منح السلطان الحفصي عثمان، قنصل جنوة كليمونت شيشرو Clemente Cicero حق استغلال مرجان مرسى الخرز مقابل دفع مبلغ سنوي قدره 2000دبلون من الذهب، مع حرية استجلاب من يعاونه في هذه العملية(3).

أما عن مملكة تلمسان فقد طلبت جنوة سنة671هـ/1272م قدرا معلوماً من الحبوب لاستيرادها بغية تغطية حاجاتها الغذائية بسبب أزمة اقتصادية ضربتها، ويمكن اعتبارها أول معاهدة بين الطرفين(4).

كما أرسلت جنوة مبعوثين إلى يغمراسن بن زيان في681هـ/13أفريل 1272م ليوقعوا معه معاهدة سلم وتجارة وللحصول على8آلاف مين من الحبوب(5)،

وكان أحد الجنويين سنة703هـ/1303م مديرا للديوانة بميناء الجزائر(7)، كما يستشف خريطة وضعها مجهول إيطالي في هذه الفترة، أن الجنويين تاجروا مع عدة مراس من المغرب الأوسط، كوهران وأرزيو، ومستغانم، وهنين، ومزكران، وشرشال، وتنس(8).

كما اختار التاجر الجنوي مالفنتMalfante هنين مركزا لانطلاق رحلته إلى توات، وكان للجنويين حضور قوي بوهران وهنين بهدف تجارة الذهب(9).

ربما بسبب فشل خايم الأول في محاولته الشخصية للقيام بحملة صليبية في اتجاه المشرق، في سبتمبر1269م/668هـ، فبدأ ينظر إلى حملة الفرنسيين سنة669هـ/1270م نظرة ملؤها الغيرة والريبة، وبدأ يفكر بنوع من الخوف في ردت البلدان الإسلامية في بلاد المغرب.

1) مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص177.

2) De Mas Latrie; Traité ,p.134-142.

و روبار برونشفيك: المرجع نفسه، ج1، ص266.

3) رشيد باقة: المرجع السابق، ص272.

4) مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص129.

5) **مين** هو نوع من الموازين الأوروبية يستخدم في الحبوب والملح ويتراوح ما بين 105 رطلا و 82 كلغ. **مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص84.**

7) Dufourcq.ch; L’espagne, P.368, 452.

8) مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص89.

9) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج2، ص275.

ومجمل القول أن الجنويين طول فترة الموحدين وحتى معركة العقاب كانوا سادة التجارة الموحدية، ولمس فيهم الموحدون أنهم تجار يسعون إلى تحقيق الأرباح التجارية بعيدا عن حشر أنفسهم في النزاع العسكري، وهذا بخلاف بيزة مع بني غانية المناوئين للموحدين، أو بالنسبة للأراغونيين والقشتاليين، الذين يخلطون بين العمل العسكري والتجاري[1].

وواصلت جنوة في العهد الحفصي والزياني دورها بكونها في أغلب الحالات تسعى لإعادة الدفء إلى العلاقات التجارية الغربية الإسلامية، حتى لا تتعرض مصالحها للخطر.

ج) مع البندقية:

لقد وفَّر البحر المتوسط تفاعلاً لساحل المغرب الأوسط مع الشمال الأوروبي خاصة في الجانب التجاري، وصلت العملات الأوروبية إليه في العصر الموحدي، واكتشفت عملات أجنبية ترجع إلى عهد الخليفة الموحدي الناصر في رباط الفتح، وبجاية وسبتة، ووهران وتلمسان، تعود إلى مدن جنوة وبيزة وفلورانسا والبندقية، خاصة عملة تسمى المليارات Miliaresi و أخرى تسمى بيزنطي Besants[2].

ومنذ أن تقلد الأمير أبي زكريا الحكم في تونس سنة626هـ/1228م، تسارعت المدن الأوروبية للتعاقد معه وكانت أول اتفاقية مع جمهورية البندقية عام629هـ/5أكتوبر1231م يمنح بموجبها حرية ارتياد موانئ الدولة الحفصية وخاصة الشرقية منها"بجاية" لمدة40سنة[3].

وفي سنة879هـ/1483م أرسل أمير تلمسان"محمد الثابتي(873-910هـ/1468-1505م) مبعوثا إلى مجلس السيناتور البندقي، يعرض عليهم فتح قنصلية وإبرام معاهدة تعاون، لأن فندقهم كان تحت إشراف القنصل الأراغوني وقام بنفس المحاولة في مارس894هـ/1488م لكن القرار البندقي الذي اتخذ في هذا الشأن بقي غير معروف[4].

ويضيف الوزان أن لمملكة تلمسان ميناءين مشهورين هما وهران والمرسى الكبير"وكان يختلف إليهما كثير من تجار البندقية، فيتعاطون تجارة نافقة عن طريق المقايضة، غير أن هذين الميناءين سقطا في يد الملك الكاثوليكي

1) محمد الشريف: سبتة الإسلامية، ص381.

2) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين والموحدين، تحقيق حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 1997، ص231؛ و **عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج6، ص218، 243، 251؛ وسحر السيد عبد العزيز سالم: مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، منذ إنشائها حتى نهاية عصر بني مرين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996، ص109، 110.**

3) De Mas Latrie; Relations,p.151-152.

4) لطيفة بشاري: العلاقات التجارية، ص132.

فرناندو-كان سقوط المرسى الكبير عام911هـ/1505م ووهران في عام915هـ/1509م، وكان ذلك خسارة عظمى لمملكة تلمسان[1].

ويتحدث مارمول عن تنقل سفن البندقية إلى هنين بقوله:"إذ كانت سفن البندقية تنحدر إليها كل سنة عند ذهابها إلى تلمسان"[2]، ويضيف الوزان عن سكان هنين قبل نزوحهم عن المدينة إثر احتلال الإسبان لمدينة وهران فكانوا"يعملون كلهم تقريبا في القطن والمنسوجات"[3]، ويذكر الوزان دائما عن ميناء هنين" تأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا طائلة مع تجار تلمسان...ولما احتل المسيحيون وهران سنة915هـ/1509م لم يعد البنادقة يقصدونها فطلب منهم أهل تلمسان أن يأتوا إلى هنين..."[4].

د) مع مرسيليا:

وأثار موضوع عقد علاقات تجارية بين بيزة وبلاد المغرب حفيظة جمهورية جنوة ومرسيليا حيث عقدوا حلفا تجاريا للتعامل مع بلاد المغرب سنة532هـ-533هـ/1138م[5].

أما مع مرسيليا فقد تعامل معهم البجائيون كثيرا بسبب موقعها القريب والمقابل لها في الضفة الأخرى، وفي سنة608هـ/1211م نالت مرسيليا حق إرساء سفنها بمرسى بجاية[6].

وأصبحت وهران بدءا من العهد الموحدي ثم الزياني والمريني على علاقات وطيدة تجاريا مع التجار المارسيليين والجمهوريات الايطالية"كجنوة"ومحطا للتجار القطلانيين المتوجهين إلى الإسكندرية، على تعبير ابن خلدون" وشارك بعض تجّار النصارى المتردّدين إلى تلمسان من القيطلان على حمله إلى الإسكندرية، وأركبه السفين معهم بأهله من فرضة وهران ذاهباً لطيبة موكلاً به"[7].

بل بلغ نشاط مرسيليا مع بلاد المغرب الأوسط أوجه في القرن الثالث عشر الميلادي، كما تدل على ذلك سجلات تجارية تعود إلى سنة625هـ/1227م، وسنة680هـ/1288م عثر عليها بمرسيليا، وكان ينشط بتلمسان

1) وصف إفريقيا، ج2، ص9.

2) إفريقيا، ج2، ص296.

3) وصف إفريقيا، ج2، ص15.

4) وصف إفريقيا، ج2، ص15-16.

5) عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص277؛ **وعبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، ج5، ص222.**

6) مولاي بلحميسي: دور بجاية في البحر الأبيض المتوسط في عهد الحماديين والحفصيين، محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، بجاية، ج2، من 1-12ربيع الاول1384م/25مارس إلى 15أفريل1974، بجاية، وزارة الشؤون الدينية، ص573-574.

7) العبر، ج7، ص193.

تجار مارسيليون مثل أسرة ماندويلManduel التي اشتهر منها إتيانEtienne، الذي اقترض سنة625هـ/1227م من تاجرين مبلغا من المال بوهران[1].

وفي سنة 646هـ/1248م قام تاجر من مرسيليا هو فريسولFerrussol بالتجارة لحسابه في مدينتي تنس والجزائر[2].

ومن المؤكد أن موانئ بروفانس لم تخفض من نسق علاقاتها التجارية مع المغرب الأوسط، من ذلك مثلا أن مرسيليا قد ذكرت في قانونها الأساسي المؤرخ في651هـ/1253م مدينة بجاية من بين مدن ما وراء البحار التي توجد بها قنصليات مرسيلية[3]، ففي20 أفريل667/1268هـ عينت مرسيليا، أحد مواطنيها المدعو هوك بورغونيون قنصلا في بجاية[4].

وقامت أسرة أوستريا Austria بدور كبير في تنشيط التجارة بين مرسيليا وإمارة تلمسان، وهو ما يتضح من سجل مؤرخ في19فبراير1333م/734هـ تضمن سلفة قدرها أربعة عشر دوبلا ذهبيا تمت في مدينة الجزائر بين تاجرين من مرسيليا[5].

وبلغت الرحلات التجارية بين وهران ومرسيليا في القرن الثالث عشر ثلاثة فيما كانت5مع تونس و30مع سبتة و72رحلة مع بجاية، وبين سنتي787هـ/1385م و822هـ/1419م وقع احصاء36رحلة بين ميورقة ووهران[6].

كما أن النشاط التجاري لمرسيليا لم يستمر طويلا إذ بحلول القرن8ه/14م، أخذت تجارتها في التناقص، فلم نسجل علاقات معها، وأخذ التجار الأراغونيون يعوضونها[7].

باستثناء تسجيل خروج سفن من موانئ مرسيليا في اتجاه دلس والجزائر سنة 849هـ/1445م، كما اشترى التاجر هليون تريسمان Hélion Tressemanes سنة878هـ/1473م سفينة للتجارة بين مرسيليا وميناء الجزائر، وحققت له أرباحا طائلة[8].

1) لطيفة بشاري: العلاقات التجارية، ص138.

2) نفس المرجع والصفحة.

3) De Mas Latrie ; Traité,p.90.

4) op.cit .p.91-92.

5) لطيفة بشاري: العلاقات التجارية، ص139.

6) محمد حسن: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1999، ج1، ص609.

7) الطاهر قدوري: النشاط البحري، ص391.

8) De Mas Latrie; Traité ,p.316.

وفي جويلية من سنة882هـ/1477م غادرت سفينة من نيس ميناء مرسيليا متجهة إلى وهران لنقل صفقة من القمح[1].

و) مع مملكة أراغون:

إن أولى الإشارات التي تؤرخ للعلاقات الاراغونية المغربية تعود إلى سنة624هـ/1227م، عندما وجدت سفن قطلانية تتعاطى التجارة بسبتة وبجاية انطلاقا من جزر البليار خاصة من ميورقة[2]، ولم تنقطع العلاقات التجارية بين أوروبا ومملكة تلمسان الزيانية هذه العلاقات تحددها معاهدات ذات خصوصيات واضحة ومن هذه المعاهدات، نذكر منها:

تذكر المصادر قيام سفير تلمسان سنة648هـ/1250م وهي السنة التي صدر فيها المرسوم الاراغوني الذي يمنع القرصنة، بنقل20طن من الشب إلى مملكة أراغون، ثم تلتها عدة اتفاقيات سمحت باستيراد عدة سلع من مملكة بني عبد الواد منها الشب، حيث بلغت الكمية 100 قنطار[3] بفضل أحد التجار وهو بتروتشو Petruccio[4].

وفي نفس السنة عام 648هـ/1250م، باع أحد التجار التلمسانيين 500قنطار من الشب في العاصمة الأراغونية بمبلغ قدره3500بيزيتة(أي حوالي 700دينار ذهبي) ويعتقد ديفورك أن ذلك كان لحساب الأمير الزياني[5].

وقد تمت بعد استلاء القائد البلنسي غويلام إسكريبا Guillem Escriba في البحر على سلع جلبها أحد رعايا الدولة الزيانية وهو ميمون بن عطار، عندما كان عائدا إلى بلاده من جزيرة ميورقة، فبعث السلطان عثمان بن يغمراسن احتجاجا إلى الملك جقمة الثاني، ليمنع رعاياه من أعمال القرصنة و عقد اتفاق صلح[6].

وبذلك نلاحظ أن هناك أنشطة تجارية للأراغونيين في إفريقية الحفصية منذ القرن السابع الهجري/ الثالث عشر ميلادي، وابتداء من654هـ/1256م تعددت الوثائق التي تدل على أن الحكومتين قد أصبحتا على اتفاق تام كما تشير الوثائق إلى سير قنصليات وفنادق القطلونيين في تونس وبجاية سيرا طبيعيا خلال سنتي655-656هـ/1257-1258م[7].

---

1) لطيفة بشاري: العلاقات التجارية، ص141.

2) De Mas Latrie; Traité ,p.75-76.

3) **القنطار**: وزنه 47.6 كلغ مخصص لوزن المواد الثقيلة والكبيرة الحجم، مثل الحديد الصوف وبعض المواد الغذائية.**رشيد باقة**: **المرجع السابق، ص380**.

4) Dufourcq; L’espagne, P.135-136, P.546.

5) Dufourcq; op, cit, p.146.

6) IbiD, P.347.

7) بروبار رونشفيك : المرجع السابق، ج1، ص75.

وفي أول أكتوبر1257م/655هـ، لام الملك خايم الأول رئيس أساقفة أرغون توجيهه لبعض القراصنة في البحر ضد سكان شمال إفريقيا، وبالتالي خرق معاهدة السلم المبرمة مع"ملك تونس"، ورغم ذلك تشير الوثائق إلى سير قنصليات القطاليونيين في تونس وبجاية، سيرا طبيعيا خلال السنتين المواليتين(1).

وفي14فبراير 1278م/677هـ منح بطرس الثالث جواز مرور دائما لأربعة وعشرين مسلما من بلنسية للذهاب إلى سواحل تلمسان بهدف توسيع التبادل التجاري بين البلدين(2)، وقد اهتم الملك الأراغوني اهتماما خاصا بالمغرب الأوسط حتى أنه عين ابنه بير جاكوم Père Jacme قائدا بتلمسان بين سنتي676 و 678هـ/1277 و 1279م، ومن المهام التي أسندت إليه مراقبة الصادرات القطلانية إلى دولة بني عبد الواد(3).

ورغم كل هذا التطور إلا أن التجارة البحرية واجهتها عدة صعوبات، تمثلت أهمها في القرصنة التي كانت السفن التجارية تتعرض لها داخل البحر الأبيض المتوسط، خاصة مع الأراغون، مما تسبب في مجموعة من النزاعات بين السفن الإسلامية والسفن المسيحية، حيث حدث نزاع بين تلمسان ومملكة الأراغون سنة665هـ/1263م، وأخر سنة675هـ/1273م، ومعاهدة أخرى سنة 678هـ/1275م، كما حدث نزاع سنة728هـ/1327م، وسنة869هـ/1464م(4).

وعلى العموم كانت أغلب النزاعات بسبب القرصنة خاصة من جانب الكطلانيين وكذا طمعهم في مداخيل الديوانة الزيانية وفي ذهب الدولة العبد الوادية، أو بسبب تدخلهم في الصراع بين المرينيين والحفصيين، وكانت أغلب النزاعات تختتم في الأخير بعقد اتفاق صلح بين الطرفين.

وفي17فيفري1271م/670هـ عقدت مملكة أراغون معاهدة مع الدولة الحفصية، لكن كانت محتشمة إذ بعدها بقليل بدأ ملكها خايم الأول ببيع فنادقه وقنصلياته بتونس وبجاية إلى القشتاليين، وكان قنصل بجاية يمارس سلطاته" من قسنطينة إلى مدينة الجزائر"(5).

وأدى ذلك إلى تراجع التجارة الخارجية الزيانية بصفة عامة خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين(6)، إلا أن حرص تجار النصارى من قشتالة والأراغون(1)، والبندقية في الحصول على

1) De Mas Latrie ; Traité, p.83.
2) Dufourcq; L'espagne, p.314.
3) Ibid, p.315.

4) شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج 2، ص326.

5) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص95.

ربما بسبب فشل خايم الأول في محاولته الشخصية للقيام بحملة صليبية في اتجاه المشرق، في سبتمبر1269م/ 668هـ، فبدأ ينظر إلى حملة الفرنسيين سنة669هـ/1270 م نظرة ملؤها الغيرة والريبة، وبدأ يفكر بنوع من الخوف في ردت البلدان الإسلامية في بلاد المغرب.

6) الدراجي بوزيان: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص215.

الذهب، أعاد العلاقات الودية ما بين الدولة الزيانية والدول المسيحية، وذلك منذ663هـ/1264م فأبرمت لذلك مجموعة من المعاهدات والاتفاقيات بين الطرفين[2]، ومن أبرزها:

طلب الملك الأراغوني أدفونونش الثالث تجديد معاهدة السلم والتجارة مع الزيانيين سنة683هـ-684هـ/1284م، ووافق عليها السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن، سنة686هـ/1286م، وهي أقدم وثيقة معروفة بين البلدين وتتكون من إحدى عشر بندا[3]، ونصت في بندها الأول على أن يحصل مشرف أراغون المقيم في وهران على نصف مداخيل دولة بني عبد الواد الناتجة عن الضرائب المفروضة على السلع التي ينقلها إليها الأوروبيون، الشيء الذي كرس الحضور الاراغوني بالدولة الزيانية على حساب بقية الأوروبيين[4].

كما كان السلطان أبو حفص في موقف ضعف، فبادر إلى التفاوض مع ملك الأراغون بيدرو الثالث وذلك عام684هـ/1285م، وعقد معاهدة بين الطرفين ضمنت للتجار الأراغون حرية الملاحة والتجارة وبناء الفنادق وممارسة شعائرهم الدينية بحرية تامة في أراضي الحفصيين[5].

وقد سجل خروج خمس وأربعين رحلة من ميناء ميورقة فيما بين23 جانفي و 18مارس1284م/704هـ اتجه ثلثها إلى إمارة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط منها خمس رحلات إلى وهران ورحلتان إلى هنين ورحلتان إلى

---

1) لقد ارتبطت نشأة مملكتي قشتالة والأراغون وتطورهما بحركة الاسترداد في إسبانيا فكلما زادت وانتعشت هذه الحركة نمت وتطورت هاتان المملكتان فقد ظهر تاج أراجون على مسرح السياسة عام532هـ/1137م بعد زواج بترونيلا الأراجونية من رامون برنجر الرابع كونت برشلونة ما بين عامي526-558هـ/1131-1162م وقد دخل رامون في حروب ضد مسلمي الأندلس واستولى على بعض المدن الهامة مثل طرطوشة عام543هـ/1148م ولاردة وإفراغة عام544هـ/1149م من أيدي المرابطين، وقد اضطلع جاك الأول الفاتح610-675هـ/1213-1276م ابن بيدرو الثاني بإرساء قواعد التاج الأراجوني وتوسعاته في البحر المتوسط برا وبحرا، فلقد استولى على جزيرة ميورقة أولا عام627-628هـ/1229-1230م ثم على مملكة بلنسية عام631-643هـ/1233-1245م وبذلك لعبت مملة أراجون الناشئة في القرن الثاني عشر الميلادي الدور الأساسي في تجميع النصارى بإسبانيا وإقامة دولة قوية على ضفاف البحر المتوسط بقطالونيا باسبانيا حول المرسى القتلاني الناشئ ببرشلونة وقد اكتمل ذلك في عهد بيدرو الثالث وابن جاك الثاني"جاك الغازي" باعثي في كيان الدولة القطلانية القوية بحق في إسبانيا، ثم شهدت مدينة برشلونة الكتلانية تواجدا من مدينة مرسيليا الميناء المشهور في فرنسا، ولقد تم التوحد بعد زواج الأميرة دوس أميرة منطقة البرفاس الفرنسية بالأمير كونت برشلونة وقطلانية وسردينيا ثم ازدادت شوكة هذه المملكة الناشئة قوة مع زواج جفيد كونت برشلونة من مريا سيدة منبيليه . **محمد محمود النشار: تاريخ اسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث، الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2007، ص10-36.**

2) Dhina Atallah; op.cit, p.376-377.

3) Dhina Atallah ; op.cit, p.206.

وللمزيد عن هذه المعاهدة انظر لطيفة بشاري:العلاقات الخارجية، ص147-151.

4) Dufourcq; L’espagne, p.152.

5) مريم محمد عبد الله جبوده: المرجع السابق، ص57.

للمزيد في الموضوع **إبراهيم جدلة: إفريقية والغزو البحري في العصر الوسيط من القرن4هـ/10م الى القرن10هـ/16م، مجلة البحث العلمي جامعة محمد الخامس الرباط، عدد خاص بصفحات من الجهاد البحري المغربي، العدد45، السنة 31، 1998، ص55-64.**

ميناء مزغران ورحلتان إلى برشك ورحلة في اتجاه تنس، وثلاث رحلات في اتجاه الجزائر التي كانت في تلك الفترة محل صراع بين الحفصيين والزيانيين[1].

وفي نفس السنة أمر جقمة الثاني بمحاكمة المينورقي بير دالما Père Dalman الذي قبض على التاجر "العباس التلمساني"عندما كان متوجها بسلعته إلى جزيرة يابسة، وأطلق سراحه حتى يؤكد للسلطان الزياني عثمان أن تجار بلاده يستطيعون ممارسة نشاطهم بمملكته في أمان[2].

فأبدت الدولة العبد الوادية اهتماما خاصا بالتجارة مع مملكة أراغون، بدليل المعاهدتين الوحيدتين المعروفتين اللتين أبرمتهما تلمسان مع مملكة أراغون سنتي685هـ/1286م، و764هـ/1362م[3].(**لاحظ نص المعاهدة في الملحق رقم 10**)

وقد تنازل السلطان عثمان بن يغمراسن(681-703هـ/1282-1303م) عن نصف العشر من الضرائب للملك الأراغوني، رغبة منه في تنشيط الحركة التجارية بين بلاده والممالك النصرانية[4].

وتُطلعنا رسالة بعثها"سانشو"ملك مايورقة سنة710هـ/1315م إلى جاك الثاني ملك أراغون، إثر منع هذا الأخير رعاياه من التجارة مع مراسي المغرب الأوسط، ومما جاء فيها"كلما منعنا رعايانا من التجارة مع الدولة العبد الوادية يستغل تجار الدول الأخرى الفرصة لتكثيف معاملاتهم معها فيحصلون بفعل ذلك على أرباحهم المعتادة ويضيفون إليها أرباحنا وأرباح رعاياهم، أما أرباح السلطان العبد الوادي فلا تتقلص أبدا"[5] ولا شك أن تجار الدول الأخرى الذين يقصدهم سانشو هم البيزيون والجنوييون بصفة خاصة.

وكانت مملكة بني عبد الواد من أهم مزودي أوروبا بالذهب الذي تحصل عليه من السودان الغربي، ويمكن اعتبار أهم مراسي بلاد المغرب المصدّرة للذهب عبد الوادية مثل وهران وهنين، نحو مالقة مباشرة، ومنها نحو جنوة[6]، ولدينا شهادة عن مدى أهمية الذهب في الحياة الاقتصادية للملكة الزيانية في عهد أبي حمو(708-718هـ/1308-1318م) بقول هذا الأخير"لولا الشناعة لم أزل في بلادي تاجرا من غير تجار الصحراء الذين يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تَبَع"[7].

---

1) Dufourcq.ch; L'espagne, p.320.

2) Ibid. P.338.

3) عمر سعيدان: المرجع السابق، ص113.

4) Dhina Atallah ; op.cit, p.479.

5) Dufourcq.ch; L'espagne, P.451.

6) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص151.

7) المقري: نفح الطيب، ج5، ص206.

لقد صنعت تجارة الذهب ثروة الدولة الزيانية ونستدل برسالة بعث بها هلال بن علال الكطلاني أحد رجالات الدولة العبد الوادية إلى جاك الثاني ملك أراغون في 1 صفر 723هـ/9 فبراير 1323م كرد على رغبة هذا الأخير في اقتراض كمية من الذهب من تلمسان مقابل ضمانات(1)، وطلبه من ملك أراغونة على إطلاق سراح مجموعة من النصارى الأسرى(2).

وبعد تولي السلطان الزياني أبي تاشفين الأول(718-737هـ/1318-1337م) بعث له ملك ألاراغونة جقمة الثاني برسالة في 24أفريل1319م/719هـ يطلب عقد معاهدة سلم وتجارة لمدة عشر سنوات وعرض عليه مساعدة مالية وعسكرية(3)، إلا أننا لانعرف هل تم التعاقد أم لا؟

وفي المقابل استقبلت العديد من السلع الكطالونية وكذا الجنوية، حيث استوردت مملكة تلمسان الفواكه المجففة من إيطاليا عن طريق الكطالونيين(4).

وقد سبق الذكر أن التجار الأراغونيين كانوا يجلبون سلعهم ويبيعونها في موانئ تلمسان كتنس وشرشال والجزائر ووهران، فينقلها التجار خفية إلى داخل تلمسان لبيعها بالغلاء(5)، وهذا هروبا من الجباية وكذا لإخفاء سعرها الحقيقي المستورد من الدول الأوروبية.

وساهمت بذلك التجارة البحرية في ازدهار الاقتصاد الزياني وعرفت فائضا، حتى عرض السلطان الزياني عبد الرحمن أبو تاشفين الأول قرضا على جاك الثاني(6) ملك الأرغون من خلال رسالة يقول فيها:"إن كنتم في حاجة أن نقرضكم الذهب سنفعل شرط أن تمنحونا ضمانات على ذلك، وإن لم تقبلوا شروطنا فإن المعاملات بيننا سوف تتوقف"(7).

---

1) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص152.

2) عمر سعيدان: علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان، ص64-65.

3) De Mas Latrie; Relations,p.179-180.

4) Dufourcq Ch; L’espagne, P.548.

5) Ibid, P.371.

6) جاك الثاني العتيد أو الغزي ابن الملك بيدرو الثالث ملك أراجون، تولى الحكم بعد أبيه وكان شابا طموحا عمل على توطيد أركان مملكته التي ضمت"برشلونة، ومرسيليا، ومنبليه" وشهدت مملكته قوة بحرية وتجارية كبيرة في الحوض الغربي للبحر المتوسط وهدد شمال افريقيا **De Mas Latrie ; Traité,p142.**

7) بسام كامل عبد الرزاق شقدان: تلمسان في العهد الزياني(633هـ -962هـ/1235-1555م) رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002، ص208.

كما عقدت معاهدات تجارية بين بجاية وأرغونة سنة708هـ/1309م التزمت فيها أراغون بوضع سفينتين حربيتين مجهزتين بأربع أدوات حصار تحت تصرف أمير بجاية، ليدفع في المقابل 2000دبلون على كل سفينة مدة أربعة أشهر و500دبلون لكل شهر إضافي(1).

غير أن العلاقات بين الطرفين قد اضطربت نتيجة توقيع أراغون معاهدة مع سلطان تلمسان عام727هـ/1327م(2) عندما استولى على بجاية، لكن بعد عودة الحكم الحفصي على بجاية، تم بين الملك الأراجوني"بيدرو الرابع"والسلطان الحفصي"أبي إسحاق الثاني"التوقيع على معاهدة عام761هـ/1360م لمدة عشر سنوات نصت على إتاوة سنوية طالبت بها أراغون قيمتها ألفا دينار ذهبية سنويا(3).

وشهدت تلمسان في5شوال739هـ/16أفريل1339 إبرام اتفاقية للسلام والتجارة لمدة عشر سنوات بين السلطان أبي الحسن بن أبي سعيد المريني وبين جاك الثاني ملك أراغون وسردانية(4)، وتهدف إلى تحديد المواد التي يؤذن بالاتجار فيها(5).

إلا أن الفترة الفاصلة بين737-740هـ/1337-1340م لم تسجل أي رحلة نظرا لغزوات بني مرين على شبه جزر البليار، ثم عادت واستأنفت بين الحاكم الحفصي لبجاية وتونس سنة 741هـ/1341م يطلب فيها حماية التجار الميورقيين(6).

ونصت المعاهدة الموقعة بين أبي الحسن علي صاحب تلمسان، "ودون جقمان"صاحب ميورقة والمؤرخة بالخامس من شوال739هـ/15أفريل1339م"...وأي جفن تكسر أو رمت به الريح أو البحر من أجفان الفريقين في ساحل من سواحل الجهتين فالأمان شامل للجفن وعمرته ما احتوى عليه من الأموال والتجارات والعدد يدفع ذلك لمستحقيه"(7).

1)روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص153.

2) الرسالة عن هلال الكتلاني حاجب وزير أمير تلمسان أبي تاشفين الى ملك أرغون خايمي الثاني في رجب727هـ/1326م (**لاحظ الرسالة في الملحق رقم11**)**أحمد عزاوي: العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة، مطبعة رباط نت، 2011، ج1، ص88**

3) بعيزيق: المرجع السابق، ج2، ص316؛ **وعمر سعيدان: علاقات أسبانيا القطلانية بالحفصيين، ص132.و ما يليها.**

4) عبد الهادي التازي : الحضور العربي، ص24-25.

5)عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج7، ص196.

6)الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص384.

7) الطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، ص284؛ **وعمر بلوط: فنادق مدينة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية، مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011، ص45.**

وهناك معاهدة بين تلمسان وبيربيرون perpignan والأراغون عام784هـ/1362م[2]، وقد أبرمت المعاهدة الأخيرة مع ملك الأراغون بطرس لوسير يمونيو" Pierre le cérémonieux وسفير مفوضي السلطان أبي حمو موسى الثاني (760هـ-791هـ/1359-1389م) وهما محمد إدريس ويوسف عبد الله[3].

وقد نصت هذه الأخيرة على مادتين أساسيتين حرية التجارة والإقامة والتنقل عبر البحر بكل أمان، وعدم تقديم المعونة من قبل الطرف المتعاقد إلى أعداء الطرف الآخر، كما تم فرض رقابة من الديوانة عليهم بالموانئ والمدن الداخلية بعدما كانوا يتاجرون بكل حرية في المنطقة، وبدفع الضرائب لسلطة الديوانة بالقرب من الفنادق والقيسارية[4]، خاصة تلك السلع الوافدة عن طريق ميناء هنين ووهران[5].

وعرفت الدولة الزيانية إدارتين للديوانة: الأولى بوهران[6]، والثانية بهنين في حين كانت الإدارة المركزية لهما بتلمسان، وقررت الدولة الزيانية أخذ العُشر من قيمة السلع كضريبة ديوانية على السفن الأجنبية الوافدة للتجارة، فكان أبو حمو الثاني(760-791هـ/1358-1388م) يأخذ العشر من التجار الأجانب أيضا[7].

ومن خلال هذا الفصل يتبادر إلى ذهننا سؤال هام لماذا لم يكن للتجار المسلمين بالمغرب الأوسط نفس الديناميكية الضرورية لمنافسة التجار المسيحيين بفعالية؟ أي لماذا لا يتواجد التجار المسلمين في المدن الايطالية؟

هناك مفارقة في ميزان القوى من حيث كثافة الحضور الأوروبي بمراسي المغرب الأوسط، وضعف الحضور المغربي بأوروبا.

---

2)عمر بلوط:المرجع السابق، ص45.

3) سميرة نميش: دور أهل الذمة بالمغرب، ص74.

4) هي أسواق كبيرة مخصصة لبيع الأثواب والمنسوجات الحريرية أو الكتانية وبيع العطور وأنواع التوابل وكل ما يحتاجه الزبون، وتختلف القيسارية عن السوق العادي بسعتها وتنظيمها المحكم وما تشمل عليه من أروقة مغطاة تشبه السوق العصري الكبير، وبها فنادق ومخازن للتجار الأوروبيين والمسلمين المغتربين.**عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص136**.

5) رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، ج3، ص478-479.

6) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص302.

7) نفسه، ج2، ص301.

ويمكن أن يتعلق ذلك بسياسة الدول المتعاقبة على المغرب الأوسط، هل شجعت التجار لخوض غمار التجارة البحرية الخارجية الطويلة؟ هل هُيِئت الأطر والقوانين المنظمة لذلك؟ هل يمكن النظر إليها كمبادرات فردية؟ وتدخل الدولة كان محدودا.

أم أن الأمر يعود إلى نزاعات دينية وفتاوى خاصة تُحرم التعامل مع الأجنبي خاصة المعادي لها؟ أو تحرم التواجد في ديار الكفر، مما جعل المشاركة الإسلامية في الغرب المسيحي لا تكاد تذكر؟

ويعتبر فاليرين أن السبب الرئيسي هو غياب مؤازرة التوسع التجاري الخارجي من قبل النظام الحاكم، حيث كانت مشاركة النخب الاقتصادية في القرارات في الواقع قليلة[1]، كما اعتبر قلة الإنتاج الزراعي والصناعي الموجه للعيش فقط، وفقدانه لحركية الاستثمار في التجارة البحرية[2].

ويمكن الإجابة عن التساؤل الأول حول الحضور المغربي الضعيف في أوروبا مقابل حضور أوروبي كثيف بالمغرب الأوسط، وهو يعود إلى عزوف المغاربة عن التوجه إلى أوروبا بسبب ضعف الإمكانات البحرية لبلاد المغرب الأوسط بفعل الركود الاقتصادي وتقنيتها المتخلفة، وهذا يخص النصف الثاني من القرن8هـ/14م فقط، كما يمكن إرجاع السبب إلى تحذير الفقهاء من الهجرة والعمل في ديار الكفر[3]، عكس الأوروبيين وخاصة جنوة التي تاجرت مع بلاد المغرب حتى في السلع الممنوعة من قبل الكنيسة للتعامل بها مع المسلمين لأنها اعتبرت مصلحتها فوق الجميع.

وظهرت آراء دينية نادت بمنع الاتجار ببعض المواد بين المسلمين و المسيحيين(الحديد، الخشب، القمح...)[4]، وقرار المنع صدر عن البابا"بونوات الثاني عشر"وعن حاكم أراغونة"جاك الأول" وفي المقابل صدر عن بعض علماء المسلمين، وسبب المنع لهذه المواد التي كانت تستخدم في الحروب والمعارك بين الطرفين[5]، لكن عملية المراقبة على هذه السلع لم تكن صارمة.

ويرى القبلي أن الدولة المغربية في العصر الوسيط أهملت الأسطول التجاري وحصرت اهتماماتها في الأسطول العسكري، واكتفت بتحصيل الموارد الجمركية، تاركة بذلك المجال للتجار الأوروبيين لاحتكار التجارة الخارجية

---

1) دومينيك فاليرين: المرجع السابق، ج2، ص726.

2) نفسه، ج2، ص730.

3) أنظر المازري: فتاوى المازري، تحقيق الطاهر العموري، الدار التونسية للنشر، 1994، ص207-208، و3064-365؛ **الونشريسي: المعيار، ج2، ص140-141، ج6، ص67، 318؛ وبوطالب إبراهيم: بعض مظاهر التجارة الخارجية بالمغرب قبل 1956، وأسسها الشرعية، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، 1992، الدار البيضاء، ج1، ص17 وما بعدها.**

4) محمد حسن: المرجع السابق، ص490؛ **ونجاة باشا: المرجع السابق، ص66؛ والأسعد شوشان: المرجع السابق، ص366.**

5) بورقيبة: الجزائر عبر التاريخ، ج3، ص482.

المغربية، وبالتالي لم يتم التفكير في الاتصال بالأسواق الخارجية عن طريق البحر[1]، كما يرجع برونشفيك السبب إلى ضعف البحرية الإسلامية وعدم توفرها على سفن تجارية تفي بالغرض[2].

ويلخص ابن خلدون حال المسلمين البحرية بقوله:"وتراجعت قوة المسلمين في الأساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر، بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الأندلسية...وصار المسلمون فيه كالأجانب إلا قليلا من أهل البلاد الساحلية لهم المران عليه"[3].

ويضيف مصطفى نشاط سبب آخر هو غياب إطار عام ينظم إقامة المسلم في البلاد المسيحية لم يشجع المغاربة المسلمين التوجه إلى تلك الدول بكثافة، إضافة إلى الصورة السيئة للمسلم لدى المسيحيين في أوروبا، كما اعتبر أن المواد التي تستوردها بلاد المغرب من أوروبا كلها كمالية، أو أنها تنتج في بلاد المغرب، كل هذه العوامل لم تحمس المغاربة على الانتقال إلى أوروبا بهدف التجارة[4].

وقد حاول الزيانيون والحفصيون والمرينيون الإبقاء على قدراتهم الدفاعية البحرية، وتطوير أسطولهم الحربي، لكن الصراعات التي دارت بينهم حول مناطق النفوذ أضعفتهم جميعا، ولم تخلق جواً للتجارة البحرية، فرأت أوروبا أن خير وسيلة لوضع العدو تحت رحمتها هي مهاجمة تجارته البحرية واحتلال مدنه الساحلية، واحتل الإسبان مدينة بونة" عنابة"سنة867هـ/1462م، ثم استولوا على المرسى الكبير سنة876هـ/1471م لكنهم أُخرِجوا منه في سنة882هـ/1477م[5].

وعموما فإن العلاقات قد استمرت تسير بصورة طبيعية في إطار المعاهدات التي توفر الأمن والأمان، بالتبادل التجاري، وحركة النقل البحري بمختلف أغراضها حتى أواخر القرن الخامس عشر الميلادي حينما بدأت منطقة البحر المتوسط تشهد سلسلة من التغيرات الجذرية بسبب أفول نجم القوى القديمة في البحر المتوسط وهي بيزنطة والدولة الحفصية ودولة المماليك في مصر، والجمهوريات الايطالية، وظهور قوى جديدة هي الإمبراطورية العثمانية ودولة إسبانيا الموحدة في الغرب[6].

---

1) محمد القبلي: مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، الدار البيضاء، 1987، ص60.

2) تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج2، ص97.

3) المقدمة، ج2، ص33.

4) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص243.

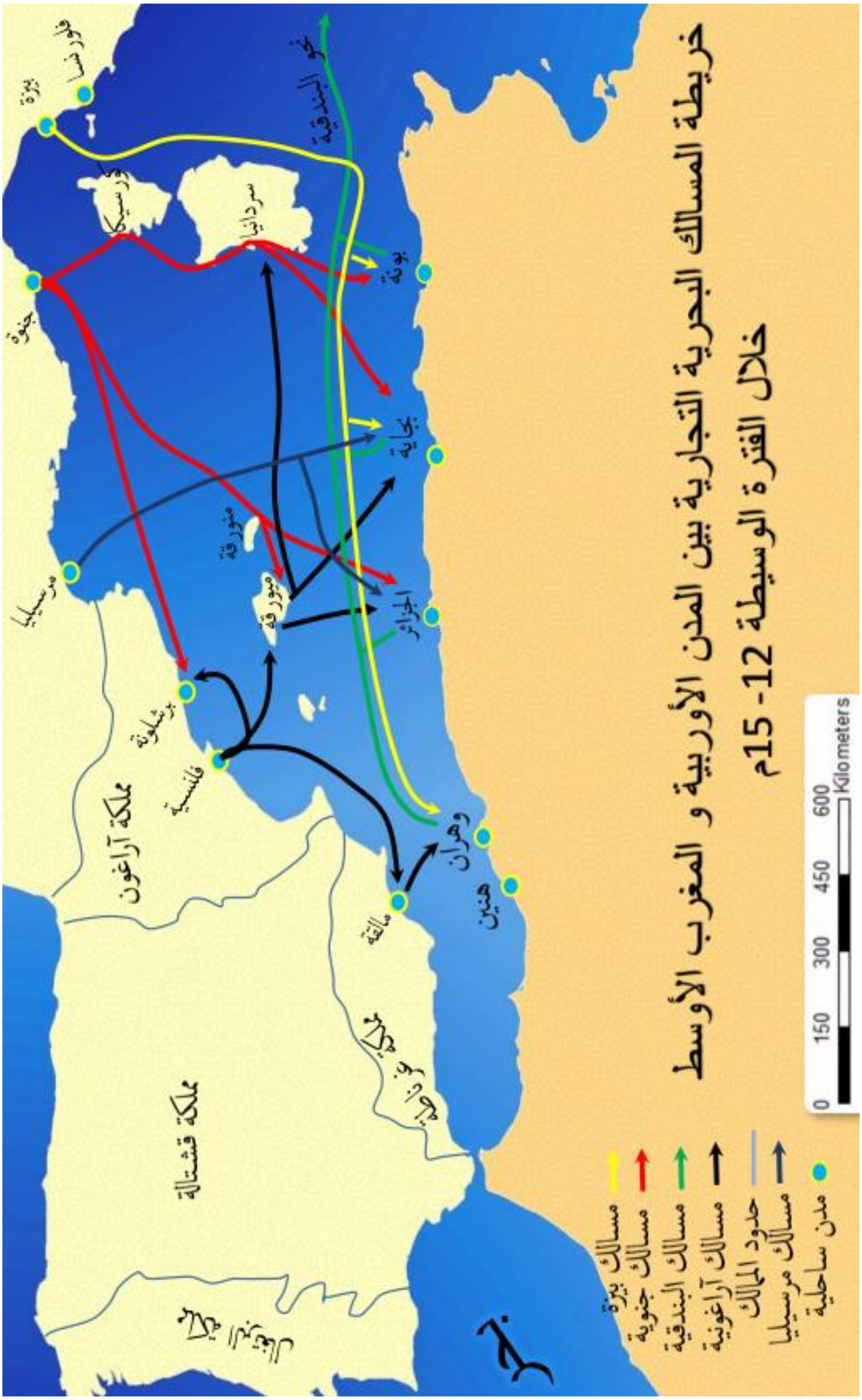
5) علي خلاصي: المرجع السابق، ص6.

6)عبد الناصر جبار: بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1990، ص232-233.

كما أصبح البحر المتوسط يواجه إفلاسا خطيرا جدا بسبب نتائج الكشوف الجغرافية وقبل أن ينتهي القرن التاسع هجري/الخامس عشر الميلادي، عملت هذه الاكتشافات على تحويل الحركة التجارية من اتجاه الشرق إلى المحيط الأطلسي(1)، إضافة إلى اكتشاف رأس الرجاء الصالح من قبل الأوروبيين ليأذن بضعف الحركة التجارية في البحر المتوسط(2)، رغم أن حركة التبادل التجاري بين إيطاليا ودول المغرب بصفة عامة تواصلت لكن بشكل محتشم.

1) سلفاتوري بونو: المرجع السابق، ص330.

2) مريم محمد عبد الله جبودة: المرجع السابق، ص144.


خريطة المسالك البحرية التجارية بين المدن الأوربية و المغرب الأوسط
خلال الفترة الوسيطة 12- 15م
مسالك بيزة
مسالك جنوية
مسالك البندقية
مسالك آراغونية
حدود الممالك
مسالك مرسيليا
مدن ساحلية
مملكة قشتالة
مملكة آراغون
فالنسية
برشلونة
مرسيليا
جنوة
بيزة
فلورنسا
سردانيا
ميورقة
منورقة
مالقة
وهران
هنين
الجزائر
بجاية
بونة
نحو البندقية
Kilometers
0
150
300
450
600

3)القرصنة والجهاد البحري بين الممارسة وردود الفعل :

تعتبر القرصنة أو اقتناص السفن والسطو عليها، من أهم العوامل التي أثرت على النشاط البحري التجاري في حوض المتوسط خلال فترة العصور الوسطى، وقد انعكس هذا التأثير على العلاقات السياسية والاقتصادية لاسيما النشاط التجاري بين مختلف قوى البحر المتوسط، وكان لعمليات القرصنة آثار سيئة على حرية الانتقال والتجارة في البحر المتوسط بما تثيره من الرعب والخوف[1].

ويذكر ابن خلدون المعاصر للأحداث ما يشير إلى سيطرة المسلمين على البحر المتوسط:"وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم إلى الجانب الشمالي الشرقي منه، من سواحل الفرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية، لا يعدونها، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا، واختلفت في طرقه سلما وحربا، فلم تسبح للنصرانية فيه ألواح"[2].

ثم لاحظ بعد ذلك بمرارة تقهقر الأساطيل الإسلامية في المغرب، ونسب تخلف المسلمين الواضح أمام الأساطيل الأوروبية إلى ضعف الدول المغربية فقال:"وتراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الأساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر بكثرة العوائد البدوية بالمغرب وانقطاع العوائد الأندلسية"[3]، وهي ملاحظة صحيحة بالنسبة إلى العصر الذي ألف فيه ابن خلدون كتابه، وبالرغم مما ينبغي إدخاله عليها من تعديلات بخصوص بعض الفترات المزدهرة من التاريخ الحفصي والزياني، إلا أن القرصنة قديمة قدم الصراع الإسلامي البيزنطي، ومن هنا يحق لنا التساؤل ما الفرق بين القرصنة والجهاد البحري؟

ومتى ظهرت القرصنة في مياه المغرب الأوسط؟

ومتى أصبحت القرصنة منظمة؟

ما هي أهم العمليات القرصنية التي تعرضت لها المغرب الأوسط أو التي قام بها؟

ما الفائدة التي يجنيها غزاة البحر من هذه العمليات؟

---

1) مصطفى عبد الخالق: علاقة القوى الصليبية في غرب البحر المتوسط بالمغرب الإسلامي، في القرنين السادس والسابع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، 1987، ص250.

يعتبر القرصان الروماني سيتيوس قائد مجموعة من المرتزقة في البحر المتوسط من أوائل القراصنة في البحر المتوسط، حيث استطاع سنة46 ق م احتلال الشمال الشرقي من نوميديا حيث أسس الاتحاد الكونفدرالي السيرتي.**محمد الصغير غانم**: **المملكة النوميدية، ص130**.

2) ابن خلدون: المقدمة، ج2، ص30؛ و **عمر فروخ**: **العرب والإسلام، ص8-9**.

3) المقدمة، ج2، ص33.

أ) تعريف القرصنة:

القرصنة[1] عمل قديم قِدم الملاحة في البحر المتوسط، ولكن هنا نتساءل مالفرق بينها وبين الجهاد البحري؟ واللصوصية؟[2] وهل كانت القرصنة عملية منظمة تشرف عليها السلطات المركزية المتعاقبة على المغرب الأوسط؟ أم كانت بمبادرات فردية وشخصية من قبل بعض السكان أو البحارة أو القبائل المتاخمة للبحر وتسترزق من هذه المهنة؟ وإلى أي مدى ساهمت القرصنة في تنشيط أو تثبيط سواحل المغرب الأوسط؟

والقرصنة في مفهومها العام هي الاعتداء على السفن المخالفة بغية الاستلاء عليها وعلى محتوياتها من سلع وأشخاص يُحَوَلُون للسبي، وقد تقوم بها دولة أو أشخاص إما لحسابهم الخاص أو مكلفون من جهة رسمية[3].

وكانت سفن القراصنة تنشط في سواحل الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط، رغم أن السلطات الرسمية في أغلب الحالات تسعى بصورة رسمية على الأقل إلى تحجير القرصنة ومنعها، ولا تتسامح إلا في الغارات الموجهة ضد سفن الدول التي لا تحميها معاهدات الصلح، ولكن الأهالي المسلمين لم يكونوا يميزون بين هذه العمليات وتلك، ولا ينظرون إلا إلى الأرباح والأمجاد الدينية المنجزة لهم عن أي عملية حجز يقوم بها الغزاة البواسل في البحر أو في الأراضي النصرانية، وتترتب على تلك العمليات ردود فعل دبلوماسية أو عسكرية[4].

لكن مع العدوان الصليبي انتعشت القرصنة المسيحية وازدهرت ونمت وأصبحت تشكل خطرا كبيرا على سواحل المغرب الأوسط، خاصة بمباركة وتشجيع من الكنيسة مما جعل سكان المناطق المطلة على البحر يلجأون إلى الرباطات للتصدي لهذه القرصنة.

ويقول دوفورك:"إن التوجه القطالوني نحو المغرب دفاعا وهجوما في آن واحد وبرغبة أكيدة، من خلال دعم وتشجيع من الكنيسة بخاصة من البابا أنوسنت الرابع الذي كان يحلم بغزو المغرب"[5].

---

1) كلمة إيطالية تعني السابق ومنها اشتقت كلمة La Corsaro وهو الذي يقوم بفعل السباق، وقد استعملت للتعبير عن التسابق البحري أي الهجوم والاعتداء على السفن أو سواحل الدول الأخرى، بينما نجد في المصادر الإسلامية تعبيرا آخر هو غزاة البحر أو الجهاد البحري، حيث أوردها **الغبريني: المصدر السابق، ص76؛ وابن خلدون: العبر، ج6، ص578**. وعموما يبقى المصطلح نسبي، لأنها قد تكون شرعية من خلال الدفاع عن النفس وقد تكون لصوصية تهدف إلى الاستلاء على ما عند الآخر، ولمزيد في ذلك أنظر **عبد الناصر جبار: المرجع السابق، ص101–103**.

أما المصادر الدبلوماسية العربية القديمة فتكتبها باللام وليس بالنون أي القرصلة.**القرصلة والقانون، ندوة أكاديمية المملكة المغربية 986، نقلا عن عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، ج5، ص235، الهامش4.**

2) اللصوصية Brigandage piraterie هي عدوان بحري تقوم به عناصر بحارة مغامرون يعملون لحسابهم الخاص من دون أن يكون لهم تصريح أو تأييد من جهة ما وهم ينشطون في كل الأوقات، حتى وان صادف ذلك فترة السلم. **رشيد باقة:المرجع السابق، ص175، الهامش3.**

3) نجلاء محمد عبد النبي: القرصنة اللاتينية في شرق حوض البحر المتوسط على عصر سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، مارس، 2001، ص550-551.

4) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج2، ص96.

5) Dufourcq.ch; L'espagne, p.88.

وزادت القرصنة المسيحية بعد ظهور المدن الايطالية كقوة تجارية كبيرة بل أصبحت تضغط بها من أجل الحصول على امتيازات ومعاهدات وتخفيضات ضريبية، بل حتى أن أراغون تقوم بالقرصنة من أجل اقتسام الأرباح مع سلاطين بني حفص وبني زيان.

ب) الجهاد البحري والقرصنة، مترادفان أم مختلفان؟

لقد اكتسبت الغزوات البحرية منذ الفترة الإسلامية بعدا دينيا، وذكرت عدة أحاديث نبوية تثني على هذا العمل وتشجعه منها الحديث الذي ورد في سنن ابن ماجه"حدثنا هشام بن عمار حدثنا بقية عن معاوية بن يحي، عن ليث بن أبي سليم عن يحي بن عباد عن أم الدرداء عن أبي الدرداء أن الرسول"صلى الله عليه وسلم" قال غزوة في البحر مثل عشر غزوات في البر والذي يسدر في البحر كالمتشحط في دمه في سبيل الله سبحانه"[1]، من هنا نجد أن الغزو البحري صُنف ضمن الأعمال الجهادية التي ينال منها المسلم جزاءً عظيمًا، لهذا تعددت تسمياتها بين دار السلم ودار الحرب، حيث أطلقت عليها النصوص العربية الإسلامية اسم غزاة البحر مما يجعلها أحد أشكال الجهاد، وأطلقت المصادر المسيحية على القراصنة المغاربة اسم Sarrasin[2]، وهذا كله يحيلنا إلى اضطلاع عملية القرصنة بالبعد الديني إلى جانب البعد المادي.

ولاشك أن الفرق واضح عند الفقهاء بين دار الحرب ودار الكفر المسالم، وأن هذه المسألة أطرتها العديد من الآيات القرآنية التي دلت صراحة على حسن التعامل مع دار الكفر المسالم، بالنظر لمسالمتهم للمسلمين وعدم مبادرتهم بالقتال، وبين دار الحرب التي كانت الحرب بينها وبين دار الإسلام سجالا[3]، أي أن هجوم السفن الإسلامية ضد السفن المسيحية جهاد بحري إسلامي بامتداد الجهاد الإسلامي من الأرض إلى البحر، ورد لاعتداءاتهم.

وقد بينت النوازل والفتاوى في الغرب الإسلامي طبيعة هذا الصراع وعالجته، دون التفصيل فيها باستثناء قضايا افتداء التجار[4]، وحق صاحب المركب، ومصير البضاعة[5]، وهناك من فقهاء المالكية من اعتبر الجهاد البحري واعتراض السفن أمر مشروع، بل هناك حتى من الفقهاء من تمرس فيها[6].

---

1) ابن ماجة: سنن ابن ماجة، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة ودار سحنون، اسطنبول، ط2، 1992، ج2، ص928، والمتشحط هو المتمرغ المضطرب.

2)Christophe Picard; La mer, p. 121.

3) الطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، ص148.

للمزيد في الموضوع **أنظر زكي مبارك :الجهاد البحري في الغرب الاسلامي، المفهوم الاسلامي والمفهوم الغربي، المسيحي، مجلة البحث العلمي جامعة محمد الخامس الرباط، عدد خاص بصفحات من الجهاد البحري المغربي، العدد45، السنة 31، 1998، ص15-27.**

4) الونشريسي: المعيار، ج2، ص118؛ و ج8، ص297-298، 302-307.

5) ابن رشد: فتاوى ابن رشد، ج1، ص606-607.

6) محمد الطالبي:دولة الاغالبة، ص452، وما بعدها.

لقد ركزت النخبة المثقفة على البعد الديني للقرصنة واعتبرتها جهادا بحريا موجها ضد"دار الحرب" وذلك للدفاع عن السواحل الإسلامية وصد هجمات النصارى وحماية أرزاق التجار في البحر، وتبوأ الجهاد مكانة هامة واعتبر واجبا شرعيا، وهو كرد فعلي لتعصب الكنائس المسيحية التي رسمت المسلمين في صور قاتمة، وروجت ضدهم مشاعر الكراهية والعداوة، لهذا لم يترددوا في تجهيز الأساطيل لاحتلال مناطق في الشمال الإفريقي(1).

ويسميهم الغبريني بغزاة البحر، حيث ذكر أنها، منتشرة من جانب المغاربة أيضا حيث يذكر عن بجاية في منتصف القرن 6هـ/12م" أن بجاية كانت بلدة غزاة، وكان قطاعها يدخلون إلى دواخل الجزر الرومانية وغيرها ويسوقون السبي الكثير منها، وينزل الناس لشرائه بحومة المذبح من جهة ربضها وهناك يخمس ويقع الفصل فيه ولم يزل الحال على ذلك، وبلغ الحال من كثرة سبي الآدميين أن يباع بيضوان من الروم بسوداء من الوحش"(2)، ونلاحظ أن نشاط غزاة البحر بقي مستمرا حتى عصر الغبريني، أي منتصف القرن7هـ/13م، عندما قال "ولم يزل الحال على ذلك"(3).

ويذهب برونشفيك إلى اعتبار مصطلح القرصنة والجهاد البحري واحداً(4)، في حين يذهب العروي

إلى اعتبار أن الجهاد البحري عملية تقابلها القرصنة عند الأوروبيين(5).

والقرصنة في المياه المغربية لم تصدر دائما عن ملاحين من الأهالي، بل كانت في الغالب من فعل أخلاط المسيحيين الذين اعتنقوا الإسلام أو الأندلسيين المطرودين منه فلجأوا للسواحل المغربية(6).

نموذج الفقهاء الذين مارسوا القرصنة زيد بن محمد الجمحي الذي كان فقيها تاجرا حتى أنه مات في البحر على يد الصقليين. **الطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، ص149**.

1) إبراهيم محمد السعداوي: مرسى صفاقس وحركة الجهاد البحري حتى مطلع القرن التاسع عشر، ضمن أعمال ملتقى المدن المراسي في تاريخ المغرب، أيام27-29 أكتوبر2010، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، 2013، ص313-314.

2) عنوان الدراية، ص76.

3) نفس المصدر والصفحة.

4) إفريقية الحفصية، ج2، ص227.

5) مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ط1، ج2، ص155، و226؛ وزكي مبارك: **الجهاد البحري في الغرب الإسلامي، المفهوم الإسلامي والمفهوم الغربي المسيحي، مجلة البحث العلمي، ع45، 1998، ص16-17، 20-21**.

6) توفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص325.

ج) تاريخ القرصنة على سواحل المغرب الأوسط:

يقول دو ماس لاتري:"لقد كان من النادر جدا في العصور الوسطى أن تعيش الشعوب في سلام تام مع الشعوب الأخرى، فقانون الحرب كان يسود هذه المدن وتلك الممالك، حيث يوجد بجانب المسيحيين من عامة الشعب من يمتلكون السفن ولديهم القدرة على إنشاء وبناء السفن الحربية، وإعلان العداء على كل من فعلوا أفعالا سيئة من القراصنة"(1).

وقد عرفت بلاد المغرب من الفترة(135هـ-185هـ/752-801م) خمولا بحريا، لذا قنع المسلمون بنظام الرباطات أو المناورة القائمة على سواحل بلاد المغرب، للتصدي للغارات البيزنطية القادمة من صقلية والجزر المحاذية(2)، لتتحرك عملياتهم خلال العهد الأغلبي والفاطمي.

بدأت عملية القرصنة في سواحل المغرب الأوسط تظهر إلى الواجهة مع نهاية القرن الثاني الهجري؛ أي خلال الفترة الأغلبية خاصة في السواحل الشرقية للمغرب الأوسط، وزادت نشاطا خلال الفترة الفاطمية خلال القرن الثالث الهجري، خاصة اتجاه جزر الحوض الغربي للبحر المتوسط ككورسيكا وسردانيا؛ لتعرف في منتصف الفترة الوسيطة نشاطا كبيرا تَجَسد في تنظيمها بصورة محكمة، بل وحتى تحت إشراف الدولة مباشرة، التي قننته وضبطت نشاطه اعتمادا على الأحكام الفقهية والنصوص الشرعية، فكانت غالبا ما تخضع لقوانين الحرب(3)، أي أن الدولة تنبهت في بداية أمرها أو عند ضعفها، وحاولت تنظيمه مع الجهات المعاهدة والمسالمة، لتبقى عملية القرصنة تتأرجح بين الحرب والغزو، وبين الجهاد البحري، واللصوصية، والتي يصعب التمييز بينها.

وتشير المصادر إلى أن أول نشاط قرصني في المغرب الأوسط كان بمدينة مرسى الخرز التي كانت تنشئ السفن والمراكب الحربية التي يغزى بها بلاد الروم، وإلى هذه المدينة يقصد الغزاة من كل أفق لأن مقطعها قريب من جزيرة سردينية بينهما نحو مجريان(4)، فأثر ذلك على المدن الشرقية لمرسى الخرز كطبرقة لحساب ازدهار المدن الغربية لها كبونة وبجاية بسبب تطور النشاط القرصني في غرب المتوسط وتأثيره على التجارة الأندلسية والأوروبية في اتجاه الشرق.

---

1) De Mas Latrie; Traité, p.94-95.

2)عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1969، ص41، 200؛ **وفوزية محمد عبد الحميد نوح: البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الاغالبة(184-296هـ/800-908م) رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1984-1985، ص59.**

3) أبو محمد القيرواني: النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1999، ج3، ص130، 133؛ **والأسعد شوشان: المرجع السابق، ص441.**

4) البكري: المغرب، ص55؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص234؛ ومجهول: الاستبصار، ص126.**

وسارت مدينة بونة على نهج مرسى الخرز في ممارستها للقرصنة وأثرت على تجارتها وعلى الخطوط البحرية القصيرة[1] والرابطة بين المدينة وسردينية وكورسيكا وصقلية، وحتى المدن الايطالية[2]، بسبب قربها الجغرافي، ومرورها بمحاذاة مدن المغرب الأوسط، أو سهولة القيام بهجمات خاطفة والعودة بسرعة إلى شواطئ المغرب الأوسط.

وقد جاء في الحوليات الجنوية قيام الفاطميين بمهاجمة جنوة سنة319هـ/931م وتخريبها[3]، كما أشارت المصادر العربية، أنه بين سنتي321-324هـ/933-935م، أغار الأسطول الفاطمي على جنوة واقتحم أسوارها، واستطاع أن يحرق كثيرا من السفن التي خرجت لصده، وأسر الكثير من الناس[4]، والأكيد أن جيش الأسطول الفاطمي أغلبه من عصبية كتامة في المغرب الأوسط.

أما ابن خلدون فقال عن البجائيين:"وشرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة فيجمع النفراء والطائفة من غزاة البحر، ويصنعون الأسطول، ويتخيرون له الأبطال الرجال، ثم يركبونه إلى سواحل الفرنجة وجزائرهم على حين غفلة فيتخطفون منها ما قدروا عليه، ويصادمون ما يلقون من أساطيل الكفرة فيظفرون بها غالباً، ويعودون بالغنائم والسبي والأسرى، حتى امتلأت سواحل الثغور الغربية من بجاية بأسراهم تضج طرق البلد بصخب السلاسل والأغلال عندما ينتشرون في حاجاتهم ويغالون في فدائهم بما يتعذر معه أو يكاد، فشق ذلك على أمم الفرنجة وملأ قلوبهم ذلاً وحسرةً وعجزوا عن الثأر به، وصرخوا على البعد بالشكوى إلى السلطان بأفرنجة فصم عن سماعها وتطارحوا بثهم وثكلهم فيما بينهم وتداعوا لنزال المسلمين، والأخذ بالثأر منهم"[6].

وقد اعتبر فاليرين أن القرصنة البجائية بلغت ذروتها نهاية الربع الأخير من القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي إلى الربع الأول من القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي[7].

---

1) البكري: المغرب، ص55؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص234**.

2) حيث تم الهجوم على مدينة بيزة وجنوة سنة323هـ-324هـ/ 934 م-935 م وإعادة الهجوم على بيزة ونهبها سنتي394هـ/1003م و 402هـ/1011م . **الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص159، الهامش5.**

3) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص31.

4) أحمد بن عثمان الذهبي: دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، ط1، 1999، ج1، ص294.

6) العبر، ج6، ص578.

7) دومينيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص563.

وكانت المواني الشرقية تتعرض للقرصنة اللاتينية على كل من موانئ جيجل وقلعة خطاب وسكيكدة ودنهاجة، ولا يسلك هذا الطريق إلا الأقوياء ممن لا يخشى ركوب البحر، وكانوا عرضة لأخطار القرصنة، حيث أغار الروم على قصر الطوب أثناء وجود محمد بن سحنون هناك[1].

وخلال ذكر الغبريني لرحيله من تونس نحو بجاية الذي كان بحرا تعرض للقرصنة بقوله:"فركبت البحر بجملتي، وتعذر علينا الهواء فأصبحت في المرسى أجفان غزوانية للنصارى فهبطنا إلى البر خفية منها"[2].

وانتشرت عمليات القرصنة على الساحل الشرقي للمغرب الأوسط أكثر من الجانب الغربي وهذا لتوفر البيئة الملائمة أكثر في الشرق ممثلة في وجود مدن وموانئ بحرية مهمة لها نشاط كبير يسمح للسفن الأجنبية بالمرور عليها أو بجانبها، كما ساهمت بنيتها الجيولوجية في ذلك، إضافة إلى احتوائها على عدد من القبائل البربرية ذات الصلة بالحياة البحرية التي توارثتها عن الفترة القديمة[3].

أما المناطق الغربية من المغرب الأوسط فتزعمت عمليات القرصنة بها مدينة وهران وهنين، وكان تجار وهران يجهزون على الدوام سفنا شراعية وأخرى مسلحة يمارسون فيها القرصنة، ويجتاحون سواحل قطالونيا وجزر يابسة ومنورقة وميروقة، حتى أصبحت هاتان المدينتان تعجان بالأسرى المسيحيين[4]، وآوت مدينة هنين القراصنة ويخرج السكان معهم لشن غارات على شواطئ إسبانيا[5].

فمارس الوهرانيون النشاط القرصني ضد السواحل الاسبانية، وقد كانت سفنهم تصنع في دار الصناعة الوهرانية[6]، ودار الصناعة بهنين[7]، اللتين توفران عدداً كبيراً من السفن يكفي لسد حاجات السكان لممارسة التجارة والصيد ويوجه الفائض منها للقرصنة.

وهذا ما جعل المدن التجارية الكبرى تتخوف من مختلف عمليات القرصنة المغاربية، مما جعلها تتخذ إجراءات منها قيام مجلس بلدية مرسيليا الذي تحدث عن الهجمات على سواحل بروفانس وإجراءات الدفاع؛ منها تجهيز السفن لمطاردة القراصنة وإقامة حراس في النقاط الإستراتيجية الملاحية، وتعزيز مدخل الميناء، كما تطرقوا إلى سبل إطلاق الأسرى المسيحيين[8].(**لاحظ الملحق رقم12**).

---

1) المالكي: المصدر السابق، ج1، ص 446. حيث ذكر المحقق أن أصلها في المخطوط قصر الطور ولكن الأصح الطوب وهو أحد الرباطات المشهورة على الساحل التونسي

2) عنوان الدراية، ص118.

3) Christophe Picard; La mer, p. 121, 147.

4)الوزان: المصدر السابق، ج2، ص30.

5) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص296.

6) لاحظ ما شرحناه حول دار الصناعة في نهاية هذا الفصل.

7) Christophe Picard; La mer, p. 82.

نقلا عن صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص139.

8) روبار برونشفيك:المرجع السابق، ج1، ص227.

موجودة بين إفريقيا وسردينيا، وأن المراكب كانت بطبيعة الحال تسلك هذا الطريق في العصور القديمة[3]، وقد عثر على نقيشة غير مؤرخة في كاتدرائية بيزة تخلد ذكرى هذا العمل الباهر الذي ساهمت فيه حسبما يبدو بعض السفن القادمة من البروفانس[4].

ثم تبعهم في ذلك النورمان الذين احتلوا بونة سنة548هـ/1153-1154م[5].كما تعرضت جيجل لعمليات القرصنة المختلفة سواء من النورمان كما حدث سنة537هـ/1143م[6]، أو من الايطاليين، مما جعل سكانها يتراجعون إلى الجبال في فصل الصيف الهادئ الذي تكثر فيه القرصنة، وبنوا قرية حصينة بتلك الجبال[7]، تأوي السكان وكذا تعمل كبرج مراقبة للميناء وطلب النجدة عبر أخبار المدن المجاورة كبجاية.

كما وجهت جنوة حملة على بجاية الحمادية سنة531هـ/1136م، تضم12سفينة شراعية وقادوساً"جنوية استولت على سفن بجائية محملة بالبضائع[8]، كما استولوا خلالها على سفينة محملة بأمتعتها، وأجبروا حكام بجاية على توقيع معاهدة تجارية معهم[9]،وحصلوا على700ليرة[10].

وكانت سيطرة النصارى على ألمرية سنة542هـ/1147م، بداية التهديد لشواطئ البحر المتوسط فيما بين المغرب الأوسط وجنوبي الأندلس وكذلك الجزائر الشرقية، لكن ظهور الموحدين واسترجاعهم لألمرية من النصارى[11]، خفَّف من حدة القرصنة المسيحية.

وانتصر الأسطول الموحدي في إحدى المعارك البحرية قرب مدينة تنس سنة567هـ/ 1171م، بعد اصطدام القطع البحرية الموحدية بالقطع النصرانية[12].وتفيدنا رسالة موحدية مؤرخة بيوم الجمعة7رجب567هـ/1172م أن قطعتين موحديتين كانت إحداهما موسوقة بثياب للمخزن، فالتقتا بغرابين أحدهما من طرطوشة والآخر من برشلونة

---

3) رشيد بورويبة: عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي، مجلة الأصالة، العدد34-35، 1976، ص68.

4) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج1، ص208.

5) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص291؛ **وابن الأثير: الكامل، ج9، ص391؛ والهادي روجي ادريس: المرجع السابق، ج1، ص319**.

6) ابن الأثير: الكامل، ج9، ص326؛ **وابن أبي دينار: المصدر السابق، ص93**.

7) الإدريسي: نزهة المشتاق، ج1، ص268؛ **ومجهول: الاستبصار، ص128**.

8) De Mas Latrie; Traité , p.35.

9) رشيد باقة: المرجع السابق، ص121.

10) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص31؛ **ورشيد باقة: المرجع نفسه، ص220**.

11) النويري: المصدر السابق، ج24، ص420.

12) توفيق مزاري: المرجع السابق، ج2، ص412.

عند مرسى تنس يقومان بالقرصنة، فدارت بينهما معركة انتهت بانتصار القطعتين الموحديتين وأسرت ثمانين نصرانيا، وتحرير أسرى المسلمين(1).

وهذا يبين أنه مع بداية القرن السادس هجري انطلقت أعمال القرصنة بالتناوب بين الطرفين المتقابلين من البحر الأبيض المتوسط، حيث عرفت مدن المغرب الأوسط على غرار مرسى الخرز وبونة، وبجاية، وجزائر بني مزغنة، وشرشال، ووهران وهنين، نشاطا كبيرا في هذا الميدان(2).

وعلى الرغم من التدابير التي اتخذها الموحدون لحفظ أمن وسلامة البحر المتوسط والتجارة العابرة وتأمين التجارة والمارة عن طريق معاهدات السلم والتجارة التي عقدوها مع الدول الأوروبية(3)، فإن غارات القراصنة ظلت مستمرة على سواحل إفريقيا في أثناء الحكم الموحدي، حيث في سنة 582هـ/1186م عقدت معاهدة بين السلطان الموحدي وبين جمهورية بيزة تقر بمعاقبة القراصنة، فجاء في أحد بنودها"لو أن رجلا من بيزة أو من بلد خاضع لحكومة بيزة قد اتخذ البحر مسرحا لسرقة أو مهاجمة المسلمين أو أساء إليهم بأية طريقة فيوجب على حكومة بيزة مطاردته و معاقبته كمذنب"(4).

كما جاء في إحدى الرسائل الموحدية التي تبين الالتزام مع مدينة بيزة لمدة خمسة وعشرين عاما، للتجارة معها مع توفير الحماية وعدم تعرضها للقرصنة، ولكنها اقتصرت على أربعة أماكن منها سبتة ووهران وبجاية وتونس...ولا تسمح لهم النزول بغيرها إلا لضرورة كهيجان البحر(5).

وهو ما يبين التزام الأسطول الموحدي بالتصدي للقرصنة المنتشرة بين المسلمين والمسيحيين، لأن السياسة الموحدية البحرية كانت تقوم على مبدأ احترام نواميس التجارة الدولية وضمان السلامة والطمأنينة في البحار(6)، وقد حاولت الدولة الموحدية وضع حد لعمليات القرصنة البحرية سواء من جانب المسلمين أو المسيحيين بتوقيع العقوبات على هؤلاء القراصنة(7)، وذلك بغية تأمين الطريق التجاري عموما بين المغرب والمشرق.

ورغم ذلك بقي بعض الاشخاص يقومون بالقرصنة ولو بشكل فردي ففي سنة620هـ/ 1223م ألقى حاكم وهران القبض على شيني جنوي أجبر على الرسو بميناء المدينة(8).

---

1) أحمد عزاوي: رسائل موحدية مجموعة جديدة، ص83-86.

2) Christophe Picard; La mer, p. 134.

3) مريم محمد عبد الله جبوده: المرجع السابق، ص54.

4) De Mas Latrie ; Traité,p16.

والطاهر قدوري: النشاط البحري في العصر المرابطي والموحدي، ص156.

5) السيد عبد العزيز سالم، مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص263؛ **وفوزية محمد عبد الحميد نوح: البحرية الإسلامية في عهد المرابطين، ص127**.

6) رسائل موحدية، تحقيق بروفنسال، ج1، ص173-174.

7) Michele Amari; op.cit.p.66-67.

8)مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص264.

واستمرت القرصنة رغم وجود عدة معاهدات منها معاهدة عام 634هـ/1236م بين الحفصيين وجمهورية جنوة وتنص على أنه"لو أن أحد الجنويين أو أحد المسيحيين بجنوة قد اتخذ البحر لمهاجمة المغاربة المسلمين يجب على شعب جنوة أن يقبض عليه ويساق الموت دون تأخير، كما تمنح ثروته إلى هؤلاء المغاربة المسلمين"[3]، فهي تشير إلى الأمان التجاري وإدانة القرصنة والالتزام المتبادل بملاحقتها وقمعها بالقوة وكذلك تقديم المعونة وحماية الغرقى، واحترام السفن والسلع المنكوبة[4].

إلا أن اختطاف إحدى السفن الجنوية التي كانت متوجهة من إسبانيا إلى تونس، سنة643هـ/1245م قد أثار رد فعل سريع من قبل أهل جنوة، إذ أنهم توجهوا إلى ميناء بجاية فاحتجزوا سفينة محملة بالبضائع وأشعلوا النار في جميع المراكب التابعة لغيرهم، وامتدت الحرب بين رعايا الدولتين في كامل شمال إفريقيا[5].

ورغم المعاهدات التي تحاول حماية المتعاهدين التجار ورعاياهم إلا أن هناك تجاوزات منها الأمر الذي أصدره الملك"شارل سنة676هـ/1277م بمنع قراصنة مرسيليا ونيس"منطقة البروفانس"من الهجوم على الرعايا الحفصيين[6]، لكن رغم ذلك استمرت القرصنة من الطرفين.

إلا أن الأراغونيين ركزوا في أعمال القرصنة على سواحل المغرب الأدنى والأوسط، بقيادة الأميرال روجي ردي لوريا، فقد تعرضت مناطق مرسى الخزر وبونة وسوسة والمهدية لغارات السلب والنهب[7].

وقام بيدرو الثاني ملك أرغونة(674-683هـ/1276-1285م) بحملة بحرية للسيطرة على القل ومرسى الخرز في ربيع الأول681هـ/جويلية1282م واحتلها مدة شهرين ثم رحل عنها إلى صقلية[8]، ثم أعاد المحاولة

---

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص445.

3) De Mas Latrie; Traité, p16.

4) سلفاتوري بونو: المرجع السابق، ص325.

5) رغم أن السفينة كانت ملكا لمدينة بيزة، مما يبين التنافس التجاري بين المدينتين. **روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص64–65؛ ورشيد باقة: المرجع السابق، ص245.**

6) روبار برونشفيك:المرجع نفسه، ج1، ص96–99؛ **وصالح بعيزيق: المرجع السابق، ص293–296.**

7) روبار برونشفيك: المرجع نفسه، ج1، ص129.

8) حسين مؤنس:تاريخ المغرب، ج2، ص242.

الاراغونية الأميرال روجي ردي لوريا وابن أخيه يوحنا، على مرسى الخرز سنة686هـ/1288م، وخربها وهدما أسوارها[1]، وكرروا العمل سنة689هـ/1290م وحاصروا معها مدينة بونة وأسروا أهلها إلى أن طردهم منا الحفصيون[2].

وفي688هـ/1جويلية1289م قدم اليهودي الميورقي "سعدون بن عدا"شكوى ضد القراصنة(بير رويق Père Roig وجوم دي كاستيل Jaume de Castell و بير ينقردي كالفات Berenguen de Calfat)الذين استولوا على مركبته في يوم29جوان في مياه تنس[3].

وكان الجنويون يعترضون السفن التجارية للدول المجاورة والمتعاطية للتجارة مع المغرب الأوسط، إذ اعترض الجنوييون سفينة بندقية قادمة من بونة في جمادى الأولى690هـ/ماي1291م، لأنهم وجدوا عليها تاجرا من بيزة مصحوبا بحمولة كبيرة من الشمع والصوف واحتجزوها[4].

كما قام الميورقيون بالاستيلاء على جفن بوني صغير قيمة سلعه5آلاف دينار في707هـ/1307م[5]، وجفن آخر كان قد وصل من بجاية مملوءا بالبدن والبرنس قيمته أربعون ألفا[6].

وتذكر رسالة بتاريخ11ربيع الأول714هـ/25جويلية1314م وهي عبارة عن رد من خايم الثاني ملك أراغون إلى سلطان بجاية "أبي بكر" يطلب فيها من هذا الأخير بأن يعيد له سفينة عليها خمسة مسلمين وثلاثة آلاف دينار كانت قد أسرت وحملت إلى برشلونة[7].

كما كان لسكان بلاد المغرب رد الفعل اتجاه عمليات القرصنة بغزو بحري مماثل، وسلبت بضائع تاجر برشلوني" يدعى بيرو نجير تريبون" قصرا بعد هجوم من بعض الأفراد في بجاية الحفصية[8].

وقد نقل إلينا العبدري هذا الجو المشحون القائم على الغدر والقرصنة عند مروره على مدينة بونة سنة725هـ/1324م، وصادف وقت مروره زورقا للنصارى "لا تبلغ عمارته عشرين شخصاً وقد حصروا البلد حتى

---

1) ابن خلدون: العبر، ج6، ص448؛ **وابن قنفذ: الفارسية، ص150؛ وروبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص129**.

2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص448.

4) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص323.

5) Alarcon y Santon (Maximilano.A), y Garcia de linares (Ramon), éd, Los Documentos Arabes Diplomaticos del Archive de la Corona de Aragon, Madrid, 1940, p.259.

نقلا عن صالح بعيزيق: المرجع نفسه، ص139.

6) ابن خلدون: العبر، ج6، ص578.

7) صالح بعيزيق: المرجع نفسه، ص284-285.

8) Dufourcq, ch; L'espagne, p.114.

قطعوا عنه الدخول والخروج وأسروا من البر أشخاصا فأمسكوهم للفداء بمرسى البلد، وتركناهم ناظرين في فدائهم"[1].

ولم يبق تجار الدولة الزيانية مكتوفي الأيدي أمام هذه الاعتداءات بل كانوا يقومون برد الفعل من ذلك أنهم هاجموا سنة728هـ/1327م القطلانيين في عرض البحر فقتلوا سبعة عشر وأسروا بعضا منهم واستولوا على ممتلكاتهم[2].

وأورد الرحالة ابن بطوطة معلومات عن نشاط القرصنة في البحر المتوسط، فيذكر أن السفينة التي كانت تقله في أثناء عودته من الأرض المقدسة إلى جربة قد استولى عليها العدو، الصليبي قبل أن تصل إلى تونس فيقول:"فركبت البحر في قرقورة–نوع من المراكب–لبعض التونسيين صغيرة، وذلك في صفر سنة750هـ/1349م وسرت حتى نزلت بجربة، وسافر المركب المذكور إلى تونس، فاستولى العدو عليه"[3].

كما بعث في هذه السنة761هـ/1360م السلطان الزياني أبو حمو رسالة إلى ملك أراغون يشير فيها إلى التسهيلات المقدمة لرعاياه من التجار لشراء ما شاءوا، إلا أن مرسى وهران الكبير تعرض لقرصنة الكطلانيين، فأخذوا منه"جفنا موسوقا بالزرع وغيره لتجار الأندلس كانوا أرادوا التوجه به إلى بلاد المسلمين، واستولوا على الجفن بما فيه"[4]، وتكررت القرصنة في أواخر763هـ/1361م، على مرسى هنين ووهران ومستغانم[5].

ثم يصف لنا ابن بطوطة حالة الرعب التي تعرض لها أثناء سفره من تونس إلى تازا مارا بالمغرب الأوسط فيقول:"ثم سافرت من تونس في البحر مع القطلانيين فوصلنا إلى جزيرة سردانية، من جزر الروم، ...ثم خرجنا عنها فوصلنا بعد عشر إلى مدينة تنس، ثم إلى مدينة مازونة ثم إلى مستغانم ثم إلى تلمسان..ثم سافرنا منها فبينما نحن بقرب أزغنغان، إذ خرج علينا خمسون راجلا وفارسا فعزمنا على قتالهم ورفعنا علما ثم سالمونا وسالمناهم"[6].

---

1) الرحلة المغربية، ص104.

2) Dufourcq, ch; L’espagne, P.484.

و عمر سعيدان: المرجع السابق، ص79.

3) تحفة النظار، ج4، ص184.

يشير ابن بطوطة إلى هذه القرصنة التي كانت رائجة في ذلك العهد في المنطقة، ويذكر السير هاملتون كيب أن الأمر يتعلق بصقلية التي احتلها أميرها روجي دوريا Roger Dorian جربة عام 688 هـ/1280محيث بقيت إلى عام 735هـ/1335معندما استردها المسلمون. **تحفة النظار، ج4، ص184، هامش رقم 76**.

4) أحمد عزاوي: المغرب الإسلامي، ج4، ص53.

5) نفسه، ج4، ص53، 150، 160، 241.

6) تحفة النظار، ج4، ص190-192.

وفي سنة799هـ/1396م، قامت بجاية بغارة على قرية توريبلنكا Torreblancaالواقعة بمملكة بلنسية وأسروا نحو المائة رجل وامرأة وحملوهم معهم؛ فردت أساطيل بلنسية بهجومها على تدلس ونهبوها وأسروا من أهلها عددا كبيرا ثم رحلوا وكذلك بونة[1]، وأغار الميورقيون على مدينة القل سنة801هـ/1398م، لكنهم أخفقوا[2].

وقد قام أهل بلنسية وميورقة بقيادة حملة عسكرية صليبية ضد مدينة وميناء تدلس في24 ذي الحجة عام 801هـ/27أوت1398م، واستولوا عليها ونهبوها وأشعلوا النيران بها، إذ مثلت الحملة محاولة لتأديب المدن الساحلية المغربية التي تقوم بالغارات ضد السواحل الاسبانية، وهو ما يبين وجود نشاط القرصنة لسكان مدينة تنس[3].(**لاحظ الملحق رقم 13**).

كما توجهت نفس الحملة الى مدينة بونة، بقيادة بطرس دي فيلاراغوت على الأسطول البلنسي و بيرنجي دي منتاغوت، للأسطول الميورقي، لكنهم فشلوا بسبب تحصن سكانها، فعمدوا إلى القل وأحرقوها وفشلوا في حملتهم على جيجل كذلك[4]، لتقوم مدينة بجاية "مجموعة من غزاة البحر"بعد ذلك بالإغارة على سواحل ليغوريا بشمال إيطاليا قرب مدينة جنوة في ربيع عام 814هـ/1412م[5].

وفي محرم869هـ/أوت1464م أُحضر إلى مدينة تلمسان أحد عشر نفرا من الفرنج، أسروا من سواحل هنين وكانوا وردوا إليها بمركب لخطف المسلمين والإغارة عليهم[6].

ورغم سعي السلطان الحفصي ومدينة جنوة لعقد معاهدات صلح ومنع للقرصنة على غرار معاهدة ربيع الأول837هـ/9أكتوبر1433م المبرمة بين الدولة الحفصية وجنوة، إلا أنه لم يمض عليها أكثر من شهر حتى قام القراصنة بسلب التجار الجنويين في مياه ميورقة واقتيادهم إلى بونة[7].

وعلى العموم اعتبر فاليرين أن القرصنة المغاربية وقرصنة بجاية خصوصا تراجعت بعد سنة 834هـ/1430م، دون أن تختفي كليا بل استمرت في التقلص لصالح التفوق الواضح للجنويين والبندقيين والكطلانيين[8].

---

1) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج2، ص186-187؛ **وحسين مؤنس:تاريخ المغرب، ج2، ص270**.

2) ابن خلدون: العبر، ج6، ص440.

3) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص251-252، 456.

4) نفسه، ج1، ص252-254.

5) نفسه، ج1، ص194، 249.

6) لطيفة بشاري: النقل البحري، ص451.

7) روبار برونشفيك:المرجع نفسه، ج1، ص267-268.

8) دومينيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص563.

وفي سنة834هـ/1430م اعتدى مرة أخرى قراصنة مغاربة على سفن جنوية بعرض مياه المتوسط، وقاموا بنقلها بجميع من فيها من البضائع والركاب إلى ميناء بجاية[1].

كما كانت سفن أهل مدينة الجزائر تغير على جزر يابسة وميورقة ومنورقة وحتى شواطئ إسبانيا"لذلك أرسل الملك الكاثوليكي فرديناند أسطولا عظيما لحصار الجزائر، وشيد قلعة ...مقابلة تماما للمدينة تدعى البنون El Penon فاضطر أهل الجزائر إلى إيفاد سفارة إلى إسبانيا تطلب هدنة عشر سنوات مقابل بعض الخراج"[2]، وما إن علم أهل المدينة بوفاة فرديناند(ت922هـ/23جانفي1516م) حتى فسخوا الهدنة للتخلص من الخراج الذي كانوا يؤدونه[3].

ويمكن تفسير أسباب تراجع بحرية الزيانيين والحفصيين إلى عوامل التدهور الاقتصادي والتخلف الفني، ذلك أن أساليب الصناعة والتجارة التي تطبقها الدولة الحفصية تقليدية، لا تتماشى مع مقتضيات النهضة والثورة الجديدة، ومما لاشك فيه أن أهل المغرب لم ينسجوا على منوال التقدم الفني البالغ الأهمية الذي أحرزه الأوروبيون في القرون الأخيرة من العصر الوسيط، في ميدان صنع وتسيير السفن[4].

وهذا ما استدعى التدخل التركي العثماني في القرن السادس عشر، والذي أعاد التوازن في هذا الميدان بصورة مؤقتة.

---

1) روبار برونشفيك:المرجع السابق،ج1، ص265-266؛ **ورشيد باقة:المرجع السابق، ص266**.

2) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص38.

3) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص192.

4) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج2، ص98.

د) مظاهر من القرصنة على سواحل المغرب الأوسط:

يبدو أن أعمال القرصنة واعتراض سبيل المسافرين والتجار وسفن التجارة إنما هي وليدة الحروب الصليبية، فعندما عجز المسيحيون عن استرداد الأجزاء التي افتتحها المسلمون، تحولت هجماتهم إلى أعمال قرصنة، وهي حروب تعتمد على الغارات السريعة، وإحداث أكبر قدر ممكن من الأضرار على السواحل الإسلامية، ثم العودة دون الدخول في اشتباكات عسكرية(1).

وهناك أسباب عديدة شجعت على القرصنة المسيحية منها التنمية والتقدم في التجارة البحرية، بالإضافة إلى الإمكانات المتاحة التي تخدم الصراع، كذلك كان لغياب أو عدم كفاءة القوات البحرية للدولة الأمر الذي تطلب تدخل البحرية التجارية لحمايتها(2).

وكان نتيجة العناية المالية بالأسطول الموحدي أن أسهم بنصيب كبير في عمليات التوسع في المغربين الأوسط والأدنى والأندلس، كما لعب الأسطول دورا هاما في مجابهة نصارى إسبانيا إذ قام بدور حاسم في حراسة السواحل الموحدية من أي عدوان خارجي(3).

ومثلت القرصنة البحرية أو الجهاد البحري في ذلك الوقت نشاطا اقتصاديا مكملا للمبادلات التجارية وتواصلا عنيفا بين الأمم المختلفة وهي تستند إلى آليات ضبطتها الأعراف والمعاهدات(4)؛ كما أن أعمال القرصنة لا تعني بالضرورة قطع العلاقات التجارية مع أسواق البلد المستهدف.

وهنا نتساءل هل اتخذت القرصنة الاسلامية الصفة الشرعية الدينية، أي صفة الجهاد ضد النصارى؟ وهل كانت بموافقة ومباركة السلطنة الحفصية والزيانية؟ لتكون الإجابة غير حتمية، أنها وان سكتت عنها فهي تدل على الرضا لما تحققه هذه القرصنة من توازن القوى الإستراتيجية في عالم البحر المتوسط"الأوروبية والإسلامية"إضافة إلى المنفعة الاقتصادية التي تدرها القرصنة من خلال مختلف البضائع والأموال.

ويقول دوفورك:"إن عملية الأسر وبيع الرجال والنساء هي إحدى تجارة البحر المتوسط"(5)، بالإضافة إلى الغنائم التي كان يعود بها القراصنة في بضائع أموالهم.

---

1) مريم محمد عبد الله جبوده: المرجع السابق، ص53-54.

يشير ابن بطوطة إلى هذه القرصنة التي كانت رائجة في ذلك العهد في المنطقة، ويذكر السير هاملتون كيب أن الأمر يتعلق بصقلية التي احتلها أميرها روجي دوريا Roger Dorian جربة عام 688 هـ/1280م حيث بقيت إلى عام 735هـ/1335م عندما استردها المسلمون. **تحفة النظار**، **ج4**، **ص184، هامش رقم 76**.

2) De Mas Latrie ; Traité,p16.

3) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص53؛ **و رسائل موحدية، تحقيق ليفي بروفنسال، ص245-247**؛ **وعبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، ج6، ص27**.

4)ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص203، 205.

5) Dufourcq.ch; L’espagne,p.71.

ويشيد الوزان بارتفاع الغنائم ومداخيل القرصنة في بجاية، حتى أنه ربط ثراءهم بها، بقوله:" البجائيون أغنياء فهم يسلحون العديد من المراكب التي يرسلونها إلى سواحل إسبانيا"(1).

كما ذكر الوزان نشاط أهل وهران والجزائر في ميدان الغزو البحري قبيل احتلال الإسبان لهذه المدن فيقول: إن تجار وهران كانوا"يجهزون على الدوام سفنا شراعية وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة، ويجتاحون سواحل قطلونية وجزر يابسة ومنورقة وميورقة، إلى أن احتل الإسبان المدينة صيف 915هـ/1509م(2)، ويدعمه مارمول عند حديثه عن ميناء هنين، بأن سكانها آووا القراصنة وخرجوا معهم لشن الغارات على شواطئ إسبانيا(3).

ويذكر عبد الباسط الملطي في رحلته مظهرا مهما لتبادل الأسرى وفدائهم سواء في تونس أو في بجاية فقال:"...وفي يوم الأربعاء الثامن عشر ذي الحجة من سنة866هـ/1461م ورد إلى مرسى تونس وإلى مينائها اثنان من مراكب الفرنج ومعهم عدة أسرى للفدى"(4).

لقد اعتبر فاليرين أن القرصنة كانت تدر أرباحا كبيرة على الأفراد مما شجع على امتهانها في بجاية وبالتالي يعطيها الصفة الفردية خاصة في القرون الأولى(بين7-8هـ/13-14م)، ويستدل بأسرى تم القبض عليهم يمارسون القرصنة سنة827هـ/1423م، تبين أن بعضهم من تونس ومن قسنطينة وتلمسان ومستغانم ومليانة ومالقة وتركيا والأغلبية من بجاية وكان أغلبهم شباناً غير متزوجين، بل فيهم حتى المسيحيين، مما يبين أنهم اجتمعوا من أجل ممارسة هذه المهنة لطمع شخصي(5).

ونظريا القرصان المنظم هو المعترف به والذي تتحكم فيه سلطات البلاد، عن طريق رخص للقرصنة، لكن مصادرنا لا تميز في الغالب بين المنظم وغير المنظم، ففي863هـ/1458م بالبندقية تم الحديث عن القراصنة المنظمين وغير المنظمين في نفس الوثيقة الخاصة بمجلس الشيوخ دون التمييز بين المصطلحين، كما تعد المصادر العربية غامضة في هذا الشأن(6).

والقرصنة بعيدا عما يصوره الخطاب الديني، شكلت مصدرا للرزق والعيش بالنسبة لعديد الناس مثل بقية الأنشطة الاقتصادية، وكانت مهنة تُستثمر فيها الأموال وتجمع منها الثروات، وتساهم في تجديد الأسطول وفي خلق مسالك تجارية جديدة، لهذا يصعب الفصل بين البعد الاقتصادي للقرصنة والبعد الديني وكذا البعد الاجتماعي،

---

1) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص50.
2) وصف إفريقيا، ج2، ص38.
3) إفريقيا، ج2، ص296.
4) عبد الباسط الملطي: المخطوط السابق، ورقة42B.
5) دومينيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص578.
6) نفسه، ج1، ص595.

وهذا ما يجعلنا نستخدم دون حرج لعبارة الجهاد البحري أو القرصنة البحرية نظرا لتلازم تلك الأبعاد وتداخلها إضافة إلى تدخل الذاتية والعاطفة في تحديدها(1).

فأصبحت القرصنة في بجاية على غرار التجارة مصدر غنى للمدينة، إضافة إلى كونها مظهرا من مظاهر الصراع بين الإسلام والمسيحية، أي أن لها جوانبا دينية وزاوية اقتصادية(2)، ونستحضر هنا عملية تحرير32أسيراً بجائياً من ميورقة مقابل إطلاق بجاية ل12أسيراً ميورقياً(3).

كما كانت القرصنة من جانب الموحدين تشكل أحد موارد بيت المال، فضلا عن أن العبيد كانوا يمثلون يدا عاملة هامة، كما أن مسألة افتداء الأسرى تحمل أكثر من دلالة على المغزى الاقتصادي من عمليات القرصنة(4).

وبعد القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي أصبحت القرصنة وسيلة للضغط النصراني لفرض اتفاق على الطرف المسلم يتضمن امتيازات لصالح الطرف الأول، أو لفرض الالتزام باتفاق حاول الطرف المسلم التملص من بعض بنوده المجحفة؛ وقد تحدث قبيل انتهاء أجل اتفاق بين الطرفين لحث الطرف المسلم على الإسراع بتجديده تحت الشروط النصرانية(5).

إن ما يعرف بأعمال القرصنة في البحر المتوسط قبل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي كان يزاوله المسلمون ضد مراكب النصارى كجزء من الجهاد والغزو البحري، وقد نشطت هذه الغارات بعد سقوط غرناطة ونزوح الكثيرين من الأندلسيين إلى سواحل بلاد المغرب، حيث اتخذوا من موانئه مراكز لشنِّ الغارات على مراكب الإسبان وعلى سواحل إسبانيا والجزائر الشرقية" البليار" وكانت هذه الغارات–فضلا عن مشاعر الإسبان الصليبية– حافزا لقيام الإسبان باحتلال المرسى الكبير عام 911هـ/1505م(6)، ووهران915هـ/1509م، والبنيون قبالة مدينة الجزائر، وبجاية سنة916هـ/1510م لوضع حد لنشاط هؤلاء الغزاة.

---

1) محمد الطالبي: الدولة الأغلبية، ص449-450.

2) دومنيك فاليرين: المرجع نفسه، ج1، ص310.

3) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص187.

4) إبراهيم القادري بوتشيش: الجاليات المسيحية، ص92.

لقد قامت بعض الجمعيات الدينية المسيحية بتقديم مشروع إلى البابا إنوسانت الثالث يقضي بجمع التبرعات والصدقات لتحرير العبيد من بني جلدتهم، وقبل البابا، واتصل بالخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور في رسالة مؤرخة ب 8مارس1198م/495هـ، يطلب منه تسهيل مأمورية البعثة الدينية التي أرسلها لافتداء الأسرى، وقد رد الخليفة ردا إيجابيا حيث رحب بالبعثة وأمر بتسهيل مهمتها وتمكنت من افتداء340 أسير في الجزائر وكان ذلك سنة607هـ/1210م **Mensage ; op, cit, p.18,19, 44.**

5) أحمد عزاوي: مقالات تاريخية، ص176.

6) أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص192.

ومع ذلك تقر الباحثة مريم محمد أن القرصنة سواء الإفريقية أو الأوروبية قد ضربت مصالح الطرفين نظرا للخسائر المادية والبشرية، وفقدان الأمن في البحر المتوسط بالنسبة لممارسة أعمالهم التجارية المشروعة فانعكست القرصنة سلبا على التجارة[1]، كما انعكست سلبا على المدن الساحلية وموانئها فتضرر ميناء بونة وجيجل والقل وشرشال وتنس وغيرها[2].

كما حدث من تحركات ورحلات وأسفار الأشخاص والتجار والحجاج وفي هذا يذكر الغبريني أنه لم يستطع السفر من تونس إلى بجاية عن طريق البحر بسبب وجود أجفان غزوانية للنصارى في مرسى تونس فاضطر إلى السفر في البر[3].

وعلى العموم يصعب التمييز بين القرصنة واللصوصية والجهاد البحري، كما أن هذه العملية كانت متبادلة بين الطرفين، ولكن قرصنة الأوروبيين أكبر وأكثر باعتراف دو ماس لاتري بقوله:"إنه إذا ما حاولنا البحث عمن مارس القرصنة أكثر من الآخر، الجانب الإسلامي أم الجانب المسيحي، فإنه يتبين عند إحصاء العمليات التي كان البحر الأبيض المتوسط مسرحا لها ما بين القرنين5 و10هـ/11 و 16م فإن مسؤولية الجانب المسيحي في هذا المضمار أكبر بكثير من مسؤولية الطرف الإسلامي، وبرغم ذلك فلقد تعودنا إلقاء هذه المسؤولية كاملة دون تمحيص على المسلمين"[4] .

1) المرجع السابق، ص62.

2) عبد الحليم عويس:المرجع السابق، ص202.

3) عنوان الدراية، ص118.

4) De Mas Latrie ; Relations, Op. Cit, p.408-411.

هـ) الرباطات البحرية:

تعد الرباطات البحرية[1] إحدى منشآت العمارة العسكرية التي اعتنت بها الدولة الإسلامية تنظيما وإدارة وتموينا، إلى جانب بنائها الأسوار والقلاع والحصون الساحلية والداخلية؛ وذلك منذ الفتح الإسلامي لإفريقية، أما الدافع الأساسي لإقامة هذا النوع من المنشآت العسكرية يرجع بالدرجة الأولى لخطر الغارات البحرية البيزنطية المفاجئة من قواعدهم في صقلية وسردينية وجنوب إيطاليا[2]، ثم تبعتها غارات النورمان على مراسي بونة وجيجل وشرشال وتنس مابين سنتي537-539هـ/1142-1144م[3].

وليس هناك ما يشير إلى احتواء سواحل بلاد المغرب على حاميات هامة، وكان مجمل الساحل مليئا برباطات وأبراج مراقبة باستطاعتها الإنذار بهجوم وهذا من خلال نظام إشارات ضوئية، إلا أن هذه المدن الساحلية القوية لم تتمكن من إنشاء خط دفاعي قابل لوقف زحف الجيش[4]، لكن الأهم في كل هذا هو وظيفة هذه المؤسسات بين العسكرية والدينية والاجتماعية والاقتصادية، وفي نجاحها في التصدي للقرصنة على سواحل المغرب الأوسط.

وقد عرفت بلاد المغرب عدة مصطلحات للرباط منها القصر أو الحصن والثغر والمحرس والرباط، والكَلاّء وغيرها من التسميات[5].

1) الرباط والمرابطة: ملازمة ثغر العدو، وأصله أن يربط كل واحد من الفريقين خيله للفريق الآخر، ثم صار لزوم الثغر رباطا ... والرباط :المواظبة على الأمر... وفي الأصل الإقامة على جهاد العدو بالحرب...والمصدر الرباط، أي الملازمة، وقيل هو اسم لما يربط به الشيء ويشد، وجمعه الرُّبُطُ، وقيل الربيط: الراهب والزاهد.**ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج 7، ص 303**، ويعني ملازمة المكان والثبات فيه على قوله تعالى "اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون" **آل عمران الآية200**، ويشمل معنى الإحاطة به وكذلك الإقامة المستمرة، ويعني المواضبة على الشيء ، وأصبح في العصر العباسي يقصد به أي مكان محصن كالقلعة أو برج المراقبة أو خندق أو الخان أو مدينة ...**محمد الأمين بلغيث: الربط، ص34-35؛ و عمر عبد السلام التدمري: الرباط والمرابطون في ساحل الشام من الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، 1981، ص77.**

الرباط جمعه ربط ورابطات وأربطة رباطات مشتق من فعل ربط أي شد. **ناجي جلول: الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، المطبعة الرسمية، تونس، 1999، ص15-16.**

2) حميدي مليكة: المرجع السابق، ص75.

3) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص313؛ و**أماري ميخائيل: المكتبة العربية الصقلية، ص373؛ و موسى هيصام:المرجع السابق، ص92-93.**

4) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص78.

5) الكَلاّء:من أسماء الثغور البحرية ويعني مرفأ السفن.**حميدي مليكة: المرجع السابق، ص77-78.**

وجرت العادة أن تكون الرباطات فوق هضاب صغيرة على الساحل لكشف السفن المعادية أو سفن القراصنة من مسافة بعيدة[2].

لقد كانت سواحل المغرب الأوسط من تابحريت إلى مرسى الخرز شرقا عامرة بالموانئ البحرية والمسماة بالثغور أيضا لذلك أنشئت مصلحة فرعية تابعة لقيادة البحر تعرف بولاية الثغور إذ تولاها قائد خبير بأمور البحر له النظر في مختلف المحارس والقلاع البحرية وأول من أحدث هذه المصلحة الأمراء من بني المهلب الذين بدأ عهدهم سنة171هـ/787م[3]، وبقيت هذه المصلحة قائمة بذاتها إلى عهد الدولة الفاطمية، وقد كثرت هذه المحارس والثغور مثل وهران وجزائر بني مزغنة وبجاية وجيجل وسكيكدة وبونة ومرسى الخرز، حتى بلغ عددها في بلاد المغرب ككل أكثر من عشرة آلاف حصن مبني بالحجارة والكلس وأبواب الحديد[4].

كما يذكر ابن حوقل احتواء مرسى الدجاج على سور يحميها[5]، من الهجمات البحرية ويدعم ذلك الإدريسي باحتوائها لحصن دائر بها، إلا أنها لم تستطع هذه الأسوار حمايتها من ضربات الأساطيل الأجنبية، لهذا يفر أهلها صيفا[6]، على غرار جيجل التي يرابط أهلها صيفا في الجبال المطلة على البحر لصد أي هجوم من الأساطيل الأجنبية[7].

ثم أنشأ الحماديون رباطاتهم على المنفذ البحري المتوسطي لأغراض متعددة، منها العوامل الاقتصادية المرتبطة بدعم مكانة بجاية عاصمتهم الثانية، والعامل الديني المرتبط بالجهاد البحري ومرابطة الثغور[8]، ومن أهم هذه

---

2) البكري:المغرب، ص35؛ **والمالكي: رياض النفوس، ج2، ص240-241.**

3) ابن عذارى:المصدر السابق، ج1، ص84.

4) مرمول محمد الصالح: المرجع السابق، ص219.

5) ابن حوقل:المصدر السابق، ص77.

6) نزهة المشتاق، ج1، ص259؛ **والحميري: المصدر السابق، ص539.**

7) الحميري: المصدر نفسه، ص184.

8) موسى هيصام: المرجع السابق، ص92-93.

الراباطات رباطات شرشال التي ذكرها البكري بأنه يجتمع إليها خلق كثير[1]، ورباط مغيلة القريب من مدينة تنس والذي اتخذ موقعاً لمواجهة إمارة سردينيا بجنوب أوروبا وكذا رباط ملالة[2].

ونجد في جهة الغرب مجموع دفاعي قرب تلمسان يحتوي على رباط ساحل ندرومة"يقع هذا الرباط على النهر الذي يعبر المدينة والتي تبعد عن البحر بمسافة ميلين، وهما"حصنان ورباط حسن مقصود يتبرك به"[3]، وفي تاونت(لالة غزوانة بالغزوات حاليا) لم يبق من حصنها سوى ثلاثة أبراج مراقبة موصولة فيما بينها بسو وفي مدينة هنين توجد أبراج عدة لأسوار المدينة منها المحارس المسماة"الطلائع"الموجودة في المكان المسمى سيدي إبراهيم، والبرجين الآخرين الموجودين بطرف ساحل البحر شرق ميناء هنين، وبرج أولاد أعمر(ببلدية بني خلاد)الذي يقع شرق هنين، وأخيرا حصن أو مرسى الوردانية[5].

وعن برج أولاد عمر"بني خلاد" الذي بني في العصور الوسطى ويرتفع عن سطح البحر ب170م مقابلا لجزيرة"المخروم"في البحر بين مرفأي الوردانية شرقا وآقلة غربا، يبدو أنه بني لرقابة الميناء[6]، أو للتصدي خاصة لحملات النورمان والإسبان[7].

ووهران مع سورها الترابي فقط، وبالقرب منها مرسى الدجاج[8] الذي تحيط به تحصينات مع عدد قليل من السكان، وأخيرا مستغانم الواقعة على ربوة ومحاطة بسور، والشبكة الأكثر ضعفا في تنس المحاطة في قسم منها بأسوار ثم برشك التي لها سور ترابي على ربوة، ودلس التي لها رأس عال محاط بأسوار صلبة، ومن بين كل تلك الموانئ تظهر الجزائر لوحدها كانت صعبة، وكلما اقتربنا من بجاية زادت الحصانة[9].

وقد استخدمت هذه الرابطات والحصون وسائل سريعة لتبادل الأخبار ورصد تحركات العدو بواسطة الإشارات والمرايا العاكسة نهارا، مثل المرايا التي ثبتت على قصر"أميمون الحمادي" وقصر النجم وقصر اللؤلؤة ببجاية

1) البكري:المغرب، ص62.

2) بلغيث:الربط، ص194.

3) البكري: المغرب، ص81، 135.

5) جواد خالدي: المرجع السابق، ص15-16.

6) Khalifa Abd rrahmane ; Honaine, p.292.

7جواد خالدي: المرجع السابق، ص50.

8) أبو الفدا: المصدر السابق، ص126.

9) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص77.

خاصة في عهد المنصور الحمادي حيث بنى مرصد شوف الرياض الذي يقابل أعلى قمة في الجبال الداخلية وهي قمة تاقربوست المطل على قلعة بني حماد[1]، وفي الليل تستخدم النار كبديل عن المرايا، حيث إذا أحس أي ثغر بخطر خارجي أوقد نارا يراها المحرس الذي يليه وهكذا حتى تستعد كل المحارس لرد الخطر في وقت قصير[2].

واهتم عبد المؤمن بوسائل الدفاع الساحلية لمنع نزول الصليبيين الأراضي المغربية، فأنشأ القصور والقلاع والرباطات ذات المناور أو الطلائع التي تشعل النار على قممها ليلا وينبعث منها الدخان نهارا لإنذار الأهالي في حالة وقوع غارة بحرية معادية، هذا إلى جانب استخدام الطبول الضخمة للغرض نفسه، وهي تقابل الأبواق عند المسيحيين[3].

ولما استولى السلطان المريني أبو الحسن على الجهة الغربية من المغرب الأوسط منها تلمسان ووهران وهنين سنة736هـ/1335م[4]، لم يدخِّر جهدا في تحصين الساحل البحري من خلال محارس ومناظر تمتد من الجزائر إلى مدينة آسفي المغربية، بحيث لو اشتعلت النار في واحدة يصل خبر دخول العدو في ليلة واحدة أو أقل في مسافة تسير فيها القوافل نحو شهرين[5].

ولا يخفى على أحد ما قامت به الرُّبُط[6]، في الجانب البحري وفي التصدي للمعتدين في القرنين السادس والسابع الهجريين/الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين خاصة أصحاب رباط شاكر ورباط تينمل دار الموحدين وأهل مدينة العباد قرب تلمسان وفيه مدفن أبي مدين الغوث[7].

مع العلم أن بونة(بها رباط أبي مروان العابد الشهير[1]) ومرسى الخزر ملالة وشرشال وهنين ووهران بها رباطات واضحة المعالم[2]، أما المدينة التي يتضح فيها دور الرباط العمراني فهي مدينة تلمسان حاضرة المغرب

---

1) موسى هيصام:المرجع السابق، ص92-93.

2) مرمول محمد الصالح: المرجع السابق، ص219.

3) السيد عبد العزيز سالم، مختار العبادي: تاريخ البحرية الإسلامية، ص254-255.

4) ابن خلدون: العبر، ج7، ص339.

5) محمد ابن مرزوق التلمساني: المسند الصحيح، ص398؛ **وجواد خالدي:المرجع السابق، ص21**.

6) يمكن أن تكون قصور طرابلس الغرب وقاعدة المغرب الإسلامي"القيروان"هي فجر حركة الرباط والمرابطة في هذه المنطقة، والرباط المغربي في أصله نواة ومؤسسة دينية وعسكرية، قبل استقطاب الناس حوله لأنه عبارة عن معسكر ضخم به أهل الرباط وحماة الثغور وكان للرباط من الرجال والمئونة والخيل ما يحقق الاكتفاء الذاتي. **محمد الأمين بلغيث: فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، طبع أنتر سينيي، الجزائر ، ط1، 1428هـ/2007م، ص14، 58.**

7) عبد العزيز بن عبد الله: مظاهر الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، الرباط، ط1، 1960 ، ص64.

الأوسط في عهد الزيانيين، ويقول العبدري"وعليه رباط مليح مخدوم مقصود الدائرة بالبلد كله المغروس بالكروم وأنواع الثمار وسوره من أوثق الأسوار وأصحها وبه حمامات نظيفة ومن أحسنها وأوسعها حمام العالية[3].

وعرفت المدينة على عهد الموحدين تحصينات ومعاقل حتى أصبحت من أعز معاقل المغرب وأحصن أمصاره ووفد عليه الناس من كل أنحاء الغرب الإسلامي فأضحت تلمسان وارثة لحواضر الساحل والداخل كأرشقول وتيهرت بعد تخريب ابن غانية[4].

وكانت المدن الساحلية تتضرر من جراء الغزوات المفاجئة فاضطر الناس إلى تحصين الساحل، وحشد الجند والمحتسب وهذا للحيلولة دون نزول الجنود البيزنطيين، أو البحارة القراصنة إلى البر، فأصبح السكان يرون في تلك المرابطة لونا من ألوان الجهاد في سبيل الله[5].

وكان من نتائج احتلال الإسبان لمدينة وهران أن هجرت مدينة هنين ونزح سكانها، أما مدينة تبحريت بالقرب من ندرومة، فإن أهلها"يعيشون في خوف دائم من هجوم النصارى عليهم ليلا، ولذلك يقيمون حرسا يقظا في كل ليلة"[6]، لكنهم أصبحوا أكثر راحة منذ أن غادروها[7].

وكذلك حصن المرسى الكبير الذي يقع في نهاية امتداد اللسان البحري الذي يشكله جبل سانتون بحيث يؤلف شبه جزيرة صغيرة تمتد من الغرب إلى الشرق بطول900م وعرض200م يتميز القسم الداخلي منه المتصل بالأرض بارتفاع نسبي حوالي35م، وهذا الامتداد في البحر يجعل من النتوء الطبيعي الذي يحتله حصن المرسى الكبير حاجزا طبيعيا في اتجاه الشرق، مما جعل الطبيعة تهيئ هذا الحصن ليكون موقعا دفاعيا حصينا ونقطة ارتكاز حربية

1) نسبة الى أبي مروان عبد الملك بن مروان بن علي القطان الأندلسي الاسدي المعروف بالبوني نظرا لاستقراره في بونة للمرابطة، وهو من رجال القرن الخامس هجري، كان من أبرز الفقهاء له تآليف منها"شرح لطيف على موطأ مالك بن أنس"، بقي مرابطا ببونة حتى توفي بها سنة 440هـ/1048-1049م.**موسى لقبال:دور كتامة، ص139**.

2) عبد الأحد السبتي، وحليمة فرحات: المدينة في العصر الوسيط، قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994م، ص71.

3) الرحلة المغربية، ص49.

4) يحيى بن خلدون: بغية الرواد، ج1، ص92 .

5) حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957، ص129؛ و **محمد الأمين بلغيث: الربط، ص116**.

6) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص15.

7) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص296.

قادرة على الدفاع عن المناطق الوهرانية، وقد أنشأ هذا الحصن خلال العهد المريني على وهران حوالي عام 738هـ/1337م[1].

●أهم الرباطات:

أنشئت في المغرب الأوسط العديد من الرباطات لمواجهة العدوان الخارجي ومختلف عمليات القرصنة، وكانت نشأتها مبكرة رغم عدم قدرتنا على تحديد تاريخ دقيق[2]، إلا أن هناك إشارات بأن الخليفة العباسي المتوكل(232-247هـ/847-861م) هو من أمر بتشييد الحصون والمرابط على ساحل البحر المتوسط لصد غزوات الروم سنة239هـ/854م[3]، وهنا يقصد بالمرابطة صفة ملازمة الثغر والحصن والتأهب لملاقاة العدو[4]، فالرباط كلمة أطلقت في أول الأمر على بناية مستقلة يرابط فيها المسلمون للجهاد في سبيل الله، ورغم الطابع العسكري والدفاعي فقد كانت هذه الرباطات تقوم بأدوار دينية وتعليمية وحتى اقتصادية واجتماعية[5].

وكانوا يتسابقون إلى الرباط يحرسون عورات المسلمين وينالون الشهادة دفاعا عن عقيدتهم، فكانت الرُبط في البداية مجرد حصون تقام في الجهات الأكثر تعرضا لغارات العدو[6]، بل نجد من الفقهاء من أفتى بأن أهل الثغور المجاورة لمكان الصيد العام تعطى لهم الأولوية ويقدمون على غيرهم في شراء الصيد لأنهم من سكان الحصون تبجيلا وتقديرا لهم[7].

ولم تكن الرباطات مجرد منعزلات للزهاد والنساك بل مثلت وحدة مكلفة بحراسة الثغرات المحتملة، وهي الموانئ والمراسي والمدن الساحلية، فالرباط هو موضع الحرس في الأوقات التي يتوقع فيها العدو فلو كان العدو حاضرا أو

---

1) ناصر الدين سعيدوني: حصن المرسى الكبير، ص268، 272.

2) عن أول رباط في بلاد المغرب الإسلامي يحدده محمد الأمين بلغيث برباط القيروان الذي بناه عقبة بن نافع الفهري عند قيامه بفتح بلاد المغرب، سنة 51هـ/671م.**الربط بالمغرب، ص99-100**.

3) سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967، ص91.

4) ناجي جلول: المرجع السابق، ص15-16.

5) أنشأت الرباطات أول الأمر بالمشرق في مطلع الدولة العباسية، وهي عبارة عن ثكنات عسكرية وأمكنة لتجميع الجيوش للدفاع عن ثغور الدولة ودفع المغيرين والمهاجمين من النصارى، غير أن أربطة المغاربة كانت أكثر نفعا وأبعد أثرا إذ مهمته لا تقتصر على التربص بالعدو على الثغور، بل أصبح معهد علمي تدرس به سائر العلوم وخاصة الدينية، كما يعتبر مكتبة جامعة تضم نفائس الكتب وهو دار لنسخ الكتب ومستشفى للمرضى.**محمد الأمين بلغيث: الربط بالغرب، ص267**.

واعتبر موسى لقبال أن الرباط حركة ناتجة عن الفتح مثل النتائج الأخرى التي جاءت بعد الفتح"كنشر الإسلام، وحركة الهجرة". **موسى لقبال وآخرون: العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص32**.

6) حسن أحمد محمود: المرجع السابق، ص129.

7) الونشريسي: المعيار، ج2، ص5.

توقع حضوره فهو الحرس[1]، كما كانت تخرج منها العديد من الغارات التي توجه ضد سواحل وجزر الحوض الغربي للمتوسط إلى كل من صقلية وسردينية[2]، إضافة إلى تخصص بعض الرباطات بالصيد البحري[3].

وكان على سواحل المغرب الإسلامي ولاسيما البحر الشامي ما يقارب من ألف رباط من الإسكندرية إلى طنجة[4]، لحماية الثغور وحراستها ووقايتها من الصليبيين والغزاة، وكانت تتخذ المواقيد لطلب الإمداد إذا ما حدث هجوم مفاجئ مثلما هو الحال للساحل الممتد من صافي إلى جزائر بني مزغنة[5]، ومن حسنات هذه الظاهرة العسكرية الدفاعية أنها بمرور الزمن تحول غالبيتها إلى مدن زاهرة وهو ما يفسره كثرة العمران والاستقرار بالسواحل[6].

وتؤكد المصادر على أهمية هذه الثغور وكذلك الموانئ التي تعتبر من الثغور التي يجب حمايتها مهما كان شأنها بواسطة شبكة من التحصينات الساحلية تمثل الأربطة إحدى ركائزها الأساسية، إلى جانب الحصون والأسوار والقصبات[7]، كما تشير المصادر إلى أسوار عدة مدن ساحلية تمثل القاعدة الأولى لمواجهة الحملات البحرية كمدينة تدلس التي قال عنها الإدريسي"على شرف متحصنة لها سور حصين وآثار"[8].

وفي هذه الأثناء ظهر البحريون غزاة البحر من الفدائيين والمرابطين الذين أسسوا مجموعة من القلاع الخلفية في المغرب الأوسط، تحميهم من الأخطار البحرية وهي تنس ومرسى الدجاج ومرسى بونة ومرسى الخرز ومرسى وهران[9].

ويلمح ابن حوقل إلى وجود رباط بمدينة بونة من خلال وجود عامل فاطمي قائم بنفسه يتمتع بالاستقلالية وتساعده وحدة عسكرية من البربر مرابطة في المكان إذ يقول:"مدينة مقتدرة ...على نحر بحر...ولها عامل عليها قائم بنفسه، ومعه من البربر عسكر لا يزال كالرابطة"[10]، لأسباب أمنية تتمثل في مراقبة حركة السفن في البحر المتوسط وكذا التحركات البرية على مستوى المسالك البرية الرابطة بين القيروان وقسنطينة وبجاية، مما يبرر لنا

---

1) البرزلي: المصدر السابق، ج2، ص30.

2) محمد الطالبي: المرجع السابق، ص27، 52.

3) أحمد بوقطفة: الموانئ والمراسي بإفريقية من الفتح إلى انتقال الفاطميين إلى مصر، بحث لنيل شهادة التعمق في البحث،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1998، ص81-82.

4) عبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب، في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص292-293.

5) عبد المنعم ماجد: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1986، ص75.

6) محمد الأمين بلغيث: الربط، ص299.

7) عبد الكريم الشبلي: الموانئ بالساحل في العهد الأغلبي، المزاق القديم وبلاد الساحل، تونس، 2005، ص19.

8) نزهة المشتاق، ج1، 259.

9) عصام سالم سيسالم: المرجع السابق، ص84.

10) ابن حوقل:المصدر السابق، ص77، 213.

التخوفات الحمادية فيما بعد من الغارات الأوروبية على المستوى البحري، وزحف القبائل الهلالية، بل ذهب البعض إلى اعتبار بونة ضمن المسالح والحصون والرباطات التي زرعها الأغالبة على ساحل شمال إفريقيا حارسة لسواحلها من بيزنطة ومجهزة الرجال والسفن للغزو[1].

قال البكري"كان لمدينة شرشال ميناء أُرتدم وفيها رباطات...يجتمع إليها في كل عام خلق كثير"[2]، ويبدو أنه عدد كثير من الرباطات كانت قائمة بمدينة وميناء شرشال مما يجعلنا نعتقد تنوعها بين الديني والعسكري، لمراقبة حركة الملاحة بالميناء والتصدي لغزوات وغارات النورمان خاصة حيث تعرضت لاعتدائهم سنة538هـ/1144م[3].

وبالتالي ظهر في المغرب الأوسط عدة رباطات منها ببونة(رباط أبي مروان يكنى أبا عبد الملك البوني العابد الشهير من رجال القرن الخامس الهجري)[4] ومرسى الخزر وشرشال وهنين ووهران(رباط صلب الفتح أو الكلب)[5] إضافة إلى رباط تاسكدلت الواقع في الجهة الجنوبية الغربية لوهران، وهو موضع لإقامة الصلاة أهدي إلى عبد الحميد بن الفقيه أبي زيد اليزناسي"[6] لذلك سمي الرباط باسمه، والأكيد انه لم يقتصر على العبادة فقط باعتبار الجهاد جزء منها وبالتالي استعمل في الدفاع عن المدينة والتصدي للهجومات البحرية

وهناك رباط بجاية أو ملالة الذي كان فيه عبد الواحد عمر التونسي[7] وزاوية أو رباط الزواوي[8] ووجد هناك رباط معروف في مدينة أخرى لا تقل عن تلمسان أهمية في العهد الموحدي هي مدينة بجاية، وفيها رباط أبي محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الأزدي، عرف بابن يبكى، من أهل قلعة بني حماد، صاحب الرابطة

---

1) ليلى الصباغ: المرجع السابق، ص142.

2) البكري: المغرب، ص82؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص268.**

3) الطاهر طويل: المرجع السابق، ص314؛ **والأسعد شوشان: المرجع السابق، ص341.**

4) محمد الأمين بلغيث: الربط، الهامش 156، ص145.

5) لما نزل تاشفين بن علي وهران سنة539هـ/1145م صعد رباط صلب الفتح، الذي عرف في العهد المرابطي برباط صلب الكلب. **مجهول: الحلل الموشية، ص132.**

وللمزيد عن هذا الرباط أنظر **الراشدي: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر، ط1، 2013، ص193.**

6) ابن خلدون: العبر، ج7، ص126.

7) ابن القطان: نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان (الجزء السادس منه فقط)، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1990، ص77؛ **ومجهول:الحلل الموشية، ص106.**

8) ابن الحاج:فيض العباب، ص128.

المعروفة برابطة ابن يكى، بداخل باب أمسيون، من أعلى سند ببجاية[1] و فيها قبره رحمه الله وقد توفي في القرن السابع الهجري[2].

إضافة إلى رابطة الزيات،التي ذكرت في ترجمة رجل مجهول فقال:"حدثني أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد الأنصاري قال:كنت ليلة ببجاية برابطة الزيات، وكان معي أبو علي منصور الملياني، فقمنا إلى وردنا في ليلة ممطرة"[3] وكما هو منصوص عليه في الترجمة، توجد هذه الرابطة بمدينة بجاية، كما يظهر أيضا أنها كانت مجمعا للصوفية[4]، وربما كانت على غرار رباطات إفريقية والمغرب الأقصى التي تمتعت بوجود فرق خاصة تسمى"جيش الأبدال" وهي كتيبة من الجند يعوضون الحامية القديمة المستقرة في الرباط والتي طال تجميرها"[5].

كما وجد فيها رباط خارج السور في حومة رابطة المتمني، وهو رباط داخلي، بالإضافة إلى حصن الناظور وهي تسمية يرى ناجي جلول أنها كانت تطلق على منائر الرابطات[6]، كما أن البروج الثلاثة التي تقع على مستوى"برج سيدي عبد القادر" تشكل تحصينات للدفاع عن المدينة[7]، كما رمم القائد الاسباني بيار دي نافارو سنة915هـ/1509م قلعة فوق الجبل أطلق عليها"برج البحر"كبرج للمراقبة ورباط للدفاع عن المدينة[8].

أما المدينة التي يتضح فيها دور الرباط العمراني فهي مدينة تلمسان من خلال رابطة العباد وزاوية شالة[9].

ويعود سبب كثرة الرُبط من شرق المغرب إلى غربه كرباط شرشال وأرزيو ومرسى مغيلة ورباط وهران هو التعاون فيما بينها للحد من الخطر البحري الخارجي وكذا محاصرة البرغواطيين في تامسنا[10].

وأشار البكري خلال القرن الخامس الهجري إلى مدينة مغيلة بني هاشم التي احتوت على رباط يقع"على ضفة البحر مسكون وماؤه كثير وبينه وبين قصر الفلوس خمسة وثلاثون ميلا"[11]، ويبدو أنه رباط عسكري بدأ كنقطة مراقبة وتحصين ليتحول إلى مدينة مسكونة تتصدى للغارات الساحلية.

---

1) الحفناوي : المرجع السابق، ج2، ص222.

2) عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، نشر مؤسسة نويهض الثقافية، ط4، 1983، ص352.

3) التادلي: المصدر السابق، ص330.

4) ابن قنفذ: أنس الفقير، ص37.

5) المالكي: رياض النفوس، ج1، ص197، ج2، ص129.

6) ناجي جلول: المرجع السابق، ص62.

7) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص377.

8) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ص415؛ **ودومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص100**.

9) العبدري: المصدر السابق، ص9-10.

10) محمد الأمين بلغيث: الربط، ص145.

11) البكري: المغرب، ص81؛ **والبكري: المسالك، ج2، ص267؛ والطاهر الطويل: المرجع السابق، ص314**.

قال التادلي متحدثا عن أبي محمد عبد السلام التونسي:"ودفن بالعُبَّاد في الرابطة المعروفة برابطة التونسي"[1]، فالرابطة إذن توجد بالعباد، القرية الواقعة بضواحي تلمسان يوجد بها ضريح الشيخ أبي مدين الغوث، وعرفت بكونها مدفنا لعدد كبير من العلماء والصالحين، فهذا هو مكان الرابطة المذكورة، أما عن تاريخ إنشائها، فالواضح أنها من الرابطات القديمة، وهي منسوبة للتونسي المذكور في الترجمة، ومعلوم أن هذا الأخير عاش زمن المرابطين، وتدون المصادر أن أمير تلمسان مزدلي بن تلكان أحد أقارب يوسف بن تاشفين زاره هناك للتبرك به وأكل طعامه، وبما أن هذا الأمير توفي غازيا في عام 508هـ/1114م، فالأكيد أن الرابطة ترجع إلى العصر المرابطي.

وذكر الإدريسي رباط تكوش، بقوله:"وبه قوم ساكنون"[2]، وهو أول مصدر يشير إليه مما يبين أنه أنشأ أواخر القرن الخامس وبداية القرن السادس الهجري، أي بالتزامن مع الحضور الموحدي بالمنطقة، والأكيد أنه صبغ بطابع ديني"التصوف"إضافة إلى المهمة الاجتماعية كالتخزين.

وتبرز أهمية هذا الرباط من خلال موقعه الذي يحتله في أعلى نقطة بساحل المغرب الأوسط، الأمر الذي جعل أحد الباحثين يفترض أن موضعه يقع في طرف الرأس الذي تتقدمه جزيرة عمر، ليراقب بذلك حركة الملاحة من الجهتين الشرقية والغربية[3].

وواصل الأسعد شوشان فرضيته بأن يحتوي الرباط الذي اندثرت معالمه على أبراج لعبت دور المنارة التي تهتدي بها السفن المتوجهة إلى ميناء المدينة أو نحو بونة شرقا أو مرسى الروم غربا، وهو ما يجعل هذا الرباط نقطة متقدمة تحمي وتنذر عبر إشعال المواقيد كامل الساحل المجاور لها من الناحيتين الشرقية والغربية في حال حصول أي هجوم[4].

وقد اعتمد كريستوف بيكار على نص ابن مرزوق ليؤكد أن كامل سواحل بلاد المغرب الأوسط خاصة الغربية منها تحتوي على محارس ومناظر تشعل في الليل وترسل إشارات متكررة يستطيع هذا الساحل من خلالها أن يتواصل خلال الليلة الواحدة[5].

---

1) التشوف، ترجمة 13، ص 110.

2) نزهة المشتاق، ج1، ص275.

3) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص329-330.

4) نفسه، ص330.

5)Christophe Picard ; L'Océan, p. 91.

وقد أشار الإدريسي إلى تراجع سكان مدينة ومرسى القل نحو الجبال في فصل الصيف تاركين مهمة حمايتها لرجال قبيلة كتامة وغيرها[1]، باعتبار أن هذه الأخيرة مستقلة عن السلطة المركزية ولا تدفع المغارم وتحمي مجالها بنفسها عن طريق المرابطة في الجبال المطلة على الساحل مشكلة حصوناً طبيعية تدافع عن المدينة.

ولا ننسى الإشارات المتفرقة في مختلف المصادر التي تدل على وجود شبه رباطات أو محارس، كقول الوزان عن مدينة سكيكدة"أنشأ أيضا قرية في أعلى جبل مجاور يقيم بها حارس على الدوام للاختبار بالسفن المتجهة نحو الميناء"[2]، أي أن غرضها أمني وملاحي أي لحراسة اعتداءات الجنويين وتوجيه السفن ليلا بواسطة النيران، خاصة ونحن نعلم الحركية التجارية الكبيرة للسفن في هذه الفترة.

كما ذكر الحميري وجود"رباط يقصد إليه"[3] في ميناء ومدينة أرزاو، وهو على ما يبدو رباط بحري يقع على مستوى المدينة ليراقب حركة الملاحة مشكلا بذلك خطاً دفاعياً أمامياً متقدماً مهمته حماية الميناء والمدينة[4].

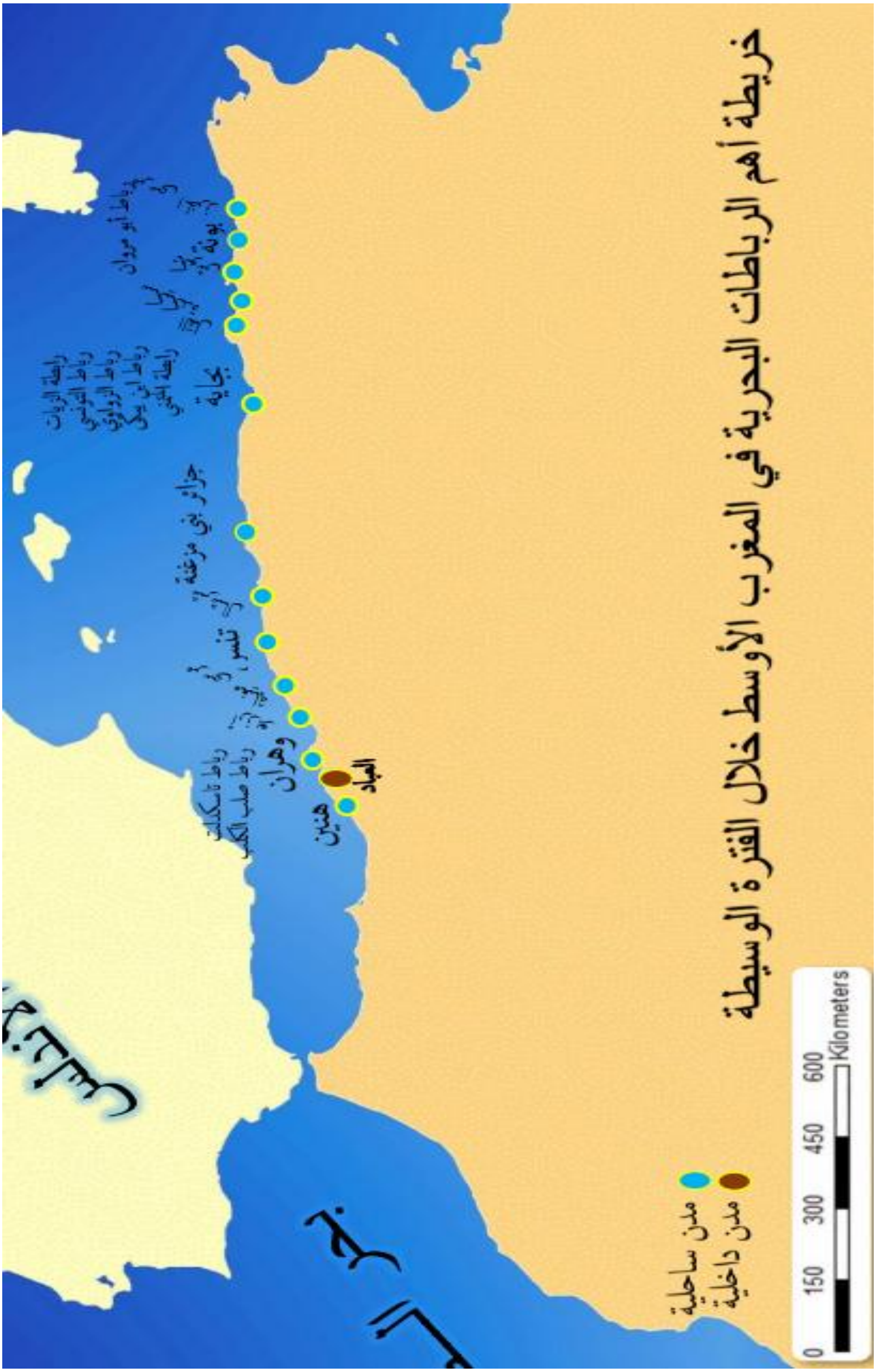
---

1) نزهة المشتاق، ج1، ص274.

2) وصف إفريقيا، ج2، ص55.

3) الروض المعطار، ص58.

4) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص348؛ **والطاهر طويل: المرجع السابق، ص314**.


خريطة أهم الرباطات البحرية في المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة
جزائر بني مزغنة
تنس
وهران
هنين
بجاية
بونة
مدن ساحلية
مدن داخلية
0 150 300 450 600
Kilometers

4)المؤسسات البحرية والتجارية في المغرب الأوسط"الوظائف والخدمات"

إن الأهمية الاقتصادية للبحر المتوسط كانت تتمثل في العلاقات التجارية التي لم تنقطع عبر العصور التاريخية، وبلغت درجات من التطور بين القرنين السادس إلى الثامن هجري/ الثاني عشر والرابع عشر الميلاديين، كونها أصبحت مرتبطة بمعاهدات واتفاقيات تجارية.

وبالتالي هيأت الجو العام للعلاقات الأوروبية مع المغرب الأوسط عدة أشكال للحضور البحري التجاري عبر عدة مؤسسات[1] مهيمنة على المشهد العام لمختلف المدن الساحلية وموانئها، وارتبط وجود المؤسسات البحرية في أغلب الأحيان ببنية تحتية وبهياكل قاعدية لابد من توفرها، حتى تكون منظومة بحرية متكاملة، منها الفنادق والمخازن ودور الصناعة، وغيرها مما ارتبط بالظروف السياسية والاقتصادية[2]، سواء كانت تحت تبعية السلطة المركزية أو للأفراد[3].

إضافة إلى وجود مقومات هامة لإقامة دور صناعة للمراكب من خلال توفر خام الحديد ووجود الأخشاب في المدن الساحلية أو القريبة منها، لصناعة السفن والحبال، واستخراج الشمع، ويعتبر الحديد من أكثر المواد المستعملة في صناعة السفن ببلاد المغرب الأوسط واحتوت بونة على"معادن حديد كثيرة ويحمل منه إلى الأقطار الغزيرة الكثيرة"[4].

والتفاعل بين المدينة الساحلية خاصة والمحيط الجغرافي سواء كان طبيعيا أو اقتصاديا أو إنسانيا يتم على ثلاثة أشكال: الشكل الديموغرافي، وشكل علاقات الإنتاج، وشكل علاقات الخدمات[5]، وهو ما يتمثل في الجهاز الإداري التنظيمي للملاحة في ساحل المغرب الأوسط، والذي يسعى لتوفير الأرضية المناسبة لوجود تجارة بحرية ناجحة.

---

1) المؤسسات التجارية هي مجموعة من الأشكال والبنايات والقواعد الأساسية التي تحكم التنظيم البحري، وترتب الأدوار على جميع المستويات من ميناء وسفن ومدن، وكذا الفاعلين في المجال الملاحي بواسطة القوانين والأعراف المتداولة المحلية منها والعالمية. **عبد اللطيف أكنوش: تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ت، ص11 بتصرف.**

2) أحمد بوقطفة: المرجع السابق، ص57.

3)Picard, Christophe ;La mer, p.138.

4) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

5)جاكلين بوجو غرانييه: المدينة والمنطقة، الإنسان والمدينة في العالم المعاصر، تعريب كمال خوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977، ص81.

ولايخفى على أحد أن الدينامية التي تتطلبها التجارة البحرية تتطلب إيجاد بنية تحتية مكونة من التجهيزات الأساسية كالفنادق والحمامات والأسواق، فالعملية البحرية التجارية تحتاج إلى تقنين عبر أدوات ووسائل تبادل وإلى ضبط عبر خضوعها للضرائب وقبل ذلك تحتاج إلى وسائط وسفن وأمن للطرق البحرية، ومؤسسات تهيكل كل هذا العمل ليسير في طريقة منظمة ومنضبطة.

وبالموازاة مع الازدهار الغالب على أحوال المغرب الأوسط، تنوعت أشكال الخدمات والمعاملات التجارية والتعاقدية في مضمار النقل البحري والملاحة التجارية، مما فرض مسايرة الفقه والقضاء للتطورات الاقتصادية، فأثمر صدور مدونات في الفقه الاقتصادي، وأكرية السفن، وما ينجم عنها من خلافات بين التجار والمتعاقدين والوكلاء والمكارين والمثمرين لأموالهم في قطاع النقل البحري والملاحة التجارية.

فما هي الأعراف والقوانين التي تحكم بين أرباب السفن وأصحاب البضائع؟

كيف كان يتم فض النزاعات التي تظهر في الموانئ بين التجار المغاربة والأوروبيين؟

ماهي أهم المؤسسات البحرية التي تساهم في سهولة التجارة والعمل البحري؟

هل أتقن المغاربة اقامة فنادق واستقبال هؤلاء التجار والأجانب؟

ما دور السفراء والقناصلة في تسهيل وتسريع وتيرة العمل في الموانئ وحماية حقوق التجار؟

أين تواجدت دور الصناعة في المغرب الأوسط؟ وما هي أهم السفن التي تُصنع فيها؟

إن افتقارنا إلى الوثائق التي تبين بداية التعامل في شكل مؤسسات تجارية بحرية، يجعلنا نتجه إلى ملامح بروز صيغ العقود البحرية، حيث يرجعها الهادي روجي إدريس إلى الفترة الصنهاجية، بمختلف صيغ العقود البحرية الثلاث المعمول بها من قبل التجار النصارى في علاقاتهم مع إفريقية وهي: القرض البحري والشركة البحرية والشركة التجارية[1]، وقد أكد أن عقد الشركة البحرية قد ظهر قبل مدة قليلة من ظهور عقد القرض البحري في المعاملات التجارية بين جنوة وتونس[2].

---

1) الدولة الصنهاجية، ج2، ص277.

2) يتمثل القرض البحري في تسليم صاحب رأس المال إلى تاجر مبلغاً مالياً أو في غالب الأحيان بضائع، ويتحصل رب المال على ¾ من الأرباح، والتاجر على الربع مقابل عمله، وبالنسبة إلى الشركة البحرية، يوفر التاجر عمله وجهده إضافة إلى ثلث رأس المال، ويتحصل رب المال على ثلثي

كما أُعتبرت الموانئ والمراسي من المؤسسات البحرية الهامة وجزء من المنظومة التجارية، ومثلت واسطة العقد بين التجارة الداخلية والخارجية، وتم ربط المدن الساحلية للمغرب الأوسط بواسطة شبكة كثيفة من الطرق الداخلية(1).

لقد وفرت مختلف الدول المتعاقبة على المغرب الاوسط التسهيلات وأزالت كل الصعوبات كقبول مبدأ التعامل التجاري في شكل منظم، وفتح موانئها لتجار المدن الايطالية والسماح لهم بممارسة نشاطاتهم مع ضمان أمنهم وسفنهم وحرية تنقلاتهم بسلعهم وفق معاهدات مضبوطة ومدونة، ساهم في ظهور مؤسسات بحرية تجارية واقتصادية واجتماعية والفنادق ودور صناعة السفن، والأسواق والقيسريات.

وحتى عملية البيع والشراء تتم بالمقايضة أو بالدفع المباشر للعملة، ويعطينا الوزان مثالا عن مدينة سكيكدة التي كان سكانها يبادلون القمح مقابل أقمشة وغيرها من منتجات أوروبا(2)، كما ذكر البيع بالتقسيط في الجبال المجاورة مقابل البضائع المأخوذة من الجنويين محققة بذلك أرباحا طائلة(3).

إضافة إلى وجود المخازن والملاجئ للتجار الأوروبيين لتخزين سلعهم وجمع عمالهم من أجل التبادل التجاري، والقوافل البرية عبر المدن الداخلية والصحراوية والتي تعتبر بمثابة مؤسسة النقل البري، ولا ننسى ما تحتاجه المؤسسات البحرية من ميناء وسفن كالمنارات والرصيف البحري وكواسر الرياح والرباطات في أعلى المناطق الساحلية للدفاع عنها وترصد العدو أو توجيه السفن.

ونظرا لأن الأوروبيين كانوا يؤمنون بمسألة العدوى في حالة الوباء أو المرض، فإنهم رأوا ضرورة الاحتراز من الوباء، فأحدثوا لذلك مكاناً سموه بالكرنتينة La quarantaine أو الحجر الصحي كوسيلة للوقاية منه(4)، وضعوا حراس السواحل يشرفون على نزول السفن وحمل الركاب إلى الكرنتينة، وتختلف مدة إقامتهم في الحقيقة بناء على مجموعة من الشروط، منها القادمون من بلدة قريبة أو بعيدة، هل توجد في بلادهم كرنتينة أم لا؟ هل يوجد بها وباء

حصة رأس المال التي تبلغ 3⁄4 مجموع الأرباح، ويتحصل التاجر 1⁄4مقابل عمله 1⁄4 وربع مقابل رأسماله، أما الشركة التجارية فهي شركة توصية وكانت في أول الأمر تجمعا عائليا للمصالح. **الهادي روجي إدريس:المرجع نفسه، ج2، الهامش 6، ص277–278**.

1) نفسه، ص57.

2) وصف إفريقيا، ج2، ص54–55؛ و **مارمول: المصدر السابق، ج2، ص7**.

3) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص54.

4) حمدان خوجة: إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية النشر وللتوزيع، الجزائر، 1968، ص129.

أم لا؟ هل هناك ركاب مصابون بالوباء؟ ما نوع البضاعة؟(حيث تحظر السفن المحملة بالصوف والكتان والقطن والجلد، ويسمح للسفن المحملة بالمعادن والخشب والحبوب)[1].

ارتكزت التجارة في بلاد المغرب الأوسط مع التجار الأجانب الأوروبيين على هياكل ومؤسسات ضرورية، أدت دورا واضحا في عملية التبادل التجاري، وتمثلت في:

أولا: مؤسسة الديوانة:

كان الديوان من الخطط المهمة في الدولة، وكان متوليه يحتل مكانة رفيعة ويُختار من بين أعيان البلد الذين حصلوا على حظ وافر من الجاه والعلم، ويتمتع بصلاحيات كبيرة لاسيما على مستوى توقيع المعاهدات والمراسلات مع الأوروبيين[2]، ففي عهد الموحدين ارتقى المشرف على الديوانة إلى مستوى والٍ[3]، كما أن خلفاء الموحدين كانوا لا يختارون لتولي هذا المنصب سوى الشخصيات المعروفة بولائها التام للخلافة الموحدية[4].

لأن مؤسسة الديوانة هي أول جهاز حكومي يستقبل التجار الأجانب الوافدين إلى الديار الإسلامية للتجارة، لهذه أولتها السلطة المركزية أهمية كبيرة من خلال إحاطتها بالأسوار حتى لا يغامر التجار الوافدين بالاتصال مع الأهالي إلا من خلال بوابة الميناء، كما أقامت عليها أبراجا وحصونا للمراقبة[5].

والديوانة جهاز رسمي ونقطة التقاء فعلي بين التجار والسلطة المركزية، وهو نقطة عبور إجبارية لكل تاجر يرغب في التجارة بالمغرب الأوسط، وكان ديوان البحر في أقرب نقطة وصول السلع، وكانت وظيفته الرئيسية هي تحصيل الرسوم المفروضة على المعاملات المالية لصالح بيت المال السلطاني من تسجيل العمليات وتحديد الرسوم، وهو بذلك ممثل مصالح بيت المال وعلامة لسيادة الحفصيين أو الزيانيين على أراضيهم، ولا نعلم مكان بناء الديوان ولكن الأكيد أنه في موضع قريب من تفريغ السلع لتجنب الغش[6].

---

1) حمدان خوجة: المصدر نفسه، 138-139.

2) عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، ج7، ص249-250؛ **والطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، ص324**.

3) ابن الأبار:الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1963، ج2، ص293.

4) ابن سعيد: اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، ط2، 1980، ص98.

5) رشيد باقة: المرجع السابق، ص304.

6) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص322-323.

لقد حرصت السلطة ببلاد المغرب على أن تمر كل المبادلات التي كان يقوم بها التجار الجنوييون عبر الديوان، فهي القيّمة بمعرفة تحركاتهم بالمنطقة، وكانت تستفيد من الضرائب التي تستخلصها منهم، وقد ارتبط الديوان كمؤسسة بالسلطان، حتى أن بعض العقود الجنوية تتحدث عنه بلفظCuria وتعني حلقة السلطان، ومن العقود التي تشير إلى هذا الأمر، ذلك الذي أورد عملية تجارية لتاجر اشترى الشب سنة671هـ/1272م من Curia Buzee أي من حلقة السلطان التجارية ببجاية[1]، وهذا دليل على نشاط وازدهار الديوانة والجباية في ميناء بجاية[2].

ورغم قلة المؤلفات والمصادر التي تعطينا إفادات عن المؤسسات البحرية ودواوينها والمشرفين على تدبير أمور الملاحة البحرية والرواج التجاري بمراسي المغرب الأوسط؛ إلا أن البكري تحدث عن ميناء المهدية الفاطمي وذكر دار البحر بها ودار المحاسبات، إضافة إلى مخازن مخصصة للمعدات البحرية"وهما قبوان كبيران طويلان، لآلات المراكب وعددها لئلا ينالها شمس ولا مطر"[3]، والاكيد تشبهها بجاية وهنين.

ولمساعدة مباشرة للديوانة في أداء مهامها المتعددة على أحسن الظروف فقد سخرت السلطات مجموعة كبيرة من الموظفين الإداريين والمساعدين منهم الموثقون والمترجمون[4] والحمالون والكيالون"الوزانون" والبراحون والدلالون والحراس وغيرهم من الأشخاص الذين يتطلب حضورهم في المؤسسات البحرية"الميناء"حتى تسير العملية التجارية[5].

وقد أرجع فالرين الديوان إلى فترة الموحدين أي في الوقت الذي كان فيه حضور التجار المسيحيين أكثر أهمية مما أدى إلى تنظيمه أكثر، ويسمى القائم بأعماله المشرف أو قائد الديوان.**المرجع نفسه، ج1، ص324، 325**.

1) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص116.

2) Baizig, Salah; La ville maritime, p.53.

3) البكري: المغرب، ص30.

4) بالنسبة للغة التواصل بين سكان بجاية أو تجارها وديوانتها مع التجار الأوربيين فيمكن أن تكون العربية أو البربرية، وبالتالي الاحتياج إلى مترجمين خاصين أو إلى تجار يحسنون اللغتين معا، وعلى العموم لغة التجارة كانت واضحة من مكاييل وموازين وأثمان، وعملة . **دومينيك فاليرين:المرجع السابق، ج1، ص394-395**.

5) رشيد باقة: المرجع السابق، ص307.

ويذكر صاحب العبر هذا النشاط التجاري البحري في موضع آخر، ويتحدث عن وجود كُتاب وشهود بمرسى القل في إطار ترجمته لمحمد بن أحمد بن علي الذي أستعمل شاهدا بمرسى القل أيام رئاسة الحاجب بن أبي غمر وذلك أواخر القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي(1).

واعتبر الحسين بولقطب أنه من علامات اهتمام دول المغرب الوسيط بالمجال البحري تلك الأهمية التي حظيت بها الديوانة، وهذه الأهمية لا يمكن فصلها عن ارتفاع حجم العائدات المالية التي كانت تدرها المعاملات التجارية بين التجار المسلمين والتجار المسيحيين(2).

وتشير إحدى الرسائل الموحدية أن عائدات الديوانة يجب أن تصرف على الأسطول، كإصلاح السفن المعطوبة وتجهيزها ودفع أرزاق الغزاة الذين يشتغلون في الأسطول(3).

كما ذكر ابن خلدون عند حديثه عن إحدى قبائل زناتة" ذوي عبيد الله "أن ميناء هنين ضم إدارة للديوانة مهمتها جمع"ضريبة الإجازة"على التجار بقوله:"ضربوا على بلاد هنين بالساحل ضريبة الإجازة منها إلى تلمسان، فلا يسير ما بينهما مسافر أيام حلولهم بساحتها إلا بإجازتهم، وعلى ضريبة يؤديها إليهم"(4)، وما ينطبق على المهدية نستطيع إسقاطه على أهم موانئ المغرب الأوسط في هذه الفترة كميناء بجاية وهنين وتنس.

كما أشار الوزان بقوله كنت مع أحد كتاب ملك تلمسان جاء لاستلام ضرائب من سفينة جنوية حملت من البضائع ما يموّن تلمسان لمدة خمس سنوات، وبلغت قيمة الرسوم التي قبضها الملك خمسة عشر ألف مثقال ذهبا مسكوكا أرانيها الكاتب(5)، ويدعمه مارمون بأن ملك تلمسان أرسل إلى هنين حامية لتأمين التجارة(6)، فأصبح ملك تلمسان يرسل إلى هنين أمير قصر يقيم بالقلعة مع المشاة لا لغرض إلا ليخبر الملك بوصول السفن التجارية(7).

---

1) ابن خلدون: ج7، ص386.

2)حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، جذور للنشر، الرباط، ط1، 2004، ص138.

3) رسائل موحدية، المصدر السابق، ص413-414.

4) ابن خلدون: العبر، ج6، ص81.

5) وصف إفريقيا، ج2، ص16.

6) إفريقيا، ج2، ص296.

7) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص15.

وتتحدث الوثائق عن أن عدد الأيام التي تقضيها سفن البندقية بميناء هنين غير مضبوط لكنه أكثر بوهران التي تصل إلى عشرة أيام وذلك بعد أن أصبحت هنين الميناء الرئيسي للتجارة الايطالية على إثر احتلال الإسبان لهذه الأخيرة[1].

وقد يستغل السلطان علاقته الحسنة بالمدن الايطالية للاستفادة من خبراتها في تطوير الديوانة بتعيين عضو منهم لذلك وكان أحد الجنويين سنة703هـ/1303م مديرا للديونة بميناء الجزائر[2]، كما تَوَفر ميناء هنين على إدارة لـديوان البحـر في القـرن الثـامن الهجري/الرابـع عشـر المـيلادي، بجـوار فنـدق الكطـالانيين ودار الجنـويين سنة685هـ/1286م[3].

وأطلقت على متولي الديوان اسم مدير الديوان[4] ومشرف الديوان[5]، وناظر الديوان[6]، وصاحب الديوان ومشتغل الديوان وقائد الديوان[7].

وصاحب الديوان هو الوحيد المخول له الاتصال مباشرة بالتجار الأجانب وممثليهم من القناصلة للتفاوض، وهو من يمنح الأشخاص الوافدين تصاريح الأمان"بمثابة جواز السفر"[8]، كما يمكنه معاقبة التجار وسجنهم بمن فيهم القنصل إذا تبين أن هؤلاء خالفوا الضوابط المعمول بها[9].

ويمكن التمييز بينه وبين صاحب الأسطول باعتبار صاحب الديوان ذا سلطة في الميدان التجاري على الجاليات التجارية الأوروبية في حين أن لصاحب الأسطول وظيفة عسكرية وبحرية جلية[10]، بدءا من العهد الحمادي.

---

1) Christophe Picard ; L'Océan, p. 165.

2) Dufourcq.ch; L’espagne, P.368, 452.

3) محمد حسن: المرجع السابق، ص609.

4) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص324.

5) عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، ج7، ص249-250.

6) أحمد عزاوي: رسائل موحدية مجموعة جديد، ص212.

7) De Mas Latrie ; Traité,p.187.

8) رشيد باقة: المرجع السابق، ص304.

9) De Mas Latrie ; Traité,p.138.

10) دومنيك فاليرين: المرجع نفسه، ج1، ص325.

حيث كان في بجاية رئيس البحر يشرف على قيادة الأسطول وتنظيم أمور الميناء وتسييره أي كانت له سلطة تمتد مبدئيا على كل البحرية خصوصا الأسطول(1)، وقد تولى هذه الرئاسة في العهد الحمادي علي بن حمدون على عهد الأمير"العزيز بن المنصور"، ومطرف بن علي بن حمدون المعروف بالفقيه على عهد يحي بن العزيز(2)، وخليفته ميمون بن حمدون(3).

ومن قادة الأسطول الذين كانت لهم سلطات واسعة على ديوان البحر نجد أبا محمد عبد الله بن سليمان التينملي، الذي تولى إمارة البحر في بجاية(4)،إضافة إلى عبد السلام بن محمد الكومي، الذي كان من بين وزراء عبد المؤمن، وعين على ولاية البحر(5)، وفي عهد الخليفة الموحدي أبو يوسف يعقوب تزايد عدد قادة البحر من الكوميين"من المغرب الأوسط"ومنهم"أبو محمد عطوش، وابن عبد الله بن عبد السلام، وعبد الله بن طاع الله، وابن زكرياء بن مزاحم"وهو ما يذكرنا بنهج المرابطين مع أسرة بني ميمون، فهل يمكننا أن نتحدث عن عصبيات بحرية توارث أبناؤها إمارة البحر؟(6).

إن الاختصاص المجالي لمدير الديوان ليس واضحا دائما، وتبين الاتفاقية بين سانش الميورقي Sanche de Majorque وأبي بكر البجائي أن الدواوين الرئيسية للسلطة الحفصية في المغرب الاوسط، المعنية باتفاقهم هي دواوين القل وجيجل وقسنطينة(7).

وقد ذكر ابن قنفذ في عهده أمير البحر والأسطول ومشرف الديوانة وهو أبو عبد الله محمد بن أبي مهدي(8)، وقد سماه المرسليون برئيس بجاية سنة693هـ/1293م، عندما أرسلوا رسالة إلى مجلس مرسيليا اشتكوا قناصلة بجاية من معاملة مواطنيهم السيئة في ديوان البحر ببجاية(9).

1) Baizig, Salah; La ville maritime, p.53.

2) عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص210-211.

3) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص310؛ **وموسى هيصام:المرجع السابق، ص92-93**.

4) ابن القطان: المصدر السابق، ص186؛ **و ابن عذارى: المصدر السابق، قسم الموحدين، ص54-55**.

5) عزالدين عمر موسى: الموحدون في الغرب الإسلامي، ملحق3، ص308.

6) الطاهر قدوري: النشاط البحري في العرين المرابطي والموحدي، ص122.

7) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص328.

8) الفارسية، ص199.

9) دومنيك فاليرين: المرجع نفسه، ج1، ص318.

وكانت مصالح ديوان البحر بالإمارة الزيانية تسلم التاجر الأوروبي وصلين يسمى الأول براءة وتدون عليه السلع المستوردة والمكوس التي دفعها التاجر ويسمح لصاحبه أن يبيع سلعه في أسواق الإمارة[1]، ويسمى الثاني التنفيذ وهو عبارة عن شهادة تسجل عليها كل السلع التي يملكها التاجر، ويستظهر التاجر الوصلين عند مغادرة البلاد[2].

وينص عقد كراء بحري كتب سنة897هـ/1491م بين مملكة أركونة والدولة الحفصية بخصوص ميناء بجاية، على أن هناك حقوقاً ديوانية يدفعها صاحب المركب عند تفريغ السلع مع تحديد ساعات التفريغ التي يجب أن تكون نهارا [3].

كان يتولى جمع المكوس المختلفة موظفون"ديوان البحر"وهم مسلمون يشاركهم أحيانا بعض المسيحيين[4]، وقد أقامت سلطات بني عبد الواد دواويين بحرية في مينائي وهران وهنين، وكذلك في قيسرية بمدينة تلمسان، وألزمت التجار المسيحيين على تفريغ بضائعهم وشحنها في هذه الأماكن[5].

مثل ميناء وهران كان به ديوان البحر يستخلص العشر من التجار الأجانب[6]، وكان مشرف ديوان البحر بوهران وقت زيارتها من عبد الباسط بن خليل سنة870هـ/1465-1466م، من كبار أعيانها وكلمته هي العليا[7].

هذا بالنسبة للدواوين الرئيسية أما عن الموانئ الثانوية فيكلف شخصاً لتحصيل ضريبة الديوانة يسمى القائم بالأعمال أو العمل، ففي870هـ/1466م تم تكليف ابن صاحب أشغال تلمسان بالذهاب إلى وهران لتحصيل الرسوم على التجارة الأوروبية[8]، كما أشارت بعض المصادر إلى وجود قائد لمرسى تدلس وظيفته جمع الضريبة الخاصة بتوقف المراكب التجارية، ومنح رخص شحن القمح ومختلف السلع التي تصدر للخارج[9].

---

1) Brunschvicg.R; La Berberie , T2.P.72.

2) Dufourcq, ch; L'espagne, P.22.

3) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص320.

4) De Mas Latrie ; Traité,p.188-189.

5) لطيفة بشاري: العلاقات التجارية، ص178.

6) محمد حسن:المرجع السابق، ص610.

7) لطيفة بشاري: العلاقات التجارية، ص178.

8) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص318.

9) إسماعيل بن نعمان: مدينة دلس(تدلس)، ص94.

ولعل أهم مهمة كان مشرف الديوان يتولاها هي السهر على المال العام للدولة، فالديوانة كانت سوقا كبيرة تستقبل البضائع القادمة من الخارج وتلك التي يرغب أصحابها في تصديرها، وفي الحالتين معا يتم تعشير البضاعة[1].

وبما أن مصلحة الديوانة هي الواسطة بين الملك من جهة والتجار المسيحيين من جهة أخرى فهي إدارة رئيسية رسمية منظمة تنظيما دقيقا وتستعمل عدداً كبيراً من الموظفين منهم: المدير، ورئيس المحاسبة، والمفتشون، والموظفون الكبار"ضباط" والموظفون الصغار"المترجمون، الحمالة "[2].

ثانيا: العامل"أو القائم بالأعمال".

كانت الموانئ تعج بالعمال، من تجار ومسافرين ومتخصصين ومؤهلين ويد عاملة مدربة وكافية، إضافة إلى مجموعة من التنظيمات والقوانين الخاصة بالمعاملات التجارية والاستعدادات العسكرية البحرية، لم تكن تتم في الموانئ بشكل عشوائي، بل وفق منظومة محكمة التسيير.

وأسندت أغلب الدول المتعاقبة على المغرب الأوسط عملية جباية الأموال الناتجة عن الصيد البحري للأسماك أو للمرجان، أو نتيجة التعاملات المالية المتركزة في الميناء لأحد عمالها، وقد يكون هذا العامل تابعا للقبيلة أو للعصبية الغالبة على الناحية البحرية، لهذا نجد في المدن الساحلية المهمة عاملاً قائماً بنفسه[3].

وكان هناك عامل خاص لأهم مدن الدولة الفاطمية كتنس، ووهران، وبونة، وبلغت جباية و"مستخلص بونة غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار"[4]، وأطلق على هذا العامل بأمير القصر على غرار ما كان في هنين كما أشار إلى ذلك الوزان"ملك تلمسان يرسل إليها أمير قصر يقيم بالقلعة مع المشاة لا لغرض إلا ليخبر الملك بوصول السفن التجارية"[5].

---

1) عزالدين عمر موسى: النشاط الاقتصادي، ص278؛ **وعبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، ج7، ص249–250**.

2) عمر بلوط: المرجع السابق، ص51.

3) ابن حوقل: المصدر السابق، ص77.

4) البكري: المغرب، ص55.

5) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص15.

كما أشار ابن حوقل خلال العهد الفاطمي إلى وجود معاونين بمرسى الخرز"ومعاونها وما يلزم ما يخرج من هذا المعدن"(1)، إضافة إلى وظيفة المشرف الذي يقوم باستخلاص الاداءات المالية داخل الميناء خاصة خلال الفترة الموحدية في كل من سكيكدة وبجاية(2)،

وذكرت المصادر إلى جانب العامل وجود قاضٍ، خاصة في العهد الحفصي في عدة مدن ساحلية منها بجاية وبونة(3)، وهذا للفصل بين المتخاصمين في المعاملات التجارية المالية، إضافة إلى وجود شهود عدول، يحتاجهم القاضي أو كاتب العقود، ويتم تعيينهم من طرف ديوان البحر، وقد تحدث الغبريني عن الفقيه أبي محمد عبد الله القلعي(ت669هـ/1271م)"كان مشاورا شاهدا بالديوان وانتهت إليه الرياسة"(4).

أما ابن خلدون فيخبرنا عن وجود شهود عدل في ميناء القل بقوله:"خرج محمد بن أحمد بن علي مبتغياً للرزق والمعاش، فطوحت به الطوائح إلى بلد القل، وكان منتحلا للطلب والكتابة، فاستعمل شاهدا بمرسى القل أيام رياسة الحاجب بن غمر"(5).

كما كان يتبع العامل كتبة لديوان البحر ويذكر الغبريني أن الفقيه"أبا عبد الله محمد الإريسي كان شيخ كتبة الديوان ببجاية"(6)، ويعني ذلك وجود عدد من الكتبة أيضا هو رئيسهم ولا نستطيع أن نحدد مهامهم، قد يكون الكاتب مكلفا بالتدوين في سجلات إدارة الديوان أو بكتابة المراسلات الإدارية والرسمية(7)، وتطورت وظيفة الكتابة مع الزيانيين ويذكر الوزان عن أحد الكتبة الذي رافقه إلى هنين بقوله:"كنت مع أحد كتاب تلمسان جاء لاستلام ضرائب من سفينة جنوية حملت من البضائع ما يمون تلمسان لمدة خمس سنوات، وبلغت قيمة الرسوم التي قبضها الملك خمسة عشر ألف مثقال ذهبا مسكوكا أرانيها الكاتب"(8)، ليتضح لنا أن وظيفة الكاتب تطورت من الكتابة والنسخ بحضور الشهود إلى جمع الأموال وممارسة الجباية والرسوم.

---

1) صورة الأرض، ص76-77.

2) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص225.

3) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج2، ص121.

4) عنوان الدراية، ص93.

5) العبر، ج7، ص386.

6) عنوان الدراية، ص217.

7) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص226.

8) وصف إفريقيا، ج2، ص16.

وتشير رسالتان من تجار مارسيليا إلى مدينتهم والأولى مؤرخة في15جوان1293م /11رجب693هـ، أما الثانية فهي2 ديسمبر 1462م/9 ربيع الأول867هـ إلى وجود أعوان إداريين في ميناء بجاية(1).

وتبين الرسالة الثانية أن هناك مستشارين برشلونيين يطلبون من أمير بجاية بإرجاع السلع التي حجزها أعوان الديوان من التجار الكتلانيين لأنهم اعتدوا على سفينة ميورقية(2)، مما يبين لنا أن هناك أعواناً ببجاية مهمتهم استخلاص الأداءات ومراقبة إنزال السلع وشحنها ودخول التجار وخروجهم.

إضافة إلى مهام أخرى يتطلبها النشاط التجاري مع بلدان العالم المسيحي وهي مهمة الترجمة، و القائمون بها تابعون كذلك للديوان، وتدل على ذلك الرسالة رقم XXV من الرسائل التي نشرها أماري والمؤرخة في ربيع الثاني604هـ/13-22 نوفمبر1207 م، وهذه الرسالة بعث بها أحمد بن تميم الترجمان ببجاية يطلب فيها وساطة أشياخ وأعيان بيزة لدى قائد البحرية في بجاية"أبي السداد موفق بن عبد الله حتى يعيده إلى الترجمة والدلالة لتجار بيزة"(3).

كما ضمت مدينة وميناء وهران أمينا للمال وقابضا يستلم مداخيل الميناء(4)، ويضيف مارمول أن بوهران الزيانية مشرفاً تجاوزت صلاحياته الشؤون المالية إلى السياسية(5).

---

1)De Mas Latrie; chartes inédies relatives aux états de bogie et de Bône(1268-1293) bibliothèque de l'école des chartes A II, paris, 1841-1842, p.295-296.

ورشيد باقة:المرجع السابق، ص309.

2) صالح بعيزيق: المرجع نفسه، ص226.

3)Amari .Michel; op, cit,p.75-77.

4) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص30.

5) إفريقيا، ج2، ص330.

ثالثا: دور الصناعة.

لقد نشطت بحرية المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي والموحدي، وخاصة خلال فترة حكم المنصور الموحدي، ويرجع ذلك إلى وفرة الأموال التي نعمت بها البلاد في ذلك الوقت، وانعكست على الجيش والأسطول، وساهمت هذه الأموال في إنشاء دور الصناعة للسفن التي انتشرت في كل جهة من جهات المغرب والأندلس[1]، وكان للمغرب الأوسط نصيب فيها، بالإضافة إلى شراء المواد اللازمة لها، وبناء مدارس حربية لتخريج قادة أكفاء قادوا الأسطول إلى النصر في العديد من المعارك.

وقد كان لاتساع سواحل المغرب الأوسط القدرة على توفير مواد هائلة لبحريته، سواء من حيث الصرف عليها أو من حيث تزويدها بالعناصر البشرية المجربة، أو المواد الخامة اللازمة لبناء السفن إذ توفر الأخشاب في جنوب وهران، وبالقرب من بونة وبجاية و القبائل الصغرى بالمغرب الأوسط[2]، كما توفر لهم الحديد في مناطق بجاية وبونة وفي تامسامان على الطريق الرابط بين سبتة ووهران[3]، أما الزفت والقطران فيجلبان من جبال بجاية وألبيرة[4].

واعتبر ابن خلدون صناعة المراكب من المظاهر الحضارية في الدولة[5]، وتصنع في مكان خاص يدعى دار الصناعة، وهي اسم مكان"أُعد لإنشاء المراكب البحرية التي يقال لها السفن"[6]، وبالتالي هي مؤسسة رسمية تعنى بصناعة السفن[7]، كما تطلق عليها أسماء أخرى منها دار الصنعة[8]، وصناعة الإنشاء[9] وصناعة العمائر[10]، وبالتالي تشير إلى نوع من الصناعات المنتشرة في مدن العالم الإسلامي خلال الفترة الوسيطة وهي صناعة السفن[11]، وعلى العموم هي المكان الذي تنشأ وتركب فيه السفن، لهذا تعرف بدار صناعة البحر[1].

---

1) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص 19، 20، 40، 53، 106؛ **و يوسف أشباخ: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996، ج2، ص247–248.**

2) الحميري: المصدر السابق، ص81–82؛ **وعياد المبروك عمار: المرجع السابق، ص26.**

3) أبو الفدا: المصدر السابق، ص141؛ **والحميري: المصدر السابق، ص81.**

4) القزويني: المرجع السابق، ص502؛ **وعياد المبروك عمار: المرجع السابق، ص26.**

5) مجهول: الاستبصار، ص140، 210؛ **وحسن علي حسن: المرجع السابق، ص403، 404.**

6) المقريزي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقديم محمد مصطفى زيادة، دار التحرير للطبع والنشر، مصر، د ت، ج2، ص189.

7) عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص75–76؛ **ومحمد الشاذلي النيفر:المرجع السابق، ص173.**

8) مجهول: الحلل الموشية، ص154-155.

9) ابن خلدون: العبر، ج7، ص346؛ **ومحمد المنوني: ورقات، ص109.**

10) الأسعد بن مماتي: كتاب قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص339.

11) دائرة المعارف الإسلامية، مجلد9، مادة الصناعة، ص82.

وعلى إثر التلاقح الحضاري الذي شهده العالم المتوسطي بين ضفتيه الشمالية والجنوبية طيلة الفترة الوسيطة، انتقلت عبارة دار الصناعة إلى أوروبا وظهرت في اللغة الاسبانية باسم Darcinah[2]، ثم تطورت بواسطة التحريفات التي أدخلت على الكلمة لتصبح في الأخير Arsenal والتي تعني المكان الذي تصنع فيه السفن[3]، وترجم العرب الكلمة ظانين أنها كلمة تركية أصلها"ترسخان" أو "ترسانة"[4].

أ) وظائف دور الصناعة.

أضحت دارا للصنعة كما قال يحي بن خلدون:"...أن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم، فمن دراق ورماح ودروع ولجام و وشاء وسراج وخباء ونجار وحداد وصنائع ودباغ وغير ذلك، فسكتت لأصواتهم وآلاتهم السماع، وتحار في الحكام صنائعهم الأذهان، وتوقف دون بحرهم الهائل الأبصار..."[5].

وقد بيَّن ابن خلدون أنها صعبة وتتطلب فنيات وتقنيات خاصة والى هندسة وبنيات وتقنيين أكفاء ويد عاملة مدربة، بقوله:"...من أصلها تحتاج إلى جزء كبير من الهندسة في جميع أصنافها..."[6]، ويضع قيادة الأساطيل ضمن مراتب الدولة وخططها في ملك المغرب وافريقية ومرؤوسة لصاحب السيف، وتحت حكمه في كثير من الأحوال، ويسمى صاحبها في عرفهم الْمِلَنْدَ، وهو من لغة الإفرنج"[7].

---

1) علي محمود فهمي: التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط، من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة قاسم عبده قاسم، ط1، دار الوحدة للطباعة، بيروت، 1981، ص31.

2) سعاد ماهر: المرجع السابق، ص311.

3) محمد شفيق: الألفاظ العربية التي دخلت إلى اللغة الفرنسية، مجلة الأكاديمية، العدد17، سنة 2000، ص105.

4) سعاد ماهر: المرجع السابق، ص311.

5) يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج2، ص160.

6) المقدمة، ج2، ص300.

7) نفسه، ج2، ص27.

لتظهر تسمية أخرى في المصادر منها صاحب البحر أو متولي خزائن البحر وهي مهنة تعود الى الفترة الرومانيةPraepositus reliquationi خطة يسهر صاحبها على تنظيم الأعمال بدار الصناعة باعتبار احتواء دار الصناعة على ورشات مختصة ومتنوعة[2].

كما احتوت دور صناعة السفن على أنشطة ثانوية فرعية وعدة مختصين منها القلفاط[3]، والنجار، والحداد، وصانعو الحبال، ومبلطو السفينة، والطباخون، وممولو السفينة بالمؤن"شحانو البضائع"[4].

وعلى الرغم من أن الموحدين كانوا يجدون فيما يغنمون من سفن أعدائهم المرابطين؛ ثم الصقليين والميورقيين والنصارى الإسبان؛ موردا لتنمية أسطولهم، إلا أن البناء كان هو المورد الأساسي في تكوين الأسطول الموحدي[5]، لذلك ازدهرت البحرية الموحدية، بل تفوق المغرب حينئذ في صناعة الأسطول تفوقا سَبَق به من قبله ومن بعده، فقد أصبح الأسطول الموحدي، أسطولا ضخما بفضل عدد بحارته خاصة من وهران وهنين، تحدثت عنه المصادر على أنه أسطورة البحار[6].

سار الأسطول الموحدي بقيادة أمير البحر"أبي عبد الله محمد بن ميمون"[7]، وابن الخراط، وأبي

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص289.

3) **القلفاط** هو عملية تقوية خشب السفينة بالمعادن أي دليه أو تغليفه، وهي عملية ملء الشقوق بعدد من الاصماغ، كالقطران والشمع. **عبد الكريم الشبلي: المقال السابق، ص19**.

4) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، منشورات مكتبة المنار، تونس ، ج2، ط2، 1981.ص52.

5) مجهول الحلل الموشية، ص129؛ **و مجموع رسائل موحدية، تحقيق ليفي بروفنسال، ص178؛ وابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص213؛ وحمدي عبد المنعم محمد حسين: مدينة سلا في العصر الإسلامي، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993، ص76**.

6) ابن صاحب الصلاة: المصدر السابق، ص110، 147، 337؛ **عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي، ج6، ص26–27.و شوقي محمد يوسف حسن شحاتة: الدور المغربي للبحرية المغربية في عهد دولتي المرابطين والموحدين(448–668هـ/1056–1269م) رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1996، ص196، 198**.

7) أمير البحر أبو الحسن علي بن عيسى بن ميمون كان قائدا للمرابطين ثم انضم إلى الموحدين حتى صار يسمى بصاحب البحر الموحد، وقد انتهت حياته عندما تعقب فارس المرابطين يحي بن أبي بكر بن يوسف ابن تاشفين الملقب بالصحراوي أو ابن الصحراوية، فيروي البيذق أن هذا القائد الصحراوي حينما فر إلى سبتة أرسل عبد المؤمن وراءه علي بن عيسى بن ميمون، الذي حاصر سبتة بأسطوله، فخرج إليه الصحراوي، وقال له: أريد أن يكون توحيدي – أي الدخول في دائرة الموحدين- على يديك يا أبا الحسن، فقال له:نعم أحملك إلى الخليفة، ولما أنس له هبط علي بن عيسى من الغراب وأراد الجلوس معه فرأى في وجه يحي الصحراوي الغضب، فأراد أن يرجع إلى الغراب فرمى عليه يحي حصانه وضربه بالرمح فوصل بين الكتفين حتى نفذه.**البيذق: المصدر السابق، ص67–68**

الحسن الشاطبي، وغيرهم من رجال البحر[1]، ورغم أننا نجهل عدد سفن الأسطول الموحدي، في أوج قوته، ولكننا نعلم أن الخليفة عبد المؤمن اهتم بإنشاء أسطول ضخم بلغ أربعمائة قطعة[2]، وفي رواية أخرى أنه بلغ سبعمائة قطعة[3].

ب) أهم دور الصناعة بالمغرب الأوسط.

لقد تسنى للمغرب الأوسط استغلال دور الصناعة المنتشرة على طول سواحله منذ عهد الفاطميين ، ثم الحماديين والمرابطين وصولا الى الموحدين ثم ما خلفة الزيانيين والحفصيين، مثل وهران، وهنين، وبجاية، وبونة، والخرز[4].

وخاصة في عهد الموحدين حيث كانت الأساطيل تصنع على طول مراسي الدولة وتعرف بدار الصناعة[5]، وساعدها على إنشاء تلك الدور الغابات المنتشرة على طول ساحل المغرب الأوسط[6].

وقد تعددت دور صناعة السفن في المغرب الأوسط على طول الشريط الساحلي من الشرق إلى الغرب ومنها:

- **دار الصناعة بمرسى الخرز:**

لقد احتوى مرسى الخرز على دار للصناعة أقيمت أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الهجريين/العاشر والحادي عشر الميلاديين، أي خلال الفترة الفاطمية الزيرية؛ وهذا يؤكده عدم إشارة المصادر الأولى إليها كابن حوقل والمقدسي.

وأول من أشار إليها البكري بقوله:"وقد صنع بها مرفأ للسفن منذ مدة قريبة، وفي هذه المدينة تنشأ السفن والمراكب الحربية التي تغري بها إلى بلاد الروم"[1]، وهي أول إشارة لهذه الدار في عهد البكري.

---

1) ابن الأثير: المصدر السابق، ج9، ص 428؛ **النويري: المصدر السابق، ج24، ص171**.؛ **التجاني: الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا– تونس، 1981م ، ص345.**

2) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص200، 201؛ **والوزير السراج: الحلل السندسية في الأخبار التونسية، طبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، 1287هـ، ص252؛ والسلاوي: المرجع السابق،ج2، ص128.**

3) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص112.

4) السلاوي:المرجع السابق، ج2، ص138؛ **و عياد المبروك عمار: المرجع السابق، ص26.**

5) محمد المنوني: حضارة الموحدين، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1989، ص171.

6) Féraud .Ch; Exploration des forêts de la Kharasta, Revue Africaine, n°13, 1869, p.36.

وقد حاول أحد باحثي الآثار تحديد موقعها بأنها تقع "في قعر الحوض الداخلي على مستوى الجهة الجنوبية للميناء، أي على اليابسة وليس على مستوى الجزيرة، نظرا لصغر مساحة الجزيرة، كما لا يمكن وضعها على مستوى المسلك الرابط بين الجزيرة واليابسة، باعتبار أن المصادر تؤكد انقطاعه عن طريق مياه البحر في فصل الشتاء، الأمر الذي يجعل من اليابسة الموضع الأنسب والأقرب لموضع هذه الدار التي تفتح على الحوض الداخلي للميناء العسكري"(2).

ورغم عدم ذكر المصادر لأنواع المراكب التي تصنع بدار الصناعة بمرسى الخرز إلا أن الأكيد هي السفن الحربية و التجارية، من قول المؤلف المجهول"وهناك قوم- بمرسى الخرز-لهم مراكب وزوارق"(3)، كما تصنع بها أدوات استخراج المرجان الذي اشتهرت به إضافة إلى وسائل الصيد البحري(4).

●دار الصناعة ببونة:

نظرا لأهمية بونة ووفرة المعادن والأخشاب حولها، اتخذها الفاطميون مركزاً هاماً لصناعة السفن، وإصلاحها وقاعدة لرسو الأساطيل الحربية منها والتجارية(5)، وجميع المصادر السابقة للقرن الثامن الهجري تشير إليها ضمنيا على غرار ذكرها بأنها أصبحت قاعدة هامة لتوفير السفن للموحدين على غرار هنين ووهران، وبلغت قدرة استيعابها للسفن مائتي سفينة مع مرسى الخرز"القالة"(6).

وأول من ذكرها من المصادر هو ابن خلدون، وان كان في ثنايا حديثه بقوله:"واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مرسى العدوة، وبعث إلى الموحدين بتجهيز أسطولهم إليه، فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية من صنائع دولتهم وأوفى سبتة في ستة عشر من أساطيل إفريقية، كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية"(7)، أي أن بونة قد وفرت السفن لأسطول المرينيين، ضد نصارى الأندلس.

---

1) البكري: المغرب، ص55؛ والبكري: **المسالك، ج2، ص234؛ وإسماعيل العربي: العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر، مجلة الأصالة، العدد19، 1974، ص359.**

2) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص305.

3) الاستبصار، ص26.

4) نفسه، ص26.

5) يحي بوعزيز: عنابة، ص22.

6) نفسه، ص22.

7) العبر، ج7، ص345-346.

لكن أصبحت غابات المغرب الأوسط بمقتضاه لا تغطي إلا حاجيات دُورِها بمرسى الخرز وبونة وبجاية، في حين دار الصناعة في هنين ووهران تتلقى الخشب من غابات المغرب الأقصى خاصة في الفترة المرابطية(1).

ونستنتج أن السفن التي تصنع في بونة هي السفن الحربية لممارسة القرصنة، بالإضافة إلى السفن التجارية كالأجفان، وذكرت إحدى الوثائق التي نشرها الأركون وهي الوثيقة رقم 119، بتاريخ707هـ/سبتمبر1307م بأن القراصنة الميورقيين استولوا على جفن بوني صغير قيمة سلعه 5 آلاف دينار(2)، كما تقوم دار الصناعة ببونة بصيانة وإصلاح المراكب والسفن حسب إشارة صاحب الاستبصار "عطب مركب القيطاني ومركب الفخري ومراكب كثيرة"(3).

- **دار الصناعة ببجاية:**

ظهرت خلال الفترة الحمادية منذ سنة461هـ/1069م، وذكرها الإدريسي خلال القرن السادس هجري/الثاني عشر الميلادي بقوله:"وبها دار لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي"(4)، وقد أنشأها الأمير الحمادي الناصر بن علناس(5) وهي تقع بالجنوب الغربي للمدينة مباشرة على البحر بالقرب من القصبة أين يوجد اليوم حي يسمى دار الصناعة أو الصنعة(6).

ويذكر دومنيك فاليرين ضمن أبواب مدينة بجاية في الجانب الغربي باب دار الصناعة المشار إليه في وثيقة ميورقية والذي يعطي دون أدنى شك الانطباع بأنه المدخل إلى دار صناعة الأساطيل في جنوب غرب المدينة(7).

وهناك إشكال أن صاحب الاستبصار يشير إلى دارين لصناعة السفن خلال القرن السادس الهجري إذ يقول:"لها داران لصناعة المراكب وإنشاء السفن"(8)، ووافقه برونشفيك دون دليل(1).

---

1) فرناند بروديل: المرجع السابق، ص56.

2) Alarcon y Santon ; op.cit, p.259.

نقلا عن صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص139.

3) مجهول: الاستبصار، ص127.

4) نزهة المشتاق، ج1، ص260.

5) أمينة بوتشيش: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008، ص42.

6) صالح بعيزيق: المرجع نفسه، ص138.

7) بجاية ميناء مغاربي، ج1، ص144؛ **وسالم أبو القاسم محمد غومة: المرجع السابق، ص98.**

8) مجهول، ص127؛ **وصالح بعيزيق:المرجع السابق، ص138.**

أما ابن خلدون فقد قال عن البجائيين:"وشرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة فيجمع النفراء والطائفة من غزاة البحر، ويصنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال الرجال"(2)، ولم يذكر إن كان ذلك في دار أم دارين، واعتبرها دومنيك فاليرين بأنها دار واحدة أنشئت خلال الفترة الموحدية(3)، وقد طورها المرينيون عند سيطرة أبي عنان عليها سنة748هـ/1347م(4).

كما تحدث ليون الإفريقي في بداية القرن العاشر/السادس عشر الميلادي عن دار لصناعة السفن الحربية وصيانتها فذكر أن الكونت"بيار دي نافارو Pierre de Navarro شيد حصناً قرب هذه الدار قرب البحر في موضع ملائم من الشاطئ، كما حصن قلعة قديمة مجاورة للبحر بجانب دار الصناعة"، خلال حملته سنة 915هـ/1510م(5).

وتحدد الأبحاث الأثرية أن دار الصناعة في بجاية تتكون من حوض مربع الشكل يحيط به من جميع الجهات بهو وعدد من المخازن والصهاريج، ويوجد بالجهة الغربية ثلاث قاعات رئيسية، لم يبق منه اليوم شيئا سوى باب البحر بسبب الطمي(6).

وإلى جانب هذا تؤكد المصادر على أهمية قاعدة بجاية ودار صناعتها وقد ساعد على ذلك توفرها على غطاء نباتي كثيف وفر لها الخشب اللازم لبناء السفن هذا فضلا عن توفرها على الحديد والقطران(7).

أما عن السفن التي تصنع بهذه الدار فكانت السفن الحربية بالدرجة الأولى كالغراب(8) والطرائد(9)، بالإضافة إلى السفن التجارية كالجفن التي أوردتها الوثيقة119من الوثائق التي نشرها الأركون، حيث كان الجفن البجائي يحمل

---

1) تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج1، ص416.

2) العبر، ج6، ص578.

3) بجاية ميناء مغاربي، ج1، ص66.

4) النميري: المصدر السابق، ص270-271؛ **وسالم أبو القاسم محمد غومة:المرجع السابق، ص162**.

5) وصف إفريقيا، ج2، ص51؛ **و دومنيك فالرين: المرجع نفسه، ج1، ص100**.

6) Christophe Picard; La mer, p. 50.

و صالح بعيزيق: المرجع نفسه، ص139؛ **والأسعد شوشان: المرجع السابق، ص311**.

7) مجهول: الاستبصار، ص129-130؛ **والطاهر قدوري: الدولة الموحدية، ص257**.

8) حيث يذكر ابن عذارى عند حديثه عن غراب في إطار الحملة البحرية التي وجهها العزيز بن المنصور الحمادي سنة 530هـ/1136م إلى المهدية، حيث قام صاحب المهدية بإخراج أسطوله الذي استولى من أسطول بجاية غرابين وأمر بسجن قائدهما.**ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص312-313**.

9) عنوان الدراية، ص77.

سلعا غالية[1]، بل ويعتبر برونشفيك دار الصناعة في بجاية مختصة في التجارة البحرية، حيث كانت تصنع السفن التي كانت سببا في ثرائها[2].

لهذا كانت دار الصناعة البجائية تعد من أهم دور الصناعة الثلاث الكبرى للدولة الحفصية رفقة دار الصناعة في تونس والمهدية.

- **دار الصناعة بجزائر بني مزغنة:**

إن المصدر الوحيد الذي تحدث عن هذه الدار يعود إلى فترة متأخرة وهو ابن أبي دينار(ت1110هـ/1690م) حين تكلم عن حملة الناصر الخليفة الموحدي[3] على بني غانية، بقوله" فلما وصل إلى جزائر بني مزغنة أمر بإنشاء أساطيل وأخذ في تجهيز العساكر إلى ميرورقة ففتحها وقتل صاحبها عبد الله بن إسحاق وفر أخوه يحي ودخل الصحراء"[4].

أي أن دار الصناعة في جزائر بني مزغنة تعود إلى الفترة الموحدية بعد ضمها سنة546هـ-547هـ/1151م، وهنا نستغرب سكوت المصادر عن الحديث عنها، ليحاول أحد الباحثين تحديد مكانها في نفس موضع دار الصناعة العثمانية بمحاذاة أو داخل أسوار المدينة[5].

إن الهجوم الضخم للموحدين "أزيد من الأربعمائة قطعة"[6]، ودخولها لميناء جزائر بني مزغنة ثم التوجه بها نحو قواعد بني غانية في جزر البليار يعطينا صورة على كبر وضخامة هذا الميناء واتساع دار صناعته.

- **دار الصناعة بوهران:**

تعود أول إشارة إليها إلى الحملة التي قادها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي خلال حملته الطويلة نحو المغرب الأوسط والأدنى سنة546هـ-547هـ/1151م، حيث أمر بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل البلاد وعزم

---

1) Alarcon y Santon ; op.cit, p.259.

نقلا عن صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص139.

2) تاريخ إفريقية في العهد الحفصي، ج1، ص416.

3) هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالناصر حكم سنة595هـ/1199م بعد وفاة أبيه يعقوب المنصور، في عصره لم يشهد إنجازات كالتي شيدها أبوه، وانهزم أمام الفونسو الثامن في معركة حصن العقاب قرب جيان، في يوم الاثنين منتصف صفر609هـ/1212م، توفي سنة610هـ/1213م. **أنظر عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 219-231**.

4) المؤنس، ص122.

5) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص312.

6) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص201.

على غزو بلاد الروم في البر فأنشأ منها أربعمائة قطعة أنشأ منها في وهران ومرسى هنين مائة قطعة[1]، غير أننا نتساءل كيف تمكنت دار الصناعة في وهران من توفير هذا العدد من السفن وهي حديثة التأسيس في الفترة الموحدية مما يجعلنا نعتقد أنهم ورثوها عن الفترة المرابطية رغم عدم إشارة المصادر إليها، ودعم هذا القول إشارة الحميري"وقد كانت ذات عمارة دائمة بالسفن والمراكب"[2]، وكذا كريستوف بيكار الذي اعتبرها تعود إلى الفترة المرابطية[3].

أما عن السفن التي تصنع بها فهي السفن الحربية التي اشتهر بها الموحدون وهي الشيني والطريدة والشلندي[4].

وفي ظل غياب المعطيات الأثرية والمصدرية يمكن التخمين أن الدار تتركز على مستوى المدينة لأن الدور عادة ما تكون داخل أسوار المدينة، وذلك لتأمينها، وحتى لا تترك للعدو أي منفذ إليها نظرا ليعدها الاستراتيجي والعسكري الهام، إضافة إلى فرضية وقوع الدار على مستوى حوض المرسى الكبير[5].

- **دار الصناعة بهنين:**

أغلب المصادر تعيد تاريخ إنشائها مع دار الصناعة في وهران إثر الحملة الكبيرة للخليفة الموحدي عبد المؤمن نحو إفريقية، حيث أمر بصنع"الأساطيل في جميع سواحل بلاده وعزم على غزو بلاد الروم في البر فأنشأ منها أربعمائة قطعة، أنشأ منها في حلق المعمورة ومرساها مائة وعشرين قطعة ومنها بطنجة وسبتة وبادس ومراسي الريف مائة قطعة ومنها ببلاد افريقية ووهران ومرسى هنين مائة قطعة"[6].

ومن خلال العدد الضخم100سفينة يتضح أنها كانت رفقة دار الصناعة في وهران دار كبيرة وقديمة ربما تعود للفترة الأخيرة المرابطية، وهو ما يشير إليه أحد الباحثين بأنها تعود لتلك الفترة[7].

وتقع هذه الدار على مستوى الحوض الداخلي للميناء العسكري الذي يقع بدوره ضمن أسوار المدينة التي أحدثها الموحدون، وهو ما يشير إلى العناية الكبيرة بهذه الدار التي مثلت قاعدة مهمة للدولة الموحدية[1].

---

1) ابن أبي زرع: المصدر نفسه، ص38، 201؛ و **ابن خلدون: العبر، ج6، ص315**.

2) الروض المعطار، ص613؛ **وسالم أبو القاسم محمد غومة: المرجع السابق، ص42**.

3) Christophe Picard; La mer, p. 159.

4) النويري: المصدر السابق، ج24، ص171.

5) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص313.

6) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص201.

7)Macais G ;Honain, op.cit, p.334.

وخلال القرن7هـ/13م أصبحت تلمسان عاصمة الزيانيين مركزا تتجمع فيه مختلف الصناعات خاصة على عهد السلطان أبي حمو موسى الزياني فأضحت دارا للصنعة كما قال يحي بن خلدون:"...أن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم، فمن دراق ورماح ودروع ولجام و وشاء وسراج وخباء ونجار وحداد وصنائع ودباغ وغير ذلك، فسكتت لأصواتهم وآلاتهم السماع، وتحار في الحكام صنائعهم الأذهان، وتوقف دون بحرهم الهائل الأبصار..."[2].

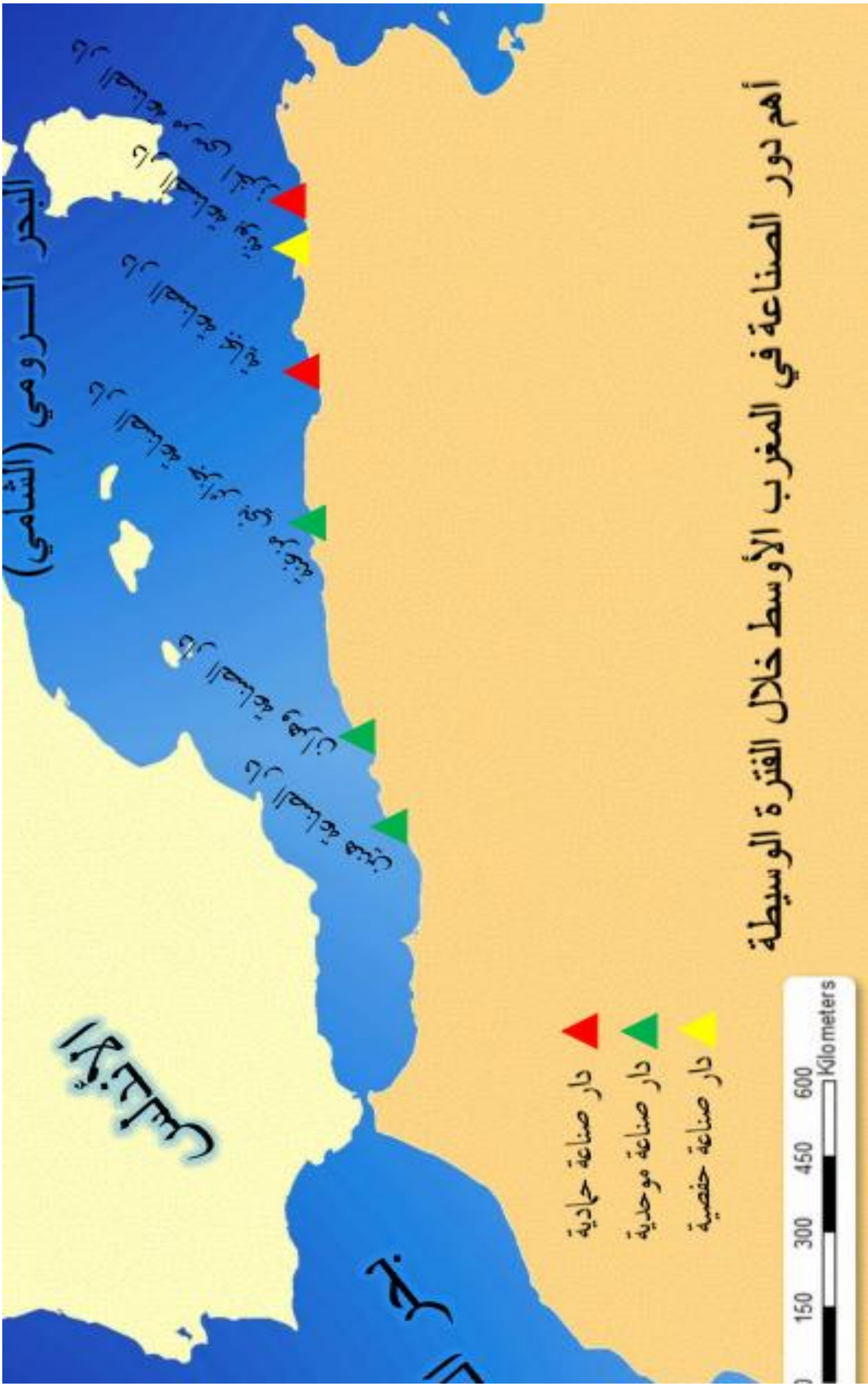
ومن دور الصناعة المتأخرة دار الصناعة في شرشال والمرسى الكبير واللتان تعودان إلى الفترة الأولى لقدوم الأتراك بقيادة خيرالدين بربروس[3].

1) Christophe Picard; La mer, p.82.

و الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص311.

2) يحي بن خلدون: بغية الرواد، ج2، ص160.

3) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص8، **ومارمول**: **المصدر السابق، ج2، ص357**.


أهم دور الصناعة في المغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة
البحر الرومي (الشامي)
دار صناعة حمادية
دار صناعة موحدية
دار صناعة حفصية
0 150 300 450 600
Kilometers

ج) أهم السفن التي تصنع بهذه الدور.

يصف ابن خلدون السفينة بأنها أجرام هندسية على قالب الحوت واعتبار سبحه في الماء بقوادمه وكلكله، ليكون ذلك الشكل أعون لها على مصادمة الماء، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح. وربما أعينت بحركة المجاذيف كما في الأساطيل[1].

وعليه يمكن تقسيم سفن الفترة الوسيطة حسب الوظيفة إلى سفن حربية وسفن تجارية ومراكب صيد، إضافة إلى السفن الملاحية المخصصة للسفر، كما أن في زمن الحرب يتم استدعاء السفن التجارية للمشاركة في القتال سواء بحمل المقاتلين أو الأحصنة أو المؤونة.

أي أنه لم تكن هناك حدود فاصلة وواضحة بين الأسطول التجاري والعسكري، فالسلم كان هشا بالبحر المتوسط، وكان المسيحيون والمسلمون بالمنطقة كل يترصد الآخر[3].

وأهم السفن والمراكب التي تنجزها دور الصناعة المنتشرة على طول ساحل المغرب الأوسط منها:

الحرابي: ومفردها حربة، وهي نوع من الشواني[4] تشبه إلى حد كبير الزوارق التجارية وقد ذكرها الشاعر ابن حمديس في ديوانه، حيث كانت تتقدم الأسطول لاستكشاف العدو، ويقول:

وحربية ترمي بمحرق نفطها   فيغشى سعوط الموت فيها المعاطسا[5].

وكانت تصنع في دار الصناعة ببجاية[1]، كما تستعمل في الحروب لرمي النفط، واستعملها الحماديون في حصارهم لتونس[2].

1) المقدمة، ج2، ص300.

3) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص191.

4) محمد عناوي: المرجع السابق، ج2، ص443.

5) ديوان ابن حمديس الصقلي(447-527هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للطباعة، بيروت، 1960، ص276.

الشطية sattia: سميت بذلك لعدم ابتعادها عن الشاطئ، وقيل أن اسمها مشتق من الكلمة الإيطالية settia وظهرت تقريبا منذ القرن الحادي عشر وعرفت بسرعتها وصغرها، واستعملت منذ العصر الوسيط في الحروب والتجارة وصيد السمك[3]، ويمكن تجهيزه بين أربعة وعشرة مدافع ويتراوح طاقمه بين خمسين ومائة رجل[4].

ويعتبر عزالدين عمر موسى الشيطي هو أحد مكونات الأساطيل البحرية لدولتي الموحدين والمرينيين بالغرب الإسلامي[5]

المراكب: ومفردها مركب وهي قطعة تجارية مخصصة لأغراض التوصيل[6] وكانت تستعمل في أوقات الحرب لنقل الجند والمؤن والسلاح وغيره من العتاد والإمدادات، وكانت تصنع في بجاية[7] والحربية تصنع منها في مرسى الخرز[8].

الأجفان[9]: الجفن وهي سفينة دائرية من سفن الغزو والحرب[10]"غزوية"، أو تنقلية، رغم أنها في العصر الموحدي كانت أغلبها غزوية[11]، ويشير إلى ذلك ابن الخطيب بقوله"فركب بمن اختصه في قطعة من أسطوله وحمل المال والمتاع في اثنتين وأحرق باقي الأجفان خشية الإتباع"[12].

1) الإدريسي: المغرب، ص90؛ **وعبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص208**.
2) عبد الحق معزوز: العتاد العسكري للجيش الحمادي، ضمن أعمال ملتقى النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني يومي 26 و 27 نوفمبر2014، مجلة دراسات تراثية، العدد 05، 2014، مخبر التراث الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، ص297.
3) ابن أبي دينار: المصدر السابق، ص203.
4) حسن أميلي: الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006، ص101.
5) دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1، 1983، ص56-57.
6) الإدريسي: المغرب، ص90-91.
7) الحميري: المصدر السابق، ص80.
8) عبد الحق معزوز: المرجع السابق، ص298.
9) الجفن كلمة أندلسية بمعنى السفينة المسطحة القعر. **مصطفى غطيس:أسماء السفن في بعض المصادر العربية، مجلة دراسات تاريخية، مركز البصيرة للبحوث، القبة الجزائر، العدد03، أوت2014، ص116**.
10) فوزية محمد عبد الحميد نوح: البحرية الإسلامية في عهد المرابطين، ص83.
11) عياد المبروك عمار: المرجع السابق، ص43
12) ابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص192.

وهذا النوع من السفن يمكن إرجاعها إلى العهد المرابطي، ويورد صاحب الحلل الموشية معلومات تفيد أن تاشفين بن علي، إبان حصار الموحدين له في وهران كان قد جهز عشرة أجفان غزوية تكون طوع أمره إذا احتاج إليها للتخلص من الحصار[1].

وذكر ابن عذارى أن عبد المؤمن أمر سنة553هـ/1158م أمر بالكتب الى قبائل الموحدين بالنفر للجهاد والاستعداد في الزاد وأمر أهل البلاد البحرية-بما فيها بجاية-بإنشاء الأساطيل والأجفان"[2].

كما كان المسلمون يستولون على أجفان أعدائهم ويدمجونها إلى أجفانهم، ويشير ابن عذارى إلى أن الخليفة أبا يعقوب في سنة586هـ/1190م استطاع أن يحرز نصرا على الأسطول البرتغالي ويعكس عدة من أجفانه فيصيرها إسلامية[3].

السفينة: من سفن الشيء يسفنه أي قشره، وسميت بذلك لقشرها وجه الماء، وهي الجارية من المراكب الكبيرة[4]، كما سميت السفن الصغيرة بعدة تسميات منها القارب والزورق[5].

الشينيGalère[6]:أو الشواني هي السفن الحربية الشراعية الضخمة الطويلة التي كانت تتكون من عدة طبقات كالقلعة، أي تنصب فيها أبراج للدفاع، يجدف ب140 أو 180 مجدافا[7] زودت بأبراج وقلاع للدفاع وللهجوم، وتحتوي على أهراء لخزن القمح وصهاريج لخزن الماء العذب وقد كانت من أهم

1) مجهول: المصدر السابق، ص131-132؛ و**الطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين ألمرابطي والموحدي، ص98**.

2) البيان، قسم الموحدين، ص61.

3) ابن عذارى: المصدر السابق، ج4، ص177؛ و **فوزية محمد عبد الحميد نوح: البحرية الإسلامية في عهد المرابطين، ص186**.

4) سعاد ماهر: المرجع السابق، ص165.

5)Picard, Christophe ;La mer, p.113.

6) الشيني كلمة مصرية يقصد بها مخازن الغلة وتطلق على المركب المعد للجهاد في البحر نظرا لتخزين المؤن فيه.**مصطفى غطيس:أسماء السفن، ص121**.

7) درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، دار المعارف، الإسكندرية، ط2، 1979، ص83؛ و **سالم أبو القاسم محمد غومة: تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين في الفترة من 451-668هـ/1059-1269م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الفتح، الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، 2003-2004، ص39**.

قطع الأسطول الفاطمي[1]، وذكرها البكري[2] بأنها تخرج غازية من ميناء بونة، وقد وصفها الشاعر ابن حمديس عند مدحه أبا يحي الحسن بن علي بقوله:

وقد جعلوا لهم من شرع الشواني مع الأرواح أجنحة وطاروا[3].

كما كانت الشواني ضمن جيش أبي عنان المريني أثناء حملته على افريقية سنة748هـ/ 1347م، إذ مر في رحلته بدور الصناعة الكبرى كوهران وبجاية[4]، وفي سنة1376م وصل خبر إلى ميورقة حول تسليح أمير بجاية لسبع شواني وغليوطات باثنين وعشرين منصة ومركباً[5].

الغراب Corvette: وهي مراكب حربية قوية شرسة في القتال[6] استعملت خاصة في القرصنة، ولعلها سميت بذلك بسبب شكل مقدمتها الشبيه برأس الغراب[7]، وكانت تصنع خاصة في بجاية[8]، ومنها إشارة ابن عذارى إلى استيلاء صاحب المهدية على غرابين من الأسطول الحمادي الذي هاجم المدينة سنة560هـ/1136م[9]، وكان يستخدم في عهد الموحدين في إبلاغ البريد[10]، كما كان يستعمل الغراب قائد الأسطول الموحدي علي بن عيسى[11]، وصاحب القرطاس يذكر أن الغراب هو أكبر أجفان المسلمين، إلا أنه أقل ارتفاعا من القرقورة[12].

عبد الفتاح عبادة: سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، 1913، ص4؛ و أحمد مختار العبادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ت، ص333، هامش 3.

2) البكري: المغرب، ص73.

3) ابن حمديس: المصدر السابق، ص146، 239؛ **و عبد الحق معزوز: المرجع السابق، ص298-299؛ محمد عناوي: المرجع السابق، ص442.**

4) النميري: المصدر السابق، ص160، 354؛ **و سالم أبو القاسم محمد غومة: تاريخ المغرب وحضارته، ص167.**

5) دومنيك فاليرين: المرجع السابق، ج1، ص564.

6) إبراهيم أحمد العدوي: الأساطيل العربية في البحر المتوسط، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، 1957، ص153.

7) أحمد عبد الرزاق: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1999، ص215؛ **فوزية محمد عبد الحميد نوح: البحرية الإسلامية في عهد المرابطين، ص188.**

8) ابن عذارى: المصدر السابق، ج1، ص312-313.

9) نفس المصدر والصفحة.

10) عبد الهادي التازي: الأسطول المغربي عبر التاريخ، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط ، العدد 33، 1983، ص20.

11) البيذق: أخبار المهدي، ص67؛ **والطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين ألمرابطي والموحدي، ص96-97.**

12) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص332.

وقد حمل الحسن بن علي صاحب المهدية على غراب إلى بجاية بعد سقوطها في يد النورمان عام543هـ/1148م، كان قد أسعفه به الأمير الحمادي يحي بن العزيز[1].

الحراقة: وجمعها حراريق وهي من المراكب الكبيرة ولكنها أقل من الشواني وتجذف بأكثر من 100مجذاف[2]، وتستعمل في حرق سفن العدو وتزود بالنفط وهو مزيج من مركبات مختلفة كالكبريت والكلس والأصماغ[3]، وتوضع في أوعية تقذف على سطوح سفن الأعداء[4]، وذكرها ابن الشماع عند نزول النصارى بالمهدية والتوجه إلى بونة في793هـ/جويلية1390م[5]، وأكثر الفاطميون من استخدام هذا النوع الذي ورثوه عن الأغالبة، في حروبهم ضد البيزنطيين في جنوب ايطاليا وجزر البحر المتوسط[6].

كما استخدمها المرينيون عند ضمهم بجاية ويذكر صاحب فيض العباب"وحراقات تحرق قلب المناصب وتتيح صرعه"[7].

البُطسةPatache : من السفن الحربية العظيمة التي تشتمل على عدة طبقات وعلى قلوع كثيرة تقدر بأكثر من أربعين قلعا وتستخدم في حمل الأزواد والذخيرة والرجال[8]، وهذا يبين أن لها أغراضاً تجارية وعسكرية، وهي من الأنواع التي استخدمها التلمسانيون للتنقل بين إمارات المغرب الإسلامي ففي سنة715هـ/1315م أبحر مجموعة من التجار التلمسانيين والبجائيين والتونسيين في بطسة تلمسانية، كانت تقوم برحلة عبر موانئ المملكة الزيانية[9].

---

1) ابن عذارى: المصدر نفسه، ج1، ص314؛ **والنويري: المصدر السابق، ج24، ص247-250**.

2) ابن مماتي شرف الدين: قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991، ص340؛ **ومحمد عناوي:المرجع السابق، ص443**.

3) **صمغ السفن** هو صمغ لا ينحل في الماء ويستخرج من بعض الأشجار كاللوز والزيتون البري و الايجاص...**النويري: المصدر نفسه، ج11، ص322-324**.

4) علي حسن الخربوطلي: البحر المتوسط بحيرة عربية، دار المعارف، القاهرة، 1963، ص26؛ **وحسين مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، ص82**.

5) الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد العموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص111.

6)أحمد مختار العبادي، وعبد العزيز سالم: تاريخ البحرية في مصر والشام، ص134؛ **و محمد عبد الله سالم العمايرة: الجيش الفاطمي(297-567هـ/909-1171م)، رسالة دكتوراه في التاريخ، الجامعة الاردنية، 1999، ص159**.

7) النميري:المصدر السابق، ص354؛ **و سالم أبو القاسم محمد غومة: تاريخ المغرب وحضارته، ص167**.

8) إبراهيم أحمد العدوي: الأساطيل العربية، ص151؛ **ومحمد الشاذلي النيفر:المرجع السابق، ص195**.

9) لطيفة بشاري:النقل البحري، ص439، هامش4.

وتذكر أحد العقود مؤرخة651هـ/1253م عن رحلة تجارية من جنوة إلى بجاية على ظهر بطسة بلغت حمولتها 3آلاف قنطار[1].

الشلندي Chelanduim[2]: وجمعها شلنديات وهي من كبار المراكب الحربية المسطحة ذات طابقين السفلي للمجذفين أما القسم العلوي فيستعمل كمسطح يتقاتل الغزاة على ظهره لهذا كانت من

أبرز السفن الحربية، كما استخدمت أيضا في نقل البضائع أي لأغراض تجارية[3]، وكانت هذه القطع تصنع في مرسى بجاية ومرسى الخرز[4]، وكانت تشكل أهم القطع البحرية في الأسطول الحمادي بسبب كبرها وسعة حمولتها[5].

القرقورة: اسمها بالاسبانية كاراكا، ومنها ما هو بثلاثة ظهور"طبقات" ولها ثلاثة قلاع تسير بها في الريح العاصف[6]، وهي معدة لنقل المؤن والذخيرة للأسطول والتجارة أيضا[7]، وقد استعملها الفاطميون في أسطولهم الحربي وكذا الموحدون[8]، كما ذكرها ابن عذارى في حوادث عام 585هـ/1189م بحيث كان العدو في الأندلس يستخدمها للهجوم على البلاد الإسلامية[9].

الطريدة: وهي سفن حربية صغيرة[10]، تستعمل في مطاردة العدو لسرعتها وتستخدم كذلك في نقل الخيل"حمولتها أربعون فرسا"[11]، الطريدة أو الطارد سفينة صغيرة سريعة أطلق عليها الإسبان اسم Tarida[1]، وقد

---

1) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص193.

2) يرجع اسمها الى اللغة اللاتينية خلال العصر الوسيط في أوروبا الغربية ويتعلق الأمر ب chelandium وتعني قادسا بيزنطيا معدا لحمل المقاتلة والسلاح.**مصطفى غطيس**:**أسماء السفن، ص120**.

3) أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص333، الهامش 5؛ **وعبد الفتاح عباده: سفن الأسطول الإسلامي، القاهرة، 1913، ص06؛ وعبد الحق معزوز: المرجع السابق، ص298**.

4) عبد الحق معزوز: المرجع نفسه، ص299.

5) سعاد ماهر: المرجع السابق، ص353.

6) محمد المنوني: ورقات، ص110. **وعبد الفتاح عباده: المرجع السابق، ص151**.

7) عبد المنعم ماجد: المرجع السابق، ص76-77.

8) فوزية محمد عبد الحميد نوح: البحرية الإسلامية في عهد المرابطين، ص189.

9) البيان المغرب، قسم الموحدين، ص201؛ **و عبد السلام الجعماطي: تاريخ الملاحة، ص64**.

10) علي محمد فهمي: التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة عبد غالم، دار الوحدة، بيروت، 1981، ص144، **و حسين مؤنس: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، ص82**.

11) محمد بن منكلي: الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق محمد شيت خطاب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1988، ص234؛ **أنور عبد العليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و للفنون والآداب، الكويت، 1979، ص95**؛ **وعبد الفتاح عبادة:المرجع السابق، ص6**

وقـد امتلكهـا الحمـاديون وصـنعوها في بجايـة وخسـر الجـيش الحمـادي طـرادين أثنـاء محاصـرته للمهديـة، سنة522هـ/1128م[2].

وقد تحدث عنهم ابن عذارى عند حديثه حول مواجهة الموحدين لبني غانية وتوجههم من جزيرة يابسة إلى بجاية والجزائر، ثم تمكن القائد ابن ميمون من طريدتين فأضرم فيهما النار ورجع ابن غانية خائبا[3]، كما ذكرها الحميري ضمن الحرب الدائرة بين عبد المؤمن وبني غانية إذ توجه الأسطول الموحدي من الجزائر إلى ميورقة وكان ضمن وحدات الأسطول المتكون من ثلاثمائة جفن منها سبعون غرابا وثلاثون طريدة وخمسون مركبا[4].

وقد عثر في إحدى وثائق الموثقين المجهولين طريدة تسمى"النصر" ملكية vita de vivaldo zara قامت برحلة من بونة إلى مرسى تونسكانت تتأهب لنقل السلع إلى جنوة[5]، كما ذكرها الغبريني كوحدة تصنع في بجاية تنتمي ضمن الأسطول الحفصي[6].

الشخاتير: سفن تجارية ولكنها تستعمل للشحن الحربي[7]، وأعد عبد المؤمن أسطولا من سبعين شينيا وطريدة[8]، وشلندي[9]، وأجفاناً[10]، إضافة إلى الشخاتير، والغراب[11]، والحراريق والزوارق والمسطحات والمراكب[12]، مجهزة بمختلف الأسلحة وغزاة البحر وآلات الحصار[13]، وإلى جانب تلك الأسلحة البحرية السالفة

---

1) أحمد مختار العبادي والسيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، ص333، الهامش 4.

2)Bourouiba Rachid; les Hammadides, ENAG, 1981, p.110.

ومحمد عبد الله سالم العمايرة: المرجع السابق، ص**161**.

3) البيان قسم الموحدين، ص240.

4) الروض المعطار، ص567.

5) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص195.

6) عنوان الدراية، ص77؛ **وصالح بعيزيق:المرجع السابق، ص139**.

7) أحمد عزاوي: قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني، عالم الفكر، ط1، 2010، ص85.

8) ابن أبي زرع: المصدر السابق، ص221-222؛ **ورسائل موحدية"مجموعة جديدة"، ج1، ص185. ولي طورنو: المرجع السابق، ص83**.

9) النويري: المصدر السابق، ج24، ص171.

10) ابن أبي زرع: المصدر نفسه، ص221، 243.

11)رسائل موحدية"مجموعة جديدة"، ج1، ص84.

12) رسائل موحدية، تحقيق بوفنسال، الرسالة الخامسة، ص12.

13) ابن أبي زرع: المصدر نفسه، ص198؛ **وعبد الله علي علام: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1971، ص208**.

الذكر أنشأ عبد المؤمن قطعة جديدة ضمن أسطوله تحمل اسم المراكب الغزوانية، وتقوم بمهمة حربية وكذا مهمة النقل، عبر الموانئ الساحلية[1].

وعلى العموم، نسجل الخلط الكبير بين المصادر في تفاصيل وأسماء المراكب فالسفينة الواحدة قد ترد بعدة أسماء وبوظائف مختلفة، كما نجد أغلب السفن حربية لكنها في أوقات السلم تخصص للتجارة و والرحلات والتنقل والحج.

كما كانت السفن في رحلتها غالبا ما تلجأ إلى المساحلة، أي تحاذي السواحل، ولا تبتعد عنها كثيرا حتى لا تظِل طريقها، أو تسير في خطوط موازية لخطوط الطول، وتساعدها الرياح على السير، ومنها الخط الرابط بين جزيرة ميورقة وميناءي الجزائر ودلس، وآخر رابط بين سواحل مرسية والمغرب الأوسط، أي الموانئ الواقعة بين وهران والجزائر، وبقيت على هذا الحال إلى القرن10هـ/16م[2].

كما يؤكد لنا فاليرين عند دراسته للتوزيع الشهري لذهاب السفن الجنوية من والى بجاية في منتصف القرن الثاني عشر إلى نهاية القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي ، بلوغ أوجها في شهر ماي بنسبة24.70 % وانخفاضها إلى أدناها في شهر ديسمبر بنسبة0.30 %، مما يبين لنا تحكم الطقس والأحوال الجوية في حركة الملاحة وخضوعها لقوة الطبيعة، لأن السفن لم تكن متطورة بالقدر الكافي لتجاوز هذه الظروف[3].

---

1) ابن جبير: المصدر السابق، ص8؛ و **ابن عبد الله عبد العزيز: البحرية المغربية والقرصنة، مجلة تطوان، الرباط، 1958–1959، ص63**.

2) Dufourcq, ch; L’espagne, P.45.

ولطيفة بشاري:العلاقات التجارية، ص97.

3) دومنيك فاليرين:المرجع السابق، ج1، ص389.

رابعا: القناصل

جسدت القنصلية إحدى المؤسسات الرسمية التي تشرف على النشاطات البحرية الأجنبية والتي انتظم من خلالها الحضور الأجنبي في المغرب الأوسط، وكان القنصل في البداية مديرا للفندق ثم أصبح هيئة مستقلة، والقنصل هو الممثل عن السلطة في الدولة الأم داخل الدولة الأجنبية، ويعتبر الصلة الرسمية بين السلطة المركزية والجاليات التي يمثلها[1]، وقد أشير إلى وجود قنصل مرسيليا وجنوة ببجاية في وثيقة تعود إلى عام 630هـ/1233م[2].

وتضاعفت وانتظمت العلاقات الاقتصادية بين إفريقية وأوروبا المسيحية في عهد بني حفص، وذلك بفضل إنشاء قناصل ما وراء البحار، هذه القناصل أنشأها الصليبيون في المشرق ودخلت بلاد البربر في الربع الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي، كانت قنصلية البندقية التي أنشئت في تونس سنة629هـ/1231م من أقدم قنصليات مرسيليا وجنوة وبيزة وصقلية وأراغون، بل حتى النرويج عزمت في سنة 660هـ/1262م، على إرسال وفد لمقابلة المستنصر الحفصي لعقد اتفاقيات تجارية"[3].

ولا نعرف الجذور التاريخية لحضور هذه المؤسسات في المغرب الأوسط، علما بأنها ظهرت بالمشرق في القرن6هـ/12م إثر الحروب الصليبية[4]، وكما هو معلوم أن جنوة عينت"بونجيوفاني Buongiovanni" منذ سنة560هـ/1164م كاتبا لها في فندق بجاية في عهد عبد المؤمن بن علي[5]، وبعد أن تكثفت العلاقات التجارية البحرية في بلاد المغرب الأوسط، أصبح من الضروري تعيين قناصل جنويين يمثلون جمهوريتهم[6].

وأقدم القناصل المشار إليهم في المراجع هم قناصل البندقية في تونس في خريف عام 629هـ/1231م ومرسيليا وجنوة في بجاية سنة631هـ/1233م[7].

وتجدر الإشارة إلى أن تعيين القنصل يتم في الغالب من قبل أعلى السلطات في بلاده، وهذا يعني أنه الممثل الرسمي الدائم لرعاية مصالح تجار بلاده[1]، أو يختار من بين التجار الكبار للجالية أو ينتخب، أما مدة بقاء القنصل

---

1) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص.112.

2) الطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، ص342.

3) جورج مارسيه: المرجع السابق، ص328.

4) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص465.

5) مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص112.

6 الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص311.

7) روبار برونشفيك: المرجع نفسه، ج1، ص465.

في منصبه فليست بالمدة الطويلة، فهي تتراوح بين سنة وسنتين بالنسبة للبندقية، وسنتين كاملتين لكل من جنوة وبيزة والأراغـون[2]، وهنـاك مـن القناصـلة مـن يـرفض المنصـب كمـا هـو الحـال بالنسـبة لتـاجر في بجايـة سنة698هـ/1298م[3].

وقنصل كاتالونيا يتم تعيينه من طرف بلدة برشلونة"مجلس المائة"في بجاية، وفي تلمسان يعينه الملك "الكونت"[4]، ويجب على القنصل إعطاء وتقديم الحسابات إلى الحاضرة ويلتزم بإبلاغ الوضعية في بجاية بانتظام، حيث يجب عليه أحيانا جمع الرسوم الموجهة إلى بيت المال[5].

كما عقدت جنوة معاهدة سنة648هـ/18أكتوبر1250م مع السلطان الحفصي المستنصر[6]، ونصت على السماح للجنويين بتواجد قنصل لهم بعاصمة الدولة وبجاية[7]، وبعض المدن الساحلية.

وكان القنصل الجنوي والبيزي والبندقي ببلاد المغرب يزاول مهامه لمدة سنتين، ويقوم بدور إداري أكثر منه سياسياً، كما كان يقضي بين مواطنيه ويدافع عن مصالحهم لدى مصالح الديوانة والسلطة المغربية، وتسيير شؤون الفندق، وكان يساعد القنصل مجلس وصل عدده إلى12تاجرا في تونس[8].

وقد يقع القنصل في مشاكل وخلافات خاصة مع التجار من نفس الجالية فتؤثر على القنصل ويتهم بالميول لفئة على حساب فئة أخرى وهو ما حدث لقنصل الميورقيين في بجاية سنة731هـ/1330م الذي اتهم بكونه مجرما[9] .

---

1) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص239.

2) De Mas Latrie; Traité ,p.88.

3) نعيمة عميروش: الفنادق ودورها التجاري في المغرب الأوسط، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يومي 7-8ديسمبر2009، ص488.

4) نعيمة عميروش: المرجع السابق، ص488.

5) دومنيك فاليرين:المرجع السابق، ج1، ص362.

6) وردت عند برونشفيك أنها وقعت سنة649هـ/1251م . **تاريخ افريقية في العهد الحفصي، ج1، ص73.**

7) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص69.

8) مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص113.

9) نعيمة عميروش:المرجع نفسه، ص489.

كما بعثت جنوة سفارة إلى السلطان الحفصي748هـ/1347م تزعمها Brachanleone Lercarioمحملة بعدة هدايا إلى أعيان المنطقة بدأت من تونس وبونة و بجاية ثم توجهت نحو المغرب الأقصى(1)، وهذا لتهيئة الجو للتجارة وتليين العلاقات المتوترة.

وتمتد سلطة القناصل على العاصمة والمدن الكبرى المجاورة لها كبجاية وجهاتها أيضا بمعنى الموانئ الهامة خصوصا وقسنطينة وهذا ما يشير إليه عقد في عام 672هـ/1273م والذي أبلغ من خلاله ملك أراغونة كل رعاياه الوافدين إلى جهة بجاية بين قسنطينة والجزائر بتعيين أرمنجول أندروErmengol Andreu قنصلا لمدة خمس سنوات(2)، وكذا تلمسان وجهاتها الكبرى كهنين ووهران.

ويعتبر القنصل واسطة بين التجار وبلادهم وبين السلطة الحاكمة في البلد الذي يقيمون فيه، فهناك مراسلات للقناصلة إلى بلدانهم لإخبار سلطاتهم ببعض التجاوزات والمشكلات التي يتعرض لها تجارهم، منها رسالة قنصل مرسيليا والتجار عام693هـ/1293م والتي يشكو سوء معاملة أمير بجاية لهم(3)، ولم تمنع مثلا احتجاجات سنة702-703هـ/1302-1303م ملك مايورقة من تعيين قنصل في بجاية(4).

وتذكر وثيقة ميورقية مؤرخة في728هـ/1327م أبلغت المجموعة اليهودية بجزيرة الأمير فيليب الوصي على العرش بالمملكة أن قنصل الميورقيين بتلمسان أمر جميع تجار المقاطعة الموجودين في دولة السلطان أبي تاشفين الأول الزياني(718-728/1318-1328م) بمغادرتها في أجل أقصاه أربعة أشهر، وتذكر هذه الوثيقة أن يهود ميورقة باعوا سلعهم بالدَيْن للمغاربة وسافروا إلى مناطق بعيدة ليعودوا فيما بعد بقيمة السلع(5)، وتضعنا هذه الوثيقة أمام نقاط هامة وهي البيع بالدَيْن من جهة والمقايضة من جهة أخرى ووجود قنصل للميورقيين بتلمسان من جهة ثالثة، ويشرفون على المدن الآخرى كوهران وهنين ومستغانم.

---

1) Blancard L; op.cit., TI, N° 45.

و الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص311.

2) دومنيك فاليرين:المرجع السابق، ج1، ص368.

3) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص239.

4) De Mas Latrie ; Traité, p.91

5) رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ، ج3، ص477 وما بعدها.

ومما يؤكد أهمية مكانة القنصل ما يشير إليه دو ماس لاتري أنه كان للقناصلة القطالونيين ولمدة طويلة الحق في الإشراف على إيرادات الجمارك العربية في تونس وبجاية[1].

خامسا: القيسرية.

من المنشآت الأساسية في المدينة الوسيطة الإسلامية، ومعناها سوق بيع الثياب والكلمة من اللغة العربية القديمة التي دخلت مع العرب الفاتحين، أو أن أصلها قيصرية نسبة إلى قيصر الروم، ذلك أن الروم عندما حكموا المنطقة الشمالية من المغرب خصصوا لكبار تجارهم أماكن منعزلة عن باقي المتاجر بحيث يمكن استخلاص الضرائب ويتقاضونها في عين المكان، كما أن دفاع التجار عن أموالهم في حالة الخطر اضطرهم إلى الدفاع عن المنطقة التجارية التي هم بها فيحمون بذلك أموال الدولة أيضا[2].

وهي دكاكين تقوم السلطة ببنائها على نفقتها في محل مربع الشكل يحيط به سور من كل الجهات ويدخل إليه من باب واحد، فينتصب فيه أرباب الصناعة ويؤدون مقابل ذلك كراء مناسبا للسلطة في كل شهر أو سنة حسب الاتفاق وقد اقتبسه المسلمون من قياصرة القسطنطينية والخليفة هشام بن عبد الملك هو الذي أدخله إلى المدن الإسلامية[3].

ومن الناحية الأثرية فهي نمط من أنماط الأبنية التجارية في العمارة الإسلامية عامة، ويغلب الظن أنها مأخوذة من القيصرية بمعنى سوق قيصر أو السوق الإمبراطوري، الذي استخدم خلال العصر اليوناني كمخازن ومساكن تحت إشراف ملكي، ثم انتقلت إلى العمارة الإسلامية[4].

وكان يجمع في هذا النوع من البناء كل ما يلزم التجار من وسائل العمل: كالسمسار والموثق والحمال والدلال، وما يسهل كل هذا[5]، وقد أشار الغبريني لوجودها ببجاية بقوله: "إضافة إلى العديد من الأحياء والأسواق المرتبطة بالبحر على غرار حومة باب البحر، وسوق باب البحر، وحومة اللؤلؤة، والمذبح وسوق المرجان وسوق قيسرية"[6].

---

1) De Mas Latrie ; Traité. P.88

2) سعيد باشر: المرجع السابق، ص127-128.

3) حسن حسني عبد الوهاب: ورقات، ج2، ص52.

4) عمر بلوط: المرجع السابق، ص79.

5) سعيد باشر: المرجع السابق، ص128.

6) الغبريني: المصدر السابق،ص59، 76، 82، 135، 218.

القيصريات: هي دكاكين تقوم السلطة ببنائها على نفقتها وقد اقتبسه المسلمون من قياصرة القسطنطينية.**عبد الوهاب حسن حسني**: **ورقات ج2، ص52**.

كما لعبت القيسرية دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية لمدينة تلمسان في الفترة الزيانية باعتبارها مدينة صغيرة وسط العاصمة وتحيط بها هي الأخرى أسوار، وكان بداخلها مستودع عام توضع فيه البضائع قبل عرضها للبيع، وبها دور وأفران وحمامات وحوانيت ومسجد وكنيسة ودير للرهبان، ويقوم التجار الأجانب بوضع رايات ترمز للجهة القادمة منها[1].

وقد كان بتلمسان مركز للقيسرية تجمع فيه سلع التجار المسيحيين، ويتم فيها عقد الصفقات بين التجار المسلمين والمسيحيين، وقد أسس هذا المركز أبو حمو موسى الأول[2]، فوق مساحة واسعة وهو عبارة عن حي تجاري قام بدور هام في التجارة الخارجية، ولهذا كان يتمتع بما يشبه الحصانة الدولية اليوم، يحيط به سور وبه عدة أبواب، تعلوها شارات ورايات المناطق التي ينتمي إليها التجار، مثل قشتالة وأرغونة وميورقة وبروفانس وبيزة وجنوة والبندقية[3].

وكان تجار هذه الدول يقصدون القيسرية بحثا عن الذهب، لأنهم لم يكونوا يتوغلون في الصحراء بل ينتظرون عودة التجار المسلمين به من بلاد السودان[4].

وقيسرية مدينة تلمسان، هي ملكية عمومية للتجار بغرض بناء مقرات العمل، وقد سيطر رعايا مملكة أراغون الاسبانية على رعايا باقي الدول وقد كانوا يقيمون بصفة شبه دائمة يعني لفترة طويلة وقد بقيت هذه القيسرية على حالتها الأصلية أثناء الفترة العثمانية إلى أن هدمها الفرنسيون سنة1322هـ/1904م[6].

---

1) عمر بلوط: المرجع السابق، ص80، 81.

3) Marçais G; Tlemcen et le Commerce eurafricain, au Moyen Age dans Eurafrique, Alger, Juillet, 1953, p.6-8.

4) لطيفة بيشاري: العلاقات التجارية، ص175.

6) عمر بلوط: المرجع السابق، ص82.

وعلى العموم كانت هذه القيسريات تتواجد في المدن الكبرى الساحلية كبجاية وتلمسان بل حتى في بعض المدن الداخلية كقسنطينة وهدفها تمثيل السلطة المركزية في البلاد المستقبلة وحل مشاكل التجار بالتنسيق مع القنصل ورئيس الديوان.

سادسا: القراض واستئجار السفن.

من المعلوم أن الإسلام حرَّم الربا، مما دفع ببعض التجار إلى استعمال طرق أخرى وهي القرض وهو وسيلة للاستفادة من فوائد السلف دون الوقوع في الربا، حيث يقدم القراض مبلغاً مالياً لتوظيفه في عملية تجارية على أساس اقتسام الأرباح بنسب محددة[1].

والقرض البحري هو تسليم صاحب المال مبلغاً مهماً إلى التاجر المتنقل عبر السفينة سواء المالك لها أو غيره ليقتني بضائع ويتحصل صاحب المال على أرباح[2]، وقد تتطور وتصبح شراكة تجارية ذات رأس مال كبير، وفي هذا الإطار أسس الإخوة المقري شركة مبادلات تجارية بين تلمسان وبلاد السودان، "وكان أبو بكر ومحمد بتلمسان في مرسى هنين يستلمان السلع المستوردة من بلاد الأندلس وجنوب أوروبا"[3].

وتتحدث عدد من النوازل عن نوع المعاملات المالية التي تتم بين صاحب البضاعة وبين من يتكفل بحملها على ظهر السفينة لبيعها، وهذه المعاملة هي القراض، وقد عرف أبو الوليد الباجي القراض بقوله:هو أحد نوعي الشركة يكون فيها المال من أحد الشريكين والعمل من الثاني، والنوع الثاني من الشركة أن يتساويا في المال والعمل[4]، وقد ذكر الونشريسي عدة نوازل تصب في القراض البحري وحالات النزاع الحادثة فيه[5]، خاصة عند اشتداد الرياح على السفن وما يصيبها من أضرار[6]، وقد نصت بعض كتب الحسبة على أن يمنع أرباب السفن من

---

1) القاضي عياض وولده محمد: مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1997، ص242

2) الهادي روجي إدريس: المرجع السابق، ج2، ص277، الهامش6.

3) لخضر عبدلي: المرجع السابق، ص186.

4) أبو الوليد الباجي(ت494هـ): المنتقى شرح موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس،دار السعادة، هـ،القاهرة، مصر، ط1، 1332 ، ج5، ص150-151.

5) المعيار، ج8، ص205-206، 308.

6) الونشريسي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، تعليق، محمد الأمين بلغيث، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1985، ص30.

حمل ما لا تسعه السفينة من سلع سواء خاصة أو عن طريق قراض[1]، وهذا ربما خشية أن تصاب السفينة بأي أذى من غرق ونحوه.

كما تذكر الوثائق اللاتينية هذا النوع من المعاملة في عقدين مؤرخين سنة665هـ/1261م حمل"Gandulfiono de Quarto"جلودا من بجاية إلى جنوة في شكل قروض[2].

ويذكر لنا التادلي أن رجلا ورد على أبي شعيب وهذا الرجل تاجر من كبار مالقة يخبره بأنه وصل بتجارة إلى هذا البلد-بجاية- لكنه مرض ولم يطق السفر في البحر ولا المسير في البر، وعنده خمسمائة دينار وهو يريد أن يدله الشيخ على رجل ثقة يقارضه بها ريثما يشفى من مرضه، فدله على رجل ثم قال للرجل: اذهب الآن إلى المرسى واشتر السلعة التي تجدها هناك وسافر بها، فذهب إلى المرسى فوجد قمحا فاشتراه وحمله في المركب وتوجه به إلى مالقة فباعه واشترى بثمنه تينا، ولما عاد إلى التاجر دفع له رأسماله وأخذ الربح وقسمه بينهما[3].

سابعا: الفندق أو النزل.

لقد عرف المغرب الإسلامي منذ القرن2هـ/8م حين قدم يزيد بن حاتم لإفريقية سنة155هـ/771م، في عهد أبي جعفر المنصور العباسي مبدأ الاختصاص في أسواق وفنادق القيروان وجعل لكل صناعة مكانها[4]، وصارت فيما بعد نموذجا من حيث التنظيم في تطبيق مختلف المعاملات التجارية وقواعد الحسبة، ومن جراء هذا التنظيم صار يراد بالفندق المكان المخصص لأصحاب تجارة معينة، وظهرت فنادق خاصة بالبزازين والنساجين والنحاسين والعطارين وغيرهم[5].

فما هو دور الفندق في تدعيم تجارة المدن المتوسطية في موانئ المغرب الأوسط؟ وكيف كانت سياسة السلطة المركزية في المغرب الأوسط اتجاه هذه المؤسسة؟.

---

1) الونشريسي: الولايات، ص30.

2) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص141.

3)التشوف، ص190.

4) الحبيب الجنحاني: المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، في القرن3-4هـ/9-10م، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978م، ص67.

5) عمر بلوط: المرجع السابق، ص11.

أ) تعريف الفندق:

الفندق[1]عبارة عن مؤسسة متعددة الصلاحيات تضم بداخلها عدة منشآت، منها سكنية لإقامة

التجار وأخرى لتخزين السلع، ومكاتب لتنظيم الفندق وتيسير الشؤون العامة للجالية[2]، واعتبرها برونشفيك اسماً إغريقياًPondokeion أو pandochai عُرّب فيما بعد، وهي مبانٍ متكونة من طابقين في العادة أو أكثر فيها عدة غرف للسكنى حول ساحة مركزية وتخصص أجزاؤه السفلى لخزن السلع ومن فرن مبتذل ومستودعات ومخازن لبيع البضائع ومكاتب القنصلية[3]، وكنيسة لتأدية العبادات والاحتفالات الدينية وكذلك مدافن لموتاهم، وسجن لمعاقبة التجار المخلفين[4].

والنزل هو المكان المعد لنزول المسافرين والسياح وهو الخان أيضا، وفي أسفله يكون مربطا لدواب المسافرين، وقد تُحوَّل بيوت الفنادق إلى مخازن للغلات والفواكه والسلع ومعامل للصناعات اليدوية[5].

لقد ورد في المصادر العربية مصطلح"فندق"للتعبير عن مقر إقامة التجار المسيحيين[6]، وهو نفس المصطلح المستعمل في الوثائق اللاتينية[7]، لكن يجب أن لا يفهم من هذا المصطلح أنه يعني الفندق بمفهومه الحالي، بل يشير

---

1) **الفندق** بلغة أهل الشام خان من الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرق والمدائن..."**ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، 2003، ج11، ص223**. **والخان**: كلمة فارسية تعني البيت المؤثث.أو منزل مفروش ومعد للنوم.**عمر بلوط: المرجع السابق، ص70**.

عندما انتهت الفتوحات شيد المسلمون مواضع لخدمة الحكام والرؤساء، وكذلك لخدمة رعاياهم، وهي أماكن على الطرق العامة كانت مراكز للبريد، ثم عرفت فيما بعد باسم "الخانات" على الرغم من وجودها في وقت مبكر، والخان كلمة مختصرة من "خاقان"، وهو الأمير باللفظ التركي، وهو الذي ينفق على هذه المراكز، فكانت هذه المراكز مضافات على الطرق يحق لكل مار أن يبقى فيها ثلاثة أيام، يقدم له فيها الطعام والشراب ووسائل النوم والراحة وكل ما يحتاج إليه دون مقابل وإلى جانب ذلك يقدم إلى راحلته العلف، وكان يفصل بين المركز والآخر مسافة مرحلة وقدرها 40كلم تقريبا وهي مسيرة يوم آنذاك. **محمود شاكر: التاريخ الإسلامي قبل البعثة والسيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط،1991، ج1، ص8**.

2) دومنيك فاليرين:المرجع السابق، ج1، ص348؛ **و عبد الناصر جبار: المرجع السابق، ص207**.

3) إفريقية في العهد الحفصي، ج1، ص464.

يتكون من مقطعين pan وتعني كل أو مجموع، dochanai وتعني يحتضن أو يستوعب، وبجمعها نجد الكلمة تعاني حاضن ومستوعب الكل. رغم أن دو ماس لاتري يرى أن الكلمة عربية ومعناها سوق أو مخزن.**De Mas Latrie ; Traité.p.89, 167.**

4) De Mas Latrie ; Relations, p.169.

5) الأنصاري: المصدر السابق، الهامش ص38.

6) يذكر ابن عذارى الفندق في نتائج الفتنة التي أثارتها إحدى الجاليات الايطالية خلال العهد الموحدي بمدينة سبتة بقوله" ونهبت أموالهم التي في فنادقهم أي انتهاب".**البيان، قسم الموحدين، ص350**.

7) De Mas Latrie ; Traité, p.89, 91.

إلى حي كبير أو مدينة صغيرة تقع بجوار المدينة المغربية أي في ربضها[1]، وهي تحوي كل المرافق الضرورية التي تخدم حاجات التجار، كالدكاكين والمخازن، ومقر سكنى القنصل، والكنيسة والمقبرة، والفرن، ومكان العدل والحمام.

ب) ظهور الفنادق في المغرب الأوسط:

ظهرت الفنادق في المغرب الأوسط خلال الفترة الفاطمية، ووجد فندق بميلة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين/التاسع والعاشر الميلاديين، ويسمى بفندق فرجون، نسبة لمالكه، وفندق البلزميين برقادة بالقيروان[2]، وربما يقصد بالبلزميين سكان بلزمة وهي منطقة من الأوراس بالمغرب الأوسط.

كما وجدت فنادق في بونة وبجاية وبعض المدن الداخلية كقسنطينة[3]، أما باقي المدن الأخرى الأقل أهمية وإن كانت ساحلية مثل جيجل وسكيكدة، فكانت توجد بها مكاتب تجارية ومخازن للسلع[4].

وبذلك يتضح ظهور الفنادق قبل الفترة الزيانية، وتشير المصادر إلى تواجدها خلال العهد الموحدي[5]، حيث سنة597هـ/1200م، وقع نزاع تجاري في موضوع بيع جرى في بجاية[6]، وبدأت الفنادق تنتشر خلال العهد الموحدي[7]، إذ يخبرنا التادلي(ت617هـ/1220م) في مناقب أحمد بن عبد العزيز السلاجي الخراز وهو من مراكش قدم إلى بجاية ونزل في فندق يخرز فيه واعتزل الناس، فجاءه جماعة من الصالحين وسألوا عن الفندق الذي نزل به فأرشدهم إليه، فلما اجتمعوا به قال لهم: أريد منكم ألا تشهروني عند الناس"[8]، مما يبين وجود الفنادق في بجاية خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي مخصصة لكل عابري السبيل بل وحتى للحرفيين.

ويؤكد الكتاب الأول من قوانين مرسيليا الذي يرجع تحريره إلى حوالي عام626هـ/1228م حضور هذه الفنادق في بجاية ووهران[9]، وأقدم معاهدة أو اتفاقية تتيح للبيزيين بإقامة فنادق وحمامات ومقابر وكنائس في كل

---

1) ويفهم ذلك من كلام ابن عذارى في سياق حديثه عن تجار جنوة سنة 636هـ/1238م" وذلك أنهم لما وصلوا إلى سبتة في مراكبهم برسم محاولات تجارتهم، فاجتمع منهم في ديوانها وربضها عدد كبير..." .**البيان، قسم الموحدين، ص350**.

2) القاضي النعمان: افتتاح الدعوة، ص50-52، 71.

3) De Mas Latrie ; Relations, p.169.

4) مارمول:المصدر السابق، ج3، ص37.

5) مجهول: الاستبصار، ص140، 210.

6) دومنيك فاليرين:المرجع السابق، ج1، ص349.

7) المقدمة، ج2، ص27.

8) التشوف، ص378.

9) دومنيك فاليرين:المرجع السابق، ج1، ص349.

مدن إفريقية ومملكة بجاية، تعود إلى سنة628هـ/1230م[1]، وسمح لهم بإصلاح فنادقهم ببجاية وعنابة وإرفاق أبنائهم أو مساعديهم إلى الفنادق[2]، مثل البيزي ليوناردو فيبوناتشي الذي صحب ابنه من مدينة بيزة إلى بجاية، وظل هناك وقتا طويلا وأخذ هناك علوم الرياضيات[3]، وتوفر للكطلانيين سنة656هـ/1258على فنادق خاصة في بجاية، وبعد703هـ/1302م أصبح للميورقيين فنادق ومستقرهم الخاص[4].

كما توجد فنادق في بعض المدن الداخلية المهمة التي تعتبر همزة وصل بين المدن الصحراوية والساحلية كمدينة قسنطينة[5]، أما باقي المدن الأقل أهمية مثل جيجل وسكيكدة فتوجد بها مكاتب تجارية دائمة غير خاضعة للضرائب، بالإضافة إلى امتلاكها أمكنة مميزة لتخزين السلع[6].

وكانت تلك الجاليات بصورة تكاد تكون محصورة حسب أغلب المعاهدات؛ في أهم المدن الساحلية المشتملة على مراكز الديوانة، ومفتوحة في وجه التجارة البحرية، ومن النادر أن تشير المصادر إلى وجود جاليات في الداخل ما عدا قسنطينة، التي أقاموا بها وعقدوا بها صفقات، خاصة من الجنويين خلال القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي[7].

ج) مرافق وملحقات الفنادق:

كان للفنادق دور كبير في تنظيم التجارة واستقبال التجار وعائلاتهم مما ساهم في استقرارهم واهتمامهم بتجارتهم ومتابعة مختلف الصفقات، بذلك كان لها الدور البارز في تنظيم التجارة ورواجها، وما احتوته من التمثيل الأجنبي الممثل في القنصل وأعوانه، وأصحاب السفن التجارية التي كانت تقوم بالنقل البحري من و إلى بلاد المغرب، والتي تعتبر بمثابة مؤسسة النقل البحري.

وقد تطورت مرافق الفنادق خلال الفترة الإسلامية من شكلها البسيط، إذ كان عبارة عن مبنى مكون من أفنية صغيرة ومخازن ودكاكين وغرف للتجار وغرف للاستحمام دون أن يكون هناك أماكن للحيوانات المخصصة

---

1) نعيمة عميروش:المرجع السابق، ص480.

2) De Mas Latrie ; Traité.p.440.

3) نعيمة عميروش:المرجع نفسه، ص482.

4) دومنيك فاليرين:المرجع السابق، ج1، ص350.

5) عبد الناصر جبار: المرجع السابق، ص208.

6) De Mas Latrie; Traité ,p.47.

7) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص463.

للركوب، ثم تطور الفندق عند التجار الأوروبيين ليستجيب لنمط حياتهم وطموحاتهم ومصالحهم، فأصبح الفندق مقر القنصلية وبالتالي المقر الدبلوماسي الذي يمثل الدولة والجالية ويحل مشاكلهم[1].

والفندق عبارة عن مدينة صغيرة يحيط بها سور وتتوسطها ساحة مركزية وتحوي جميع المرافق الضرورية للحياة اليومية من حمام وخمارة وفرن ومقبرة ومحلات للنوم وأخرى للبيع والشراء وبالتالي كانت عبارة عن سوق، وكان يقيم بها راهب للإشراف على الحياة الروحية للمسيحيين، وموثق لتحرير عقودهم التجارية[2].

د) تسير الفنادق:

كان في بلاد المغرب لكل جنسية فندق خاص بها لا يشاركها فيه أحد ويذكر دو ماس لاتري أن الفنادق كانت مخصصة لسكن المسيحيين، وأن عملية البيع والشراء كانت تتم تحت رقابتهم، وتكون هذه الفنادق على شكل أحياء في وسط المدينة أو خارجها، وإن كانوا يفضلون غالبا أطراف المدينة بعيدا عن المدن الآهلة بالسكان العرب[3].

وفي الغالب يعرف اسم الفندق باسم النازلين

فيه، بذلك حمل كل فندق اسم الجالية التي تقيم فيه، ولا تزاحمها جالية أخرى، فقد وجد في تلمسان فندقان خصصا لإقامة التجار الوافدين من جنوة والبندقية[5]، كما خصص فندق للميورقيين في مدينة بونة، وفندق للتجار المرسيليين في بجاية[6]، بالإضافة إلى إقامة فنادق في وهران وجيجل، وهذه الأخيرة كان لتجار جنوة بها وكالة دائمة وإعفاء خاص[7].

---

1) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص237.

2) الأنصاري: المصدر السابق، ص41-42؛ **وسعيد باشر: المرجع السابق، ص303**.

3) De Mas Latrie ; Traité,p.90.

5) الوزان:المصدر السابق، ج2، ص30.

6) De Mas Latrie ; Traité,p.97, 176.

نعيمة عميروش: المرجع السابق، ص478.

7) De Mas Latrie ; Traité,p.92.

وكان لمملكة أراغون في الميناء الأساسي لوهران فندق خاص وعلى رأسه مشرف[1]، خاضع لسلطة القائد[2]، إضافة إلى وجود محلات ومخازن مشيدة على مستوى أرصفة ميناء وهران لاستيعاب مثل هذا النوع من التجارة المتوسطية، بالإضافة إلى وجود منطقة مراقبة"مرقب"على مستوى رأس بونة يسهل عملية الدخول والخروج

واستفاد الجنويون في فنادقهم من الخدمات الصحية مثل الطبيب cherardo de longis الذي كان مقيما في فندق بجاية سنة652هـ/1252م لمداواتهم[4]، كما خصصت لهم كنيسة خاصة بقاطني الفندق كما كان الحال سنة698هـ/1298م لما اجتمع التجار والبحارة في كنيسة الفندق المرسيلي ببجاية لتعيين قنصل لهم[5].

وكان التجار يفضلون الإقامة قرب البحر، موزعين حسب الجنسيات على عمارات معروفة بالفندق، وهي أقسام شاسعة تكاد تكون مغلقة، والمتكونة من عدة غرف للسكن حول ساحة مركزية ومن فرن مبتذل ومستودعات ومخازن لبيع البضائع ومكاتب القنصليات، والجدير بالذكر أن نفقات البناء والإصلاحات الكبرى محملة على كاهل الإدارة السلطانية، وبالعكس من ذلك فإن مداخيل ومعلوم الكراء والتخزين ونفقات العقود يستخلصها القنصل لحسابه وحساب دولته، وهناك أحيانا بعض الدكاكين خارج الفندق مستأجرة من طرف النصارى الذين كانوا يتمتعون أيضا بحق استعمال الحمام العمومي[6].

وكما كانت عادة الفنادق تخصص لتجار الجملة، مخازن يخزنون فيها بضائعهم وسلعهم، التي يقومون باستيرادها من الخارج قبل بيعها إلى تجار التجزئة في نفس السوق، وكانت هذه الفنادق على أنواع متعددة منها ما كان تابعا للجالية الأوروبية يسمى باسم نوع الجالية المتواجدة فيه، أو باسم المدينة المنتمين إليها[7].

لذلك صار الفندق مركّبا كاملا احتوى على وظيفتي التنزيل والتخزين للسلع الواردة عن طريق البحر بالإضافة إلى أنماط الحياة المختلفة، فاحتوى على كنيسة لأداء الشعائر الدينية، وفرن لإعداد الطعام ومدفن لدفن الموتى بالإضافة إلى وجود محلات لتقديم الخدمات الضرورية الأخرى، مثل محل لخياطة الملابس، وآخر لصناعة الأحذية

---

1) دومنيك فاليرين:المرجع السابق، ج1، ص352-353.

2) Dufourcq, ch; L'espagne, P.321, 517.

4) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص107.

5) نعيمة عميروش:المرجع نفسه، ص484.

6) روبار برونشفيك: المرجع السابق، ج1، ص464.

7) خالد بلعربي: الأسواق في المغرب الأوسط، خلال العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد السادس، ديسمبر 2009، ص33.

وثالث لبيع الخمور، بالإضافة إلى وجود محلات لدباغة الجلود والفراء[1]، وقد تم منع تربية الخنازير داخل الفنادق والأعمال المخلة بالأخلاق فيه كالزنا.

وإذا كانت بعض المصادر تحتفظ لنا بإشارات عن النشاط التبشيري لبعض رجال الدين الجنويين ببلاد المغرب، فكل ما نعرفه أن أحد المسلمين عُمّدَ بكنيسة الفندق الجنوي ببجاية في منتصف القرن7هـ/13م[2].

هذا ما وَفَر للفنادق شكلا من الاستقلالية عن المدينة، وأصبح أصحاب الجالية يمارسون حياتهم داخله دون تدخل السلطة المحلية، بإدارة القنصل وجمع من الموظفين ويحيط به سور عند كل الجاليات، وكان الفندق سوقا تجاريا تباع وتشترى داخله بضائعهم أو البضائع المحلية، وتعقد فيه الصفقات التجارية[3].

وكان للتجار البنادقة في تلمسان الحق في الذهاب إلى الحمامات العمومية بالمدينة كلما أرادوا ذلك –عكس الجاليات الأخرى–تنفيذا للمعاهدة المبرمة مع الدولة الزيانية[4].

وذكر مارمول عند حديثه عن ميناء سكيكدة بأن السلطة الحفصية ممثلة في عاملها بقسنطينة ونظرا لكون المرسى من المراسي الجيدة، بنى على ساحل البحر بعض المخازن والملاجئ للتجار الأوروبيين الجنويين الذين يقصدون المدينة للتجارة، وأمر ببناء حصن بأعلى جبل مطل على سكيكدة بها مركز للحراسة الدائمة[5].

كما كانت هناك فنادق خاصة بالنزلاء المحليين أو الغرباء المسلمين، هذا النوع من الفنادق يشبه الأولى غير أن الكثير من المحرمات ممنوعة فيه، وكان صاحب السوق أي المحتسب[6]، هو الذي يقوم بالإشراف عليه[7].

وكانت المهمة الرئيسية للمحتسب تتجلى في محاربة كل أنواع الغش في البيع والعقوبات الزجرية التي كانت تفرض على الغشاشين ومنها على سبيل المثال التوبيخ والزجر أولا، والسجن والإنذار ثانيا، وبالضرب والتشهير ثالثا، وبالتنكيل والنفي من السوق والبلد رابعا، وهي أقصى درجات العقاب[1].

---

1) De Mas Latrie ; Traité.p.90.

2) Dufourcq; L’espagne, P.107.

3) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص235-236.

4) De Mas Latrie; Traité,p.105.

5) إفريقيا، ج3، ص7.

6) حرص سلاطين بني زيان بتعيين محتسبيين على الأسواق يقومون بشؤونها، فقد كلف المحتسب بالسهر على تنظيم الأسواق من خلال مراقبة السلع المعروضة في الأسواق ومدى سلامتها، والتصدي لكل أنواع الغش والتدليس في المبيع أو ثمنه ومنع التعامل بالبيوع الفاسدة، ومنع النجس وهو الزيادة في سعر المبيع بدون نية الشراء ومحاربة الاحتكار. **عبد العزيز فيلالي**: **تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص227**.

7) الونشريسي: المعيار، ج8، ص287-288؛ **والعقباني أبو عبد الله**: **تحفة الناظر، ص213**.

كما كان ثمن كراء الفنادق يختلف من مكان لآخر ومن فترة زمنية لأخرى حسب الظروف السياسية وحتى الطبيعية إضافة إلى تحكم الاتفاقيات المسبقة بين الدول في ثمن الكراء، ويذكر الغبريني أن ثمن كراء فندق كبير لأجل غير معلوم أثناء المجاعة الواقعة ببجاية(ربما سنة611هـ/1214م) قدر ب 300دينار(2).

لكن اليهود لم يكن لهم فنادق خاصة لأنهم كانوا يتجمعون في حارة خاصة بهم تضم قرابة الخمسمائة دار بالقرب من منطقة"المشور"(3)، لأن صفة إقامتهم دائمة الأمر الذي تطلب منهم بناء تلك الدور وإحضار عائلاتهم.

أما عن مدة الإقامة في الفنادق فقد اختلفت من جالية لأخرى وكذا من تاجر لآخر حسب مكانته وسلعته، وكانت إقامة البنادقة في أواسط القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي أكثر من عشرة أيام في فنادق وهران، لتصل سنة1451م ما بين15و20يوما، بينما اقتصرت على أربعة أيام بالنسبة إلى بجاية والجزائر(4).

والفنادق لم تقتصر على الأوروبيين فقط بل سجلت كتب التاريخ قيام بعض مسلمي وتجار المغرب الأوسط باستثمار أموالهم في مناطق أخرى بإنشاء فنادق، وتَرِد إشارة لبناء فندق من قبل تاجر من وهران في مدينة سبتة يسمى بفندق الوهراني(5)، ذكره الأنصاري بأنه فندق بديع جمع صنائع الجص والنجارة(6)، ووُجدت فنادق نصرانية ببونة وبجاية ووهران(7).

وذكر التادلي في ترجمته للفقيه أبي زكريا يحي المشهور بالزواوي(ت611هـ/1214م) أنه وقعت مجاعة كبيرة في بجاية فذهب إلى عاملها واكترى منه فندقا كبيرا بنحو ثلاثمائة دينار، جمعها من أغنياء وأعيان بجاية، ثم مشى في الطرقات وكلما مر بمسكين قال له اذهب إلى الفندق الفلاني فكساهم وقدم لهم الطعام، إلى أن أخصب الناس في العام التالي(8).

---

1) يحيى بن أبي البركات: بشائر الفتوحات والسعود في أحكام التعزيرات والحدود، مخطوط بالخزانة الملكية، الرباط، رقم103، ورقة166؛ **و خالد بالعربي**: **المرجع السابق، ص33.**

2) عنوان الدراية، ص135.

3) إدريس بن مصطفى: المرجع السابق، ص101.

4) محمد حسن:المرجع السابق، ص610.

5) محمد الشريف: سبتة الإسلامية، ص60.

6) اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، الرباط، ط2، 1983، ص39.

7) شارل أندري جوليان: المرجع السابق، ج2، ص196-197.

8) التشوف، ص429؛ **والغبريني**: **المصدر السابق، ص135، هامش1.**

وعموما عدم وجود مؤسسات التجارة للتجار المسلمين في أوروبا من فنادق وقناصلة عرقلت نشاط التجار المسلمين للذهاب إليها والاستقرار بها عكس ما قام به التجار النصارى واليهود، حيث وفر لهم الفنادق التي يتخذونها كمخازن لسلعهم ويعرضونها على الدكاكين للبيع بالجملة أو التجزئة، كما سمح لهم القيام بشعائرهم الدينية بل حتى لإقامة كنائس[1].

هـ) أهم الفنادق:

لقد رافق التطور التجاري والازدهار البحري عدة مرافق ومؤسسات اقتصادية اجتماعية وعلى رأسها الفنادق، على غرار فندق الجنويين"وكانت وهران مهبط التجار القطلونيين والجنويين ومازالت بها إلى الآن دار الجنويين لأنهم كانوا يقيمون بها" كما وجد جهاز"ديوانة" يتولى جمع الضرائب الموظفة على البضائع"[2].

ويستفاد من رسائل الجنيزة السابقة أن اليهود في المجتمع الإسلامي كانوا امتزجوا بحرية مع جيرانهم، ومع أنه كان لهم أحياء خاصة بهم، إلا أنهم كانوا يستأجرون مساكن من المسلمين وبالعكس، وبخلاف ما كانت عليه الحال في أوروبا في أواخر القرون الوسطى [3].

وقبل ظهور الفنادق في تلمسان كانت الأحياء اليهودية والمسيحية هي المكان الذي يقصده التجار، وبظهور القنصليات التي أنشأها الأوروبيون وهي نوع من المنازل استعملت خصيصا لتخزين البضائع[4]، ثم تطورت إلى فنادق مخصصة لإيواء التجار والأجانب.

ويرجع فتالي أن أقدم الفنادق في بجاية يعود إلى الجنويين منذ هجومهم عليها سنة531هـ/1136م،

ويشير كنال مؤرخ جنوة إلى وجود فندق للجنويين منذ سنة611هـ/1214م ببجاية[5]، أما أقدم فندق للكتلانيين ببجاية فيعود إلى سنة654هـ/1256م[6].

---

1) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص20.

2) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص329-330.

3أمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص141.

4) جورج مولف: الجزائر وأوروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص125.

5) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص105.

6) Dufourcq; L’espagne, P.99.

انتشرت في الدولة الزيانية مثل هذه الفنادق بصورة كبيرة، خاصة في تلمسان ووهران فمثلا هذه الأخيرة كان فيها سنة686هـ/1287م فندق تابع مباشرة لملك أراغون يُسَيَّر من قبل ممثل يعين من طرفه مباشرة[1]، وكانت مدينة تلمسان هي الأخرى تحتوي على فنادق تحاذي حي القيسارية الشهير، وكان ينزل به تجار من مختلف البقاع من جنوة، والبندقية، وفلنسيا، إلى جانب رعايا العرش الأراغوني من مسيحيين ويهود[2].

وتوزعت الفنادق الايطالية بتلمسان ووهران وبجاية وبونة وجيجل[3]، ويشير الوزان الى وجود فنادق في تلمسان على النمط الإفريقي"منها اثنان لمقام تجار جنوة والبندقية[4]، وفندق لإيواء الغرباء من أبناء ملوك بني مرين بمنطقة العباد بتلمسان[5].

وكانت تسمى أحيانا باسم البضائع التي تخزن فيها مثل فندق الصوف المغزول، وفندق القمح، وفندق الفحم، وفندق الخضرة وفندق الملح[6].

وكان في مدينة تلمسان فندقان ينزل فيهما تجار جنوة والبندقية[7]، وكانت وهران قبل احتلالها من قبل الإسبان مهبط التجار القطلونيين والجنويين، "وما زالت بها دار تسمى دار الجنويين، لأنهم كانوا يقيمون بها"[8]، أما أهم الفنادق التي وجدت بالدولة الزيانية، هي فندق البنادقة، وفندق آخر للجنويين[9]، وفندق مرسيليا بوهران[10]، وفنادق في تلمسان منها:

فندق الرمانة: يقع بجوار القيسرية تبلغ مساحته20م^2، واشتق اسم الفندق من شجرة الرمان التي تتوسط

---

1) Dhina Atallah ; op.cit, p.176.

2) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص20.

3) De Mas Latrie ; Traité,p.171-172.

4) إفريقيا، ج2، ص20.

5) نفسه، ج2، ص24.

6) الحميري: المصدر السابق، ص135-136.

7) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص20-23.

8) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص30.

9) عبد القادر حاج يخلف: العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، مجلة عصور الجديدة، عدد خاص بعاصمة الثقافة الإسلامية، العدد2، جامعة وهران، 2011، ص152.

10) الوزان: المصدر نفسه، ج2، ص20.

لعرض منتوجات دور الدباغة التي كانت تجلب من خارج أسوار المدينة، كما كانت حوانيته أيضا في الطابق الأرضي مخصصة لحرفة الخرازة(1).

فندق المامي: يقع في الحي الاقتصادي لمدينة تلمسان تبلغ مساحته150م^2، يحتوي عند مدخله على غرفتين وإسطبل مخصص للحيوانات، ثم سلم ينقل نحو الطابق الأول الذي يحتوي على 15 غرفة، ثم سلم يصعد إلى السطح(2).

فندق أبي علي: يعتبر من أكبر فنادق تلمسان في العهد الزياني، تبلغ مساحته200م^2 يقع في الحي الاقتصادي للمدينة، ويحوي في طابقه السفلي دكاكين، ومخازن لحفظ السلع، وإسطبل، وفي الطابق الأول غرف وعددها سبع واسعة في الجهات الثلاث(الجنوبية الشرقية والشمالية)، إضافة إلى مستودعات لحفظ السلع(3).

وبمقتضى معاهدة عام 686هـ/1286م بين السلطان الزياني أبي سعيد عثمان وجقمة الفاتح Jacques le Conquerrant أصبح القائد الأراغوني مسؤولا على التجار المسيحيين في إمارة بني عبد الواد، وكان يراقب حسابات الفنادق ويرسل عائداتها إلى ملك أراغونة(4).

ويذكر الوزان فنادق أخرى موجودة في منطقة العُباد(5)، منها فندق لإيواء الغرباء أسسه بعض ملوك فاس من بني مرين(6).، إضافة إلى فندق الشماعين وفندق المجاري(7).

أما الفنادق في الدولة الحفصية، فقد تأسست فنادق مختلفة خاصة بكل طرف من الأطراف التجارية الأوروبية المتوسطية المتعاملة مع بلاد إفريقية الساحلية، من الجنويين والبيزيين، والبنادقة، بالإضافة إلى القتلانيين

وأمين توفيق الطيبي: دراسات وبحوث، ج2، ص141.

1) عمر بلوط: المرجع السابق، ص99.

2) نفسه، ص102-103.

3) نفسه، ص103-104.

4) Dufourcq; L’espagne, P.172.

ولطيفة بشاري:العلاقات التجارية، ص185.

5) اسمها الروماني حسب مارمول إيمينياريا. **إفريقيا، ج2، ص323.**

6) الوزان: المصدر السابق، ج2، ص24.

7) عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني، ج1، ص136؛ و**إدريس بن مصطفى: المرجع السابق، ص101.**

الأراغونيين، فضمت مدن الدولة الحفصية الساحلية منها فنادق لكل الجاليات المسيحية المتعاملة معها، وانتشرت فنادق في تونس وبونة وصفاقس[1].

وكان للتجار القتلانيين الأراغونيين فنادقهم الخاصة، التي بناها لهم السلاطين الحفصيون، وكانت لهم مخازنهم الخاصة وكتابهم ومترجموهم[2]، وفي بجاية وجدت عدة فنادق[3]، وسمح للبيزيين بإقامة فنادقهم الدائمة منذ معاهدة سنة 631هـ/1234م[4]، وكذلك الجنويين منذ معاهدة 633هـ/1236م[5].

وملك بعض الجنوية من فئة التجار الأغنياء وأصحاب الشركات فنادق خاصة بهم في بعض الموانئ المغربية، كما هو الشأن على سبيل المثال:كليرمونت، شيشرو، برنادوس، وكريوس، سبينولا Spinola, Bernadus recrius, Clemente Cicero Andruis وهم ثلاثة مستثمرون جنويون كانت لهم فنادق خاصة بهم في كل من تونس ومرسى الخرز[6].

كما عقدت جنوة معاهدة في671هـ/6نوفمبر 1272م مع السلطان الحفصي وفرت لهم على فنادق أخرى عوض الفندق الوحيد الذي كان لهم[7].

ويرى دو ماس لاتري أن أغلب الفنادق والمنشآت الرئيسية تقع في مناطق تركز الجاليات الأوروبية، في كل من تونس، والمهدية، وبجاية، وذلك في القرنين السابع والثامن الهجريين/ الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، الفترة الأكثر نشاطا ونجاحا للتجارة المغربية بشكل عام[8].

ولما أقيمت تلك الفنادق لراحة النزلاء الأجانب، أقيمت في بعض العمارات متاجر لبيع الخمر خاصة للتجار المسيحيين، وكانت بلدية مرسيليا تفرض على مندوبها بوهران وبجاية كراء متجر واحد لبيع الخمر للمسيحيين بفندق الدولة[9]

---

1) الحميري: المصدر السابق، ص366، 389، 390.

2) عمر سعيدان: علاقات اسبانيا القطلانية بالحفصيين، ص99.

3) الوزان: المصدر نفسه، ج1، ص243.

4) De Mas Latrie; Traité,p.31-37.

5) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص236.

6) رشيد باقة: المرجع السابق، ص337.

7) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص81.

8) De Mas Latrie; Traité,p.90.

9) IbiD,p.89-90.

وفي سنة693هـ/1293م تعرض تجار مرسيليون في فندق بجاية للضرب لأنهم رفضوا تأدية الضرائب وتسليم السلع قبل أخذ ثمنها، كما تم طرد القنصل القطالوني من فندق بجاية واتهم بالتسيير السيئ للقنصلية وبالسماح ببيع الخمر في مبان مخصصة لإقامة التجار[1].

وأخيرا يمكن أن نخلص أن مقام الأوروبيين في المغرب الأوسط كان آمنا ولم تعرف فنادقهم بالمنطقة ما عرفته الفنادق الأوروبية بالمشرق من مضايقات خاصة في الإسكندرية، باستثناء بعض الأحداث والمناوشات القليلة.

ثامنا : كراء السفن

نظرا لضعف بعض التجار وعدم مقدرتهم على شراء سفينة رفقة ملاحيها يلجأون إلى عملية استئجار وكراء تلك السفن، مع إعطاء أجرة لهؤلاء الملاحين، كما لجأوا إلى استعمال كاتب مكلف بتسجيل كل مراحل الرحلة من حيث استلام البضاعة وتغطية نفقات السفر وعملية الشحن وتفريغ الحمولة، وبتزايد أهمية العملية أصبح الكاتب المكلف يتنقل معهم عبر خط الرحلة وبالتالي يحدد سعر المركب وثمن كرائه ونشير إلى استئجار سفينة جنوية لتجار تونسيين من ميناء بونة إلى تونس [2].

فكان اكتراء السفن شيئا مألوفا ومعتادا بين التجار البحريين، وكان أصحاب المركب الذي يريدون تحقيق أقصى ربح ممكن عن طريق شحن أكبر قدر ممكن من السلع، لا يهتمون بشيء إلا قدرة حمولة السفينة[3].(**لاحظ الملحق رقم14**).

وتدر عملية كراء السفن مبالغ مالية ضخمة، مثل ما ورد أن سفينة من نوع ليني أجرت من بلنسية إلى وهران بمبلغ قدره ألف ومائتا فلس برشلوني، وهو ما يعادل ستين دينارا وفي سنة716هـ/1316م أُجِّرت سفينة من وهران إلى ميرورقة بمبلغ قدره سبعمائة دينار[4].

وظاهرة كراء السفن واكتراؤها مظهر آخر من مظاهر ازدهار الحركة التجارية في هذه الفترة، كما ورد في وثائق المرابطين والموحدين بأن كراءها وما تحمله فيها من دقيق وغلات وسلع وعروض تجارة مضمون[1].

---

1) نعيمة عميروش:المرجع السابق، ص484.

2) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص199.

3)القاضي عياض: مذاهب الحكام، ص243.

4) Dhina Atallah ; op.cit, p.287-289.

ولطيفة بشاري:العلاقات التجارية، ص99-100.

وكانت عملية كراء السفن تسير وفق ما يمليه الفقهاء، حيث كان اكتراء السفن يتم على ثلاثة أوجه، كراء مفتوح، وكراء معلوم الزمن، وكراء معلوم بالمكان(2).

- كراء مفتوح:أي أنه لا يشترط ذكر المدة في كراء السفينة لأنه يتعذر التحكم في مدة الإبحار فهي"أنما يسيرها الله عز وجل بتسخير الرياح والبحر"(3).
- كراء معلوم الزمن: لأن النوتية(4) وأصحاب السفينة ربما ظنوا أنهم يقيمون مدة طويلة ومن أجل ذلك لا تجوز إجارتها إلا بذكر المدة(5).
- كراء معلوم المكان: أي الكراء على البلاغ على المكان الذي تقصده السفينة(6).

كان الاكتراء يتم من التجار المسلمين أو من الاجانب كالاكتراء من عند الأراغونيين ويتم بالدينار الذهبي الحفصي، ويقدر مقدار كراء السفن الأراغونية ب12 ألف دينار استعملتها بجاية في حروبها ضد الهجوم التلمساني سنة715هـ/1315م(7).

كما بلغت تكاليف النقل بين وهران وميورقة لسفينة من نوع فلوكة سنة716هـ/1316م قدره مابين500-700دينار وكان ثمن النقل بين لقنت ووهران لفارسين عشرين دينارا(8).

وبطبيعة الحال فإن السفينة المستأجرة كثيرا ما تكون ضحية القراصنة النصارى، وتدفع أجرة طاقم السفينة مسبقا للقيام برحلة معينة، فإذا تعذر على الملاحين الوفاء بتعهداتهم لأسباب خارجة عن إرادتهم، مثل تعرضهم لعاصفة، لا يطالبون بأي تعويض، ولكن يتعين عليهم تسديد رهونهم(9)،

---

1) عبد الواحد المراكشي: وثائق المرابطين، ص470-472؛ **ومحمد عناوي: المرجع السابق، ج2، ص461**.

2) خالد مراحة: المرجع السابق، ص131.

3) أبو القاسم القروي: أكرية السفن، ص45.

4) النوتية أو النواتي: جمع نوتي وهو البحار، وهذه اللفظة لاتينية الأصل ومشتقة من كلمة nauticus. **أحمد مختار العبادي، والسيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت، 1982، ص87، هامش3**.

5) أكرية السفن، ص46.

6) نفسه، ص63.

7) صالح محمد فياض: المرجع السابق، ص245.

8) Dufourcq, ch; Commerce, P.536,539.

9) المازري: المصدر السابق، ص229-230؛ **الونشريسي: المعيار، ج8، ص189-190**.

ويذكر الونشريسي أنه يخاف على السفن عند اشتداد الرياح[1]، وقد نصت بعض كتب الحسبة على أن يمنع أرباب السفن من حمل ما لا تسعه السفينة[2]، وهذا ربما خشية أن تصاب السفينة بأي أذى من غرق ونحوه.

وإذا اتفق الطرفان "رب السفينة وأصحاب البضاعة" على تحديد مدة الكراء في أيام محددة، وطرأ طارئ، كأن تتغير أحوال البحر تزيد المدة الزمنية عن السقف المحدد سابقا، كان الفقهاء لا يرون فسخ العقد وإنما يلزم الصبر إلى زوال ما ليس فيه كبير ضرر على أحدهما[3].

وكتب النوازل تعج بنوازل تخص عملية الاكتراء فنجد الونشريسي خصص بابا كاملا لها، وإن كانت تخص فقط البلاد الإسلامية، ومنها أن تاجرا اكترى مركبا لحمل السلع، وألقى القراصنة القبض عليه بالبحر واستولوا على السلع وتركوا المركب، فإن على المكتري دفع قيمة الكراء لمالك المركب، وأما إذا استولى القراصنة على المركب، فتسقط قيمة الكراء عن مكتريه، وإذا ما اكترى أحدهم مركبا وتأخرت الملاحة بسبب فصل الشتاء وعاد بسلعة إلى المخازن ريثما ينتهي فصل الشتاء، وطالب مالك المركب بفسخ العقد فله ذلك لوجود عذر حلول فصل الشتاء[4].

وكثيرا ما كان يضطر أهل المركب إلى آداء اليمين على ما طرح"رمي"لهم في البحر وتبعا لذلك فإن ابن القاسم يرى أن الراكب صادق في يمينه"ما لم يأت بأمر يستنكر ويتبين فيه كذبه"[5]، وكثيرا ما كان أرباب الأموال لا يسافرون في المراكب بل يكتفون بتسريح بضاعتهم رفقة التجار والبحارة، وإذا ما هال البحر يضطر البحارة إلى تخفيف السفينة وهنا يتدخل الفقه لحل النزاع[6].

---

1) الونشريسي: كتاب الولايات، ص30.

2) نفسه، ص30.

3) أبو القاسم القروي: المصدر السابق، ص45.

4) المعيار، ج7، ص310 و ما بعدها.

5) أكرية السفن، ص45.

6) المعيار، ج8، ص68، 205، 222، 292، 302، 306-312.

تاسعا: الوسيط"السمسار أو الدلال".

لعب الوسيط دوراً كبيراً في التجارة داخل المدن والأسواق والموانئ، ويعرض السمسار خدماته على التجار والباعة وكذا على الزبائن، ويجني من هذا العمل الربح الكثير قد يتعدى في بعض الحالات ربح التاجر، وهذا ما جعلهم محل انتقاد العامة والفقهاء والتجار.

وفي كل فنادق تلمسان أو القيسرية كان هناك دلال يعرض سعراً أولياً للسلعة، ثم يطلب من المشترين المزايدة عليه، ثم يعود الدلال إلى أمين الطائفة من التجار"الصوافين، أو الزياتين، أو الدباغين" والذي بدوره يستشير المنتجين لتحديد السعر اليومي للسلعة(1).

وتتلخص مهمة الدلال في تسويق البضائع والحوار بين التاجر من ناحية والمشترين من ناحية أخرى، ويقوم بعض المترجمين بهذه العملية، إضافة إلى بعض النشاطات المكملة لعمل ديوان البحر بتعيين المكاس وملتزم السوق وأصحاب القبالات(2).

عاشرا: الشراكة .

تستلزم التجارة الكبيرة موارد مالية ضخمة، فتكونت بموجبها ما يشبه الشركات، شملت في البداية أفراد الأسرة الواحدة، ثم تجاوزتها إلى أفراد أجانب من الجمهوريات الايطالية، وتستند على القرض(3).

وهي جمع رؤوس أموال لمدة أطول وتحقيق استقرار، ووجد صنفان منها ابتداء من القرن12م/6هـ حيث يسافر الشريك بجزء من المال ويبقى الآخر في المدينة ليباشر شؤون الشركة، ويُعد الشريك موكلا عن الآخر، أما النوع الثاني فيشبه ما يسمى شركة كل شيء إذ أن الشركاء هم أصحاب السفينة ويسافرون معا مستثمرين رأسمالهم(4).

---

1) عمر بلوط: المرجع السابق، ص144.

2) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص228.

3)نجاة باشا: المرجع السابق، ص57؛ **وتوفيق مزاري: المرجع السابق، ج1، ص221.**

4)محمد الشريف: سبتة الإسلامية، ص62.

ومن خلال وقوفنا عند بعض الإشارات التي وردت في كتب النوازل نسجل امتلاك المغاربة لسفن خاصة بهم، وغالبا ما كانت هذه الملكية قائمة عن طريق الشركة[1]، بسبب ظروف معينة كغلاء ثمن المركب وارتفاع تكاليف صيانته وإصلاحه، وقد طرح هذا النوع من الشراكة عدة مشاكل سيما ما تعلق منها بعملية إصلاح المركب، وسفر الشريكين أو أحدهما في المركب، والتخفيف من الحمولة إذا هاج البحر[2]، مثل هلال القطلاني، الوزير التلمساني الذي يملك جزءا من سفينة ميورقية سنة732هـ/1331م[3].

ونسجل الإقبال الكبير من التجار الجنويين على الاستثمار في الشركات التجارية الموجهة إلى أسواق موانئ بلاد المغرب عموما والأوسط خصوصا، وبصورة خاصة الشركات البسيطة المعروفة باسم Commanda التي لا يتطلب لإنشائها سوى طرفين الأول يقدم رأس المال، والثاني يكتفي بالمجهود، مع اقتسام الفائدة بعد العودة[4].

كما أورد ابن رشد شراكة في نقل منتوج من الحبوب وأثناء العملية خُرق المركب وفسدت بضاعة أحد الطرفين الشريكين، وكان الحكم بتقاسم الخسارة والربح والأعباء معا[5].

ولعل شركة الإخوة المقري التجارية البرية والبحرية، خير مثال على هذا النوع من النشاط سواء من حيث تنظيمها أو من حيث نشاطها، وقامت هذه الشركة على أكتاف خمسة من إخوة ينتمون لعائلة المقري وهم أبو بكر ومحمد وعبد الرحمن وعبد الواحد وعلي، وربطوا تلمسان ببلاد السودان وربطوا تلمسان بالأندلس[6].

كما رخص جاك الغزي ملك أراغون عام669هـ/1270 م للتاجر"إبراهيم بن خلف"وهو من رعاياه في بلنسية، أن يشتري مركبا كاملا أو سهما منه على أحد رعاياه والمسمى"برناط ماسو" وأن يستعمل هذا المركب في التجارة بالشراكة، مع من يختار من سكان بجاية، وتشمل رعاية الملك جاك عامة شركائه وكل البضائع المحمولة على المركب[7].

---

1)ابن رشد: فتاوى ابن رشد، ج2، ص836، 846، 847؛ **والونشريسي: المعيار، ج8، ص308، 311، 312، 313، 314، 908؛ وج9، ص117، 418.**

2)الطاهر قدوري: النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، ص108-109.

3) Dufourcq; L’espagne, p.57.

4)رشيد باقة: المرجع السابق، ص231.

5) ابن رشد: البيان، ج9، ص85.

6) ابن الخطيب: الإحاطة، ج2، ص192.

7) صالح بعيزيق: المرجع السابق، ص291، 321؛ **ونجاة باشا: المرجع السابق، ص74-75.**

الحادي عشر: مهام أخرى

الموثق:رغم عدم العثور على أسماء لموثقين عرب في موانئ المغرب الأوسط، إلا أن الموثقين الايطاليين كانوا كُثراً في موانئ بلاد المغرب وبلغ عددهم 14موثقاً أكثرهم مقيم بميناء تونس ومرسى الخرز(1).

ويشير الغبريني عند حديثه عن الفقيه عبد الحق بن ربيع بن أحمد بن عمر(ت675هـ/1276م)، وكان مختصا في الوثيقة، أي في كتابة الوثائق للناس ومنها ما يثبت ابتياع أحد الأشخاص لسفينة، فكتب فيها"اشترى فلان من فلان السفينة الفلانية بجميع ما يحتاج إليه جارية وراسية"(2).

وقد وجد موظفون مغاربة في جنوة يزاولون مهمة **الترجمة،** ووردت إشارات إلى أستاذ اللغة العربية saraceins مرتبط بالجمهورية الجنوية سنة666هـ/1267م، فاهتمام الجمهوريات الايطالية باللغة العربية كان ضروريا في تعاملهم التجاري مع البلاد المغربية(3).

المخازن: وهي دور تحفظ كل مستلزمات السفن والمراكب لإبحارها وصيانتها وتطويرها أو زيادة عددها، وتحوي الحبال وأرسان القنب والأشرعة والقلوع، ومعدات الحرب ومادتها الأولية(4).

كما تعتبر المخازن حجرات أرضية أو علوية منفصلة، توجد داخل الفنادق أو القيسريات، كما يطلق عليها اسم المخبأ، أو المرقد، أو المطمورة، وقد احتوت فنادق تلمسان على مثل هذه المخازن التي كانت تخصص لوضع حاجات التجار ولعل أبرزها مخازن الطابق الأرضي من فندق الرمانة بتلمسان(5).

وكانت سكيكدة"سطورة "وجيجل الواجهة البحرية الرئيسية لمدينة قسنطينة التي تحتل مكانة كبيرة في التجارة المغربية، وتجارة بلاد السودان، لذلك قام حاكم قسنطينة الحفصي ببناء مخازن في هذه الموانئ، لحفظ السلع الواردة والمعدة للتصدير(6).

إضافة إلى مجموعة من المشاريع العمرانية التي تنجزها السلطة المركزية كالقناطير والموانئ نستهدف تسهيل التجارة وتوفير البنيات التحتية لتسهيل الرواج وحماية المبادلات والتجار و الطرق ومنح حتى تعويضات للتجار المتضررين.

---

1) رشيد باقة: المرجع السابق، ص308.

2) عنوان الدراية، ص86.

3) توفيق مزاري: المرجع السابق، ص237.

4) حسن عبد الوهاب: ورقات، ج2، ص30-32.

5) عمر بلوط: المرجع السابق، ص116-117.

6) مارمول: المصدر السابق، ج2، ص381، ج3، ص6-7.

خاتمة الفصل الرابع

✓ وعلى العموم، يمكن أن نستنتج في ختام هذا الفصل إلى أن التواجد الذمي في بلاد المغرب الأوسط خضع لأحكام هذه الفئة في الفقه الاسلامي، بل عاشت في وسط مجتمع المغرب الأوسط معززة مكرمة بلغت بفضل ذلك مراتب عالية حتى في دفة الحكم والتسيير؛ كما ساهمت بدورها في تنشيط الحركة التجارية البحرية بين المغرب الأوسط ومختلف الأقطار كالمشرق والأندلس وجنوب أوروبا.

✓ كان لموقع بلاد المغرب الأوسط على الضفة الجنوبية للبحر المتوسط باعتبارها أقرب المناطق إلى المدن الايطالية التجارية، الدور الكبير في توثيق العلاقات التجارية بينها وبين هذه الجمهوريات فضلا عن وجودها في طريق الذهب والعبيد من إفريقيا، فبادروا بعقد معاهدات سلمية وتجارية مع حكام بلاد المغرب.

✓ تعتبر المعاهدات المبرمة بين مختلف المدن الايطالية والمغرب الأوسط أداة لتنظيم المعاملات ولضمان علاقات سلمية في المجالين السياسي والأمني، وعلاقات شفافة ومربحة في المجال التجاري داخل العالم المتوسطي.

✓ رغم الطابع العدائي بين المدن المغربية والايطالية لم يمنع ذلك من وجود صيغ للتعامل السلمي بين الطرفين، بل تطور وتوسع إلى التعامل التجاري وتبادل القناصلة والمعاهدات والمواثيق والسماح بإقامة الفنادق.

✓ خلق انفتاح مدن وموانئ المغرب الأوسط على التجارة الأوروبية ازدهارا جديدا، لكنه اقتصر على الساحل دون الداخل.

✓ انتشرت القرصنة والجهاد البحري بين الطرفين: المغرب الأوسط والمدن الاوروبية، ويمكن تقسيم تاريخ القرصنة في سواحل المغرب الاوسط إلى ثلاث فترات، أولها فترة الركود خلال الفتح وعصر الولاة، لتأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة الهجوم على سفن ومراكز الروم البيزنطيين في البحر المتوسط، خلال الفترة الفاطمية التي بدأت القرصنة الإسلامية تتحرك بالهجوم على جنوة وبروفانس وغيرها، مما جعل المدن الايطالية ترد في الفترة الثالثة خاصة بعد شعورها بالقوة التجارية وتزامنها مع الحملة الصليبية على العالم الإسلامي، وواصلت عمليات القرصنة وبأكثر حدة ونشاط مملكة أراغون، مع ردود فعل محتشمة من قبل الأسطول الحمادي ثم خلفائه من الزيانيين والحفصيين، مما تطلب تدخل قراصنة محترفين ممثلين في الأخوين خيرالدين بربروس وبابا عروج.

✓ لقد إنتشر الجهاد البحري بسبب الإشراف المباشر للفقهاء والدولة على تلك العمليات، وكان نابعا من الدافع الديني والحاجة الملحة التي تمليها رغبات ومصالح تلك الجهة وبذلك كان عاملا مهما من عوامل تركيز أسس الدولة اقتصاديا وسياسيا، غير أن هذا النشاط استنزف طاقات مادية وبشرية مهمة.

✓ كما أحرزت الرباطات والتحصينات الإسلامية انتصارات هامة على القوى الغازية خاصة من الخطر المسيحي والقرصنة، وأجبرت مختلف الدول المتعاقبة على المغرب الأوسط على التصدي لهذه العملية والقيام بعمليات مماثلة كرد فعل للدفاع عن النفس.

✓ لقد تشكلت خلال مختلف الفترات التاريخية للمغرب الأوسط مؤسسات ذات صلة مباشرة بالموانئ والمراسي والسفن والبحرية والتجارة على غرار الفنادق ودور الصناعة والمخازن، والشركات واقتراض الأموال، والمترجمين والموثقين وإنشاء المخازن...

✓ وكان للفنادق الدور الأكبر والمهم على الساحة الاقتصادية للمغرب الأوسط من خلال تنشيط الواجهة البحرية إضافة إلى دوره السياسي باعتباره مقراً للقنصل أو لتجار مدينة ما، هذا بموازاة الدور الاجتماعي باعتباره سكناً اجتماعياً ومكاناً مدنياً.

✓ساعدت غابات المغرب الأوسط في إقامة منظومة بحرية متطورة ممثلة في المراكب والأسطول والموانئ، مما جعل البحرية الأغلبية والفاطمية والمرابطية والموحدية في المغرب الأوسط تمثل قوة إقليمية لا يستهان بها، من خلال مختلف القطع البحرية التي صنعت ودعم بها الأسطول الاسلامي.

✓استمرت كل من بجاية وتلمسان حتى العصر التركي في الظهور بمظهر المدينة والميناء الكبيرين، سواء كميناء تجاري أو كقاعدة للقرصنة"الجهاد البحري"، أو حتى كمركز ديني ثقافي، وهذا الدور سيتحول نحو مدينة الجزائر خلال القرن السادس عشر، فكان ازدهار المدينة دائما مقروناً بالبحر والتجارة .

✓ مع نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، انتهى تمركز العالم حول حوض المتوسط وانتقل ثقل الاقتصاد الدولي إلى المحيط الأطلسي، واستفاد الاقتصاد الأوروبي من الاكتشافات الجغرافية خاصة باكتشاف رأس الرجاء الصالح الذي أسهم في إضعاف موانئ المغرب الأوسط وتفريغها من أهميتها.

خاتمة

خاتمة

وأخيرا وبعد الانتهاء من كتابة صفحات هذه الرسالة نودَّ القول أنه نظرا لطول إطاره الزماني(القرن 2-10هـ/8-16م)يصعب ختم الموضوع بنتيجة عامة شاملة وواحدة للموضوع، لهذا سأحاول الاقتصار على النتائج الرئيسية التي استخلصتها من خلال هذه الدراسة، لأنني ذيلت كل فصل بخاتمة خاصة به، لكن هناك جملة من النتائج العامة المتوصل إليها وهي:

✓إن سكان المغرب الأوسط وخاصة أولئك المحاذين للسواحل كانت علاقتهم بالبحر متينة، ونشأت عندهم تقاليد بحرية متعلقة بالصيد وتصبير السمك، لكنها محصورة في نشاط معيشي وإنتاج محلي، يكفي لسد الحاجات الخاصة فقط، وهذا بسبب سكونية التطور التقني والإنتاجي بالمغرب الأوسط قياسا بما شهدته شعوب البحر الأخرى.

✓كان تفاعل المغرب الأوسط مع مجاله البحري خلال الفترة الوسيطة متذبذبا من فترة لأخرى رغم مساره المطَّرد، واستمرت انعكاساته حتى الفترة الحديثة، وهذا بسبب واقع معقد اختلط بالأسباب التاريخية والسياسية والمذهبية دون أن ننسى بوتقة هذه العوامل وهو العامل الجغرافي.

✓إن الصورة التي حاولت الكتابات الغربية تسويقها عن الإنسان المغاربي وعلاقته بالبحر، تبقى بعيدة عن الصواب وتنبعث منها رائحة العنصرية، لأن المغاربة تعاملوا مع البحر على غرار بقية الشعوب التي تتقاسم معهم جوانب الحوض المتوسطي وإن كان بدرجة أقل بسبب الذهنية المحلية التي تفتقر إلى حوافز تحركها باتجاه المجال المائي، واعتمادها على ما تجود بها المجالات البرية.

✓نظرا لضغط الأبعاد الإقليمية للمغرب الأوسط وتموقعه الاستراتيجي جعلت منه مجالا منفتحا شمالا على البحر المائي وجنوبا على البحر الصحراوي مما شكل حلقة ربط بين احتياجات الشمال وإمكانيات الجنوب، رغم الحوافز التي قدمها البحر من خلال سلسلة من المسالك البحرية إلا أن المجالات التقليدية البرية استمرت وبصورة أفضل مما كانت عليه.

✓عرفت المدن الداخلية تطورا وازدهارا في المغرب الأوسط خلال القرون الأربعة الهجرية الأولى كمدينة تيهرت وأشير، لتنقلب موازين القوة إلى المدن الساحلية بدءا من القرن الخامس الهجري وبروز بجاية ووهران وهنين؛ وهذا بفضل الامتداد البحري المتوسطي، الذي ساهم في تشكل فضاء اقتصادي مزدهر.

✓مثَّل المرسى والميناء العنصر الأكثر تمييزا للمدن الساحلية في المغرب الأوسط عن بقية المدن منذ أقدم العصور، فمنه تطل هذه المدن على فضاء واسع، وبه تكون مفتوحة عليه نظرا لما يوفره من سهولة الاتصال البحري، وانطلاقا من هذا ركزنا في بحثنا على تطور ظهور ونشاط الموانئ حسب الفترات وحسب الجغرافيين.

✓ولم يعد المرسى التقليدي المتكوِّن من رؤوس وخلجان وشواطئ، كاف للتعاملات التجارية خلال الفترة الوسيطة وذلك لكثرة الأسفار وتنقلات الجنود بين ضفاف المتوسط وتوسع حجم المبادلات التجارية، لهذا ظهرت

أو تطورت تلك المراسي إلى موانئ اصطناعية وتحولت إلى مدن ساحلية مهمة، مثل بجاية وبونة وجزائر بني مزغنة وتنس ووهران وهنين.

✓ إن البحرية الإسلامية في الغرب الإسلامي عموما والأوسط خصوصا استلهمت في جانب كبير من تنظيماتها وعلاقاتها ومسالكها من التنظيمات الفينيقية الرومانية، من خلال الإبقاء على المدن الفينيقية أو تطويرها أو إحياء بعض المدن الساحلية المخربة، كما تم استغلال المسالك والطرق البحرية المعروفة في البحر المتوسط من قبل الرومان على غرار الطرق الرابطة بين الأندلس وبلاد المغرب الأوسط، والطرق الرابطة بين إيطاليا والمغرب الأوسط.

✓استمرت الطرق التقليدية الموروثة عن الفترة القديمة رغم تضرر بعضها إلا أنها واصلت وازدهرت بفعالية ونشاط اقتصادي، والملفت للانتباه هو تغير الطرق البرية الرابطة بالموانئ خلال القرن الرابع والخامس الهجريين بسبب الحملات الهلالية، التي أدت إلى تحويل الوجهة من الداخل الى الساحل.

✓ إن المحاور والمسالك الصحراوية كانت امتدادا للمحاور البحرية، فالمحور المار من سجلماسة بالمغرب الأوسط كان يصل إلى تلمسان ثم وهران وهنين، أو بجاية، لتنطلق بعد ذلك المحاور البحرية في اتجاه الأندلس أو ايطاليا أو الجزر الشرقية.

✓تعددت الطرق التجارية والمسالك البحرية في المغرب الأوسط وتشعبت بين حواضرها ومراسيها، كما تعاملت مع مختلف الأقطار والأقاليم الإسلامية سواء الإسلامية منها أو الأوروبية المقابلة لها من الضفة الأخرى للبحر المتوسط، وهذا الازدهار والحركية النشيطة يعود إلى أهمية موقع المغرب الأوسط وكذا حاجة المغرب الأوسط لسلع المدن الايطالية والعكس صحيح، ونسجل تأثير الاضطرابات السياسية والمذهبية والاجتماعية على سيولة هذه المسالك وازدهارها.

✓إن تذبذب سياسة الحكام في المغرب الأوسط، والقبائل المتاخمة للحدود الساحلية إزاء الميدان البحري الملاحي، أثر سلبا على تقدم وازدهار الواجهة البحرية له وجعلها مجالا لاستثمار مفتوح، بسبب الصراعات الضيقة أو الخوف من العدوان الخارجي البحري.

✓نشط شرق المغرب الأوسط في إطار البحرية الأغلبية، وغربه"تنس"مع البحرية الرستمية الأموية إلا أن هذا النشاط كان محتشما، وبلغت البحرية الفاطمية في المغرب الأوسط درجة كبيرة من التطور والازدهار وتحسنت سواحل المنطقة ومدنها المطلة على البحر المتوسط، إلا أن ورثة الفاطميين في الشرق"بني زيري" أهملوا البحرية مما أدى إلى تراجع أحوال ساحل المغرب الأوسط الشرقي(بونة ومرسى الخرز) ورغم اهتمام الحماديين بالنشاط البحري إلا أن ذلك لم يكن كافيا لازدهار كل شواطئ المغرب الأوسط، حيث تم التركيز على العاصمة بجاية، في حين كان غرب المغرب الأوسط تحت السيطرة المرابطية التي وجهت جهودها نحو الأندلس، وبعد مجيء الموحدين تحسنت الحالة البحرية للمغرب الأوسط وقامت في موانئها عدة دور صناعة، ولكن ضعف الدولة ثم تفككها ساهما في العودة إلى نقطة البداية من حيث النشاط البحري، حيث حاول الزيانيون في غرب المغرب الأوسط القيام بشؤون البحر، ونفس

الشيء بالنسبة للحفصيين في شرق المغرب الأوسط، إلا أن ظهور قوة جديدة ممثلة في الإسبان والبرتغال حال دون ازدهار الساحل بل وقعت أغلب مدنه تحت وطأة الاحتلال، مما دفع بسكانه للاستنجاد بالإخوة الأتراك.

✓ويعتبر برودويل أن سيطرة المسلمين في البداية على البحر المتوسط راجع إلى توفرهم على مخزون هام من الخشب، وأن أزمة الخشب في أنحاء المتوسط الإسلامي خلال القرن الحادي عشر أفقد الإسلام سيطرته على البحر، فلما نقصه الخشب أفلت البحر منه طرفة عين[1]، إضافة إلى الحروب الصليبية التي قلبت الموازين وأخرجت المدن الايطالية من عزلتها إلى فضائها المتوسطي[2].

✓ وأخذ البحر المتوسط في الخروج من قبضة الإسلام منذ نهاية القرن الرابع الهجري، ورغم انتصار المنصور الموحدي بالآراك سنة591هـ/1194م إلا أنه كان بداية الانسحاب على مستوى البحر من حيث النشاط والسيطرة والتجارة لصالح الغرب والمدن الإيطالية.

✓انتقلت الموانئ والمدن الساحلية من الأدوار العسكرية الدفاعية خلال القرون الهجرية الأولى إلى الأدوار التجارية بدء من القران الخامس الهجري من خلال التعامل مع المدن الأوروبية.

✓ كانت التجارة البحرية والبرية مصدر ثروة لبعض المدن، فرأينا أسواق وموانئ تؤكد التداخل بين المدينة ومحيطها الخارجي من خلال تواجد بنية تحتية كمؤسسات تجارية كالديوانة والقيسرية مع وجود فنادق وتقنيات تجارية وجبايات ورسوم ومترجمين ومخازن شكلت موردا أساسيا لهذه المدن.

✓انتشرت دور الصناعة على طول الشريط الساحلي للمغرب الاوسط من شرقه الى غربه منها ماظهر خلال الفترة الفاطمية ومنها ماجاء خلال الفترة الحمادية والموحدية، أما بخصوص السفن التي كانت معروفة في المغرب الأوسط فقد كانت نفسها المعروفة في بقية العالم الإسلامي، ماعدا بعض الاضافات لتكييفها مع البيئة المحلية ونوعية الخشب والحبال.

✓مارست مختلف الشعوب البحرية القرصنة، وهذا بخلاف الكتابات التي تحاول إلصاق التهمة بالمغاربة، بل كانت عملية متبادلة بين الطرفين، مع ضرورة التمييز بين تلك التي كانت تتم في حالة السلم والمعاهدة وتلك التي كانت تتم في حالة الحرب.

✓ شكلت القرصنة أحد أهم الموارد الاقتصادية للدول الأوروبية والمغرب الأوسط، وتلقت تزكية دينية سواء من الكنيسة أو من المفتين المسلمين"الجهاد البحري"، خاصة اتجاه الدول غير المسالمة معهم، ولم يتم التحكم في هذه الظاهرة إلا في الفترات الحديثة مع تفوق الأساطيل الأوروبية من الناحية التقنية ونشوء الدول الوطنية التي تولت محاربة هذه الظاهرة، لإرجاع الأمن وتشجيع التجارة، التي انتقلت إلى المحيط الأطلسي.

✓إن قدم الظاهرة الصوفية بالمغرب الأوسط، وبالتالي قدم مؤسساتها المتمثلة خاصة في الرباطات، حيث شكلت هذه الأخيرة أداة فعالة لنشر العقيدة الإسلامية والتصدي الجهادي لمختلف الغزاة، من خلال احتيار أماكن

1)البحر المتوسط، ص59.

2) نفسه، ص133.

خاصة، فظهرت العديد من الرُبط البحرية على طول ساحل المغرب الأوسط، ساهمت في التصدي لشتى أعمال القرصنة.

✓ إن متاخمة المغرب الأوسط للساحل المتوسطي شكّل عصب التجارة الخارجية في فترات هامة، كما جعلته مدفوعا إلى التفاعل مع هذا الواقع من خلال العديد من المعاهدات والاتفاقيات سواء ذات الصلح أو ذات المصالح التجارية.

✓كما ساهم التسامح الديني وتقبل الآخر من قبل سكان المغرب الأوسط، في توافد العنصر الذمي المسيحي والنصراني بكثافة والاستحواذ على مفاتيح التجارة الخارجية البحرية والداخلية مما نشط الحركية الاقتصادية وعادت بالمنفعة على خزينة الدولة وعلى الأفراد، رغم بعض المناوشات الخفيفة.

✓نسجل ضعف التجارة البحرية للمغرب الأوسط البعيدة المدى مما فتح المجال للتجار الايطاليين لاحتكار النقل البحري للبضائع والأشخاص من المغرب الأوسط وإليه، فعقد المغرب الأوسط عدة اتفاقيات ومعاهدات صلح وتجارة مع جنوة والبندقية وبيزة، لتكمل مملكة أراغون هذا العمل لكن بمزيد من المساومات والضغوط لاستغلال الهيمنة الاقتصادية لصالحها.

✓رغم الإزدهار البحري في بعض الفترات التاريخية للمغرب الأوسط من حيث امتلاك السفن وإنشاء الموانئ وممارسة الصيد والتجارة مع مختلف الكيانات، إلا أنه لاشيء يثبت وجود سياسة بحرية شمولية واضحة المعالم في المغرب الأوسط، عبر مختلف دوله المستقلة، ولم يعرف إنشاء بنيات أساسية بحرية تخضع لمراقبة السلطة المركزية والأنشطة المعروفة ترجع إلى جماعات وقبائل مستقلين نسبيا يعملون لصالحهم الخاص.

✓ ارتبطت نهاية الحكم الإسلامي في الأندلس بسقوط آخر معاقل الإسلام المحاصر بأقصى جنوب غرب أوروبا-غرناطة بني الأحمر(897هـ/1492م) وبانتهاج الاسبان حركة الاسترداد ببلاد المغرب وتعقب المهاجرين الأندلسيين بها، وذلك للحيلولة دون قيامهم بالجهاد البحري انتقامًا لما تعرضوا له، وقد أسفرت هذه السياسة عن استيلاء الإسبان على العديد من المراكز الساحلية بسواحل المغرب الأوسط، فقد فرضوا سيطرتهم على المرسى الكبير(911هـ/1505م) ووهران سنة (915هـ/1509م) ومستغانم عام (917هـ/1511م)وتلمسان في(918هـ/1512م).

✓ إن بروز الإسبان كقوة وطردها للعرب المسلمين من الأندلس واحتلالهم لعدة ثغور على ساحل بحر المغرب الأوسط، إضافة إلى استعانة الحفصيين والزيانيين بالدول المجاورة ضد بعضهم في إطار التنافس حول العرش والحكم، أضعف بحرية المغرب الأوسط، وفتح المجال للاستعانة بالأتراك.

المقترحات و التوصيات

وتبقى هذه الدراسة في حاجة إلى الاهتمام بالحركة التجارية التي عرفها كل ميناء على حدا من خلال طرح كل ما يتم تصديره أو استيراده وفق معطيات إحصائية دقيقة تستخرج من مختلف الوثائق والنصوص التاريخية، لتترجم في رسومات بيانية تحليلية تمكننا من استخراج الوضع الاقتصادي والتجاري الراهن في تلك الفترة.

كما تفتح هذه الدراسة آفاقا مهمة على العلاقات بين الجهة الجنوبية الصحراوية مع جنوب أوروبا من خلال دراسة حركية التبادل التجاري وممرات العبور عبر المغرب الأوسط ومدنه وموانئه وأثر اكتشاف طريق الرجاء الصالح في فقدان تلك المسالك لأهميتها ودورها التجاري.

ونعتقد أننا ما نزال في حاجة إلى دراسات قطاعية لاقتصاد المغرب الأوسط، ولوضعيات الملكيات، ومجال الاستثمار للفئة المالكة لوسائل الإنتاج، وتمثلات المجتمع عن الأنشطة الاقتصادية، ولأوجه إنفاق السلطة باعتبارها محتكرة لوسائل الإنتاج.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

الملاحق

الملاحق:

ملحق رقم01:

موقع مدينة مرسى الدجاج في الوقت الحاضر[1]



ملحق رقم02:

الحملات العسكرية البحرية على المغرب الأوسط.

الحملة	النتائج
حملة الأمويين على أرشقول الادريسية في 320هـ/أوت932م	أسطول انطلق من بجانة في 15 مركبا حربيا لمحاصرة المدينة دون اقتحامها
سنة334هـ/946م حملة الأمويين من ألمرية على بونة الفاطمية	قاد الأسطول محمد بن رماحس ووصل إلى بونة ثم توجه منها إلى تنس ثم العودة إلى ألمرية
حملة الأمويين على مرسى القل وبونة الفاطميين	في أسطول ضم90 مركبا فأحرقوا مرسى القل

1) نقلا عن إسماعيل بن نعمان: مدينة مرسى الدجاج، مجلة عصور، العدد19-20، ص10.

في345هـ/957م	وبونة
حملة الحماديين على تونس والمهدية الزيريتين في529هـ/1134-1135م	قاد مطرف بن علي بن حمدون مجموعة من الشواني من بجاية لاحتلال تونس وفشل في المهدية.
حملة الموحدين على بجاية والجزائر في547هـ/1152م	أنطلق أسطولهم من سبتة وسيطروا على الجزائر وبجاية الحمادية.
حملة الموحدين من بجاية إلى تونس الزيرية في1154/554م	أسطول من 72 سفينة بقيادة أبي محمد عبد الله بن سليمان، استطلاع على تونس.
حملة الميورقيين المرابطين على بجايةفي580هـ/1184م	أسطول من 32 قطعة بقيادة إسحاق بن غانية واستولوا على بجاية.
حملة الموحدين على بجاية في581هـ/1185م	قاد أسطولهم محمد بن إسحاق بن جامع واسترجع بجاية من بني غانية.
حملة ثانية للموحدين على بجاية595هـ/1199م	أسطول من 70 شينا على بجاية ضد علي بن إسحاق بن غانية.
حملة الموحدين على وهران في601هـ/1205م	استعادة وهران من يحي بني غانية.
حملة الحفصيين على الجزائر في 669هـ/1271م	فشلوا في ضمها إلى الدولة الحفصية.
حملة الحفصيين الثانية على الجزائر في 671هـ/1272م	فشلوا أيضا في احتلال الجزائر.
حملة الحفصيين على الجزائر سنة674هـ/1275م	انطلقوا من بجاية واستطاعوا احتلال الجزائر بقيادة أبي الحسن بن ياسين.
حملة الحفصيين على أزفون "بجاية" في714هـ/ 1314م	ساعد الحفصيين قوات كتالونية نجحوا في احتلال أزفون الزيانية

حملة بني عبد الواد على بجاية الحفصية في 730هـ/1330م	استنجدت الدولة الزيانية بقوات أراقونية لكنها فشلت في احتلال بجاية
حملة المرينيين على الجزائر وبجاية في749هـ/1349م	قاد الأسطول الحسن بن علي بن عثمان حيث احتلوا بجاية الحفصية ثم رحلوا عنها إلى الجزائر

ملحق رقم 03:

جدول أصل مدن المغرب الأوسط التي ذكرها الوزان

مدينة ذات بناء إفريقي	مدينة ذات بناء روماني	مدينة سكت عن ذكر أصلها
هُنين	تلمسان	تيفسرة
أرشقول	ندرومة	
وهران	بْرِيشْك	
المرسى الكبير	شرشال	
مزكران	مليانة	
البطحاء	مازونة	
مستغانم	تقدمت	
تنس	تمند فوست	
الجزائر	بجاية	
المدية	مسيلة	
دَلّس	سطيف	
جيجل	نْكاوَسْ	

العباد	القل	
تيفش	سكيكدة	
	قسنطينة	
	عنابة	
	تبسة	

ملاحظات:

المدينة ذات الأصل الإفريقي تعني بنيت من قبل السكان المحليين: بربر أو عرب أو مسلمين

هذا التقسيم تم حسب نظرة الوزان وهو يحمل أخطاء تاريخية، صححناها عبر مختلف الفصول

ملحق رقم04:

جدول الخطوط البحرية بين بلاد المغرب الأوسط وسواحل الأندلس.

مراسي المغرب الأوسط	مراسي الأندلس	المسافة	المصدر
مرسى عجرود	دلاية	مجريان	البكري، ج2، ص754
مرسى هنين	ألمرية	ثلاثة مجار ونصف	صبح الأعشى، ج5، ص150
ترنانة	مرية بجانة	مجريان	البكري، ج2، ص755
أرشقول	قابطة بني أسود	مجريان	البكري، ج2، ص755
آسلن	مرسى الراهب	مجريان ونصف مجرى	البكري، ج2، ص755
مرسى الماء المدفون	مرسى الراهب	مجريان وثلث مجرى	البكري، ج2، ص767
وهران	أشكوبرش	مجريان وثلث مجرى	البكري، ج2، ص755
عين فروج	آقلة"مرسى لورقة"	ثلاثة مجار	البكري، ج2، ص755
قصر الفلوس	مرسى قرطاجنة	/	البكري، ج2، ص755
مرسى الدجاج	مرسى ميورقة	/	البكري، ج2، ص755
مستغانم	مرسى دانية	ثلاثة مجار ونصف	البكري، ج2، ص767
مغيلة بني هاشم	مرسى قطبيل تدمير	/	البكري، ج2، ص756
تنس	مرسى شنتبول جزر البليار	/ يوم وليلة	البكري، ج2، ص756
جزيرة وقور	لقنت	خمسة مجار	البكري، ج2، ص756

شرشال	مرسى مريرة ألكنت	خمسة مجار ونصف	البكري ج2، ص756
مرسى البطال	مرسى جبل قرون	خمسة مجار ونصف	البكري، ج2، ص756
مرسى هور	مرسى دانية	ستة مجار	البكري، ج2، ص756
مرسى القناطير	مرسى دانية	ستة مجار	البكري، ج2، ص756
مرسى الذبان	مرسى دانية	ستة مجار	البكري، ج2، ص756
مرسى جنابية	مرسى دانية	ستة مجار	الاستبصار، ص126-135
مرسى جزائر بني مزغنة	مرسى بنشكلة	ستة مجار	البكري، ج2، ص267
مرسى بجاية	مرسى طرطوشة	ثلاث مجار	أبو الفدا، ص137
مرسى بونة	مرسى ألمرية ومالقة	/	الوزان، ج2، ص103
مرسى الخرز	سردينيا	مجريان	البكري، ج2، ص234

ملحق رقم05:

تنشيط اليهود للحركة التجارية لمايورقة مع المغرب الأوسط[1].

البلد	اسم التاجر	العمل	الوجهة	السنة
مايورقة	كسال Cassal	رب عمل وكاتب	مستغانم	716هـ/1318م
	ماسترو برنات Mesde Berthomeu	كاتب محضر	مستغانم	716هـ/1318م
	ألستر مينيخ Alastar Magnich	تاجر يهودي	مزغران	717هـ/1319م
	بولاكس امبروكس Bolax Ambrox	تاجر يهودي	مزغران	717هـ/1319م
	سالا بريمي Sala Berthomeu	تاجر يهودي	مزغران	717هـ/1319م
	دسديه جيجو Desde Guegou	رب عمل	مستغانم	718هـ/1320م
	بويز الأب Pierre poyse	رب عمل	مستغانم الجزائر	718-719هـ/ 1320-1321م
	تينا Tiana	رب عمل	مستغانم	728هـ/1327م
	كانت برنات Canet-Bernat	ساعي	مستغانم	730هـ/1329م

1) Dufourcq; L'espagne, op.cit. p.593-598.

سميرة نميش: دور أهل الذمة بالمغرب، ص68-71.

	أستروك أنتون Astruch Antin	صاحب عمل وشريك	مزغران مستغانم	725-728هـ/ 1327-1330م
	بنيت برنات Benet Bernat	صاحب أموال	مستغانم تلمسان	727-728هـ/ 1329-1330م
	كبسبر برنات Capaspere Bernat	صاحب أموال	مستغانم شرشال	727-728هـ/ 1329-1330م
	ماروخ برثماي March Berthomen	شريك	مستغانم	727-728هـ/ 1329-1330م
	فزماتي إبراهام Fazmati Abraham	تاجر يهودي	تنس	728هـ/1330م
	فزماتي ميمة Fazmati Maymee	تاجر يهودي	تنس	728هـ/1330م
	مالكي سلومون Malequi Salomon	تاجر يهودي	مستغانم	729هـ/1331م
	ماصور إسحاق Masor Jssac	تاجر يهودي	مزغران	729هـ/1331م
	أوليف برنات Olivela Bernat	تاجر يهودي	مستغانم	730هـ/1331م
	ريوس جوم Reus Jaume	تاجر يهودي	مستغانم	730هـ/1331م

ملحق رقم 06:

رحلات اليهود إلى المغرب الأوسط خلال القرن 8هـ/14م[1].

عدد الرحلات	الوجهة
26	تلمسان
24	الجزائر
22	وهران
19	مستغانم
18	مزغران
15	تنس
12	هنين
4	شرشال

1) نقلا عن سميرة نميش: دور أهل الذمة بالمغرب، ص72.

ملحق رقم07:

عقود تُجار مارسيليا مع بعض مدن المغرب الأوسط خلال القرن7هـ/13م[1].

المنطقة	مجموع العقود	عقود اليهود
تنس والجزائر	01	01
تلمسان	02	01
وهران	04	00
بجاية	83	20

ملحق رقم08 :

أهم تجار النصارى" المسيحيين" في المغرب الأوسط الزياني[2].

المكان	الاسم	المهنة	المقر	سنة التواجد
مايورقة	فرادانير نيكولو Verdagne Niécolo	صاحب رأس مال	تلمسان	721هـ/1321م
	إيسام رامون Issam Ramon	شريك في سفينة	تلمسان	721هـ/1321م
	روبيج بير Robige Pere	صاحب عمل	تلمسان	/
	موراس برنات Moras Bernat	شريك في سفينة	تلمسان	721هـ/1321م

1) Stouff.L ; op, cit, p11.

2) نقلا عن سميرة نميش: دور أهل الذمة بالمغرب، ص72.

	سيما أرنو Cima Arno	تاجر وقنصل	تلمسان	739ه/1337م
	لوبي أرلو Lobi Arlo	تاجر	تلمسان	740ه/1339م
مونبلان	روس بير Rocs Pere	تاجر	تلمسان	708ه/1308م
بلنسية	فيلازيس بيرنارت Vilasis Bernat	تاجر	تلمسان	708ه/1308م
برشلونة	سوتزينر بير Sotziner Pere	صاحب رأس مال	تلمسان	731ه/1330م

ملحق رقم09:

جدول يبين أسماء التجار الأوروبيين في تلمسان في القرن الرابع عشر الميلادي[1].

المدينة	الاسم	العمل	السنة
بلنسية	فيلازيس بيرناتVilasis Bernat	تاجر	708هـ/1308م
ميورقة	ايسام رامونIsam Ramon	شريك في سفينة	721هـ/1321م
ميورقة	رويق بيرRoig Bere	صاحب عمل	/
ميرورقة	موراس برناتMoras Bernant	شريك في سفينة	721هـ/1321م
مونبولي	روس بيرRocs Pere	تاجر	726هـ/1325م
ميورقة	لوبي أرنوLobi Arnaou	تاجر	730هـ/1329
برشلونة	سوتزيند بيدSotziner Pere	رأسمالي	731هـ/1330م
ميورقة	فرادقير نيكولوVerdagner Nicolau	رأسمالي	731هـ/1330م
ميورقة	سيما أرنوCima Arnau	تاجر وقنصل	737هـ/1337م

1) نقلا عن رشيد بورويبة: الجزائر عبر التاريخ، ج3، ص482.

ملحق رقم10:

عقد سلم بين الزيانيين والأراغونيين لمدة خمس سنوات في 29صفر764هـ/1362م[1].

"بسم الله الرحمن الرحيم، وسلام على عباده الذين اصطفى وحسبنا الله ونعم الوكيل، عليه توكلت وهو رب العرش العظيم.

هذا كتاب صلح أسست قواعده وحمدت مصادره وموارده وحلي بالنجاح والإسعاد والنظر الصالح للعباد والبلاد مُنشئه وعاقدُه عَقّدَه بعد استخارة الله سبحانه وتعالى واسترشاده واستعانته واستنجاده، مولانا السلطان الجليل الملك الأصيل الشهير، الخطير الكبير، الرفيع المثيل ...أمير المسلمين المتوكل على رب العالمين، أبو حمو موسى، ابن الأمير الجليل ...أبي يعقوب ابن الأمير الجليل الأعز...المرحوم أبي زيد، ابن الأمير الجليل الرفيع...المرحوم أبي زكريا، ابن السلطان الأعلى...أبي يغمراسن بن زيان...

عقدا للسلم والمصالحة مع الملك الأحفل ...سلطان أراغون وبلنسية وميورقة وسردسنية وقورسقة، وكونت برشلونة وكونت الرسليون وكونت سردانية دون بيدرو أسعده الله برضاه وأرشده إلى سبيل هداه...حين وصله أعزه الله كتاب السلطان دون بيدرو المعلوم ورسم الصلح المختوم الذي عليه صورة شكله المتعاهدة والمتعارفة ...على يد رسوله الفارس الزعيم فرنصيص قوسطة على أن تكون السلم بينه وبينه لخمسة أعوام متوالية أولها عام أربعة وستين وسبعمائة من شهر صفر الموافق من الشهور الأعجمية ديجمبر على جميع ما لإيالته العليا..."

1) أحمد عزاوي: الغرب الإسلامي خلال القرنين 7-8هـ، دراسة تحليلية لرسائله، الرباط نت، المغرب، 2007، ج4، ص244.

ملحق رقم11:

رسالة من أمير تلمسان إلى ملك أراغون

حول مفاوضات السلم والتجارة في 17 رجب727هـ/1326م[1].

"إلى الملك المعظم السلطان الأسعد الأنجد الأضخم الأفخم .....ملك أراغونة وبلنسية وسردينية ومرسية **جاقمة**، سنى الله توفيقه ونهج الرشاد والهدى طريقه؛ من مفخم سلطانه ومرفع محله على ملوك النصرانية وشأنه، عبد المقام العلي التاشفيني السني-أيده الله تعالى-هلال بن عبد الله سلام على من اتبع الهدى ورحمته تعالى وبركاته.

وبعد حمد الله حق حمده والصلاة على سيدنا ومولانا رسوله الكريم وعبده والرضا عن آله وأصحابه الخلفاء الراشدين الهادين المهتدين من بعده والدعاء لهذا المقام العلي التشفيني الكريم السني بنصر عزيز من عنده

فالكتاب إليكم —كتب الله إليكم توفيقا يرشدكم ونهج طريقكم إلى ما يسعدكم من باب مولانا —أيده الله بنصره وأمده بمعونته ويسره-عن الخير الأتم واليسر الأعم والحمد لله على ذلك كثيرا وعن التكريم لسلطانه والمعرفة بقدر محلكم منه ومكانكم والعمل بمقتضى ذلك في كل أمره وشأنه.

وإلى هذا فإنه بحسب المعتقد فيكم والمعتمد عليكم في محبتكم وتصافيكم وجه مولاي-أيده الله-إليكم ولدكم الزعيم الأنجد الأسعد المكرم عنده الأثير لديه مراعاة لكم **جاقمة** مع ثقته الشيخ الأمين المكرم الأفضل الحاج أبي يعقوب يوسف بن الحوراء للحديث معكم في شأن **عقد الصلح** بينكم وبينه على نحو ما تضمنته العقود الواصلة إليكم صحبتهما واسمعوا لحديثهما، وقفوا على العقود التي بأيديهما واعلموا أني قررت عند مولاي أيده الله وفاءكم وعرفته وهو العارف أيده الله عنكم.

وتحققوا أني لكم كما تحبون مجتهد فيما يتجه لكم عندي من الحوائج على سبب ما تريدون إن شاء الله تعالى؛ وقد التقينا في ذلك لوالدكم الأنجد **جاقمة** وللامين الحاج أبي يعقوب بن الحوراء ما يلقيانه إليكم ويقررانه لديكم إن شاء الله تعالى والسلام على من اتبع الهدى"

---

1) أحمد عزاوي: العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة، مطبعة رباط نت، 2011، ج1، ص88-89.

ملحق رقم12:

جدول عمليات القرصنة "الجهاد البحري"من مدن المغرب الأوسط على الجنوب الأوروبي

الحملة	النتائج
حملة الحماديين من بجاية في 480هـ/1087م	الإغارة على جنوب ايطاليا بيزة وجنوة
حملة الحماديين من بجاية على النورمان	إخضاع جزيرة جربة لمدة وجيزة
حملة ألمرية من و هران في627هـ/1245م على المدن المسيحية	اتخذت وهران قاعدة لنشاطاتهم القرصنية حيث قاموا بتجهيز أكثر من 100شيني على السفن المسيحية
حملة بجاية الحفصية على توريبلنكا في 798هـ/1396م	أسروا نحو المائة ونهبوا الكنيسة
حملة بجاية على بلنسية في ذي الحجة عام 799هـ/أوت–سبتمبر1397م	حملة على توربيلنكا البلنسية فأسروا مئة رجل وامرأة من سكان القرية ونهبوا كنيستهم
حملة بجاية على ليغوريافي814هـ/1412م	الإغارة على سواحل ليغوريا بإيطاليا
حملة بجاية على مالطة في833هـ/1430م	الهجوم على جزيرة كابري وسبيها والاستيلاء على سفن جنوية واقتيادها إلى بجاية
حملة بونة على جنوةفي ربيع الأول837هـ/9 أكتوبر 1433م	سلب التجار الجنويين في مياه ميروقة واقتيادهم الى بونة

ملحق رقم 13:

جدول يبين عمليات القرصنة على سواحل المغرب الأوسط[1].

الحملة	النتائج
حملة بيزة على بونة في212-213هـ/827م	هجوم مشترك بين شارلمان والبزنطيين على بونة
حملة بيزة انطلاقا من سردينية على مدينة بونة في426هـ/1034م	غزو بونة بمساعدة أهالي البروفانس
حملة جنوة على بجاية سنة 428هـ/1143م	غزو مدينة بجاية الحمادية
حملة جنوة على بجاية في 530-531هـ/1136م	الاستيلاء على سفن تجارية بجائية
حملة النورمان على جيجل الحمادية سنة537هـ/1143م	قاد الحملة جورج الأنطاكي وتم حرق وتخريب جيجل.
حملة جنوة على شرشال وبرشك وتنس التي كانت تحت السيطرة المرابطية، في539هـ/1145م	تم تخريب المدن الثلاث السابقة الذكر
غزو الانجليز على وهران المرابطية في542هـ/1148م	تم احتلال مؤقت لوهران وتخريبها
حملة النورمان على بونة الزيرية سنة548هـ/1153م	تم احتلال بونة
حملة من قراصنة ألمرية على بجاية في673هـ/1245م	نهب المدينة وتخريب الساحل
حملة أراقون على مرسى الخرز في 684-685/1286-1287م	قادها روجي ردي لوريا وابن أخيه يوحنا تخريب مرسى الخرز
حملة أراغون على مرسى الخرز في 686هـ/1288م	تم السيطرة عليها لمدة شهرين
حملة كتالونية اشبيلية على سواحل الدولة الزيانية	انتصار الكتالونيين بعد استجابتهم لنداء أبي

1) الأسعد شوشان: المرجع السابق، ص435-438.

في715هـ/1315م	بكر الحفصي
حملة جنوة على بونةفي جمادى الاولى عام 690هـ/ماي 1303م	استولى على إثرها الجنويون على سفينة بندقية قادمة من بونة
حملة ميورقية على بجايةفي صفر702هـ/ماي-جوان1303م	تم الاستيلاء على سفن بجائية محملة بالبضائع تصل قيمتها 40ألف دينار، وسفينة بونية قيمتها 5آلاف دينار
زورق للنصارى يحاصر بونة في 725هـ/1324م	محاصرة مدينة بونة وأسر بعض أهلها
حملة الأساطيل البلنسية والقطالونية والميورقية على سواحل بني عبد الوادفي799-800هـ/1397-1398م	تخريب تدلس
حملة أساطيل بلنسية وميورقة بقيادة بيرنجي دي منتاغوت وبطرس دي فيلاراغوت في28 ذي الحجة801هـ/ 31أوت1399م على مدينة بونة	محاولة الإنزال بأحد الأبراج وفشل الحملة
حملة ميورقة على القل وجيجل بقيادة بيرنجي دي منتاغوت في 30ذي الحجة 801هـ/2سبتمبر1399م	إشعال مدينة القل والفشل في ضرب جيجل

ملحق رقم14:

جدول يوضح كراء بعض السفن لحمل البضائع في المغرب الأوسط[1].

المادة	السنة	الاتجاه	قيمة النقل
1000قنطار من الفلفل والقماش والزعفران	بداية القرن13	جنوة بجاية	دينار فضي عن كل قنطار[2].
الخمور	1250	جنوة بجاية	2 فلس عن كل مزرويلا[3].
الحبوب" قمح وشعير"	بداية القرن13	وهران مسينا صقلية	كل 100قفيز[4] قمح يأخذ منها 35 قفيزا، وعن كل 100قفيز شعير يأخذ30 قفيزا
القطن	1291م	بونة نحو تونس	كل قنطار من القطن ب 8 فلس
جرة من العسل أو الزيت	القرن13م	بجاية إلى تونس	90دينارا فضيا(18ليرة) عن كل 100جرة

1) مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص203-204.

2) **الدينار الفضي**: مجزأ إلى عشرة دراهم صغار.يوسف الحكيم :الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج6، العدد 1-2، 1958، الباب السادس، ص78. وكان وزن الدينار الفضي يعادل 15 غراما من الفضة **Dufourcq; L'espagne, P.526.**

3) **مزرولا**: وحدة وزن الخمر تساوي 91.5لتر .**مصطفى نشاط: المرجع السابق، ص203-204**.

4) **القفيز**: من موازين الحبوب كان يعادل 1.75هل أي 175 لترا ويتجزأ إلى 16ويبة وكل ويبة تعادل 11.72 لتر وتتجزأ بدورها إلى 12 صاعا. **مصطفى نشاط: المرجع نفسه، ص218**.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

القرآن الكريم برواية ورش

أ) الواثق الرسمية والمراسلات:

1-رسائل موحدية "مجموعة جديدة" تحقيق العزاوي، مطبعة النجاح، ط1، الدار البيضاء، 1995 .

2-مجموع رسائل موحدية ،من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية، اعتنى بإصدارها، أفريست لفي بروفنسال، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1941.

3-أبو المطرف أحمد بن عميرة المخزمي(ت 658هـ): رسائل ابن عميرة الديوانية والاخوانية أو بغية المستطرف وغنية المتطرف من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبي المطرف، جمعها أبو عبد الله محمد بن هانئ اللخمي السبتي(ت733ه/1331م)، دراسة وتحقيق محمد بن معمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2014

4-المقري(أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القرشي المقري التلمساني، ت1041ه/1632 م): رسائل المقري، تحقيق أسماء القاسمي الحسيني، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، بوسعادة، المسيلة، الجزائر، 2008.

ب) المخطوطات:

5-ابن الأعرج(محمد بن محمد بن عبد القادر الحسني السليماني، ت 1344هـ): زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، مخطوط الخزانة الحسنية، الرباط، الكتاب الثالث، رقم170.

6-ابن رشيد السبتي(ابو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ، ت 720 هـ/ 1320 م): ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ج7، مخطوط الإسكوريال، رقم 1735.

7-عبد الباسط الملطي(أبو المكارم زين الدين عبد الباسط بن أبي الصفاء ت920هـ/1425م): الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، مخطوط في الخزانة التيمورية، بدار الكتب المصرية، رقم 2403.

8-المازوني(يحيى بن أبي عمران موسى بن عيسى أبي زكرياء المازوني المغيلي ت883ه): الدرر المكنونة في نوازل مازونة، مخطوط، المكتبة الوطنية تونس، رقم 3502.

ج) كتب الرحلات:

9-ابن الحاج النميري(إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري أبو القاسم ت 768 هـ/1367 م): فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة واعداد محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

10-ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي ت770ه/1368م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق عبد الهادي التازي، مطبوعة الأكاديمية المغربية، 1997.

11-ابن خلدون(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي، ت808 هـ/1405 م): رحلة ابن خلدون، دراسة محمد بن تاويت الطنجي، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004.

12-ابن رشيد السبتي(ابو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري السبتي ، ت 720 هـ/ 1320 م) : ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982، ج2.

13-ابن العربي(أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري، ت(ت543هـ/1148م): مختصر ترتيب الرحلة للترغيب في الملة، ضمن كتاب مع القاضي أبي بكر بن العربي، تحقيق سعيد أعراب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1987.

14-البلوي(خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي القنتوري ت قبل780هـ/1378م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق الحسن السائح، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، فاس، 1970.

15-التجاني(أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني ،ت 717 هـ / 1317 م) : الرحلة، تقديم حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1981.

16-العبدري(محمد العبدري البلنسبي، ت 720 هـ / 1320 م): الرحلة المغربية، تحقيق علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر، ط2، 2005.

17-العياشي(أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، ت1090هـ/1679م): رحلة العياشي" أو ماء الموائد"، الرباط، 1970.

18-القلصادي(أبو الحسن علي القلصادي الأندلسي ، ت 891 هـ / 1486 م) : رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.

19-المقري(أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القرشي المقري التلمساني ، ت 1041 هـ / 1632 م) : رحلة المقري إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن معمر، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2004.

20-الملطي(أبو المكارم زين الدين عبد الباسط بن خليل بن أبي الصفاء ت920هـ/1425م): رحلته إلى شمال إفريقيا، ترجمتها إلى الفرنسية من قبل روبير برانشفيك، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، مج 185، 1994.

21-الناصري(محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي، ت1238هـ/1823م): عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، تحقيق محمد غالم، مركز البحث في الانثروبولوجية الاجتماعية والثقافية، وهران، 2005.

22-الورثلاني(الحسين بن محمد السعيد الورتيلاني، ت1193هـ/): الرحلة الورثلانية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1974.

د) كتب الجغرافيا:

23-الإدريسي(أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني السبتي ، المعروف بالشريف، ت560هـ/1165م): المسالك والممالك، القسم الخاص بالمغرب، دوسلان، ط2، فرانكفورت، 1993.
24---------: المغرب وأرض السودان ومصر، مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مطبعة بريل، ليدن، 1863.
25---------: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، بيروت، عالم الكتب، ط1، 1989 .
26-الاصطخري(أبو القاسم إبراهيم محمد الكرخي، ت346هـ/957م): مسالك الممالك، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1870.
27-البكري(أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز ، ت 487 هـ / 1094 م) : المسالك والممالك، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 2003.
28---------: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دت.
29-ابن جبير(أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي الشاطبي ، ت614 هـ/1217م) : الرحلة، دار صادر، بيروت، د ت.
30-الحموي ياقوت(شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، ت 626 هـ / 1228 م): معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977.
31-الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي السبتي، ت727هـ/1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984.
32- ابن حوقل(أبو القاسم محمد بن علي الموصلي، البغدادي، النصيبي، ت 367 هـ / 977 م: صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، لبنان، 1992.
33-ابن رسته(أبي علي أحمد بن عمر ابن رسته ت289هـ/901م): الأعلاق النفيسة، مطبعة برايا، ليدن، 1892.
34-الزهري(أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري ، كان حيا سنة 541 هـ / 1154م): كتاب الجغرافية، وما ذكرته الحكماء فيها من العمارة، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، د ت، د ط.
35-ابن سعيد المغربي(أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد ت 685 هـ / 1286 م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970.
36---------:بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط، معهد مولاي الحسن، الرباط، 1958.
37-العمري بن فضل الله(شهاب الدين أحمد بن يحي بن فضل الله العمري،ت 749هـ/1348 م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ج1.
38-العمري بن فضل الله:مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تح محمد عبد القادر خريسات، وعصام مصطفى هزايمة، ويوسف أحمد بني ياسين، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين، الإمارات العربية المتحدة، 2001، ج4.

39-----------: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق مهدي نجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ج2.

40-----------: مسالك الأبصار، تحقيق كامل سليمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2010، ج4.

41-أبو الفدا(عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر ،صاحب حماة ت732هـ/1331 م): تقويم البلدان، اعتنى بتصحيحه رينود، والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية، باريس، 1840.

42-القرماني(أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، ت1019هـ/1610م): أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، تحقيق أحمد حطيط، وفهمي سعد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1992.

43-القزويني(أبو عبد الله زكريا بن محمد بن محمود، ت682ه/1283م): آثار البلاد وأخبار العباد، بيروت، دار صادر، 1960.

44-القلقشندي(أبو العباس أحمد بن علي الفزاري المصري ، ت 821 هـ / 1476 م): صبح الأعشى في صناعة الإنشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915م، ج5.

45---------: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، شرحه وعلق عليه محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1987 م، ج1.

46-مارمول كربخال(كان حيا سنة 979 هـ / 1571 م) : إفريقيا، تحقيق، محمد حجي وآخرون، مكتبة المعارف الجديدة للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 1984.

47-مجهول(كان حيا سنة587هـ/1191م): الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.

48-مجهول: العيون والحدائق في أخبار الحقائق، عني بتحقيقه ووضع فهارسه عمر السعيدي، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1973.

49-المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن على ت 346هـ): التنبيه والإشراف، تحقيق عبد الله إسماعيل الصادق، مكتبة الشرق الإسلامي، القاهرة، 1938.

50-المقدسي(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البنا الشامي المقدسي المعروف بالبشاري، ت 379ه/989 م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة ليدن، ودار صادر، مكتبة مدبولي القاهرة، ط3، 1991 .

51-المقريزي(تقي الدين احمد بن على ت845هـ/1441م): جني الأزهار من الروض المعطار، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم، الدار التونسية للنشر، ط1، 2006.

52-المقريزي: كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقديم محمد مصطفى زيادة، دار التحرير للطبع والنشر، مصر، د ت، ج2.

53-الهمداني(ابن الفقيه ت نحو 340 هـ /951 م): مختصر كتاب البلدان، مطبعة بريل، ليدن، 1302هـ.

الوزان (أبو علي الحسن بن محمد الفاسي الحسن، كان حيا سنة957ه/1550م): وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي، و محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983.

54-اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب، ت284 هـ/897م): البلدان، مطبعة بريل، مدينة ليدن.

ل) كتب التاريخ العام:

55-ابن أبي دينار(أبو عبد الله محمد ابن أبي دينار، 1110هـ/1698م): المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحقيق محمد شمام، المكتبة العتيقة تونس، 1967.

56-ابن أبي زرع(أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ، كان حيا سنة 726هـ / 1326): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط، 1972.

57-ابن الأثير(ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير الجزري الملقب بعزالدين، ت630هـ/1232): الكامل في التاريخ، دار الكتب العلمية، بيروت، راجعه وصححه محمد يوسف الدقاق، ط1، 1987م.

58-ابن الأحمر(أبو الوليد إسماعيل بن يوسف الأنصاري ، ت 810 هـ / 1407): تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، مصر، ط1، 2001.

59-البلاذري(أبو بكر، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود، ت297هـ/892م): فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، و عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف بيروت، 1987.

60-البيذق(أبو بكر بن علي الصنهاجي، ت555هـ/1160 م): أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين، نشر دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط،1971.

61-التنسي محمد بن عبد الله(أبو عبد الله محمد بن عبد الجليل التلمساني، ت899هـ/1494م): تاريخ بني زيان ملوك بني تلمسان، مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان، تحقيق محمود آغا بوعياد، دار موفم للنشر، الجزائر، 2011.

62-ابن حماد الصنهاجي(أبو عبد الله محمد ت628هـ/ 1230م): أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق عبد الحليم عويس و التهامي نقرة، دار الصحوة للنشر، القاهرة، د ت.

63-ابن حيان القرطبي(أبو مروان حيان بن خلف بن حسين بن حيان، ت469هـ/1076م): المقتبس من تاريخ الأندلس، تحقيق بيدرو شالميتا وآخرون، ط مدريد، 1979.

64-ابن الخطيب(محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد، لسان الدين، ت776هـ/1374م):كتاب تاريخ اسبانيا الإسلامية أو إعمال الأعلام فيمن بويع من ملوك الإسلام قبل الاحتلام، تحقيق بروفنسال، دار المكشوف بيروت، 1956.

65-ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط1، 1974م.

66----------: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، حول العلاقات السياسية بين مملكتي غرناطة والمغرب، تحقيق محمد كمال شبانة، و مراجعة حسن محمود، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د ت ، د ط.

67- ابن خلدون عبد الرحمن(أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الحضرمي ، ت 808 هـ / 1405 م):العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن والحواشي والفهارس خليل شحادة، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2000.

68-----------:المقدمة، تحقيق عبد السلام الشدادي، بيت العلوم والفنون والآداب، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

69-ابن خلدون يحي(أبو زكريا يحي بن محمد الحضرمي ، ت 780 هـ / 1378 م): بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تحقيق عبد الحميد حاجيات، مطبعة الأخوين الشرفاء، 2010.

70-الداعي إدريس (عماد الدين بن الحسن بن عبد الله، ت872هـ/1467م): تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، القسم الخاص من كتاب عيون الأخبار، تحقيق محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1985.

71-الدلائي العذري(أبو العباس أحمد بن عمر العذري ابن الدلائي المري الأندلسي، ت478هـ/1085م): نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الإخبار، وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق عبد العزيز الأهواني، دت.

72-الذهبي(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت748هـ/1347م): دول الإسلام، تحقيق حسن إسماعيل مروة، دار صادر، بيروت، ط1، 1999.

73-الذهبي: العبر في خبر من غبر، تحقيق محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت.

74-الراشدي(أحمد بن محمد بن علي بن سحنون، ت: الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تحقيق وتقديم المهدي البوعبدلي، عالم المعرفة للنشر، ط1، 2013.

75-الرقيق القيرواني(أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم، ت420هـ/1029م): قطعة من تاريخ افريقية والمغرب، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، وعزالدين عمرو موسى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1990.

76-الزركشي(محمد بن إبراهيم بن اللؤلؤ أبو عبد الله ، كان حيا سنة 894 هـ / 1489 م): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق محمد ماضور، المكتبة العتيقة تونس،د ت.

77-الزياني محمد بن يوسف(ت13هـ/ 19م):دليل الحيران وأنس السهران في أخبار مدينة وهران، تحقيق المهدي البوعبدلي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1978.

78-السخاوي(أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين ، ت 902 هـ / 1497 م): الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ تحقيق فرانز روزنثال ترجمة صالح أحمد العلي، مطبعة العاني بغداد، د ط،1963.

79-السراج الوزير(أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي، ت1149هـ/1736م): الحلل السندسية في الأخبار التونسية، طبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط1، 1287هـ.

80-ابن شداد(الصاحب عز الدين أبو عبد الله بن علي، ت684هـ/1285م): الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، نشرة دومنيك صوديل، دمشق، 1953

81-ابن الشماع(أبو عبد الله محمد بن أحمد الهنتاتي ، كان حيا سنة 861 هـ / 1457 م) : الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق الطاهر بن محمد المعموري، د ط، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.

82-ابن صاحب الصلاة(أبو مروان عبد الملك بن محمد الباجي، كان حيا594هـ/1198م): تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم أئمة وجعلهم الوارثين ، السفر الثاني ، تحقيق عبد الهادي التازي ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط3، 1987.

83-ابن الصغير المالكي(كان حيا أواخر ق3هـ/9م): أخبار الأئمة الرستميين، تحقيق محمد ناصر و إبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، .1986

84-الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الشهير بالإمام أبو جعفر، ت310هـ/923م): تاريخ الرسل والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، 1970.

85-ابن عبد الحكم(عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، ت257هـ/870م): فتوح إفريقية والأندلس، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، 1964.

86-عبد الملك بن حبيب(أبو مروان عبد الملك بن حبيب السلمي، ت238هـ/853م): كتاب التاريخ، اعتنى به عبد الغني مستو، المكتبة العصرية بيوت، ط1، 2008.

87-ابن عذارى(أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي ،كان حيا سنة 712 هـ / 1312 م) : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج س كولان، وإليفي بروفنسال، دار الثقافة بيروت، ط2، 1980، ج1.

88-ابن عذارى: البيان المغرب، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط3، 1983، ج4.

89-ابن الغزي(شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي، ت1167هـ/1753م): ديوان الإسلام، تحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1990 م.

90-أبو الفدا(عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر ،صاحب حماة ت732هـ/1331م): المختصر في أخبار البشر، علق عيه ووضع حواشيه، محمد ديوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997.

91-القاضي النعمان(أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي، ت363هـ/ 974 م):افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1986.

92--------:المجالس والمسايرات، تحقيق الحبيب الفقي وآخرون، دار المنتظر، بيروت، لبنان، 1996.

93-القاضي عياض(أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ت544هـ/1149م): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق عبد الرحمن علي حجي، مكتبة الحياة، بيروت، 1967.

94-ابن قتيبة الدينوري(أبو محمد عبد الله بن عبد المجيد بن مسلم، ت276هـ/889م): الإمامة والسياسة، اعتنى بطبعه و بتصحيحه محمد محمود الرافعي، مطبعة النيل، مصر، 1904.

95-ابن قتيبة الدينوري:عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1996.

96-ابن القطان(أبو محمد حسن بن علي الكتامي، كان حيا سنة650هـ/1252م): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان (الجزء السادس منه فقط)، تحقيق محمد علي مكي، دار الغرب الإسلامي، ط2، بيروت، لبنان، 1990.

97-مجهول(ت ق8هـ): زهر البستان في دولة بني زيان، تحقيق بوزيان الدراجي، مؤسسة بوزيان للنشر والتوزيع، ج2.

98-مجهول(كان حيا سنة 783هـ/1381 م): الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة، نشر دار الرشاد الحديثة، ط1، الدار البيضاء، 1979.

99-مجهول(كان حيا سنة712هـ/1312م): مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، المغرب، ط1، 2005.

100-المراكشي عبد الواحد(عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محي الدين، ت647 هـ/1249 م):المعجب في تلخيص أخبار المغرب، وضع حواشيه خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2005م.

101-ابن مرزوق التلمساني(شمس الدين أبو عبد الله محمَّد بن أحمد بن محمَّد، ت781هـ/1379م): المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن، تحقيق ماريا خيسوس بيغيرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

102-المقري التلمساني(أبو العباس أحمد بن محمد المقري، ت1041هـ/1632م): نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت، 1968.

103-النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهّاب بن محمد، ت733هـ/1333م): نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق عبد المجيد ترحيني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ج24.

م) الكتب العسكرية والبحرية:

104-القروي (خلف بن أبي فراسمن أهل القرن4هـ/10م): كتاب أكرية السفن، دراسة وتحقيق عبد السلام الجعماطي، منشورات تطوان- أسمير، 2009.

105-ابن مماتي(أسعد بن مهذب بن زكريا بن قدامة بن نينا، شرف الدين، ت606هـ/1209م): قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991.

106-ابن منكلي(جلال الدين، محمد بن محمود بن منكلي بوغا القاهري، ت784هـ/1382م): الأدلة الرسمية في التعابي الحربية، تحقيق محمد شيت خطاب، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، 1988.

ن) كتب المناقب والتراجم والآداب:

107-ابن الأبار(أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البلنسي، ت658هـ/1260): التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1995.

108---------:المعجم في أصحاب القاضي الإمام على الصدفي، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط1، 1989.

109-ابن أبي العيش(محمد بن عبد الرحيم بن أبي العيش الخزرجي، التلمساني، ت بعد654 هـ/1256م): التذكرة في قبول المعذرة، وفيما جاء في العفو عند المقدرة، تحقيق عبد الرحمن بن محمد الهيباوي، الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، المغرب، ط1، 2008.

110-الأوربي: مناقب أبي يعقوب الزهيلي البادسي، نشرها أحمد عبد السلام البوعياشي في كتاب حرب الريف التحررية ومراحل النضال، مطبعة دار أمل، طنجة، 1975.

111-البادسي عبد الحق(بن إسماعيل بن أحمد بن محمد الغرناطي كان حيا سنة 722هـ/ 1322م:): المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1993.

112-ابن بشكوال(القاسم خلف الأنصاري الخزرجي بن عبد الملك الأندلسي القرطبي، ت1183 م578 /هـ.): كتاب الصلة، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة، 1966.

113-البغدادي(إسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البابابي ت1339 هـ/1920 م) : هدية العارفين، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1955.

114-البوني(أحمد بن قاسم أبو العبّاس بن محمد ساسي التميمي البوني، ت1139هـ/1726م): التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف، تقديم سعيد دحماني، منشورات المجلس الشعبي البلدي، عنابة، الجزائر، ط1، 2001.

115-ابن البيطار(ضياء الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد المالقي، ت 646هـ/1248: الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1962.

116-التادلي(أبو يعقوب يوسف بن يحي ابن الزيات، ت 628هـ/1230 م): التشوف إلى رجال التصوف، وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط3، 2010.

117-التجيبي(القاسم بن يوسف التجيبي، ت730هـ/1329م): برنامج التجيبي، تحقيق عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.

118--------: مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبد الحفيظ منصور، ط1، الدار العربية للكتاب، تونس، 1975.

119-ابن تغري بردي(يوسف بن تغري بردي الأتابكي ، جمال الدين أبو المحاسن ، ت 874 هـ / 1470 م): المنهل الصافي، تحقيق محمد محمد أمين، وسعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984.

120-التنبكتي أحمد بابا(أبو العباس أحمد بابا بن أحمد، ت1036هـ/1627م):نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989.

121-ابن حجر(أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني، ت852هـ/1442م): الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ضبطه وصححه عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997 م.

122-ابن حمديس(أبو محمد عبد الجبار بن أبي بكر، ت527هـ/1132م): ديوان ابن حمديس الصقلي(447-527هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار صادر للطباعة، بيروت، 1960.

123-ابن الخطيب(أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي، ت776هـ/1378 م): أعمال الأعلام، تحقيق بروفنسال، بيروت، دار المشرق، 1956.

124--------: الكتيبة الكامنة فيمن لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة بيروت، لبنان، 1983.

125-ابن خلكان(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، ت681هـ/1282م): وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت،1977.

126-الذهبي(شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ت748هـ/1347م): معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، 1969.

127-الزركلي(خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، ت1336هـ/1917م) : الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط15، 2006، ج7.

128-زروق أحمد(أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي، ت899هـ/1493م): عدة المريد الصادق، تحقيق الصادق بن عبد الرحمن الغرياني، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

129-السبتي أبو القاسم (محمد بن القاسم بن محمد بن أحمد بن عبد الملك الأنصاري، ت بعد 825هـ/1421م): اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، ط، باريس، تحقيق بروفنسال، د ت.
130-ابن سعيد المغربي(أبو الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد ت 685 هـ / 1286 م): اختصار القدح المعلى في التاريخ المحلى، تحقيق إبراهيم الأبياري، القاهرة، بيروت، ط2، 1980.
131--------: المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، القاهرة، 1964.
132-السلفي(صدر الدين، أبو طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد، ت576هـ/1180م): معجم السفر، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1963.
133-الشفشاوني(محمد بن علي ابن عسكر الحسني العلمي، ت986هـ/1578م): دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، تحقيق محمد حجي، الرباط، ط2، 1977.
134-الصفدي(صلاح الدين خليل بن أيبك، ت764هـ/1362م): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط1، 2000.
135--------:أعيان العصر وأعوان النصر، علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط1، 1998.
136-عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: فهرس الفهارس والأثبات، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1982.
137-أبو العرب القيرواني(محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي،ت333هـ/945م): طبقات علماء إفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم حسن الباني، الدار التونسية للنشر، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.
138-ابن عماد(عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري، ت1089هـ/1679م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط1، 1993.
139-الغبريني(أبو العباس أحمد بن أحمد، ت704هـ/1305م): عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.
140-ابن فرحون(إبراهيم بن نورالدين بن علي اليعمري المدني، أبو الوفا، ت799هـ/1397 م): الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
141-ابن القاضي(أبو العباس أحمد بن محمد المكناسي، ت1025هـ/1616م): درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، والمكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1971.
142-القشتالي(أحمد ابن إبراهيم الأزدي ت779هـ/1377م): تحفة المغترب ببلاد المغرب لمن له من الإخوان في كرامات الشيخ أبي مروان، تحقيق فرناندو دي لا جرانخا، مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد، مج 17، 1973.
143-ابن قنفذ(أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني، ت810هـ/1407م):أنس الفقير وعز الحقير، نشر وتصحيح، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي، مطبعة أكدال، الرباط، 1965.
144-الكتبي محمد بن شاكر(ت764هـ/1362م): فوات الوفيات، والذيل عليها، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1973.
145-اللبيدي أبو القاسم: مناقب أبي إسحاق الجبنياني، ومناقب محرز بن خلف، تحقيق روجي إدريس، تونس، 1959.

146-ابن مرزوق(أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ت781هـ/1397م): المناقب المرزوقية، تحقيق سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البضاء، ط1، 2008.
147-ابن مريم(ابي عبد الله محمد بن محمد ابن احمد الملقب بابن مريم ت1014هـ/1379م): البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، مراجعة ابن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.
148-المقري(أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القرشي المقري التلمساني، ت1041هـ/1632م): أزهار الرياض في أخبار عياض، ضبط وتحقيق مصطفى السقا وآخرون، مطبعة فضالة، المملكة المغربية، 1398/ 1978.
149-المقفع(أبو مُحمّد عبد الله،ت142هـ/759م): كليلة ودمنة، المكتبة العصرية، صيدا، 2005.
150-اليوسي(أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد، ت1102هـ/1691م): المحاضرات في الأدب واللغة، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال، ج1، بيروت، 1982 .

هـ) كتب النوازل والحسبة:

151-الباجي(أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي، ت494هـ/1100م): المنتقى شرح موطأ إمام دار الهجرة مالك بن أنس،دار السعادة، هـ،القاهرة، مصر، ط1، 1332.
152-البرزلي(أبو القاسم بن محمد البلوي التونسي، ت841هـ/1438 م): جامع مسائل الأحكام لمنازل من القضايا بالمفتين والحكام"فتاوى البرزلي"، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 2002، ج3.
153-ابن العربي(محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي أبو بك، ت543هـ/1148م): قانون التأويل، دراسة وتحقيق محمد السليماني، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة و مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1986.
154-العقباني(أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد، ت871هـ/1467م):تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق على الشنوفي، المطبعة الكاثوليكية، لبنان، 1967.
155-القاضي النعمان(أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي، ت363هـ/ 974 م): دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام عن أهل بيت رسول الله عليهم أفضل السلام، تحقيق آصف بن علي أصفر فيضي، دار المعارف، 1963.
156-القاضي عياض(أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرون، ت544هـ/1149م):مذاهب الحكام في نوازل الأحكام، تحقيق محمد بن شريفة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1997.
157-القيرواني(أبو زيد محمد عبد الله أبومحمد بن عبد الرحمن، ت386هـ/996م): النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1999.
158-ابن ماجة(أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجة الربعي القزويني، ت273هـ/ـ886 م).: سنن ابن ماجة، تحقيق وتعليق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الدعوة ودار سحنون، اسطنبول، ط2، 1992، ج2.
159-المازري(أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التَّميمي المازَري، ت536هـ/1141م): فتاوى المازري، تحقيق الطاهر العموري، الدار التونسية للنشر،تونس، ط1، 1994.
160-الونشريسي(أبو العباس أحمد بن يحي التلمساني، ت914هـ/1508م): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، تخريج محمد حجي وآخرون، وزارة الأوقاف المغربية، ودار الغرب الإسلامي، 1981.

161-------: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، تعليق، محمد الأمين بلغيث، مطبعة لافوميك، الجزائر، 1985.

ي) القواميس المصدرية:

162-الزبيدي مرتضى(بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، ت 1205 هـ/1790): تاج العروس، تحقيق مصطفى حجازي ، مطبعة المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1969 164-الزبيدي: مختصر العين، عالم الكتب، بيروت، 1996.

163-الفراهدي(الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، ت170هـ/786م): كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1988.

164-الفيروز أبادي(مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي الشيرازي، ت817 هـ/1414م): القاموس المحيط، مؤسسة النوري للطباعة والنشر، دمشق، 1987.

165-ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي التونسي، ت711هـ/1311 م) : لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج7.

ثانيا) المراجع:

أ) الكتب العربية:

166-إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان، مصر 1978، ج2.
167-أحمد عزيز: تاريخ صقلية الإسلامية، تعريب أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1980.
168-أرسلان شكيب: الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، مكتبة الحياة بيروت،1936.
169-إسماعيل محمد: الأدارسة حقائق جديدة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1991.
170-أكنوش عبد اللطيف: تاريخ المؤسسات والوقائع الاجتماعية بالمغرب، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، د ت.
171-أميلي حسن: الجهاد البحري بمصب أبي رقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2006.
172-الأنصاري محمد جابر: التفاعل الثقافي بين الغرب والشرق في آثار ابن سعيد المغربي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1992.
173-باشا نجاة: التجارة في المغرب الإسلامي، من القرن الرابع إلى القرن الثامن هجري، منشورات الجامعة التونسية، تونس 1976.
174-الباهي أحمد: سوسة والساحل في العد المتوسطي، محاولة في الجغرافية التاريخية، مركز النشر الجامعي، تونس، 2004.
175-بركات أنيسة :محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995.
176-بشير عبد الرحمن:اليهود في المغرب العربي(22-462هـ/642-1070م) عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2001.
177-بطاينة محمد ضيف الله: دراسة في تاريخ الخلفاء الأمويين، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1999.
178-بعيزيق صالح: بجاية في العهد الحفصي، دراسة اجتماعية واقتصادية، تونس منشورات كلية الآداب، جامعة تونس، 2006.
179-بلغيث محمد الأمين: فصول في التاريخ والعمران بالغرب الإسلامي، طبع أنتر سينيي، الجزائر ، ط1، 1428هـ/2007م.
180-بلوط عمر: فنادق مدينة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية، مؤسسة الضحى للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2011.
181-بن عبد الله عبد العزيز: مظاهر الحضارة المغربية، دار الكتب العربية، الرباط، ط1، 1960.
182- بوروبية رشيد: الدولة الحمادية، تاريخها وحضارتها، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977.
183-بوروبية رشيد وآخرون: كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3.
184-بوزيان الدراجي: نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.
185-بوزيان عمر: جذور اتحاد المغرب والجزائر1832-1845م، منشورات عكاظ، 1988.
186-بوعزيز يحي: وهران، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، 1985.
187-بولقطب الحسين:حفريات في تاريخ المغرب الوسيط، جذور للنشر، الرباط، ط1، 2004.

188-بونار رابح: المغرب العربي تاريخه وثقافته، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، ط3، 2000.
189-التازي عبد الهادي: الأسطول المغربي عبر التاريخ، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط ، العدد 33، 1983.
190---------: الموجز في تاريخ العلاقات الدولية للملكة المغربية، من التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، الرباط، ط1، 1984.
191---------: الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب، دار المعارف الجديدة، الرباط، المغرب، ط1، 2001.
192-توفيق الطيبي أمين: دراسات في تاريخ مدينة سبتة الإسلامية، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، 1989.
193---------: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، مصر 1997.
194-جبودة مريم محمد عبد الله: التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدى والحفصى(555 هـ/1160- 1572 م)، 2008.
195-الجعماطي عبد السلام: دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2012.
196-جلول ناجي: الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، المطبعة الرسمية، تونس، 1999.
197-الجنحاني الحبيب: المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، في القرن3-4هـ/9-10م، الدار التونسية للنشر، تونس، 1978م.
198-الجوهري بشرى: شمال إفريقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، فرع الإسكندرية، ط6، 1980.
199-الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، دار الأمة للنشر والطباعة، الجزائر، 2011، ج1.
200-حاجيات عبد الحميد وآخرون: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج3.
201-حارش محمد الهادي: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، دت، دط.
202---------: التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا، 203-46 ق م،دار هومة للنشر، الجزائر، 1996.
203-الحجوي محمد المهدي: حياة الوزان الفاسي وآثاره، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1935.
204-الحريري محمد مرسي: الشريف الإدريسي ودور الرحلة في جغرافيته، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1985.
205-حسن أحمد محمود: قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، 1957.
206-حسن حسني عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، منشورات مكتبة المنار، تونس، ج2، ط2، 1981.
207-حسن محمد: المدينة والبادية بإفريقية في العهد الحفصي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1999.
208-حسنين حسن حنفي: نماذج من الفلسفة المسيحية، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ط2، 1978.

209-الحفناوي محمد (أبو القاسم محمد بن أبي القاسم، الديسي، ت1361هـ/1942): تعريف الخلف برجال السلف، مؤسسة الرسالة، المكتبة العتيقة، تونس، ط1، 1982، ج1.

210-حلمي علي عبد القادر: مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر، 1972.

211-------------: جغرافية الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1968.

212-الخربوطلي علي حسن: البحر المتوسط بحيرة عربية، دار المعارف، القاهرة، 1963.

213-خلاصي علي:البحرية الجزائرية عبر التاريخ، المتحف المركزي للجيش، وزارة الدفاع الوطني، 2007.

214-خلف الله ابتسام مرعي: العلاقات بين الخلافة الموحدية والمشرق الإسلامي، دار المعارف،1985.

215-خليفة حاجي(مصطفى بن عبد الله الشهير بكاتب جلبي، ت1068هـ/1657م): كشف الظنون عن أسامي المكتب والفنون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د ت.

216-خوجة حمدان: إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس عن الوباء، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية النشر وللتوزيع، الجزائر، 1996.

217-درويش النخيلي: السفن الإسلامية على حروف المعجم، مطابع الأهرام التجارية، مصر، 1970.

218-دهينة عطاء الله وآخرون: الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب الوطني، الجزائر،1984.

219-ذنون طه عبد الواحد: موسى بن نصير، المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2004.

220-سالم السيد عبد العزيز: المغرب الكبير(العصر الإسلامي)، دراسة تاريخية وعمرانية وأثرية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981

221-----------: تاريخ مدينة ألمرية الإسلامية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، .1984

222-سالم سحر السيد عبد العزيز: أوراق تاريخية بحر متوسطية من العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006.

223-----------: مدينة الرباط في التاريخ الإسلامي، منذ إنشائها حتى نهاية عصر بني مرين، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1996.

224-السبتي عبد الأحد، وفرحات حليمة: المدينة في العصر الوسيط، قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1994م.

225-سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الاستقلال، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979.

226-سعيدان عمر: علاقات أسبانيا القطلانية بالحفصيين في الثلثين الأول والثاني من القرن الرابع عشر الميلادي، منشورات سعيدان، تونس، 2002.

227---------: علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن 14م، منشورات ثالث، الجزائر، ط2، 2011.

228-سعيدوني ناصر الدين: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في المدة الحديثة والمعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988.

229-------------: ورقات جزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2000.

230-السلاوي الناصري: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954.

231-السيد كمال أبومصطفى: تاريخ الأندلس الاقتصادي في عصر دولتي المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، د ت.

232-سيسالم عصام سالم: عصام سالم سيسالم: جزر الأندلس المنسية، التاريخ الإسلامي لجزر البليار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط1، 1984.

233-شارن شافية: الاحتلال الاستيطاني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

234-شاكر محمود: التاريخ الإسلامي قبل البعثة والسيرة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط،1991، ج1.

235-شامي يحي: موسى بن نصير الفاتح الذي لم تهزم له راية، دار الفكر العربي، بيروت لبنان، ط1، 2005.

236-الشاهدي الحسن: أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، مطابع عكاظ، الرباط، 1990.

237-الشبلي عبد الكريم: الموانئ بالساحل في العهد الأغلبي، المزاق القديم وبلاد الساحل، تونس، 2005.

238-شنيتي محمد البشير: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.

239-الطالبي محمد: الدولة الأغلبية، التاريخ السياسي184-296هـ/800-909م، تعريب المنجي الصيادي، مراجعة وتدقيق حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1995.

240-الطوخي أحمد محمد: العلاقات الأندلسية الحفصية، ضمن الأندلس الدرس والتاريخ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994.

241-طويل الطاهر:المدينة الإسلامية وتطورها في المغرب الأوسط، من النصف الثاني للقرن الهجري الأول إلى القرن الهجري الخامس، المتصدر للترقية الثقافية والعلمية والإعلامية، الجزائر، 2011.

242-عارف الدوري تقي الدين: صقلية، علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية، من الفتح العربي حتى الغزو النورمندي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بغداد، 1980م.

243-عبادة عبد الفتاح: سفن الأسطول الإسلامي وأنواعها ومعداتها في الإسلام، مطبعة الهلال بالفجالة، مصر، 1913.

244-العبادي أحمد مختار، وسالم السيد عبد العزيز: تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام، بيروت، 1982.

245-----------: تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، بيروت، دار النهضة العربية، 1969.

246-العبادي أحمد مختار: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، د ت.

247-عباس إحسان: العرب في صقلية، دراسة في التاريخ والأدب، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط1، 1975.

248-عبد الرزاق أحمد: الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1999.

249-عبد العليم أنور: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و للفنون والآداب، الكويت، 1979.

250-عبد الغني محمد:الشريف الإدريسي أشهر جغرافي العرب والإسلام، سلسلة أعلام العرب، رقم97، الهيئة العليا للتأليف والنشر، دط، 1971.

251-عبد المنعم الشامي عبد العال: جغرافية المدن عند العرب، مجلة عالم الفكر، الكويت، مج9، ع1،سنة 1978.

252-عبد الوهاب حسن: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية، منشورات مكتبة المنار، تونس ، ج2، ط2، 1981.

253-عبدلي لخضر: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

254-عثمان حبيب شوقي عبد القوى: التجارة بين مصر وإفريقيا في عصر سلاطين المماليك (648-922هـ/1250-1517م)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2000.

255-عثمان فتحي: الحدود الإسلامية البيزنطية بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري، الدار القومية للطباعة والنشر،القاهرة، 1966.

256-العدوي إبراهيم أحمد: الأساطيل العربية في البحر المتوسط، مكتبة النهضة، القاهرة، مصر، 1957.

257----------: المجتمع المغربي مقوماته الإسلامية والعربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1970.

258-العدوي إبراهيم: بلاد الجزائر تكوينها الإسلامي والعربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1970.

259-العربي إسماعيل: المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

260----------: دولة بني حماد، ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

261----------:كتاب الجغرافيا منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1970.

262-العروي عبد الله: مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1994، ج2.

263----------: مفهوم التاريخ، الألفاظ والمذاهب، المفاهيم والأصول، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط4، 2005.

264-عزاوي أحمد: العلاقات المغربية الأندلسية في القرن الرابع"الصراع العبيدي الأموي حول المغرب"قراءة وثائقية، مطبعة الرباط نت، المغرب، ط1، 2011.

265----------: العلاقات بين العالمين الإسلامي والمسيحي في العصر الوسيط من خلال نصوص عربية للمراسلات واتفاقيات السلم والتجارة، مطبعة رباط نت، 2011.

266----------: الغرب الإسلامي، خلال القرنين7-8هـ، دراسة تحليلية لرسائله، الرباط نت، ج2، 2007.

267----------: قضايا تاريخية خلال العصرين الموحدي والمريني، عالم الفكر، ط1، 2010.

268----------: مقالات تاريخية عن الغرب الإسلامي، وثائق وعلاقات، منشورات الرباط نت، ط1، 2015.

269-عقون محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، 2008.

270-علام عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1971.

271-علام عبد الله علي: الدولة الموحدية بالمغرب، في عهد عبد المؤمن بن علي، دار المعارف، القاهرة، 1971.
272-علي جودت: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت، ط1، 1971.
273-عمر موسى عزالدين: الموحدون في الغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1991.
274-----------: النشاط الاقتصادي في المغرب الإسلامي، خلال القرن السادس هجري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2003 .
275-----------: دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط1، 1983.
276-عويس عبد الحليم: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1991.
277-غانم محمد الصغير: المملكة النوميدية والحضارة البونية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1998.
278-----------: معالم التواجد الفنيقي البوني في الجزائر، دار الهدى عين مليلة، الجزائرط1، 2003.
279-غطيس مصطفى: الصيد البحري القديم في المغرب والأندلس، نصوص دفينة ودراسات، تطوان، 2008.
280-الغناي مراجع عقيلة:سقوط دولة الموحدين، منشورات جامعة قاريونس، بن غازي، ليبيا، 1988.
281-الغنيم عبد الله يوسف: مصادر البكري ومنهجه الجغرافي، مطبعة ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، ط3، 1996.
282-غوردو عبد العزيز: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، جدلية التمدين والسلطة، دار ناشري الالكتروني، ط2، 2011
283-فاروق عمر وآخرون: النظم الإسلامية، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1987.
284-فروخ عمر: العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر المتوسط، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1981.
285-فروخ عمر: تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1983.
286-فنطر محمد حسين: الحرف والصورة في عالم قرطاج، منشورات البحر الأبيض المتوسط، مركز النشر الجامعي، تونس، 1999.
287-فهمي علي محمد: التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي، ترجمة عبد غالم، دار الوحدة، بيروت، 1981.
288-فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، دار الفجر للنشر والتوزيع القاهرة، ط2، 1999.
289-----------: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002.
290-----------: دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 2012،
291-أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1981.
292-قداش محفوظ: الجزائر في العصور القديمة، وزارة الثقافة، 2007.
293-ابن قربة صالح: المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، ، موفم للنشر، الجزائر، 2011.

294-كردي علي ابراهيم: أدب الرحل في المغرب والأندلس، مطابع الهيئة العامة السورية للكتاب، 2013.

295-الكعاك عثمان: البربر، نشر تامغناست، د ت.

296-لخضر عبدلي: التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، دار ابن النديم للنشر والتوزيع، ط1، 2011.

297-لقبال موسى وآخرون: العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

298-لقبال موسى: المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

299--------: دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1980.

300-أبو لقمة الهادي مصطفى ، والأعور محمد علي: الجغرافيا البحرية، الدار الجماهرية للنشر والإعلان، ليبيا، ط2، 1999.

301-ماجد عبد المنعم: تاريخ الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة، 1986.

302-ماهر سعاد: البحرية في مصر الإسلامية، وزارة الثقافة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967.

303-مجموعة من المؤرخين: الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، طبعة وزارة المجاهدين، 2007.

304-المحجوبي عمار: ولاية إفريقية من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري146 ق م-235م، مركز النشر الجامعي، تونس، د ت.

305-محمد الهاشمي رحيم كاظم، و شنقارو عواطف محمد العربي: الحضارة العربية الإسلامية، دراسة في تاريخ النظم، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 2002.

307-محمد حسين حمدي عبد المنعم: مدينة سلا في العصر الإسلامي، دراسة في التاريخ السياسي والحضاري، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1993.

308-محمد غومة سالم أبو القاسم: تاريخ المغرب وحضارته، دراسة للجيش والأسطول والمنشآت في الدولة المرينية 668-869هـ/1269-1465م، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 2014.

309-المدني أحمد توفيق: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1976.

310-المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، د ت.

311-مرمول محمد الصالح: السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية في بلاد المغرب الإسلامي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.

312-مزاري توفيق: النشاط البحري بالغرب الإسلامي، في عهد الموحدين والمرابطين، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2011.

313-أبو مصطفى كمال: تاريخ الأندلس الاقتصادي عصري المرابطين والموحدين، مركز الإسكندرية للكتاب، د ت.

314-مقيبس نشير: مدينة وهران، دراسة في جغرافية العمران، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.

315-المنوني محمد: العلوم والآداب والفنون في عهد الموحدين، دار المغرب، الرباط، ط2، 1977.

316--------: ورقات عن حضارة المرينيين، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2000.

317-مهران بيومي: المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1990.

319-مؤلف جماعي تحت إشراف لبيب علي: قاموس الجغرافيا، دار شمال جنوب تونس، 2002.

320-مؤنس حسين: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1986.

321--------: تاريخ المسلمين في البحر المتوسط، الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1993.

322--------: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي من القرن 6 إلى القرن 17 ميلاديين، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996.

323-الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.

324-النخيلي درويش: السفن الإسلامية على حروف المعجم، دار المعارف، الإسكندرية، ط2، 1979.

325-النشار محمد محمود: تاريخ اسبانيا والبرتغال في العصور الوسطى، عين للدراسات والبحوث، الإنسانية والاجتماعية، ط1، 2007.

326-نشاط مصطفى: جنوة وبلاد المغرب من609-759هـ/1212-1358م، مطبعة الرباط نت، .2014

327-النيفر محمد الشاذلي: الأسطول في اللغة والأدب والتاريخ، جمع وتحقيق الطاهر بن محمد الشاذلي النيفر وأمال بن حمزة، بيت الحكمة، تونس، 2008.

ب) الكتب المترجمة:

328-أرشيبالد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، ترجمة أحمد محمد عيسى، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت.

329-أشباخ يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996.

330-أماري ميخائيل: المكتبة العربية الصقلية، نصوص في التاريخ والبلدان والتراجم والمراجع، جمع وتحقيق المستشرق أماري مخائيل، ليبسك1857 ، نشر دار صادر بيروت.

331-أندري جوليان شارل: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من الفتح الإسلامي إلى 1830، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985.

332-برونشفيك روبار: تاريخ إفريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15، ترجمة حمادي الساحلي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1988.

333-بوجو غرانييه جاكلين: المدينة والمنطقة، الإنسان والمدينة في العالم المعاصر، تعريب كمال خوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، 1977.

334-بونو سلفاتوري: العلاقات التجارية بين بلدان المغرب وإيطاليا في العصر الوسيط، ترجمة عمر الباروني، مجلة البحوث التاريخية، مصر، العدد الثاني، 1986.

335-تورس بالباس ليوبولد: المدن الإسبانية الإسلامية، ترجمة إليو دورو دي لابنيا، الرياض، منشورات مركز الملك للبحوث والدراسات الإسلامية، 2003.

336-ديورانت ولت: قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران ، دار الجبل، بيروت، 1988، مج4، ج2.

337-روجي إدريس الهادي: الدولة الصنهاجية، تاريخ إفريقية في عهد بني زيري، من القرن10 إلى القرن12م، ترجمة حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1992.

338-سرهنك إسماعيل: حقائق الأخبار عن دول البحار، صححه وفهرسه إسماعيل رأفت، المطبعة الأميرية، بولاق، مصر، 1914.

339-فاليرين دومنيك: بجاية ميناء مغاربي، 1067-1510م، ترجمة علاوة عمارة، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2014.

340-فرناند بروديل :لبحر المتوسط المجال والتاريخ، ترجمة عمر بن سا لم، منشورات وزارة الثقافة تونس، 1990.

341-فيرو شارل: تاريخ جيجل، ترجمة عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية، 2010.

342-كراتشكوفسكي: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، نقله إلى العربية صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية، جامعة الدول العربية، 1957، ج1.

343-كونيستل أوليفيا: التجارة في الأندلس، تعريب فيصل عبد الله، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 2002.

344-متز آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري، أو عصر النهضة في الإسلام، تعريب محمد عبد الهادي أبو ريدة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط3، 1957، ج2.

345-مولف جورج: الجزائر وأوروبا، ترجمة أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

346-اليماني خوسي: الكتائب المسيحية في خدمة الملوك المغاربة، ترجمة أحمد مدينة، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد 5، السنة 19، ماي1978.

ج) المراجع الاجنبية:

347-Abd rrahmane Khalifa; Honaine ancien port du royaume de Tlemcen, Dalimen édition, Alger 2008.

348-Ashtor. E; nouvelles réflexions sur la thèse de Pirenne, Apropos d'une rémpression de Mahomet et Charlemagne, dans Studies on the Levantine Trade in the Middle Ages.

349-Alarcon y Santon (Maximilano.A), y Garcia de linares (Ramon), éd, Los Documentos Arabes Diplomaticos del Archive de la Corona de Aragon, Madrid, 1940.

350-Ali Moh fahmy ; Muslim sca power the eastern Mediterranean, Cairo, 1966.

351-Allaoua Amara; pouvoir économique et société dans le Maghreb Hammadite 395-547/1004-1152, These de doctorat université de paris, 2002.

352-Amari .D ;storia di Musulmani di Sicilia, 3t, 1872.

353-Andreas Gimenez Soler ; LA edad Media en Lacorona De Aragon Barcelona , 1909.

354-Ange.R. Bel; Les Guifs de Mostaganem, dans la collection-histoire et perspectives méditerranéennes-paris, ed l'harmattan, 1999.
355-Arié R ; lespagne musulmane au temps des nasrides(1232-1492), paris, 1973.
356-Atoui Brahim; toponymie et espace en Algériè, institut national de catagraphie, Alger, 2005.
357-Baradey. J; Nouvelles fouilles à Tipasa survivances du culte de Baal et de Tanit au 1er siecle après J.C, Libyca ,1957.
358-Belhamissi M; Histoire de Mostaganem, des orogines à l'occupation Française, S.N.E.D. Alger, 1976.
359-Berbrugger.A ; les Epoques militaires de la grande Kabilie, Bastide, Alger, 1857.
360-Bernard. A; les capitals de la Berbérie, Alger, 1905.
361-Berque .Albert ; Art Antique et art Musulman en Algérie, Publication de comite National Métropolitaine du centenaire de l'Algérie, Sans Date.
362-Berthelot. A; LAfrique Saharienne et Soudanaise, ce qu en ont connu les Anciens, Paris, 1927.
363-BillIard .L, Vergnieaud. F, et Balensi .É ; Les Ports et la navigation de l'Algérie, Librairie Larose, Paris, 1930.
364-Blancard .L ; Documents le Commerce au moyen Age, press-marseille, 1884-1885 .
365-bonos relazioni; commerciali fra I paesi del maghrebe l'italia net medio evo, in quaderni de l'istituto italiano di Tripoli, n°4, 1967.
366-Bouchenaki. M; A propos du port antique de Tipasa, Revue d'Hist, Et Civilizations du Maghreb, Faculté, R.H.C.M, Alger, 1970.
367-Boulifa.S ;le Djurdjura à travers l'histoire, Paris, 1925.
368-Boyac; Histoire de Bone, Paris, 1892.
369-Braudel Fernand ; La méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe 02, ed5, V01 Colin, Paris, 1966.
370-Bresc, H ; Le royaume normand d'Afrique et l'archevêché de Mahdiyya ، Le partage du monde, échanges et colonisation dans la Méditerranée médiévale (s/d M. Balard et A. Ducellier), Paris, Publication de la Sorbonne, 1998.
371-Cagnat .R ; L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, Paris, 1909.
372-CAT .E; Essai sur la province romaine de la Maurétanie Césarienne, Ernest Leroux, Paris, 1891.
373-Charles Tissot ; Hippo a Phaenicibus Ubbo dici potuit, quia in sinu latet, et arabice Ubbon tam stagnum quam sinum vocat.Bochart, Chanaan, lib, 1, cap. XXIV.
374-Christides.V, Soucek .S, et Oman .G, Milaha, Encyclopédie de l'Islam, t. VII.
375-Christophe Picard; L'Océan Atlantique musulman De la conquête arabe à l'époque almohade, Maisonneuve et Larousse, éd. UNESCO,1997.
376--------------------; La Mer et les Musulmans d' Occident au Moyne Age (VIIIe – XIIIe siècle), Paris, P.u.f , 1997.

397-Gilbert Grand Guillaume : Nedroma, l'évolution d'une Médina, Leiden,Brill, 1976.
398-Golvin Lucien; Le Maghreb Central à l'époque des Zirides , Recherches d'archéologie et d'histoire, Arts et Métiers Graphique, Paris, 1957.
399-Gras M, Rouillard.P, et Teixidor. J; L'univers phénicien, Hachette , 1ère éd., Arthaud, Paris.
400-Gsell Ct; Histoire ancienne de l'Afrique du Nord éd Hachette, Paris 1913-1928.
401-------------- ; Atlas archéologique de l'Algérie, T2, 2eme, Alger, 1997 .
402-Gsell.Ct; Tipasa ville de la mauritanie césarienne in M.E.F.R. ,1894 .
403-Hassan S Khalilieh; the RIBAT System and Its Role in Coastal Navigation 42-2, 1999.
404-Heers, j; Genes et L'Afrique du nord vers 1450, les voyages per costeriam ln'Anuariode studios médiévales, N⁰21, 1991, Barcelona
405-Henri Amourie et al ; le commerce de la céramique en Provence et Languedoc du Xe au XIXe siècle : Vingt mille pots sous les mers, Aix –En-Provence, 1999.
406-Henri Pirenne; Mahomet et Charlemagne, nouvelles société d édition, Paris,1937,
407-Hervé Coutau Bégarie ; L'émergence d'une pens naval en Europe au XVI siècle et au début du XVII siècle, le mer, Paris , 2000.
408-Jacob .M ;L'Algérie pittoresque ou histoire de la régence d'Alger, Toulouse, 1845.
409-Jehel G; La mer dans les relations entre Génes et le Maghreb, mesogieos, 7, 2000.
410-Jema .D; les tanneurs de Marrakechech, SNED,Alger, 1971.
411-Judas .A; Etude sur dix neuf inscriptions numidico Puniques Mémoires de la société des antiquaires de France XXIV, Paris, 1859.
412-Klein. H; Feuillet's D'El Djazair, Alger, 1937.
413-Laporte Jean Pierre; Siga et l'île de Rachgoun, dans L'Africa Romana, Rome ,2006.
414-Laura Belletto : Bougie nei manuali toscani di mercatura del due-trecento , dans Italia e Algeria Aspetti storici di un' amicizia mediterranea, Milan, Marzorati editore Milano, 1982.
415-Lavoix Henri ; Catalogoue Des Monnaies Musulmanes de la Bibiotheque nationale de Paris , 1891.
416-Le Glay. M; A la recherche d'Icosium, Ant.Afr, 2,1868.
417-Leplley Claude; Les Cités de l'Afrique Romaine au Bas Empire, Tome II, Notices d'histoire municipale, Etudes Augustiniennes, Paris, 1981.
418-Lethielleux ; Les sites romains de L'Oranie, Manuscrit, 1982.
419-Leveau .Philippe; Caesarea de Maurétanie : une ville romaine et ses campagnes, Ecole Française de Rome, Paris, 1984.
420-Lieussou. A; Les Ports de L'Algérie, Imprimerie administrative de Paul Dupont, 2em Edition, Paris, 1857.

421-Lombard.M; Mohamet et Charlemagne, le problem économique, dans Espaces et réseaux du haut moyen age, paris, La Haye, Mouton, 1972.
422- Marçais .G; ARZAW, Encyclopédie de l'Islam, T2.
423---------------; L'Architecture musulmane d'Occident, Arts et Métiers graphique, Paris, 1995.
425-Marçais G ; Mélanges D'Histoire Et D'archéologie De L'occident Musulman, T1, imprimerie officielle du gouvernement général de l'Algérie, trollier, Alger, 1957,
426--------------; Villes de la côte Algérienne et la piraterie au moyen âge, Alger : "La Typo-litho et J. Carbonel , 1955.
427-Mensage ; le Christianisme en Afrique, Eglise, Mozarabes, Esclaves chrétiens, Alger, 1915.
428-Michele Amari; I diplomi arabi del R. archivio fiorentino testo originale con la traduzione letterale e illustrazion, Published 1863 by Le Monnier in Firenze ,Written in Multiple languages .
429-Morel J.P.; Recherches stratigraphiques à Hippone, B.A.A, Alger, 1968.
430-Paul. Louis Cambuzat; L évolution des cites du telle en efrikia du 7e au siècle office des publication universitaires, Alger, 1986.
431-Pellissier; Memoires Historiques et Géographiques sur L'Algérie
432-Pline L'ancien ; Histoire Naturel, lib, III, 19 et V, 20.
433-Priou N ; Oran et l'Algérie en 1887, notice historique, Scientifique et économique, T2, Oran, 1888.
434-René Jacques; Tlemcen et sa région, ENAG rghaia, Alger, 2011
435-Richard Ayoun Bernard Cohen ;Les juifs d`Algerie 2000 ans `histoire,Paris,1982.
436-Rozet et Carette .E ; L'Algérie, éd, Firmin Didot Frères, Paris
437-Salluste ; La Guerre de Jugurtha, Belles Lettres, 2002.
438-Shaw M. D ; Voyage dans plusieurs provinces de la Berbérie et du Levant, La Haye, 1843.
439-Soucek .S; Mina, Encyclopédie de l'Islam Tunisie.
440-Stouff.L ; Les Juifs d'Arles et leurs relations avec les Communautés de la Méditerranée Occidentale au bas moyen Age, marseille, 1982,
441-Strabon ; Géographie, 4vol, Trad, A. Tardieu éd, Hachette, Paris, 1867.
442-Tissot Charles Joseph; Géographie comparée de la province romaine d'Aftique ,1884.
443-Tite Live, XXX, 12 ; A.Berthier, La Numidie rome et le Maghreb
Vars Charles; Rusicade et Stora, au philippevill dans, l'Antiquité, Constantine, 1896.
444-Vasse .Henri; Bougie et sa région, Bulletin Économique et Juridique, L'office Algérien d'Action Economique et Touristique, Février -Mars 1961.
Venture De Paradis.j-m ;Tunis et Alger au XVII siècle, Sindbad, Paris, 1983.
445-Vesbecq.M.A ,Dellys ;.petite monographie locale, L.Caix fils et-cle, Alger, 1926,
446-Vonderheyden; La peche sur les cotes barbaresque au M.age.

447-Vuillemot .G; Reconnaissance aux échelles puniques d' Oranie, Autin, 1965.
448-----------------; Siga et son port fluvial, Ant.Afr, 1971.
449-Yver. G, et Sari .Dj ; Sharshal, Encyclopédie de l'Islam, t. IX,

د) رسائل جامعية:

450-باشر سعيد: المدن المغربية خلال العهدين المرابطي والموحدي، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ الوسيط، جامعة ابن مسيك الدار البيضاء، المغرب، السنة الجامعية 1997-1998.

451-باقة رشيد:نشاط جنوة الصليبي والتجاري في سواحل بلاد المغرب من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2007-2008.

452-بلغيث محمد الأمين: الربط بالمغرب الإسلامي ودورها في عصري المرابطين والموحدين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الجزائر، 1986-1987.

453-بن مصطفى إدريس: العلاقات السياسية والاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الالبيرية في عهد الدولة الزيانية، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2006-2007.

453-بوتشيش أمينة: بجاية دراسة تاريخية وحضارية بين القرنين السادس والسابع الهجريين، رسالة ماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008.

454-بوقطفة أحمد: الموانئ والمراسي بإفريقية من الفتح إلى انتقال الفاطميين إلى مصر، شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 1998.

455-تومي رشيد: العلاقات الخارجية لدولة النورمان في جنوب إيطاليا وصقلية، مابين 1017 و 1154م، رسالة ماجستير في تاريخ العصور الوسطى، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1987-1988.

456-جبار عبد الناصر: بنو حفص والقوى الصليبية في غرب البحر المتوسط خلال القرنين 8-9هـ/14-15م رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، 1990.

457-حداد سهام: سلسلة موانئ الشرق الجزائري القديمة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009.

458-حسن شحاتة شوقي محمد يوسف: الدور المغربي للبحرية المغربية في عهد دولتي المرابطين والموحدين(448-668هـ/1056-1269م) رسالة ماجستير، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 1996.

459-حنفي محمد أحمد عبد اللطيف: الدور السياسي والحضاري للمغاربة والأندلسيين في مصر في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة طنطا، 1992.

460-خالدي جواد: مشروع مخطط وقائي لأبراج المراقبة بساحل تلمسان، مذكرة ماجستير، تخصص علم الآثار الوقائي، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2014-2015.

461-خليفي رفيق: البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن 3هـ إلى نهاية القرن 9 هـ مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2008/1429.

462-دريسي سليم: العمارة الدفاعية والسياسية العسكرية البيزنطية بشمال إفريقيا، رسالة دكتوراه، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2009-2010

463-سالم العمايرة محمد عبد الله: الجيش الفاطمي(297-567هـ/909-1171م)، رسالة دكتوراه في التاريخ، الجامعة الاردنية، 1999.

464-سرتي خالد: المسلمون والبحر مساهمة في دراسة السياسات والتنظيمات البحرية في حوض البحر الأبيض المتوسط، خلال العصور الوسطى، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بنمسيك، الدار البيضاء، المغرب، 2011-2012.

465-سعيود إبراهيم: الأسرى المغاربة في إيطاليا خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، 2009-2010.

466-شاكر إبراهيم وميض محمد: أبو عبيد البكري ومنهجه التاريخي في كتاب المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، 2003.

467-أبو شامة عاشور: علاقة الدولة الحفصية مع بلاد المغرب والأندلس، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، 1991.

468-الشبلي عبد الكريم: ديوان الجند بإفريقية إلى العهد الزيري، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2003.

469-شوشان الأسعد: الموانئ والمراسي بالمغرب الأوسط خلال الفترة الوسيطة، شهادة ماجستير، جامعة تونس، السنة الجامعية 2009-2010.

470-صالح الهناندة عدلي محمد علي: أوضاع الأسطول الإسلامي في المغرب خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة، صادرة عن جامعة اليرموك، 1998.

471-صالح حمادة: دراسة في جغرافية المدن حول مدينة سكيكدة، رسالة ماجستير، جامعة عين شمس، مصر، 1979.

472-طهير أحمد: التعابير الشفهية الخاصة بالبحارة الصيادين، ماجستير ثقافة شعبية، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2001.

473-الطويل محمد: النقل والتنقل في المغرب خلال العصر الوسيط، رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، أكدال الرباط، 1996-1997.

474-عبد الحميد نوح فوزية محمد: البحرية الإسلامية في بلاد المغرب في عهد الاغالبة(184-296هـ/800-908م) رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1984-1985.

475-عبد الخالق مصطفى: علاقة القوى الصليبية في غرب البحر المتوسط بالمغرب الإسلامي، في القرنين السادس والسابع الهجري، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة القاهرة، 1987.

476-عبد الرحمن حفيظة أفراح نازك: الحميري محمد بن عبد المنعم وكتابه الروض المعطار في خبر الأقطار، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة النجاح الوطنية، نابلس فلسطين، 2013.

477-عبد الرزاق شقدان بسام كامل: تلمسان في العهد الزياني(633هـ -962هـ/1235-1555م) رسالة ماجستير جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002.

478-عبد العزيز منى سيد: الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة الحفصية، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الدراسات والبحوث الإفريقية، جامعة القاهرة، 1986.

479-عبد الله جبوده مريم محمد: التجارة في بلاد إفريقية وطرابلس الغرب خلال العهدين الموحدي والحفصي، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة الزقازيق، مصر، 2008.

480-عبدلي الأخضر: مملكة تلمسان في عهد بني زيان، رسالة لنيل شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1986-1987.

481-عناوي محمد: النشاط البحري في الأندلس، عصر الإمارة الإسلامية، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، 1986-1987.

482-قدوري الطاهر: النشاط البحري في العصرين المرابطي والموحدي، بحث لنيل الدكتوراه في التاريخ، جامعة محمد الأول، كلية الآداب وجدة، 2002-2003.

483-المبروك عمار عياد: البحرية في عهد الموحدين، رسالة ماجستير، جامعة الفاتح، كلية التربية، الجماهيرية الليبية، 1991.

484-محفوظ بوطبة: دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة شرشال، مذكرة ماجستير آثار، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2007-2008.

485-محمد غومة سالم أبو القاسم: تطور المؤسسة العسكرية في دولتي المرابطين والموحدين في الفترة من451-668هـ/1059-1269م، رسالة ماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الفتح، الجمهورية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية العظمى، 2003-2004.

486-المرابط رياض: الرباط ومجتمع المرابطين، بحث لنيل شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس.

487-نميش سميرة: دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني، من القرنين7-13/10-16م، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014.

488-هيصام موسى: الجيش في العهد الحمادي(405-547هـ/1014-1152م) رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، 2000-2001.

489-واعظ نورة: أثر ثورة بني غانية على دولة الموحدين، رسالة ماجستير، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2007-2008.

ل) مقالات وندوات عربية:

490-أباضة فاروق عثمان: العلاقات الاقتصادية بين الإسكندرية والبندقية، ضمن مؤتمر الإسكندرية الدولي الأول حول التبادل الحضاري بين شعوب حوض البحر المتوسط عبر التاريخ، 15-19 يناير1994.

491-إبراهيم بوطالب: بعض مظاهر التجارة الخارجية بالمغرب قبل 1956، وأسسها الشرعية، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب، 1992، الدار البيضاء، ج1.

492-البركة محمد: المجال وإستراتيجية المشروع المرابطي، تلمسان ونهاية الدولة، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد2، 2001.

493-بشاري لطيفة: النقل البحري في إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يومي7-8ديسمبر2009.

494-----------: تلمسان من نشأتها إلى قيام دولة بني عبد الواد، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، العدد 6، 1992.

495----------:العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين/13-16م، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ط1، 2011.

496-بعرة مريم رزاق: أهمية حوض المتوسط في العلاقات المتوسطية وانبعاث النشاط البحري الجزائري في العصر الحديث، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة حمة لخضر الوادي، الجزائر، العدد3، نوفمبر 2015.

497-بلحميسي مولاي: دور بجاية في البحر الأبيض المتوسط في عهد الحماديين والحفصيين، محاضرات ومناقشات الملتقى الثامن للفكر الإسلامي، بجاية، ج2، من 1-12ربيع الاول1384م/25مارس إلى 15أفريل1974، بجاية، وزارة الشؤون الدينية،

498-بلعربي خالد: الأسواق في المغرب الأوسط، خلال العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد السادس، ديسمبر 2009.

499-البلغيثي إدريس العلوي: رحلة أبي المطرف ابن عميرة البحرية إلى حضرة بجاية، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب، العدد286، أكتوبر –نوفمبر1991.

500-بلكامل البضاوية: أصناف الموانئ وأدوارها بالمغرب القديم من خلال المصادر الأدبية والأثرية، ضمن أعمال ملتقى المدن المراسي في تاريخ المغرب، أيام27-29 أكتوبر2010، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطابع الرباط نت، ط1، 2013.

501-بلمداني نوال: الثروات البحرية وطرق صيدها بالغرب الإسلامي من خلال الكتابات الوسيطية، مجلة عصور الجديدة، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة أحمد بن بلة وهران، العدد المزدوج19-20، أكتوبر 2015.

502-----------: الثروة السمكية بالغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، مجلة المواقف للدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، جامعة معسكر، الجزائر، العدد10، ديسمبر 2015.

503-بن ميلاد لطفي: تطور موانئ الجزائر أواخر العصر الوسيط من منظور الرحالة والجغرافيين المسلمين، القرن6-9هـ/12-15م، ضمن أعمال الملتقى الدولي الجزائر في الكتابات المتوسطية، يومي7و8جوان2010، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، قسنطينة، يناير، 2011.

504-بوباية عبد القادر: علاقات الرستميين بالإمارة الأموية في الأندلس، مجلة التراث العربي، العدد99-100.

505-بوتشيش إبراهيم القادري: الجاليات المسيحية بالمغرب أيام الموحدين، مجلة الاجتهاد، العدد 28، السنة السابعة، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة، بيروت، 1995.

506-بورويبة رشيد: عنابة من الفتح الإسلامي إلى أواخر العهد الموحدي، مجلة الأصالة، العدد34-35، 1976.

507-بوعبد الله بلجوزي: ميناء مستغانم ودوره في تطور المدينة خلال الفترة الإسلامية، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط جامعة الجزائر 2، يومي7-8 ديسمبر2009.

508-البوعبدلي المهدي: لمحات من تاريخ بونة الثقافي والسياسي، محاضرات ومناقشات الملتقى العاشر للفكر الإسلامي، عنابة، 10-19 يونيو 1976.

509-بوعزيز يحي: عنابة عبر التاريخ، مجلة الأصالة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد34-35، يونيو، 1976.

510-بوقطفة أحمد: الموانئ والمراسي بإفريقية من الفتح إلى انتقال الفاطميين إلى مصر، بحث لنيل شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 1998.

511-بولقطب الحسين: المغرب والبحر خلال العصر الوسيط، مجلة فكر ونقد، مجلة ثقافية وفكرية، العدد 44.

512-التازي عبد الهادي: الحضور العربي في جزيرة سردينية، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد 33، 1992.

513-التدمري عمر عبد السلام: الرباط والمرابطون في ساحل الشام من الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، 1981.

514-------------: رحلة عبد الباسط بن خليل بن شاهين إلى تونس وتراجم تونسية في مخطوطين له، ضمن أعمال ملتقى الكتابة التاريخية في العصر الوسيط، من الخير والرواية إلى النص والوثيقة، تونس، أيام 28-30أفريل2010، راجع النصوص وأعدها راضي دغفوس وخالد كشير، منشورات مخبر العالم العربي الإسلامي الوسيط، تونس.

515-التدمري عمر عبد السلام: مشاهدات وأخبار عبد الباسط الظاهري في بلاد المغرب والأندلس من خلال كتابه المخطوط"الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم"، مجلة التاريخ العربي، جمعية المؤرخين المغاربة، العدد 17، شتاء 2001.

516-التليلي عبد الرحمن: وصف المدن المغربية من كتاب صورة الأرض لابن حوقل، مجلة الكراسات التونسية، العدد137-138، 1986.

517-التوفيق أحمد: حول الطوبونيميا والتاريخ في المغرب الشرقي، ضمن ندوة المغرب الشرقي بين الماضي والحاضر، الوسط الطبيعي التاريخ الثقافة، أيام 13-15 مارس 1986، بوجدة، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة.

518-توفيق الطيبي أمين: المصطلحات البحرية والمعلومات الملاحية في رحلة ابن جبير، مجلة البحوث التاريخية، ليبيا، السنة4، ع2، يوليو1982.

519-تومي رشيد: الحوض الغربي للبحر المتوسط في عهد روجر الثاني1101-1154م بين أطماع النورمان وضعف القوى الإسلامية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر 2، العدد14، 2012.

520-جدلة إبراهيم: إفريقية والغزو البحري في العصر الوسيط من القرن4هـ/10م الى القرن10هـ/16م، مجلة البحث العلمي جامعة محمد الخامس الرباط، عدد خاص بصفحات من الجهاد البحري المغربي، العدد45، السنة31، 1998.

521-الجنحاني الحبيب: تاهرت عاصمة الدولة الرستمية، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، العدد40-43، تونس، 1975.

522-حاج يخلف عبد القادر: العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، مجلة عصور الجديدة، عدد خاص بعاصمة الثقافة الإسلامية، العدد2، جامعة وهران، 2011.

523-حدادي أحمد: رحلة ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد بن عمر، دراسة وتحليل، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 2003، ج1.

524-حسن محمد: المرسى الكبير بوهران ودوره في الملاحة المتوسطية من النشأة إلى الاحتلال الاسباني(904-1509)، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور، سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يوم7-8 ديسمبر2009.

525-حمزاوي فضيلة و ساري صالح خالد: أهمية برج تامنفوست في تحصينات مدينة الجزائر إبان الحكم العثماني، مجلة أدوماتو، الرياض، المملكة العربية السعودية، العدد16، يوليو2007.

526-ابن حمو محمد: التحصينات العسكرية لمدينة هنين، ضمن أعمال الملتقى الدولي النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني، يومي26 و 27 نوفمبر 2014، مجلة دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 2، العدد05، ج2، عدد خاص.

527-حناوي محمد:جوانب من العلاقات الاقتصادية والبشرية في الحوض الغربي للبحر المتوسط قبيل القرن العاشر للميلاد، ضمن أعمال ندوة الغرب الإسلامي والغرب المسيحي، خلال القرون الوسطى، الهلال العربية للطباعة والنشر، الرباط، المغرب، 1995.

528-خالدوف أنس: علم النبات في كتاب عجائب المخلوقات لزكريا القزويني، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، العدد37-38، السنة العاشرة، أكتوبر 1990.

529-خليفي رفيق: الأندلسيون وتنشيط حركية الواجهة البحرية للمغرب الأوسط، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور، سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يومي7-8ديسمبر2009.

530-دادة محمد: تلمسان في دوامة الصراع الثلاثي بين الإسبان والعثمانيين والمغاربة في القرن16م، مجلة عصور الجديدة، العدد2، 2011.

531-الدباغ محمد نزار: إقليم الجزيرة والموصل من خلال كتاب تقويم البلدان لأبي الفدا، دراسة نصية، مجلة إضاءات موصلية، العدد 51، شوال 1422هـ/2011م.

532-ذنون طه عبد الواحد: دراسة في موارد أبي عبيد البكري عن تاريخ افريقية والمغرب، مجلة دراسات أندلسية، تونس، العدد3، 1989.

533-ذي النون طه عبد الواحد: الأندلس من خلال كتاب صورة الأرض لابن حوقل، مجلة المؤرخ العربي، العدد3، سنة1983.

534-زردومي إسماعيل: تقنيات السرد في رحلة فيض العباب لابن الحاج النميري، مجلة البحوث والدراسات، المركز الجامعي، الوادي، العدد2، جوان2005.

535-زرهوني الطاهر :ندرومة بين الماضي والحاضر، مجلة الثقافة، العدد99، الجزائر، 1987.

536-زمامة عبد القادر: الرحالتان السبتيان، ابن رُشيد والتجيبي، مجلة المناهل، وزارة الشؤون الثقافية، الرباط، المغرب العدد22، السنة التاسعة، يناير1982.

537-السعداوي إبراهيم محمد: مرسى صفاقس وحركة الجهاد البحري حتى مطلع القرن التاسع عشر، ضمن أعمال ملتقى المدن المراسي في تاريخ المغرب، أيام27-29 أكتوبر2010، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، ط1، 2013.

538-سعيد إبراهيم أحمد: إسهامات المقدسي في الجغرافية والدراسات الإقليمية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، العدد الزدوج117-118، جانفي2012.

539-سعيدوني الناصر: المسالك والدروب في الهضاب العليا القسنطينية ودورها الحضاري أثناء الفترة الإسلامي، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية" دراسات عن المسكن والمدفن في الوطن العربي، تونس، 1987.

540-سعيدوني ناصر الدين: حصن المرسى الكبير، من رباط إسلامي إلى حصن اسباني إلى محطة عثمانية، المجلة التاريخية المغاربية، منشورات التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، نوفمبر1997، ج1.

541-الشابي محمد: مقدمة لدراسة نقود إفريقية العربية، مجلة إفريقية، العدد1، تونس، 1966،

542-شارن شافية: عنابة الميناء والمدينة"هيبون"، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، بين 7-8 ديسمبر2009.

543-شاكر أسود فلاح: منهج البحث الجغرافي عند المقدسي، مجلة المورد، السنه1، 1407/1987.

544-الشبعان أحمد بن محمد: منهج الإدريسي في كتابة "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق"، مجلة التاريخ العربي، العدد45، صيف 2008.

545-شرشار عبد القادر: كتاب الرحلة إلى المغرب والمشرق لأبي العباس المقري، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، العدد98، السنة 25، حزيران"جوان" 2005.

546-شفيق محمد: الألفاظ العربية التي دخلت إلى اللغة الفرنسية، مجلة الأكاديمية، العدد17، سنة 2000.

547-شنيتي محمد البشير: هيبون القديمة، مجلة الأصالة، العدد34-35، 1976.

548-الشيخلي صباح إبراهيم: النشاط التجاري في بلاد المغرب خلال القرن 4هـ دراسة من خلال كتاب، صورة الأرض، لابن حوقل، مجلة التاريخ العربي، العدد6، ربيع 1998.

549-صالح الديلمي ياسين أحمد: دور البحرية العربية الإسلامية في فتح الأندلس، مجلة العلوم الإسلامية، جامعة تكريت، العراق، العدد6، 1431.

550-الصباغ ليلى:عنابة بين اسمها وموقعها وعلاقاتها مع العالم المتوسطي، مجلة الأصالة، العدد34-35، 1976.

551-صندوق ستي: تلمسان وأحوازها في العصور القديمة، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد 2، 2001.

552-عامر محمد محمد: الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، لعبد الباسط بن خليل، دراسة وتحقيق، مجلة كلية دار العلوم، القاهرة، العدد7، 1977-1978.

553-عباده عبد الفتاح: سفن الأسطول الإسلامي، القاهرة، 1914، ص10؛ و أحمد الشاذلي: الأسطول في اللغة والأدب والتاريخ، مجلة الثريا، العدد 3، سنة 1945.

554-عبد العزيز بن عبد الله: البحرية المغربية والقرصنة، مجلة تطوان، الرباط، 1958-1959.

555-عبد النبي نجلاء محمد: القرصنة اللآتينية في شرق حوض البحر المتوسط على عصر سلاطين المماليك، مجلة المؤرخ العربي، القاهرة، مارس، 2001.

556-العربي إسماعيل: العمران والنشاط الاقتصادي في الجزائر، مجلة الأصالة، العدد19، 1974.

557-عرعار مراد: مقاربة حول طريق القلاع للعبدري، ضمن أعمال ندوة دولية شبكة الطرقات والمسالك ببلاد المغرب القديم والوسيط، سو60سة، من 6-8-أفريل2015، نشر مخبر البحث"اشتغال الأرض، التعمير وأنماط العيش في بلاد المغرب في العصور القديمة والوسيطة"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة.

558-عمارة علاوة و زينب موساوي: مدينة الجزائر في العصر الوسيط، مجلة إنسانيات، عدد مزدوج 44-45، سبتمبر 2009.

559----------: إشكالية الهوية المغاربية من خلال جغرافية الحسن الوزان، سلسلة دراسات وأبحاث تاريخية تحت عنوان المغرب في عهد الوطاسيين من خلال وصف إفريقيا للحسن الوزان، مجلة المعرفة التاريخية، المغرب، العدد1، 2011.

560----------:المغرب في عهد الوطاسيين، من خلال وصف إفريقيا للحسن الوزان، منشورات جمعية الحسن الوزان للمعرفة التاريخية، سلسلة دراسات وأبحاث تاريخية1، 2011.

561---------:الموانئ الجزائرية من خلال مشروع أطلس موانئ ومسالك العالم الإسلامي الوسيط، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 07-08 ديسمبر 2009.

562---------: النشاط التجاري للساحل الشرقي للجزائر(ق3-6 هـ/ 8-12م)، مجلة المعالم، جمعية التاريخ والمعالم الأثرية، قالمة، العدد 9، ديسمبر 2008.

563---------:التطور العمراني والتجاري لمدينة بجاية في العصر الوسيط، مجلة المجلة للدراسات الإسلامية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد26، سبتمبر2008.

564-ابن عميرة محمد: الصيد البحري بالسواحل المغربية في العصر الوسيط، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يومي7-8 ديسمبر2009.

565-عميروش نعيمة: الفنادق ودورها التجاري في المغرب الأوسط، ضمن أعمال ملتقى الموانئ الجزائرية عبر العصور سلما وحربا، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2، يومي 7-8ديسمبر2009.

566-عناوي محمد: المدن الساحلية في منطقة المغرب العربي الوسيط إلى حدود القرن الرابع الهجري، ضمن أشغال ندوة المدينة في تاريخ المغرب العربي أيام 24-26نوفمبر1988، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية2 ابن مسيك، الدار البيضاء، المغرب.

567-غطيس مصطفى: المغاربة والبحر خلال العصور القديمة، ضمن أعمال ندوة المغرب والأندلس دراسات وترجمات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ط1، 2010.

568----------:أسماء السفن في بعض المصادر العربية، مجلة دراسات تاريخية، مركز البصيرة للبحوث، القبة الجزائر، العدد03، أوت2014.

569-الفاسي محمد: ابن رشيد الفهري ورحلته إلى المشرق، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، مج5، ج1، ماي 1989.

570--------: كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، مجلة دعوة الحق، العدد 13، 1985، وزارة عموم الأوقاف، الرباط المغرب.

571-فون مالتسان هايزيس: بجاية، ترجمة أبو العيد دودو، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، العدد19، مارس، 1974.

572-قدوري الطاهر: الدولة الموحدية وتهيئة المراسي ودور الصناعة، ضمن أعمال ملتقى المدن والمراسي في تاريخ المغرب، أيام 27-29 أكتوبر 2010، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، مطابع الرباط، ط1، 2013.

573-لمراني محمد:الإطار العام للعلاقات المغربية مع جمهوريات المدن الايطالية، ندوة البحر في تاريخ المغرب، من24-26أكتوبر 1996، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالمحمدية، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، المغرب، 1996.

574-مبارك زكي:الجهاد البحري في الغرب الاسلامي، المفهوم الاسلامي والمفهوم الغربي، المسيحي، مجلة البحث العلمي جامعة محمد الخامس الرباط، عدد خاص بصفحات من الجهاد البحري المغربي، العدد45، السنة 31، 1998.

575-مبخوت بودواية: الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الزياني، دورية القرطاس، معهد الدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان العدد التجريبي، ديسمبر 2008.

576-مجدوب محمد: البحر في المغرب القديم، ضمن أعمال ملتقى البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب، المحمدية، 2007.

577-محمد البركة: المجال وإستراتيجية المشروع المرابطي، تلمسان ونهاية الدولة، مجلة عصور الجديدة، جامعة وهران، العدد2، 2001.

578-محمد لعرج عبد العزيز: مدينة هنين، تاريخها وآثارها، الملتقى الدولي الخامس حول التراث العلمي والثقافي لمدينة ندرومة ونواحيها، جمع وتقديم الجمعية الموحدية، دار السبيل للنشر والتوزيع، الجزائر.

579-مراحة خالد: الملاحة البحرية في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، دراسة في كتاب أكرية السفن لمؤلفه 580-أبو القاسم القروي، مجلة آفاق الثقافة والتراث، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد89، مارس2015.

581-مزرعي سمير: الطرق التجارية في المغرب الأوسط ودورها في تنشيط الحركة التجارية، دورية كان التاريخية، مجلة الكترونية، العدد28، يونيو2015.

582-معزوز عبد الحق: العتاد العسكري للجيش الحمادي، ضمن أعمال ملتقى النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني يومي 26 و 27 نوفمبر2014، مجلة دراسات تراثية، العدد 05، 2014، مخبر التراث الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2.

583-مكيوي محمد: دور يغمراسن بن زيان في تأسيس الدولة الزيانية، دورية القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، العدد التجريبي، ديسمبر 2008.

590-مليكة حميدي: الرباطات البحرية ودورها في الدفاع عن سواحل المغرب الإسلامي، مابين القرنين1-4هـ/7-10م، ضمن أعمال الملتقى الدولي النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني، يومي26 و27 نوفمبر 2014، مجلة دراسات تراثية، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر 2، العدد05، ج2، عدد خاص.

591-منصوري خديجة: الرحلات عبر البحر الأبيض المتوسط في العصور القديمة، مجلة دراسات إنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، السنة الثانية – العدد الثاني،2002 .

592-المهناوي محمد: المغاربة والبحر، خلال القرن السادس عشر، ضمن ندوة البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المحمدية، 24-26 أكتوبر 1996.

593-مؤنس حسين: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1967.

594---------: فزان ودورها في انتشار الإسلام في أفريقيا، بحث منشور في مجلة كلية الآداب بالجامعة الليبية، العدد الثالث، بنغازي، 1969.

595-منصوري خديجة: جيجل في الفترة القديمة، حوليات المتحف الوطني للآثار، العدد 12، 2002.

596-ابن نعمان إسماعيل: التحصينات الدفاعية في مدن المغرب الأوسط، مدينة تنس نموذجا، ضمن أعمال ملتقى النظم العسكرية في بلاد المغرب منذ القديم إلى نهاية العصر العثماني يومي 26 و 27 نوفمبر2014، مجلة دراسات تراثية، العدد 05، 2014، مخبر التراث الحضاري للمغرب الأوسط، جامعة الجزائر2.

597----------: جوانب من الحياة الاقتصادية، لمدينة تنس الإسلامية، مجلة عصور، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، وهران، دار الأديب للنشر، الأعداد 12-13، 2008-2009.

598-نميش سميرة: أهل الذمة ونشاطهم الاقتصادي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني(7هـ-10 هـ/13-16م)، حروف للدراسات التاريخية، مجلة الكترونية، العدد 1، أوت 2014.

م) مقالات وندوات أجنبية:

599-Abderrahman. Khalifa ; L'Urbanisme des Traras au moyen-âge : Le cas de hunayn, Castrum 7, Zones côtière littorales dans le monde Méditerranéen au moyen-âge : Défense, Peuplement, Mise en valeur, édites par Jean Martin, Actes de colloque de Rome 23 – 26 Octobre 1996, C. E. F. R., Rome – Madrid, 2001.

600-Allaoua Amara ; L’Animation de la Maritime du Maghreb central, revue des lettres et sciences humaine, Ne6, Ramadhan 1426/Octobre 2005. Université Emir, A.E.K, constantine.

601-----------------; Bûna et la littoralisation du pays kutāma, Le rôle des villes littorales du Maghreb dans l’histoire, RM2E - Revue de la Méditerranée édition électronique, Tome III. 1, 2016.
602-Allaoua Amara ; La mer et les milieux mystiques d’après la production hagiographique du Maghreb occidental (xiie-xve siècle),R. REMMM 130, 2012.
603------------------ ; L’animation de la façade maritime du Maghreb central (VIII-XIIe siècle), Revue des Lettres et sciences humaines, 6, 2005.
604-Baizig, Salah; La ville maritime
et son arrière pays au Maghreb àl’époque médiévale , l’exemple de Bijāya , Le rô le des villes littorales du Maghreb dans l'histoire, RM2E –Revue de la Méditerranée édition électronique, Tome III. 1, 2016.
605-Beghdadi - Rebahi, Ymouna ; Le rôle de Cherchel dans la course en Méditerranée (début XVIe-milieu XVIIe siècle) , Le rôle desvilles littorales du Maghreb dans l’histoire, RM2E .
606-Berbrugger .A ; Archéologie des environs d'Icosium , Alger, Revue Africaine, n°5, 1861.
607----------------- ; Itinéraire d'Antonin, Revue Africaine, n° 2, 1857 - 58
608------------------; Antiquités du cercle de Ténès, Revue Africaine., n° 2, 1857 – 1858.
609------------------; Igilgili, Choba et Muslubio, Revue Africaine, n°11, 1867.
610-------------------; Rusugunia, Cap Matifou , Revue Africaine, n° 2, 1857 - 1858.
611-Bougherira, Quenza; Stratification morphologique et valeur historique de la ville de Dellys, Le rôle des villes littorales du Maghreb dans l’histoire, RM2E - Revue de la Méditerranée edition électronique, Tome III. 1, 2016.
612-Cazenave .J ; Les gouverneurs d'Oran pendant l'occupation espagnole de cette ville (1509 - 1592) , Revue Africaine, n° 71, 1930.
613-Charpentier, Agnès; L’aménagement du littoral tlemcénien du Moyen Âge au début du XXe siècle, Le rôle des villes littorales du Maghreb dans l’histoire, RM2E - Revue de la Méditerranée edition électronique, Tome III. 1, 2016.
614-Darmoul .A; Les épaves sarrasines contribution à l'étude des techniques de construction navales, musulmans et méditerranéennes, L'Homme et la mer, Actes du 3éme congrès Internationale d'étude des, cultures de la méditerranée, Jerba, Avril 1981.
615-Ferhat. H; Le Maroc et la mer , R.J.P.E.M, n°6, 2ème trimester, 1979.
616-Goiten Shelomo. D ; le commerce méditerranéen avant les croisades. Diogéne , N59, 1967.
617-Hanoteau .A ; Archéologie du territoire des Beni Raten , Revue Africaine,n°5, 1862.
618-Honain, Hommage à Georges Marçais, Mélanges d'Histoire et d'Archéologie de l'Occident Musulman, t. I.
619-Jules. Toutain; Fouilles de M. Gsell à Tipasa : Basilique de Sainte Salsa, Mélanges d'Archéologie et d'Histoire, t. 11, 1891.

620-Krueger H; The routine of commerce between Genoa and Northwest Africa during the Late Twelfth century, The mariner's Mirror, 19/4, 1933.
621---------------- ; Genoese Trade with North West Africa in the Twelfth Century , in Speculum, vol VIII , 1933, Cambridge, Massachusetts
622----------------- ; The Wars of Exchange in the Genoese- african Traffic of the Twelfth Century in Speeuluen, vol, XII, 1937, cambridge, Lassachusetts,
623-Laporte Jean Pierre; Ziama-Mansouriah, antique Choba municipium, Actes du 1er congrès international sur l'histoire de Setif, 1994.
624-LASSUS .Jean.; Le site de Saint-Leu, Portus Magnus (Oran), Comptes Rendus des Séances de l'Académie des Inscriptions et Belles Lettres. , n°3, 1956.
625-Mac Carthy .O; Recherches sur l'occupation et la colonisation de l'Algérie par les romains, Revue Africaine, n°1, 1856.
626-Macais G ; Honin, recherche d'archéologie musulman, revue africaine, 4emt trimestre, Alger, 1928.
627-Mahmoud –Agha Bouayed; Le port de Hunayit, trait d'union entre le Maghreb central et l'Espagne au Moyne Age , dans- Relaciones de la Peninsula Iberica con el Magreb sigios XIII-XVI, Actas del coloquio, Madrid 17-18 décembre 1988 coloquio.(Madrid; 17-18 décembre 1987) Madrid, Instituto Hispano-Arabe de cultura, 1988.
628-Marçais. G ; Honain, Recherches d'archéologie musulmane, Revue Africanine, 4eme trimestre1928, Alger.
629-Mascarello ; Quelques aspects des activités Italiennes dans le Maghreb Médiéval. Revue de L'occident Musu et de la medit Méditerranée édition électronique, Tome III. 1, 2016.
630-Pelletier; Province de Constantine, Ziama , Ruines du Choba municipium, Revue Africaine, n° 1, 1856 -1857.
631-Pierre Guichard; Les pays de la Méditerranée occidentale entre le Ve et Xe siècle retour sur la problématique pirennienne dans L' Occident musulman et L'Occident chrétien ou Moyen Age Actes du colloque international, Rabat 2-4 novembre 1994.
632-Robert. C; la conquéte de l'Algérie 1841-1857, tome I, 3éme edition, librairi plon, Paris, 1904.
633-Robert. Mantran; La description des côtes de l'Algérie dans le Kitab-I bahriye de PIRI REIS, Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée, n°15 - 16, 2éme semestre, 1973.
634-Rueger Hillmer ; Genoese Trade with nerthwest Africa in the Twelfth Century, in Specutum, Vol VIII, 1933.
635-Said Dahmani ;Le port de bùna au Moyen Age, dans Actes du 115eme congrès des Sociétés Savantes, Avignon, 1990, Ve colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord.
636-Thomas; Ruines Romaines de Zeffoun, Revue Africaine, n°2, 1857 – 1858.
637-TISSOT .Charles Joseph ; Exploration scientifique de la Tunisie : Géographie comparée de la province romaine d'Afrique, 2 vol., Hachette et Cie libraire éditeur, Paris, 1888.

ن) الموسوعات:

638-بنعبد الله عبد العزيز: الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، 1977.

639-الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، معلمة المغرب المدير المشرف محمد حجي، مطابع سلا، 2005.

640-العفيفي عبد الحكيم: موسوعة 1000مدينة إسلامية، أوراق شرقية، بيروت، لبنان، 2000.

ي) معاجم وقواميس:

641-مصطفى إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، دار الدعوة، إستنبول ,الطبعة الثانية، 1989م.

642-نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

الفهارس

فهرس القبائل والشعوب والدول

فهرس الأعلام

فهرس الاماكن

فهرس المواضيع

الملخص العربي:

امتلك المغرب الأوسط ساحلا بحريا طويلا ضم عدة مراس وموانئ هامة منها ما حافظ على نشاطه خلال فترة الفتح ومنها ما تلاشى واختفى، ثم انبعثت مراس أخرى بقيام الدول المستقلة كمرسى تنس، ثم مرسى بجاية وبونة و هنين والخرز ووهران..

وامتلكت الدول التي قامت في المغرب الأوسط مراكب تجارية واسطولا بحريا بلغ درجة من التقدم خلال العهد الفاطمي والحمادي ليزدهر أكثر خلال مرحلة الوحدة الموحدية، ولكنه تراجع في أواخر الدولة الزيانية مما جعل المغرب الأوسط محل أطماع المستعمر.

ومارس سكان المغرب الأوسط مختلف الانشطة البحرية وخاصة استخراج المرجان والصيد البحري حيث تنوعت طرق الصيد وطرق الحفظ والتصبير.

لقد تعرضت سواحل المغرب الاوسط الى عمليات القرصنة وكانت في البداية متفرقة ومعزولة لتصبح أكثر تنظيما بدءا من القرن 6هـ/ 12م مما جعل سكانه يقومون برد الفعل من خلال جهاد بحري بواسطة مختلف السفن والمراكب التي كانت تصنع في دور الصناعة المنتشرة على طول الساحل.

وربط المغرب الأوسط نفسه بعلاقات تجارية سيطرت عليها المدن الايطالية من خلال النقل والتجارة، مما تطلب اقامة الجالية المسيحية واليهودية في إقليمه فأدى الى ظهور مؤسسات بحرية ممثلة في القيسرية والقنصل ورئيس الديوان إضافة الى مرافق تمثل البنية التحتية لاقامة هذه المؤسسات كالفنادق والمخازن.

Résumé :

Le Maghreb-Orient a possédé un long littoral marin contenant plusieurs ports importants, certains ont maintenu leurs activités au cours de la période de la conquête et d’autres ont disparu. Puis, d’autres ports sont élancés avec l’avènement des états indépendants tel le port de Tennès, puis celui de Bejaïa, Pune, Henin Kharaz et Oran ...

Les états qui ont apparu au Maghreb-Orient ont possédé des navires commerciaux et une flotte navale qui a atteint un degré de progrès au cours de la Fatimide et Hammadi et a prospéré davantage durant l’état Almowahide, mais a regressé à la fin de l’état Alzayanih faisant du Maroc-Orient une cible d’ambitions coloniales.

La population du Maghreb-Orient ont exercé diverses activités maritimes, en particulier l'exploitation du corail et la pêche ou les méthodes de pêche, de conservation se sont diversifiées.

La côte du Maghre-Orient a été exposé à la piraterie, où elle a d'abord été sporadique et isolée pour devenir plus organisée, à partir du 6ème siècle AH / 12après Jésus Christ, poussant ses habitants à réagir par le Djihad marin par divers navires et bateaux, qui ont été fabriqués dans les maisons de l'industrie éparpillés le long de la côte. Le Maghreb-Orient s’est relié par des relations commerciales dominées par les villes italiennes par le transport et le commerce, qui ont nécessité la mise en place des chrétiens et la communauté juive sur son territoire qui a conduit à l’avènement d’institutions maritimes tel Qaysrah Consul et président du conseil d'administration, en plus des installations représentant l'infrastructure de la mise en place de ces institutions, comme les hôtels et les magasins